الجزء ١ X المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق : كانون الثاني سنة ١٩٢٧ م الموافق رجب سنة ١٣٤٥ هـ) ٧٣

المجمع العلمي العربي

« في سنة ١٩٢٦ »

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء »

	السادة :	محل الاقامة
١	اسعد الحكيم	دمشق
٢	انيس سلوم (عامل)	〃
٣	بهجة البيطار	〃
٤	خليل مردم بك	〃
٥	رشيد بقدونس	〃
٦	سليم البخاري	〃
٧	سليم الجندي	〃
٨	سليم عنحوري	〃
٩	شفيق جبري	〃
١٠	عارف النكدي	〃
١١	عبد القادر المبارك	〃
١٢	عبد القادر المغربي (عامل)	〃

« الاعضاء »

	السادة	محل الاقامة
١٣	عبد الله رعد	دمشق
١٤	فارس الخوري	〃
١٥	مرشد خاطر	〃
١٦	مسعود الكواكبي	〃
١٧	مصطفى الشهابي	〃
١٨	ابراهيم منذر	بيروت
١٩	امين الريحاني	〃
٢٠	بولس الخولي	〃
٢١	جبر ضومط	〃
٢٢	شكيب أرسلان	〃
٢٣	عبد الباسط فتح الله	〃

« الاعضاء »	محل الاقامة
٢٤ عبد الرحمن سلام	بيروت
٢٥ عبد الله البستاني	〃
٢٦ فيليب حتي	〃
٢٧ فيليب طرازي	〃
٢٨ لويس شيخو	〃
٢٩ عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٣٠ احمد رضا	النبطية
٣١ جرجي يني	طرابلس الشام
٣٢ سليمان احمد	اللاذقية
٣٣ ادوارد مرقص	〃
٣٤ محمد زين العابدين	انطاكية
٣٥ بدر الدين النعساني	حلب
٣٦ جرجس شلحت	〃
٣٧ جرجس منش	〃
٣٨ راغب الطباخ	〃
٣٩ عبد الحميد الجابري	〃
٤٠ عبد الحميد الكيالي	〃
٤١ قسطاكي الحمصي	〃
٤٢ كامل الغزي	〃
٤٣ ميخائيل الصقال	〃
٤٤ اسعاف النشاشيبي	القدس
٤٥ سعيد الكرمي	طول كرم
٤٦ رضا الشبيبي	النجف الاشرف
٤٧ امين المعلوف	بغداد
٤٨ انستاس الكرملي	〃
٤٩ جميل صدقي الزهاوي	〃
٥٠ عز الدين علم الدين	〃
٥١ كاظم الدجيلي	〃
٥٢ معروف الرصافي	〃
٥٣ احمد الاسكندري	القاهرة
٥٤ احمد تيمور	〃
٥٥ احمد زكي	〃
٥٦ احمد عيسى	〃
٥٧ اسعد خليل داغر	〃
٥٨ رشيد رضا	〃
٥٩ عباس محمود العقاد	〃
٦٠ محمد الخضر حسين	〃
٦١ يعقوب صروف	〃
٦٢ زكي مغامز	الاستانة
٦٣ حسن حسني عبدالوهاب	تونس
٦٤ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٦٥ محمد أجمل خان	الهند

* * *

« الاعضاء »		محل الاقامة
٦٦ مارسيه	Marçais	تونس
٦٧ ماسه	Massé	الجزائر
٦٨ كي	Guy	ازمير
٦٩ ميشو بيلير	Michaux-Bellaire	طنجة
٧٠ هوار	Huart	باريز
٧١ فرّان	Ferrand	〃
٧٢ دوسو	Dussaud	〃
٧٣ ماسينيون	Massignon	〃
٧٤ بوڤا	Bouvat	〃
٧٥ جويدي	Guidi	ايطاليا
٧٦ نالينو	Nallino	〃
٧٧ آسين	Asin	اسبانيا
٧٨ لوبس	Lopès	البرتقال
٧٩ مونته	Montet	سويسرا
٨٠ هيس	Hess	〃
٨١ سنوك هورغرن	Snouck-Hurgronje	هولانده
٨٢ هوتسما	Houtsma	〃
٨٣ اراندونك	Arendonk	〃
٨٤ مرجليوث	Margoliouth	انكلترا
٨٥ بفن	Bevan	〃
٨٦ هومل	Hommel	المانيا
٨٧ ساخاو	Sachau	〃
٨٨ بروكلن	Brockelmann	〃
٨٩ هوروفيتز	Horovitz	〃

	« الاعضاء »	محل الاقامة
٩٠ هرزفلد	Herzfeld	المانيا
٩١ هارتمان	Hartmann	〃
٩٢ ميتفوخ	Mittwoch	〃
٩٣ ستترستن	Zetterstéen	السويد
٩٤ اوستروب	Œustrup	الدانيمارك
٩٥ بول	Buhl	〃
٩٦ پدرسن	Pedersen	〃
٩٧ موجيك	Mzik	النمسا
٩٨ ماهلر	Mahler	المجر
٩٩ كوفالسكي	Kowalski	بولونيا
١٠٠ كراشقوفسكي	Kratchkovsky	روسيا
١٠١ موزل	Musil	تشيكوسلوفانيا
١٠٢ ماكدونالد	Macdonald	اميركا
١٠٣ كرسيكو	Karsikko	فنلاندا (١)

(١) والاعضاء الذين فقدهم المجمع هم المرحومون : الشيخ طاهر الجزائري في دمشق . والسيد نخله زريق في القدس . والسيد اغناطيوس غولدصهير في بودابست والسيد مرتين هارتمان في برلين . والسيد رينه باسه في الجزائر . واحمد كمال باشا والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي في القاهرة . والسيد محمود شكري الالوسي في بغداد . والسيد غريفيني والسيد رفيق العظم في القاهرة . والسيد حسن بيهم في بيروت . والدكتور صالح قنباز في حماة . والسيد مالنجو والسيد الياس القدسي في دمشق . والسيد براون في كمبريج . أجزل الله ثوابهم .

سهل بن هرون [١]

« منبته ونسبه » : — ولد سهل بن هرون [٢] في مدينة مَيْسان بين واسط والبصرة وفي رواية في دَسْتُمَيسان كورة بين الأهواز وواسط والبصرة ، في أواخر النصف الاول من القرن الثاني تقديراً ، ولا يعرف من نسبه الا انه سهل بن هرون بن راهيون (راهبون) وكنيته ابوعمرو ، فارسي الجنس ، أهوازي اوخوزي المولد ، عراقي المنشأ . تحول الى البصرة في سن لم تعرف ، وكانت البصرة اذ ذاك مدينة العلم في الدولة الاسلامية ، بل مدينة العلم في العالم كله ، او كما قيل فيها « قبة الاسلام وخزانة العرب » ، حوت من حصائل العلم الانساني اصوله وفروعه ، ومن القائمين على تنميته مصاقعه وفحوله ، فغذى روحه بلبان مجالسها ومجامعها ، واستنار عقله بما اقبسته من نور معارفها ، فتخرج بعلمائها ، ولا شك انهم كانوا طبقة عالية جداً ، في كل مطلب من مطالب الآداب .

وكانت البصرة بل المملكة الاسلامية أخذت في تلك الحقبة ، تمازج فيها مدنية العرب بمدنية الفرس والروم والهند ، وبدأت المذاهب الفلسفية تتسرب في المجتمع الاسلامي ، وعلماء الامة يتعاورهم الجزر والمد على شاطيء بحر الحكمة القديمة ، شأن

---

(١) محاضرة السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي ألقاها في ردهة المجمع يوم ٣ كانون الاول سنة ١٩٢٦ . (٢) لم يترجم لسهل بن هارون القفطي في اخبار الحكماء ، ولا ابن خلكان في وفيات الاعيان ، ولا البيهقي في حكماء الاسلام ، ولا السمعاني في الانساب ، ولا ابن الانباري في طبقات الادباء . وترجم له تراجم موجزة كل من الصفدي في الوافي بالوفيات والصلاح الكتبي في فوات الوفيات وفي عيون التواريخ ، وابن نباتة في شرح رسالة ابن زيدون وابن بدرون ، في شرح قصيدة ابن عبدون ، والثعالبي في المضاف والمنسوب . وترجم له كرامر الهولاندي من علماء المشرقيات في المعلمة الاسلامية ، واقتصر على ماقاله المترجمون فيه وفاته انه كان من رجال الرشيد وقال انه لم يجتمع بالجاحظ مع ان الجاحظ يروي عنه كثيراً في كتبه المطبوعة .

مدينة البصرة مع خليجها ، يمد ماؤها ويجزر على الدوام ، وما زالوا هذا حالهم يغوصون في بحار الافكار حتى أخرجت عقولهم درراً غريبة ، كما يخرج بحرهم الجواهر واللآلي الثمينة النادرة . وكانت النفوس حريصة على الدين الذي دوّن وحرر ، راغبة كل الرغبة في الاخذ مما لا عهد لها به من علوم الامم السالفة . وفي هذا المحيط انبعث عقل سهل بن هرون لاول امره ، في ارض صالحة لانماء العقل واطلاقه من قيوده ، ولم يُعرف اذا كان سهل رحل الى الروم وفارس والشام ومصر ، والغالب انه لم تتعد تنقلاته مدينة الرقة قصبة ديار مضر ، والرصافة رصافة هشام في اول تخوم الشام ، واكتفى بالبصرة وبغداد . وجميع هذه المدن الاربع الرُّصافة والرَّقة وبغداد والبصرة هي من بناء العرب . وكانت بغداد أجمل مدن الارض في ذاك العصر ، وفيها كل شيء جديد سواء أكان ذلك في خططها ومرافقها ، او في عقول اهلها ونبوغ علمائها ، يُحمل اليها من الآفاق بدائع ماصنع البشر ونتجت عقولهم . والدول سوق يحمل اليها مايروج فيها .

لا نعلم على التحقيق منشأ والد سهل ، ولا مظهره ومذهبه ، ولا أصل أم سهل وتربيتها ، ولا معلميه في بلده ، ولا أساتيذه في البصرة ، ولا أترابه ولداته في صباه ، ولا غير ذلك من العوامل التي لها الشأن الاكبر في تربية الملكات ، وتلقين الاخلاق والعادات . يُنشَّأ عليها الفتى فتطبع حياته بطابع خاص ، تتعذر في عقود العمر الآخرة إحالتها واستحالتها . بيد انه من المعقول ان يكون قانون الوراثة اورثه جراثيم دم الفرس وحكمتها ونظامها وأدبها ، وضم اليها الثقافة العربية فجاءت منازعه خليطاً نافعاً ، ومداركه متينة رصينة .

أضف الى هذا ان مملكة بني العباس كانت سيدة الممالك ، على ما كانت البصرة سيدة البلاد بصفائها وهنائها ، وقوتها وعزتها ، وربما كان العصر الذي نشأ فيه سهل ابن هرون أجمل عصور التاريخ ، والمُلك موحَّد من المغرب في شمالي افريقية الى حدود الشرق ، وليس في الارض حكومة اسلامية غير الاندلس بيد بني مروان : لا غوائل ولا فتن في الداخل والخارج ، يشتمل الناس على السلامة ، ويغتبطون بما أوتوا في سلطان بني هاشم ، وكلما نجم ناجم من العلويين او غيرهم كانت جيوش العباسيين تقضي عليه لساعته ، فضعف المنازعون الى منازعة الخوالف حبلَ السلطة .

وغدت ممالك الشرق والغرب تتنافس في رضا خليفة العرب ، والملك من ملوك آسيا واوربا اذا تيسر لقاصده او سفيره ان يتشرف بالحضرة حضرة بني العباس ، يسعد ويعتز في سلطانه ، وعدّ ذلك نعمة حازها دون أقرانه .

« مذهبه وأخلاقه » : — قيل ان سهل بن هرون كان شيعياً ، وشيعة العراق في زمنه كانوا على الاطلاق معتزلة ، ولم يؤثر عنه ان تنقص احداً من الصحابة الكرام ، بلى عرف بالاعتدال مع الأموات اعتداله مع الاحياء ، وما أُثر عنه انه خاض غمار مباحث الكلام التي كانت على أشد حرارتها اذذاك ، ولا سيما في البصرة ودار السلام بغداد . واتهموه بانه كان من الشعوبيين الذين يصغرون شأن العرب ، ولا يرون لهم على العجم فضلاً ، واذا صحت هذه التهمة فمن الصعب التوفيق بين مذهب من يقول بالشعوبية ومن يقول بالتشيع ، على المعنى الذي فُسر به بعد قرون .

والشعوبي منسوب الى قوله تعالى : « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم » . ونشأ مذهب الشعوبية على الأرجح بُعَيد عصر الخلفاء ، باشتداد قوة التجاذب والتدافع بين أرباب العصبيات ، وكان من أثر ذلك التفاخر بالجنس الذي جاء الاسلام بابطاله ، ولو كان للجنس يفضل المرء في الامة ، ما نزل سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي من الرسول تلك المنزلة العالية . والدين لا يفاضل الا بالتقوى . على ان أعظم من كانوا يكيدون للعرب بالشعوبية السَفِلة والحشوة وأوباش النبط وأبناء أكرة القرى ، لا أشراف العجم وذوو الاخطار واهل الديانة ، على ما رأى ابن قتيبة . اذا عرفت هذا فادفع عن سهل دعوى الشعوبية ، غير خائف ولا متلجلج ، فاعتداله يمنعه الا ان يقدر لكل عنصر خصائصه ، وهو لم يعدّ رجلاً مذكوراً الا بالاسلام ، والأخذ عن علماء العرب ، ورقي في مظاهر الدنيا حتى وصل الى أعظم خلفاء العباسيين هرون الرشيد وعبدالله المأمون . وكان بفضل العلم احد أئمة البيان والحكمة في الامة العربية ، ودعي لحكمته وعقله بُزرجمهر الاسلام . وبُزرجمهر وزير انو شروان العادل ، من ملوك آل ساسان ، اشتهر بالعدل والحكمة .

وصفه الجاحظ فقال : كان سهل سهلاً في نفسه ، عشيق الوجه ، حسن الشارة ، بعيداً من الفدامة ، (العيّ) معتدل القامة ، مقبول الصورة ، يقضى له بالحكمة ،

قبل الخبرة ، و برقة الذهن ، قبل المخاطبة ، وبدقة المذهب ، قبل الامتحان ، و بالنبل ، قبل التكشف (الظهور) . وكان الجاحظ مازجه وثافنه . وقيل للحراني ولعله ابراهيم ابن ذكوان كاتب الهادي ووزيره : بينك وبين سهل بن هرون صداقة فانعته لنا كي نعرف فقال : هو كالخير ، وازن العلم ، واسع الحلم ، ان حودث لم يكذب ، وان موزح لم يغضب ، كالغيث اين وقع ، نفع ، وكالشمس حيث أولت ، أحيت ، وكالارض ما حملتها حملت ، وكالماء طهور لمتمسه ، وناقع لغلة من أحرّ اليه ، وكالهواء الذي تُقطف منه الحياة بالتنسم ، وكالنار التي يعيش بها المقرور ، وكالسماء التي قد حسنت باصناف النور اه . صورتان جميلتان في وصف سهل صورهما مصوران مبدعان ، عاشا بقربه وفتنهما بخلقه وخُلُقه .

واتهموا سهل بن هرون بالبخل وأوردوا له قصصاً ونوادر ، وعده الجاحظ من « متعاقلي البخلاء وأشحاء العلماء » قال : ما علمت ان احداً جرد في البخل كتاباً الا سهل بن هرون وابا عبد الرحمن الثوري . والبخل في الفرس غالب في الجملة ، غلبة الكرم على طبائع العرب . فاقتضى ذاك التفريط الذي رآه سهل في تبذير العرب ، ان يدلي اقومه بآرائه المفرطة في الاقتصاد والإمساك . وماشوهد قط تفريط الا والى جانبه إفراط . وربما كان اتهامه بالبخل مبالغاً فيه تراد به النكتة والنادرة .

حكى الجاحظ قال لقي رجل سهل بن هرون فقال : هب لي ما لا ضرر به عليك فقال : وما هو يا اخي . قال : درهم . قال : لقد هوّنت الدرهم وهو طائع الله في ارضه لا يعصي ، وهو عشر العشرة ، والعشرة عشر المئة ، والمئة عشر الالف ، والالف دية المسلم ، ألا ترى الى اين انتهى الدرهم الذي هوّنته . وهل بيوت الاموال الا درهم على درهم . فانصرف الرجل ولولا انصرافه لم يسكت .

وحكى دعبل الخزاعي الشاعر قال : أقمنا يوماً عند سهل بن هرون ، وأطلنا الحديث حتى أضرّ به الجوع ، فدعا بغدائه ، فأُتي بصحفة فيها مرق تحته ديك هرم ، فأخذ كسرة وتفقد مافي الصحفة ، فلم يجد رأس الديك ، فبقي مطرقاً ثم قال للغلام : اين الرأس قال : رميت به قال : ولِمَ قال : لم أظنك تأكله قال: ولِمَ ظننت ذلك فوالله اني لأمقت من يرمي برجله فكيف برأسه ، ولو لم أكره ما صنعت الا للطيرة

والفأل لكرهته ، اما علمت ان الرأس رئيس يتفاءل به وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح لديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فرقه الذي يتبرك به ، وعينه التي يضرب بصفائها المثل فيقال شراب كعين الديك ، ودماغه عجب لوضع الكلية ، ولم أر عظماً قط أهش تحت الاسنان منه ، وان كان بلغ من نُبلك انك لا تأكله ، فعندنا من يأكله ، او ما علمت انه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق؟ انظر اين رميته ، فقال : والله ما أدري قال : انا والله أدري انك رميت به والله في بطنك فالله حسيبك .

ولما صنف سهل كتابه في البخل أهداه للحسن بن سهل واستماحه فكتب اليه الحسن : قد مدحت ما ذمه الله ، وقبحت ما قبحه الله ، وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك ، وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك ، فما نعطيك شيئاً . والحسن بن سهل وزير المأمون كان فارسياً ايضاً ، ولكنه في الجود آية الآيات . والطبائع ارثية وللمنشإ والعادة دخل كبير فيها ، ومع كل هذا فقد صح من شعر سهل قوله :

وما العيش الا ان تجود بنائل والا لقاء الاخ بالخلق العالي

ومن يقول هذا الشعر ، و يقصد هذا المعنى ، لا يكون من البخل على ماوصفوا ، ومن أفاد مالاً فادخره الى الايام السود ، كان في احتياطه على مثال ابناء البلاد الباردة الذين قد يذخرون مؤونتهم سنتين وثلاثاً اما اهل البلاد الحارة فلا يفكرون الا في اليوم الذي هم فيه على الأعم الأغلب من حالاتهم . وقال غولدصيهر المجري : ان تمدح ابن هرون بالبخل ، نزغة من نزغات الشعوبية ، أراد بمدحه الحط من قدر العرب الذين جعلوا الكرم من مفاخرهم الوطنية .

« طريقته في الكتابة وتأليفه » : — ان رجلاً يفضله الجاحظ و يصف براعته وحصافته ، ويحكي عنه في كتبه ، و يظهر إعجابه به اذا ذكر ، و يروي حديثه ومجالسه ، هو ولا شك المثل الاعلى في صنوف العلم والآداب ، بلغ الذروة فيما تفرد به واشتهر بمعرفته ، وكان اهل عصره مجمعين على الاقرار بفضله ، قلما بداخلهم الحسد له ، فكان منقطع القرين في فنه ، نابغة في العلم الذي يمتّ به ، وناهيك بعالم كبير كالجاحظ وهو في البلاغة يجري مع سهل كفرسي رهان ، وفي العلم والعقل المثل

المضروب ، كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني ، الحسن النظم ، فينسبه الى نفسه فلا يرى الاسماع تصغي اليه ، ولا الارادات تيم نحوه ، ثم يؤلف كما قال عن نفسه ، ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة ، فينحله عبد الله بن المقفع أو سهل بن هرون او غيرهما من المتقدمين ، ومن طارت اسماؤهم في المصنفين ، فيقبلون على كتبها و يسارعون الى نسخها . وطريقة سهل في كتابته طريقة امير المؤمنين علي بن ابي طالب لا يتكلف لكلامه فلا يشاهد فيه الناقد اثر التعمد ، بل لا يكلف بغير ارسال النفس على سجيتها فهو وابن المقفع والجاحظ من غرار واحد . وقيل ان سهلاً كاتب سلاطين والجاحظ مؤلف دواوين . وكأن كلامه نغمة موسيقية تعرف انتهاء جملته من رنتها ، بعد ان ملكت عليك مشاعرك ، وأدخلت السرور على نفسك ، لا يحفل بالاسجاع الا اذا جاءت عفو الخاطر ، شأن بلغاء الصدر الاول . ولا يتعمد الجزالة الا اذا اقتضى الموضوع ذلك ، وقلما خلا قوله من نكتة تحمدله وتحمل عنه . وكأنك في انشاء سهل تقرأ المعني قبل اللفظ ، وما تنفع القوالب اذا لم يكن علم الكاتب يملي ، والمظاهر والدساتير مستملية . ففي أسلوبه تقرأ لتتعلم ، وفي غيره تقرأ الفاظاً جميلة وقوالب محكمة ، وفي كلمه الطيب تقع على إشباع المعاني ، وتقطيع الجمل ، والابلاغ في المزاوجة بين الكلمات ليتأثر السامع ، وتفعل البلاغة فعلها في نفسه من طريق الاقناع والبرهان لا من مجرى التقفية والزخرف ، وتوازن الكلمات ورنة الفقرات .

كان سهل يقول الشعر ، واكثر شعره مما أملاه قلبه ، في غرض خاص من أغراض المجتمع ، وعدّه الجاحظ من الخطباء والشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار المجلدة ، والسير الحسان المولدة ، والاخبار المدوّنة . ولقبه مرة بالكاتب ، ولعل لقب الكاتب في شرفه أكبر من عالم . وذكره ابن النديم في البلغاء وقال انه شاعر مقل ، وعده في الشعراء الكتاب وقال انه كان ممن يعمل الاسمار والخرافات على ألسنة الناس والطير والبهائم هو وعبدالله ابن المقفع وعلي بن داود كاتب زبيدة . وشعره خمسون ورقة . اما الدهشة ففي تآليفه فله ديوان رسائله ، وكتاب النمر والثعلب ، وكتاب اسباسيوس (اسانوس) في اتخاذ الاخوان ، كتاب اسد بن اسد ، كتاب سحرة العقل ، كتاب تدبير الملك والسياسة ،

كتاب الى عيسى بن ابان في القضاء ، كتاب الفرس ، كتاب الغزالين ، كتاب ندود وودود ولدود ، كتاب الرياض ، كتاب ثعلة وعفراء (وفي رواية ثعلة وعفرة) على مثال كتاب كليلة ودمنة قلده في أبوابه وأمثاله وقال المسعودي يزيد عليه اي على كليلة ودمنة في حسن نظمه وقد صنفه للمأمون . ومن تآليفه كتاب الاذلية والمخزومي ، كتاب الوامق والعذراء الى غير ذلك من المصنفات التي لم تبق الايام و يا للأسف على واحد منها فيما علمنا ، ومنها ما عارض به كتب الاوائل ، فجمعت الى الحكمة الفائقة البلاغة السرية الغريبة .

ولا تعجب اذا رأيت بضعة من تآليف سهل في القصص والاسمار ، فان من الناس من يتبلم بالاحتيال عليه ، وصعب عليك ان تلقنه الثقافة العالية والاخلاق الفاضلة ، الا في قالب يميل اليه بجملته ، ظاهره هزل وإحماض ، و باطنه تعليم وإرشاد ، ومن أجل هذا كان هذا اللون من الأدب ، مما يلذ المطالع ويفيده علماً ، ويلقي عليه حكمة بالغة على نحو ما يفعل كبار القصصيين من اهل المدنية الحديثة . وكان حظ ابن المقفع في هذا الباب أجزل ، لان كتابه كليلة ودمنة الذي عربه من البهلوية اشتهر اكثر من اشتهار ثعلة وعفرة ، او غير ذلك من الاوراق التي كسرها على القصص ، ولا تدل اسماء كتبه على انه كتب في موضوع أشبه بدبني اللهم الا كتابه في القضاء ، اما كتابه في تدبير الملك والسياسة فدليل على انه قرن العلم بالعمل في هذا الفن السهل الصعب .

« حياته السياسية » : — لم نهتد الى زمن انتقال سهل من البصرة الى بغداد ، وسكت التاريخ عن عهد رحيله من مسقط رأسه ، وعن سنة ولادته ، وغاية ما ذكر في ترجمته انه كان مختصاً بالفضل بن سهل اخي الحسن بن سهل وزيري المأمون وان الفضل قدمه للمأمون ولكن كتب المحاضرات والتاريخ تقول ان سهلاً كان من رجال الرشيد ، وانه دخل عليه وهو يضاحك المأمون فقال : اللهم زده من الخيرات ، وأبسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من ايامه مربياً على امسه ، مقصّراً عن غده . فقال الرشيد : يا سهل من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن الحديث أفصحه

وأوضحه ، اذا رام ان يقول لا يعجزه القول . فقال سهل : يا امير المؤمنين ما ظننت ان احداً تقدمني الى هذا المعنى . قال : بل أعشى همْدان حيث يقول :

رأيتك امس خير بني لُؤَيٍّ وانت اليوم خيرٌ منك امس
وانت غداً تزيد الخير ضعفاً كذاك تزيد سادة عبد شمس

وهذا يدل على ان سهلاً اتصل بالرشيد ، والمأمون حدث صغير . وان سهلاً كان معروفاً برواية الشعر والحديث ايضاً . وقد شهد مقتل البرامكة في سنة ١٨٧ وحدث فيما كان عليه يحيى وجعفر من البلاغة فقال ان سجاعي الخطب ومحبري القريض عيال على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى ولو كان كلام يتصور دراً ، و يحيله المنطق السريُّ جوهراً ، لكان كلامهما ، والمنتقى من لفظهما . ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد في بديهته وتوقيعاته في كتبه ، فَدْمين عَيِين ، وجاهلين أُميين . ولقد عُمِّرت معهم ، وأدركت طبقة المتكلمين في ايامهم ، وهم يرون ان البلاغة لم تستكمل الا فيهم ، ولم تكن مقصورة الا عليهم ، ولا انقادت الا لهم ، وانهم محض الانام ولباب الكرام ، ومِلح الايام : عشق منظر ، وجودة مخبر ، وجزالة منطق ، وسهولة لفظ ، ونزاهة نفس ، واكتمال خصال ، حتى لو فاخرت الدنيا بقليل ايامهم ، والمأثور من خصالهم ، كثير ايام من سواهم ، من لدن آدم ابيهم ، الى النفخ في الصور وانبعاث اهل القبور ، حاشا أنبياء الله المكرمين واهل وحيه المرسلين ، لما باهت الا بهم ولا عوّلت في الفخر الا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم وكريم أعراقهم ، وسعة آفاقهم ، ورفق ميثاقهم ، ومعسول مذاقهم ، وبهاء إشراقهم ، ونقاوة أعراضهم وتهذيب أغراضهم ، واكتمال خلال الخير فيهم الى ملء الارض مثلهم ، في جنب محاسن المأمون كالنفثة (التفلة) في البحر ، والخردلة في المهمه القفر » .

وهذا الكلام على مافيه من حق في وصف البرامكة والرشيد والمأمون لا يخلو من مصانعة ، وفيه مبالغة فارسية لم تكد تعرفها العرب على هذا الوجه ، ومن الصعب ان يتجرد المرء عن كل أخلاقه ، ويخرج عن دمه الذي ورثه مهما عولج بالتعليم والتربية .

شهد سهل هذه المأساة مأساة مقتل بني برمك وقال : ان الرشيد لما قتل جعفراً بعث اليه وكان معه في الرقة يحصل أرزاق العامة مع يحيى بن خالد — والرقة كانت

مصطاف الرشيد وكان يقول الدنيا اربعة منازل دمشق والرقة والريّ وسمرقند — ولما حمل نبأ مقتل جعفر كان سهل بين يدي يحيى يكتب توقيعات في أسفل كتبه لطلاب الحوائج اليه قد كلفه إكمال معانيها باقامة الوزن فيها فلبس ثياب أحزانه لانه كان على صلة دائمة بالبرامكة قال : فلما دخلت على الرشيد ومثلت بين يديه عرف الذعر في تجريض ريقي ، والتبايد في طريقي ، وشخوصي الى السيف المشهور ببصري فقال : إيهاً يا سهل من غمط نعمتي ، واعتدى وصيتي ، وجانب موافقتي ، أعجلته عقوبتي » قال : فوالله ما وجدت جوابها حتى قال : « ليفرخ روعك ، وليسكن جأشك ، وتطيب نفسك ، وتطمئن حواسك . فان الحاجة اليك قربت منك وابقت عليك ، بما يبسط منقبضك ، ويطلق معقولك ، فاقتصر على الاشارة دون اللسان ، فانه الحاكم الفاصل ، والحسام الناصل ، وأشار الى مصرع جعفر وهو يقول :

من لم يؤدبه الجميـ ـل ففي عقوبته صلاحه

قال سهل : « فوالله ماأعلمني عييت بجواب احد قط غير جواب الرشيد يومئذ ، فما عولت في شكره والثناء عليه الا على تقبيل يديه وباطن رجليه » . ثم قال لي : « اذهب فقد أحللتك محل يحيى بن خالد ووهبتك ما ضمنته أبنيته وحوى سرادقه ، فاقبض الدواوين واحص جباءه وجباء جعفر ، لنأمرك بقبضه ان شاء الله . قال سهل : فكنت كمن نشر عن كفن ، واخرج من حبس ، فأحصيت جباءهما فوجدت عشرين الف الف دينار .

وبذلك تبينت منزلة سهل وكيف أصبح بعد يحيى البرمكي صاحب دواوين الرشيد ومع ما كان له من الإجلال في الصدور خاف يوم النازلة بالبرامكة وكانت البرامكة كما قال ابن خلدون من محاسن العالم ، ودولتهم من أعظم الدول ، وهم كانوا نكتة محاسن الملة وعنوان دولتها — ان تضنه القافية لصحبته لهم وامتزاجه بهم . وناهيك به يومئذ من موقف صعب ، ولكن عقل الرشيد لاتعبث به الأهواء ، ويضنّ بعظيم من رجاله لأسباب تافهة فأبقى على سهل بن هرون لانه من مفاخر الملة والدولة . لا جرم ان سهل بن هرون كان في سياسته من حزب الحكومة او الحزب المعتدل ،

تعزب فطرته عن التطرف ، و يرى المصلحة في التآلف ، ويعد الخروج عن سبيل الجماعة خروجاً عن الطاعة ·

والغالب ان عشرة سهل مع الرشيد دامت حتى مات هذا سنة ١٩٣ · ولم يجر له ذكر في عهد الأمين مدة اربع سنين وثمانية اشهر وكسر فالتزم على ما يظهر بيته ، واعتزل الفتنة بين الامين والمأمون ، حتى اذا كانت الخلافة للمأمون أصبح سهل ابن هرون من خاصته كما كان من خاصة ابيه الرشيد من قبل · وروى بعض الرواة ان المأمون كان استقلّ سهل بن هرون · وقد دخل عليه يوماً الناس على مراتبهم فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فلما فرغ من اومه أقبل سهل ابن هارون على الجمع فقال : مالكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتعجبون ، وتتعجبون ولا تنصفون ؟ والله انه ليقول ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل ، عربكم كعجمكم وعجمكم كعبيدكم ، ولكن كيف يعرّف بالدواء من لايشعر بالداء · فرجع المأمون فيه الى الرأي الاول · وفي ذلك ايضاً من حسن المأتى ولطف المدخل والمخرج ، مايعرفه المبتلي بعشرة الملوك والعظماء ، ولا سبيل الى الدخول على اكثرهم الا بهذه الطرق من التلطف والتزلف ، وان لم يصدق ذلك من كل وجه على الرشيد والمأمون · وهما ما هما في العقل والعلم والعدل · وأخرى وهو ان سهلاً بكلامه هذا ، ضرب الحاضرين في مجلس المأمون في الصميم وأنزل من مراتبهم ليستأثر وحده بتلك الرتبة السنية ، فنسبهم الى السكوت في مواطن القول والى القصور في ميدان الاستحسان والاستهجان ، ومن قعدت به القريحة عن الانبعاث حين الحاجة كان حرياً ان لا يعاشر تلك الطبقة من الخلفاء وهذا من دهائه الكسروي ·

رجع المأمون عن رأيه في سهل ، وعرف انه الرجل كل الرجل في صورته وعقله ومفاكهته وغنائه وأدبه ، فقربه وأدناه على النحو الذي كان عليه في عهد والده وكان سهل قد أسن بالطبع ، ويعرف المأمون مذ كان طفلاً عند الخليفة والده · ولكن المأمون يحترم الكبير وهو جدّ في جماع اموره · بيد انه لم يقبل باصطفائه الا بعد

اختباره . وعندما وقع عنده على امور تفرد بها وقد لا يجدها فيمن كان اختارهم لعشرته من العلماء وهم عشرة اختيروا له من مئة .

« حياته العلمية » : — كان المأمون مولعًا بكتب القدماء والفلاسفة وعُدّ ذلك من آكد أعماله في إنهاض مستوى العقل العربي فأنشأ داراً جمع فيها كل ما طالت يده اليه من كتب العلم باللغات المختلفة .

وكانت جزيرة قبرس في ذاك العهد تشغب كثيراً على الخلافة وقد سبى عمال الرشيد اهلها مرة حتى اذا أفضت الخلافة الى المأمون هادن صاحب قبرس وارسل اليه يطلب خزائن كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه احد ابداً فيما قيل ، فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوي الرأي في بلده واستشارهم في حمل الخزانة الى المأمون فكلهم أشاروا بعدم الموافقة الا مطراناً واحداً فانه قال : الرأي ان تعجل بانفاذها اليه فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا افسدتها وأوقعت بين علمائها . فأرسلها اليه واغتبط بها المأمون . ثم صالح هذا الخليفة العالم صاحب الروم ميخائيل الثالث على ان يدفع اليه ما عنده من كتب القدماء وأرسل بعوثاً من ثقاته من المسلمين والنصارى الخ ما لا يتأتى لملك الروم إخراجه من الكتب فاجتمع للمأمون بذلك خزانة عظيمة فوق ما حمل اليه من الشرق والغرب وجعل سهل بن هرون خازناً لها وسماها بيت الحكمة فاشتغل بها سهل وكثرت مادته من العلم وجعل معه عالماً اسمه سلم كما جعل شريكاً له سعيد بن هارون ولعله اخوه او ابن عمه .

ولا شك ان سهلاً تهيأت له أسباب البحث والنظر في بيت الحكمة التي أصبح ناظرها بما لم يتهيأ لغيره الوصول اليه . خصوصاً وهمة الخليفة منصرفة اي انصراف الى ترجمة كتب الفلسفة والعلوم والصناعات من اللغات الرومية والسريانية والفارسية والهندية . لا يهنأ له بال حتى تمسي المكتبة العربية تامة من كل وجه في علوم الدنيا على ما هي تامة في علوم الدين ، وقد كان شرع بالنقل عن اللغات الاخرى الأمويان العظيمان خالد بن يزيد وعمر بن عبدالعزيز في دمشق خلال القرن الاول وثنى بذلك في بغداد الخليفتان العباسيان المنصور والمأمون في القرن الثاني .

اتسع الأُفق أمام عقل سهل واستكملت أمامه عامة أدوات النبوغ ولم تقف

به الهمة عندالاخذ من كتب الفرس والفارسية لغته الاصلية بل تعدتها الى الاخذ من كل ما طاب له من ضروب المعارف البشرية خصوصاً وانتقاله الى بغداد بعد البصرة جاء متمماً له بغيته وكان اختلاطه برجال الخلافة وكانوا من كل صنف ونحلة وجنس معواناً له على الكمال وظهور جوهر نفسه . وقد يستفيد المرء بالعشرة والتلاقي ما يستفيد من النظر في الكتب وتصفح دواوين العلم ومصاحف الفضائل .

وذكر الصفدي ان سهل بن هرون تولى خزانة المأمون وتولى خزانة الحكمة له . اي انه كان له منصبان الاشراف على خزانة المأمون اي خزانة كتبه الخاصة والنظر على دار الكتب التي سميت دار الحكمة او بيت الحكمة . وكلا العملين عظيم في بابه ولكنهما من نمط واحد . وفي ذلك ما يشعر بان المأمون لم يكن يصبر عليه في قصره ولا يشبعه منه انصرافه الى المصالح العامة فقط او انه لم ير الكفاءة المطلوبة في غيره ليتولى هذين العملين .

« نثره وشعره » : — ان النزر القليل الذي وصل الينا من كلام سهل بن هرون يهيئ لنا السبيل الى الحكم عليه في بلاغته ورجاحته وعلمه وكلام المرء عنوانه ومرآته به تعلم ميوله ومنازعه وتستخرج دفائن نفسه . ومن كلام له في كتابه ثملة وعفرة : « اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدماً ، قبل الذي تجودون به من تفضلكم ، فان تقديم النافلة مع الابطاء في أداء الفريضة ، شاهد على وهن العقيدة ، وتقصير الروية ، ومضر بالتدبير ومخلٌ بالاختيار ، وليس في نفع تحمد به عوضاً عن فساد المروءة ، ولزوم النقيصة . » وهذا مأخوذ من قوله في يحيى بن جعفر :

عدو تلاد المال فيما ينوبهُ منوعٌ اذا ما منعه كان أحزما
مذال نفس قدأبت غيران ترى مكاره ما تأتي من العيش مغنما

وكتب الى صديق له أبلّ من ضعف : « بلغني خبر الفترة في إلمامها وانحسارها والشَّكاةَ في حلولها وارتحالها فكاد يَشغل القلق باوله عن السكون لآخره وتذهل الحيرة في ابتدائه عن المسرة في انتهائه وكان تغيري في الحالين بقدرهما ارتياعاً للاولى وارتياحاً للأخرى » .

ومن كلامه يعزي : التهنئة بآجل الثواب ، اولى من التعزية على عاجل المصيبة . وقال في المعنى : مصيبة في غيرك لك ثوابها ، خير من مصيبة فيك لغيرك ثوابها . وقال : حق كل ذي مقالة ان يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها ، كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها . وقال : تعلموا العلم فلأن يُذم الزمان لكم ، خير من ان يذم بكم . ومن كلامه : العفو الذي يقوم مقام العتق ماسلم من تعداد السقطات ، وخلص من تذكار الزلات . وكتب الى جعفر بن يحيى :

اذا ما اتى يوم يفرق بيننا بموت فكن انت الذي يتأخر

وقال : الصديق لا يحاسب ، والعدو لا يحتسب له ، اي لا يعتدّ به ، وقال : من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها ، ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه منها .

وقال محمد بن زياد الزيادي البصري : وَجدت على سهل بن هرون في بعض الامر فهجوته فكتب اليّ : « اما بعد فالسلام على عهدك ، وداعَ ذي ظن بك ، في غير مَقْلِية لك ، ولاسلوة عنك ، بل استسلام للبلوى في امرك ، واقرار بالعجزة عن استعطافك ، الى اوان ايابك ، او يجعل الله لنا دولة من رجعتك والسلام » . وكتب في أسفل الكتاب :

ان كنت أخطأت اوأسأت ففي عفوك مأوى للفضل والمنن
إاتيت ما استحق من خطإ فجد بما تستحق من حسن

وهذا من أعظم مكارم الأخلاق . يُهجى وهو يسترضي هاجيه .

ومن محاسن تعريضات سهل انه خاطب بعض الامراء فقال له : كذبت فقال : أيها الامير ان وجه الكذاب لا يقابلك يعني الامير بذلك لان وجه الانسان لا يقابله . ورويت هذه النكتة لغيره . وحكى الجاحظ ان ابا الهذيل العلاف المتكلم سأله رقعة يكتب بها الى الحسن بن سهل يستعينه على ضائقة لحقته فكتب رقعة وختمها ودفعها اليه فأوصلها الى الحسن فلما رآها ضحك وأوقف عليها ابا الهذيل واذا فيها مكتوب :

ان الضمير اذا سألتك حاجة لابي الهذيل خلافُ ماأُبدي

فامنحه رَوْحَ اليأس ثم امدد له حبل الرجاء بمخلف الوعد
وألِن له كنفاً ليحسن ظنه في غير منفعة ولا رِفد
حتى اذا طالت شقاوة جده وعَنائه فاجبهه بالرد
وان استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بابلغ الجَهد

ولما قرأ الحسن رقعته وقّع فيها : « هذه لك الويل صفتك لا صفتي » وامر لابي الهذيل بالف دينار فعاد اليه فعاتبه فقال سهل : تُرى ابن عَزب عنك الفهم اما سمعت قولي ان الضمير خلاف ما أبدي فلو لم يكن ضميري الخير ما قلت هذا . قال الجاحظ : هذه من مغالطات سهل وبلاغته .

وروى الثعالبي قال : « حاجة ابي الهذيل » يضرب مثلاً للحاجة يسألها الانسان لغيره ويضمر ضد ما يظهر ولا يحب قضاءها إما بخلاً بجاهه واما لحاجة أُخرى في نفسه . قال وكان ابو الهذيل سار الى سهل بن هرون الكاتب وكان خاصاً بالحسن ابن سهل يسأله الكلام في امره و يستعينه على ضائقة دفع اليها فسار سهل الى الحسن فكلمه وقال له : قد عرفت أيها الامير حال ابي الهذيل ومحله وقدره في الاسلام وانه متكلم قومه والرادّ على أهل الإلحاد وقد فزع اليك لإضاقة هو فيها فوعده ان ينظر له ما يصلح حاله . وربما كانت أبيات سهل منبعثة من كونه لاحظ بعد ان كلم الحسن بن سهل بشأن ابي الهذيل شيئاً من الفتور فلما أُريد على الشفاعة بابي الهذيل مرة ثانية كتب تلك الابيات ومع هذا ما خلت من نكتة جميلة .

وابو الهذيل هذا هو شيخ المأمون وكان يقول فيه « أطلّ ابو الهذيل على الكلام كإطلال الغمام على الانام » وكان يأخذ من السلطان في كل سنة ستين الف درهم ويفرقها على أصحابه .

وأنشد الجاحظ لسهل يهجو رجلا :

من كان يعمر ما شادت أوائله فانت تهدم ما شادوا وما سمكوا
ما كان في الحق ان تأبى فعالهم وانت تحوي من الميراث ما تركوا

وأجمِلْ بهذا الهجو الذي اقتصر فيه على الموعظة الحسنة وهو القائل :

اذا امرؤ ضاق عني لم يضق خلقي من ان يراني غنياً عنه باليأس

فلا يراني اذا لم يرع آصرتي مستمر يا درراً منه بابساس
لا أطلب المال كي أغنى بفضلته ما كان مطلبه فقراً الى الناس

ومن شعره :

أعان طرفي على جسمي واعضائي بنظرة .وقفت جسمي على دائي
وكنت غراً بما تجني عليّ يدي لا علم لي ان بعضي بعض اعدائي

هذا هو الشعر الذي يسميه الافرنج بالشعر الوجداني (Lyrique) واكثر شعر العرب منه وهو مرآة شعور صاحبه وما يمليه عليه قلبه و يزينه له طبعه ·

ومن بدائع سهل : القلم لسان الضمير اذا رعف اغلق اسراره وابان آثاره · وكان يقول : اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان في واحد واعسر من ذلك ان تجتمع بلاغة الشعر وبلاغة القلم ·

وقال : لا يُقدم على الخطبة الا اثنان فائق او مائق اما الفائق فثقته بنفسه تنفي عنه كل خاطر يورث التخجل والانقطاع واما المائق فانه لا يبالي اخطأ ام اصاب · وقال : لو ان رجلين خطبا او تحدثا او احتجا او وصفا وكان احدهما جليلاً بهياً ولبيباً نبيلاً وذا حسب شريفاً وكان الآخر قليلاً قمياً (صغيراً ذليلاً) و باذّ الهيأة (رثها) دمياً وخامل الذكر مجهولاً · ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة وفي وزن واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضي للقليل الذميم على النبيل الجسيم وللباذ الهيئة على ذي الهيئة ولشغلهم التعجب منه على مساواة صاحبه له ولصار التعجب منه سبباً للعجب به ولكان الإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه لان النفوس كانت له احقر ومن بيانه ايأس ومن حده ابعد فاذا هجموا منه على مالم يكونوا يحتسبونه وظهر منه خلاف ماقدروه تضاعف حسن كلامه في صدورهم وكبر في عيونهم لان الشيء من غير معدنه اغرب وكلما كان اغرب كان ابعد في الوهم وكلما كان ابعد في الوهم كان اظرف وكلما كان اظرف كان اعجب وكلما كان اعجب كان ابدع وانما ذلك كنوادر كلام الصبيان وملح المجانين فان ضحك السامعين من ذلك اشد وتعجبهم منه اكثر ·

والناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البعيد وليس لهم في الموجود الراهن

وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذي معهم في الغريب القليل وفي النادر الشاذ وكل ما كان في ملك غيرهم . وعلى ذلك زهد الجيران في عالمهم والاصحاب في الفائدة من صاحبهم وعلى هذه السبيل يستطرفون القادم عليهم و يرحلون الى النازح عنهم ويتركون من هو أعظم نفعاً واكثر في وجوه العلم تصرفاً وأخف مؤنة واكثر فائدة ولذلك قدم بعض الناس الخارجي على العريق والطارف على التليد .

الى ان قال : فاذا كان الحب يعمي عن المساوي فالبغض ايضاً يعمي عن المحاسن وليس يعرف حقائق مقادير المعاني ومحصول حدود لطائف الامور الا عالم حكيم ومعتدل الأخلاط عليم وإلا قوي المنّة الوثيق العقدة والذي لا يميل مع ما يستميل الجمهور الأعظم والسواد الاكثر .

وقال سهل يوماً وهو عند المأمون : من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين ان يرغبوا فيه وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال . قال المأمون : قد يسمي بعض الناس الشيء علماً وليس بعلم فان كنت أردت هذا فوجهه الذي ذكرنا ولو قلت : ان العلم لا يدرك غوره ولا يسبر قعره ولا تبلغ غايته ولا تستقصى أصنافه ولا يضبط آخره فالامر على ما قلت فاذا كان الامر كذلك فابدأوا بالاهم فالاهم وابدأوا بالفرض قبل النفل فاذا فعلتم ذلك كان عدلاً وقولاً صدقاً .

و يقال على الجملة ان من الندرة ان يتم لانسان من المواهب والبيئة ماتم لسهل فهو من عنصر قوي ذي مدنية قديمة راسخة ثقفه المحيط العربي في ارقى بيئة عهدت في التاريخ الاسلامي وجاء في عصر زاهر بجملته وتفصيله ودخل في أمة قوية فتية فرفعه علمه وفضله الى اعلى مقامات الفضل والنبل وهيئا له من أسباب النبوغ ما لم يكتب لغير بضعة من رجال الادب العربي وساعده على ذلك طول اجله . اذ لو فرضنا انه يوم دخل على الرشيد كان ابن ثلاثين وقد قبض سهل الى ربه في سنة اربع وثلاثين ومائتين . والرشيد تولى الخلافة سنة احدى وسبعين ومائة . واذا فرضنا انه اتصل بالرشيد في منتصف عهده فلا يكون سهل عُمّرَ أقل من تسعين سنة او ما يقرب من عمر صاحبه الجاحظ خمس وتسعون . ومن بورك له بايام حياته يجيء منه في العلم ما لم يجئ من المعتبط كهلاً او شاباً .

« أثره الباقي » : — ومن امثل ما أُثر لسهل بن هرون من الكتب بل كتابه الوحيد الذي ما زال أهل الأدب يتناقلونه خلفاً عن سلف كتابه الى بني عمه من آل راهبون حين ذموا مذهبه في البخل وتتبعوا كلامه في الكتب قال في فاتحته يحاجّهم : « بسم الله الرحمن الرحيم : أصلح الله أمركم وجمع شملكم وعلمكم الخير وجعلكم من اهله . قال الاحنف بن قيس : يامعشر بني تميم لاتسرعوا الى الفتنة فان اسرع الناس الى القتال أقلهم حياءً من الفرار وقد كانوا يقولون : اذا اردت ان ترى العيوب جمة فتأمل عيّاباً فانه انما يعيب بفضل مافيه من عيب . واول العيب ان تعيب ما ليس بعيب وقبيح ان تنهى مرشداً او تغري بمشفق .

وما اردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم وصلاح فاسدكم وابقاء النعمة عليكم . ولئن اخطأنا سبيل ارشادكم فما اخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم . ثم قد تعلمون انا ما اوصيناكم الا بما قد اخترناه لانفسنا قبلكم وشهرنا به في الآفاق دونكم . ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : (وماأريد ان أخالفكم الى ماانهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) . فما كان احقكم في كريم حرمتنا بكم ان ترعوا حق قصدنا بذلك اليكم على ما رعيناه من واجب حقكم فلا العذرَ المبسوط بلغتم ولا بواجب الحرمة قمتم . ولو كان ذكر العيوب براً وفضلاً لرأينا في انفسنا عن ذلك شغلاً وان من اعظم الشقوة وابعد من السعادة الاّ يزال يُتذكر زلل المعلمين ويُتناسى سوء استماع المتعلمين ويستعظم غلط العاذلين ولا يحفل بتعمد المعذولين » .

فبدأ كما ترون في تقريع اهله او الناقمين والناقدين عليه منهم ومن غيرهم في ايثار كزازة اليدين على بسطها وانه اراد بارادتهم على الخير تعليمهم وحفظ فضل اموالهم وانهم اخطأوا في سوء فهم مراميه ولم يرعوا له حرمة ولا ذماماً . وذكرهم بحكمة جميلة وهو ان الناس يتذكرون خطيئات المعلمين ولا يذكرون جهل المتعلمين وعبر عنه بسوء الاستماع وهو من ارق التعابير . وذكرهم بالآية الكريمة التي جاءت في العبد الصالح . وبعد ان بلغ من قوله هذا الحدّ وبسط المسألة بينه وبين عاذليه على بخله ودعوة الناس الى طريقته وابان انه اشتهر بها في العالم وانها مما لا يعده

لة في الشرف بل فضيلة من فضائل النفس . بعد هذا اخذ يخاطبهم و يورد لهم الامثال التي وقعت له في هذا الشأن والتي وقعت لغيره فعدها عبرة فقال :

« عبتموني بقولي لخادمي : اجيدي عجنه خميراً كما اجدته فطيراً ليكون اطيب لطعمه واز يد في ريعه وقدقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورحمه لاهله : أملكوا العجين (شدوا عجنه) فانه احد الريعين . وعبتم عليّ قولي من لم يعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممتنع الغالي . فلقد أتيت من ماء الوضوء بكيلة يدل حجمها على مبلغ الكفاية وأشف من الكفاية فلما صرت الى تفريق اجزائه على الأعضاء والى التوفير عليها من وظيفة الماء وجدت في الاعضاء فضلاً على الماء فعلمت ان لو كنت مكنت الاقتصاد في اوائله ورغبت عن التهاون به في ابتدائه لخرج اوله على كفاية آخره ولكان نصيب العضو الاول كنصيب الآخر . فعبتموني بذلك وشنعتموه بجهدكم وقبحتموه وقد قال الحسن : وذكر السرف : انه ليكون في الماعونين الماء والكلاء فلم يرض بذلك الماء حتى اردفه بالكلاء » .

و بذلك رأينا انه بسط قاعدته في البخل بسطاً بديعاً وبدأها بما وقع له في الماء ثم ثنى في الجملة التالية بما يأتيه من الاحتياط في حفظ الفاكهة والمأكولات محاولاً إقناع مخاطبيه بان الناس طبقات وليس من الانصاف ان يأكل السيد كالمولى فان إطعام الموالي والعبيد اطعمة اوثماراً لذيذة قد يمكنهم الاستغناء عنها ولكن ساداتهم لا يصبرون عليها اذا انقطعت عنهم بسبب إسرافهم واشار الى نهم الاولاد وسوء ادارة النساء الى ان قال :

« وعبتموني حين ختمت على سل عظيم وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة ومن رُطبة غريبة على عبد نهم وصبي جشم وأمة لكعاء وزوجة خرقاء وليس من اصل الادب ولا في ترتيب الحكم ولا في عادات القادة ولا في تدبير السادة — ان يستوي في نفيس المأكول وغريب المشروب وثمين الملبوس وخطير المركوب والناعم من كل فن واللباب من كل شكل — التابع والمتبوع والسيد والمسود كما لا تستوي مواضعهم في المجلس ومواقع اسمائهم في العنوانات وما يستقبلون به من التحيات . وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر ولا يكترثون له اكتراث العارف ومن شاء اطعم كلبه الدجاج المسمن وعلف حماره السمسم المقشر . فعبتموني بالختم وقد ختم بعض الائمة على مزود

سويق وختم على كيس فارغ . وقال : طينة خير من ظنة فأمسكتم عمن ختم على لا شيء وعبتم من ختم على شيء » .

ثم تحول في كلامه الى ذكر امور جوهرية في الحياة ، ذات شأن خطير في تدبير المنزل ، كالطعام واللباس مستشهداً على صحة قضيته بهدي الرسول ، وايراد أمثلة ممن يقتدي بهم في هذا الباب من الناس . فقال :

« وعبتموني حين قلت للغلام ، اذا زدت في المرق فزد في الانضاج ، لتجمع بين التأدم باللحم والمرق ، ولتجمعَ مع الارتفاق بالمرق الطيب . وقد قال صلى الله عليه وسلم: (اذا طبختم لحماً فزيدوا في الماء ، فان لم يصب احدكم لحماً اصاب مرقاً) .

وعبتموني بخصف النعل (خرزها) ، وبتصدير القميص ، وحين زعمت ان المخصوفة ابقى واوطأ واوقى وانفى للكبر واشبه بالنسك وان الترقيع من الحزم والتفريق من التضييع والاجتماع مع الحفظ . وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يخصف نعله ويرقع ثوبه ويلطع اصبعه ويقول : لو دُعيت الى كراع لأجبت ولو أهدي اليّ كراع او ذراع لقبلت . ولقد لفَقت سعدى بنت عوف إزار طلحة وهو جواد قريش وهو طلحة الفياض . وكان في ثوب عمر رقاع أدم . وقال : من لم يستحِ من الخِلال خفت مؤنته وقل كبره . وقالوا : لا جديد لمن لا يلبس الخلق .

« وبعث زياد رجلاً يرتاد له محدّثا واشترط على الرائد ان يكون عاقلاً مسدداً . فأتاه به موافقاً فقال : أكنت ذا معرفة به قال : لا ولا رأيته قبل ساعته . قال : افناقلته الكلام وفاتحته الامور قبل ان توصله اليّ قال : لا قال : فلم اخترته على جميع من رأيته قال : يومنا يوم قائظ ولم ازل اتعرّف عقول الناس بطعامهم ولباسهم في مثل هذا اليوم ورأيت ثياب الناس جُدُدا وثيابه أبُسا فظننت به الحزم . وقد علمنا ان الجدد في موضعه دون الخَلق . وقد جعل الله عز وجل لكل شيء قدرا وبوّأ له موضعا كما جعل لكل دهر رجالا ولكل مقام مقالا وقد احيى بالسم وامات بالغذاء واغص بالماء وقتل بالدواء . فترقيع الثوب يجمع مع الاصلاح التواضع وخلاف ذلك يجمع مع الاسراف التكبر . وقد زعموا ان الاصلاح احد الكسبين كما زعموا ان قلة العيال احد اليسارين . وقد جبر الأحنف يد عنز وامر

بذلك النعمان وقال عمر : من اكل بيضة فقد اكل دجاجة . وقال رجل لبعض السادة : أُهدي اليك دجاجة وقال : ان كان لابد فاجعلها بياضة . وعد ابوالدرداء العِراق (بقايا الحمض) َجزَر البهيمة » .

صفحة جميلة من تدبير المعاش والاقتصاد اراد بها تعليم المنتقصين له درساً نافعاً في الترتيب والنظام والقى عليهم مثلاً حسناً لا يسع حتى المسرف ان ينقضه وقد شفع كلامه بامثلة ليس في مقدور احد انكارها ولا تبلغ به الحال مها بلغ من السرف والترف ان يقول ان من ذكرهم ليسوا قدوة صالحة . وبعد ذلك النفت الثفاتة أُخرى . وبين لخصومه فضيلة الامساك في المال والحرص عليه لما يجلب الاستهتار من العوز فقال :

« وعبتموني حين قلت : لا يغترنّ احد بطول عمره ونقوّس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته ان ُيري أُكرومته ولا ُيخرجه ذلك الى اخراج ماله من يديه وتحويله الى ملك غيره والى تحكيم السرف فيه وتسليط الشهوات عليه فلعله ان يكون معمّراً وهو لا يدري وممدوداً له في السن وهو لا يشعر ولعله ان يرزق الولد على اليأس ويحدث عليه بعض مخبآت الدهور مما لا يخطر على البال ولا تدركه العقول فيسترده ممن لا يرده ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه اضعفَ ما كان من الطلب واقبحَ ما يكون به الكسب . فعبتموني بذلك وقد قال عمرو بن العاص : إعمل لدنياك عمل من يعيش ابداً واعمل لآخرتك عمل من يموت غداً .

« وعبتموني حين زعمت ان التبذير الى مال القمار ومال الميراث والى مال الالتقاط وحباء الملوك اسرع وان الحفظ الى المال المكتسب والغنى المجتلب والى ما يُعرض فيه لذهاب الدين واهتضام العرض ونَصب البدن واهتمام القلب اسرع وان من لم يحسب ذهاب نفقته لم يحسب دَخله ومن لم يحسب الدخل فقد اضاع الاصل وان من لم يعرف للغنى قدره فقد أُذن بالفقر وطاب نفساً بالذل . وعبتموني بان زعمت ان كسب الحلال مُضَمّنٌ بالانفاق في الحلال وان الخبيث ينزع الى الخبيث وان الطيب يدعو الى الطيب وان الانفاق في الهوى حجاب دون الحقوق وان الانفاق في الحقوق حجاز دون الهوى فعبتم عليّ هذا القول وقد قال معاوية : لم ارَ

تبذيراً قط الا والى جانبه حق مضيَّع . وقد قال الحسن : اذا اردتم ان تعرفوا من اين اصاب الرجل ماله فانظروا في اي شيء ينفقه فان الخبيث انما ينفق في السرف .

« وقلت لكم بالشفقة عليكم وبحسن النظر مني لكم وبحفظكم لآبائكم ولما يجب في جوار كم وفي مما لحتكم وملابستكم وانتم في دار الآفات والجوائح غير مأمونات ، فان احاطت بمال احدكم جائحة لم يرجع الى بقية فاحرزوا النعمة باختلاف الأمكنة ، فان البلية لاتجري في الجميع الا مع موت الجميع . وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العبد والأمة وفي ملك الشاة والبعير وفي الشيء الحقير اليسير : فرقوا بين المنايا . واجعلوا الرأس رأسين . وقال ابن سيرين لبعض البحريين : كيف تصنعون باموالكم قال : نفرقها في السفن فان عطب بعض سلم بعض ولولا ان السلامة اكثر لما حملنا اموالنا في البحر . قال ابن سيرين : تحسبها خرقاء وهي صَناعٌ (حاذقة) . »

وبعد هذا الكلام الممتع مثَّل سهل صورة جديدة في الاخلاق العارضة على من استغنى وحذر من الوقوع فيها لئلا تؤدي الى الفقر وهو ابشع ضروب المظاهر وبين العلة في قوله ان المال مقدم على العلم لان بالمال يكتسب العلم ويعرف قدر العلم فقال :

« وقلت لكم عند إشفاقي عليكم ان للغنى سكراً وان للمال لنزوة فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جبَلة ليس احد أقصر عقلاً من غنيٍّ أمِنَ الفقر وسكر الغنى أشد من سكر الخمر . وقلتم قد لزم الحث على الحقوق والتزهيد في الفضول حتى صار يستعمل ذلك في اشعاره بعد رسائله وفي خطبه بعد سائر كلامه فمن ذلك قوله في يحيى بن خالد :

عدو تلاد المال فيما ينوبه منوع اذا مامنعه كان احزما

ومن ذلك قوله في محمد بن زياد :

وخليقتان تقى وفضل تحرم وإهانة في حقه للمال

« وعبتموني حين زعمت اني أقدم المال على العلم لان المال به يغاث العالم وبه تقوم النفوس قبل ان تعرف فضيلة العلم وان الاصل أحق بالتفضيل من الفرع واني قلت وان كنا نستبين الامور بالنفوس فانا بالكفاية نستبين وبالخلة نعمي وقلتم كيف نقول هذا وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدم الادباء العلماء أفضل ام الاغنياء ؟ قال بل

العلماء قيل فما بال العلماء يأتون ابواب الاغنياء اكثر مما يأتي الاغنياء ابواب العلماء قال لمعرفة العلماء بفضل الغنى وجهل الاغنياء بفضل العلم . فقلت حالها هي القاضية بينهما وكيف يستوي شيء ترى حاجة الجميع اليه وشيء يغني فيه بعضهم عن بعض .

« وعبتموني حين قلت ان فضل الغنى على القوت انما هو كفضل الآلة تكون في الدار ان احتيج اليها استعملت وان استغني عنها كانت عدة . وقد قال الحصين بن المنذر وددت ان لي مثل أُحد ذهباً لا انتفع منه بشيء قيل فما ينفعك من ذلك قال الكثرة من يخدمني عليه . وقال ايضاً عليك بطلب الغنى فلو لم يكن لك فيه الا انه عزّ في قلبك وشبهة في قلب غيرك لكان الحظ فيه جسيماً والنفع به عظيماً .

وختم كتابه في انه لن يبدل من خلقه في الشح وفي الدعوة الى تزيينه للناس وأورد جملاً لجماعة من المشهورين بالعقل وذكّر جماعته في ختام حديثه بما يجب عليهم قبل ان يذكروا ما لهم وذلك بقوله :

« ولسنا ندع سيرة الانبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لاصحاب الاهواء . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال درهمك لمعاشك ودينك لمعادك فقسموا الامور كلها على الدين والدنيا ثم اجعلوا احد قسمي الجميع الدرهم . وقال ابوبكر الصديق رحمه الله اني لأبغض اهل البيت ينفقون رزق الايام في اليوم الواحد . وكانوا يبغضون اهل البيت اللحمين (Les carnivores) (الذين يكثرون اكل اللحم) . وكان هشام يقول ضع الدرهم على الدرهم يكون مالاً . ونهى ابوالاسود الدؤلي وكان حكيماً اديباً وداهياً اريباً عن جود كم هذا المولّد وعن كرمكم هذا المستحدث فقال لابنه اذا بسط الله لك في الرزق فابسط واذا قبض فاقبض ولا تجاود الله فان الله أجود منك . وقال درهم من حلّ يخرج في حق خير من عشرة آلاف قبضاً . وتلقّط عُرُنْداً [1] من بريم فقال تضيعون مثل هذا وهو قوت امرئ مسلم

(١) لعل العبارة محرفة ولعلها « عرماً من ثرتم » العَرْمُ بقية القدر والثرتم كقنفذ ما فضل من الطعام والإدام في الاناء والقصعة اوما نسميه باللغة الشامية القحاطة .

يوماً الى الليل . وتلقط ابوالدرداء حبات حنطة فنهاه بعض المسرفين فقال (إيهٍ ابن العبسية ان مرفقة المرء رفقه في معيشته) .

فلستم عليّ تردون ولا رأيي تفندون . فقدموا النظر قبل العزم وتذكروا ماعليكم قبل ان تذكروا مالكم والسلام اه » .

« خاتمة » == وبعد فهذه صفات سهل بن هرون وهذا انشاؤه ونثره بل هذا فكره وعقله وما أوردنا الا مثالاً ضئيلاً مما كتب ووصل الينا وقداتى عليه بعداحد عشر قرناً فتعرفنا على الجملة طريقته وحقيقته وكان علينا ان ننسج على غراره في بيانه ونعلم كيف يبالغ في انتقاء ألفاظه حتى لا يتخير منها الوحشي النافر ولاالمكرر الساقط يتنوق كرائمها و يسلكها في سلكه و يرصعها في عقوده و يلبسها حلة من حلل قلبه فتجيء جزالة من دون تعمد وسلاسة من غير ما تبذل ونمطاً عالياً من السهل الممتنع يتدفق حكمة و يسيل بياناً تتناوله الأذهان وتتشربه الانفس عفواً صفواً فاذا أراد المقلد ان يحذو حذوه فهناك تفاضل العقول والقرائح . سهل بن هرون احد افراد قلائل زانوا بما صاغوا من الكلم الطيب تاريخ أدب العرب واختطوا لمن بعدهم خطط التفكير والتصوير على النمط الفارسي العربي وكلامه في بابه لباب البلاغة ومثال الفصاحة لاتبلى جدّته على وجه الايام ولا يحتاج في الحكم عليه الى محكمة نقض وإبرام .

طرابلس وآثارها (١)

طرابلس ولا ازيدكم علماً لفظة محرفة عن (Tripolis) اليونانية ومعناها المدن الثلاث . وقد أطلقها المكدونيون الذين قادهم الاسكندر الكبير الى سورية على بلدة مثلثة . فعرفت بها من يومئذ . اما اسمها الفينيقي الذي وسمت به قبل اليونان فمجهول . لان التاريخ لم يبح به . ولا غروَ فان التاريخ عودنا الصمت في مواضع شتى فكاد الدهر يطمس على كثير من الحقائق لولا ان للآثار والرقم (Les Inscriptions) لساناً صيره العلم بليغاً . فهل يرجى للآثار السورية ان تُظهر للملاء مكنوناتها كما أظهرت بلاد النهرين .

ومن الغني عن البيان ان آثار بين النهرين قد جلت شيئاً عن أحوال سورية في بعض ازمنتها . فان كان القدماء من سكان سورية على شيء من مماثلة الكلدان والاشوريين والبابليين وغيرهم من اهل بين النهرين او وادي النيل في عاداتهم اذن لاستبشرنا ان في طيات تربتنا الملأى بالخرائب والأنقاض الشيء الكثير من تاريخ البلاد .

على ان الفاتحين لم يقصدوا بكتاباتهم على الحجر او الآجر او الهياكل الا تخليد أعمالهم والمفاخرة ببطشهم فظهرت الرقم لعهدنا هذا مملوءة بالفوائد . ولذلك لسنا نعلق آمالاً كباراً على وجود رقم ذات شأن لانه لم يقم في سورية دولة غازية .

ومما يؤخذ من قول الفاتح الاشوري اسورناتسربال في الفقرات ٨٤ و٨٥ و٨٦ ماتره به : يومئذٍ احتللت منحدرات لبنان ونزلت الى بحر فينيقية الكبير وهنالك عند البحر علقت سلاحي وقدمت الذبائح للأرباب (واخذت) الجزية من ملوك ساحل البحر الصوريين والصيدونيين والجبليين والمخاليانيين والمايزيين والكايزيين الفينيقيين واهل ارواد الخ . ولتجدن مترجم هذا الرقيم العلامة سايس الانكليزي ينقل عن العلامة دالتزش الالماني انه يحسب المدن الثلاث مخالات ومايز وكايز هن التي تألفت من اجتماعهن مدينة طرابلس .

---

(١) مقالة للاستاذ المؤرخ السيد جرجي يني احد أعضاء المجمع تليت على أعضاء المجمع بدمشق بمناسبة قبوله عضواً فيه سنة ١٩٢٢ م .

وكأني بدالتزش يحسب الفاتح قد اخترق لبنان عرضاً فنزل في موضع طرابلس او على مقربة منها . وان فيها اقتبل وفود الفينيقيين الذين جاؤه لعرض الطاعة واذ ذكرهم ابتداء بسرد اسمائهم من الجنوب حتى انتهى الى الشمال . واذ ذكر المدن الثلاث بين جبيل وارواد خيل للعلامة انها طرابلس .

ولكن هذه الرواية على علو سندها لا تدعم الا الظن بان البقعة التي قامت فيها طرابلس لم تكن في الزمن الفينيقي بلقعاً بل مأهولة بفريق منهم . وهذا ما ذهب اليه العلامة رولنسون وهو الثقة الذي لا ينازع في التاريخ .

والمعروف من صفات الفينيقيين وأخلاقهم وعاداتهم انهم يسكنون المدن قرب البحر يحملنا على قبول رأي دالتزش بانهم سكنوا ثلاث مدن هي محالات ومايز وكايز .

وان صح ذلك وجدنا سبيلاً لقبول رواية مؤرخي اليونان وفي صدرهم ديودورس ومؤدى الرواية ان الفينيقيين وائن كانوا أمة واحدة فانهم لم يجتمعوا على ولاء دولة واحدة منهم . بل كانوا دولاً شتى تستقل كل منها في شؤونها الداخلية . واشهرهن صور وصيدا وأرواد . الا انهن كن يجتمعن في الأزمات و يتألفن حلفاً لدفع الطوارئ . وان هذا أفضى بهن لعقد ديوان عام يتولى النظر والتدبير وانهن اخترن موقعاً متحايداً وان حب الاستقلال الداخلي دفع كلاً منهن الى الاحتفاظ بشأنها فبنى نواب كل من الدول الثلاث حياً مخصوصاً لسكناه ببعد عن مثليه نحو ستاديا وأقام المئة نائب عن كل من المدن الثلاث بنسائهم واولادهم وخدامهم في الحي المنسوب اليهم تسودهم شرائعهم وأحكامهم .

فما أدرانا ان كل فئة من اولئك النواب اختارت لسكناها حياً او بليدة من المدن التي ذكرها اسورناتسربال حتى اذا جاء اليونان رأوا المدينة مثلثة فسموها المدن الثلاث :

ثم كرت الايام وتوالت الحروب والزلازل فلم تبق للمدينة المثلثة من أثر . ولذلك اختلف الرواة في مواقعها فقالوا — وقد تابعتهم اونقلت عنهم ماقالوا في تاريخ سورية المطبوع — ان احد الاحياء كان في السرفتانية والثاني في موقع البلدة اوفي البحصاص والثالث في موضع الميناء . اما الآن فاني أنبذ القول بذلك لان البعد بين الأحياء هو

ستاديا واحدة كما قال سترابو والستاديا ٦٠٦ من الاقدام الانكليزية وبعض أجزاء القدم والحال ان المسافة بين المواقع المذكورة لاتنقص عن ميلين خطاً مستقيماً . وان موقع البلدة الحالي لم يكن عامراً قبل الزمن الصليبي . وان الفينيقيين كانوا بحارة وتجاراً فلا يرتاحون للسكنى بعيداً عن البحر . ولهذا كله ارجح الظن بان الاحياء الثلاثة كانت على سيف البحر ممتدة من موقع الميناء الحالي حتى البحصاص او ما يدنو منه .

مضى ذلك الزمن الفينيقي ولم يخلف لنا اثراً . وأعقبه الزمن السلوقي ولم نذكر فيه طرابلس الا قليلاً . على ان علم السكة المضروبة (Numismatique) يدل على ان في أخريات ذلك العهد تراخت قبضة السلوقيين فكان في طرابلس طاغيتها المستبد .

وكان بنو قيطور من بني اسماعيل قد دخلوا سورية وألفوا دولة عربية في جهات الجيدور وحوران ورسخت أقدام اصحابها ولكنهم مع عروبتهم اكتسبوا من مجاوريهم في سورية وفلسطين ظواهر الحضارة اليونانيـة وانتحلوا الاسماء اليونانيـة حتى اوشك الانتحال ان يطمس على أصلهم .

فهذه الدولة المعروفة بالايطورية تقدمت الى البقاع فامتلكت شالسيس (عين جر) واتخذتها عاصمة ثم علت قنن لبنان وانحدرت منها الى ساحل البحر فامتلكت طرابلس وجعلتها عاصمتها الثانية .

ومع اننا لا نجد لتلك الايام أثراً فان في جوارنا من أعالي لبنان قرية يقال لها ايطو تقع على طريق الانحدار من الجبل الى السهل فلعلها تخلد باسمها ذلك العهد .

وعندما فتح الرومانيون سورية وجدوا الطاغية الأخير من الايطور بين في طرابلس وله في جوارها حتى البترون معاقل وحصون فغلبوه عليها ودكوها .

وجاء بعد ذلك الزمنان الروماني والبزنطي وليس لطرابلس فيهما ما يذكر ومثلهما كان العهد الاسلامي الاول . ولم تخلف تلك الايام لنا أثراً لانها طمست على الماضي ولم تبق لنا من المدن الثلاث الا بلدة واحدة هي القائمة في موقع الميناء .

ومما يروى ان طرابلس أدركت في القرن الحادي عشر مقاماً مذكوراً . وذلك انها تقدمت في تجارتها وصناعتها وعلومها وآدابها . حتى وجد الصليبيون فيهـا اربعة

آلاف نول ودار علم فخمة ومكتبة عامرة بالوف الكتب التي كان قد جمعها صاحبها القاضي ابو الحسن بن عمار ٠

فلما جاء الصليبيون ونزلوا على عرقا وهي لصاحب طرابلس فخر الملك محمد بن عمار بعث هذا فاسترضي الغزاة وفسح لهم ان يتجاوزوا الموضعين من غير ان يمسوهما بضر ٠

ولكن ماعتم انظفر الصليبيون بفتح القدس وهي ضالتهم المنشودة فرجع منهم فريق بزعامة ريمون ده سان جيل كونت ده طولوز المعروف في تواريخ العرب باسم صنجيل ٠ فنزل على ما يظهر حوالى موقع القلعة بدليل ان الافرنج أطلقوا على الهضبة اسم تل الغرباء او الحجاج (Des pélerins) كما كانوا يسمون انفسهم ٠ واظنهم اختاروا هذا المنزل لبعده عن البلدة نحو ميلين ولقربه من نهر ابي علي (قاديشا) ولاشرافه على السهل الموصل الى المدينة ٠ اما السهل فكان يزرع و يدُرّ على اصحابه ريعاً وافراً ٠

وقد آثر البحاثة الالماني روهرخت عن الراهب اكاهارد قوله ان ريمون هاجم البلدة سنة ٤٩٣ هـ فلم ينل منها أرباً غير ان المؤرخين لم يذكروا تلك الهجمة بل ذكروا انه لما ظفر ريمون بجناح الدولة صاحب حمص سنة ٤٩٥ خطر على باله ان يحصر طرابلس ثم اكتفى باخذ الجزية ٠

فريمون لم ينزل جوار طرابلس و يقضي السنين الطوال وهو يأوي مع رجاله الى الخيام بل في اثناء الفترة بنى له حصناً يسمى حصن صنجيل وشاد من حول الحصن على منحدر الهضبة بيوتاً لأصحابه ٠

وفي تلك السنة أنجدت دمشق طرابلس فتشدد ابن عمار ورد عنه هجوم ريمون ٠ فسكن هذا عن الهجوم ولكنه أفرط في اعنات البلد ثم استعان بسفائن جنوة وحصرها براً و بحراً من غير ان ينال أرباً لان الامراء الوطنيين كانوا يرسلون النجدات للبلد ٠ واولئك ينضمون الى الحماة و يدافعون عن طرابلس بملء الحمية ٠

وفي ذات مرة خرج ابن عمار برجاله وبيّت الافرنج في منازلهم وأضرم النار في الحصن فأحرقه غير ان الفرنج هبوا للدفاع فاسترجعوا مواقفهم وردوا الطرابلسيين على أعقابهم ٠

وكان ريمون قد صعد الى سطح حصنه ليشرف على القتال غير مبالٍ بالنار

المتعمرة فسقط السقف ووقع الامير ثم مات متأثراً · وكان ابنه غائباً في فرنسا فتولى ابن اخيه الإمرة ·

اما الحصن المحروق فقد زعم بعض الآثاريين انه ذهب في الغابرين كما ذهب بانيه · ولكن الحقيقة التي تدل عليها التواريخ وتؤيدها المشاهدة ان الافرنج بنوا القلعة على أطلال الحصن المحروق · وان الجدران التي تنم عن غير البناء الصلبي انما شيدت ترميماً لما تداعى من الاصل · كما يتضح ذلك لمن يرى اركان البناء الداخلي ولمن ينظر الى السكة الطرابلسية وقد رسمت عليها القلعة بتمامها · وعندي منها قطعة مضروبة على عهد الأمير بونط ·

فالقلعة بناء صلبي الاصل ولكنها ترممت مراراً جمة بعد خروج الصليبيين وظل حماتها يصلحون فاسدها حتى زماننا فلا غرو ان يطمس الترميم على الاصل حتى كاد يغلب عليه · بل أفضى الى قول بعض الناظرين اليها نظراً سطحياً انها من بناء غير الصليبيين · ولتجدن البيوت التي بناها الفرنج تحت كنف القلعة ما زالت ماثلة ولئن طرأ على بعضها الترميم والتبديل · ولهذا نحسب المباني القديمة اذا عرضت لفحص الآثاريين تظهر شأنها · ولا يمكن للدور المشيدة على منحدر الهضبة وفي السويقة وسوق حراج وأمثالها الا ان تظهر للباحث تاريخها القديم · لا سيما تلك التي رسمت على أبوابها بعض شعائر المسيحية وما برحت آثارها بادية ·

ومما روى علماء الآثار أخذاً عن مؤرخي العهد الصلبي ان طرابلس كانت تحوي كثيراً من الكنائس والاديار والملاجئ والمستشفيات · وقد حاول بعضهم تحقيق مواقعها ولكني لا احسب ذلك مستطاعاً لخلو الوطاب من سند صحيح وانه ليظل مجهولاً حتى نقوم على كشفه بعثة علمية صالحة للعمل ·

اما جسر السويقة فوق نهر ابي علي فالظاهر انه من بناء الصليبيين ايضاً · غير اني لا اعني ان الجسر الحجري القائم اليوم هو هو المبني منذ ثمانمائة سنة بل انه شيد هنالك جسر ورد اسمه جسر الحجاج نسبة للهضبة التي شيدت القلعة عليها ·

اما الماء الجاري الى طرابلس فله تاريخه الخاص · اذ لا يعقل ان المدن الثلاث تبنى بعيدة عن الماء المشروب · فالنهر بعيد عن مواقع المدن وجدول البحصاص

لا يجري الا زمن الشتاء ٠ فالضرورة تقضي بجر الماء في القني ٠ وآثار تلك القني وجدت منذ عشرات السنين قرب الميناء فحسبها الناس كانت لجر ماء النهر ٠ ثم ظهرت قني أخرى عند قرية مجدليا فدلت على ان طرابلس القديمة كانت تستقي ماءها من الضنية ٠

وربما اعتاض الاهلون ولا سيما في الميناء بحفر الآبار والصهاريج اما في البلدة التي عمرها الصليبيون فانهم في جوار النهر لهم غنى ٠ وكأني بهم شعروا بعد حين بالحاجة الى ماء أصح من ماء النهر وانقى ٠ فجروه من نبع رشعين (رأس العين) وانا ولئن عرفنا ان جر الماء عمل صليبي فالحديث المنقول بالتسلسل لا يكفي ٠ انما يدلنا على صدقه ان القناة تمر على قناطر شيدت فوق نهر ابي علي اسمها قناطر البرنس ٠ والبرنس كلمة افرنجية ومع ذلك ما برحت على ألسنة الناس ٠

لكن من هو البرنس ؟ نجيب ان الامراء الذين سادوا في طرابلس وما اليها (من حد بلاد المرقب حتى المعاملتين قرب جونيه) كان واحدهم يلقب كونت وتسمى امارتهم كونتيه ٠ فحدث ان اولئك الكونتات أصهروا الى امراء انطاكية الذين يلقبون بالبرنس ٠

وفي سنة ١١٨٩ توفي كونت طرابلس فاستولى برنس انطاكية صهره على بلاده وجعل ابنه كونتاً عليها ٠ فظل يحكمها الى سنة ١٢٠١ حين توفي ابوه البرنس وانتهت إمارة انطاكية للابن الكونت فصار برنساً وهو بوهموند الرابع صاحب طرابلس ٠ الذي جمع بين الإمارتين وآثر لقب برنس فيهما جميعاً ٠ وظل على إمارته حتى مات سنة ١٢٤٣ فخلفه ابنه ثم أحفاده ولكن آجال إماراتهم كانت قصيرة وايامهم لم يغلب فيها الصفو والهناء ٠ ولذلك نرجح ان بوهموند الرابع هو الشارع في جر الماء وبناء القناطر ٠ الا ان الماء المذكور على ما قال النويري توزع في أرجاء طرابلس ودخل بيوتها على عهد سيف الدين بلبان الطباخي نائب الفتوحات اي بعد ان استرجع المسلمون البلد ٠

واني لأخشى ان يكون المؤرخ من الناسجين على منوال سائر مؤرخي تلك العصور في إلقائه الكلام من غير تثبت وتحقيق وانما ابتغاء اظهار فضل قومه ٠ ولا أقول هذا الا لاني قرأت له رواية تخالف شهادة الآثار البادية للعيان فقد قال عن الميناء بعد فتحها وهدمت المدينة ٠٠٠ ثم عمر المسلمون مدينة مجاورة للنهر واختلفوا فيها (اليها)

وعمروا فيها حمامات وقيامر ومساجد ومدارس للعلم الخ . وكلامه هذا يدل على ان المدينة الحاضرة كلها من بناء المسلمين مع ان آثار الهندسة الفرنجية ظاهرة في كثير من مبانيها . فنجد البحاثة سو برنهايم يؤثر عن برشم قوله ان طرابلس ما برحت محافظة على شكل مدينة من مدن العهد الصليبي لما فيها من الأقواس (القناطر) التي تجعل الأزقة كالأقبية . وثمة ثلاثة قناطر غططية (gothique) ربما كان شكلها مأخوذاً عن المباني المسيحية القديمة . فاحداها قنطرة الباب في حمام عز الدين الذي بناه عز الدين ايبك والثانيــة على باب الجامع الكبير وهي ممتازة بكمالها في شكلها والثالثة على باب البلدية . وهنالك ايضاً قنطرة على الطرز البزنطي قائمة فوق مدخل من أبواب الجامع الكبير الخ .

اما الميناء فان الدهر قد طمس على آثار الصليبيين فيهـا لان الفاتحين دكوها الى الارض لكن بقي عند طرفها الجنوبي على طريق فوق الريح قطعـة من السور العتيق تنم عن الحد الذي بلغته البلدة يومئذٍ . اما الابراج القائمة على سيف البحر فقد كانت عدتها سبعاً بدليل قول الشاعر : (وابراجها عدّ الكواكب سبعة) الخ .

وان البرج الواقع قرب مصب النهر يسميه العـامة برج السبيع وليس برج السباع كما ترجمه بعض الفرنج الى لغاتهم .

ويغلب على الظن ان هذه الابراج لم تكن من بناء الفرنج بل من بناء المسلمين بعد الصليبيين . لان شكل البناء ليس بافرنجي . ولان طرابلس في الزمن الصليبي لم تكن تخشى غزاة البحر وانما صارت تحاذرهم لما استفحل امر القرصان ولاسيما من اهل قبرس وفيها مقر الملوك من آل لوزنيان الذين كانت لهم مملكة القدس بالاسم .

والنهر الجاري في طرابلس يعرف عند منبعه حتى اليوم بنهرقاديشا اي المقدسين ويجري فتضاف اليه بعض الجداول وقد ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الطرابلسية باسم الغضوب او الغضبان اشارة الى شدة حمولته ويعرف الآن باسم نهر ابي عليّ . ولا ندري كيف اطلق عليــه هذا الاسم ولكن قد يمكن ان يكون وضع له اشارة الى الغلظة والشدة لان في الاحاديث الموضعية حكاية يتوارثها الابناء عن الآباء انه كان في البيمارستان القائم قرب جسر السويقة عريف شديد الغلظة اسمه

ابو علي . وقد درج على ألسنة النـاس قولان كادا يذهبان مثلين احدهما اذا عُيّر انسان بالغلظة يكنى بابي علي فيحسبها المكنى سبة ، وثانيهما قولهم ابو علي ثقل حديده كناية عن استفحال جنون المحكى عنه . ولعل تسمية النهر مستفادة من ذلك .

وللاسماء شأن خطير في الدلالة على الاصل . فالهضبة التي بنيت القلعة عليها لم تبق موسومة بهضبة الغرباء اوالحجاج كما سماها الصليبيون انما تعرف البقعة الواقعة في قنتها بمار يوحنا والارجح انها اكتسبت هذا الاسم من مستشفى القديس يوحنا الذي كان على الهضبة على ما يؤخذ من كلام العلامة راي .

وفي جوار طرابلس عند طرف البحصاص الجنوبي موضع يقال له ابوحلقة وهذا الاسم كان حيرة بعض المؤرخين من قومنا وانما حاروا لانهم لم يفهموا المعنى فكان قوم يقولون الحلفة الطرابلسية بالفاء او بالقاف ناقلين ماقيل عن حوادثها في بعض التواريخ القديمة من غير تحقيق عن اصلها .

انما الحلقة عند سلاطين مصر من المماليك عبـارة عن الجند المرابط . ومتى عرف هذا الاسم اتضحت روايات غم فهمها .

والمكان الذي قرب طرابلس واقع على سيف البحر وفيه الطريق اليها فليس بعيداً ان يكون ولاة الامر في ذلك الحين قد جعلوا على الطريق العـام مخفراً او مقراً لرجال من الحلقة الطرابلسية وكرت الايام فسماه الناس ابا حلقة .

فياسادتي الاعلام : حسبي الآن ماذكرت . لاني أخشى ان ازيدكم تطويلاً فأفضي بكم الى السآمة والضجر على ان في طرابلس آثاراً أخرى مابرحت ماثلة وقد سبق لي فأتيت على ذكر بعضها في مقالة عنوانها (آثار الاسلام في طرابلس الشام) نشرتها مجلة المباحث قبل الحرب فاذا لم تجدوا في تكرار التحدث عنها بأساً أعدت الكرة على كتابتها .

والله المسؤول ان يأخذ بايديكم وان يزيدكم نشـاطاً لاتمام عملكم المبرور ويثيبكم خيراً جزيلاً بمنه وكرمه .

قانون البلاغة

« رسالة مخطوطة »

كنا ظفرنا بين الرسائل المخطوطة في دار الكتب بدمشق برسالة في فن البيان (عدد ٢٣ من قسم المعاني والبيان) وقد كتب على ظهر الرسالة ان مؤلفها هو (فخر الدين ابو طاهر محمد بن حيدر البغدادي) ولم نظفر باسم المؤلف في كتب التراجم لنعلم في اي عصر كان . ولما تصفحنا الرسالة وجدناها ذات قيمة أدبية من حيث أسلوبها وبلاغة عبارتها . نعم ان المباحث التي كتب فيها المؤلف هي في البيان والبديع وأنواعه ولم يجودها المؤلف كما جودها من اتى بعده من المؤلفين ولاسيما تجويد ابي الهلال العسكري في كتابه الصناعتين — لكن اطلاع علماء الأدب على هذا الكتاب يهيء لهم مادة في موضوع الفن وتاريخه وتطوراته منذ اول عهده . ولذلك حرصنا على تصحيح نسختنا فوفقنا الى تصحيح كثير من أغلاطها . وقد أعيانا امر التصحيح في مواطن كثيرة . ثم أعلنا المرة بعد المرة : نسأل رجال الأدب والفضل عن هذه الرسالة ومؤلفها ، ان كان لديهم خبر عنها فلم يلب احد طلبنا ولم يرشدنا الى مؤلف الرسالة في اي عصر كان ، وراجعنا ايضاً فهارس المكاتب الكبرى في الشرق والغرب فلم نقع على ذكر لهذه الرسالة . وفي آخر الامر رأينا عجباً : رأينا العلامة شمس الدين سامي يذكر مؤلف الكتاب في كتابه التركي المسمى (قاموس الأعلام) وقد قال عن المؤلف ما ترجمته : « ابو طاهر محمد ابن حيدر كان من الشعراء وتوفي في سنة ٥١٧ هـ ومن جملة أشعاره هذه القطعة في وصف الخمرة .

(مرحباً بالتي بها قُتل الهـ ـمّ وعاشت مكارم الاخلاق)
(وهي في رقة الصبابة والشو ق وفي قسوة الجفا والفراق)
(لست أدري أمن خدود الغواني عصروها ام من دم العشاق) »

هذا كل ماذكره شمس الدين سامي عنه ، ولم يتعرض لذكر مصنفاته ، لا للفن الذي نمطّس فيه ، ويظهر من شعره هذا انه متمكن من فنون الأدب العربي

وذو سليقة شعرية صحيحة . وقد عزمنا الآن على نشر الرسالة في مجلة المجمع مع العود الى العناية بتصحيح عبارتها والتعليق عليها ، ولا غرو اذا بقي فيها بعض الاغلاط فنحيل امر تصحيحها الى قراء مجلتنا الفضلاء فاذا اهتدى احدهم الى شيء من ذلك فليكتب الينا لنعلن تصحيحه بعد تمام طبع الرسالة وكذلك اذا اهتدى احد القراء الى شيء من خبر المؤلف او عرف لهذه الرسالة نسخة او نسخاً فليهدنا اليها لنقابل نسختنا عليها .

المجمع العلمي

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

« رب انعمت فزد »

سألت أطال الله مدتك ، وأدام نعمتك ، وحرس دولتك ، عن البلاغة . والبلاغة ليست ألفاظاً فقط ، ولا معاني فحسب ، بل هي ألفاظ يعبر بها عن معان ، ولكن ليس كما اتفق ، ولا كيفما وقع ، لان ذلك لوجرى هذا المجرى ، لكان اكثر الناس بليغاً ، اذ كان اكثرهم يؤدي عن المعاني التي يولدها بألفاظ تدل عليها ، لكنهم يخرجون عن طريق البلاغة ، ومنهاج الكتابة من وجهين ، احدهما ان تكون الألفاظ مستكرهة مستوخمة ، غير مرصوفة ولا منتظمة . والثاني ان تكون كثيرة يغني عنها بعضها ، ويمكن ان يعبر عن المعنى الدال عليها بأقل منها .

على انه ذهب قوم الى ان لتكثر الألفاظ المرصوفة في بعض المواضع دخلاً في البلاغة ، وذلك اذا كان موضع يحتاج فيه الى الخطابة في العامة ، ومن لا يسبق خاطره الى تصور المعنى في اول وهلة ، اما لبعده عن الذكاء والفطنة ، او لأن الموقف خاذل ، يكثر فيه اللغط والضجة ، فيحتاج الى إشباع المعنى وتوكيده وتكريره ، لمن لم يمكنه السبق الى تحصيله ، الا بالالفاظ المترادفة . وهي التي يدل الكثير منها على معنى واحد بعينه ، مثل ان يقال في وصف السيف : الحسام الباتر ، الجراز القاطع . وفي وصف الشجاع : البطل الفاتك ، النجد الباسل . وفي وصف

الجواد : الخِرْق[1] الباذل ، الجمّ النائل ، الكثير الفواضل ، الغزير النوافل ، وفي سائر الأوصاف على ذلك .

وهذا يقع في باب المكاتبات بالفتوح والعهود ، والصكوك والعقود ، وما جرى هذا المجرى . ولهذا السبب قال بعضهم في وصف كاتب بليغ : ان اخذ شبراً كفاه ، وان تناول طوماراً[2] أملاه . يذهب بهذا القول الى ان البليغ يحتاج في موضع الى الإطالة والإسهاب ، كما يحتاج في آخر الى الاختصار والايجاز ، الا ان اكثر ما عليه الناس في البلاغة انها الاختصار ، وتقريب المعنى بالألفاظ القصار . حتى انه سُئل بعض الناس عن البلاغة فقال : هي لمحة دالة . وهذا مذهب العرب وعادتهم في العبارة ، فانهم يشيرون الى المعاني باوحى[3] إشارة ، ويستحبون ان تكون الألفاظ أقل من المعاني في المقدار والكثرة .

فأما ما يصلح للكتاب ، ويليق بذوي الالباب ، ان تكون ألفاظهم غير ناقصة عن المعاني ، ولا زائدة عليها . كما وصف بعض الكتاب واصف فقال : كأن ألفاظه قوالب لمعانيه . يريد انها مطابقة لها ، غير زائدة عليها ، ولا ناقصة عنها . وهذا المذهب هو الذي يجب ان يستعمله الكتاب ، اذا لم يكن موضع يحتاج فيه الى الاسهاب .

فانه يحكى عن جعفر بن يحيى البرمكي وكان قريع دهره ، ووحيد عصره بلاغة في المكاتبة ، وجودة لسان في المخاطبة ، انه قال : اذا كان الايجاز كافياً ، كان التطويل عيّاً ، واذا كان التطويل واجباً ، كان التقصير عجزاً . وقال ابن الاعرابي : قال لي المفضل : قلت لاعرابي ما البلاغة فقال : الإيجاز من غير عجز ، والإطناب من غير خطل .

و ينبغي ان تعلم ان البلاغة لما كانت احدى الصناعات ، كان لها ما لكل صناعة من المبادئ والموضوعات والأدوات ، وانه ليس واجباً على كل متعلم لصناعة ان ينظر في مبادئها وموضوعاتها ، ولا ان يعلم أدواتها ، وهذا عام لجميع الصناعات المهنة التي يباشرها

(١) الخرق (بكسر الخاء) كالخريق بمعنى السخي او الفتى الحسن الكريم الخليقة .
(٢) الطومار الصحيفة المستطيلة تكتب وتطوى طيّاً اسطوانياً . (٣) أعجل وأسرع .

الصانع باعضائه العقلية التي يستعمل فيها فكره ، فان في الصناعات المهنة الصياغة ، وموضوعها الذهب والفضة . وليس يجب ان يعلم مع تعلمها ، كيف يستخرج هذان الجوهران من معدنها ، ولا ان ينظر في شيء من امرهما ، غير إقامة الصور فيهما . وكذلك لا يعلم ايضاً كيف يعمل شيء من آلاتها مثل المبرد والمطرقة والسندان وغيرها ، بل تؤخذ أخذاً مسلماً ، على ان عملها مفوض الى الحداد . وكذلك صناعة الطب فانها تنقسم جزئين علمي وعملي ، وكلا هذين الجزئين هذه حاله ، فانه ليس يتعلم « صنع [1] » المكوى ، ولا كيف يصنع المبضع ، ولا غيرهما من الآلات ، بل يتولى ذلك أهل صناعة أخرى . ولا في الجزء العلمي ايضاً يؤخذ في مبادئه ، بل يؤخذ اخذاً مسلماً فيه ، مثل انه ليس يُبحث عن الحرارة والبرودة لِمَ كانتا فاعلتين ، والرطوبة واليبوسة لِمَ صارا منفعلتين .

كذلك من أراد ان يتعلم البلاغة لم يلزمه مع تعلمها ان يتعلم أدواتها التي لا تتم الا بها ، ولا ان يبحث عن معانيها وموضوعاتها التي يحتاج الى ضرورة فيها ، كما لا يلزم غيرها من الصناعات التي ذكرنا . فانه لو لزمنا البحث عن موضوعات البلاغة ، وتعلم أدواتها لاحتجنا الى النظر [2] في اللغة والنحو ، وتعلم القياس والجدال مع تعلمها ، فطال ذلك وأدخلنا في الصناعة ما ليس منها فنقول الآن .

انا لما قلنا فيما مضى من المقدمة عند تعريفنا ما البلاغة ، انها ليست الفاظاً مجردة ،

(١) الكلمات الموضوعة بين هلالين صغيرين هي من زياداتنا لفهم المعنى .

(٢) وجد في هامش الاصل ما يأتي : اقول هذا موضع النظر لان النظر في اللغة واجب حتى يستعمل ما كان أدور « على اللسان » فيقع فصيحاً ، وكذلك النحو لانه لو أهمل امر النحو فلا يكون التركيب مستقيماً ، وكيف لا والبلاغة شرطها معرفة هذه الأحوال مع أشياء أخر » . وهامشة أخرى في المعنى ذاته : «انظر الى قوله لاحتجنا الى النظر فان فيه نظراً لانه يصرح بعد في بحث الاستعارة بقوله : ومن عيوبها ان تكون المحونة خارجة على غير أسلوب الاعراب فكيف يكون عيباً وهو شرط عدم معرفته اللهم الا ان يريد بالاحتياج الاحتياج التام فتأمل اه .

ولا معاني قائمة في النفس مفردة ، بل أقوالاً يعبر بها عن المعاني — وجب ان يكون الاضطرار دافعاً الى التوسع في اللغة التي مجراها مجرى الموضوع لصناعة البلاغة (لتعذر للبليغ[1] اللفظ ، و يحدث عند الحاجة) ما يستعمله في البيان عن المعاني ، على سبيل الناظم للجواهر المرصع بها ما يقصد الى ترصيعه ان يكون معه جميع أصنافها ، وكذلك سبيل البليغ في حاجته الى الألفاظ .

فاما المعاني فالاضطرار اليها في البلاغة أشد منه الى الألفاظ ، وذلك ان المعاني هي الأغراض المقصودة للعبارة بالألفاظ ، والألفاظ مرتبة في مراتبها[2] لان المعاني اربعة مراتب : احداها أعيان الامور ، وذوات الاشياء التي توجد تلك المعاني فيها ، ثم بعد هذه المرتبة المعقولة التي تقوّم معاني الموجودات في تصورها ، ثم الألفاظ التي تعبر عن تلك المعاني المتصورة في العقل بها ، ثم الحروف الموصوفة للخط الذي تكتب تلك الألفاظ بتأليفها .

فالبليغ الكامل هو الذي تكون الألفاظ عنده عتيدة غزيرة ، والمعاني في نفسه جمة كثيرة ، فانه مع ذلك يجيش بحره ، و يسهل الكلام والكتاب عليه .

والذي يجب على البليغ في استعمال الألفاظ ان تكون سمحة سهلة ، لها حلاوة وطلاوة ، وعليها رونق الفصاحة ، مع الخلوّ من البشاعة ، فلا يكون متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً عامياً ، ومن نعوتها تصير الاجزاء متناسبة الوضع ، متقاسمة[3] النظم ، متعادلة الوزن ، متوخّى في كل جزئين منها ان تكون مقاطعها[4] على حرف واحد في التسجيع ، او حرفين متقاربي المخرجين من الفم ، فان انضاف الى ذلك ألفاظ الجزئين المتزاوجة مسجوعة كان أحسن ، مثل ماقال ابو علي البصير في بعض كلامه : حتى عاد تعريضك تصريحاً ، وتمريضك تصحيحاً ، فأتى بجزئين متقاربين ، متوازيين ومسجوعين بالحرف نفسه ، وهو الحاء من غير استكراه ولا تعسف ومتزاوجي الألفاظ مسجوعيها حيث

(١) جعلنا العبارة التي تعذر ايرادها على وجه مفهوم صحيح بين هلالين كبيرين .
(٢) في الاصل المركب بدل المرتبة والمراكب بدل المراتب ولعل الصواب ماصححناه .
(٣) لعله متناسقة . (٤) خ مقطعاتها .

جعل بازاء التعريض من الجزء الاول التمريض من الجزء الثاني ، وذلك سجع بحرف الضاد و بازاء التصريح التصحيح بحرف الحاء ، فان لم تتوجه هذه المنزلة وهي أحسن المنازل فما دونها وهو السجع بالحرف نفسه فيما ضارعه وخرج قريبًا من مخرجه كما كتب بعض الكتاب :

« اذا كنتَ لا تؤتى من نقص كرم ، وكنتُ لا أُوتي من ضعف سبب ، فكيف أخاف منك خيبة أمل ، اوعدولاً عن اغتفار زلل ، اوفتوراً عن لمّ شعث واصلاح خلل » .

فوضع نقص بازاء ضعف ، وكرم بازاء سبب ، وعدول بازاء فتور ، مناسبة في وضع الالفاظ ، وموازنة بينها ، والا فقد كان يمكن ان يقال مثلاً : مكان نقص قلة ، ومكان سبب شكر ، ومكان فتور تقصير . فلم تكن الألفاظ حينئذٍ تتوازن ، وان لم يتسهل ايضًا ان يكون الجزآن متوازنين في القدر ، فليكن الجزء الأخير أطول ، فان تعدى حتى تكون الألفاظ مضرّسةً [1] ، والأجزاء مجتمعةً ، وأواخرها غير مسجوعة لا بحرف واحد بعينه ، ولا بحروف متضارعة ، فذلك خروج عن حد البلاغة .

ورأيت قومًا يذهبون الى كراهة [2] السجع والإزدواج في الكلام ، من غير أن عرفت لهم في ذلك حجة ، فعلمت انهم ذموا ماراموه فلم يصلوا اليه ، وتعاطوه فلم يقدروا عليه ، والا فهذا القرآن وكلام الرسول وهما مسجوعان ، فاما الذي في القرآن فاكثر من ان يحاط ، اذ كان مبناه عليه . واما كلام الرسول فكقوله في عوذة سبطته : أُعيذك من الهامة والسامة ، وكل عين لامة . ألا ترى انه في أصل اللغة ملمة ، فرام المقاربة فقال لامة : وقال : خير المال مُهْرة مأمورة [3] ، وسكة مأبورة . وهو في اصل اللغة

(١) هل يريد يا تُرى بقوله المضرسة ماورد في اللغة من ان المضرّس نوع من الوشي فيه أشكال أضراس . (٢) في هامش الاصل : لعل قول من قال بكراهتها محمول على انه اذا كان لايحصلان الابتكلف لامطلقًا فان علماء البيان قالوا : انما يقبل اذا كانت سجية . وحجة هذا انه بالتكلف يخرج عن السلاسة والفصاحة كما لا يخفى . (٣) أمر الرجل كثرت ماشيته والاصل مؤمرة على مُفعلة ومعناها كثيرة النتاج والنسل .

مُؤْتَمِرة . فعدل عنها الى مأمورة وقال : ارجعن مأزورات[١] من الواو الى الهمزة ، لانه من الوزر كما كان مأجورات بالهمزة .

ومن نعوت الألفاظ الاشتقاق والمضارعة ، فالمشتق مثل ما قال خالد بن صفوان للعبدي : هشمتك هاشم ، وأمتك أميــة ، وخزمتك مخزوم ، فأنت ابن عبد دارها ، ومنتهى عارها ، تفتح لها الأبواب اذا أقبلت ، وتغلقها اذا أدبرت .

فمثل هذا في الكلام الموزون ، بازاء هذا المنثور كثير ، و يسمى المتجانس[٢] . وقد شرحت حاله في كتاب الشعر .

فاما المضارعة : فكالذي جاء في الاثر إياكم والمشارة فانها تميت الغرة ، وتحيي العُرّة . وكقول محبّ لمن قال : خصصتك ماخصصتني ، بل انما خسستني . وكقول الآخر عوّلت لدي على مالي وآمالي .

ومن نعوت الألفاظ التبديل[٣] وهو ان يُقدم في الكلام جزء ألفاظه منظومة نظاماً تاماً ، فيجعل ما كان مقدماً في الاول ، متأخراً في الثاني ، مثل قول من قال : اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك . وكقول[٤] الآخر : اسودّ مني ما كنت أحب ان يبْيضّ ، وابيضّ مني ما كنت أحب ان يسودّ ، واشتد مني ما كنت أحب ان يلين ، ولان مني ما كنت أحب ان يشتدّ » . وكقول الآخر : اللهم أغنني بالفقر اليك ، ولا تفقرني بالاستغناء عنك .

ومن نعوت الالفاظ الاستعارة وهي كقول القائل : مازال يَفتِل في الذّروة والغارب[٥]

(١) في الكلام نقص وهو ارجعن مأزورات غير مأجورات فعدل عن الواو الي الهمزة . (٢) يعني المجانسة كذا في هامش الأصل . (٣) و يسمي طرداً وعكساً — كذا في هامش الأصل . (٤) وهو قول معن في مسائله معاوية كذا في هامش الاصل .
(٥) ومن المجاز قولهم ما زال من فلان في الذروة والغارب اي يدور من وراء خديعته . قال الصغاني : الفتل فيه اي في المثل يفعله خاطم الصعب من الابل يخذله بذلك فجعله مثلاً للمخادعة والازالة عن الرأي . والذروة أعلى الشيء والغارب ما بين سنام البعير وعنقه .

حتى لفته عن رأيه . وكقول الآخر : النبيذ قيد الحديث [١] وكقول الآخر : فلان أملس ، ليس فيه مستقر لخير ولا شر . وكقول الآخر : لا تخدش وجه رضاك بالتوبيخ [٢] . وفي نعت القلم لعبدالله بن المعتز : يخدم الارادة ، ولا يمل الاستزادة ، يسكت واقفاً ، وينطق سائراً ، على ارض بياضها [٣] مظلم ، وسوادها مضيء [٤] .

ومن عيوب الألفاظ ان تكون ملحونة جارية على غير الإعراب والسبيل المبني عليه الكلام ، ثم ان تكون بشعة مستوخمة ، مضادة لما تقدم من نعوتها ، ثم ان تكون ذات تعقيد . وفي وصية بشر بن المعتمر : إياك والتوعر ، فانه يستهلك معانيك ، ويمنعك من مراميك .

ومن عيوب الألفاظ التجميع ، وهو ان يكون مقطع الجزء الاول من الجزئين المتاليين على وزن ما ، فيؤتى بالتالي له على وزنه ، ومنافراً في النظم له . مثل قول حميد بن سعيد في اول كتاب من كتبه : فوصل به ما يستعبد الحر ، وان كان قديم العبودية ، ويستغرق الشكر ، وان كان سالف فضلك لم يبق شيئاً منه » . فالمقطع على العبودية منافر للمقطع على منه .

ومن عيوبه ان يؤتى بالجزء الاول طويلاً ، فيحتاج الى إطالة التالي له ضرورة ، فيصيره اما مثله في القدر ، اوزائداً عليه ، فيضطرب حينئذ ويظهر عليه سيماء التكلف .

ومن عيوبه التكرير وهو ان تعاد الكلمات أنفسها ، او حروف الصلات والرباطات وما جرى مجراها في المدة القريبة . فأما إعادة حروف الصلات والرباطات فمثل له وعليه او منه عليه او به له . فان فصل بين الحرفين بكلمة زال قبحه مثل ان يقال أقمت عليه شهداء به .

ومن عيوبه ان يركب من الوحشي المتروك استعماله ، الثقيل في السمع .

« للبحث صلة »

---

(١) لعل المعنى ان الحديث في مجلس النبيذ سر فكأن النبيذ قيده له عن الافشاء .
(٢) في هامش الاصل والأحسن ان تقول لا تخدش وجه رضاك باظفار التوبيخ .
(٣) في هامش الاصل اي بسواد المداد . (٤) في الهامش اي ببياض المعاني .

قبة جامع القيروان الكبير وسقوفه

للسيد جورج مارسه (عضو المجمع العلمي العربي في دمشق) طبع في تونس وباريز ١٩٢٥ ص ٦٠ و٢٨ رسم و٣٣ لوحة مصورة :

Coupole et Plafonds de la Grande Mosquée de Kairou - an par Georges Marçais, Tunis et Paris 1925

هذا التأليف هو بحث لسلسلة أبحاث تُعنى بنشرها ادارة الآثار القديمة والفنون الجميلة في تونس وهي ايضاً تبحث في آثار تلك البلاد والمدنيات التي تعاقبت عليها وقد وضع المؤلف تأليفه هذا ليكون احدى حلقات هذه السلسلة وضمنه بحثاً جديداً عن قبة جامع القيروان وسقوفه ذاكراً الأيدي العاملة التي تداولت عليها في أزمنة مختلفة خلال اربعة قرون (اي من القرن الثالث الى السادس ه) . ومع ندرة الوثائق التاريخية من مطبوعات ومخطوطات وغموضها تمكن المؤلف باقتداره وقوة استنباطه من ايفاء هذا البحث حقه مسترشداً بما بقي في الجامع من آثار تلك العصور من نقوش وزخارف معارضاً بينها وبين ما بقي من أمثالها في العراق ومصر والشام . وأظهر بعد تحقيق وتدقيق ما كان غامضاً وما عسر على غيره ادراكه . فجاء هذا البحث تتمةً لما نشره الاستاذان فلوري (S. Flury) وسادالان (H. Saladin) عن بناء هذا الجامع ومحاسنه .

وبعد ان وصف المؤلف القسم العلوي من المحراب وزخرف عقده المزين برسوم غصون الكرمة وعناقيدها (لوحة ٨) بحث في الزمن الذي رسمت فيه تلك الرسوم مسترشداً بما يماثلها في غير هذا البناء في سائر المدن العربية . ولما لم يهتد لشيء يستعين به على إدراك غايته استدرك ذلك متسائلاً عما اذا لم يكن هنالك بعض الشبه بين رسوم هذه الكرمة (شكل ١) وتلك الأخرى المذهبة التي وصفها مؤرخو العرب وقالوا انه كان يزدان بها جدار قبلة الجامع الأموي في دمشق . وقد اكتفى المؤلف بهذا السؤال اذ لم يجد ما يؤيد به نظريته لان الحرائق التي انتابت جامع دمشق منذ ذاك العهد ذهبت بكرمته وجميع محاسنه حتى لم تبق فيه شيئاً من زخارف ذاك العصر حتى يسترشد بها .

كنت افضل ان أمرّ بهذا البحث دون ان أقول كلمة فيه لو لم أجد مستنداً يؤيد نظرية المؤلف . وقد عثرت في دار الآثار العربية في دمشق على لوحة رخام (شكل ٢) عليها نقوش نافرة (رقم ح ٨٨) التقطت من بين أنقاض الجامع الأموي ولعلها من بقايا كرمته الموصوفة ، على الرغم من تأثير الحريق الذي سودها ، فان نقوشها محفوظة واضحة ، وظاهر عليها اثر الذهب المطلية به . و يرى الناظر اليها أغصان الكرمة وعنقودها كالتي في جامع القيروان حتى ليخيل للناظر اليهما كأنهما من صنع صانع واحد ، غير انهما اختلفتا باختلاف سطح الجدار الذي رسمتا عليه . فبينا ترى كرمة القيروان على سطح مقعر نرى كرمة دمشق على سطح مستوٍ ، هذا من جهة ومن جهة أخرى رسمت كرمة القيروان بصباغ على خشب وكرمة دمشق بحفر ناتيء على حجر . و يستفاد من كتابة المؤلف ان الفن المعماري العراقي والمصري والشامي ظاهر في بناء جامع القيروان وهذا يحملنا على الاعتقاد بانه كان بين عمال تونس من هم من تلك البلاد ولا يبعد ان يكون صانع المحراب دمشقياً متأثراً بمنظر كرمة بلدته فاتخذها انموذجاً نسج على منواله . ولا ريب بان كرمة دمشق هي الأصل في هذا الباب ، وما كرمة القيروان الا نسخة عنها ، لأن جامع القيروان أنشيءَ سنة ٢٢١ هـ . وجامع دمشق حوّل الى مسجد في سنة ١٨٧ و١٨٨ هـ . وجميع من وصفوا كرمة دمشق متفقون على انها من عهد الوليد وهو الذي أنفق عليها سبعين الف دينار كما ذكر ياقوت في معجم البلدان .

ولا يخفى انه لم يطرأ على جامع دمشق تغيير الا بعد حريق سنة ٤٦١ هـ لما دثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الصناعات النفيسة ومن جملتها الكرمة المذكورة .

ان اللوحة المحفوظة في دار الآثار هي ولا شك قطعة من هذه الكرمة ، وان صح ذلك فيكون أصلح جواباً للمؤلف . واعتماداً على ما تقدم نقول بلا تردد ان كرمة القيروان هي نسخة من كرمة دمشق ، وهي من أقدم آثار جامع القيروان كما ان كرمتنا من أقدم آثار مسجدنا .

مدير دار الآثار

جعفر الحسني

مطبوعات حديثة

شعراء النصرانية

« بعد الاسلام »

القسم الثالث في شعراء الدولة العباسية تأليف الاب لويس شيخو اليسوعي

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٧ م

حوى هذا القسم ترجمة اربعة واربعين شاعراً نصرانياً ، او رجح المؤلف انهم نصارى ، معتمداً على أمهات الكتب المطبوعة في الشرق والغرب من كتب العرب في التاريخ والادب . ومما نقل عنه من المخطوطات « جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام » لعميد الدين ابن الغنائم مسلم بن محمود الشيرازي و « اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء للملك المنصور صاحب حماة » المتوفى سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) وكلاهما من مخطوطات خزانة ليدن . و « دمية القصر وعصرة اهل العصر » لابي الحسن علي الباخرزي ، ومقامات يحيى بن ماري وكلاهما من مخطوطات خزانة الامة في فينا . و « بغية الطلب في تاريخ حلب لكمال الدين الحلبي . وتذكرة العلماء والشعراء للمملوك تاني بك الخزندار وكلاهما من مخطوطات لندرا . الى غير ذلك من المظان المعتبرة . وقد نسق المؤلف الاستاذ كتابه واستقصى في جلب المواد الا اننا لاحظنا عليه انه غمط حق المسلمين في الحرية التي أطلقوها لابناء ذمتهم ولو كان تعصب خصومهم المسلمين كما قال في المقدمة الافرنسية كما زعم وان النصرانية ذلت في الدول الاسلامية لانقرض النصارى من الشام ومصر والعراق لا محالة ، بيد اننا رأينا خلفاء المسلمين وملوكهم وامراءهم وأعيانهم وعلماءهم ولا سيما في عهد العباسيين بفتحون صدورهم وقلوبهم للمسيحيين والاسرائيليين والمجوس ، وما أُهين احد لنحلته بل أُهين المتطاول الى ماليس من شأنه ، على ما هو الحال في كل دولة وملة وعصر ، ولو كان التعصب الذي يذهب المؤلف الى تأصله في العصر العباسي عند المسلمين أ كان اليوم يستطيع هذا المؤلف ان يدوّن سيرة اربعة واربعين شاعراً نصرانياً بأخذ كلامهم وتراجمهم من كتب المسلمين ، والمسلمون هم الذين رفعوا من

شأنهم وعاشروهم وأدخلوهم مجالسهم وائتمنوهم على حرمهم . ثم نوهوا بهم في كتبهم كما نوهوا بابناء مذهبهم . وخلدوا ذكرهم ومآثرهم كأنهم ابناء عم لحّاً ، فأين التعصب الموهوم بعد هذا ؟ ولماذا نرثي للظلوم بزعمنا ولانسأل عن السبب الذي دعا الى ظلمه . اذا أحببنا الانصاف نذكر المسائل باعيانها ، ولا نرسل الكلام على إطلاقه ، مثال ذلك في كتاب الاب شيخو نفسه فقد ذكر ترجمة ابن بُطلان المسيحي الذي زار بعض مدن الشام في سنة ٤٤٤ هـ ، ونقل ياقوت وابن القفطي طرفاً صالحاً من رحلته واقتبسها المؤلف ، وحذف ماقاله ابن بُطلان في «اللاذقية» وكانت في يد الروم سنة ٤٤٦ هـ وخلاصة ماقال انهم كانوا يتزايدون في حلقة المدينة مدينةاللاذقية على مبيت المومسات عند الغرباء او الراغبين في الخنا ، و يأخذ كل من يريد العهر من المحتسب خاتم المطران حجة معه ، واذا وجد انسان مع خاطئة وليس معه خاتم المطران أُلزم خانه ! فمثل هذه القصة التي عدها ابن بُطلان « أعجوبة » لانه لم يرها في بلاد الاسلام ، هل يمكن ان نتخذها حجة على فساد أُمة او على فساد نحلة . الشذوذ موجود في كل مجتمع ، والعبرة بالسواد الاعظم ، والعدل يقضي على المؤرخ بالانصاف على كل حال .

محمد كرد علي

بيروت

« تاريخها وآثارها »

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت
سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٧ (ص ١٤٠)

وهذا من التآليف الجديدة التي عني الاستاذ شيخو بوضعها على نسق جديد عامداً الى مصادر مهمة استقى منها ووضعها في قالب مقبول في تاريخ ثغر الشام وآثارها وقد زين كتابه ببضعة رسوم . ومما نلفت نظر المؤلف اليه ان كلامه على عمل الطوائف غير المسيحية في بيروت على عهدها الاخير ناقص قليلاً ، وقد نقل عن الجغرافي اليعقوبي انه كان في عرقة وطرابلس قوم من الفرس وان اهل كور جبيل

وبيروت وصيداء كلها قوم من الفرس نقلهم اليها معاوية بن ابي سفيان . وأردف المؤلف هذا القول بقوله : « ولا شك ان المتاولة الشيعيين والنصيريين الذين في سواحل الشام حتى يومنا من ذرية هؤلاء الفرس » . ولعل غيرنا من الباحثين يحقق هذه القضية فان لنا شكاً فيها . ونثني على همة الاستاذ المؤلف لما يعانيه في تآليفه وابحاثه من الجهد والعناية .

م . ك

كتب ورسائل مختلفة

(١) التقرير الصحي السنوي لمديرية الصحة العامة في العراق خلال سنة ٢٥ و١٩٢٤ و٢٤ — ١٩٢٣ .

(٢) حكاية ذي القرنين لابي مرائيد الحميري وقصة الصنم والملك وابنته نشرها السيد (امليو غرسيه كومز) مع ترجمتها والتعليق عليها باللغة الاسبانية طبعت في مجريط سنة ١٩٢٦ .

(٣) مملكة جهنم والخمر للفيلسوف تولستوي . نقلها الى العربية عن الروسية السيد سليم قبعين صاحب مجلة الاخاء . والطبعة الثانية في المطبعة التجارية الكبرى في القاهرة (ص ٨٨) .

(٤) « درر الحكام شرح مجلة الاحكام » الجزء الثاني تأليف السيد علي حيدر تعريب المحامي الاستاذ فهمي الحسيني صاحب مجلة الحقوق طبع في مطبعة الحقوق بيافا سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٦ .

(٥) « كتاب القراءة » للعلامة كراتشقوفسكي لتعليم اللغة العربية لابناء روسيا طبع في لينينغراد سنة ١٩٢٦ (ص ٤٤) .

المجلد ٧ الجزء ٢

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : شباط سنة ١٩٢٧ م الموافق شعبان سنة ١٣٤٥ هـ

اسم الآلة

« بين النحاة واللغويين »

دار البحث في بعض جلسات المجمع العلمي حول وضع كلمة عربية تقوم مقام ما يسمى بالتركية (صوبا) فاخترت كلمة (مدفأة) بصيغة اسم الآلة لان الـ (صوبا) آلة لتدفئة البيت وتسخين هوائه . فاعترض بعض الاخوان قائلاً : ان هذا لا يجوز لان النحاة اشترطوا في اسم الآلة ان يكون مشتقاً من الفعل الثلاثي المتعدي وفعل (مدفأة) اما (دفئ) اللازم وإما (أدفأ اودفأ) المزيد على الثلاثي ولا يجوز اشتقاق اسم الآلة منهما كليهما [1] . فقلت له : أما وقد استشهدت بقول النحويين فاني اذكر بجانبه ما يفعله

(١) من مستملح المصادفات اني جئت بمقالي هذا الى دار المجمع العلمي و بحضور رئيسه وبعض اخواننا سلمته الى عامل المطبعة بيدٍ وتناولت باليد الاخرى جزء آب من مجلة (لغة العرب) لمنشئها العلامة الاب أنستاس الكرملي فتصفحت افتتاحيته فاذا هي تقريظ لكتاب (الفيزيا) الذي ألفه الفاضل السيد عز الدين علم الدين . وقد قرظ الأب الكرملي هذا الكتاب وأثنى عليه لكنه انتقد بعض كلمات جديدة جاءت فيه ، من ذلك كلمة (مدفأة) التي استعملها مؤلفه قائلاً : « المدفأة (بوال Poêle) آلة الدفء وهي من أوضاع الشيخ عبدالقادر المغربي » فعلق الأب الكرملي على هذه العبارة قوله : « اما نحن فنقول : لايمكن ان تكون اللفظة مدفأة وزان مكنسة بل مُدفئة (على صيغة اسم الفاعل) من فعل أدفأ لأن اسم الآلة لا يصاغ من اللازم » اه . فلما قرأت قوله استرجعت مقالي

العرب وهو انهم قد يشتقون أسماء آلات من الافعال الثلاثية اللازمة ومن الافعال المزيدة بل ومن الاسماء الجامدة ايضاً ولديَّ شواهد كثيرة على ذلك . ففي كلام النحاة إذن نظر . ينبغي ان يحرر . ثم سألني سائل آخر عن كلمة عربية تخلف كلمة (تلسكوب) الافرنجية في معناها . فقلت ان التلسكوب انما هو آلة لادناء البعيد فلنسمه (مِدناة) على وزن مرقاة اي آلة الدنوّ كما ان المرقاة آلة الرقيّ . فعاد ذلك الفاضل الى اعتراضه قائلاً : وهذا ايضاً لايجوز لان (الدنوّ) فعل لازم لايصاغ منه اسم آلة . فقلت وهذه (المرقاة) اسم آلة وقد صاغها العرب من فعل (الرقي) وهو لازم . ثم أظهرت الارتياب فيما قاله النحاة وسكتُ على مضض . وأخذت من يومئذ استعرض في نفسي اسماء الآلات الواردة في كلام العرب والشائعة على ألسنة اللغويين فوجدت طائفة كبيرة منها لم تتوفر فيها الشرائط التي اشترطها النحويون : من كون الفعل ثلاثياً وكونه متعدياً . فلم يعجبني تشدّد النحويين ولاتحجيرهم الواسع في هذه المسألة . وملت الى رأي اللغويين الذين انما ينقلون الينا متون كلام العرب . فطريقتهم في إثبات اللغة وتحقيقها عملية بخلاف النحويين فان طريقتهم نظرية في معظم مناحيها . فينبغي إذن ان يكون كلام اللغويين هو العمدة في هذا الباب . ولاسيما ان نهضتنا اللغوية الحاضرة تستدعي التسامح والافتاء باقوال الكوفيين ولو كانت ضعيفة شاذّة ، فكيف بأمر نقله اللغويون ودوّنوه في كتبهم . وقديماً ماأحفظ تشدّد النحاة وتعصبهم لقواعدهم — قلوبَ اهل اللغة والأدب والبلاغة حتى قال ابو العلاء المعري وقد ضاق بهم ذرعاً : « لا يسخط عليك الله ولا الملكان اذا كنت لاتدري لما ذا ضُمت تاء المتكلم وفتحت تاء المخاطب » وقال ايضاً :

من يد المنضد وألحقت به هذا التعليق لأُعجّب القراء من هذه المصادفة ولأُحقق لهم باني لم اكتب هذا المقال انتصاراً لنفسي ولا تأييداً لقول السيد عز الدين ولا رداً على العلامة الكرملي وانما هو ابن المصادفة المحضة . ولعل في هذا الاتفاق مايشفع برأيي لدى علامة العراق فيشايعه فيما هو بسبيله من خدمة هذه اللغة العربية الذي هو والحق يقال من اكبر خدامها . العاملين على توسيع نطاقها . ولكن هل رأيه هذا في اسم الآلة مما يوسع النطاق . او هو من قبيل شدّ الوثاق . وتزنيق الحبل على الخناق ؟ .

(أفهم أخاك اذا نطقت ولا تُجَلْ يا حارِ قلت بذاك أم يا حارُ)

بل ان شذوذ النحاة أحياناً في بعض ماارتأوه وخالفوا فيه اللغويين أحرج صدر إمامهم سيبويه نفسه : فقد عقد في مصنفه النفيس الذي أسماه (الكتاب) باباً ترجم له بهذا العنوان « هذا باب استكرهه النحويون وهو قبيح فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب » ثم ذكر ان النحويين جروا في استعمال (تبّاً وويحاً) على خلاف ماجرى عليه اهل اللسان . ومما قاله ابن خلدون في صدد بيان تذمره من النحاة هذه العبارة « خرفشة النحاة اهل الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق » ومعنى (الخرفشة) التخليط . ولا يعجلنّ القارئ في لوم ابن خلدون حتى يعلم ما كان من رأي نحاة زمانه فيه فلعلهم كانوا يعيبون تصانيفه و ينسبون الخطأ الى أساليبه و يحكّمون فيها قواعدهم وآراءهم مع ان ابن خلدون هو الكاتب العبقري الذي أصبح أسلوبه مثالاً يحتذى . وإماماً يقتدى . وسيبقى كذلك على طول المدى .

وما زال يخطر في بالي هذا وامثاله وأُقدم رجلاً واؤخر أخرى في إعلان تحكّم النحويين في مسألة (اسم الآلة) مذ قيّدوه بالفعل الثلاثي المتعدي حتى ظفرت وانا أنقب في كناشات المرحوم الشيخ طاهر الجزائري بهذا النص الصريح : « ذكر الفخر الرازي في كتابه (المحصول) في الفصل الذي عقده للكلام على مبادئ اللغة — «ان قول اهل اللغة في المباحث اللغوية راجح على قول غيرهم يعني النحاة اه . » فقلت في نفسي لا جرم ان هذا النص من كلام الرازي يمهّد لي العذر في نصب الموازين . ومحاكمة النحويين . والاحتجاج عليهم بقول اللغويين . لا سيما أن مسألتنا (اسم الآلة) مسألة لغوية في كنهها لانها بحث في الصيغة والاشتقاق وليست مسألة نحوية يبحث فيها عن أواخر الكلم العربية . على اننا اذا لم يعجبنا ما قرره النحاة في اشتقاق اسم الآلة فليس معناه أننا ندعو الى التمرّد على كل ما قرروه ودوّنوه . كيف وان لأهل كل لغة كتباً في النحو والبيان يرجعون اليها . و يعوّلون في تقويم ألسنتهم عليها . وانما نرى ان النحويين رحمهم الله لفرط إكبابهم على فنهم وتفرغهم له مدة اثني عشر قرناً قد توسعوا فيه باكثر من قدر الحاجة حتى أصبحنا مضطرين ان نختصر مما قالوا . ونوجز فيما أطالوا . وان نطلق في بعض الاحايين ما قيدوا . ونخفف ما شدّدوا .

فاعلم اولاً ان اسم الآلة صيغة أراد العرب من وضعها اختصار التركيب الاضافي : فقولهم مثلاً مفتاح انما أرادوا اختصار كلمتي (آلة الفتح) و (منخل) آلة النخل و (مبرد) آلة البرد و (ملعقة) آلة اللعق وهكذا . وأشهر صيغة لاسم الآلة هي ما بدئ بالميم . وله وزنان (مفعل) كمِقود و (مفعلة) كمجمرة وقد جاء اسم الآلة على غير هذين الوزنين : فجاء على وزن فِعال بكسر أوله نحو (سِداد) آلة السدّ و(ثقاب) مايشعل به النار من عيدان ونحوها فهي آلة الاثقاب اي الايقاد و (ثقاف) آلة يُثقّف بها صانع الرماح رماحه اي يسوّيها بها و يقوّمها . وما كان من اسم الآلة على وزن (فِعال) لم يشترط فيه النحو يون ان يكون مشتقاً من فعل ثلاثي متعدٍ : فان (سداد) ان كان اشتق من (سدّ) الثلاثي المتعدي فهذه ثقاف مشتقة من ثقّف الرمح بالتشديد وهو ثلاثي مزيد . و (ثقاب) مشتقة من أثقب النار اذا أوقدها وهو ثلاثي مزيد ايضاً او هي مشتقة من ثقبت النار اتّقدت وهو فعل لازم لا متعد . فلم يبق الا ان النحاة اشترطوا كون الفعل ثلاثياً متعدياً في اشتقاق اسم الآلة الذي يكون على وزن (مفعل ومفعلة) وها نحن أولاء نريد ان لا نشترط هذا الشرط فيهما كما لم يشترطوه في ما كان على وزن (فعال) وذلك لتوفر الادلة على عدم لزوم اشتراطه .

قال النحاة في تعريف اسم الآلة : « هي ما صيغ من المضارع المعلوم لمعالجة الفاعل المفعول به لوصول أثر الفعل اليه ولا تصاغ الا من ثلاثي مجرد » : فقولهم لمعالجة (الفاعل المفعول به) هو تقرير لشرط تعدية الفعل . وقولهم (ولا تصاغ الا من ثلاثي مجرد) تقرير لشرط كونه ثلاثياً مجرداً . هذا ماقالوه في كتب تعليم القواعد النحوية او الصرفية وهو منقوض بالكلمات الكثيرة الدالة على معنى الآلة وليست مشتقة من المتعدي ولا من الثلاثي المجرد بل هو منقوض ايضاً بتصريحات بعض علماء اللغة كما يأتي بيانه . وقد اعتذر لهم بعض الفضلاء فقال : ان النحويين في تأسيسهم القواعد وجمعهم الشوارد كثيراً ما يراعون في هذا الجمع والتأسيس التقريب والتسهيل على الطلاب . فيقتصرون من أحكام اللغة العربية على الأعم الأغلب فيضعون له الأصل و يقررونه في كتبهم على انه قاعدة عامة لجميع الجزئيات و يكون هناك في بعض الأحايين مسائل وجزئيات أخرى تنطوي تحت قاعدة أعم وأشمل من تلك القاعدة

التي وضعها النحاة . كذا قال هذا الفاضل فيكون اساتذة العربية على رأيه فريقين : (فريق النحاة) وهؤلاء اكثر اتصالاً بالناشئين الشادين من الطلاب فهم من أجل ذلك يسارعون في التسهيل عليهم فيضعون لهم من القواعد ما كان مبنياً على الاستقراء الناقص كما فعلوا في تعريف اسم الآلة . ومن الغريب انهم مع هذا التعريف لم يصرحوا بان كل ماعدا ذلك من أسماء الآلات المشتقة من الأفعال اللازمة والمزيدة — شاذ لا يقاس عليه .

و (فريق اللغويين) وهؤلاء يضعون القواعد المبنية غالباً على الاستقراء التام فتكون أعم وأشمل مما وضعه النحويون بحيث تصلح ان تكون عمدة لمن أراد التنطّس (اي التخصص والإخصاء) في علم اللغة . وتقصّي أسرارها . والتعمق في أغوارها . ونحن اليوم معشر العرب في دور النهوض والاهتمام بتوسيع دائرة التخاطب بلغتنا وتمهيد الطريق بين يديها لتجاري اللغات الحية . فلا يحسن ان نقتصر على ما قرره النحاة مما يؤدي الى الحجر والتضييق وتقليل الانتفاع بالمادة اللغوية او بالارث اللغوي الذي تركه لنا الأسلاف . وانما الواجب ان نستفيد من اقوال اللغويين الذين وسعوا الدائرة بل من أقوال الكوفيين التي لم تشتهر في كتب النحاة ولم يبيحوا العمل بها كما أباحوه بالنسبة لأقوال البصريين .

فكلمة (المدفأة) للصوبا و (المِدناة) للتلسكوب اذا راعينا أقوال النحاة هجرناهما وتخبطنا في اختيار كلمتين سواهما تكونان موافقتين لما اشترطوه في (اسم الآلة) اما اذا راعينا أقوال اللغويين واعتبرنا شواهدهم قبلنا تينك الكلمتين وحملناهما على نظائرهما التي سنسردها على القارئ .

فعلماء اللغة يجولون من وضع (اسم الآلة) في دائرة أوسع . ويجرون على طريقة أسهل وأنفع . فهم يجوزون اشتقاقها من الفعل اللازم ومن الفعل المزيد على الثلاثي ومن الاسم الجامد ايضاً . كما انهم يشتقونها من الفعل الثلاثي المتعدي الذي هو والحق يقال اكثر استعمالاً . وأوسع مجالاً .

☆ ☆
☆

أقوال اللغويين الدالة على جواز اشتقاق اسم الآلة
« من اللازم والمزيد والجامد »

جاء في رسالة العلامة الكسائي التي سماها (ماتلحن به العوام) ما نصه :

« وما كان من الآلات مما يوضع و يرفع مما في اوله ميم فاكسر الميم ابداً اذا كان على (مفعل ومفعلة) تقول : هذا مشمل ومثقب ومقود ومنجل ومبرد ومقنعة ومصدغة ومجمرة ومسرحة ومشربة ومرفقة ومخدّة ومحسّة ومظلّة فهذا كله مكسور الاول أبداً سوى مُنخُل ومُسعُط ومُدهُن ومُدُقّة ومكحلة فان هذه الأحرف جاءت عن العرب بضم الميم اه » . والشاهد في قول الكسائي أنه عدد هذه الكلمات وسماها كلها آلات وهي نحو عشرين كلمة نصفها نوفر فيه ما اشترطه النحويون في اسم الآلة أعني ان تكون مشتقة من ثلاثي متعدٍ ونصفها لم يتوفر فيه الشرط المذكور . فالنصف الاول : مثقب مقود منجل (من نجل الشيء اذا رمى به) مبرد مشربة (من شرب الماء) محسّة (من حسّ الدابة وتسمى المحسة الفرجون ايضاً) مُنخُل مُسعُط (من سعطه الدواء) مُدهُن مُدُقّة . والنصف الثاني الذي لم يتوفر فيه الشرط هو : مشمل (نوع من البرود مشتق من الاشتمال المزيد لا من الشمل) مقنعة (من تقنعت المرأة لا من قنعت) مصدغة (مشتقة من الصُدغ الجامد) مجمرة (من الجمر لانه يوضع فيها) مسرحة (هي المشط من سرّح الشعر بالتشديد لا من سرحه الثلاثي) مرفقة (المتكأ والمخدة من ارتفق المزيد لا من رفق الثلاثي) مخدة (من الخدّ الجامد) مظلّة (من الظل الجامد او من ظلّله المزيد) مُكحلة (من الكحل الذي يوضع في المكحلة وليست من فعل كَحَل حتى تكون اسم آلة له وانما آلته تسمى المِكحل والمِكحال وهو الملمول ايضاً) فهذه كلها صرّح الكسائي بتسميتها أسماء آلات وهي لم تشتق من الثلاثي ولا من المتعدي كما رأيت .

وقال صاحب التاج بمناسبة ان قوماً من اللغويين ذهبوا الى ان (المحبرة) هي بفتح الميم لا بكسرها بناءً على كونها اسم مكان بمعنى موضع الحبر — ما نصه :

« والصحيح انهما (اي الفتح والكسر) لغتان أجودهما الفتح ومن كسر الميم قال

انها آلة » فانظر كيف صرح بان بعضهم يسمي (المحبرة) اسم آلة مع انها مشتقة من (الحبر) الجامد وليست مشتقة من فعل ثلاثي متعد كما قال النحاة .

وقال صاحب التاج ايضاً (المقلمة) (بكسر الميم) وعاء قلم الكتابة . ثم قال « قال شيخنا : وكان المناسب لكونها وعاءً الفتح (اي فتح اولها) على انها اسم مكان اذ مقتضى الكسر انها اسم آلة ويمكن ان يقال الوعاء آلة الحفظ اه» اي فلا نفتح الميم بل نبقيها مكسورة وان كانت وعاء باعتبار ان الوعاء آلة للحفظ وبهذا الاعتبار يجوز كسر ميمها . وتكون النتيجة ان (المقلمة) اسم آلة يتوسل بها الى حفظ الأقلام من التبدد والتكسر . وهي بلا ريب مشتقة من (القلم) والقلم اسم جامد لا فعل ثلاثي متعد .

وعقد إمام اللغة الثبت الحجة الفيومي صاحب المصباح فصلاً خاصاً باسم الآلة قال فيه :

« فصل : اذا جُعل المفعل مكاناً فتحت الميم فالمقطع اسم للموضع الذي يقطع فيه و (المقصّ) للموضع الذي يقصُّ فيه و (المفتح) للموضع الذي يفتح فيه . وان جعلت (المفعل) أداةً (اي اسم آلة) كسرت الميم (فالمِقطع) مايقطع به و (المقص) مايقصّ به . ثم قال : « وكذلك كل اسم آلة فهو مكسور الاول نحو (المخدّة) و (الملحفة) و (المقلم) و (المروحة) و (الميثرة) و (المكنسة) و (المقود) وشذّ من ذلك أحرف جاءت بالضمّ ثم عدّ منها (المسعط) و (المدهن) و (المُحرضة) و (المكحلة) و (المُنصل) و (المُلاءة) وشذّ بالفتح (المنارة) انتهى قوله . فانظر كيف سمى هذه الكلمات كلها سواءً أكانت مكسورة او مضمومة او مفتوحة أسماء آلات وهي كلها او معظمها مشتقة من أسماء جامدة فلولا ان اللغويين لا يشترطون في اسم الآلة ما اشترطه النحويون لما سموها اسماء آلات بل كانوا يسمونها كما سماها بعض المتكلفين (أشباه آلات) !! ومعظم الكلمات التي سردها صاحب المصباح مر ذكرها في عبارة الكسائي السابقة وقد بينا اشتقاقها . اما التي لم يذكرها فهي : (الملحفة) اسم آلة من الالتحاف المزيد او من لحفه بمعنى غطاه (المروحة) مشتقة من الريح الجامد وياء الريح اصلها واو كما لا يخفى . (الميثرة) من الوثارة وهي لين الفراش ووطاءته (المكنسة) من كنس الثلاثي المتعدي وهذا كما شرط النحاة . (المُحرضة) الوعاء الذي يوضع فيه الحُرض

وهو الاشنان . (المُنصل) السيف وهو مشتق من فعل نصل وكل معانيه تدور حول معنى الخروج . وأرى ان لا يجعل (المنصل) من اسماء الآلات لأن معنى الآلية فيه غير ظاهر . ومثل المنصل (المُلاءة) اسم للثوب المخصوص ومعنى الآلية غير ظاهر فيها ايضاً .

مر معنا في كلام الكسائي وصاحب المصباح اسماء آلات كثيرة لم يتوفر فيها ماشرطه النحاة من كون فعلها ثلاثياً متعدياً ومع هذا فقد سمياها (أسماء آلات) مما يثبت انه لا يشترط في اسم الآلة ما اشترطه النحويون . وهاك أمثلة أخرى غير ما تقدم .

﴿ أسماء آلات مشتقة من أسماء جامدة ﴾

(مملحة) اسم للوعاء الذي يوضع فيه الملح فهي مشتقة من الملح الاسم الجامد . وليس هو (اي لفظ المملحة) اسم مكان لانه مكسور الاول واسم المكان مفتوح الاول وانما هو اسم آلة . ولا ريب ان الوعاء المسمى بالمملحة آلة لحفظ الملح فيه .

(المخصرة) اسم لضرب من العصي تسند به الخاصرة فهي مشتقة من الخصر .

(المئبرة) الوعاء الذي توضع فيه الأبر وهو مشتق من (الإبرة) .

(المزود) الوعاء الذي يوضع فيه الزاد وهو مشتق منه ويكتب بالزاي . اما (المذود) بالذال المعجمة فهو (المعلف) اي الموضع الذي يوضع فيه علف الدابة . والظاهر انه مشتق من (الذود) بمعنى الدفع والطرد ولكن لماذا سمي معلف الدابة (مذوداً) واي علاقة بينه وبين معنى الطرد ؟ ؟ .

(المعلف) المكان يوضع به علف الدابة فهو مشتق من (العَلَف) الجامد وميمه مكسورة . لذلك كان اسم آلة . والمكان آلة لتقديم العلف الى الدابة .

(الممطر) ثوب يتقى به المطر ونسميه اليوم (المشمّع) والممطر مشتق من (المطر) وهو اسم جامد .

فهذه الكلمات أسماء آلات وهي ليست مشتقة من الافعال المتعدية اللازمة فان ادعى مدع ان كلاً من هذه المذكورات اسم مكان لا اسم آلة يصح ادعاءه فيما ورد مفتوح الميم منها او فيما أمكن ان يكون اسم مكان كالمعلف مثلاً اما الممطر فلم يرد مفتوحاً ولا يصح اعتباره اسم مكان كما لا يخفى وانما هو اسم آلة محضة .

﴿ اسماء آلات مشتقة من أفعال ثلاثية لازمة ﴾

(المرقاة) السلّم وهي اسم آلة من رقي بمعنى صعد وهو فعل لازم وبعضهم يفتح ميم المرقاة و يجعلها اسم مكان بمعنى انها موضع للرقي لا آلته . ويخيّل اليّ ان العرب لم ينطقوا بالمرقاة ولا بالمحبرة مفتوحتي الميم لتكونا اسم مكان وانما بعض النحاة ادعى هذه الدعوى فيها إطراداً لقاعدتهم التي قرروها من ان اسم الآلة يلزم ان يكون مشتقاً من الفعل المتعدي لا اللازم .

(المعراج) بمعنى السلم ايضاً اسم آلة من عَرَجَ في السلم او في السماء اذا صعد فيها .

(المصباح) اسم آلة مشتق من فعل (صَبَحَ) بمعنى لَمَعَ وأنار . اوهو مشتق من اسم الصُبْح لانه يقوم مقامه في الإنارة وسلخ الظلام .

(المدخنة) اسم آلة من فعل (دَخَن) الدخان اذا ارتفع ودَخَنَتْ النار علا دخانها .

(المنخر) العضو المعروف وهو اسم آلة من نخر نخراً ونخيراً .

(المزراب) اسم آلة من فعل زرب الماء سال .

(المعازف) آلات اللهو وهي جمع (معزف) من فعل عَزَفَ اللازم .

(الملاهي) جمع (ملهى) بكسر الميم وهو اسم آلة من لها الرجل يلهو .

وكل ماذكرنا من الكلمات أسماء آلات وهي مشتقة من أفعال لازمة كما سمعت وميماتها مكسورات فلا يسهل ادعاء كونها من أسماء الأمكنة اللهم الا كلمة (منخر) و (مرقاة) وقد قلنا كلمتنا في الأخيرة .

﴿ أسماء آلات مشتقة من أفعال مزيدة على الثلاثي ﴾

(المئزر) اسم آلة وهو مبني من فعل (إئتزر) المزيد على الثلاثي .

(المطهرة) اسم للإناء الذي يتطهر به فهو من تطهر .

(الميضأة) اسم للإناء الذي يتوضأ به من توضأ .

(المسطرة) اسم لما يقع به التسطير من سطّر .

(المحراك) العود الذي تحرك به النار من حرّك .

(المعلاق) ما يعلّق به الشيء من علّق .

(المجداف) العود الطويل الذي يجدّف الملاّح به في سفينته من جدّف .

(المِملسة) خشبة تُملَّس بها الارض اي تُسوَّى ·

(المِهدى) على وزان مِفعل اسم للوعاء الذي تهدى فيه الهدية كالطبق من فعل أهدى ·

(الملواح) البومة تشدّ رجلها ليُصطاد بهـا البازي : وذلك ان يطيّرها الصائد ساعة بعد ساعة فاذا رآها البازي او الصقر وقع عليها فيأخذه · وسميت (ملواحًا) من لوَّح بثوبه اذا رفعه وحركه ليلوح للنـاظر فيراه · فملواح اسماً للبومة المذكورة مشتق من لوّح المزيد على الثلاثي ·

(المئذنة) بكسر الميم المنارة التي يؤذن المؤذن من عليها — فهي من أذن المزيد على الثلاثي ·

فالكلمات المذكورة مكسورات الاول أسماء آلات وهي مبنيـة من المزيد لا من الثلاثي · وما صح اعتباره منها اسم مكان كالمئذنة بمعنى موضع الأذان فتحت ميمه وقيل (مأذنة) ولعله لم يرد مأذنة بالفتح كما وردت المنارة بالفتح · ومالم يصح اعتبـاره اسم مكان كالبواقي كان اسم آلة قطعاً ·

وقد يخطر في البال ان يقال : كيف يصح اعتبـار (المئذنة) بكسر الميم اسم آلة وهي لا تمسك باليد ولا يعالج المؤذن بها أذانه كما يعالج الخياط صناعته بالمقص والنجار بالمنشـار والكاتب بالمرقم ؟ والجواب على هذا ان المعالجة التي تقع باسم الآلة تختلف باختلاف نوع العمل الذي يعالج بها · على ان جهة النظر في اسم الآلة انما هو ان يقع التوسل بها الى تحصيل غرض خاص سواء أكانت المعالجة بها حقيقية كما اذا قبضنا عليها بكلتا يدينـا او لا بأن تكون المعالجة اعتبارية · فالمؤذن الذي يريد ان يسمع الناس أذانه لا يقدر على ذلك في أرض الشارع او بين البيوت فيتوسل الى غرضه بالمئذنة فيرتقي عليها فيسمعهم صوته من فوقها · فالمئذنة إذن آلة لانه يتوسل بها الى الغرض وهو إسماع الناس الأذان · وان لم يحصل هذا التوسل بطريق المعالجة الحقيقية كالمعالجة بالمفتاح والمنشار ·

والكلمات التي سردناها على صيغة اسم الآلة ولم يتوفر فيها شرط النحويين انما سنحت لنا سنوحاً من دون تعمّد ولا استقصاء للبحث في المعاجم وكتب اللغة ولو فعلنا لجمعنا من ذلك الشيء الكثير · على ان ماسردناه كاف للدلالة على تخلف شرط النحويين

وانتقاضه وان الحق مع اللغويين الذين يجوزون بناء اسم الآلة من الفعل اللازم والمتعدي ومن الفعل الثلاثي والمزيد ولا أظن ان دعوى النحويين شذوذ ما ذكرنا من الكلمات مسموعة لان الشذوذ عن القاعدة انما يكون بورود كلمة او كلمتين او ثلاث لا بما يكاد يعد بالمئات او اكثر . وكما ان دعوى الشذوذ غير معتبرة ولا مسموعة كذلك يجب ان لا تسمع دعوى كون كل واحدة من هذه الكلمات هي (شبه اسم آلة) لا اسم آلة : فان التسمية لا تحلل حراماً ولا تحرم حلالاً . وبدل ان نكلف الطالب تعقل اسم الآلة بشروطه ثم نكلفه مرة أخرى ان يتعقل شبه اسم الآلة ونتصبه في التفرقة والتمييز بينهما نعمد تواً الى اختصار الطريق عليه ونقرر له ما قاله اللغويون في اسم الآلة وان الآلية تكون حقيقية واعتبارية ثم نورد له الأمثلة الكثيرة على ذلك .

ومما يلتحق بهذا الباب ايضاً ان طائفة أخرى من أسماء الالات وُصفت بها الأشخاص كقول الشاعر : (شريب خمر مِسعَر لحروب) وقول الآخر :

(جمع الشجاعة والخشوع لربه ماأحسن المحراب في المحراب)

فان كلاً من (مسعر) على وزن منبر و (محراب) على وزن مفتاح اسم آلة وقد خالف النحاة اللغويين في ذلك ولم يريدوا ان يسموهما اسمي آلة ولا ان يطبقوا تعريف اسم الآلة عليها بل سموها صيغة مبالغة . وقد اختلف نظر النحاة واللغويين في هذه المسألة شأنهم في مسائل كثيرة : فالنحوي يقول للطالب ان(مفعل) و(مفعال) من صيغ المبالغة : فمسعر حرب معناه البطل المغوار الكثير التسعير لنيران الحروب والمغشم والمحراب والمضياف والمتلاف كذلك هي صيغ مبالغة ومعناها الرجل الشجاع الذي لفرط شجاعته قد يغشم غيره اي يظلمه وهو غير مبال . والرجل الكثير الحروب او الشديد القوة في الحرب . والمضياف الكثير الضيافة للناس . والمتلاف الذي يكثر من إتلاف ماله في سبيل الجود .

اما علماء اللغة فلا يذهبون هذا المذهب في تحليل (المسعر) و(المحراب) وأخواتها وانما يقولون انها أسماء آلات وان المبالغة في وصف الرجل بالشجاعة (في المسعر والمحراب) و بالجود في (المضياف والمتلاف) انما جاءت من صيغة الآلة نفسها : لان

الحكم على شخص بانه آلة لامر من الامور يفهم منه بالضرورة انه متصف بذلك الامر أشد انصاف ومتمكّن من التخلق به فضل تمكن . فالرجل الذي جعلناه آلة جُبن وأطلقنا عليه اللفظ الذي يطلق عليها وهو (مسعر) والرجل الآخر الذي جعلناه آلة لإثارة الحروب بين القبائل فأطلقنا عليه اسم الآلة وهو (محراب) — لا يكون هذا الرجل بالضرورة جباناً ولا نكولاً عن الحرب وانما هو بالعكس شجاع لا يهاب الموت . وليس هو شجاعاً فقط بحيث يأتي بنفسه في نار الحرب بل هو آلة لإيقادها وتشجيع غيره من الناس على خوض غمارها . واصطلاء نارها . وقد لاحظ هذا المعنى في صيغة اسم الآلة الشاعر العربي مذ قال : (اذا لم أجْنِ كنت مجنّ جاني) يقول انه شرّير من الطبقة الاولى : فهو اذا لم يباشر عمل الشرّ بنفسه كان آلة بيد من يريد ان يعمل الشر وهذه مبالغة وإغراق في توصيف نفسه بالشر . فمآل النظرين (نظر النحاة ونظر اللغويين) في تحليل معنى (مسعر) و (محراب) واحد لكن الطريق مختلف .

فتلخص مما تقدم ان اشتراط النحاة في اسم الآلة ان يكون مشتقاً من فعل ثلاثي متعدٍ ينافيه وجود الكلمات الكثيرة من صيغ اسم الآلة الواردة عن العرب والتي نقلها اللغويون وسموها أسماء آلات كما سمعت في تصريح الكسائي والزبيدي والفيومي (صاحب المصباح) فان بعض تلك الاسماء مشتق من اسم جامد . وبعضها من فعل لازم . وبعضها من فعل مزيد على الثلاثي . وهي من الكثرة بحيث تصلح ان تُنقض بها قاعدة النحاة المذكورة .

وهنا امور نختم بها مقالنا ولا يحسن إغفالها :

(الأول) ان في العمل بقول اللغويين توسعة وتمكيناً لنا من وضع أسماء للآلات الكثيرة التي لا يحصى عددها في هذا العصر : عصر الآلات والاختراعات بل يظهر انه سوف لا يحصى عددها ولا ينفد مددها في مستقبل الزمان .

(الثاني) أن رأينا في نقد ما قاله النحاة في (اسم الآلة) قد يكون رأياً فطيراً ينكره بعض اخواننا من اهل اللغة جملة واحدة و يراه بعضهم مقبولاً بالجملة لكنه ما زال محتاجاً الى زيادة تثبت وتمحيص . ويوشك ان أكون أنا من اصحاب

الرأي الثاني . فأقترح على هؤلاء الذين يرون في كلامي وميضاً من النور وبصيصاً . ان يزيدوه توضيحاً ويقتلوه تمحيصاً .

(الأمر الثالث) ان التوسعة في هذه المسألة (اي في اشتقاق اسم الآلة من مطلق فعل او مطلق اسم) ينبغي ان تقابل بشيء من التحجير والتضييق بحيث لا يباح لاي كان ان يشتق هذا الاشتقاق بل يرجع الأمر فيه الى المجامع العلمية العربية التي أصبحت او ستصبح كثيرة بحمد الله . والا تعدّد الوضع . وأدى ذلك الى الفوضى اللغوية بالطبع .

المغربي

الفيضان في العراق

كفى يا مسقط الوادي اندفاقا ... ألا ترعى الجزيرة والعراقا
طغى الوادي كشعب أحرجوه ... فما احتمل الهوان ولا أطاقا
ولما قيدوه ليستفيدوا ... أبى من قيده الا انطلاقا
برئك أيها الوادي اندنا ... وعلّم كيف نفتكّ الوثاقا
ألسنا أمة ضجرت وملّت ... من الباغين رقاً لاانعتاقا
توخيت العمائر باذخات ... وجنبت الصغائر والدقاقا
كأنك اذ تخيّرت المباني ... هممت بهن قصداً لااتفاقا
كسا الفيضان اربعنا ثياباً ... مصندلةً وأرديةً رشاقا
فآونة مضاعفةً غلاظاً ... وآونة مهلهلةً رقاقا

بغداد : محمد رضا الشبيبي

تهذيب اللغة للازهري

وملتقطه للزمخشري

« توطئة »

دُفع الناس والحق يقال الى عصر كثير الآفات جمّ الخرافات فقد ظهرت الآراء وعُبدت الاهواء وآثرت الشهوة على الحكمة والهوى على العقل والفطنة ووطئ الجمهور أعقاب كتبة أغرار كثيري العثار وقلدوا رؤوس الفتن ودعاة البدع ممن يرون من عناوين الارتقاء عبث الأحفاد بتراث الأجداد ومن شارات الحياة والبقاء رغبة الخلف عن طريقة السلف وذلك في أكثر الأوضاع وجلّ مطالب العمران والاجتماع فها نحن نرى في صميم أقطار الاسلام وسرة بلاد الشرق قوماً مفتونين أبدوا صفحتهم للغة القرآن وعيبة العلم والعرفان داعين الى استبدال أحرفها الهجائية باحرف اللغة اللاتينية او الى الاستعاضة عن الفصحى باللغة العامية . مضمرين من وراء ذلك ما يستعاذ بالله منه : من فساد دخلة وخبث طوية وسوء نية وهيهات يأبى الله ذلك واعلام الملة وأصحاب القبلة وكتب قيّمة وصحف مطهّرة بايدي كرام بررة .

لا نريد بهذا مجرد سرد الأقاويل وايراد الدعوى بلا دليل على غنى لغتنا المباركة وغزارة مادتها لكننا بدلاً من ذلك نتقدم بما يقمع شبهات المبطلين ومفتريات الاعاجم والمستعجمين وسائر من يقرف لغة الكتاب المجيد بضيق عطنها في المفردات والأوضاع الفنية وكل ما هو من شرط المجامع اللغوية فاننا ظفرنا خلال تصفحنا آثار الخزانة الشريفة العلوية في العراق وعثرنا على « ملتقط التهذيب » للامام فخر خوارزم جارالله الزمخشري التقطه من كتاب « تهذيب اللغة » للامام الأزهري والنسخة ظاهرة النفاسة معتنىً بضبطها جداً منقولة عن خط الزمخشري بيده عن خط الأزهري كذلك في حجم رسالة لطيفة .

يتألف معظم هذه الرسالة الفذة من ألفاظ خاصة وأوضاع مختارة ومفردات جامعة لاوسع المعاني أحيانا في أوجز العبارات والمباني و يستفاد من درس الفاظها

ان الامام الزمخشري رمى في التقاطها الى ما يتوخاه ويرمي اليه فقهاء اللغة العربية وجهابذة المجامع اللغوية ونقدة الأوضاع الفنية قاصداً أسرار الصناعة التي قصدوها رامياً الى تلك الغاية التي رموا اليها من إصلاح المنطق وتحرير اللغة وتهذيب الكلام بطرق عديدة من جملتها انتقاء ألفاظ الخصوص لاستعمالها مكان الفاظ الشيوع والعموم ونحو ذلك مما لا يُستغرب من امام له في هذه العربية وآدابها غرر معروفة وآثار مشكورة كالفائق والأساس وغير ذلك ·

« مُلتقط الملتقط »

فيما يلي نبذة التقطناها من ملتقط التهذيب للتدليل على مذهب صاحبها في هذا الباب غَلَقٌ عِضٌ لا يكاد ينفتح · الكَرْمة رأس الفخذ المستدير كأنه جوزة وموضعه التي تدور فيه من الورك · فلان عِدادُه في بني فلان اذا كان ديوانه معهم · هذه الدراهم عديدُ هذه الدراهم اذا كانت بعددها · العدّيدة الحِصّة وجمعها عدايد · العُدّة البثر يخرج على وجوه الملاح · العَرار بهارُ البَرّ الواحدة عرارة · العِداد يوم العطاء ويوم العرض · عُرعُرة القارورة وكاؤها · رجل لعّاعة (مشدّدة) يتكلف الألحان من غير صواب · العامَةُ (مخففة) المِعْبَرُ وهو عيدان يسند بعضها الى بعض ويعبر عليها · الاقطوعة شيءٌ تبعث به الجارية الى صاحبها · المُقطَعُ الذي لا ديوان له · رجل مُقعَد الأنف هو الذي في منخريه سَعةٌ وقِصَر · القعدة دابة الركوب خاصة · المِعرق حديدة تبري العراق من اللحم يقال عرقت ما عليه من اللحم بمعرق اي بشفرة · القرع والنّدب والسّبق الخط الذي يسبق عليه · القرّاع طائر له منقار غليظ أعقف يأتي العود اليابس فلا يزال يقرعه حتى يدخل فيه · الرّقيع السماء الدنيا · المعلاق ما يُعلّق عليه الشيء · الأعقاب خزفٌ تجعل بين الآجرّ في الطي لكي يشتد · المُعقِب الرجلُ يخرج من حانة الخمّار اذا دخلها من هو أعظم قدراً منه · القُبعة طوير أبقع كالعصفور يكون عند جَحَرة الجرذان فاذا فرع الجحر[1] · العُقميُّ من الكلام غريب الغريب يقال انه لعالم بعقميّ الكلام وهو الغامض الذي لا يعرفه الناس وهو مثل النوادر قال ابو عمرو :

(١) لعل صواب العبارة هكذا : عند جِحَرَة الجرذان فاذا فزع انجحر · (المجمع)

سألت هذليًا عن حرف غريب فقال هذا كلام عُقميّ · الاكوع الدقيق مقدم الساقين ·

« المجلدة الثانية »

العِجازة والعظامة ما تُعظّم به امرأة عجيزتها · المعاجيل مختصرات الطرق يقال خُذ له معاجيلَ الطرق فانها أقرب · جمل مِعجال وناقة مِعجال اذا وثب قبل استواء الراكب عليه · رجل مِجّاعة يحب المجيع اي التمر في اللبن · العَرش ظاهرُ القدم · عرش الثريا كواكب قريبة منها · الاظفر الطويل الاظفار · المِعضاد سيف مع القصابين تقطع به العظام · الباضع في الابل مثل الدلال في الدور · اللحم المُعرض الذي على الجمر فيختلط بالرماد والمملول الذي غيّبته في الجمر والمُفاد الذي شويته فوق الجمر · المِصنعة المدعاة للاخوان · النّصعان المكشوف الرأس ابداً حرارةً · العصائب العمائم الواحدة عِصابة · العزيز ثَمَن الكلاء سوادية يقولون هل أخذتَ عزيز هذا الحصيد اي هل اخذت ثمن مراعيها لانهم اذا أجدبوا باعوا مراعيها · المنزعة بكسر الميم خشبة عريضة كالملعقة ينزع بها المُشتار النحل من الشهد اذا التصق به · معاطل المرأة مواقع حليها · القُطاعة اللقمة يؤكل نصفها ثم ترد الى الخوان وهو عيب · الناعط السيء الادب في اكله · العوطب اعمق موضع في البحر والعوطب المطمئن بين موجتين · الطبّاع الذي يأخذ الحديدة فيُسويها سكيناً او سيفاً او سناناً وحرفته الطباعة · اضرب به على طبع هذا وغراره وصيغته · فلان طيّب الطُعمة وخبيث الطُعمة اذا كان من عادته ان لا يأكل الا حلالاً او حراماً · في بستان فلان من الشجر المُطعِمُ كذا اي من الذي يؤكل ثمره · قوس مطعمة يصاد بها كثيراً · امرأة مِطماع تُطمع ولا تمكّن ·

« المجلدة الثالثة »

العدّاد الملاّح · العدَدَ القبيلة الكبيرة · رجل عُدَلة وقوم عُدلة وهم الذين يزكون الشهود ويُعدّلونهم · المعابد المساحي والمرور · دُمّاع الكرم ما سال منه ايام الربيع · العَتَلة المَدَرةُ الكبيرة تنقلع من الارض اذا أثيرت · رجلٌ تَلِعٌ كثير التلفّت · الثُبنة ما غبنته من قُدّام السراويل اي جمعته وطويته من مقاديم الحجزة حتى تُشمّر · اتّخذ في كرمه عذاراً من الشجر اي سكة · العاذور ما يُقطع

من مخفض الجارية . عَذَبة الشِراك المرسلة منه . عَذَبة السوط علاقته . عذّب سوطك اجعل له علاقة . العِرَنة شجرة على صورة الدُلب يقطع منها خُشُب القصّارين التي تدفن وجمعُها عُرَن و بايعها العرّان . العراب حمل الخزم وهو شجر تفتل منه الحبال الواحدة عرابة تأكله القرود والناس في المجاعة . العرابةُ واحدة العرابات وهي شُمُل ضروع الغنم والعرّاب التي يعملها . الرّبّاع الذي يكثر شرى الرباع اي المنازل . يرابيعُ المتن لحمه . غلام مُعبَرٌ كَبُرَ ولم يختن . النغانغُ واللغاديد اللحمات التي بين الحنك وصفحة العنق . البثعقة خروج الماء من الحوض . البرطسة اكتراء الإبل والحمير للناس . البراغيل أمواهٌ نقرب من البحر . البتّ القطع لما لا رخصة فيه .

« كلمة عن التهذيب المذكور »

من أجلّ الاصول اللغوية ومن الامهات النادرة اوالمفقودة كتاب (تهذيب[1] اللغة) للامام ابي منصور محمد بن احمد بن الازهر الازهري اللغوي المتوفى سنة ٣٧٠ احد أعلام المسلمين الذين رحلوا وطافوا البلاد وتجشموا المشاق وجدوا واجتهدوا في طلب اللغة وتصحيحها وتحقيقها ، انفقت له في هذا الباب حكاية تكاد تلحق بالنوادر (راجع إرشاد الأريب ٦ : ٢٩٧) كما ان العناية والاهتمام بكتابه بلغا مبلغًا يكاد يدخل ايضًا في جملة الطرائف والحكايات (راجع وفيات الاعيان ٢ : ٢٣٣) و بالجملة فان التهذيب من الاصول الصحيحة المهمة لا تكاد تجد مرجعًا من المراجع اللغوية المشهورة الجليلة خاليًا عن الأخذ عنه والاقتباس منه والاحتجاج باقوال مؤلفه فيه .

النجف الاشرف : محمد رضا الشبيبي
عضو المجمع العلمي العربي

---

(١) راجع مجلة المجمع (ص ٢٧٠ مجلد ١) ترى فيه كلامًا مسهبًا عن (تهذيب الأزهري) . (المجمع)

قانون البلاغة

- ٢ -

اما حصر المعاني بقوانين كلية تستوعب أقسامها ، وتستوفي أحكامها ، فعسير لانه يحتاج فيه الى تقديم صناعات كثيرة ، وعلوم شاقة ، الا ان في فطر الناس السليمة اتباع الصواب وقصده . والنفار من الخطإ والحياد عنه ، فقد يكتفي من سلم فكره ، ولم يضطرب ذهنه ، بما معه من المعرفة التي يوقع(؟) العبارة عنها . الا ان لهذه الصناعة خاصة أغراضاً من المعاني ، يلزم الكلام فيها ، ومقاصد لا يسع الإخلال بها .

فاما نعوتها فمنها صحة التقسيم ، وهي ان يؤتى بالأقسام مستوفاة ، لم يخلّ بشيء منها ، ومتخاصة لم يدخل بعضها في بعض ، كقول من قال : لم تخلُ فيما بدأتني به من مجد أثلته ، او شكر تعجلته ، او أجر ادخرته ، او متجر اتجرته .

ومنها صحة المقابلات[1] : وهو ان يؤتى بمعانٍ يراد التوفيق بينها وبين معانٍ أخر . والمضادة فيؤتى في الموافق بموافقه ، وفي المضاد بمضاده ، كقول القائل : اهل الرأي والنصح لا يساويهم ذوو الأفن والغش ، وليس من جمع الى الكفاية الامانة ، كمن اضاف الى العجز الخيانة .

فمن تأمل هذه المعاني وجدها في غاية المعادلة ، لانه جعل بازاء الرأي الأفن ، وبازاء النصح الغش ، ومقابل الكفاية العجز ، ومقابل الأمانة الخيانة . فهذا التقابل تعديل في الموافقة والمضادة .

ومن هذا الجنس قول هند بنت النعمان بن المنذر بن ماء السماء الملك للمغيرة بن

(١) وجد في هامش الأصل ما يأتي : والعَلَم فيها قوله تعالى : « فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، واما من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسره للعسرى » . لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والإتقاء والتصديق ، جعل في مقابلتها التعسير مشتركاً بين المنع والاستغناء والتكذيب فافهم اه .

شُعْبة بعقب إحسان منه اليها : شكرتك يدٌ نالتها خصاصة بعد نعمة ، وغنيت عن يدٍ نالت ثروة بعد فاقة .

ومنها صحة التفسير وهي ان توضع معانٍ تحتاج الى شرح احوالها ، فاذا شُرحت أُتي بتلك المعاني من غير عدول عنها ولا زيادة عليها ولا نقصان منها . كقول من قال : وانا اثق من مساءلتك في حال ، بمثل ما اعلمه من مشاركتك في أُخرى ، لانك ان عطفت وجدت لدناً ، وان غمزت الفيت شيئاً .

وكقول آخر : واين يُذهب بك ، مع غزير انعامك ، وشديد احكامك ، واليم انتقامك ، ان تكون مشباعاً للضيف ، ومدفاعاً للحيف ، ومناعاً من الخوف .

ومن نعوت المعاني التتميم ، وهو ان توجد في المعنى كتابة او خطابة فيوفى بجميع المعاني المتممة لصحته ، المكملة لجودته ، من غير ان يخلّ ببعضها ، ولا ان يغادر شيءٌ منها . كقول القائل : لحلقت به اسباب الجلالة ، غير مستشعر فيها لنخوة ، وترامت به احوال الصرامة ، غير مستعمل فيها لسطوة ، هذا مع زمانة [1] في غير حصر ، ولين جانب من غير خَوَر . فقد اتى هذا المتكلم بتتميمات المعاني التي جاء بها من غير ان يخلّ بشيء منها .

ومن نعوت المعاني المبالغة ، وذلك ان يذكر معنىً بما لو اقتصر عليه لكان كافياً فيما قُصد له ، فلا يقتصر على ذلك حتى يؤكد معانيه ، ويعتمد المبالغة فيه . مثل قول الاعرابي : اللهم ان كان رزقي نائياً فقربه ، او قريباً فيسره ، او ميسراً فعجله ، او قليلاً فكثره ، او كثيراً فثمره . فهذه مبالغات تؤكد المعنى وتزيد فيه .

ومن نعوت المعاني التكافؤ وهو ان يتكلم في امر من الامور ، فيؤتى فيه بمعانٍ متكافئة ، واعني بتكافئة في هذا الموضع متقاومة اي ان كل اثنين منها متعاند حتى اذا قيل في معنىً ان شيئاً اسود أُتي بآخر ، يقال فيه ان شيئاً ابيض الى غير ذلك من وجوه العناد . مثل قول من قال : كدرُ الجماعة ، خير من صفو الفرقة ، ومثل قول القائل : وكان اعتدادي بك اعتداد من لا تنضب عنه نعمة تغمرك ، ولا يمرّ عليه عيشٌ يحلو لك . فقوله بازاء تنضب ، تغمر ، ويمر ، يحلو ، من التكافؤ .

(١) زمت الرجل زمانة وقر .

فاما عيوب المعاني فان من كان حافظاً لما قدمناه في باب نعوت المعاني فسيهون عليه تعرف عيوبها . وجماع ذلك ان تكون المعاني معدولاً بها عن الاغراض المنتحاة ، والمقاصد المتوخاة ، الا ان من تفصيل ذلك الاستحالة والامتناع والتناقض :

فاما المستحيل فهو الشيءُ الذي لا يوجد ، ولا يمكن مع ذلك ان يتصور في الفكر ، مثل الصاعد والنازل في حال واحدة ، فان هذه الحال لا يمكن ان تكون ولا تتصور في الذهن : واما الامتناع فهو الذي وان كان لا يوجد فيمكن ان يُتخيل ، ومنزلته دون منزلة المستحيل في الشناعة مثل ان تركب اعضاء حيوان ما ، على جثة حيوان آخر ، فان ذلك جائز في التوهم ، ولكنه معدوم في الوجود .

واما التناقض فبان تجمع بين المقابلة من جهة واحدة .

والمعاني تقابل على اربعة اوجه : اما على طريق الاضافة ، مثل الاب للابن ، والضعف للنصف ، والمولى للعبد . واما على طريق التضاد ، مثل الأسود للأبيض ، والحار للقارّ ، والخيّر للشرير . واما على طريق الملكة (١) والعدم ، مثل البصير للاعمى ، والموسر للفقير ، وذي الوَفرة للأصلع .

واما على النفي والاثبات مثل ان يقال : زيد جالس ، زيد ليس بجالس ، فالثلاث المقابلات الاول تكون في المعاني ، والرابعة تكون في اللفظ وحده ، ولكن هذا التقابل الأخير لما كان قد يعتقد ايضاً ، حتى لعلّ من يعدم اللفظ ، يشير الى ما في نفسه منه إشارة بغير اللفظ ، كما يشير الأخرس مثلاً بان يحطّ يده الى أسفل في الايجاب ، او يرفعها الى فوق في النفي ، وما جرى هذا المجرى — أضفنا الكلام فيه الى الكلام في المعاني .

وقولي في جميع هذه المقابلات من جهة واحدة ، انما اردت به هذا هو الشنيع الجاري مجرى العيب . فاما ان يكون مثلاً في باب المضاف انسان ما اباً لزيد ، وابناً لبكر ، ومولىً لفلان وعبداً لآخر ، و يكون عدد ما ، نصفاً لعشرين وضعفاً لخمسة ، وكذلك في التضاد مثل ان يكون الفاتر حاراً عند البارد ، و بارداً عند المحرق ، وفي الملكة والعدم مثل ان يكون انسان بصير القلب ، أعمى العين ،

(١) خ القنية .

او معسراً من عرض ، موسراً من آخر ، وفي الاثبات والنفي مثل ان يكون زيد جالسَ الظُهر ، ليس بجالس العصر ، فجميع ذلك جائز ·

فاما المنكر المستبشع الذي اومأنا الى انه اذا وجد في معنىً كان معيبًا ، فمثل ان يجعل رجل ما ، اباً لزيدٍ وابنًا له ، وعدد ما ضعفًا لخمسةٍ ونصفًا لها ، وشيء ما حاراً عند رجل ، وبارداً عنده بعينه ، وانسان ما ، اعمى القلب بصيره ، ويجعل زيد قائماً في هذا الوقت ، غير قائم فيه نفسه ، فهذا كله فاسد لايجوز ، لان التقابل جُعل فيه من جهة واحدة ، فيصير حينئذ تناقضاً ، وهو من أفحش عيوب المعاني المعبر عنها بالكلام المنثور ، والكلام المنظوم ايضاً ·

ومن عيوب المعاني فساد التقسيم وذلك يكون على ثلاثة أوجه : امابتكريرالمعنى ، او بان يؤتى منها ما يكون بعضه داخلاً تحت بعض ، او بان يخل بما يقتضي المتكلم فيه استيفاؤه · فاما التكرير فمثل ما كتب بعضهم الى عامل : ففكرت مرة في عزلك ، وأخرى في صرفك ، وتقليد غيرك · ومثل قول هذا الرجل لهذا العامل : فتارةً تسترق الأموال وتحتزلها ، وتارةً تقتطعها وتحتجنها ·

واما دخول بعض الأقسام في الآخر ، فمثل ما سأل بعض النحْوِيين فقال : اخبروني عن علقمة بن عبدة جاهلي هو ام من بني تميم · ومثل قول بعض المترسلين في فتح : فمن بين جريح مضرّج بدمائه ، وهارب ما يلتفت الى ورائه · فكلا هذين القسمين يدخل في الآخر ، لان الجريح قد يكون هارباً ، والهارب قد يكون جريحًا ·

واما الإخلال ببعض الأقسام فمثل قول القائل : انك لا تخلو في هربك من صارفك ، ان تكون قدمت اليه إساءة خفت منه معها ، او خنت في عملك خيانة ، رهبت بكشفه إياك عنها ، فان كنت اسأت فأول راضٍ سنةً من يسيرها ، وان كنت خنت خيانةً ، فلا بد من مطالبتك بها · فكتب العامل تحت هذا ، هذا التوقيع : قد بقي من الأقسام ما لم تذكر : وهو اني خفت ظلمه إياي بالبعد منك ، وتكثيره عليّ بالباطل عندك ، ووجدت الهرب الى حيث يمكنني فيه دفع ما يتخرصه انفى للظنة عني ، والظلم عمن لا يُؤْمن ظلمه اولى بالاحتياط لنفسي ·

ومن عيوب المعاني ، فساد المقابلات ومن كان حافظاً لما ذكرنا من صحة المقابلات

في باب نعوت المعاني ، وقف سهولةٍ على الوجه في فسادها ، وذلك ان يُذكر معنىً يقتضي الحال ذكر ما يوافقه ويعانده ، فيؤتى بما لا يوافق ولا يشاكل ، او بما لا يقاوم ولا يعادل ، فليس المقول فيه من الناس انه خير على الاطلاق معانداً للمقول منهم انه مارق ولا موافق ·

ولهذا لا يحسن في البلاغة ، وكلام اهل الحجى — لم يأتني من الناس أسود ولا أسمر — بل الأجمل ان تقول ولا أبيض ، لان الاسمر ليس يعاند الأسود غاية المعاندة ، ولا يوجد منه في غاية المباعدة · وكذلك لو قال قائل : ما صاحبت في هذا البلد خيّراً ولا شريراً ، كان ذلك أذهب في سبيل السّداد ، من قوله خيّراً ولا سارقاً ·

ومن عيوب المعاني فساد التفسير ، ومن كان ذاكراً لما قدمناه من نعت هذا الباب ، عرف الوجه في عيبه · ومن المثالات في ذلك قول بعض المترسلين الى عامل من عمال الأطراف : ومن كان لأمير المؤمنين كما انت له من الذب عن ثغوره ، والمسارعة الى ما يهيب به اليه ، من صغير خطب وكبيره ، كان جديراً بنصح امير المؤمنين في أعماله ، والاجتهاد في تثمير أمواله ، فليس التي قدّم من الحال التي عليها هذا العامل في الذّب عن الثغور ، والمسارعة في الخطوب ، مما سبيله ان يُفسّر بالنصح في الأعمال ، وتثمير الأموال ، اذ كان الذي قدّمه لا يلزم عنه مافسر به ·

ومن نعوت البلاغة : ان البلاغة ثلاثة مذاهب يقصد في استعمالها : المساواة والإشارة والتذييل · فالمساواة ان يكون اللفظ كالقالب للمعنى لا يفضل عليه ، ولا ينقص عنه · والإشارة ان يكون اللفظ مشاراً به الى المعنى كاللمحة الدالة · والتذييل إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد بعينه · حتى يظهر لمن لم يفهمه ، ويتوكد عند من فهمه ، ولكل مذهب من هذه المذاهب موطن يليق به ، ووقت لا يصلح فيه غيره ·

فاما المساواة فأولى المواطن بها اذا كانت المخاطبة للنظراء ، ومن ليست له مآرب تشغله ، ولا شؤون تصرفه ، عن استيفاء لمعنى الى آخره ·

واما الإشارة فأولى الأوقات بها الوقت الذي يخاطب او يكاتب فيه ذوالمراتب العالية ، والشؤون الكثيرة ، والهمم المنقسمة ، لان من كان في هذه الطبقة احتاج

ان لا يشغل خاطره بمعنى واحد بعينه ، ولا ينفد زمانه اهتمام بغيره ، وكان الوحي [١] عنده أنفق من الإطالة ، والإشارة اليه اولى من تطويل المقالة .

واما التذييل فانما سبيله ان يستعمل في المواطن الجامعة ، والمواقف الحافلة ، وقد قال بشر بن المعتمر : ينبغي للمتكلم ان يعرف أقدار المعاني ، فيوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، ويجعل لكل طبقة كلاماً ، ولكل حال مقاماً ، حتى يقسم اقدار المعاني ، على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين ، على تلك الحالات .

واذ قد ذكرنا من أحوال هذه المذاهب الثلاثة ما أنبأ عن صوره الأمر ، فانا نأتي في كل مذهب منها بمثال مما تقدم استعمال البلغاء إياه في جنسه ، ليزيد ذلك من عمله شرحاً لما وعاه من معانيه ، و ينبيء من لم يفهمه عن حقيقة الحال فيه ، وابدأ من ذلك بمذهب الإشارة .

قال احمد بن يوسف الكاتب : دخلت يوماً على المأمون وبيده كتاب يعاود قراءته تارة بعد أخرى ، ويصعّد فيه طرفه ويُصوّب ، فلما مرّت على ذلك مدة من زمانه ، التفت اليّ وقال : يا احمد أراك مفكراً فيما تراه مني ، قلت : نعم فقال : ان في هذا الكتاب كلاماً نظير ما سمعت الرشيد يقوله في البلاغة ، زعم ان البلاغة انما هي التباعد عن الإطالة ، والتقرب من معنى البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ ، على كثير المعنى ، وما كنت أتوهم ان احداً على ذلك حتى قرأت هذا الكتاب ، ورمى به اليّ وقال : هذا كتاب عمرو بن مسعدة الينا . ففككته فاذا فيه :

« كتابي الى امير المؤمنين ومن قِبلي من قواده ، ورؤساء أجناده ، في الإنقياد والطاعة ، على أحسن ماتكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم ، فاختلت لذلك أحوالهم ، والتاثت معه امورهم » . فلما قرأته قال : ان استحساني إياه ، بعثني ان امرت للجند قِبَله بأعطياتهم لسبعة أشهر ، وانا على مجازاة الكاتب بما يستحقه مَن حلّ محله في صناعته .

(١) الوحي المكتوب والرسالة وكل ما ألقيته الى غيرك ليعلمه كيف كان ثم غلب على وحي الانبياء . وقيل الوحي إعلام في خفاء ، فالمراد هنا اعلام في ايجاز كلام سريع التلقين .

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة ان يكتب لرجل به عناية الى بعض العمال في قضاء حقه وان يختصر كتابه ما امكنه ، حتى يكون ما يكتب به في سطر واحد ، لا زيادة عليه ، فكتب عمرو : كتابي كتاب واثق بمن كتبت اليه ، معتن بمن كتبت له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله .

وكان جعفر بن يحيى [1] يقول لكتابه : ان استطعتم ان يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا . وكتب ابراهيم بن ابي يحيى الى بعض الخلفاء يعزّيه ، ويجري في المذهب الذي نحن بسبيله وهي : اما بعد فان أحق من عرف حق الله عليه ، فيما اخذ منه ، من عظّم حق الله فيما بقّاه له ، واعلم ان الماضي قبلك ، هو الباقي لك ، وان الباقي بعدك ، هو المأجور فيك ، وان أجر الصابرين فيما يصابون به ، أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه .

ودخل بعض البلغاء على بعض الامراء فقال : السلام عليك ايها الأمير ، سلاماً يتصل أمثاله بسمعك ابداً ما بقيت ، إما من وليك ، بطوع قلبه ، وصادق ودّه ، وإما من عدوك برغم أنفه ، وذل خده .

ومن نعوت إشراك اللفظ والمعنى الإرداف : وهو ان يراد للدلالة على معنىً ، فلا يؤتى باللفظ الخاص ، بالدلالة على المعنى نفسه ، بل بلفظ هو ردفه ، وتابع له ضرورة ، ليكون في ذكر التابع ، دلالة على المتبوع ، وهذا المذهب يوجد كثيراً في الاشعار ، وبلاغة الأعراب ، مثل ما قالت أعرابية تصف رجلاً : ولقد كان منهم عمار ، وما عمار ، لم تخمد له قط نار ، طلاّب باوتار . وانما أرادت بقولها لم تخمد له قط نار : كثرة إطعامه الطعام ، فلم تأت باللفظ الدال على هذا المعنى نفسه ، بل ذكرت إيقاده النيران ، لان ذلك تابع لاتخاذ الطعام . ومثل قول أخرى وصفت زوجها فقالت : اخذني من اهل غُنيمة بشق فجعلني في اهل صهيل وأطيط ودائس ومنق . فأرادت انه اخذها من اهلها وهم فقراء لهم غنم قليلة ، فجعلها في قومه ، وهم أغنياء لهم خيل تصهل وإبل تئط اي ترغو ومزدرع يُغل . فأكثر هذه المعاني التي

(١) وفي الهامش : وهو قريع دهره ونسيج وحده في معرفة البلاغة اه .

أتت بها ، انما هي أرداف معان أشارت الى الدلالة عليها . وكذلك قول سائر الاعرابيات اللائي هن في حديث أم زرع وقد ذكرنا صدراً في كتاب نقد الشعر .

ومما جاء في ذلك من بلاغات المحدثين : ما كتب به بعض الكتاب الى صديق له فقال : وكيف لا أتمسك بعهدك ، وأتشبث بعلائق ودك ، وانت ممن لا تقلى صحبته ، ولا تخشى غيبته ، ولا يكد الصديق عتبه ومعاتبته ، فهذه الألفاظ مجراة مجرى الإرداف . فأراد بقوله لا تقلى صحبته اي لا يسيء الى مصاحبه ، واذا لم يسيء لم يُقْلَ ولا تخشي غيبته ، انه ليس بشرير ، ولا وقّاعة في الناس ، ولا يكد ذلك انه لا يتجنّى على صديقه فيعاتبه فيما لا اصل له ، ولا يسيء عشرته فيحوجه الى معاتبته .

ومما جاء من ذلك قول من قال حتى اذا ثار النقع ، والتف الجمع بالجمع ، واحمرّت الأحداق ، وقامت الحرب على ساق . وكل هذه الاشياء تدل على معركة الحرب .

ومن نعوت إشراك اللفظ والمعنى التمثيل وهو ان يراد الاشارة الى معنى فتوضع الفاظ تدل على معنى آخر ، وذلك المعنى وتلك الالفاظ ، مثال للمعنى الذي قصدت الاشارة اليه ، والعبارة عنه . واكثر الاستعمال لهذا المذهب انما هو في البلاغة الشعرية . وقد استعملها الكتاب في رسائلهم ، والخطباء في خطبهم ، فيكون ذلك مما يحسن موقعه ، و يبين في البلاغة موضعه .

ومن الأمثلة في ذلك كتاب يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد ، وقد بلغه «انه» يتلكؤ في بيعته . اما بعد فاني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أُخرى ، فاعتمد على أيتهما شئت والسلام . فلو كتب : اذاك أتاك كتابي هذا فبايع لم يكن للفظه من العمل في المعنى ، ما للتمثيل الذي اتى به . « للبحث صلة »

الدكتور صالح قنباز

فجع المجمع العلمي العربي بعضو عامل من جهابذة أعضائه الدكتور صالح قنباز ففقدت الشام بفقده أستاذاً مربياً ، وطبيباً نطاسياً ، وأديباً خطيباً ، ومخلصاً صالحاً في سيره وسيرته . هو صالح بن محمود بن صالح قنباز . ولد في حماة في حجر الطهر ومخافة الله ، من ابوين كريمين في سنة ١٣٠٥ هـ — ١٨٨٧ م فغذاه والده بلبان الفضائل ، وطبعه بطابع التدين ، وأتم دراسته الاولى في بلده ، فظهرت آثار نبوغه ، وجمال أدبه ، وانقلب بعد ذلك الى المدرسة الاميرية في سنة ١٣١٥ هـ فدرس فيها العربية والتركية والفرنسية ومبادئ العلوم . وكان خلال ذلك يدرس علوم الدين واللسان على أساتذة خاصة . ولما أنجز دروسه في هذه المدرسة مُرْبياً بذكائه ودروسه على عامة أقرانه ، دخل المدرسة الثانوية في دمشق فتفتحت كمائم ذكائه وتجلت آثار قواه العقلية ، وتعرف الى الطبقة العلمية العاملة اذ ذاك وكان على رأسها المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ولزم مجالسهم واخذ من علمهم وافكارهم ، وامتاز في درس الرياضيات امتيازه في سائر الدروس .

ولما أتم دروسه الثانوية تحوّل الى مدرسة الطب في دمشق ثم ذهب الى الاستانة وعاد بعد مدة لإكمال طبه فأتمه ، وكان اختصاصه بالامراض الباطنية ، ونال شهادته في سنة ١٣٢٨ هـ وعاد الى بلده يطب المرضى ويواسي البائسين ، ويخدم الامة بمعارفه ، ويلقي بعض الدروس في المدارس النظامية ، وأهم ما غلب عليه وعلق باجزاء نفسه علم التربية والتعليم ، لقفه من الكتب ، وثقف أكثره بالتجربة ومعاناة التدريس ، وكان له الرأي الجميع والقول الفصل في جميع ما وسد اليه من امور المعارف ، وما شارك فيه بالرأي في مجالسها ومدارسها ، او كما قال فيه احد المترجمين له : « ولا يعرف الحمويون مشروعاً نافعاً تم في بلدهم ولا حركة مباركة قاموا بها الا كان هو رأسها او التيار الكهربائي في اسلاكها » .

وأدخل الجيش طبيباً في الحرب العامة فطاف الغامر من بلاد الشام وزار المدينة

المنورة . ولما وضعت الحرب أوزارها أسس بمعاونة صديقه السيد نورس الكيلاني مدرسة وطنية دعيت « دار العلم والتربية » فكان منظمها وعميدها ومن أفضل أساتذتها . وهذه المدرسة الوطنية الوحيدة التي غنيت ببنائها واوقافها بما اغدق من المعاونات المالية عليها . وقد تم لها ذلك بفضل بعد نظر عميدها وكثرة مساعيه مع اهل الطبقة المثلى في بلده . وانتخب عضواً في المجمع العلمي في ٤ نيسان سنة ١٩٢٣ وفي تشرين الاول ١٩٢٤ رحل الى باريز للبحث في المكتشفات الطبية الحديثة ومشاهدة دور الآثار والعلم فيها فانتخبته الجمعية الآسياوية في باريز عضواً فيها ، وعاد بعد ان قضى في عاصمة فرنسا نحو سنة وحج قبل ان يعوج بوطنه ، فكان حجه حجاً علمياً وحجاً دينياً .

والقى لدن عودته من الديار الحجازية والاقطار الفرنسية عشر محاضرات في النادي الادبي في حماة ، افاض فيها يجب علينا اخذه من المدنية الغربية ، وما يجب التباعد عنه ، ومثل الحياة الغربية في نظامها وترتيب دورها ومعاهدها واعمالها واقتصادها ومظاهرها ، مما كان له الاثر الطيب في ناشئة بلده . وللفقيد العزيز عدة تآليف لم تمثل بالطبع ، وكان يلقي بعضها على تلامذته منها كتاب الدرس الابتدائي في الفلسفة مع نظريات تاريخها ترجمه عن الافرنسية لمؤلفه اميل بوراك ، والف عدة كتب في العلوم الطبيعية وحفظ الصحة والنباتات ودروس الاشياء والاقتصاد للصفوف الثانوية ، ورسائل في تجويد القراءة وأُخرى في تعليم الف با وثالثة في علم الفرائض ، شفعها ببحث في اصول تقسيم الاراضي بحسب القوانين الموضوعة اخيراً ، هذا عدا عشرات من محاضرات في التاريخ والادب والتربية غذى بها ارواح طلاب الاستفادة . وعشرات من المقالات العلمية والأدبية والسياسة التي فاضت بها قريحته في الصحف والمجلات ، وله مفكرات نفيسة ولا سيما في دور الكتب التي زارها في مصر والشام وفروق وباريز ومكة والمدينة .

وخص الفقيد بطلاقة في لسانه ادمجته في عداد الخطباء العلماء ، يخطب ساعة وساعتين بكلام ملؤه ادب ، وسداه الاخلاص ولحمته حب النهوض ، وله شعر لطيف خصه باغراض عالية من اغراض النفس ، وهاك نموذجاً منه قاله في وصف وادي

النار بين معان والعقبة والفرندل ووصف قاطنيه من عشيرة الحويطات وغيرهم وتعرض فيه لظلم العثمانيين وفساد إدارتهم :

سهول زانها شيح وعشب وأخرى كل تربتهـا رمال
واودية تحددها سهول بها رثم ورمت او سيال [1]
مياه نضحها نضح شحيح وكم من مثلهـا غدر وآل
وغابات بوادي العرب قامت تطل على جوانبها الجبال
تمر الشمس مشرقة عليهـا فتحرقها ومغربها « القتال »
وتبدو الانجم حيناً فتجري ثقالاً ثم تغرب والهلال
بها قوم مساكنهم جميعاً كهوف او خيام او ظلال
سعيديون رهط لابن جاد حويطات وكلهم قلال
رؤوس ملؤهـا عقل وجهل ولم يمنع تقدمهـا العقال
عراة في اديم من سواد حفاة الجلد أخمصهـا نعال
يطوفون الفيافي كالجواري وهم في عين جارية عيال الخ

وله مقاطيع واناشيد وطنية جميلة اشتهرت في المدن الداخلية في الشام . ولما ثارت الفتنة في حماة يوم ١٧ ربيع الاول ١٣٤٤ (٤ تشرين الاول ١٩٢٥) قام بواجبه الانساني في تضميد جراحات الجرحى ، ومن الغد سمع من داره صوت احد ذوي قرباه فهب لنجدته فأصيب برصاصتين أصابتا منه مقتلاً فاستأثر به مولاه ، حميد الاثر ، مجيد الخطر .

اهم صفات المترجم له التؤدة والدؤوب ، والصبر والجد ، والسعي الى ترقية الامة من طريق التهذيب في هوادة وسكون طائر ، وفي الحق انه لم يفتر حياته عن بث دعوته الاصلاحية ، بالطرق العملية والعلمية ، وكان محبباً الى النفوس موقراً في

(١) (الرثم) نبت ابري الورق تطعمه الغنم وقد يصير شجراً و (الرمت) لايطول كثيراً وهو ذو شوك قصير ترعاه الابل و (السيال) نبت ذو شوك ينبت في الارض الرملية و يصير شجراً وورقه ريشي صغير ترعاه الانعام فتسمن به .

الصدور ، قوي الحجة والعارضة ، ولو طالت ايامه لسمع صوت اصلاحه ومبادئه في التعليم والتهذيب في الشام بأسرها ، بل وتعداها الى الاقطار المجاورة ٠

وان كل من عرف الصديق الراحل ، ليقضي له بالتفرد بين ابناء جيله في علمه وتهذيبه ومراميه العالية في الاصلاح الاجتماعي الذي بدأ به من المدارس الوطنية القائمة على تقوية الملكات والعواطف القومية الشريفة ٠ رحمه الله عداد حسناته لهذا الوطن وعزى الفضائل والآداب بهذا الرجل الصالح الذي استولى في هذا العمر القصير على خصل السبق في مضمار الجهاد العقلي والحياة الانسانية الكاملة فكان حقًا وصدقاً طبيب اشباح وحكيم ارواح ٠ م ٠ ك

اعضاء المجمع في الغرب

« السيد يوحنا اهتينين كرسكو »

هو يوحنا بن صموئيل اهتينين كرسكو وزوجه الشرعية لوفيز كلاهما من طبقة الفلاحين ٠ وهو استاذ للفلسفة خريج جامعة « هيلسينغفورس » قاعدة الجمهورية الفينلندية ، ومدير مدرسة بلدة كنغاصالا من اعمال فينلنديا (سوومي) ٠ ولد في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الاول سنة ١٨٨١ ٠ ويدين بالمسيحية على مذهب الفرقة « التقوية » المنشعبة من الطائفة الانجيلية اللوثيرية ٠

دخل المدرسة الاعدادية في خريف سنة ١٨٩٣ وأتم دروسه في ربيع سنة ١٩٠٢ ثم التحق بجامعة هيلسينغفورس في خريف سنة ١٩٠٣ وأنجز دروسها في ربيع سنة ١٩٠٨ وأحرز شهادة أستاذ في الفلسفة في اليوم السادس عشر من شهر شباط سنة ١٩١٢ ٠

وفي اول سنة ١٩١٣ دخل فرع اللغات الشرقية في جامعة لينيغراد فدرس اللغات : العربية والفارسية والتركية وتمرن فيها الى نهاية سنة ١٩١٤ وتولى إدارة المدرسة الاعدادية الفينلندية في ضواحي لينيغراد الى نهاية سنة ١٩١٧ ثم تحرير صحيفة فينلندية في مدينة آبو عاصمة فينلنديا قديمًا ٠

وكان قد درّس اللغات والعلوم في مدارس وطنية في سني : ١٩٠٢ — ١٩٠٣ ١٩٠٥ — ١٩٠٦ و ١٩٠٩ — ١٩٢٤ .

اما اللغات الاجنبية فيحسن منهـا : الروسية والالمانية والاسوجية والفرنساوية والانكليزية ويعرف اللاتينية والسلافية وفروعهـا السربية والبلغارية والبولونيـة وغيرها . وتزوج سنة ١٩٠٩ المعلمة ايريني ابنة انطون كرسكو ورزق منهـا ولدين ذكراً وأنثى اسمهما المَري ورَوْني .

وقد أحب اللغة العربية وهو صغير السن اذ كان يقرأ اخبار السيّاح ومذكرات أستاذ اللغة العربية في جامعة هيلسينغفورس المرحوم عبد الولي (جورج والين) وصار همه الشاغل نشرها بين شبان فينلنديا وفيها ينشر في صحف الاخبار والمجلات المقالات الممتعة تحقيقاً لهذه الغاية المحمودة ، ولا يني حتى اليوم يسعى في نشر هذه الضـالة المنشودة . وهذا هو تعريب شهادته :

« ما أبصر الله بادارة الاشياء كلها .

« انه في سلطنة نقولا الثاني عاهل الروس كلهم وامير فينلنديا العظيم السامي الجلال » .

« رُقي الرجل الجليل جداً يوحنا صموئيل أهتينين كَرْسِكو طـالب الفلسفة الى درجة أستاذ للفلسفة وجُهِّز بجميع حقوق هذه الدرجة وامتيازاتها وفقاً (لنظام اندراوس — الجامعة الامبراطورية) في فينلنديا — ووفقاً للامر المطلق الشرعي لهيأة نظام الفلاسفة العظيم في هذه الجامعة » .

في هيلسينغفورس في اليوم السادس عشر من شهر شباط من سنة ١٩١٢ .

وانا المعطي شرعاً حق هذه الترقيـة أثبت هـذا القرار بتوقيعي وبوضع طابع نظام الفلاسفة . أ . دونير

آراء وافكار

تعليق على رحلة ناصر خسرو القبادياني

قرأت في مجلة المجمع العلمي الزاهرة[1] الشطر البديع الذي نقله الى اللغة العربية العلاّمة الرئيس الأستاذ كردعلي من رحلة ناصر خسرو القبـادياني فقرّت به عيني وشكرت للصديق المعنّ المفنّ، عنايته هذه التي تناولت نشر اول رحلة قام بها مسلم في ديار الشام، وقد استوقف نظري بعض هنات ربما كان مصدرها غلط النساخ وشطط المترجم — اي الذي نقل الرحلة من الفارسية الى الافرنسية — ومن ذلك قوله (ص ٦٥) : « ومثل ذلك من حلب الى طرابلس (؟)[2] » وأظن انه اراد ان يقول الى جرابلس بدليل تمام العبارة وهي : « و يقال انالمسافة الى القسطنطينية هي مائتا فرسخ » وجرابلس بين حلب والقسطنطينية ·أقول ان هذا الغلط نشأ عن الناسخ او المترجم لان الرحالة عاد فذكر المسافة بين حلب وطرابلس ومن الغلط ذكره قرية جنـد قنسرين فالقرية هي قنسرين على ما ذكرها علماء تقويم البلدان[3] وهي قاعدة الجند المسمى باسمها ·

ومن ذلك نعت ابي العلاء المعري بحـاكم معرة النعمان[4] فلعله يريد ان يصفه بانه حكيمها وهو عندوصفه، بل وحكيم الشرق بلا مدافع · اما قوله بان نوابه يقضون مصالح الناس فقد تنصرف هذه الجملة الى مريدي شيخ المعرة وتلاميذه الذين كانوا

---

(١) مجلد ٦ ص ٦٤ · (٢) وهكذا ترجمها لاسترانج مترجم الرحلة من الفارسية الى الانكليزية عن نسخة المتحف البريطاني في لندن · (٣) ذكرت قنسرين في الاعلاق النفيسة لابن رستة والتنبه والاشراف للمسعودي وصفة جزيرة العرب للهمذاني والمسالك والممالك لابن خرداذبة واحسن التقاسيم للمقدسي وذكرها ياقوت في مادة اجناد الشام الخمسة جزء ا ص ١٣٦ طبع ليبسك وذكرها في مادتها الاصليـة قنسرين ج ٤ ص ١٨٤ من كتابه معجم البلدان · (٤) وهكذا ترجمها مترجم الرحلة الى الانكليزية ·

ير بدون الناس على الخير و يدعونهم الى الوفاق والوئام • وقد ذكر لنا الرحالة كويمات (ص٦٦) التي وصل اليهـا قبل حماة ، وهذه لم يذكرها ياقوت في معجمه ولا ندري اذا كانت لا تزال آهلة (؟) فقد كتبنا لعالم من علمائها نسأله عن ذلك فلم يحر جواباً •

وقد أحسن صديقنا العلامة صنعاً في وضع لعلّها البترون الى جانب ترابوزن (ص٦٨) ولكن هل البترون بالتاء او بالثاء (؟) فاذا كان القصد اسمها المعروف اليوم بين العوام فهو صحيح ولكن البثرون بالثاء[1] كما لايخفى على الصديق الباقعة • على ان الترجمة الانكليزية تقول في الصفحة التاسعة من الرحلة ان ترابوزان هي تحريف ثيو بروز بون وهو اسم رأس الشقعة باليونانية وهذا الرأس هو شمالي البثرون الحديثة •

وقد استوثقنا من تسمية الرحالة عكّا بالالف (ص ٦٩) اذ كان ابن جبير الاندلسي[2] و ياقوت الحموي[3] وابن بطوطة[4] والامام ابن تيمية في بعض رسائله كتبوها بالتاء المربوطة ولعلهم جميعاً قلدوا ابن جبير الاندلسي في حين ان المتقدمين من جغرافيي العرب مثل ابن واضح اليعقوبي مؤلف كتاب البلدان[5] والهمذاني مؤلف صفة جزيرة العرب وابن خرداذبة مؤلف كتاب المسالك والممالك وابو الفرج قدامة مؤلف كتاب الخراج وابن رستة مؤلف كتاب الأعلاق النفيسة والمقدسي مؤلف كتاب احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم رسموها بالالف كما انها وردت في الشعر العربي على ذلك النحو في أبيات نقلها ابو الفرج الاصبهاني الى كتابه الاغاني[6] من نظم شاعر من اليمن قيل انه النجاشي يندّد بقومه و يحرضهم على قيس • وقد كان معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه يغزو البحر باليمن و يغزو البر بقيس فلما بلغتـه الأبيات بعث يسترضي اليمن و يعتذر اليهم بقوله : « ما أغزيتكم البحر الا لاني أتيمن

(١) معجم البلدان ج١ ص٤٩٣ • (٢) رحلة ابن جبير طبع مصر ص ٢٨٥ • (٣) معجم البلدان ج ٣ ص ٧٠٧ • (٤) تحفة النظار في غرائب الأمصار طبع مصر ج ١ ص ٣٥ • (٥) كتاب البلدان طبع ليدن سنة ١٨٦٠ ص ١١٥ وطبع ليدن سنة ١٨٩١ بذيل كتاب الأعلاق النفيسة ص ٣٢٧ • (٦) الاغاني ج١٨ ص ٧٠ من طبعة الساسي •

بكم وان في قيس نكداً واخلاقاً لا يحتملها الثغر وانا عارف بطاعتكم ونصحكم فأما اذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونوا جميعًا فيه واجعل الغزو فيه عقبًا بينكم فرضوا فعل ذلك به فيما بعد » وهو من أوقع المعاذير وأحكمها ويكفي ان يكون صادراً عن ذلك الداهية العظيم . وهذه هي الأبيات :

الا أيها القوم الذين تجمعوا بعكا أناس انتم ام أباعرُ
أنترك قيس آمنين بدارهم ونركب ظهر البحر والبحر زاخر
فوالله ما أدري وإني لسائل أهمدان يحمي ضيمها ام يحابر
ام الشرف الأعلى من اولاد حمير بنو مالك اذ تستمر المرائر
أأوصى ابوهم بينهم ان تواصلوا وأوصى ابوكم بينكم ان تدابروا

ومقام النبي صالح اليوم خارج سور عكا الذي رممه الظاهر عمر الزيداني سنة ١١٦٣ هـ ١٧٤٩ م وهو في وسط مقبرة المسلمين فاذا كان المقام كان في المسجد الاعظم وهذا كان في وسط المدينة كما ذكر الرحالة فتكون عكا الحاضرة جزءاً صغيراً من الاصل الكبير الدارس .

وعكا أخت القسطنطينية العظمى ومجتمع الرفاق وميناء الحاج في القرن السادس (١) وعين البقرة لاتزال ينزل اليها بست وعشرين درجة . كأن الذين تولوا عمارتها مرة بعد أخرى قد حافظوا على هندستها الأصلية . وليست هي تنبع من مكانها وانما يتصل اليها الماء من مجرى قديم قد امتلأ بالاتربة فصار يرشح الماء منه رشحًا وقد علمت ذلك بعد ان وكلت الى بعض العملة امتياح مائها والوصول الى قعر العين فظهر لي المجرى الذي يأتي اليها من الشرق ولم تمتلئ العين بالماء الا بعد مضي يوم كامل من امتياحه . وقد تتبعت هذا المجرى فتراءى لي انه يتفرع عن مجرى أوسع منه نطاقاً يأتي من الشمال الى الجنوب الى عين اخرى اسمها عين الست . وقد كان اهل عكا يستقون ماءهم منها لما كانت قناة ماء الكابرة مقطوعة عنها وذلك قبل اربعين عامًا تقريبًا . وقد قال لي بعض شيوخ عكا ان الأهلين كانت لا تفارقهم الحميات بسبب رداءة ذلك الماء وكانت تعلو وجوههم صفرة المرض الى ان قيض الله لهم حاكمًا عاملاً على الخير فرمّ القني بين بستان البهجة وعكا واعاد مياه الكابرة الى مجاريها .

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٨٥ .

هذه هي العين التي زعموا ان آدم كان يسقي بقرته منها — تلك البقرة التي كان يحرث بها ارض مسجد عكا — وكان يحمل نفسه مؤونة النزول والطلوع اليها ومنها ليتاح لها الماء الكافي · وقد علمتَ انها لم تكن عيناً وانما هي شعبة من قناة قديمة أوشكت على الانسداد ·

على ان الخرافات في شرقنا تنقل من الاجيال الى الاجيال · فلا يزال الناس يعتقدون في هذه العين الكرامة ويقصدون اليها للاستحمام بمائها و يتبركون بزيارتها وقد لاحظت انه كان على واجهة القبة الصغيرة المبنية على العين لوح تاريخ قد رُفع من مكانه فشغر محله وقد أيّدت ظني هذا امرأة اقامت نفسها قيمة على العين فهي تتعهدها بالتردد عليها و كنس ادراجها وتنظيفها عند الحاجة ونصب الأعلام الخضراء التي ينذرها لها الناذرون من السذج — وقالت ان بلاطة التاريخ قد سُرقت قبل ثلاثين عاماً وزادت على ذلك بانها تتولى خدمة هذه العين والقيام عليها بالوراثة عن والديها ·

قالت وقد ظهرت منذ سنين قطعة من رخامة مكسورة بين الأتربة والحجارة التي كانت تجمعت في العين لا يقرأ منها الا كلمة «طوب» وهو اسم المدفع بالتركية واهل عكا يأنسون بهذه الآلة الجهنمية ويعرفونها حق المعرفة لان بلدهم كانت الى الايام الأخيرة قلعة حصينة والمدافع تكتنفها عن ايمانها وعن شمائلها ·

اما انا فأظن ان هذه الكلمة ليست «طوب» وانما هي «طوبى» وهي اول كلمة من حديث من الأحاديث الموضوعة التي لفقوها على المدائن والأمصار وهذا الحديث هو « طوبى لمن رأى عكة » والظاهر ان بلاطته كانت ملصقة على قبة العين والاحاديث الموضوعة عن عكاء او عكة كثيرة سردها الشيخ محمد بن شيخ الاسلام جعفر الكتاني الحسني في كتابه (شفاء الاسقام والآلام بما يكفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب والآثام) ونفاها نفياً باتاً (١) ·

---

(١) شفاء الاسقام ص ٤٣ وهذا نصُّ ما ورد في الكتاب :

« الخصلة الخامسة والعشرون · منها دخول مدينة عكاء بالمدّ ويقال لها عكة بتاء التأنيث وهي بلدة مشهورة من الثغور الشامية وكأنه للرباط فيها ان صحت الرواية

وعلى ذكر الأحاديث الموضوعة عن المدن والامصار أريد ان أجاهر برأي ربما أثار غضب الجامدين . وهو ان هذه الأحاديث قد وُضعت لأغراض سياسية شريفة وألبست ثوباً من الدين والدين سلطان تخضع له النفوس وتعنو أمامه الرقاب والغاية من ذلك هو حمل المسلمين وهم في بدء حياتهم السياسية على احتمال المشاق ، وتكبد الاسفار . وإحكام الدفاع عن الثغور والبلدان التي كانت لها ميزة حربية إذ كان من الصعب ان يستسهل المسلم البدوي الضارب في عرض الارض الساكن في بيوت الشعر الدخول الى القفص والاقامة بين الجدران لولا ذلك السلطان الديني .

ولنرجع الآن الى ما كنا عليه من التعليق على الرحلة : قال الرحالة (ص ٧٠) انه اجتاز بقرية بروة ودمون وعبلين قبل ان يصل الى قرية حاضرة والقرى الثلاث الاولى لم يذكرها ياقوت ولكنها لا تزال آهلة فالاولى وتسمى البروة عدد سكانها ٨٠٧ والثانية وتسمى الدامون بزيادة الف بين الدال والميم وسكانها ٧٢٧ والثالثة عبلين وسكانها ٨١٧ نسمة .

اما قرية حاضرة[1] فأظن انها محرّفة عن كفرمندة وهي التي فيها قبر امرأة موسى كما ان جهة اربل او اربد هي من متممات تلك القرية التي فيها ايضاً قبور بعض ابناء يعقوب .

وهذا ما يقوله ياقوت عنها[2] : كفرمندة قرية بين عكا وطبرية بالأردن يقال بذلك ذكرها ابن حجر والخطاب ولم يذكر السيوطي . اخرج ابو الحسن الربعي في فضائل الشام ايضاً عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مدينة بين الجبلين على البحر يقال لها عكاء من دخلها رغبة فيها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له الله في خروجه و بها عين تسمى عين البقر من شرب منها ملأ الله بطنه نوراً ومن أفاض عليه منها كان طاهراً الى يوم القيامة قال الحافظ بن حجر حديث منكر جداً وفي اسناده غير واحد من المجهولين قال الخطاب وفي الفاظه ركاكة وآثار الوضع ظاهرة عليه اه . وهو حقيق بذلك كما لا يخفى على من مارس السنة وعرف جزالة الفاظها ومقاصد الشرع منها ومما يشبه ان يكون موضوعاً ايضاً ما ذكره الجوهري في صحاحه من حديث « طوبى لمن رأى عكة » .

(١) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٩١ وعدد سكانها اليوم ٤٢٧ نسمة . (٢) في الترجمة الانكليزية تقرأ حذيرة او هذيرة .

لها مدين المذكورة في القرآن والمشهور ان مدين في شرقي الطور وفي قرية كفرمندة قبر صفوراء زوجة موسى عليه السلام وبه الجب الذي قلع الصخرة من عليه وسقى لها والصخرة باقية هناك الى الآن وفيه ولدان ليعقوب يقال لهما أشير ونفتالي .

واظن ان قوله (ص٧٢) « وبلغني انه يستخرج من قعر بحيرة طبرية مادة في شكل البيضة لونها اسود وتشبه الحجر ولكن ليس لها صلابته فتستخرج وتكسر وتحمل الى المدن والولايات » يجب ان يكون مصروفاً الى بحيرة لوط فهي التي عُرف عنها منذ اواسط القرن الرابع للهجرة انها تخرج ملحاً يصلح للصاغة وقير يسمى بالحمر وهو قفر اليهود[1] وقد اورد الرحالة هذه العبارة بعد ذكره لبحيرة لوط وبها ختم حديثه عنها .

ويؤيد هذا الظن تعريب الترجمة الانكليزية لهذه العبارة فقد اورد المترجم وهو يسوق الحديث عن بحيرة لوط :

« وقد اخبرني احدهم ان في مياه هذه البحيرة المالحة مادة تجمع من زبد المياه لونها اسود تشبه في هيئتها جسم ثور عائم وهذه المادة (وهي الاسفلت) تشبه الحجر غير انها اقل صلابة منه والناس يكسرونها ويبعثون بها الى المدن لتستعمل في قتل الديدان والحشرات » .

وقبر ابي هريرة (ص٧٢) لم يبق منه اليوم الا لوحه الذي زُبر عليه :

« هذا قبر ابي هريرة صاحب رسول الله » وهذا اللوح محفوظ في ضريح السيدة سكينة الكائن بين مدينة طبرية وبين حماماتها المعدنية .

وقد افادنا بعض العارفين ان هذه البلاطة وُجدت في الايام الاخيرة الى جانب محراب قديم في الطابق السفلي من دار كانت لرجل يدعى عبدالله الحسين باعها من آخر يسمى مصطفى سنجر فدرس المحراب والبناء القديم ونقلت البلاطة الى ضريح السيدة سكينة . وعلى ذكر ابي هريرة يجدر بنا ان نصحح ما يذهب اليه بعضهم من ان قبره في طبرية كما ذكره هذا الرحالة او في الرملة كما ذكره غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري[2] او في قرية يُبنى من قرى مقاطعة غزة من فلسطين كما ذكره العماد

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة (ص٧٩) واحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي (ص١٨٤) . (٢) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك (ص ٤٢) .

الاصفهاني الكاتب الذي يقول انه زاره وجيش صلاح الدين يوسف بن ايوب و بادروا للتيمن به اليه في طريقهم الى عسقلان[1] وكما كان ذكره ياقوت في معجم البلدان (ج٤ ص١٠٠٧) اذ يقول « فيه قبر صحابيّ بعضهم يقول هو قبر ابي هريرة وبعضهم يقول قبر عبد الله بن ابي سرح » وقد نفى مجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس والخليل (ج١ ص٢٣٣) وجود قبر ابي هريرة في يبنى وقال عنه هو بعض ولده .

والحقيقة ان اباهريرة قد توفي في قصره بالعقيق وحمل الى المدينة ودفن فيها [2] ولكنه من أجلة اصحاب الرسول الذين كانوا يرافقونه في خلواته وجلواته ومن الذين دخلوا الارض المقدسة إبان الفتح الاسلامي .

وقرية كفر كنّا (ص٧٢) التي عاد منها الرحالة الى مدينة عكا لاتزال آهلة وقد ضبطها ياقوت في معجمه [3] بالالف خلافاً للرحالة التي ضبطها بالتاء المربوطة وهي اليوم على قارعة الدرب المسلوك بين الناصرة وطبرية وعدد سكانها ١١٧٥ نسمة .

والكُنيّسة التي جاءها الرحالة بعد حيفا (ص٧٢) لا وجود لها اليوم وانما في الجانب الغربي من قرية الطيرة التي كانت تسمى قديماً طيرة اللوز وعلى ساحل البحر المتوسط خرابة تدعى الكنيّسة وآثارها تنطق بعمرانها القديم ولعل اهل هذه القرية هم الذين انشأوا قرية الطيرة المحاذية لها إثر حادث من حوادث التاريخ فانتقلوا من الشاطئ الى سفح جبل الكرمل وتربة هذه القرية التي تحوي ٢٣٤٦ نسمة من السكان خصبة وحارة و يجود فيها البطيخ وتسبق جميع بلاد الساحل باستواء زروعها ونضج غلاتها لاسيما الزيتون .

اما وادي التماسيح الذي يأتي بعد الكنيّسة (ص٧٢) فعلى ماأظن هو زور الزرقاء وهناك نهر صغير تعيش فيه التماسيح وقد شغل بالي وجودها في ذلك النهر الصغير مدة طويلة و بحثت عن علة وجودها فيه فقيل لي ان جيش ابراهيم باشا لما قدم الشام من مصر خيم في تلك الارض الفسيحة فأخذت المحميّات الناشئة عن البطائح والمستنقعات المتكوّنة من مجرى النهر الهادئ تفتك بجنوده مما حمّله على نقل بعض التماسيح من نهر النيل اليه

(١) الفتح القدسي طبع مصر (ص ٣٠٥) . (٢) الاصابة في تمييز الصحابة (ج ٧ ص ٢٠٧) . (٣) معجم البلدان (ج ٤ ص ٢٩٠) .

لتلتقط جراثيم البعوض من البطائح فيأمن بذلك مغبة انتشار الحمى وكدت ان أقبل هذا الرأي لقربه من العقل وكان يؤيد ذلك عندي ما اعلمه من امر التماسيح وانها لا توجد الا في نهري النيل ومهران في مصر والهند [١] ولكن هذه الرحلة قد كشفت لنا الغطاء وأثبتت وجود التماسيح في ذلك الوادي قبل قرون متطاولة وان لم تصرّح بوجودها. الا ان تسمية المكان بوادي التماسيح لاتدع مجالاً للشك والارتياب في نسبته اليها . ولم يذكر ياقوت الحموي وادي التماسيح في معجمه .

اما قيسارية (ص٧٣) المذكورة في معجم البلدان لياقوت [٢] والتي حافظت على كيانها وعمرانها دهوراً طويلة فهي اليوم قرية حقيرة عدد سكانها ٣٤٦ نسمة .

ومن المستبعد على الرحالة اي يشبّه الرمل الذي بين قيسارية وبين كفر سابا برمل مكة ونرجح انه شبهه برمل عكة وقد وصفه (ص٧٢) بانه يستعمل للصياغة في بلاد فارس [٣] .

اما كفر سابا التي ذكرها ياقوت [٤] فهي اليوم من القرى الصغيرة وعدد سكانها ٥٤٦ نسمة وقد قرن الرحالة كفر سلاّم بكفر سابا ظناً منه انهما واحدة مع ان ياقوت [٥] أفرد لكل منهما مادة مستقلة ولا أثر اليوم لكفر سلاّم .

وقد جاء في وصف الرملة (ص٧٣) « وتعرف هذه المدينة في الشام والمغرب باسم فلسطين » والى جانب فلسطين « كذا » مما يدل على ان المترجم لم يتثبت من هذه التسمية مع ان بعض جغرافيي الغرب ورحالتهم ذكروها بذلك الاسم ومن هؤلاء ابن بطوطة [٦] فقد قال « ثم سافرت منها الى مدينة الرملة وهي فلسطين الخ » وقال ابن فضل الله العمري [٧] « الرملة وهي فلسطين » ويظهر ان هذه التسمية هي من قبيل اطلاق الجزء على الكل او الفرع على الاصل .

---

(١) احسن التقاسيم (ص٢٣) . (٢) معجم البلدان (ج٤ ص٢١٤) . (٣) في الترجمة الانكليزية يقول ان رمل قيسارية هو من النوع الذي يسمى رمل مكة . (٤) و (٥) معجم البلدان (ج٤ ص٢٨٨) . (٦) تحفة النظار في غرائب الامصار (ج١ ص٣٥) . (٧) التعريف بالمصطلح الشريف (ص١٧٧) .

وخاطون التي ذكرها الرحالة (ص ٧٤) هي مصحفة عن أطرون المذكورة في معجم ياقوت (ج ١ ص ٣١٠) وتعرف اليوم بالأطرون كما علق على ذلك العلامة الرئيس وعدد سكانها اليوم ٥٩ نسمة وبجانبها دير يسمى دير الاطرون عدد سكانه ٣٧ نسمة .

وقرية العنب التي ذكرها بعد أطرون (ص ٧٤) معروفة اليوم باسم قرية ابي غوش جدّ احد البيوتات القديمة وفيها من السكان (٥٤٨) نسمة وهذه القرية قد ذكرها ياقوت في معجمه (١) باسم حصن العنب وهي في الشرق من الرملة حيث طريق بيت المقدس التي سلكها الرحالة .

هذا وقد ورد في ثنايا التعريب اسماء لمقاييس فارسية مثل آرش وكوز وكز وهذان الاخيران يجب ان يكونا شيئاً واحداً — يهم القارئ معرفتها ولذلك فاننا نبسط للقارئ ما استنتجه عنها السيد جاي لاسترانج (Guy Le Strange) الذي ترجم الرحلة من الفارسية الى الانكليزية فقد قال في الصفحة التاسعة من مقدمته ان الآرش والذراع متعادلان وان الكوز عادل احياناً اليرد الانكليزي واحياناً الذراع العربي وانه هو والآرش في رحلة ناصر خسرو شيء واحد اه .

قلنا والظاهر من استعمال الرحالة لهذين المقياسين في مواضع مختلفة ان الآرش للمساحات المسطحة والكوز للاطوال والعروض . اما الترجمة الانكليزية التي اخذنا عنها فقد طبعت سنة ١٨٨٨ م في المجلد الرابع من الرحلات التي نشرتها (Palestine Pilgrim Iext &oc.) وهي مترجمة عن نسخة المتحف البريطاني في لندن . وقد حدثت أغلاط مطبعية في أرقام السنين في مجلة المجمع فقيل ان الرحلة ابتدأت سنة ٤٣٧ هـ ١٠٣٥ م وصوابها ٤٢٧ هـ وانتهت سنة ٤٤٤ هـ ١٠٤٢ م وصوابها ٤٣٤ هـ كما يتضح من الارقام الاخرى المعربة عن الرحلة والواردة في سياق الكلام .

هذا ما اردنا تعليقه على رحلة ناصر خسرو وعلى الله قصد السبيل .

حيفا : عبد الله مخلص

---

(١) معجم البلدان (ج ٢ ص ٢٧٧) .

مطبوعات حديثة

تحت راية القرآن

« المعركة بين القديم والجديد » بقلم السيد مصطفى صادق الرافعي طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٥ — ١٩٢٦ بعناية المكتبة الاهلية ص ٤٣٧

لما نشر المرحوم قاسم امين كتابه «تحرير المرأة» ثم «المرأة الجديدة» في مصر قام بعض المفكرين والادباء وألفوا في الرد عليه بضعة كتب ميزت الامة عقبها المخطئ من المصيب . ولما ألف الاستاذ السيد علي عبد الرازق كتابه في الخلافة قام بعض الفضلاء فردوا عليه ونشروا ايضاً عدة كتب في تخطئته فعرف المنصفون المخطئ من المصيب . ولما نشر الاستاذ الدكتور طه حسين في السنة الماضية كتابه « في الشعر الجاهلي » قلنا في وصفه (ص ٢٤٠ م ٦) : « ولا شك ان كتابه سيجد من مخالفيه مقاومة شديدة يربح العلم الحديث عقباها كتاباً آخر يناقض هذا الرأي وعندئذ يخسر الدكتور طه قضيته او يربحها » . وهذا الكتاب « تحت راية القرآن » احد الاسفار التي نشرت في مصر للطعن في رأي صاحب الشعر الجاهلي ، ابان فيه المؤلف بما عنده من النصوص ان خصمه مخطئ كل الخطإ في رفع الثقة من جميع ما قيل في شعر الجاهلية وأظهر ماارتآه من مخالفة اقواله للشريعة والقاء الشكوك في تاريخ الامة ، بيد انه استعمل لساناً حاداً في التخطئة والنقد ، كادت تحيل كتابه الى قصة يراد بها السخرية والنكتة ، لا الفائدة المبتغاة من تقرير حقيقة ، فضاع الجد في تضاعيف الهزل . وهذه طريقة لبعض المؤلفين قلما يعمد اليها الناقدون الذين ينزهون العلم عن العبث و يتوخون الاحتفاظ بجماله وجلاله . ونحن ممن يريد ان ينزه النقد عن التحامل والشخصيات ليحسن موقع القول في نفوس الموافقين والمخالفين . ولا يسعنا هنا الا الثناء على صديقنا المؤلف لهمته وصدق عزيمته ولتبريزه في ميدان البلاغة والبيان ، فان انشاءه الرائق المتين يذكرنا بعهد ارتقاء اللغة العربية في بعض قرونها الذهبية . ونحث على مطالعة كتابه فانه نموذج مهم في الادب الجديد .

محمد كرد علي

الشهاب الراصد

تأليف السيد محمد لطفي جمعة طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر
سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٦ ص ٢١٧

هذا بحث تحليلي انتقادي ورد علمي تاريخي على كتاب « في الشعر الجاهلي » وصديقنا مؤلفه احد اركان النهضة المصرية الحاضرة وله تآليف وابحاث كثيرة ونظر دقيق في تطور المدنيات القديمة والمدنيات الجديدة . ساعده عليه تمكنه من آداب العرب والانكليز والفرنسيس وقد تلطف بتناول الرد على صاحب الشعر الجاهلي باسلوب علمي جمع فيه البراهين على إسقاط دعوى خصمه بلسان الناقد الحريص على اظهار الحقيقة وذلك على الطريقة العصرية وقسم موضوعه الى ابواب وفصول بين فيها طريقته في نقده وذكر بعض نقاد الادب العربي في القديم والحديث وفن النقد في الآداب الفرنسية قديماً وعلى عهد (بسكال ودبكارت) وفي العصر الاخير وشرح مذهب ديكارت واثبت ان مؤلف الشعر الجاهلي القائل بمذهبه والداعي اليه ناقض مذهبه في كثير من المواطن وابان ان الشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية قبل الاسلام في كل مظاهرها وان الامم القديمة واهل المدنيات الحديثة تعتقد بوجود الجن ، والشعر المنسوب اليهم عند العرب كالشعر الذي يؤلفه العصريون ويلتمسون الالهام من ربة الشعر . واستشهد على قضاياه باقوال علماء المشرقيات في معظم الامم الغربية الذين عالجوا الموضوعات العربية والاسلامية وتعرض للعرب وشعوبهم وقبائلهم وانسابهم ولهجاتهم في جنوبي الجزيرة وشمالها وكيف كانت قريش كالمجمع اللغوي تسيطر على لهجاتها وتتهذب اللغة في الاسواق الادبية . والمّ بفضل لغة قريش على سائر لغات العرب قبل الاسلام واللهجات في اليونانية القديمة واللغة الفرنسية وغيرها وقارن بين العرب واليونان والرومان في الفتوح واورد كيف كان الشعر في صدر الاسلام وشرف الرسول وسيادة قبيلته وردّ ما ادعاه الاستاذ هوار من ان أُمية بن ابي الصلت أثر بشعره في القرآن الكريم ، وما كان من امر الشعوبية والرد عليهم وما قاله علماء المشرقيات في صحة الشعر الجاهلي وذكر ماهية الانتحال في الجاهلية والاسلام . كل ذلك ببحث مشبع

بالنزاهة مأخوذ من المظان المعتبرة عند العرب والافرنج دل على رسوخ المؤلف في فنه ووقوفه على روح الامم وروح المؤلفين فنهنئه بهذا التأليف الذي هو الثاني من نوعه في نقد قضية الاستاذ الدكتور طه حسين ٠

م ٠ ك

سورية والسوريون

« من نافذة التاريخ »

للدكتور فيليب حتي طبعت سنة ١٩٢٦ في المطبعة التجارية السورية الاميركية في نيو يورك ص ١٠٧

هذه محاضرات القاها الدكتور حتّي احد اعضاء المجمع العلمي العربي في نيو يورك ونشرت في مجلة «العالم الجديد» ذكر فيها اصول الشعب السوري ، وما استفاده الغرب من الشرق في الحروب الصليبية في العلوم والصناعات ومرافق الحياة ، وما بلغته الشام في اعلى قمم مجدها في العصر الأُموي وذكر فتوحات الأُمويين ومدنيتهم وفتحهم الاندلس وما اليها من بلاد البربر في افريقية ٠ وكل ذلك بلسان المؤرخ المنصف وبتحقيق عودنا اياه رصيفنا العلامة حتي ٠ وشتان بين من يعمل مثل هذا المؤلف للعلم المحض وجلاء الحقيقة ، ومن يعمل لنشر دعوة خاصة ونحلة معروفة و يستتر وراء جدران التاريخ وقد لاحظنا عليه فقط قوله في (ص ٣٥) ان العرب المسلمين كان همهم في الدرجة الاولى جباية الجزية وجمع الاموال من أبناء البلاد الاصليين ، وليس من مصلحتهم الاقتصادية ان تدين الامة المغلوبة بدين الغالب اذ الجزية تسقط بالاسلام ٠ فهذه القضية غير صحيحة لان العرب خيروا الامة المغلوبة بين ثلاثة اشياء « الاسلام او الجزية او السيف » ٠ والدعوة دينية صرفة ولكن « لا اكراه في الدين » وقد عد بعضهم هذا التسامح المحمود ضعفاً وعزوه الى مسائل اقتصادية ٠ ونشكر للرصيف اجتهاده في خدمة امته وبلاده ٠

م ٠ ك

الآراء والمعتقدات

تأليف الدكتور غوستاف لوبون ونقله الى العربية الاستاذ محمد عادل زعيتر
ونشره الاستاذ الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر

هذا كتاب اجتماعي يبحث في مصدر المعتقدات غير العقلي والعناصر التي تتألف شخصية الانسان من مجموعها ، وفي الارادة غير الشاعرة وفي العراك بين المنطق العاطفي والمنطق الديني ومنطق الجمهور والمنطق العقلي ، وفي اسباب اختلاف الآراء وانتشارها وقد قال المؤلف في آخر كتابه : وهكذا توصلت الى ناموس فلسفي مهم وهو ان مبادئنا تشتق من انواع المنطق المختلفة ، لا من مصدر عقلي مشترك ، فمن تغلب احد هذه الانواع على الاخرى او تصادمها ظهرت اكبر حوادث التاريخ ... وكل ما نعرفه حتى الوقت الحاضر هو اننا مسيرون بثلاث حقائق « أعني الحقائق العاطفية والحقائق الدينية والحقائق العقلية » وانه لا قياس مشترك بين هذه الحقائق الصادرة عن انواع المنطق المختلفة .

هذا مغزى الكتاب ، والمؤلف من فلاسفة فرنسا الاحياء مشهور بابحاثه النفسية والفلسفية والتاريخية لا يحتاج الى تعريف ، اما المترجم فهو من اساتذة نابلس ومن اهل الثقافة الحديثة ترجم قبل هذا الكتاب « روح الاشتراكية » للمؤلف نفسه ، وعبارته سهلة مقبولة أشبه بعبارة المؤلف الاصلي في سلاسة قلمه . فنشكر للمعرب والناشر عنايتهما باخراج مثل هذه الاسفار النافعة للناس ، يزيدون بها مادة البحث والتفكير . لا جرم ان المعرب المجيد لا يقل في فضله عن المؤلف مباشرة ، وكثير من المباحث نحتاج فيها اليوم الى التعريب اكثر من الوضع . م . ك

الحديث

مجلة شهرية تصدر في حلب وتبحث في الأدب والتاريخ والعلوم الاجتماعية اصاحبيها السيدين سامي الكيالي وادمون رباط قال منشئها « نحن لا نريد ان ننكر هذا الماضي الخالد بذكرياته الرائعة — وذكرياته هي كل ما بقي لنا من تراث الاجداد —

ولكننا نتساءل أيمنعنا هذا الحرص على الماضي ان نكون جامدين الى حد ان لا نفهم هذا التراث على صورته الحقيقية » . وفي هذا الجزء مقالات مهمة نافعة منها مقالة في الكتابة واثرها في حياة الامم لاحمد لطفي بك السعيد ومدارس الشام في الاسلام للسيد محمد كرد علي والمجلات واثرها لاسماعيل بك مظهر . ومن المقالات المعربة « مقالة المدنية الفينيقية » و « ما افاده العلم للانسان » الى غير ذلك من الابحاث والفوائد مما مثل للقارئ بذوق وأدب . فنثني على منشئها الفاضل الكيالي ونرجو زيادة العناية بمجلته في تجويد موضوعاتها والتوقي من الاخطاء والاغلاط ما امكن ، حتى تكون مجلة «الحديث» من العوامل المفيدة في نشر العلم ومرجعاً من مراجع الآداب عند العرب .

مرقاة المترجم

تأليف الاب يوسف علوان اللعازري طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٦ مجلدان كل مجلد يقسم الى قسمين كتاب المعلم وكتاب التلميذ

هو سفر وضعه مؤلفه للصفوف العالية في اللغتين الفرنسية والعربية كسره على مسائل تجارية وقضائية وبعض أمثال وحكم وأشعار وقصص واخوانيات ليلقن الطالب روح الترجمة من الافرنسية الى العربية وقد شفع ذلك بمعاجم صغيرة حوت الألفاظ التي يحتاج اليها الطالب ومصطلحات الشام والغرب في التجارة والقضاء وغير ذلك مما هدته اليه التجارب والمران على الترجمة وتعليمها زمناً ولم نلاحظ على المؤلف الفاضل الا بعض التساهل في اختيار بعض الألفاظ العربية ولعله يتوخى التفهيم بالمصطلح ولو كان غير فصيح ذهاباً مع من يقول : « الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور » على ان المؤلف يمدح قصده وتشكر همته . وعساه في الطبعات المقبلة يضع هذا المعنى تحت النظر .

م . ك

الجزء الاول

« من مبادئ الفيزياء »

تأليف فرنان ماير وتعريب السيد ابي قيس عز الدين علم الدين التنوخي

طبع في مطبعة الفرات في بغداد سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٦

تخطو اللغة العربية في سبيل العلم بخطوات بطيئة غير انها مطردة تبشر بمستقبل حميد · ومن تلك الخطوات المحمودة « الجزء الاول من مبادئ الحكمة الطبيعية » تأليف فرنان ماير الذي عربه بتصرف حسن ، السيد عزالدين علم الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ومدرس الطبيعيات في دار المعلمين العليا والابتدائية ببغداد تحت عنوان « مبادئ الفيزياء » وفيه ثلاثة أبواب : هي التثاقل وموازنة السوائل والحرارة · والكتاب غزير المادة جيد الاسلوب متقن الطبع جاء في زهاء ٢٣٤ ص · وفيه كثير من الرسوم التي لا يستغنى عنها في درس هذا الفن · فنشكر للمؤلف الفاضل الجهد الذي بذله في تعريب هذا الكتاب المفيد الذي سد ثلمة واسعة في كيان التدريس العربي · وقد تصفحت هذا الكتاب فتراءى لي في تضاعيف سطوره شيء من الخطإ الصادر عن السهو مما لم يرد ذكره في صفحة التصويب منه ·

ص	س	خطأ	صواب
٥٢	١٨	تقدير	تقديره
٨٦	٣	٧٢٨٠٠٠	٨٢٨٠٠٠
١٠٤	١٣	١٠٠٠×٠٫٠٠١٣	٥٠×١٠٠٠×٠٫٠٠١٣
١٣١	٣	٦٧٫٥٥ م	٦٧٫٥٥ سنتيمتر
١٣١	٥	١٣٫٦×٧٦٫٥٥	١٣٫٦×٦٧٫٥٥
١٤٣	٥	١٠٣٣=١٠—١٠٣٣	١٠٢٣ =
١٦٥	١٣	١٨٧	١٨٨
١٨٠	٧	٠° الى ١٥°	٠° الى ١٠٫٥°

وفي ص ٩٢ في السطر الاخير (اي ثقل حجم من الماء يساوي ثقل الجسم) في

حين ان ثقل حجم الماء المزاح لا يساوي ثقل الجسم • ولعل المؤلف يريد ثقل حجم من الماء يعادل حجم الجسم •

وفي ص ١٢٠ في مادة تدبير المنطاد ذات الرقم ١٤٥ (في بدء الامر يحمل المنطاد اكياساً من الرمل تقوم مقام الصابورة فاذا اراد الطيار الصعود القى شيئاً من صابورة منطاده) فان لفظة الصعود في هذه الفقرة مطلقة في حين ان المعنى المقصود هو غير الصعود المطلق فمنعاً للالتباس ارى ان تعين جهة المصعد •

وفي ص ١٢٢ في السطر الثالث (اذا تحرك سطح في الهواء بسرعة متر في الثانية قاومه الهواء بقوة ٧٥ غم) ولم تعين مساحة ذلك السطح المتحرك في حين ان المقاومة المذكورة مقيدة بالسطح الذي مساحته متر واحد •

وفي ص ١٤٣ س ١٣ (وبما ان ثقل هذا العمود المائي الطويل يساوي الضغط الجوي) في حين ان طول هذا العمود هو ٥٠ سم ومساحة قاعدته سم٢ واحد فيكون ثقله ٥٠ غم وهذا الثقل لا يساوي الضغط الجوي •

وفي ص ٢١٦ س ١٢ (كانت الفراء والاقمشة والصوف والريش من اسباب توقي البرد لانها توصل حرارة الجسم الى الخارج بسرعة) والصواب هو انها لا توصل الحرارة بسرعة الى الخارج •

هذا ماوقع عليه نظري من الخطإ المتعلق في المادة اما ماهو متعلق بالقالب فاني اترك القول فيه لعلماء اللغة في المجامع العلمية • على اني لا اكتم المؤلف الفاضل رأيي في هذا الموضوع وهو : ان لغة العلم لا سيما المدرسي الابتدائي تستوجب الوحدة المطلقة في جميع الاقطار ذات اللغة الواحدة خشية عدم تفاهم ابناء الامة الواحدة مما يعمل على تفرقها ويحدد فائدة المؤلفات التي توضع في كل قطر من اقطارها • وخير للامة ان تتعارف بكلمة اجنبية من ان لا تتفاهم بالفاظ فصيحة • فليت المؤلف الفاضل آلف مابين الافكار على قبول المصطلحات التي استحسنها قبل نقشها في أذهان الطلبة لا سيما وان منها ما قد يقع الخلاف في قبول استعماله كاشتقاق اسماء الموازين والمقاييس على وزن مفعال كمحرار ومرطاب ومرواح ومرواز ومملاح الخ • وذلك لاسباب منها : ان في هذه الصيغة معنى الفاعلية النوعية فاذا قلنا محرار يفهم منه آلة تحدث الحرارة مع انها

آلة مفعولة للحرارة ومنها ان هذه الصيغة لا تدل على معنى الوزن او القياس بل هي تدل على معنى الآلة فحسب · ومنها ما يتولد من الالتباس في فهم كثير من الاسماء التي هي على هذا الوزن فلا يتبين هل يراد بها معنى القياس والوزن اوالفاعلية النوعية · كمنفاخ ومصباح ومقلاع الخ · مما يفضي الى التأويل حسب سياق الكلام ، وهذا تمجه لغة العلم وتأباه · ومنها الخروج عن المتعارف في القطر السوري والمصري بلا مبرر لان الفاظ ميزان اومجس اومقياس الحرارة والضغط مثلاً الخ المصطلح عليها فصيحة صريحة ·

فعسى ان يلاحظ المؤلف الفاضل تلك الهنات في تعريب الاجزاء الباقية التي نترقب خروجها الى حيز الوجود في وقت قريب تعميماً لنفعها وخدمة للغة العربية وابنائها ·

اسعد الحكيم
عضو المجمع العلمي العربي

اخبار الحمقى والمغفلين

للعلامة الحافظ ابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي المتوفى ببغداد سنة ٥٩٧ هـ
طبع في مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٥ (ص ١٧٢) · ويطلب من السيد صلاح القدسي بدمشق

نشرنا في السنة الماضية ثلاث مقالات (مجلة المجمع م ٦ ص ١٩ و٥٥ و١٢٢) في وصف هذا الكتاب ، وبينا فيه من النكات والألفاظ والمعاني ، واقتبسنا منه طرفاً صالحاً · ويقيننا ان القراء ما زال على بالهم ما قرأوه بشأنه ، وقد أحسن احد أدباء هذه العاصمة بطبعه مأخوذاً عن نسخة دار كتبنا معارضة بنسخة ثانية كان العلامة الامير شكيب أرسلان استنسخها من مكتبة المدينة المنورة · وصدر الناشر هذا الكتاب بمحاضرة الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي احد اعضاء المجمع العلمي في هذا السفر وما حواه من البدائع · وقد التزم الناشر طبع اخبار الحمقى والمغفلين برمته لم يحذف منه ما ربما يشمئز منه بعض المتأدبين من العصريين فعمد الى الامانة في النقل وهي من جيد المنازع وكنا نود لو شفعه بفهرس للاعلام والقوافي والموضوعات على

الطريقة التي جرى عليها علماء المشرقيات في طبعهم كتب العرب ليسهل متناولها على كل مطالع ومراجع .

م . ك

ذكرى شكسبير

نظم الدكتور احمد زكي ابو شادي طبع في المطبعة السلفية بمصر (ص ٣٣)

مجموعة شعرية نظمها الدكتور الفاضل بمناسبة فتح ممثل «تياتر» شكسبير التذكاري تقديراً لمزايا شكسبير شاعر الانكليز الأعظم ، وآثاره الخالدة ، وقدمثل بعضها بالعربية ونقل بعضها ولكن من الصعب نقل شعر الى شعر ومما قاله في عبقرية شكسبير :

فان الحياة كموج الضياء تشق الفضاء وتطوي البحارا
وان يعلم الناس ما اصلها أكانت حجى في العلى امغبارا
ولكن لعقلك اني الضمين فقد كان كالورد حياً وزارا
فما لوثته ذنوب الانا م ولا كان الا السناوالأوارا
اشعته عمرها كالزما ن تبث الرجاء وتقصي البوارا
وتهدي حرارتها للنفو س وجوداً جديداً وكوناًمدارا

م . ك

الجزء ٣ المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آذار سنة ١٩٢٧ م الموافق رمضان سنة ١٣٤٥ هـ ٩٧

تاريخ الزراعة

« في بلاد العالم العربي [1] »

للبلاد التي يتكلم سكانها العربية اليوم ماض أغر ومدنية موطودة الأسس قامت في وجه الدهر فعاركته آلافاً من السنين يوم لم يكن الا هي كوكبٌ يسطع في حلك الجاهلية والوحشية . ومن عربة او جزيرة العرب موطن الساميين الاصلي نزحت أجيال عظيمة وأمم شتى في دهور واغلة في القدم فألقت عصاها في سقي الفراتين فنشأت كلدية وعيلم وآشور ، ومنهم من اكتسح ديار الشام فنشأ الفنيقيون والكنعانيون فليس إذن من الغريب ان يقول العالم مسيو رنجلمان (Ringelmann) « ان جزيرة العرب في التاريخ المترامي الآفاق كالكأس كلما امتلأت سال منها الى الشمال رجال » . وتمدن كلدية أقدم من تمدن مصر ولم ينشأ تمدن مصر في القرون القديمة الا على اثر موجة بشرية امتدت من كلدية الى مصر حاملة معها الحضارة والعرفان ولذا قال مسيو مورغان (Morgan) « أيقنت وانا في وادي النيل ان طلائع المدنية في اوائل عهد المملكة المصرية وردت من كلدية فيكون سقي الفراتين إذن مهد رقي البشر » . وقال المؤرخ الشهير مسبرو (Maspero) « لرسوس المصر بين الاقدمين والعرب والفنيقيين والكنعانيين روابط تشد بعضها الى بعض وليس المصريون غير ساميين انفصلوا عن مهد الساميين قبل غيرهم » . ولقد كان من الواجب ان أبدأ خطابي بزراعة

---

(١) محاضرة ألقاها الأستاذ صاحب الامضاء في ردهة المجمع العلمي بدمشق بمناسبة انتخابه عضواً فيه .

أم العراق لولا ان تاريخ التمدن المصري القديم قد استبان قبل تاريخ الحضارة في بلاد الرافدين ولذا أبدأ بمصر على عهد اقدم ممالكها المعروفة اي منذ نحو ٦٠٠٠ سنة الى نحو ٥٠٠ سنة قبل الميلاد . ولا بد لي قبل ذلك من التنويه بأن ما ألقيه عليكم أيها السادة ليس سوى رؤوس أقلام لان الموضوع فضفاض يملأ كتاباً برأسه .

الزراعة في عهد المصريين الأقدمين . — اشتهرت مصر على عهد الفراعنة بزراعة الحنطة والشعير والفول والبرسيم والكتان والقنب وكثير من البقول كما اشتهرت بغرس الكرمة واشجار الفاكهة . واهم هذه الاشجار مما رسموه على هياكلهم القديمة الرمان والمشمش والزيتون والدراق والتين والنخيل . وورد في التوراة ان العبرانيين بعد خروجهم من مصر اسفوا لفراقهم ما لذ وطاب فيها من الخوخ والبطيخ الاصفر والبصل والثوم . وقال هيرودوتس : « ان المصريين كانوا مكلفين بزرع الذرة البيضاء خاصة وانهم ما كانوا يقيمون لخبز البر وزناً ، اما الفول فما كانوا يألفون زرعه وهم لم يزرعوه الا للاتجار والمقايضة » . وذكر غوستاف اوزه (G. Heuzé) ان المصريين كانوا يزرعون قصب السكر واللوبياء والبامياء والقلقاس والخشخاش الذي منه يستخرج الافيون كما انهم كانوا يستخرجون الصمغ العربي من السنط النيلي . ولم يجد علماء الآثار اثراً للمنسوجات القطنية في اقدم ايام مصر لكن بلينيوس يقول ان القطن كان يزرع في مصر العليا ولعل ذلك في ايامه . واشتهرت مصر في نبات النيلوفر والقصب والبردي وكانت ساق البردي تبلغ خمسة امتار احياناً يستعملونها في البناء وفي صنع أحذية للكهان وفي غير ذلك . ومن الياف سوق البردي كانوا يصنعون الورق .

وكانوا يربون البقر والمعزى والحمر والخنازير . اما الخيل والابل فما كان لها اثر في اقدم ايامهم بخلاف التمساح والكركدن ويظهر ان موجة العرب الرعاة الذين يدعون هيقسوس ساقت الخيل الى مصر في نحو القرن العشرين قبل الميلاد ولذا بدأت آثار الخيل تظهر في السلالة الثامنة عشرة . ولم تألف الخيل إقليم مصر بادئ بدء فكانت تمس الحاجة الى نقلها من الشام من حين الى آخر . لكنه اتى بعد ذلك زمن كان لتربية الخيل فيه شأن كبير حتى ان الملك سليمان كان في كل سنة يبتاع من مصر عدداً عظيماً من الخيل يستخدمها في قضاء حاجاته او يبيعها من ملوك الحثيين وغيرهم .

وكانوا يعتقدون ان الإلآه اوزيريس هو الذي علمهم صنع ادوات الحرث وتجهيز التربة وغرس الكرمة والأشجار المثمرة وحصد الذرة والشعير وان امرأته ايزيسا علمتهم الطحن والخبز والنسج وكانوا قبل ذلك نصف وحشيين يأكلون لحم الانسان و يقتاتون من ثمار الارض فالآلآه اوزيريس هو رب المعول والمحراث عندهم ٠

والمصريون الأقدمون من أقدر الشعوب على معالجة الارض العطشة بالإسقاء والارض المستنقع بصرف النقع عنها ٠ ولهم حنكة في صنع الاسداد والحواجز لان ارضهم محلة لا تنبت ولا تكون مغلالاً الا اذا رويت بماء النيل ٠

وكان القائمون باعمال الحرث والزرع العبيد والحمير والبقر ثم الخيل بعد حين ٠ فالعبيد كانوا كثاراً رجالاً ونساءً وجلهم أسرى يباعون مع الارض و يشرون ولهم حصة من المحاصيل كأنهم شركاء بالمزارعة ولكن مقسورون على العمل في الارض ٠ ومن الغريب ان المصريين الأقدمين كانوا يكرهون الحمر و يضطهدونها معتقدين ان الشر متجسم فيها مع انها من انفع الحيوانات الدواجن ٠ اما الابقار فكانت مقدسة فلا تذبح ولا تؤكل ولكم احتشدوا غيظاً من اليونانيين عقب استيلائهم على مصر اذ شرعوا يذبحون الأبقار و يغتذون من لحومها ٠ وقد كف المصريون عندها عن استعمال السكاكين خشية ان يكون اليونانيون عالجوا بها ذبح البقر ٠

ومحاريثهم ومناجلهم شبيهة بامثالها اليوم ٠ وكانوا يحصدون بالمناجل السبل وحده دون سوق الزرع لا سيما اذا كان الزرع متآصراً او مستأسداً ٠ و يدرسون الحصائد دوساً بارجل البقر الا الذرة فانهم كانوا ينزعون حبها بآلة لها أسنان كالمشط ٠ وقيل انهم عرفوا النورج واستعملوه لكنه لم يعثر على رسوم قديمة تنم عنه ٠ ومما لا ريب فيه انهم عرفوا الخميرة واستعملوها منذ أقدم ايامهم ٠

ومساكن الفلاحين الاولى بيوت صغيرة من قصب ٠ ثم بنوا بالخشب فبالطين والآجر ٠ ولا شبابيك لبيوتهم غالباً وان فتحوا شبابيك فبالسقف لجريان الهواء ٠ وكانوا يبنون البيوت قريبة بعضها من بعض فتتكون منها قرى مقسمة الى حارات ٠ وندر بناؤهم بيوتاً منعزلة ٠

اما من حيث الضرائب فكانت تجبى غلةً ٠ وجاء في التوراة ما يستنتج منه ان

يوسف أوجد ديواناً للتموين وآخر للمساحة والإحصاء وانه جبى الغلات ووضعها لا سيما الحنطة في مخازن عظيمة ثم فرقها في فقراء المصريين في سني المجاعة . وفي آخر سني الجدب جبى يوسف من المصريين خمس غلاتهم حتى كأن مصر صارت كلها ملكاً للدولة . وهو اول من اوجد مفتشين للزراعة ولبيت المال مع كل ما يتعلق بهم من نظار وجباة وكتاب، وذلك لمعرفة مساحة المستغلات وجباية حصة الحكومة من المحاصيل على وجه الضبط .

و يفيد قبل انهاء هذه الخلاصة في زراعة المصريين الأقدمين ان اذكر اقوال بعض العلماء فيما كان يعرفه هذا الشعب العريق في المدنية من العلوم والمعارف . قال هيرودوتس ان الآلهة والعبادة والشرائع والعلوم والصناعات والتعاليم الاجتماعية كلها ولدت على شاطئ النيل . وجاء في الأساطير ان النبي موسى درس علومه في مصر وان ابراهيم هبط مصر لدرس مدنيتها . وقال رنجلمان ان مصر مهد العلوم والفنون وانه يعزى اختراع الحساب والهندسة الى المصريين . و يظن اسحق نيوتن (Newton) ان الآله توت وزير سيزوستريس هو الذي اوجد الهندسة لمعرفة حدود الارض واقسامها كلما عادت المياه الى مجاريها بعد فيضان النيل . وعلى ذكر ذلك اقول انه لا يزال اقباط اليوم على دربة عجيبة في معرفة مساحة الارضين بالقصبة وأجزاءها دون استعمال اداة هندسية مهما تكن الارض منعرجة . وذكر اقليدس وغيره من علماء يونان غير مرة ان مصر مهد الهندسة . وقال ارسطوطاليس في فلسفته (ماوراء الطبيعة) « ان الرياضيات نشأت في مصر لان كهنتهم كانوا في معزل عن شواغل الحياة اليومية فأمكنهم الانقطاع الى الدرس » .

الزراعة في العراق — قلت ان مدنية سقي الفراتين اقدم عهداً من مدنية مصر لكن ما استبان منها في عهد كلدية وعيلم واشور لا يمتد الى ابعد من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، فكلامنا إذن يختص بزراعة أقوام العراق منذ ذلك العهد الى استيلاء الفرس سنة ٥٣٩ قبل الميلاد . وقلت ان سكان العراق الأصليين نزحوا اليها من جنوبي جزيرة العرب وكانوا يتكلمون لغة قريبة من الآرامية والفنيقية . وقد وجد في عيلم آثار ترجع الى ما قبل التاريخ اي الى عصري الحجر فالنحاس .

وكان الكلدانيون يعتقدون بوجود غول او آله اسمه نمرود او اوانس (Oanès)

شبيه بآله المصر بين اوزيريس ، منه يستمدون العلوم والآداب والصناعات والهندسة والزرع والحصاد وتشييد الأبنية والمعابد . اما الفلاحة فلها آله خاص اسمه نينيب (Ninib) . ويعتقدون بان البشر ما كانوا يعملون بما يوحيه نمرود اليهم ولذا انتقمت الآلهة فأوجدوا الطوفان . وقد نشر مستر سميث (Smith) صفائح وجدت في نينوى وردت فيها قصة الطوفان وفلك نوح .

وكان سكان كلدية وعيلم وآشور يعرفون كثيراً من النباتات التي تزدرع ، ويرى كثير من علماء النبات ان آسيا الغربية وخصوصاً الشام والعراق وفارس تعد المهد الاصلي لعدد عظيم من اهم النباتات واعظمها فائدة للانسان كالحنطة والشعير وغيرهما ولقد نشرت منذ سنتين مقالاً في هذا الصدد ذكرت فيه انه عثر على الحنطة البرية جنوبي الشام منذ عهد قريب وانني التقطت منها كثيراً من السنابل . ومما كان يزرع في العراق الفول والعدس والحمص والحلبة والجلبان والخشخاش والكتان والسمسم والخروع والقرطم والفوه والخس والهندبا والاسباناخ والرجلة وقرة العين والجزر والبصل والثوم والباذنجان والباميا والبطيخ . وفي آثارهم رسوم شبيهة بالدلب والسنط والسرو والطرفاء . واشتهر من الاشجار والشجيرات المثمرة الخوخ والمشمش والكرز واللوز والتفاح والرمان والتين والكمثرى والزيتون والكباد والفستق والنخيل . قال توفراستس انهم كانوا يغرسون الكباد ويسمونه تفاح ميديا او تفاح فارس . وقال استرابون « يسد النخيل كل حاجات الأهلين لانه يصنع منه نوع من الخبز ونبيذ وخل وعسل ورب ومائة نوع من الانسجة » هذا وكل جزء من النخل له فائدة فقد ذكرت في كتاب (الاشجار والانجم المثمرة) انهم يصنعون حصراً وسلالاً من وريقات الخوص وأسرة من الجريد ومكانس من مدقوق قواعد الجريد وحبالاً من الليف المحيط بهذه القواعد ثم ومن أعواد العراجين بعد دقها الخ .

ويعرف سكان كلدية وعيلم بسكونهم وتنكبهم عن الشر وحبهم للفلاحة . وهم أوجدوا مدنيتهم من أساسها . اما الآشوريون فانهم اقتبسوا كل معارفهم عن الكلدانيين الا صنعة الحروب فلهم فيها حذق ودهاء وكانوا غزاة سفكة لا يرحمون احداً .

وكان أقوام العراق في تلك العصور يعدون الارض ملكاً للآلهة ولمن يمثلهم اي

للملوك . وهؤلاء يهبونها لارباب الوجاهة وأفراد الشعب فيستغلونها او يبيعونها اويقسمونها بين ورثتهم . ومنهم من كانوا يستغلون الارض مباشرة وآخرون بواسطة عبيد مزارعين . وكانت ضريبة الارض تجبى غلة فتوضع في أنابير شيدت في انحاء البلاد يقوم عليها جيش من عمال بيت المال . وكانوا يخطون بالقلم المسماري علومهم واساطيرهم وما يهمهم حفظه في صفائح من طين تملأ وترسل الى الخزافين فيشوونها فتصاب كل الصلابة اذ منها ما مر عليها ٤٠ الى ٥٠ قرناً وهي لا تزال جلية تسهل قراءة ما كتب عليها . قال المؤرخ مسبرو « وكان لكل ارض صفيحة من خزف دوّنت فيها مساحتها واسم صاحبها واسم اصحاب الارضين المجاورة لها وما فيها من القنوات والأنهار والبيوت الخ . وكثيراً ما كانوا يضيفون الى الصفيحة مخططاً يستبين به مايشكل ادراك موضعه . وليس من الصعب بعدما ذكر ان يكون في مستطاع رجال بيت المال في كلدية وضع ضريبة الارض على أسس وطيدة » . والكلدانيون من امهر الأمم القديمة بمسح الارض مهما تكن معوجة فلقد كانوا يرسمون مخططات للمزارع والمدن وبلغ من جرأتهم ان حاولوا رسم مخطط للكرة الأرضية او لما كانوا يعرفون منها .

وذاعت شهرة الشرائع التي سنها حمُّورَبّ وهي ترجع الى نحو ٢٢٠٠ سنة قبل الميلاد . ومن ابحاثها المزارعة والاسقاء ورعي الماشية وقلب الحاقل مباقل واستئجار الرجال والحيوانات وادوات الزراعة وعقاب من يعذبون الرجال والماشية واجور العمال وشراء العبيد وحقوق السادة والعبيد المتقابلة والحقوق التجارية الخ وقد ذُكرت كل هذه المواضيع العمرانية المهمة بعدل وحكمة . وكانوا يحفظون هذه الشرائع وامثالها في خزانات مقدسة يتعاهدها الكهان اي علماء ذلك الزمان، ويغلب على الظن ان اليونانيين اقتبسوا منها خلاصة ما تركوه للأعقاب في هذه المواضيع .

ومواشي الكلدانيين الأبقار المعروفة والأبقار ذات السنام والخيل والحمير . اما محاريثهم فشبيهة بمحاريث المصريين والمحاريث البلدية في هذه الأيام . وكذا آلات الحصاد والدراس .

واتى ملوك الكلدانيين باعمال عظيمة في إسقاء الارض ففتحوا الانهار وشقوا منها الجداول تتغلغل مياهها في الارض يمنة ويسرة . وتفاخروا باعمالهم هذه وأطلقوا

اسمهم على الأنهار كنهر حمرب الشهير · ويكفي اليوم ان تعاد هذه الانهار والجداول الى سالف عهدها حتى يصبح العراق من اغنى اقطار العالم · وكانوا يستخدمون الاسرى في حفر مجاري الماء وانشاء السدود والقناطر · وقد لبثت كل القني والمجاري تتعاهد و ينتفع بها ايام الخلافات العربية الى ان اجتاحت البلاد جيوش التتر والمغول الوحشية ·

الزراعة القديمة في الشام واليمن · — هبط الفنيقيون سواحل الشام الوسطى والشمالية آتين من شرقي جزيرة العرب فأوجدوا في صور وصيدا وبيروت وجبيل وغيرها مدنية ذاع صيتها بما اكتشف العلماء من الآثار في تلك الاماكن الشامية · وكان الفنيقيون من امهر الامم في ركوب البحر والاتجار مع من جاورهم من الأجيال ولم يشتهروا بالحرث والزرع الا في شمالي افريقية كما سيجيء · لكنهم زرعوا الاماكن التي حلوا بها ورووا ما امكن إرواؤه منهـا فكانت سهول صور وصيدا الخصبة الريا بالماء تنتج اصناف الحبوب والثمار · وحذق الفنيقيون غرس الزيتون والكرم وصنع الخمرة حتى ان اليونانيين والرومانيين كانوا يرغبون في انبذتهم · وعثر علماء الآثار في ضواحي صور على آلات زراعية اتم واقوى من الآلات الزراعية التي كانت يعرفها الشعوب المجاورون لهم · وجاء في مجلة العلوم الافرنسية « ان اهم الاعمال الزراعية التي اشتهر الفنيقيون بها هو تأليفهم في قرطاجنة كتباً قيمة تبحث في ما اتصل بهم من نتائج التجارب الزراعية لانهم كانوا يضعون نصب اعينهم استغلال الارض للحصول على غلات يتجرون بها · واشهر كتبهم كتاب الجنرال ماغون (Magon) الفه في القرن الخامس قبل الميلاد وسماه (الاقتصاد الزراعي) وهو ٢٨ جزءاً ولذا سمي ماغون اب الزراعة · «والف هاميلقار (Hamilcar) ابن ماغون كتباً زراعية كابيه · وقد نقل اليونان والرومان هذه الكتب الى لغتهم ورجعوا اليها في ابحاثهم فكانت اهم مقتبس لهم · ولا شك ان الفنيقيين لم يتوصلوا الى ذكر ما دونوه في الزراعة الا بعد ان مارسوا الاعمال الزراعية قروناً عديدة وكتبهم هذه تدل على علو كعبهم في الفلاحة على ما فيها من ابحاث بعيدة عن الاسلوب اليقيني » ·

واذا انتقلنا في بحثنا الى ذكر العبرانيين او الاسرائيليين بعد ان نزحوا من مصر واستوطنوا جنوبي الشام قبل الميلاد ببضعة عشر قرناً نرى انهم كانوا ارباب زراعة

يسيرون على ما اقتبسوه من مصر ابان مدنيتها الزاهرة . وقد كثر في جنوبي الشام على عهدهم غرس التين والزيتون واللوز والرمان والكرمة كما كثرت غلات الحنطة والشعير والقطاني وعدد من البقول . و يبالغ بعض المؤلفين من يهود او ممن يتعصبون لهم او ينقلون عنهم فيجعلون فلسطين جنات تجري من تحتها الأنهار لا سيما في عهد الملك داود حتى ان احدهم جعل مساحة الارض المكسوة باشجار الفاكهة في تلك الايام عشرة ملايين دونم تقريباً وهو وهم لا يقره العقل بعد محاكمة تاريخيـة فلسفية على أُسلوب يقيني . والحقيقة التي عليها اكثر المؤرخين هي ان الاسرائيليين مع اشتغالهم في الارض قليلاً لم يوجدوا في الزراعة شيئاً يذكر وكذا في العلوم التي كانت معروفة في تلك العصور .

وسكن الشام اجيال كثيرة غير من ذكرناهم منهم المتوغلون في القدم كالعمو واللودانو ، وآخرون اقرب عهداً كالحثيين والاراميين والعمور يين وغيرهم وقد اتت الدهور على آثارهم فلم يستطع تدوين حال الفلاحة في ايامهم .

ومن اقدم الامم التي حلت الشام وشادت فيها الممالك قبل الاسلام اجدادنا العرب . قال رئيسنا العلاَّمة صاحب خطط الشام : « ان العرب في الشام منذ زها ٢٥٠٠ سنة واوصله بعضهم الى نحو ٤٠٠٠ سنة » واشهر دولهم فيهـا دولة النبط والغساسنة والتنوخيين والايطوريين ناهيك عن القبائل العديدة التي كانت تضرب في انحاء البلاد . فالنبطيون في البتراء وان لم يشتهروا بالفلاحة فقد الفوا قبل اليونانيين والرومانيين كتاباً زراعياً غاية في الجودة نقله احمد بن علي بن المختار المعروف بابن وحشية وقد صرح علماء الغرب بان هذا الكتاب هو الصلة الوحيدة بين زراعة الممالك الآسيوية القديمة وبين الزراعة الحديثة . وقال العالم الفرنسي رنجلمان « ان اول من دوَّن الأعمال الزراعية التي البستها التجارب حلة فن ثابت هم الانباط » . وقال : « ان هذا الكتاب معلمة زراعية ثمينة » . وقد طالعته في خزانة بايزيد في القسطنطينية فألفيته سفراً قيماً لم يكتف فيـه ابن وحشية بذكر ما يحتويه الاصل بل اضاف اليه كثيراً من الأبحاث الزراعية في ايامه . واهم ابحاثه استنباط المياه وهندستها وحفر الآبار واطلاع الماء من عمق قريب واختلاف طباع المياه واصلاح الضياع وتغييرات

الأهوية ودلائل مجيء المطر والأوقات الموافقة لضروب الأعمال والاراضي المحتاجة الى الإصلاح وغرس الزيتون وبعض الأشجار المثمرة وزرع الحبوب من حنطة وشعير وغيرهما وزرع كثير من البقول ومن النباتات الزيتية والليفية كالجزر والبصل والكراث والسمسم والكتان والخشخاش وزرع عدد من نباتات الأزهار والرياحين واشجار الزينة كالبنفسج والسوسن والنيلوفر والنرجس والأقحوان والياسمين والنسرين والآذريون والبهار والخزام والدردار والأزادرخت ٠

ان من يجوب منكم ايها السادة مناطق الشام الشمالية الشرقية لا سيما ارباض سلمية والحمراء ومنبج يشاهد في تجواله قنوات عديدة تنساب مياهها مع انحدار الارض حتى تبلغ سطحها فتسقي ما اطمأن منها، و يرى ان كثيراً من القني لا يزال مدثوراً يلزم كريه وارجاعه الى سالف عهده فهذه القني القديمة يعزي بعضهم فتحها الى الفرس على اثر افتتاحهم الشام ٠ ولا ريب ان للرومانيين ثم لأجدادنا العرب يداً في تزييد عددها لان انحاء سلمية كانت بساتين وغياضاً زاهرة في عهد الممالك العربية ٠

ومما يلفت النظر جنوبي حمص بحيرة قطينة او بحيرة قدس والسد الذي قام في وجه العاصي لتحويل قسم من مياهه الى المدينة و بساتينها ٠ فقد ذكر الأب لويس شيخو في مجلة المشرق انه ورد في تلمودي اورشليم و بابل ان الامبراطور ديوكلسيان (٢٨٤ — ٣٠٥ م) هو الذي سعى بحفر البحيرة واقامة السد ٠ لكنه يرجح ان البحيرة اقدم منه عهداً ٠ وجاء في تقويم البلدان ان سد بحيرة قدس هو من عهد الاسكندر الا انه لم يقم صاحبه دليلاً على ذلك ٠ وللأمير جعفر الحسني مدير متحفنا رأي وجيه في هذا الصدد وهو انه اذا كانت العلماء لم يستقر رأيهم على نسبة السد الى الرومانيين او اليونانيين مع ما يكون في آثار هذين الشعبين من الخصائص التي لا تدع مجالاً للشك في نسبة آثارهما اليهما ، فلعل هذا السد من صنع الحثيين لا سيما وحمص كانت بيئة حثية محضة ٠

هذا في الشام ٠ وانطفر الى قطر عربي عريق في عروبته بعيد عن الشام كل البعد وهو القطر اليماني حيث كان العرب الأقدمون يهتمون بشؤون الزراعة فلقد ذكر بلينيوس ان المعينيين يقيمون في بلاد كثيرة الغاب والأغراس ٠ وقال استرابون ان

اخصب بلاد العرب هي بلاد سبأ وقال ان من محصولاتها المرّ والبخور والقرنفل والبلسم وسائر العطريات فضلاً عن النخيل والغاب . وقال الهمذاني ان في وادي ظهر في اليمن نحو عشرين نوعاً من الأعناب وفيه من أصناف الأجاص الفارسي والحميري والتين والكمثرى ما لا مثيل له في الأرض . وقال جرجي زيدان « ان من يجوب بلاد العرب حتى يأتي حيث كانت مدائن معين وسبأ وحمير وغيرها من الدول القديمة لا يرى اليوم الا رمالاً محرقة وجبالاً جرداء والحقيقة ان تلك البلاد كانت على عهد ذلك التمدن بساتين وغياضاً فيها الأغراس من الأشجار وفيها الرياحين والحنطة والازهار » .

و يوجد نقوش كثيرة في الحجر تدل على اشتغال عمالقة اليمن بحرث الارض وآثار اسداد ضخمة شادوها لجمع الأمطار ومعالجة الارض بالاسقاء . واضخم هذه الاسداد سد العَرِم او سد مأرِب الشهير و يليه اسداد قصعان وربوان وشحران وعباد وغيرها .

الزراعة في عهد العرب بعد الاسلام . — العدل والأمن هما أساس الملك ودعامة العمران فبهما استطاع اجدادنا العرب ان يدوّخوا الممالك القديمة و يؤسسوا فيها مدنية عربية اسلامية سطعت انوارها يوم كان العالم سادراً في حلك الجهل وغياهب الهمجية ولئن عجبتم فاعجبوا لشعب بدوي جاهل يغزو ممالك عريقة في الملك فما هي الا رمشة عين في حياة الأمم واذا بهذا الشعب يحترم اديان المغلوبين وعاداتهم و يؤمن الخائف و ينصر المظلوم على الظالم و يقر الناس على اموالهم وزرعهم وماشيتهم و يسوس الجميع بعدل وحكمة وحنكة و يترجم و يؤلف و يتعلم و يعلم و يسبق من كانوا قبله ومن عاشوا معه . حقاً ان الانسان اذا اعمل الفكر في هذا الشعب العربي أكبره .

وسّع العرب علومهم الأصلية في عهد الأمويين والعباسيين ونقلوا الى العربية علوم اليونان والفرس والهنود والكلدان والسريان والنبط واوجدوا مدنية شهد لهم اعداؤهم بعظمتها فما ذا كان حظ الزراعة من ذلك ؟ هذا ما توخيت ان اوجزه في هذه العجالة . ان اول ما يهم معرفته حالة الارض وطرق تملكها وماوضع العرب عليها من الضرائب وما سنوه من الشرائع الزراعية .

كان المجاهدون العرب في اول الفتوح الاسلامية يودون لو جعلوا الارضين التي تقع بايديهم غنيمة تقسم بينهم كسائر الغنائم لكن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حرم على المسلمين كما قال المتريزي اقتناء الضياع والمزارع واجرى عليهم الرواتب والأرزاق من بيت المال ولم يستثن عيالهم وعبيدهم ومواليهم . وذكر ابن عساكر ان اهل الذمة اذا اسلم احد منهم صارت داره وما كان يملكه من الارض الى اصحابه من اهل القرية وهم يؤدون خراجها . ومن السهل ادراك الغرض من هذه السياسة القويمة التي سار عليها الخلفاء الراشدون فلقد كان عدد المسلمين قليلاً وكانت البلاد التي دخلت في حوزتهم مترامية الاطراف وكانوا الزموا انفسهم فريضة الجهاد . ولهذا كان من الواجب الاّ تلهيهم الارض عن القتال في سبيل الغاية المحمودة التي انتدبوا لها وفضلوا الأقوام بها . أفلسنا نرى اليوم كثيراً من الحكومات الاوربية تمنع زواج الضباط الى حد محدود وتكف عن ارسال الجنود والضباط الى المستعمرات الا بارادتهم خوفاً من ان يلهيهم الحنين الى ارضهم ومساكنهم واولادهم عن القيام بما تستلزمه الجندية من الكد والتعب ومواجهة الاخطار . وثمة غرض ثان حمل الخلفاء الراشدين على اتباع السياسة المذكورة وهو كما قال ابن عساكر ان يبقى اهل الذمة وارضهم مصدراً للمال الذي يحتاج اليه المسلمون في اتمام الجهاد دون ان يستأثر بخراجها بعض المسلمين دون بعض اذا تملك بعضهم الارض . فيتضح مما ذكر ان العرب في صدر الاسلام لم يمتنعوا عن الزراعة واقتناء المزارع احتقاراً للأكارين ومهنتهم كما ذكر بعض الشعوبيين ومتعصبي الفرنجة بل كان لأئمتهم في ذلك غرض اسمى . ولئن امتنع العرب انفسهم عن الاشتغال بالزراعة في اول عهد الاسلام فلقد كانوا عليمين بان هذه الصناعة هي ركن ثروة البلاد ومصدر الغنى لبيت المال ولذلك عطفوا على الفلاحين وابقوا دواوين الخراج اي ضريبة الارض على ما كانت عليه ايام الروم والفرس وكانوا ارفق ممن تقدمهم في جباية الخراج وعدلوا فيه على مقتضى الأحوال في مختلف البلاد التي دانت لهم وخضعت لسلطانهم . وسواء أكان الخراج بالمقاسمة او بالمساحة « اي بنسبة الغلات او ضريبة مقطوعة على المساحة » فما كان يزيد على عشر المحاصيل مطلقاً على حين نصت شرائع الدولة التركية على استيفاء ثمن المحاصيل عدا ضريبة الارض . وكان

غير المسلمين مُلزمين بالجزية وهي ضريبة لم يحدثها العرب بل كانت الأمم القديمة تعرفها من اغريق ورومان وفرس وهي توضع لقاء حماية اهل الذمة من التعدي عليهم والتصدي لهم لانهم ما كانوا ملزمين بالقتال للذب عن حياضهم . فالجزية إذن شبيهة بما يسمى « بدل العسكرية » ايام الترك اي الضريبة التي كان يجمعها الترك من المسلمين وغير المسلمين للخلاص من الجندية . ولم يضع العرب الجزية على النساء والصبيان والرهبان واهل العاهات . وكان مقدارها مختلفاً باختلاف درجات الناس وقلما كانت ثقيلة الوطأة الا في حالات خاصة كأن تمس الحاجة الى المال لقتال عدو او لاغراض أخرى ذات بال .

ولم يدم ابتعاد العرب عن التصرف بالارض طويلاً فان معاوية ايام كان عاملاً على الشام رأى ان جانباً كبيراً من القرى كان ملكاً لحكام الروم وقوادهم فلما قتل بعضهم وفر بعض لبثت تلك القرى بلا صاحب فكتب معاوية الى عثمان ان ما اجراه عليه من الرزق لا يقوم بمؤنة رسل الروم ووفودهم ورسل امراء الجند وغيرهم وسأله ان يقطعه تلك الضياع والمزارع لانها لا صاحب لها فأجابه عثمان الى طلبه . وهكذا أخذ العرب يقتنون الضياع إما باقتطاع ما ليس لها مالك او بشراء التي أقرت لاصحابها من اهل الذمة . والارض التي كانوا يقتطعونها هي الارض الموات والتي نسميها اليوم محلولة او خالية اي التي فر اصحابها او قُتلوا او كانت مستنقعاً او معطلة مدة طويلة لسبب من الاسباب . وظلت ملكية الارض للامام والناس يستغلونها اي لهم حق التصرف بها . ولبثت هذه القاعدة في انحاء بلاد العرب الى اليوم الا في مصر حيث أصبحت الارض ملكاً صرفاً للمصريين من ايام الخديوي سعيد باشا وهذه هي الحال في بلاد اوربا في ايامنا هذه . وبعد ان اقتطع المسلمون الارض وابتاعوها أخذوا يدفعون العشر عنها اي عشر غلاتها كما في الخراج . وما عتم العرب عُقب اقتنائهم المزارع واشتغالهم بالارض حتى تغلبوا على عناصر المزارعين او الأكرة الأصليين كما تغلبت اللغة العربية على لغتهم كاليونانية والسريانية والارامية والفارسية والقبطية وهكذا عمت العربية البلاد التي يعنينا امرها وانقرضت لغاتها القديمة وصارت هذه البلاد تعد بلاداً عربية محضة .

ومما يلفت النظر ما في الشرع الاسلامي من القواعد الاقتصادية القويمة فضريبة

المستغلات مثلاً هي عشر المحصول من ثمار او حبوب اذا كانت الارض تسقى سيحاً اي من المطر والانهر بلا تعب . اما اذا كانت تسقى بتعب فالضريبة نصف العشر . ومما يدهش ايضاً ان هذه الضريبة (وكانت هي الصدقة او الزكاة باديء بدء) ما كانت تؤخذ الا اذا زاد المحصول عن كذا من الغلة اي عن المقدار الضروري لقوت الأكار وعياله اما الشرائع التي أبقاها الترك لنا فهي تلزم الفلاح بدفع ثمن المحاصيل عامةً سواء كانت سنته سنة خصب او محل . أفليس يعلم كل منا ان قرية كذا أمحلت في سنة كذا حتى ان زراعها لم يحصلوا على سوى بذارهم ومع ذلك جبت الحكومة التركية حصتها بتمامها من ذلك المحصول الضئيل . ان القاعدة التي ذكرتها كانت تمنع أجدادنا العرب عن مثل ذلك . ومن القواعد الاقتصادية المهمة ايضاً ان الصدقة كانت تتضاعف احياناً بنسبة ثروة الانسان . وهذه القاعدة يسير عليها اليوم كثير من الحكومات الاوربية في استيفاء الضرائب فالذي يكون صاحب ثلاثمائة دينار مثلاً يدفع دينارين عن المائة الاولى وثلاثة دنانير عن المائة الثانية واربعة دنانير عن المائة الثالثة وهكذا تزداد نسبة الضريبة بنسبة ازدياد ثروة المرء وتقل بقلتها . ولم تُفرض الصدقة على الخيل والحمر والبغال لما لها من الفائدة . وكانوا اذا وضعوا العشر او الخراج بالمساحة ينظرون الى بعد الشقة بين الارض والمدن فكأن الضريبة تدفع في الارض التي أنتجت المحصول وذلك عدل .

وجاء في الشرع الاسلامي قواعد في استغلال الارض وعمارتها غاية في الحكمة ، مثل شروط المساقاة والمزارعة وكري الانهار والمجاري واصلاحها وحريم الآبار والقني والانهر وإحياء الارض الموات وإباحة الانهار العامة والبحار والبحيرات والأعشاب والأشجار التي تنبتها الطبيعة والآبار التي لم تحفر بسعي الناس الى غير ذلك مما يدل على بعد نظر في عمارة الارض واستغلالها وعلى براعة في سياسة الشعوب لاينكرها الا كل جهول او صاحب تعصب ذميم .

يستنتج مما ذكرت اولاً ان العرب في صدر الاسلام أقروا سكان البلاد التي فتحوها على ارضهم ولم يقتطعوا لانفسهم سوى الارض الموات والتي لا صاحب لها . ثانياً انهم وضعوا على الارض ضريبة معتدلة متناسبة مع غلاتها قلما أربت على عشر هذه الغلات . وقد

كانت تبلغ نصف العشر أحياناً . وإن زادت على العشر في بعض الأحايين فما كانت وطأتها شديدة لاستبحار العمران ورخاء العيش . ثالثاً انهم وضعوا شرائع زراعية وضع فيها حق كل اكار او رب ارض وامتنع بها تعدي بعض الناس على بعض . فلا عجب بعد هذا ان ينشط الاهلون الى استغلال الارض وعمارة المزارع والقرى وان يبلغ ارتفاع الخراج في الأقطار التي خفقت في ربوعها رايات الدول العربية أضعافه في يومنا هذا مع رخاء السعر في تلك الايام . وقد أسهب مؤرخو العرب في ذكر ما كان يجبى في مختلف الأقاليم ايام الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين في المشرق والمغرب مما لا يمكن ذكره في هذا البحث الموجز . بل يكفي ان أنقل ما جاء في تاريخ التمدن الاسلامي وهو ان ما كان يرد الى بيت المال في عهد المأمون يقدر بنحو ٣٦٠ مليون درهم وكان ينفق منها في مصالح الدولة نحو ٦٠ مليون درهم فيبقى ٣٠٠ مليون درهم اي عشرة ملايين جنيه تقريباً . واذا قلنا عشرة ملايين جنيه في تلك الايام فكأننا قلنا خمسين مليون جنيه في ايامنا هذه . فأي دولة من دول العالم اليوم يفيض في خزانتها هذا المال العظيم . ثم يجب ان يلحظ ان معظم واردات بيت المال كان مصدرها الخراج اي ضريبة محاصيل الارض وفي ذلك أجلى دليل على ما كان للزراعة من الشأن في هاتيك الايام الزاهرة . ولما كان الملك والمدنية وكل شيء لا يقوم الا بالمال حق لنا ان نقول ان الزراعة ومنتوجات الارض هي أكبر عامل في تكوين المدنية العربية الاسلامية بكل مظاهرها . فهي التي جعلت الخلفاء يبنون المدن كبغداد والبصرة والكوفة والقاهرة والرقة ويشيدون القصور والجوامع والمدارس والتكايا وينفقون عن سعة على العلماء والادباء والشعراء والمترجمين ويوسعون على العمال والجنود والشرط لصيانة الملك وإقامة العدل بين الناس .

وكان لارباب الوجاهة والمال عناية باصلاح الري . يدلنا على ذلك مثال ذكره قدامة بن جعفر وهو انه انبثقت بثوق في دجلة ايام الحجاج فلم يثنه اشتغاله في الحروب عن ان يكتب الى الوليد بن عبد الملك يخبرها وبانها تستلزم انفاق ثلاثة ملايين درهم فلما استكثرها قال له اخوه مسلمة بن عبد الملك « انا أنفق على سدها من مالي على ان تعطيني خراج الأرضين المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد إنفاق المال على ايدي ثقاتك

فرضي الوليد بذلك فحصل له ارضون وطساسيج كثيرة فحفر نهرين سماهما السيبين وتألف الأكرة والمزارعين وعمر تلك الارضين . وجرى الناس على ذلك الى أواخر بني أمية » .

وكان العباسيون اكثر اهتماماً من الأمويين في شؤون الفلاحة وتعمير القرى والدساكر لاسيما في السواد اي بين دجلة والفرات حيث كان مقر ملكهم فلقد احتفروا الأنهر والمجاري وأقاموا الأسداد وأنشأوا الجسور حتى أصبح مابين النهرين على اتساعه شبيهاً بالغوطتين من حيث اشتباك الأنهار ومجاري الإسقاء . ولدينا مثال أقرب في قنوات سلمية وأطرافها فان التاريخ ينبؤنا بان أرباض سلمية بين حمص وحماة كانت ايام الدول العربية رياضاً غناء تسقى بقني عديدة لم تدع للاعداء أثراً . وقد ردمت هذه القنوات كما انبثقت أسداد دجلة والفرات وردمت أنهارهما ومجاريهما بعد ان ضعف شأن الخلافة العربية وانهال عليهـا من المشرق برابرته . وكانت خلاصة تقرير السير ويلكوكس المهندس المائي الشهير الذي كانت الحكومة التركية انتدبته لدرس الري في العراق (وقد ترجمته بالعربية) عبارة عن إعادة فتح الأنهار والمجاري وإقامة الأسداد التي كانت ايام الرشيد والمأمون .

وكان سكان الشام والعراق أضعاف سكانها اليوم كما ان سكان مصر كانوا يقدرون بنحو ٢٠ مليوناً . وهذا لا يستغرب . ألم يكن سكان مصر ثلاثة ملايين منذ اقل من قرن فاذا بهم اليوم نحو ستة عشر مليوناً بعـد ان عدل محمد علي وذريته بين الناس وبعد ان أنشأت القناطر الخيرية وسد أصوان وفتحت مجاري الري واكتشف ان القطن الجيد الشعر يألف تربة مصر وإقليمها .

والأشجار والزروع التي كان يزرعها العرب عدد عظيم بل هي كل ما نعرفه في ايامنا هذه الا ما نقل حديثاً من العالم الجديد اي اميركة الى العـالم القديم مثل التبغ والبطاطا والقلقاس وغيرها او نقل الينا من البلاد البعيدة التي استعمرها الاوربيون كالقشطة والمنجو والمشمش الهندي وأضرابها . وكان لهم حذق بالتجارب الزراعية واصطفاء الأصناف النباتيـة الجيدة وتكثيرها ولأنواع المشمش والتين وخلافهما من الفواكه اصناف تعد بالعشرات . ومن البديهي انه لايقتني أصنافاً عدة كهذه الا الذين يعرفون مزايا كل منها و يعرفون كيف الحصول عليها .

وللعرب فضل في نقل كثير من النباتات المفيدة الى اوربا وتعريف الفرنجة بها . ذكر مؤلفو الافرنج ان العرب هم الذين نقلوا القطن الى الاندلس وصقلية فاقتبس الاوربيون زراعته عنهم . وقالوا ان اول من بحث في القطن فأسهب في زرعه ودوّن ما كان يعرفه فيه المصنفون المصريون والفرس القدماء هو ابو زكريا يحيى بن محمد بن العوام الاشبيلي في كتابه الشهير « الفلاحة الاندلسية » واقتبس العرب من الصينيين زرع قصب السكر واستخراج السكر منه فنقلوهما الى مصر وصقلية والاندلس وهنالك تناولها الاوربيون ولا سيما البرتغاليون ثم تفشت زراعة هذا النبات في اميركة بعد اكتشافها وخصوصاً في كوبة والمكسيك . وذكر اكبر علماء النبات ان العرب هم الذين يرجع الفضل اليهم في نقل معظم أشجار الفصيلة البرتقالية من شرق آسيا ونشرها حول بحر الروم . فالأترج مثلاً مهده الاصلي في الهند وقد نقله العرب منها في القرن الثالث من الهجرة وأذاعوه في البلاد التي امتد سلطانهم عليها . ومهد الليمون الحامض هو في الهند ايضاً وقد نقله العرب الى العراق والشام والمغرب والاندلس فوجده الصليبيون متأصلاً في الشام فنقلوه الى ايطاليا وغيرها . وهكذا يقال في البرتقال والليمون الحلو الاالكباد فاليونانيون كانوايعرفونه . اماالمندرين (يوسف افندي) فحديث وكذا الليمون الهندي او الفراسكين . واخذ الفرنج عن العرب زرع البطيخ والمشمش والخوخ كما نقلوا من مصر والشام الى بلاد الفرنجة عدداً كبيراً من العقاقير الطبية والأبازير والافاويه التي منابتها الهند وغيرها من البلاد الحارة .

وترجم العرب عن اليونانية والنبطية كتباً كثيرة في النبات والحيوان والماشية والزراعة . وأشهر الكتب الزراعية التي ترجمت بالعربية كتاب الفلاحة النبطية الذي تقدم ذكره . وثم كتاب لا بأس به وهو كتاب الفلاحة الرومية لقسطا بن لوقا البعلبكي وأشهر كتاب هو الذي ألفه ابن العوام في القرن السادس من الهجرة وسماه (كتاب الفلاحة الاندلسية) . قال العالم الفرنسي رنجلمان « كان ابن العوام يسكن اشبيلية وكان يجرب تجارب عديدة على جبل الأشرف وليس كتابه معرض فصاحة وبلاغة بل هو مجموعة أجمل الأبحاث والقواعد الزراعية التي كتب فيها الأنباط واليونانيون والرومانيون عدا ما كان يتبع في الاندلس » . وقال العالم الزراعي انطوان باسي

(Antoine passy) في تقرير قدمه الى الجمعية الوطنية الزراعية الفرنسية سنة ١٨٥٩ « ان ما لكتاب ابن العوام من عظيم الشأن لا يقتصر على كونه حاوياً الفنون الزراعية القديمة مع التي تتبع في الاندلس بل لهذا السفر قيمة ثانية وهو انه كشف النقاب عن انه كان للعرب نظرات في الطبيعة والكيمياء لم نكن نرقب وجودها · وهو سفر مملوء بالفوائد يطل بنا في شكل موجز على ما كانت عليه زراعة الأمم القديمة ثم ما بلغته بعدها في الاندلس وفي جميع البلاد الاسلامية إبان الفتح الزاهر · وفي الاختصار ان هذه الدائرة الزراعية التي خص بها القرن الثاني عشر من الميلاد هي كاملة » ·

يستخلص مما ذكرته عن الزراعة في عهد العرب بعد الاسلام انه حق لأجدادنا الفخر لاحتفاظهم بكثير من علوم الأقدمين الزراعية وباضافتهم تجاربهم وملحوظاتهم اليها مما لا يخلو من فوائد عملية ومن حقائق علمية تقرها عقولنا اليوم · فكما قيض التاريخ هذه الامة الكريمة للاحتفاظ بعلوم اليونان والرومان والفرس والهنود والأنباط في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات وغيرها وذلك في القرون الوسطى يوم لم يكن غيرهم في عالم المدنية فلقد جعلهم ايضاً حفظة العلوم الزراعية بفروعها · وهذه الحقيقة التي لم يكتب فيها احد الى الآن على ما أعلم يجب ان ترسخ في أذهاننا حتى اذا جاء ذكر العرب إبان مدنيتهم الزاهرة نقول بملء فمنا انهم عرفوا ان يحفظوا و يوسعوا كل العلوم المفيدة التي كانت للعالم المتمدن من قبلهم بلا استثناء ·

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي العربي

قانون البلاغة

— ٣ —

ومن هذا الجنس كتاب الحجاج الى المهلب يستزيده في قتال الأزارقة : فان انت فعلت ذلك ، والا شرعت عليك الرمح . فقال المهلب في الجواب : ان شرعت اليّ الرمح ، قلبت عليك ظهر المجن . فهذا المذهب الذي هو التمثيل معاكس لمذهب الإرداف ، اذ كان في ذلك قوة الإسهاب والبسط . وفي هذا قوة الايجاز والجمع ، وهو ايضاً مستعمل في العبارة الشعرية . وقد ذكرنا وجه استعماله في الشعر في الكتاب الذي أفردناه في البلاغة الشعرية .

ومن عيوب اشتراك اللفظ ، والمعنى ، (الإخلال) ، وهو ان يخلّ من اللفظ بما فيه استيفاء المعنى وتمام المقصد به ، مثل ما كتب كاتب فقال : فان المعروف اذا زجا [1] كان أفضل منه اذا توفر وابطا . فأرى ان هذا الكاتب انما أراد ان يقول له : فان المعروف اذا قلّ وزجا ، كان أفضل منه اذا كثر وابطا ، فترك ما به يتم المعنى ، وهو ذكر القلة .

ومن عيوب هذا الجنس الإخلال بالافادة ، وهو ان يؤتى في الكلام بزيادة لفظ يفسد المعنى ، كما لو قال قائل مثلاً : فان الامر والنهي ، لو ذقتها ، طيبان . فقوله لو ذقتها زيادة تفسد المعنى ، وذلك انه لولم يذقها لم يكونا طيبين ، وليس الطيب والكريه انما يكونان كذلك بذواق الذائق لها بل هما على هذه الحال بانفسها .

ومن عيوب اشتراك اللفظ [2] ان تقدم الفاظاً تقتضي جواباً يأتي بعدها باعادة ما تقدم منها ، فلا يؤتى بالألفاظ باعيانها ، بل ينقل المعنى الذي تدل عليه الألفاظ الى ألفاظ أخر غيرها ، مثل ما كتب بعضهم : فان من اقترف ذنباً عامداً ، واكتسب جرماً قاصداً ، لزمه ماجناه ، وحاق به ما توخاه . فنقل لفظي الاقتراف والاكتساب ، الى لفظي الجناية والتوخي . وكان الأحسن ان يأتي بهما باعيانهما فيقول : لزمه

(١) زجا الامر تيسر واستقام . ولعله (وحى) بمعنى اسرع ليقع في مقابلة (ابطا)

(٢) اسم هذا العيب ساقط من الاصل .

ما اقترفه ، وحاق به ما اكتسبه ، اذ كان ذلك هو الذي يختاره البلغاء .

ومن عيوب هذا الجنس ، الهذر والتبعيد ، عند الحاجة الى الايجاز والتقريب ، وهذا هو زيادة الألفاظ على المعاني من غير سبب يدعو اليها ، او حاجة تبعث عليها ، والمثالات في ذلك موجودة كثيرة من كلام العامة والدخلاء في الصناعة .

ان من آلة الكاتب وأداته ان يضيف الى الاحسان في المكاتبة ، مثل ذلك في المحاورة والمخاطبة ، حتى تكون ألفاظه مهذبة ، واشاراته مستعذبة ، والنفوس نحوه اذا نطق منصتة . فمن المحاورة المستحسنة قول الفضل بن الربيع فقد قال له الرشيد : كذبت . قال يا امير المؤمنين : وجه الكذوب لا يقابلك ، ولسانه لا يخاطبك [1] ، فوصله . وقال : كذبني فوصلته ، لحسن جوابه . ودخل سعيد بن مرة على معاوية فقال له : انت سعيد بن مرة فقال انا ابن مرة وانت السعيد فوصله لحسن جوابه . وقال السفاح او المنصور للسيد الباقر أأنت السيد . فقال : انا ابن ابي وانت السيد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس : انت اكبر مني فقال : انا أسن ، وانت اكبر مني . وقال سعيد بن عمرو بن عثمان لطويس المخنث : اينا أسن فقال : بابي انت وامي ، لقد شهدت زفاف امك المباركة الى ابيك الطيب . فلو جعل الطيب وصفاً للام قد هجّن بالابن . وعلى حسب مايستحسن هذا الجنس من الجواب ، يستقبح ما كان خلافه من الخطاب . كما يروى ان رجلاً مرّ بابي بكر او بعمر ومعه ثوب وقال تبيعه قال : لا عافاك الله فقال قد علمتم لو تعلمون هلا قلت لا وعافاك الله .

ومما جاء من الدلالة على تفضيل البلاغة ما انا ذاكره في هذا الكتاب قال العباس يا رسول الله فيم الجمال ؟ فقال في اللسان . وزعمت الحكماء ان اعلى الخلق مرتبة الملائكة ثم الانس ، وانما صار لهؤلاء الفضل على سائر اصناف الخلق بالعقل والنطق . وقال مسلمة بن عبد الملك مروءتان ظاهرتان الرياش والفصاحة . ودخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر فاحتقره لدمامة كانت فيه فقال تسمع بالمعيدي خير من ان تراه . و يقال لا ان تراه . فقال ابيت اللعن ان الرجال ، لا تكال بالقفزان ،

(١) تروى هذه العبارة لسهل بن هرون باسلوب آخر .

وليست بمسوك [1] يستقى فيها . وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه ان صال صال بجنان ، وان قال قال بلسان . قال الشاعر [2] :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه في التكلم

ومما جاء في وصف البليغ وترتيب البلاغة ما انا ذاكره : حكى الجاحظ عن بعض حكماء الهند انه قال : اول البلاغة جماع آلة البلاغة . وذلك ان يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الامة ، بكلام الامة ، ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكون معه من القوة ما يصرّف به لفظه في كل طبقة ، حتى لا يدقّق المعنى اذا خاطب أوساط الناس ، ولا يدع ذلك اذا خاطب حكيماً او كاتب فيلسوفاً .

وقال الجاحظ من شروط البليغ ، ان يكون ذاكراً لما عقد عليه اول كلامه ، ويكون تصفحه لمصادره ، في وزن تصفحه لموارده . قال : وكان خالد بن صفوان يوصف بانه أذكر النـاس لاول كلامه ، وأحفظهم لكل ما سلف من منطقه ، فقال فيه الشاعر :

عليم بتأويل الكلام ملقّن ذكور لما سدّاه اوّل اولا
يبذ [3] قريع القوم في كل مجمع وان كان سحبان الخطيب ودغفلا
ترى خطباء الناس عندار تجاله كأنهم الكروان عاين أجدلا

وقال بعض نُقّاد الكلام : جماع البلاغة حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، وقلة الخرق بما التبس من المعاني ، او غمض بما بعُد من القول او شرد . وقال بعضهم في تقدير الكلام وترتيبه : ليكن صدر كلامك دليلاً على حاجتك ، كما ان خير أبيات الشعر ما اذا سمعت صدره عرفت قافيته . مثال ذلك ان تفرق بين صدر خطبة النكاح ، وبين صدر خطبة الصلح ، حتى يكون لكل فن من الفنون صدر يدل على عجزه ، واوله يشير الى آخره .

---

(١) المسك الجلد او خاص بالسخلة جمعه مسوك والمراد بها القرب والروايا .
(٢) وفي هامش الاصل الخزاعي . (٣) في الاصل يبذ — يفوق .

وقال أعرابيٌّ في دعائه : اللهم اني أعوذ بك من فقرٍ مُكبٍّ ، وضرَع الى غير محب . وقال بليغ : بقدر السموّ في الرفعة ، تكون الوقعة . وقال بعض الخطاب : لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك تلفا . وذمّ اعرابي رجلاً فقال : كان صغير القدر ، قصير الشبر[1] لئيم النجر ، كثير الفخر .

وسمع الحسن بن علي ان نافع بن جبير قال : كان معاوية يسكته الحلم ، وينطقه العلم . فقال : بل يسكته الحصر ، وينطقه البَطر . وقال بليغ : من عرف الناس داراهم ، ومن جهلهم ماراهم . وقال علي بن ابي طالب : هل من خلاص ، او مناص ، او فرار ، او نحـار[2] ، او منجا ، او ملجا ، او معاذ ، او ملاذ . وقال رجل لآخر : أتعرفني فقال : أعرفك كثير السعاية ، قليل النكاية . قال المهلب لمالك بن دينار : أتعرفني فقال : نعم انت الذي اوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما يحمل العذرة . فقال : لقد عرفتني حق المعرفة . ووصف اعرابي ناقة فقال : هي كالعقرب اذا هوت ، والحية اذا تلوّت ، تطوي الفلاة وما انطوت .

وقيل للاحنف : كيف تسود الناس فقال : بالخلق السجيح ، والكف عن القبيح . وقيل لبنت الخُسّ[3] : اي الرجال أحب اليكِ فقالت : القريب الآمال ، الواسع البال ، الذي يوفد عليه ولا يفد . وقال كاتب : الشكر[4] وان قلّ ، ثمن لكل نوال وان جلّ . وقيل لبعضهم : اي اخوانك أوجب عليك حقًا فقال : الذي يسد خللي ، ويغفر ذللي ، ويقيل عللي . وأوصى حكيمٌ رجلاً فقال : سائل العلماء ، وجالس الحكماء ، وخالط الحلماء . فان مجالستهم غنيمة ، وصحبتهم سليمة ، ومؤاخاتهم كريمة .

وخرج شبيب بن شبة من دار الخلافة فقيل له : كيف رأيت الناس فقال : رأيت الداخل راجيًا ، والخارج راضيًا . وقيل لصعصعة بن معوية : هل كان من مطر قال نعم حتى عفّى الاثر ، وأنضر الشجر ، ودهده الحجر . وسأل الحجاج رسوله

(١) في الاساس : فلان قصير الشبر مقارب الخلق . (٢) كذا في الاصل فليحرر .
(٣) ابنة الخُسّ مشهورة في الفصاحة عند العرب وهي من بني إياد جاءت عنها الامثال تقول اين بنت الخُسّ ، من فصاحة قس . (٤) في الهامش الشكر عند الكريم .

لراجع من السند اليه عنهـا فقال : ماؤها وشل ، ولصّها بطل ، وتمرها دقل [١] ، ان كُثر الجيش بها جاعوا ، وان قلوا ضاعوا . ووصف بليغ منطقاً فقال هذا كلام يكتفى باولاه ، و يُشفى بأُخراه . وقال الجارود بن ابي سبرة سوءُ الخلق يفسد العمل ، كما يفسد الخلّ العسل . وقال بليغ : ليس بكريم من لم تُذهب القدرة حفيظته ، والبلوى ضغينته .

ووصف اعرابي حرباً فقال : اولها شكوى ، واوسطها نجوى ، وآخرها بلوى . ووصف اعرابي رجلاً فقال : مارأيت أضرب لمثل ، ولا اركب لجمل ، ولا اصعد في قلل منه . وقال عمر بن عبدالعزيز ، انما هلاك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى يشترى ، و بسطهم الظلم حتى يفتدى . وقال الخُسُّ لبنتـه أُريد شراء فحل للابل . فقالت : ليكن أسجح [٢] الخدين ، غائر العينين ، ارقب [٣] اخزم [٤] اعكر [٥] اكوم [٦] ان عُصيَ غشم [٧] ، وان أُطيع تجرثم [٨] . ولما سئلت عن الفها الغلام قالت : طول السواد [٩] ، وقرب الوساد .

وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة اشياء لا تنقص ولا تزيد . اللفظ والاشارة والعقدة والخط والنصبة وهي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الاصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات ، ولكل واحدة من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبها ، وحلية مخالفة لحلية أُختها ، وهي التي تكشف لك عن اعيان المعاني في الجملة ، وعن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها في السار والضار ، وعما يكون لغواً بهرجاً ، وساقطاً مطرحاً .

وانا ذاكر لك بعض الرواية في مدح الكتابة ونعت آلاتها ، وما يحتاج الكاتب

(١) أردأ التمر . (٢) الاسجح البعير الرقيق المشفر . (٣) الارقب الغليظ الرقبة . (٤) الاخزم المذلل ، وفي رواية الاحزم وهو الغليظ موضع الحزام مع شدة . (٥) كثير شحم السنام . (٦) الاكوم المرتفع السنام . (٧) غشم الراعي البعير غشماً هنأه بالهناء اي القطران لا يترك من الهناء شيئاً الا يتهناه يصبه على صحيحه وسقيمه . (٨) تجرثم اجتمع ولعله يعني بذلك استنباخ . (٩) السواد بكسر السين مصدر ساوده اذا سارّه .

ان يأخذ نفسه به فيها ، و يستعمله في احكامه و بحوثه ، من العلوم التي بها قوامه ونظامها ، ومنها موادها وعليها اعتمادها . قال احدالحكماء المنطقيين ، وزعماء الخطابة ، وفرسان الكلام : ان الله جعل للكتابة حظاً بارزاً ، ومكاناً ظاهراً ، ومحلاً بادياً ، تدركه الابصار بالروية ، وتراه العيون بالابصار ، وتنساله المشاعر بالاشتمال . يكون عند النسيان مرجعاً ، ولمن عدم ثقافة الذكاء مكرّاً ، وعند عوارض العلل مآباً . ثم سماه باحسن تسمية ، وحلاه باجلّ رتبة ، فسماه بالعربية عقلاً ، وجعل ذلك له شرفاً وفضلاً . فذلك تأويل الكتاب عند العلماء ، وتفسيره لدى الحكماء ، الذين يتأملون مخارج التدبير ، و يتفقدون إصابة التقدير . فيجمل في صدورهم حكمة الخلاّق العليم ، و يعلو في اعينهم آثار صنع المقتدر الحكيم . فتأخذ في افئدتهم محبة امره ، و يستولي عليهم رفق معادن حكمته ، والشغف بظاهر نوره ، وسمّى من آهّله له عاقلاً و بالفارسية دوفير اي ذو كتابة (١) ثم جعله نوراً يستضاء به ، ودليلاً يعتمد على هدايته ، وشاهداً يسكن الى عدالته ، وصوتاً يبلغ الآفاق في غير اشتراك من الكل في استماعه ، يسمع به النائي البعيد محالّه ، و يستر عن الداني القريب قربه ، وسهماً صائباً لغرضه في غير تجرم للمتوسطات دونه ، ومصاحباً يدرك به الكاتبون ما استتر على الاميين ، وهم في الحضور مشتركون ولاحضر منه (؟) مشرفون ، وحارساً لحقوق المستحقين ، وديون الغارمين ، من مقرض امهل ، ومبايع أجّل ، ومتاجر أخّر . هي مخاطبة غيبية ، ومناجاة خفية ، ومراسلة عقلية ، وأدعية حسية . مع دلالتها على الصانع الحكيم ، الذي جعل بين حظوظ العالمين ، على ابد الآبدين . فروقاً مميزة ، وفصولاً مبيّنة . كاختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وافتراق صورهم وابدانهم . فسبحان من ليس لقدرته شبه ، ولا يدرك لحكمته كنه ، وهو بكل شيء عليم .

ووجدنا هذا العلم الذي هو إناء الحق ووعاؤه ، وخلَف الاشياء والبدل منها ، وصور الامور ومثالها ، محصّلاً بالحفظ ، محفوظاً محروساً بالعقل ، مجدّداً بالذكر ، مسترجعاً بالتذكر ، مستنبطاً بالتفكر . مقبولاً بالفهم ، مُتَلَقّناً بالذكاء ، مستحضراً

---

(١) وفي هامش الاصل اي ذو خاطرين ولعل صوابه دودبير اي كاتبان .

بالذهن ، رابياً بالتعهد ، مدركاً بالطلب الذي يدعو اليه الانتياب ، و يحدو عليه الحرص ، وتنجه العناية . وتأمر به الالباب ، وثمره السعادة ، و يجمع امره التوفيق . ووجدناه كثير الآفات عند الاعداء ، مستجمع الاضداد ، حاضر الانداد . فالنسيان يذهب به ، والشغل يحول دونه . والوَنْية تقعده ، والفتور يفنيه ، والرّين يعمّي على روّيته . والفدامة[1] تثبط عن دركه ، والاضراب يعفّي سبيله ، والامراض تنهك آلته ، والعلل تخرّب محله ، والبطالة تخلّ به . والشيطان يصدّعنه ، والأمّارة بالشر تُعمي الطريق اليه . وملاك الامر فيما تأخذه به نفسك في اراغة المعاني ومساواة الالفاظ ، ورياضة الطبع في تخير الكلام ، واستعمال القريحة في اختلاف عرر الالفاظ ، ليتكامل حظك من الدربة ، ويقوى مضاؤك في مذاهب البلاغة . فقد قيل : ان رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحها رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، و بهاؤها تخير الالفاظ ، والمحنة (كذا) مقرونة بقلة الاستكراه .

وقد حكى عمرو بن بحر عن ابي الاشعث انه قال : قلت لبهلة الهندي ايام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند الى خدمة دار السلطان : ما البلاغة عند الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ولكن لا أحسن ترجمتها ولم أعالج هذه الصناعة فأثق من نفسي بخصائصها ، وتلخيص لطائف معانيها . قال ابو الاشعث : فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فاذا فيها : اول البلاغة ، اجتماع آلة البلاغة . وذلك ان يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ، ولا الملوك بكلام السوقة . و يكون في قوله[2] فضل للتصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ، و يصفيها كل التصفية ، و يهذبها غاية التهذيب . ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً وفيلسوفاً عليماً . ومن قد تعوّد حذف فضول الكلام ، واسقاط مشتركات الالفاظ . ومن قد نظر في صناعة المنطق ، على جهة الصناعة ، لا على جهة الاعتراض والتصفح ، ولا على

---

(١) الفدامة مصدر فدم الرجل كان فدماً اي عيياً عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم وفطنة . (٢) في كتاب الصناعتين : و يكون في قواه التصرف في كل طبقة .

جهـة الاستطراف [١] والنظر . واعلم ان حق المعنى ان يكون الاسم له طبقاً ، وتلك الحالة له وفقاً . ويكون الاسم لا فاضلاً ولا مقصراً ، ولا مشتركاً ولا مضمناً . ويكون مع ذلك ذاكراً لما عقد عليه اول كلامه ، ويكون تصفحه لمصادره ، في وزن تصفحه لموارده ، ويكون لفظه مونقاً [٢] ، وللقول في تلك المقامات معاوداً .

ومدار الامر على افهام كل قوم بقدر طاقتهم ، والحمل عليهم على أقدار منازلهم ، وان تؤاتيه آلته ، والتصرف معه أداته . ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً ، وفي حسن الظن بها مقتصداً . فانه ان تجاوز الحق في فقدان [٣] حسن الظن ، أودعها تهاون الآمنين [٤] ، ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن ، ولكل وهن مقدار من الجهل ، وقال بعض (بلغاء) الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة . ثم قال : ومن البصر بالحجة ان يدفع الافصاح بها الى الكناية عنها ، اذا كان الافصاح بها أوعر طريقة . وربما كان الاضراب عنها صفحاً ، أبلغ من الدرك ، وأحق بالظفر . وقال مرة : جماع البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، وقلة الخرق بما التبس من المعاني ، او غمض بما شرد عنك من اللفظ وتعذر .

« للبحث صلة »

---

(١) في الصناعتين : الاستطراف والتطرف لها . (٢) في الصناعتين بدلاً من جملة وللقول الخ هذا : ومعناه نيراً واضحاً . (٣) في الصناعتين : مقدار . (٤) في الصناعتين بعد تهاون الآمنين هكذا : وان تجاوز بها مقدار الحق في التهمة ظلمها ولكل ...

اعضاء المجمع في الغرب

اغناطيوس كراتشقوفسكي

« ترجمته بقلمه العربي »

ولدتُ في ٤ آذار سنة ١٨٨٣ في ڤيلنا عاصمة ليتوانية القديمة ، وكان والدي رئيساً لمدرسة المعلمين فيها . ولكن لم يمض من عمري سنتان حتى ارتحلت عائلتي الى بلاد ما وراء النهر ، وعين والدي رئيساً لمدرسة المعلمين في تاشكند ، وبعد مدة وجيزة عين ناظراً عاماً للمدارس في آسيا الوسطى . وابتدأت أذكر نفسي طفلاً صغيراً في تاشكند واول لغة تكلمتها لغة أوزبكية لان حاضنتي كانت أوزبكية الاصل . وكانت تأثراتي الاولى في صغري بما وقعت عيني عليه من المساجد والاسواق الشرقية ، وتنوع الامم والطوائف واختلاف الالبسة . وكان لهذه التأثيرات وقع شديد في نفسي ايام طفولتي . وا كبر ظني اني غدوت ميالاً الى الشرق وان كنت غير مدرك هذا الميل الغريزي .

وفي سنة ١٨٨٨ رجع والدي الى ويلنا وصار مديراً للمكتبة العمومية ، ورئيساً في لجنة البحث عن الآثار التاريخية القديمة ، ولم يزل عاملاً فيها الى ان فاجأته المنية رحمه الله في سنة ١٩٠٣ . وكنت في صغري ضعيف الصحة تتناوبني الامراض ، ولذلك كنت مع أمي الى سنة ١٨٩٣ في ملك صغير كان لنا في ولاية ويلنا ، وفيه كانت خزانة الكتب الكبيرة في أنواع منوعة في العلم جمعها جدي وابي وقد ضاعت في الحرب العالمية سنة ١٩١٥ مع كل ملك لنا . وكنت أتعلم القراءة في هذه الكتب وقرأت كثيراً من المؤرخين والقصاصين في اللغة الروسية . كنت أصغر أولاد أبي وأمي ، ولذلك نشأت بعيداً عن العشير والاتراب ، وربما صار هذا سبباً لحبي الوحدة وسوء الظن بالعالم ، والسويداء التي تعذبني أحياناً حتى الآن .

وفي سنة ١٨٩٣ دخلت المدرسة الاعدادية (الجيمناز) في ويلنا ، وأكملت دروسها سنة ١٩٠١ . وكانت مدرستنا من أشهر المدارس في ولايتها من حيث تاريخها وترتيبها . قامت على أساس الكلية الويلناوية التي ألغيت سنة ١٨٣٣ على اثر الثورة البولونية على روسية . وأصبحت مكتبة الكلية مكتبة عامة ، وبقي قسم منها

في مكتبة المدرسة ، ولذلك رأيت فيها بعض كتب المشرقيات كمؤلفات العلامة دي ساسي . وقد حاولت في الصف الاخير ان أتعلم اللغة العربية من كتابه في الصرف والنحو المشهور ، ولم يتيسر لي ذلك لضخامة الكتاب وعدم المرشد . تخرّج من كليتنا وفي مدرستنا عدد ليس بقليل من علماء المشرقيات المشهورين في روسية مثل سينكوفسكي المعلم الاول للغة العربية في كلية لينيغراد من سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٤٥ وتوراَيف عضو اكاديمية العلوم ومؤسس الابحاث في قدماء المصريين في روسية المتوفى سنة ١٩٢١ . وقوتويتش أستاذ اللغة المغولية في كلية أووف من بلاد بولونية الآن.

وكنت أهفو ايام الطلب الى علوم اللغات والآداب ، لا سيما اللغات « الميتة » اللاتينية واليونانية . ومما كان يلذني و يشوقني تعلم أغاني هوميروس والروايات التمثيلية التي كتبها شعراء اليونان فكنت استظهرها وارجعها . وكذلك كنت أحب علم التاريخ والإنشاء ، وكنت أتمرن في نظم الشعر ولكن لم أظفر منه بطائل . اما الرياضيات والطبيعيات فلم تتق اليها نفسي ، وان كنت غير قاصر فيها ، وأحرزت قصب السبق بين أقراني ونلت نوط الذهب عقبى المدرسة .

ولم أتجاوز السادسة عشرة من عمري حتى قويت أميالي وتعينت غرائزي وصرت أفكر فيما أجعله غرض حياتي ، وقد رأيت بعد بحث طويل ان العلم يجذبني اليه بقوة سحرية ، وان الشرق يكون ميدان أفكاري . ولا غرابة فقد زرت الشرق في طفولتي وكان ابداً يتمثل نصب عيني . وكان لي مثال آخر في شخص ابي فاني كنت أراه مكبًّا على الكتب والاوراق في الليل والنهار يبحث عن ماضي الزمان ورجاله .

وفي سنة ١٩٠١ دخلت قسم اللغات الشرقية في جامعة لينيغراد مدفوعًا بعامل الميل وهوى النفس انضممت الى سلك تلاميذ فرع لغات الشرق الاسلامي . فصرفت اربع سنوات في دراسة اللغة العربية والفارسية والتركية والتتارية وبعض اللغات السامية كالعبرانية ولا سيما الحبشية القديمة ، ودرست هذه الاخيرة على وطنيّ العلامة توراَيف ، ولطالما فكرت ان أخصي فيها وأتعمق لكن اللغة العربية غلبت ضرتها وجذبتني جملة اليها . وكنت أدرس تاريخ الشرق الاسلامي برياسة العلامة بَرْتولد الذي ترجمت بعض تآليفه الى اللغة التركية مؤخراً . وله التأثير المهم في حياتي العلمية

فانه باسلوبه السديد المتين وانتقاده المدقق أطلعني على أسرار فلسفة التاريخ . وكذلك درست علم اللغات العام على المعلم ميليورانسكي المنتقل الى رحمة ربه سنة ١٩٠٦ وعلم تاريخ الآداب العامة على العلامة اسكندر فيسيلوفسكي ، وهو من اكبر علماء العالم بأسره في هذا الفن . وكان له في نفسي تأثير قوي كتأثير برتولد في التاريخ ، وغدوت من ذلك الوقت أفكر في تطبيق أسلوبه التشبيهي على تاريخ آداب اللغة العربية ، وارجو ان اكون بلغت شيئاً من ذلك في مؤلفاتي عن العربيات .

اما العلوم العربية فدرستها على الاستاذ ميدنيقوف مؤرخ فلسطين المشهور المتوفى سنة ١٩١٨ الذي أثنى على تآليفه الكونت كايتاني من اعضاء المجمع العلمي العربي . اما عمدتي في العربية فهو العلامة فيكتور فون روزن عضو اكاديمية العلوم الذي طارت شهرته في بلاد الغرب والشرق (راجع المشرق سنة ١٩٠٨ ص ١٧٣—١٧١ والبشير عدد ١٨٤٥ للسنة ذاتها) . وكنت ايضاً أختلف الى بعض اولاد العرب الساكنين في روسية كفضل الله صرّوف الدمشقي المتوفى سنة ١٩٠٣ وانطون خشاب الطرابلسي آخذ منهما قليلاً من اللغة العربية الدارجة . ولقد أنجزت دروسي في الكلية سنة ١٩٠٥ نائلاً مدالية الذهب مكافأةً لتأليفي عن خلافة المهدي العباسي آخذاً عن المصادر العربية كالطبري وابن الاثير والعيني والمسعودي وغيرهم .

وبعد انهاء دروسي في الجامعة كنت أواصل دروسي تحت انظار البارون روزن الموماليه خلال سنتين . وفي أواخر سنة ١٩٠٧ قدمت الفحص لنيل رتبة الماجسطروس في الآداب العربية . وبعد اشهر قليلة توفي استاذي البارون روزن وكانت وفاته ضربة هائلة علي ، شوشت صحتي وحركت المرّة فيّ ، ولا غرو فاني كنت آخر تلاميذه وكان يسميني بلطفه المشهور بنيامينه الصغير .

وفي صيف تلك السنة نفسها أرسلتني نظارة المعارف وجامعة بطرسبرج الى الشرق العربي لتعلم اللغة العربية الدارجة والتعرف الى علماء العربيات والنظر في عوائد ابناء الشرق وآدابها . وقد قضيت سنتين بعيداً عن الروسية زرت خلالها مدن سورية وفلسطين ومصر وتوغلت في ربى لبنان وغاباته ومروج الجليل وصحاري مصر أزور حيناً المكاتب المشهورة وحيناً أجلس أمام العلماء المكرمين ، وتارةً أختلف الى المدارس

الكبيرة كالكلية اليسوعية في بيروت والجامع الازهر والجامعة المصرية في مصر وزرت في سياحاتي مكتبة الملك الظاهر في دمشق والمكتبة الخالدية في القدس ومكتبة الموازنة في حلب والمكتبة الخديوية في القاهرة وغيرها مما تسنى لي الدخول والاشتغال فيه وجمعت المواد العديدة وكتبت بعض المقالات والانتقادات والاشعار المنثورة في الجرائد والمجلات العربية والروسية ٠

وتعارفت خلال إقامتي في الشرق العربي الى كثير من علماء العرب وأدبائهم وصحافيهم ولا أنسى لطفكم وعنايتكم مدى الدهر ٠ وكان هذا اللطف العربي المشهور من اهم الاسباب التي جذبتني الى الشرق جذبة لا اتخلص منها ما دمت حياً ٠ تعرفت الى كثير من العلماء الذين صاروا من اعضاء المجمع العلمي المكرمين فيما بعد ٠ ففي القاهرة عرفت جرجي زيدان الذي اخترمته المنية سنة ١٩١٤ واحمد زكي باشا عضو المجمع العربي الحالي والاستاذ نالّينو الطلياني ، وفي فلسطين السيد خليل السكاكيني والشاعر الفاضل إسعاف النشاشيبي ، وفي بيروت حضرت دروساً للاب العلامة لويس شيخو ، وفي دمشق زرت إدارة مجلة المقتبس الغراء ٠ واستفدت في هاتين السنتين اكثر مما استفدت طول حياتي ٠ ولا أزال ارجو ان يرزقني الله رؤية تلك البلاد المحبوبة ومسامرة اعيان علمائها مرة ثانية ، تم الله أمنيتي بالخير فهو السميع المجيب ٠

وبعد رجوعي الى الروسية عُينت في صيف سنة ١٩١٠ مديراً لمكتبة فرع اللغات الشرقية في كلية لينيغراد ، وفي خريف هذه السنة صرت معلماً ثانياً للعربيات فيها وفي سنة ١٩١٤ سافرت الى اوربا لدرس بعض المخطوطات في مكاتبها المشهورة مثل ليبسيك وهالّة ولا سيما ليدن من بلاد هولاندا التي طارت شهرتها في الدنيا بسبب مجموعتها في الكتب ٠ وقد اغترف منها كثير من علماء المشرقيات في اوربا ٠ وعُينت سنة ١٩١٧ معلماً اول للعربيات في المدرسة المذكورة ، ولم ازل اجتهد في هذه الوظيفة حتى الآن على قدر الإمكان في تقلبات الزمان ٠ وقد اصاب الدهر المستعربين غيري في لينيغراد ٠ فمات الاستاذ الاول ميدنيقوف سنة ١٩١٨ وتوفي الاديب كوزمين احد تلاميذي سنة ١٩٢١ وقد كان مدة سنتين معلماً ثانياً في جامعتنا ٠ وعين صديقي

الفاضل الاستاذ شميدت سنة ١٩٢٠ مديراً لمدرسة اللغات الشرقية في تاشكند من بلاد ما وراء النهر وبقيت الى الآن اداًب وحدي في التعليم ·

وفي سنة ١٩٢١ انتخبت عضواً عاملاً في اكاديمية العلوم الروسية في قسم التاريخ واللغات فجلست في مجلس كان فارغاً بوفاة استاذي البارون روزن منذ سنة ١٩٠٨ · وفي السنة التالية انتخبت كاتماً لاسرار القسم المذكور ·

وفي سنة ١٩٢٣ انتخبت عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي في دمشق ، وكان ذلك اكبر شرف نلته مدة عمري وصار هذا التشريف مساعداً لي ومشجعاً في احوالنا الصعبة · ورأيت فيه تقديراً أتفاخر به لاتعابي في التعليم والبحث والتأليف منذ عشرين سنة ·

اما مؤلفاتي العلمية التي بدأت بكتابتها وطبعها من سنة ١٩٠٤ فجلّها ان لم اقل كلها في آداب العرب من بحث وترجمة وشرح وانتقاد ، وكتاب ومقالة ومحاضرة وملاحظة وعددها يربو على المائتين ولذلك لا يمكن وصفها بتدقيق · وقد طبع فهرستها سنة ١٩٢١ وقت انتخابي عضواً في اكاديمية العلوم الروسية وتكلم في تقدير عملي العلمي ثلاثة من اعضاء الاكاديمية الاخصائيين في علوم المشرقيات ، وقد طبع تقريرهم مع الفهرست المذكور ولذلك اكتفيت بالإشارة اليه · ودوائر ابحاثي ثلاث : الاولى منهــا تاريخ الشعر العربي ونقده منذ قديم الزمان الى ايامنا هذه · والثانية آداب اللغة العربية بين نصارى العرب · والثالثة تاريخ آداب اللغة العربية منذ نهضتها الاخيرة في القرن التاسع عشر · وهذا الموضوع الاخير مما افتخر به فإني اول من كتب بالروسية فيه ، وقلّ من كتب عنها من المستشرقين في اوربا · ولذلك قرّظ مؤلفاتي تقريظاً حسناً المرحوم مارتين هارتمن الذي كان مطلعاً على احوال العرب الادبية بمشاهداته الشخصية والإقامة بين اظهرهم ·

ورجائي الآن ان أواصل ابحاثي في هذه الدوائر الثلاث وان يتيسر لي طبع ما تراكم لديّ من الآثار الادبية والابحاث والمقالات · فهذه هي أمنيتي الوحيدة والرجاء ان يبلغني تعالى سؤلي وان مع العسر يسراً وكل ضيق فالى فرج قريب ·

الاستاذ كليمان هوار

فجع المجمع العلمي العربي بعضو عظيم من اعضائه ونابغة مع نوابغ المشرقيات في المغرب المرحوم العلامة كليمان هوار . ولد في باريز يوم ١٥ شباط ١٨٥٤ وتخرج في مدرسة اللغات الشرقية ونال شهادتها وشهادة مدرسة الدروس العالية (شعبة العلوم التاريخية واللغوية) ثم عين ترجماناً مبتدئاً في قنصلية فرنسا بدمشق في ١ آب ١٨٧٥ ثم ترجماناً ثالثاً في سفارة الاستانة ١٨٧٨ — ١٨٨٥ فترجماناً ثانياً ١٨٨٥ — ١٨٩٧ فقنصلاً من الدرجة الثانية في ٩ آذار ١٨٩٧ فكاتم اسرار مترجماً في باريز ١٠ تشرين الاول ١٨٩٨ فمندوباً عن وزارة الخارجية في مؤتمر المستشرقين في الجزائر ١٩٠٥ فكاتم اسرار مترجماً من الدرجة الاولى في ١ نيسان ١٩٠٧ فمندوباً عن وزارة الخارجية في مؤتمر المستشرقين في كوبنهاغن عن سنة ١٩٠٨ فقنصلاً عاماً في ١١ تموز ١٩١٢ .

وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي الافرنسي (Institut) في ١٧ كانون الثاني ١٩١٩ وكاتم اسرار مترجماً من الدرجة الاولى للحكومة لدى وزارة الخارجية في اللغات الشرقية وكان استاذاً في مدرسة اللغات الشرقية الحية ومدير الدروس في مدرسة الدروس العالية العملية (شعبة العلوم الدينية) ونائب رئيس المجمع العلمي الافرنسي (1) ثم انتخب باجماع الاصوات رئيساً له لسنة ١٩٢٧ .

وله عدة تآليف منها ما احياه بالنشر ككتاب البدء والتاريخ للمختار بن طاهر المقدسي المنسوب لابي زيد احمد بن سهل البلخي وهو في ست مجلدات نشره مع ترجمته بالافرنسية . وكتاب الآداب العربية باللغة الافرنسية وتاريخ بغداد وكتاب الخطاطين والنقاشين في الشرق الاسلامي وكتاب دين البـاب وكتابات عربية في آسيا الصغرى . وقونية مدينـة دراويش المولوية . ومختصر نحو اللغـة الفارسية . وانيس العشاق مترجم عن الفارسية . ووثائق فارسية عن افريقية وكتابات عربيـة وفارسية في جامع كي فونغ فو وسينكانفو في الصين . وتاريخ العرب في مجلدين

(1) Académie des Inscriptions & Belles - Lettres

(وقد ترجم هذا الاخير الى الالمانية) وكلها باللغة الافرنسية الى غير ذلك من الكتب والرسائل والقوائم والفهارس والتقاريظ والانتقادات والمقالات التي نشرها في مجلة العالم الاسلامي والمجلة الآسياوية ومجلة تاريخ الاديان ومجلة الانتقاد والمجلة السامية والمعلمة الفرنسية الكبرى والمعلمة الاسلامية وهو يحسن من اللغات الشرقية العربية والفارسية والتركية . وتقديراً لعلمه مُنح عدة اوسمة من حكومته والحكومات العثمانية واليونان وتونس والمغرب الاقصى والعجم .

وانتخب الفقيد عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق . وكان عالماً بلغات الشرق الاسلامي ودينه وآدابه وفنونه . وكان غيره متخصصاً باحدى اللغات العربية او الفارسية او التركية اما هو فكان عالماً بكل منها ويُدرس جميعها . ولكن اللغة العربية اجتذبته فكان يفضلها على سواها فاختصها باثمن اوقاته واستغرقت اكثرجهوده لانه ممن يعتقدون بما للعربية من التأثيرات المستمرة في منازع الشعوب الاسلامية وآدابهم وفنونهم ويرى بانه لا يتيسر لاحد معرفة احداها الا اذا كان ضليعاً من العربية . ولذا كان يلقي درسه في تفسير القرآن الكريم في مدرسة العلوم العليا بباريز باللغة العربية وان قلّ المستفيدون منه لعدم معرفتهم لغة الكتاب العزيز .

كان السيد هوار آية في بعد الهمة ومضاء العزيمة والدؤوب المتواصل في التأليف والنشر مشهوراً بسعة المادة واختيار الموضوعات الطريفة المفيدة . وقد كانت له صلات علمية متصلة مع المجمع العلمي العربي بدمشق منذ اول انشائه ومانشره في مجلته مبحث ممتع في « الدروس العربية في فرنسا » (مجلة المجمع م ٥ ص ١٥٧) دل به على بعد غوره وفضل تحقيقه وانه من اساطين المشرقيات العربية في فرنسا .

يعد فقد الاستاذ هوار خسارة على علوم المشرقيات في الغرب والشرق ، وهو معروف جدّ المعرفة في بلاد العالم الغربي . وقل من ضرب في العلوم الاسلامية بسهم الا وطالع كتبه واخذ منها . لاجرم انه كان في طليعة اعيان علماء المشرقيات لا في فرنسا فقط بل في اوربا واميركا ايضاً . وقد ظل على متابعة ابحاثه وتآليفه الى آخر ايام حياته . اجزل الله ثوابه وعوض العلم عنه خيراً .

جعفر الحسني

آراء وافكار

« الشام » في معلمة الاسلام

كتب الاستاذ الاب لامنس (Lammens) في آخر جزء صدر من معلمة الاسلام (Encyclopédie de l, Islam) مبحثًا في «الشام» وقعت له فيه هنات لا يصح الاغضاء عنها ، فمنها (ص٣٠٢) في فتح الشام ان الأعراب بعدة الردة وقيام ابي بكر الصديق تألفوا عصابات عملاً باشارة الرسول او بغية غزو بلاد خلت من حماتها فرحلوا الى الشام وقابلهم سرجيوس قائد قيسارية للروم فغلبوه في داثن وكان في قلة من المتطوعة ثم ذكر ان خالد بن الوليد خف من العراق وهزم الروم في أجنادين بين ايليا وبيت جبرين ثم انهزم العرب في فحل الخ . ومعنى هذا ان مبدأ الفتح كان بعصابات على عهد ابي بكر فقط ، مع ان جميع كتب التاريخ مجمعة على ان صاحب الرسالة (عليه الصلاة والسلام) انفذ في حياته الشريفة خمس غزوات الى الشام وهي غزوة دومة الجندل (في اول تخوم الشام) وغزوة مؤتة في ارض الشام وغزوة ذات السلاسل وغزوة تبوك وغزوة آبل الزيت . وفي عهد الخليفة الاول أرسلت الجيوش تباعًا دراكاً بقيادة جلة من الصحابة ومنهم خالد بن الوليد وكانت وقعة اليرموك هي الوقعة الفاصلة ، ولم يكن جيش العرب اقل من ٣٥ الفًا وجيش الروم نحو ٢٠٠ الف أنجد مرات . وأراد الاب لامنس ان يصغر من شأن هذا الفتح فنسبه الى عصابات مع انه كانت حروبهم حربًا منظمة ولم يترك الروم في قوس المقاومة منزعًا . وما كان يقصد من الفتح الغزو والغنائم فقط كما قال .

وقال (ص٣٠٤) ان الحركة العقلية كانت في العهد الأموي قاصرة على الشعر وفي رأسها الشاعر التغلبي الأخطل النصراني والخليفتان يزيد الاول والوليد الثاني . مع ان شعراء الأمويين عدوا بالعشرات . والحقيقة ان الحركة العقلية لم تكن أدبية فقط فان خالد بن يزيد الأموي في دمشق امر بان تترجم له كتب الطب والنجوم والكيمياء وجلب فلاسفة من مصر والروم وأغدق عليهم الاموال لذلك . وأنشأ اول خزانة للكتب في دمشق بل في بلاد الاسلام . ثم جاء عمر بن عبد العزيز فأمر ان يترجم كتاب

اهرن بن اعين) . فالحركة اذاً لم تكن أدبية صرفة بل علمية فنية ولم يكن الأخطل النصراني والخليفتان الأمويان مستأثرين وحدهم بهذا الفضل (راجع كتابنا خطط الشام ج ٤ ص ١٨ — ٢٤) .

وذكر (ص ٣٠٤) ان القدرية اخذوا مبادئهم الفلسفية من مواطنيهم النصارى وليس لهذا القول سند يركن اليه وكان ادعاه في كتابه مختصر تاريخ سورية فرددناه عليه (مجلة المجمع م ٢ ص ٢٧١ و٣٣٧) . وقال ايضاً ان زراعة الشام ظلت زاهرة رغم إرهاق السكان بالضرائب مع ان الروم من اهل البلاد كما ثبت في التاريخ كانوا راضين عن هذا الحكم العربي اكثر من حكم الروم وتبين لهم الفرق بين الإدارتين العربية والرومية .

وزعم ان نصارى لبنان حاولوا التخلص من مظالم عمال خلفاء بغداد فلم يفلحوا . مع ان نصوص التاريخ صريحة في ان الذين قاموا من اهل لبنان لم يكن قيامهم لمقاومة الظلم بل كانوا عمالاً لصاحب الروم وما كان لبني العباس ان يغضوا الطرف عمن يعمل لاعدائهم و يكيد لهم في ملكهم .

وقال (ص ٣٠٥) انه كان في دمشق معمل للورق في القرن العاشر للميلاد مع ان معامل الورق كانت في دمشق وطبرية وطرابلس وحماة وحلب ومنبج وبدأت منذ اواخر القرن الثامن . وتدل القرائن على ان الوراقة كانت معروفة في الشام في اوائل الاسلام (خطط الشام ج ٤ ص ٢٤٣) .

وقال (ص٣٠٦) ان الصليبيين فتحوا طرابلس في جملة ما فتحوه من الساحل لاول انهيالهم على البلاد مع انه ثبت في التاريخ ان ابن عمار صاحب طرابلس وقاضيها هادنهم على ان يجتازوا من وراء مدينته وبقيت طرابلس بيد ابن عمار بضع سنين اوائل دخول الصليبيين . فكانت طرابلس آخر ما اخذه الصليبيون من مدن الساحل . ومما قاله ان مدن الداخل قبلت ان تدفع الجزية للصليبيين وكان ما ادوه اموالاً تصالحوا عليها حتى لاتخرب البلاد . ودمشق لم نذكر انها أدت شيئاً من هذا القبيل . وغلا في تقدير عدد الاجانب في دولة دمشق اليوم فأوصلهم الى ٤٩٫٠٠٠ في حين جعل عدد الاجانب في دولة حلب ٣٠٠٠ ولعله يريد ان يحذف صفرين فيكون عدد الاجانب في دولة دمشق

٤٩٠ ٠ وذكر ان الشام اليوم تتاخم مملكة العراق من الغرب والصحيح من الشرق ٠ وادعى ان العباسيين ظلوا على عدائهم للعلماء من الشاميين ولذلك كان عملهم من العوامل التي حالت دون تقدم الافكار على ان العباسيين لم يضطهدوا من الشاميين او من عقلائهم وعلمائهم الا من جاهروهم في محبة الأمويين ومن عداهم نزلوا ببغداد على الرحب والسعة وشاركوا في الحركة العلمية ومنهم بضعة من التراجمة والعلماء النصارى ، على ماذكرذلك القفطي وابن ابي أصيبعة ، ولكن كان الاولى ان يقال ان الحركة العلمية في الشام انتقلت الى دار السلام وذلك بطبيعة الملك لان الخلفاء واهل الدولة كانوا في العراق وبعد الدور الثاني للعباسيين اخذت الشام تستقل عن بني العباس الا قليلاً ٠

وكان عليه ان يشير ولو بكلمة الى المدارس التي أنشئت في أمهات مدن الشام منذ القرن الخامس الى التاسع للهجرة ليدل بها على مدنية القوم كما حرص على الإعجاب بالبيع التي أقامها الصليبيون مثل بيعة جبيل وبيعة طرطوس وبيعة بيروت التي هي اليوم الجامع الكبير ٠ فان هذه المدارس هي التي نشأ منها للشام رجال الشريعة والادب والتاريخ والجغرافيا والفلك وناهيك بانه كان في دمشق فقط اربع مدارس للطب وواحدة للهندسة ٠

وكما قال ان الزراعة انحطت بدخول العرب الى الشام زعم ايضاً ان التجارة لم تقم لها قائمة منذ عهد يوستنيانوس الرومي حتى جاءت مراكب البنادقة والجنويين والبيزيين في الحروب الصليبية وفاته ذكر اساطيل معاوية بن ابي سفيان وأخلافه ثم الطولونيين والفاطميين التي كانت مدة اربعة قرون تنقل التجارة في اكثر موانئ البحر الشامي كما تغزو اعداءها من الروم وجنوبي ايطاليا ٠

ولم يتعرض لذكر بعض المهندسين والفلكيين والرياضيين الذين قاموا في الشام على عهد الاسلام ٠ بل ذكر بعض المؤرخين والجغرافيين والادباء واثنين من حملة الشريعة فقط ٠ اما في العهد الاخير فلم يدوّن سوى اسماء اليازجيين ناصيف وابراهيم ، وبطرس البستاني ٠ وهذا كما ترى غمط لحق عشرات من الادباء والعلماء من المسلمين والمسيحيين الذين كانوا مادة المدنية الجديدة في الشام منذ أواسط القرن الماضي الى اليوم وهو ولا شك يعرفهم لكن يرقن عليهم لمقصد هو أعلم به ٠

هكذا يكتب الاب اليسوعي تاريخ الشام في هذا العصر وليته يقتدي بمن يكتبون

في هذه الحملة على بلاد الشام ايضاً أمثال سو برنهايم ممن يتجردون عن الغرض و يبعدون عن الاهواء المذهبية و ينصفون كل انسان وكل مجتمع ودولة ٠ ومن الغريب ان هذا المؤرخ اذا نُبه الى خطإه لاينافش في الموضوع بل يقول ان ناقديه يحاولون ان تكتب لهم شهرة كشهرته ، وهم مغمورون خاملون جاهلون و يكيل له بكيل السخرية والمطاعن، بما يخرج عن حد النقد الادبي الذي هو حياة العلم والآداب ، فهو ابداً شعوبي من الطراز الاول يغمط حق العرب والمسلمين من خدمة الحضارة ، وسلاحه السفسطة بضعف كل حقيقة اذا جاءت على ايدي العرب والمسلمين ، و يصور الشام في ماضيها وحاضرها في بشاعة وان وجدت فيها الحسنات فهي لغير الفاتحين وأخلافهم ٠

وبينا نكتب هذه السطور قرأنا في رسالة «آراء غربية في مسائل شرقية» تعريب الاستاذ عمر فاخوري جملة للمسيو دينه وسليمان بن ابراهيم في نقد كتابات الاب لامنس وتحامله على الاسلام فما قالاه : ان الاب لامنس في عَلم المشرقيات كبطرس الناسك في الحروب الصليبية وقد جهز بهمة لا تعرف الكلل صليبية دعية في العلم طمعاً بصرع الاسلام صرعة لا قيام منها ٠ وقالا فيه ايضاً : كلما ذكرت الاحاديث والاخبار خلة حسنة ممدوحة في محمد وصحابته رأيته يؤكد انهم كانوا مصابين بالعيوب المناقضة لتلك الخلال وبكلمة موجزة نقول ان طريقة الاب لامنس تقدم على «عكس» المنقول عكساً مطرداً مقصوداً ٠ وقالا في الحاشية : لا يعدل الاب لامنس عن هذا الاسلوب الا حينما يجد أسلوباً أشد مكراً في سوق الخبر الى معاني السوء اه سامحه الله ٠

م ٠ ك

فَعَالِ في اللغة

«كل او جل ما ورد منه في كتب اللغة»

(بَلاَلِ) اسم مصدر من بَلَّ الرحم اذا وصله يقال هو يراعي بَلالِ اي صلة الرحم ومنها «تبلُّك بعدها عندي بلالِ» (بَلاَءِ) البلاء (بَوارِ) اسم الهلاك ٠ ومنه «نزلت بوار على الكُفَّار» ٠ (تراكِ) اسم فعل معناه اترك كقوله :

تراكها من إبل تراكها اما ترى الموت لدى اوراكها

(جداعِ) السنة الشديدة التي تجدع بالمال وتذهب به ومنه «اجحفت بهم جداعِ» وهي السنة لانها تجدع النبات وتذل الناس . (خراجِ) كلمة تقال في الخريج وهي لعبة لهم . (حساس) كلمة يقولها من طلب شيئاً فلم يجده . (خزاقِ) شتم للمرأة معدول عن الخزق بمعنى الذرق وهو مما يلزم النداء . (دراكِ) اسم فعل بمعنى ادرك . (حدادِ حُدّيه) كلمة تقال لمن تكره طلعته اي اصرفيه ومنه قوله «وحُدّي حدادِ شر اجنحة الرخم» . (حزامِ) اسم امرأة تلقب بزرقاء اليمامة يضرب بها المثل في حدة البصر يقال هو ابصر من الزرقاء . (خناثِ) وصف للانثى وهو مما لا يستعمل الا في النداء يقال لها ياخناث اي يامتكسرة . (دبابِ) دعاء للضبع وهو اسم فعل بمعنى دُبّي . (دفارِ) الدنيا — والامة ويقال للأمة اذا شتمت يادفارِ وعن عمر انه قال للأمة التي عنك الخمار يادفار أتتشبهين بالحرائر واكثر ما ترد في النداء . (عرارِ) اسم بقرة ومنه باءت عرارِ بكحلِ وهما بقرتان انتطحتا فماتتا جميعاً اي باءت هذه بهذه يضرب لكل مستوِ يين . (فجارِ) اسم للفجور وهو معرفة كقوله فاحتملت برة وحملت فجار ويقال للمرأة يافجار اي يافاجرة وهي معدولة عن الفاجرة لا يستعمل الا في النداء . (فساقِ) شتم لها يقال يافساق للنداء فقط . (يافشاشِ) فشّيه من استه الى فيه اي افعلي ما شئت به فما به انتصار يضرب لمن يأتي امراً لا يقدر على اجرائه . (فياحِ) اسم للغارة تقول فيحي فياحِ اي اتسعي ياغارة وهو من قول مغاو برهم . (قثام) انثى الضبعان سميت به لانها تلطخ بجُعرها ويقال الامة ياقثام . (نزافِ) اسم فعل للامر يقال نزاف ماء البئر اي استخرجه كله . (هجاج) ركب هجاج اي رأسه كقوله «وقد ركبوا على لومي هجاج» . (همام) لا همام اي لا اهُمّ بذلك ولا افعله وجاء زيد همام اي بهمهم . (وبارِ) ارض بين اليمن ورمال يبرين . (يعاط) زجر للذئب والخيل وقيل كلمة ينذر بها الرقيب اهله اذا رأى جيشاً قال :

وهذا ثمّ قد علموا مكاني اذا قال الرقيب الا يعاطِ

(جعارِ) قومي جعار شتم للامة على تشبيهها بالضبع (حلاقِ جذابِ جبادِ) الموت قال عمرو بن جميل :

فاجتبذت اقرانهم جباذ   ايدي سبا ابرح ماالجتباذ

وسميت المنية جذابِ لانها تجذب النفوس وحلاقِ لانها تحلقها (حباقِ) شتم لها لازم للنداء. (حدابِ) السنة لجدبة — وموضع. (حذارِ) اسم فعل بمعنى احذر كقوله «وحذار ثم حذار عنه محار باً» . (حضارِ) اسم فاعل بمعنى الحضر — ونجم يطلع قبل سهيل فيظن انه سهيل. (حناذِ) من اسماء الشمس لحرارتها ومنه :

تستركد العلجَ به حناذِ   كالارمد استفضى على استيخاذ

(حمادِ لفلان) تقال للبخيل دعاء عليه اي لازال جامدا الحال (حمادِ) له تقال في المدح اي حمداً له. (خنازِ) المنتنة. (ذمارِ) اسم فعل للحض على الحرب. (رغالِ) الامة (سباطِ) الحمى تقول تمأّهم سباط. (خباثِ) معدول عن خبيثة شتم لها لازم للنداء تقول ياخباث (خصافِ) فرس مشهور وفي المثل اجرأ من فارس خصاف. (وقاعِ) كية مدورة على الجاعرتين. (بياسِ) السوأة اوالفندورة (يسارِ) الميسرة يقال أنظرني حتى يسار. (براحِ) الشمس يقال دلكت براح. (خطافِ) من اسماء كلاب الصيد. (سماعِ) اسم فعل بمعنى اسمع. (سجاحِ) اسم امرأة ادعت النبوّة قال الحريري «انها ومرسل الرياح. لا كذب من سجاح». (سرابِ) اسم ناقة البسوس التميمية التي قُتل كليب فيها فثارت الحرب بين البكريين والتغلبيين اربعين سنة لاجله فصارت مثلاً في الشؤم يقال هو اشأم من سراب. (شجاذِ) المطرة الضعيفة معدول عن المشجاذ بمعنى الاقلاع. (شلالِ) اسم للشلل يقال في الدعاء له لاشلال اي لاتشلل يدك. (حرامِ) من اسماء الحرب. (ظفارِ) بلد باليمن قرب صنعاء. (عفالِ) شتم لها يقال يا عفالِ. (عقاقِ) اسم للعقوق بالوالدين. (علاقِ) اسم فعل للامر بمعنى تعلّق. (غدارِ) شتم لها يقال ياغدار خاص بالنداء (نعاءِ) اسم فعل للامر بمعنى إنعَ قال الاصمعي كانت العرب اذا مات منها ميت له قدر ركب راكب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول نعاء فلاناً اي انعه واظهر خبر وفاته. (يارطابِ) كلمة تسبُّ بها الامة. (ظفارِ) كل ارض ذات مغرّة[1]. (لزامِ) يقال سبة لزام وضربة لزام اي لازمة. (مساسِ) اسم

(١) كذا بالتشديد وصوابه مغْرة بالتخفيف وهي الطين الاحمر يصبغ به وتسمى هذه الارض ايضاً (المَمْغرة) (المجمع)

فعل بمعنى مسّ . ولا مساس اي لاتمسّ . وهو من الشواذ . (عواد) اسم فعل بمعنى عد (كرار) خرزة للتأخيذ تقول الساحرة يا كرار كرّيه و ياهمرة اهمري به ان اقبل فسرّيه وان ادبر فضرّيه . (بداد) جاءت الخيل بداد اي متفرقة ومنه قوله :

وذكرت من لبن المحلّق شربة والخيل تعدو في الصعيد بداد

و ياقوم بدادِ او بدادِ بدادِ اي ليأخذ كل رجل قرنه . (خذاق) شتم لها خاص بالنداء . (حلاح) علم لمكة وقد تعرب . (صمام) علم للداهية الشديدة . وصمّي صمام اي زيدي ياداهية . وصمام صمام بمعنى الامر اي تصامّوا في السكوت . (طبار) الداهية وبنات طبار الدواهي . (غثار) علم للضبع . (فعال) اسم فعل بمعنى افعل . (فغار) طعنة فغار اي نافذة . (قثاح نقاث) الضبع . (ملاع) اسم ارض . (نضاد) جبل بالعالية ويؤنث وتميم تجريه مجرى مالا ينصرف . (مناع) اي امنع . (نظار) اسم فعل للامر بمعنى انتظر . (قثام) اي اقثم اي اجمع مطرد عند سيبويه وموقوف عند ابي العباس . (ضراح) اسم فعل بمعنى إضرَحْ . (كلاح) السنة المجدبة . (امرأة لكاع) لئيمة لا تستعمل الا في النداء وهي معدولة عن لا كعة . (كفاف) معدولة عن الكفاف بمعنى المثل يقولون دعني كفاف اي كُفّ عني واكفّ عنك . (قثام) الغنيمة الكثيرة (قطان) علم للامة . (قفاس) الامة اللئيمة الرديئة . (نزال) اسم فعل للامر بمعنى انزل للواحد والجمع والمؤنث . (أبابِ أبابِ) اي لا بأس وهي لغة حميرية . وقيل اباب الكلأ مأخوذة من هذا (جعار وام جعار) علم للضبع . تيسي جعار او عيثي جعار مثل يضرب في إبطال الشيء والتكذيب به وانشد ابن السكيت

فقلت لها عيثي جعار وجرّري بلحم امرئٍ لم يشهد القوم ناصره

«روغي جعار وانظري اين المفرّ» مثل يضرب لمن يروم ان يغلب ولا يقدر على ذلك .

(لطاط) السنة الحاجبة عن الخير الساترة . (طمار) المكان المرتفع يقال هوى من طمار وانصبّ عليه من طمار . وبنات طمار الدواهي . (ازام) الشدة . (لحاص) اسم للشدة والاختلاط والداهية — وخطة تلحصك اي تلجئك الى الامر . (سكاب) اسم فرس .

النبك سالم خليل رزق

مطبوعات حديثة

ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء

« تأليف اسماعيل مظهر طبع في المطبعة العصرية بمصر في ٣٤٢ صفحة »

« بالقطع الوسط »

الاستاذ اسماعيل بك مظهر من الذين ضربوا في الفلسفة بسهم وافر وهو واسع الاطلاع عليم بكثير مما صنفه الافرنج في ضروب الفلسفة . وفوق ذلك فهو جاد يستعمل القلم في نقل معلوماته الى العربية فيخدم بذلك ابناءها . ومما نشره اخيراً هذا الكتاب المفيد فجاء في اثني عشر فصلاً وهي « تمهيد ومقدمات ، الرأي المادي ومذهب النشوء ، دارون والماديون ، مذهب النشوء ازاء الدين والآداب ، نظرة عامة في الرد على الدهريين ، اختلاط المقاصد في الرد على الدهريين ، الانقلاب الجنيني واثره في تأييد مذهب النشوء قدم الأنواع وعلاقة الجيولوجيا بمذهب النشوء ، علاقة المتحجرات بمذهب النشوء ، اثبات مذهب النشوء بتعاقب المتحجرات خلال العصور الجيولوجية ، اصل الانسان ازاء مذهب النشوء ومذهب دارون في العصر الحاضر » .

طالعت هذا الكتاب فرأيت ان ألفت نظر المؤلف الفاضل الى الامور الآتية :

اولاً . — طعن بالماديين في الصفحات ٤٥و٤٦و٤٧ وسفه رأيهم واتهمهم بالالحاد . ولو أنصف لطعن بالملحدين وحدهم ولفرق الفلسفة المادية عن الالحاد لان الاستاذ لا ينكر ان عنوان كتابه قائم على بحث من ابحاث العلوم المادية وان العلوم لم تتقدم الا لما اخذ الانسان يبحث عن النواميس الطبيعية بأسلوب مادي او يقيني تاركاً البحث عن العلل الاولى والماهيات الى ارباب الدين وأصحاب الفلسفة الغيبية . فالفلسفة المادية تقضي بعدم البت في حادث لايقره العلم ولا يقع تحت الحواس . فاذا اتيتها ببراهين علمية ملموسة صدقتك والا بينت لك وجه الخطأ . فاما اذا رأت نفسها قاصرة عن ان تحيط بحقيقة ما تبديه فسرعان ما تعترف بجهلها و بان العلم لم يدرك بعد حقيقة هذ الحادث . وهنا بيت القصيد اي ان الفلسفة المادية لاتلزم صاحبها بانكار وجود الخالق بل تدعوه الى عدم البت فيما لا يقوم عليه دليل علمي وهو بعد حر بان يعتقد بالخالق

او بالاديان عن طريق المحاكمة العقلية او لا يعتقد . وكثير من الفلاسفة الماديين يعتقدون بإله عاقل في تعليل الكون ومنهم داروين نفسه وليس كل فيلسوف مادي ملحداً ولكن يكثر عدد الفلاسفة الماديين الذين ان سألتهم رأيهم في المبدإ والنهاية والعلة الاولى أجابوك بلا ادري لانها لا تلمسها الحواس بل لانها تخرج عن دائرة أبحاثهم هذا مع اعتراف الجميع بفوائد الدين الاجتماعية والادبية . وكأني بالمؤلف الفاضل اخذ على نفسه معاكسة الدكتور شميل في مذهبه في حقيقة الدين حتى استرسل في آراء فلسفية لا علمية قدر ماتمسك الدكتور في محدودات مادية .

ثانياً . — ذكر في الصفحة ٤٩ الى ٥٣ وظيفة الدين الاجتماعية فبين تأثير الاديان اي « وازع مابعد العقلية في ضبط سلوك الانسان تجاه الجماعة » وقال : « بعدم امكان قيام نظام اجتماعي على اساس الشرائع الوضعية » وياليت المؤلف انصف ونحن في القرن العشرين فاعترف بتأثير كثير من الشرائع المادية والمبادئ الاجتماعية غير الدينية في تنظيم حياة الجماعات ومدنيتها ، دون ان يكون في اعترافه ادنى مس للاديان او تنقيص لفوائدها الاجتماعية والادبية .

ومن الغريب انه ختم بحث وظيفة الدين الاجتماعية بقوله : « ذلك هو الدين واثره فهل يجحده بعد الماديون » . فمتى جحد أصحاب الفلسفة المادية الفوائد الاجتماعية العظيمة التي أفادتها الأديان منذ أقدم العصور الى اليوم . وهذا اوغوست كونت نفسه مؤسس الفلسفة المادية قد أطنب في فوائد الدين الاجتماعية اطناباً عده كثيرون اغراقا .

وفي تضاعيف الكتاب جمل كثيرة سفه بها الاستاذ المصنف آراء الماديين لا سيما في بحث الاعتقاد بالله . اما انا فلا يمكنني ان أعلل طعنه واستنتاجاته الا بكونها مقصودة اي انه توخى الطعن لغرض او لاعتقاد لاحقيقة ملموسة مادياً يقرها العلم او تقرها الفلسفة المادية التي لا ترتكز على الفرضيات البعيدة عن الحس ولا على الجدل والوهم والخيالات الفلسفية . هذا وقد كان بامكانه إثبات وجود العلة الاولى وكونها عاقلة مدبرة بالاستنتاجات العقلية التي مابرح أصحاب الفلسفة الدينية يطرقون أبوابها ، دون ان

يطعن بالفلسفة المادية لان هذه الفلسفة لا تخالفه الا بكونها تعترف بجهل الانسان عن إدراك الماهيات بطريقة علمية مادية وهذا ما لا ينكره احد ·

ثم ان من يطالع الكتاب ليحار في تبين مذهب المؤلف الفلسفي خصوصاً من حيث الأديان ، فهو بينما تراه يدافع عن الدين كل الدفاع واذا به يسكت عن معظم تعاليمه لانه لا يعتقد على ما يستنتج الا بوجود علة العلل اما اكثر القواعد الدينية الاخرى فهو يضرب صفحاً عنها لاسيما اذا كان العلم المادي لايقرها (صفحة ٥٣ و٢٩٥) ·

ثالثاً ·— ذكر « حظ العرب من البحث اليقيني » فعزا اليهم نقائص وهنات كثيرة وكاد يجردهم من كل أثر علمي او ادبي او فلسفي كل ذلك تمهيداً للرد على الشيخ جمال الدين الافغاني ولدحض ما ورد في رسالته « الرد على الدهريين » ·

وهنا ايضاً حاد المؤلف الفاضل بنظري عن جادة الانصاف لانه لو سار في محاكمته على أُسلوب يقيني محض لوجب ان يذكر ان العرب لم ينفردوا بأُسلوبهم الغيبي (ثم بما يسميه الشك التقليدي) بل كان هذا الاسلوب طابع مدنية من عاشوا معهم ومن درجوا قبلهم ، وانه لا يرجى من شعب عاش في القرون الوسطى ان تكون جميع أبحاثه في مختلف العلوم يقينية باعثة الى إعجاب أساتذة القرن العشرين ، وان العرب حسبهم ان يكونوا في التاريخ حفظة العلوم القديمة وموسعيها على قدر مابلغته طاقة البشر في هاتيك الايام · ولم ادر كيف خص المؤلف العرب وحدهم بالنقائص التي ذكرها مع انه قال في الصفحة الثامنة « زمان انطوى فيه كتاب مدنيتنا العربية تلك المدنية الشرقية البحتة التي ظلت منارة العالم المتمدن وكعبة سياسة الشعوب ومهبط وحي العلم والآداب ومنبع الفلسفة الفياض طوال القرون الوسطى » حقاً انني كدت اتهمه بالشعوبية لو لم أعد الى تلاوة ما أورده في الصفحة الثانية ·

رابعاً ·— أظن ان الذي لايكون قد درس درساً اعدادية على الاقل ووقف على آراء العلماء في نواميس النشوء لا يقوى على فهم كثير من أبحاث الكتاب لان المؤلف لم يصنفه وفاقاً للطريقة المدرسية (Classique) فانا ارى انه كان من المفيد بل من اللازم ان يتلافى الاستاذ ذلك فيجعل في اول الكتاب بحثاً موجزاً في تعريف النوع والصنف والرس (العرق) ، وحصول التبدلات (التغايرات) في النبات والحيوان واشكال

هذه التبدلات وما يدعو الى حصولها ، ثم نظرية الوراثة وأشكالها وماينتج عنها ، واخيراً الانتخاب الطبيعي فالانتخاب الصنعي وأشكاله وقواعده . ولا مشاحة في ان بحثاً كهذا يجعل فصول الكتاب أقرب منالاً على القارئ لا سيما اذا لم يكن له سابق عهد بهذه الموضوعات .

خامساً . — لم يعن الاستاذ بلغة الكتاب قدر عنايته بمعانيه ولذا جاء فيه من الجمل الركيكة والألفاظ المغلوطة عدد كبير وهذا بعضها :

١ — تراكيب في المنسوب والمنسوب اليه لا يألفها الذوق كالانقلاب الاسلوبي والانحرافات التركيبية والإرتقاء النشوئي والمثالية الأخلاقية والحركة التنبيهية والسببية العلمية والتقليد الشكي والشك التقليدي (للمعنى الواحد) والأطوار الانقلابية والمستكشفات التشريحية والعضويات الحفرية ، الى كثير من أمثالها في حين ان كتاب العرب في صدر الاسلام كانوا يعدلون حتى عن المستساغ من هذه الالفاظ الى استعمال المضاف والمضاف اليه فيقولون مثلاً انقلاب الاسلوب وانحراف التركيب الخ .

٢ — ألفاظ لم ترد في كتب اللغة بتاتاً او بالمعنى الذي يريده كالاستعماق والاستكشاف (بمعنى الإكتشاف) والتعفن والإرتكاز والإستحواذ والإدحاض وموضوعية العلم والاحتراز والأسبقية والتحلت .

٣ — أفعال عداها بغير الحروف التي تتعدى بها مثل أَثَّرَ على وهو يتعدى بحرف في . وباع على (صفحة ٤٤) وهو يتعدى بنفسه او بحرف من . وتأمل من وهو يتعدى بنفسه او بحرف في . و بحث الموضوع بدلاً من بحث عن الموضوع اوفيه . وأهل بالباحثين الى معرفة كذا بدلاً من اهلهم لمعرفة كذا . واضطر للعمل بدلاً من اضطر الى العمل .

٤ . — مسميات علمية لم يترجمها باسماء عربية سليمة او بالالفاظ التي اتفق كتاب العرب عليها فقال اللقح بدلاً من الطلع او غبار الطلم . والاستجانة بدلاً من المهبل او المثك او السمة . والحفريات بدلاً من المتحجرات (Fossiles) . والتنويع بدلاً من الصنف (Variété) والصفة النافرة (Caractère dominant) عوضاً عن الصفة السائدة او البارزة (وان اتى فعل نفر بمعنى غلب) . والصفة المنفورة (C. recessif) عوضاً عن الصفة المنحية او الكامنة .

٥ — غلطات شتى لا تغتفر وهي كثيرة مثل ليس سوى جسم (ذو) تركيب، ينكرون للعالم الخارجي (وجود حقيقي) في ذاته، لم يجعل لأثر الحالات الخارجية (شأن) يذكر، لا (يؤبهون) بالبراهين، مرّ على تاريخ الارض (عصوراً) ليقام له بين عشية وضحاها (تمثالاً).

والخلاصة ان كتاب الاستاذ اسماعيل مظهر بك على مافيه مما يؤخذ به هو من أنفع الكتب الفلسفية . ولا أشك ان المؤلف الفاضل اذا تعاهد لغة مؤلفاته بعنايته واستقر على اتباع فلسفة بعينها فانه يخدم العربية خدمة كبيرة عن طريق الفلسفة لغزارة مادته فيها .

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

الموشح

« في مآخذ العلماء على الشعراء »

تأليف ابي عبيد الله محمد بن عمران المَرْزُباني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ عنيت بنشره جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ وطبع بالمطبعة السلفية و يطلب من مكتبتها في مصر (ص ٤٧٧)

أحسنت هذه الجمعية كل الاحسان بنشرها مثل هذا الكتاب المفيد لمثل هذا الامام المحقق في مثل هذا المظهر البديع . فان العلامة المرزُباني لم يطبع له فيما علمنا شيء حتى الآن مع ان تآليفه بلغت خمسة وخمسين مصنفاً ومنها ماوقع في خمسة آلاف ورقة او في عشرين مجلداً وهو واسع المادة ، جيد التأليف، امام في اللغة والنحو والأدب والتاريخ ، حتى قيل انه من محاسن الدنيا وانه كان في عصره أحسن تصنيفاً من الجاحظ . ومعنى المرزبان عند العجم الرجل المقدم العظيم القدر او حافظ الحد . اما تصنيفه هذا فهو مجموع ما رواه عن أئمة هذا الشأن ممن وقفوا للشعراء جاهليهم ومخضرميهم واسلاميهم قدمائهم ومحدثيهم ، يقومون لهم كلامهم و ينقدون اشعارهم ويخلون جيدهم عن رديئهم . وقد اخذ المؤلف بالواسطة عن القاسم عبيد بن سلام الجمحي صاحب طبقات الشعراء (المطبوع في ليدن) وروى ايضاً عن قدامة بن جعفر

صاحب نقد الشعر (المطبوع في الاستانة) واقتبس من الأشناندني صاحب معاني الشعر (المطبوع في دمشق) الى غيرهم من العلماء والباحثين · وروى السيد المرتضى في اماليه عنه كثيراً · وكذلك ياقوت الحموي في معجم الادباء · وكتابه يعلّم من يتدارسه عيوب الشعراء ومنهم من لم يجر لهم ذكر الا في مطولات كتب الادب ، واكثرهم من المشهورين النابهين · ومن يقف على العيوب انتقادا ، ومن عرّف السقطة تبا لدعنها ، ولا يسلم من يأخذ نفسه باساليب البيان شعراً كان او نثراً او خطاباً الا اذا اطلع على ما اورده حذاق النقاد في نقد من عانوا هذه الصناعة من فحول الشعراء ورتوتهم في كل جيل · والكتاب نافع في بابه لكل أديب ومتأدب ، زادت به مادتنا من الامهات خصوصاً وهو من الكتب التي نقلها بخطه من أصول صحيحة نقلت عن خط المؤلف اللغوي الكبير في عصره محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي وعلق على الاماكن المشكلة منها ، ثم تعاورتها زمرة من الادباء في مصر بالتصحيح والشكل وجعل للسفر فهرس جميل باسماء الاعلام فجاء الكتاب مستوفى من كل وجه لاتجد فيه المغامز التي تعثر بها في اكثر ما يطبع لعهدنا من كتب الاقدمين لقلة العناية بتقويمها وخدمتها ومعارضتها بالاصول واتباعها بالفهارس التي تدل على مضامينها · وحبذا لو اكثرت هذه الجمعية من طبع مثل هذه الاسفار التي تقربنا من الفصحى وتعلمنا مناحي البلغاء في تآليفهم وايضاعهم وتحيي آثاراً طالما أسهر فيها مصنفوها اجفانهم خدمة للعلم العربي ولهذه الامة

محمد كرد علي

الازهر

« ماضيه وحاضره والحاجة الى إصلاحه »

تأليف السيد محب الدين الخطيب طبع في المطبعة السلفية بمصر في ٥٥ صفحة بالقطع الصغير

لم يفكر احد في موضوع الإصلاح الإسلامي والنهضة الإسلامية الا وجّه نفسه وأعمل قلمه في بيان فضل الأزهر ومبلغ تأثيره في الاصلاح المنشود فهو بالنسبة الى العالم

الاسلامي كالقلب بالنسبة الى الجسد . وصلاح الجسد بصلاح مضغته كما ان صلاح الاسلام بصلاح أزهره . ولكن توجد صعوبة في امر فهم ذلك الاصلاح والاتفاق على طريقة الوصول اليه بين المفكرين من فضلاء الكتاب المسلمين وبين القائمين بشؤون الأزهر واول من عالج هذه القضية وقاسى منها ما قاسى هو أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده وقد قام على أثره اليوم احد محبيه المتبعي طريقته في الاصلاح الاسلامي صديقنا السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة (الزهراء) والمطبعة السلفية فوضع هذا الكتاب الموجز في حجمه المسهب في فائدته . فأتى اولاً على تاريخ الازهر وما هي أوضاعه وأروقته وكتبه ومشايخه من القرن الحادي عشر الهجري الى اليوم ثم ذكر مبلغ تأثيره في التجدد او النهضة الاسلامية اذا أُصلحت مناهجه وطرق التعليم فيه فالبحث جليل في موضوعه عظيم في الهدف الذي يرمي اليه .

المغربي

اتجاه الموجات البشرية

« في جزيرة العرب »

تصنيف السيد محب الدين الخطيب ايضاً طبع في المطبعة السلفية بمصر

في ٧٢ صفحة بالقطع الصغير

السبب في وضع هذا الكتاب ان المستر توينبي كتب مقالاً علل فيه اندفاع الموجات العربية من جزيرة العرب حيناً بعد حين — علله بما لا ينطبق على الحقيقة ولا يتفق دائماً مع الاسباب التاريخية للهجرات العربيـة الكبرى . فألف الاستاذ السيد محب الدين هذا الكتاب وعرض على أنظار القراء صورة صحيحة لاتجاه الموجات العربية منذ ستة آلاف سنة نحو العراق والشام خاصة والبلاد السامية عامة وأثبت فيـه ان اصل الكلدانيين والفنيقيين من العرب . فالكتاب كما ترى من أجود ما كتب في تاريخ العرب وفلسفة نهضاتهم والحامل لهم على انبعاث موجاتهم الكبرى لاسيما الموجة المحمدية الاخيرة التي غمرت وجه العالم المتمدن في عصر ظهورها . ولا جرم ان يحل الكتاب محله اللائق به من نفس كل محب للتاريخ العربي المجيد .

(له)

كتاب تحفة الاريب

«بما في القرآن من الغريب»

تأليف ابي حيان الاندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ طبع في مطبعة الإخلاص بحماه سنة ١٩٢٦ في نحو ١٥٠ صفحة

لا تخفى منزلة مؤلف هذا الكتاب بين أئمة اللغة والأدب كما لا تخفى الحاجة الى هذا الكتاب على احد من الفضلاء اليوم . لاسيما متولي شؤون التربية والتعليم في البلاد العربية فان الطالب اثناء مدارسة القرآن وتفهمه معناه قد تمر معه كلمة من غريبة تخفى عليه او على استاذه والرجوع الى هذه الكلمة في كتب اللغة ليس من الحزم في شيء اذ ان لغريب القرآن معاني لا يصح الرجوع اليها الا في كتب التفسير ، ومراجعة ذلك في كتب التفسير فيه صعوبة لا تخفى . فلم يبق امامنا الا ان توضع كتب خاصة في تفسير غريب القرآن تفسيراً موجزاً يناسب الطلاب وقد وضعت عدة كتب في هذا المعنى ولكن اوفاها بالحاجة كتاب ابي حيان هذا الذي سماه تحفة الاريب . لاحظ كل ماذكر الاستاذ العلامة الشيخ محمد سعيد النعساني مفتي حماة فانبرى لنشر هذا الكتاب وزاده فائدة بان كتب عليه تعليقة بيّن فيها اوجه القراآت السبع مع ذكر ما أغفله المصنف من غريب القرآن . وعهد الى اخيه الفاضل الشيخ طاهر النعساني بتصحيح الكتاب وضبطه والوقوف على طبعه . فالشكر لهما مذ أسديا هذا الكتاب . الى المحتاجين اليه من أساتذة وطلاب . (له)

كتب ورسائل مختلفة

(١) رواية الثورة الدرزية في الاراضي اللبنانية للسيد الياس جرجس شبل ابي نادر طبعت في المطبعة التجارية السورية الامريكية في نيو يرك ١٩٢٦ ص ٦٢ .

(٢) إبنة المملوك رواية مصرية تاريخية تمثل فجر نهضة مصر ايام محمد علي بين سنتي ١٨٠٤—١٨٠٧ جزآن في مجلد واحد تأليف الاستاذ السيد محمد فريد ابو حديد طبعت بمطبعة الاعتماد بمصر ١٣٤٥ — ١٩٢٦ (ص ٤٣٥) .

(٣) « بسائط الطيران » تأليف الدكتور احمد عبد السلام الكرداني طبع مصوراً بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٥ (ص ١٧٦) .

(٤) « خاطرات الماضي واحلام المستقبل » مجموعة أدبية اجتماعية أخلاقية تأليف السيد عزت مقدم طبعت بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام ١٣٤٥ — ١٩٢٧ (ص ٤٨) .

هدية مطبعة المعارف

أهدى السيد نجيب متري صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر الى المجمع العلمي العربي واحداً وعشرين كتاباً من مطبوعاته التي ظهرت حديثاً منها :

(١) كتاب وصف الآثار المصرية وسير مشاهير الرجال تأليف السيد محمد عبد الحليم عامر وفهمي فرح داود طبع سنة ١٩٢٦ في ٢٠٠ صفحة صغيرة مصور . (٢) النيل في عهد الفراعنة والعرب تأليف السيد انطون زكريا طبع سنة ١٩٢٦ في ١٢٦ صفحة متوسطة مصور . (٣) السعادة والسلام تأليف اللورد افبري وتعريب السيد وديع البستاني وهو الطبعة الثانية سنة ١٩٢٦ في ٢٣١ صفحة صغيرة . (٤) معنى الحياة تأليف اللورد افبري وتعريب السيد وديع البستاني وهو الطبعة الثالثة سنة ١٩٢٦ في ١٢٧ صفحة صغيرة . (٥) جناية اوربا على نفسها والعالم تأليف السيد احمد فهمي طبع سنة ١٩٠٦ في ١٩٧ ص متوسطة . (٦) ابطال الحرية بقلم انطون الجميل طبع سنة ١٣٢٧ هـ في ٤٩ ص متوسطة مصور . (٧) رواية الصديق المجهول تأليف السيد نقولا حداد في ٢٤٨ ص متوسطة . (٨) رواية الايمان تعريب صالح جودت طبعة سنة ١٩١٤ وهي في ١١٥ ص . (٩) رواية فتاة مصر تأليف الدكتور يعقوب صروف في ١٩١ ص متوسطة . (١٠) رواية القضاء السري تعريب قيصر شميل طبعة سنة ١٩١٠ . (١١) رواية السموأل او وفاء العرب تأليف السيد انطون الجميل طبعة سنة ١٩٠٩ في ٩٥ ص متوسطة .

وغير ذلك من الروايات الأدبية العصرية فالمجمع العلمي يشكر اريحية هذا المفضال لهديته النفيسة في سبيل العلم والأدب .

الجزء ٤ المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : نيسان سنة ١٩٢٧ م الموافق شوال سنة ١٣٤٥ م ٧٦

شيء عن اناتول فرانس (١)

سير العلم — القديم والحديث — الكلام عن اناتول فرانس — تراجم الكتاب — مذهب اناتول في الشك — التفاؤل — الحزن واسبابه — المسامحة — الحب — الاسلوب المدرسي — الاسلوب الوجداني — طراز اناتول في النقد — لغة لافونتين — ميل اناتول الى لغته — حرصنا على اللغة .

قال الاستاذ شارل ريشه احد اعضاء معهد باريز في كتابه (العالم) :

« يسير العلم في سبيله سيراً تحار ثواقب الانظار في سرعته ، على ان العلم لا يزال في عنفوان امره وريعان عمره ، فالعالم (ارخميدس) على نبوغ فضله و براعته كان يجهل ما يعلمه المعلمون اليوم في المدارس الابتدائية ، وأجهل تلميذ من تلاميذ المدارس التجهيزية يعرف من العلوم اموراً يجهلها العالم (غليله) نفسه ، ما بين العالم (فرانكلان) وبين العالم (انشتين) مائة وخمسون سنة ، فتصور مسير العلم في مائة وخمسين سنة ! ما أعظم إنقلاب الأفكار ! لم يكن من قبلُ علمُ الاحافير ولا علم الجراثيم ولا علم التصوير ولا الطيران ولا خطوط الحديد ولا حلُّ الطيف الشمسي ، فلا يتجاوز عمر علوم البشر قرناً ونصف قرن وما هو قرن ونصف قرن . المشي غير وئيد ، اننا نسير الى معرفة الاشياء على سلسلة هندسية متزايدة ، وفي يوم من الايام سيكون للرجل بفضل ما يقتبسه من العلوم سلطان عظيم على المادة مهما اختلفت اشكالها » .

---

(١) محاضرة الاستاذ المحقق السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع القاها في ردهة المجمع يوم ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٢٧ م .

هذا ما قاله الاستاذ (ر يشه) فلم يتجنب نهج الصواب في وجيز كلامه ، لقد ظهرت علوم في ايامنا لم تظهر من قبل ، فانبسطت آفاق العقول فتبدل بانبساطها طراز التفكير وتغير نمط النقد ، وطفق الكتاب يتغلغلون في حقائق الامور ، فظهرت على كتاباتهم آثار هذا الانقلاب واختلفت اصولهم في التفكير عن الاصول التي كانوا يبنون عليها من الف سنة ، لقد تبدلت الارض غير الارض والسموات ، واستفحل العمران واستفاضت مذاهب الحضارة فأصبح الجمود على القديم متلفة للقرائح ، الا انه ما كل قديم فاسد ولا كل حديث صالح ، واذا جازلنا ان نستهجن البكاء على الاطلال او وصف مرابض الغنم ومعاطن الابل في عصر طارت فيه الطيارات ودبّت فيه الدبابات ، او اذا جاز لنا ان نستشنع الكلام عن قبة من ادم او مظلة من شعر او خباء من صوف او بجاد من وبر او خيمة من شجر او قنة من حجر في دهر ذهبت فيه القصور في السماء فلا يجوز لنا ان نشذ عن لغة نسجت أفوافها الليالي وطرزت أبرادها الايام فوسعت ما في السموات والارض .

لقد انقلبت العقول والافكار فنشأ النمط الحديث في الادب وليس في هذه الثورة الفكرية شيء يستكره اذا لم يكن معها ثورة تذهب بمحاسن اللغة والاسلوب فان الحياة تستلزم الحركة ولا ريب ، قال ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا المقيم :

« ومن ذا حظر على المتأخر مضادة المتقدم ، ولمه نأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وندع قول الآخر : كم ترك الاول للآخر ، وهل الدنيا الا أزمان ولكل زمان منها رجال ، وهل العلوم بعد الاصول المحفوظة الا خطرات الاوهام ، ونتائج العقول ، ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ، ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه و يجمع مثل جمعه ، و يرى في كل ذلك مثل رأيه ، وما تقول لفقهاء زماننا اذا نزلت بهم من نوادر الاحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ، او ما علمت ان لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة ، ولمه حجرت واسعاً وحظرت مباحاً ، وحرمت حلالاً وسددت طريقاً مسلوكاً ، ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب أدب غزير ولضلت افهام ثاقبة ،

ولكانت ألسن لسنة ولما توشى احد لخطابه ، ولا سلك شعباً من شعوب البلاغة ولمجّت الأسماع كل مردد مكرر وللفظت القلوب كل مرجع ممضغ » .

ابو الحسين هذا حفظه الله من المجدّدين او المتجددين على ما يستنبط من كلامه ، الا انه نشأ في عصر انتهت فيه اللغة الى ابعد غايات الحسن وبلغت أقصى نهايات الجودة والظرف ، فكانوا اذا نزعوا عن اللغة برداً قشيباً خلعوا عليها برداً أقشب ، واذا جرّدوها من ديباجة طريفة ألبسوها ديباجة أطرف ، وحسبي ان أذكر من أئمة ذاك العصر ابن العميد والخوارزمي والصابي والصاحب والبديع والثعالبي وأمثالهم من الذين حسنت بهم صناعة الانشاء ، وما بينهم وبين الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الا فيئة من الدهر ، فكانت اللغة في حصن حصين وركن ركين فلم يكن في تجديدهم خوف عليها ، وما انحطت اللغة عن طبقتها الا لما ذهبوا بين سمع الارض وبصرها . اما المجدّدون في هذا العصر فقد بالغت طائفة منهم في الامر حتى أصبح جديدهم خلقاً رثيثاً . فذهبوا الى إطراح كل قديم ومحدث ، وجاهلي ومخضرم ، واعرابي ومولّد ، فلم يستملح ذوقهم كلام الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد وأشباههم من امراء البيان . وزعموا ان أساليب المتقدمين لا تسع علوم هذا العصر ولا تستوعب طرائف الحضارة وبدائعها فاذا بدّلوا أنماط التفكير لزمهم ان يبدلوا أساليب الكلام ، وهذا موطن الغلو في آرائهم . لئن ارتقى الفكر البشري في هذا العصر فان كلام العرب منحط عن طبقته في الجاهلية والاسلام . فاذا لم يبلغ كلامنا اليوم مبالغ كلام المتقدمين فأي عذر لنا في الشذوذ عن أساليبهم ، وكيف نزعم ان لغتنا اعلى من لغة القرآن والمسحوبين على أذيال القرآن .

ترجم الدكتور ماردروس القرآن الى لغته الفرنسية بعدان استعد لهذا الامر عشرين سنة وقد كتب عن هذه الترجمة الاستاذ باولوسكي مقالة في مجلة (Les Annales) جاء في خاتمتها ما يلي :

« لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب الثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً أجمع معه المبشرون على الاعتراف بانهم لم يستطيعوا ان يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم . واستنتج الدكتور من ذلك ان الكلمة اذا وضعت مواضعها وأنزلت منازلها كانت سحراً حلالاً » .

فمن الذي يتجه اليوم بان يأتي بكلام ينزل على أكباد ثلاثمائة مليون رجل نزول الماء الزلال على الكبد الحرّى . فاللغة التي تخرج عليها طائفة المجددين هي لغة جمهور من الكتاب والخطباء والشعراء تدارسوا كلام القرآن حيناً من الدهر طويلاً حتى وصلوا الى ما وصلوا اليه من شعاب البلاغة . تزعم هذه الطائفة انها تذهب مذاهب الغربيين في كتابتها فكأنما خيل اليها ان أدباء الغرب لا يبالون بقدماء كتابهم وشعرائهم .

هذا اناتول فرانس باقعة دهره !

تحدرت اليه بلاغة المتقدمين فحل في الإنشاء المحل الارفع حتى اطبق أدباء وطنه وفيهم عدوه وصديقه على الاعتراف بان اناتول حفظ اللغة في القرن العشرين ، فلم يتطرق اليها الفساد ، فلولا حرص اناتول على اللغة القديمة وتعلقه باهدابها لم يكن له المنزلة الرفيعة في الأدب .

وما اللغة القديمة التي يحرص عليها اناتول الا لغة المدرسيين اي لغة القرن السابع عشر والقرن السابع عشر أطيب عصور الأدب الفرنسي ، فقد بلغت فيه اللغة المبالغ وبينها وبين لغة كتابنا البلغاء امثال ابن المقفع شبه عظيم وان رجلاً حفظ لغة قومه لجدير بأن نعرف سيرته ، ونتقبل طريقته .

الكلام عن (اناتول فرانس) بعيد الشقة ، مترامي الاطراف ، فلا يأمن الغائص على هذا اللؤلؤ المكنون ان يغرق في لجة خضم ملتطم الأمواج . واني أخاف اذا حاولت ان اقول عنه كل شيء ان لا اقول شيئاً . واني لأخشى اذا اردت ان اعرض على الجمهور كل طرائفه ان لا اعرض طريفة . فآثرت ان ألمّ باناتول إلماماً دون الافاضة في مطولات اخباره وآرائه . ولو اردت ان أشبع القول في عبقريته لعمدت الى كتب ومجلات وصحف شتى توغل اصحابها في هذا الافق المنبسط كل متوغل . بيد اني احببت ان أبرز آثاراً بقيت في نفسي ورسوماً رسخت في ذهني من مطالعة بعض كتب ألفها اناتول فرانس . واني ارى ان الباحث عن اديب من الادباء اذا اجتمعت له عناصر البحث وتوفرت لديه مواد التنقيب لزمه ان يكون مستقلاً في حكمه ، حتى يكون هذا الحكم صادقاً ، ولكنه اذا نقل ما قاله الناس دون اعمال فكره كانت الصورة التي يعرضها مزورة مرقشة .

ولد اناتول فرانس في باريز سنة ١٨٤٤ فكان لمشاهد جوادّ باريز الجميلة تأثير كبير في ذهنه فقد كانت هذه الجواد يومئذ هادئة مخضلّة فكان اناتول يسرّح الطرف في قصر (اللوفر) و يصوب النظر و يصعده في قصر (مازاران) فملأت هذه المباني عينه ، وغمرت قلبه فمتع خاطه برونقها ومزج قريحته برقتها ، ولم يصدق انها من آثار البشر . فكان الشك يختلج في صدره ، وقد بعثه تأمله هذا على الشغف بالفنون والحنين الى الماضي وكان ابوه كتبياً فأيقظت فيه هذه الحرفة إلماً بالادب القديم و بالكتابة .

* * *

من محاسن ادب الافرنجة انك اذا تفرغت للكلام عن اديب من أدبائهم اوشاعر من شعرائهم او خطيب من خطبائهم الى غير هذه الطبقات من النـاس الذين يقلبون العالم بفسح طبائعهم وسبك افهامهم وصوغ اذهانهم وجدت في بعض الاحايين مجالـــ القول ذا سعة ، فانك لا تشاء ان تعرف شيئاً عن اخلاق هذه الطبقات وآرائهم وعاداتهم وتقاليدهم واوضاعهم ونشأتهم وسحناتهم وشياتهم الا عرفته . وقد بالغوا في ذلك فوصفوا في كتبهم كيف ولدوا و كيف عاشوا و كيف رباهم اهلهم . ووصفوا اخلاق آبائهم وأمهاتهم فيقيدون كل شاردة و يدونون كل نادرة وقد يتولى ادباؤهم وصف حياتهم باقلامهم ، والمرء اعرف ببواطنه وكوامنه من غيره ، وهذا النمط قليل في ادب العرب .

من هؤلاء الكتاب الذين وصفوا في كتبهم بداءة حياتهم ومَيْعة شبابهم اناتول فرانس فهو يرى ان اتقان الكتاب لهذا الطراز اشد من اتقـانهم لغيره فانهم يجدون لذة في هذا الوصف فيحملون القراء على مشاركتهم في اللذة وقلما ينزل الوحي على كاتب مثل ما ينزل عليه وهو يكتب عن خوالجه ولواعجه ، فأجمل كتب روسو « اعترافاته » واجمل كتب شاتو بريان « مذكرات ما وراء القبر » .

الف اناتول فرانس اربعة كتب رائعة تصرّف به الكلام في تصوير حياته كل متصرف ، واناتول فرانس كلف بالاستطراد في كتاباته فهو يخرج من الجد الى الهزل ، ومن الحزن الى السهل تفيأً للكلل وبعداً من الملل فكثيراً ما يحب ان يلهو في سبيله ، فاذا مضى لطيته ولم يلو على شيء وصل الى غرضه في طرفة عين وهذا

ما لا يريده ، فانه يرى اللذة في الجيئة والذهوب لان التنقل في الكلام مدرجة الى اللهو وهذا هو طراز الجاحظ في الكتابة والتأليف .

كان والد اناتول يرى في اول نشأة ولده ان عقل كلبه ينمو اكثر من عقل ابنه ، فلم يقع في خلده انه يأتي يوم يصبح فيه اناتول مفرداً علماً يملأ الدنيا و يشغل الناس .

وقد كان بين اناتول وابيه اختلاف في المعتقد والذوق فكان والد اناتول يؤمن بإله يختلف عن هذا العالم ، و بروح تختلف عن هذا الجسم ، اما اناتول فانه لم يعن بما وراء الطبيعة ولم يصدق كل ما يقال له . وقد شرع وهو طفل صغير في تعلم الكتابة فحاول ان يكتب في اللاهوت والأخلاق فافتتح كتابته بهذا الكلام « ماهوالله » وعرض العبارة على أمه فأوعزت اليه في وضع علامة الاستفهام بعد كلمة « الله » إشارة الى انه يسأل عن امر يجهله ، فاستعصى وقال : اني اعرف الله ولا استفهم وطال الجدال بينهما وامتنع عن وضع العلامة .

قال اناتول : وقد تغير طبعي من ذاك الحين فاني لا امتنع عن وضع علامة الاستفهام في كل مقام مناسب وقد أتعرض لوضع هذه العلامة في كل ما اكتب واقول وفي كل ما أفكر فيه . ولو تراخى اجل أمي لقالت لي « لقد جاوزت الحد يا اناتول » وفي هذا الكلام إشارة الى ان اناتول يشك في كل شيء في العالم . فان فلسفته الشك ، ووضع علامة الاستفهام بعد الكلمة إلماع الى الشك ، على انه يقول مهما كان شكنا الفلسفي فاننا مضطرون الى ان نعمل في الحياة كأننا لم نشك في شيء . فلم يكن مذهب اناتول الشك المطلق فهو يخشى هاتين الكلمتين الجافتين « انا اشك » لان المرء اذا كان شك في الامور وجب عليه ان يسكت فالكلام إثبات واناتول لم يجرأ على السكوت والاعتزال فقد شاء ان يؤمن فآمن الا انه آمن بان الامور نسبية في هذه الدنيا .

كان اناتول يرى ان ايمان ابيه بالله هو الذي جعله متفائلاً بالحياة ، الا ان هذا الوالد كان مع تفاؤله سوداويا قليل الضحك قليل الميل الى المزاح ، اما اناتول فقد اخذ عن ابيه مذهب التفاؤل الا انه كان فرحاً في حياته على خلاف ابيه ، فقد نظر الى الحياة من وجهها الصحيح فلم تغلب عليه السوداء التي غلبت على ابيه ، ولا مثلت له

الأوهام اموراً لا حقيقة لها ، فليس في الدنيا على مايقول حياة حسنة ولا حياة سيئة ، لا شيء شريف او معيب في ذاته ولا شيء عادل او غير عادل ، لذيذ او أليم ، صالح او فاسد . وانما الرجل هو الذي يجعل صفات للاشياء كما يجعل الملح طعماً للمآكل . هذا هو رأي اناتول في الحياة وهو يقول من عاش طمحت نفسه فطلب المطالب وبقدر ما يحسب المرء ان مطلبه حلو او مر تكون الحياة في نظره حسنة او سيئة . يألم الرجال لانهم ليس في ايديهم ما يظنون انه خير او اذا صار اليهم هذا الخير خافوا ضياعه ، و يألمون ايضاً لانهم يكابدون ما يظنون انه شر من الشرور فاذا بطلت هذه المعتقدات ذهبت آلامهم ، والناس سواء في عجزهم عن عمل الخير والشر فان الخير والشر لا اثر لهما الا في الرأي . والعاقل من الناس يرى المادة والمصطلح اصل كل شيء . هذا هو معنى كلامه « الامور نسبية في هذه الدنيا » . وقد قذف ابو الطيب المتنبي هذه الفلسفة في بيت فقال :

راعتك رائعة البياض بمفرقي ولو انها الاولى لراع الاسحم

البشر في نظر اناتول هم الذين يستجلبون العذاب الى قلوبهم و يدخلون الآلام على نفوسهم فاسمع ما قاله في الحزن و كيف علله .

« أشد ما يكون حذقنا باستجلاب العذاب الى قلوبنا ، وأعظم ما تكون مهارتنا في جر الألم الى نفوسنا ، لقد ضاعفنا آلامنا وتمم انقصنا ازديا اللذة لحواسنا . لقد ظهرت منذ بدء الخليقة ونشوء العالم امرأة مقنعة اسمها « السويداء » ولكن فلنعدل دون شيء من الاشتطاط فقد أضفنا ولا ريب بعض الشيء الى احزان النفس ولكل منا نصيب في إنشاء هذه الآلام ، آلام الروح .

العلم لا ينشئ شيئاً من السعادة ، فقد قطفنا ثمر شجرة العلم واكلناه ، ولم يبق منه في الأفواه الا طعم الرماد . لقد مشينا في مناكب الارض وخالطنا أمماً شتى منها السود والحمر والصفر ، و بان لنا اختلاف البشرية ، ورأينا ان هذا الاختلاف اعظم مما كنا نتصوره ، ووجدنا انفسنا أمام اخوات اجانب لا تشابه ارواحهم ارواحنا الا بقدر ما تشابهها ارواح الحيوانات ، ثم جلنا في الفكر كل مجال فقلنا ما هذه البشرية التي تتغير سحناتها وارواحها وآلهتها بتغير مباآتها ، كنا لا نعرف من الارض الا حقولها التي كانت تخرج لنا الخيرات و كانت هذه الارض كبيرة في اعيننا فلما عرفنا مقامها

في العالم تصوّر لنا صغرها ، فقد علمنا انها ما كانت الا قطرة طين ، فوضع هذا العلم منا ، وكنا محمولين على الظن بان اشكال الحياة والعقل كانت اعظم مما تمثل لنا ، وان في الكواكب والعوالم بمجامعها مخلوقات تفكر ، ففهمنا بعد ذلك ان عقلنا صغير . ان الحياة في ذاتها لا هي طويلة ولا هي قصيرة . والأغرار الذين يقيسونها بالنسبة الى مدتها الوسطى يقولون والحق يقولون ان المرء اذا مات بعد ان يخطه الشيب فقد قضى لبانته من الحياة ، اما نحن فما ذا صنعنا ؟ فقد شئنا ان نحزر عمر الارض القديم وعمر الشمس وها نحن الآن نقيس حياة البشر على ادوار طبقات الارض وعلى اعمار العوالم فرأينا بعد هذا القياس ان الحياة قصيرة ، غرقنا في بحر الزمن والمسافة فتبين لنا اننا لم نك شيئاً فثقل علينا هذا الامر ولم نشأ ان نقول شيئاً بسبب كبريائنا فخجلنا واصفرت وجوهنا والخطب الجلل ان ايماننا ذهب بذهاب جهالتنا الحسنة ذهب رجاؤنا واضمحل املنا فلم نؤمن اليوم بالذي كان عزاء لآبائنا وهذا شديد علينا ، فقد كان الايمان يجهم نفسها بطيب ويعذب .

ومما زاد في بؤسنا ان تكاليف الحياة المادية اصبحت اثقل من قبل ، فان الجماعات الحديثة قد جوّزت ضروب الأماني فاستثارت بذلك كل مجهود . واصبح التزاحم على الحياة والتنازع فيها اشد من كل دهر وصار الظافرون احمق ، والمنكسرون اعظم انكساراً ، لقد اضعنا حب الخير بضياع الايمان والرجاء وكانت هذه الفضائل الثلاث تحمل الأرواح البائسة على ظهر هذا البحر ، بحر العالم ، فمن الذي يأتينا اليوم بالايمان والرجاء وحب الخير ! » .

* * *

كان اناتول سعيداً في حداثة سنه ولكنه يقول : السعداء لا يعرفون اموراً كثيرة عن الحياة فالألم هو مهذب الرجال الأكبر والألم هو الذي علمهم الفنون والشعر والأخلاق وهو الذي اوحى اليهم البطولة والشفقة وهو الذي جعل قيمة للحياة عندما يغامر الناس في حياتهم .

ومن كان متفائلاً بالحياة فأخلق به ان يكره الموت ، ويخاف شدته ، واناتول من الذين يكرهون الموت قال :

كان الموت في كل دهر من الدهور مخوفاً فظيعاً ، ومهما قالوا لك لاينبغي للمرء ان تأخذه المخافة من ظلمة اللحد وضيق الارماس فما الموت الاالعدم فالرجل يجيب عن مقالهم هذا بان الساعة الأخيرة تملأ القلوب خوفاً ورعباً . كان الاغريق يرهبون غم الضريح ويخشون هول الموت الا انهم لم يقبحوه ولا شنعوه ، فان مخيلاتهم قد زينت كل امر من امور الدنيا وجملت لقلع الحياة بهجة ورونقاً اما القرون الوسطى فقد هوّلت علينا بنار جهنم وخوفتنا بخيالات كئيبة مستكرهة فصورت لنا شياطين تمر بنا فتنتزع من بين جوانب المذنبين أرواحهم ورعبتنا بصور المقابر المحزنة واشكال الهياكل العظمية والديدان التي تأكل لحم الاجسام الفاسد وعلى هذا كان الموت شديداً .

ولم يذهب هول المقابر الا في القرن الثامن عشر فقد كانوا يجعلون في اعالي القبور الاواني المستظرفة والرياحين والأزاهير فكانت هذه القبور زينة بساتين الانكليز وحدائقهم » .

لم تفجع باريز وحدها باناتول فرانس وانما فجعت به البشرية برمتها ، لان اناتول رجل الانسانية وليس حظ وطنه منه باوفر من حظ العالم باسره . يقول اناتول : لا يكون الواحد منا انساناً الا اذا أشفق على أخيه ، فلا يليق بنا ان نستحيل جلود صخر فلنشفق على الضعفاء لانهم يألمون من الأقوياء ولنرأف بالسعداء في هذا العالم فقد جاء في الكتاب « ويل للذين يضحكون » .

كان اناتول شفيقاً على الضعفاء وقد بلغت به شفقته المبالغ فكان عطفه على الضعفاء الذين يألمون من الضهد مثل عطفه على الضعفاء الذين ينشأ ضعفهم عن أعصابهم فيذهبون في الحب كل مذهب . ألف الكساندر دوما رواية يبحث فيها عن قتل رجل لزوجته لخروجها عن العفاف . قال اناتول « لو كنت قاضياً لما برأت القاتل من جنايته اللهم الا ان يطبق اطباء الشرع على انه مصاب بفالج في جملة اعضائه ، ولا عجب في ذلك ، فان قتل المرأة لأمر عجاب وهيهات ما يطاق الذين يجترؤن على اشباه هذه المذابح . لا ريب في ان زوجة هذا القاتل كانت فاسدة الخلق ، ذات غرائز سيئة ، ولكن هل نسأل عن غرائزنا ، الم يك للتربية والميراث تأثير في اعمالنا . فمن موجب الاسف اننا نولد معوجين لا سبيل الى تقويم اعوجاجنا ، اننا نولد شيباً لا شباناً . لو فكر القاتل

في العناصر التي تؤلف جسم زوجته اللطيف لما حطم هذه الآلة الدقيقة ، ولكان غفر لهذه الروح المظلمة جناية أعصابها ودمها . اسمع ما تقوله الفلسفة الطبيعية في شعرها « ان لأمور الحب أسراراً غامضة ، ان غرائز المتقدمين التي كانت في الاصل تجمع في بطون الغاب بين أطراف الأبدان المعراة هي نفسها التي تقلق اليوم المرأة تحت ثيابها النفيسة . ما فتئت المرأة تحفظ دم حواء الغابات الكبيرة على علمها بالخفر وحرصها على القوانين » .

يعرف اناتول كل ما يستوجبه الأدب ومعاذ الله ان يذهل عنه ، ولكنه يرى ان الرأفة هي احسن الفضائل وان الفلسفة الطبيعية تعلم المسامحة وفضلاً عن ذلك فاذا جاء امر الحب فلا نجد الى التمييز سبيلاً — حبك الشيء يعمي ويصم —

الحب في رأي اناتول فرانس هو اللذة التي تحمل الأنواع الحيوانية على التزاوج والتناسل ، فهو عنده بمنزلة بقاء النوع عند علماء التاريخ الطبيعي ، وقد ألهه في كتاباته ، فهو في نظره أقدم الآلهة .

لما ولد هذا الاله لم يكن في العالم اثر من آثار العدل والعقل فلم يجد هذا الاله التعس شيئاً يخلق به دماغاً وعيوناً وآذاناً . ولد أعمى فهو الآن على الصورة التي ولد عليها وسيبقى على هذا الشكل في كل دهر ، يعمل فيخبط في اعماله خبطاً دون شيء من الروية ، الق نظرة على اعماله انها عظيمة ! لقد خلق كل شيء ولكنه خلق بغير عقل ولا فهم ، لقد برأ في اول الامر . حيوانات لله درها من حيوانات ! انه خلق أصدافاً وأسماكاً وزواحف ، وقد كان هذا الاله يومئذ يعيش في الماء ثم حسن على سبيل الاتفاق والتدريج طرائقه فخلق الحيوانات اللبونة ، التي أتعبته وأجهدته ثم خلق القردة فبقيت القردة زمناً طويلاً آياته الرائعة ، وقد خلق الانسان بعد القردة فلم يغير هذا الاله من طبيعته ، ولم يبدل من طريقته ، فبقي اعمى كما كان ولم يستعن بالعقل ولن يستعين به مجيس الليالي وهو محق في ذلك لان الحياة سرعان ما تنتهي اذا كانت نشرها معقوداً بالعقل .

ان هذا الاله اعمى ولكنه يقودنا والشر كل الشر في ذلك ولكنه شر ابدي ، لان الحب يدوم ما دامت العوالم ، اننا نقاومه ونستولي عليه اذا كان اضعف منا ،

ولكنه اذا اشتد استولى علينا وهذا ما يسمونه : منازعة الهوى ومثل الارادة والغريزة كمثل كفتي ميزان فالكفة الثقيلة هي التي ترجح وتميل ٠

هذا هو الحب في نظر اناتول فرانس فقد كان سبب حياة الحيوانات من أدناها الى ارقاها ، وهو غريزي في البشر من مبدإ الخليقة الى منتهاها ٠ وهذا ما حمل اناتول على الرأفة بالفاجرة التي خرجت عن العفاف لانها لم تخرج عنه الا بعوامل غريزية متمكنة من لحمها ودمها وأعصابها فلا سبيل لها الى التخلص منها ٠٠٠

قلت في صدر المحاضرة كان بين اناتول وبين ابيه اختلاف في المعتقد وقد امتد هذا الاختلاف الى الذوق فقد كان اناتول يميل الى النمط المدرسي ، ما هو النمط المدرسي ؟ بعد ان هممت شآبيب الثورة الفرنسية ولعت عوارضها انفجرت ثورة أدبية خلقية قلبت طرائق التفكير والحس واسمها النمط الوجداني بدأ بها مدام ستال وشاتو بريان وتجسمت في اربعة شعراء كبار وهم : لامارتين وموسه وفيني وهوغو كان المدرسيون أمثال الشاعرين بوالو وراسين يرون ان يمثلوا في فنهم جمال الحياة ويعتبرون العقل في الشعر الملكة الغالبة ويقتبسون عن التاريخ القديم نماذج فنهم و يستنزلون وحيهم من سماء الامم المتقدمة تخرج الوجدانيون على هذه القواعد بحذافيرها وهدموا بناء المدرسيين ، فرأوا ان يمثلوا في فنهم كل ما هو شنيع ومضحك في الحياة ، وان يكون الخيال الملكة الغالبة ، وان يستنزلوا وحيهم من ادب الامم العصرية فيأخذوا عن غيتي وشلر و بايرون وشكسبير ، فبدلاً من ان يكتبوا عن اساطير الاولين كتبوا عن الفن النصراني في القرون الوسطى ٠

فاناتول فرانس كان يميل الى الفن المدرسي اي انه كان على النمط القديم ، وله في النقد أسلوب خاص فهو من فرقة النقد الذاتي فانه يغتنم فرصة ظهور كتاب من الكتب فيفصح عن خوالج نفسه ، ويعرب عن رأي يخامر ضميره وقد جمع رسائل نقده في اربعة كتب سماها « الحياة الادبية » تكاد هذه الكتب تكون مملة ٠ يرى اناتول ان النقد انما هو ضرب من الروايات على نحو الفلسفة والتاريخ تستعمله العقول الفطنة الطامحة وكل رواية اذا فهمناها كل الفهم انما هي ترجمة المؤلف بقلمه ، فالناقد الحاذق هو الذي يروي خوالج نفسه في اثناء روائع المؤلفات وهذا الطراز في النقد يسمى النقدالذاتي ،

قال اناتول : « لا يوجد نقد موضوعي اكثر مما يوجد فن موضوعي ، وكل الذين يحتجون بانهم يضعون في مؤلفاتهم شيئاً غير لواعج انفسهم فهم واهمون ، فالحقيقة ان المرء لا يخرج من نفسه ابداً وهذا من اكبر شقاء الانسانية .

اننا محبوسون في انفسنا فكأننا في حبس ابدي ، فالذي يليق بنا ان نعمله هو ان نعترف بحالتنا الفظيعة ونقر بأننا نتكلم عن انفسنا كل ما عجزنا عن السكوت فاذا كان الناقد حراً وجب عليه ان يقول :

« سادتي اني اريد ان اتكلم عني في اثناء كلامي عن شكسبير او راسين او باسكال او غيتي فان في ذلك فرصة جميلة » .

قال اناتول تعرفت الى المسيو كوفيليه فلوري وقد كان ناقداً قديماً ، وفي ذات يوم انطلقت نحوه وهو في داره الصغيرة فأراني مكتبته الحقيرة التي كان يفخر بها وقال :

« سيدي انك لتجد كل الأنواع ممثلة في هذه المكتبة كالبلاغة والآداب الرفيعة والفلسفة والتاريخ ما خلا النقد فانه يحيط بكل الانواع ؛ نعم ياسيدي فالناقد يكون تارة خطيباً ، وتارة فيلسوفاً ، وتارة مؤرخاً » . لقد أصاب المسيو كوفيليه فلوري في كلامه فالناقد يجمع كل هذه الصفات او انه قد يمكنه جمعها فاذا أراد ان يبرز اندر القوى العقلية واشدها تنوعاً واختلافاً امكنته مناهز الفرص ، وهو يعمل تاريخ البشر العقلي من دون ان يخرج من نفسه ، فالنقد من حيث التاريخ هو آخر صيغة من الصيغ الادبية كلها وربما وصل الى استغراق هذه الصيغ كلها فانه يليق كل اللياقة بالجماعة المتمدنة التي تكون ذكرها كثيرة وتقاليدها طويلة وعلى الخصوص فانه مناسب للجماعات الطاعمة ، المتعلمة ، المصقولة ، وتقدم النقد يستلزم ثقافة اكثر مما تستلزمه كل الصيغ الادبية الباقية . ابتدع النقد مونتان وباتنوف وبيل ومونتسكيو فانه يتحدر من الفلسفة والتاريخ وقد استوجب انتشاره وترقيه جيلاً اطلقت فيه الحرية العقلية » .

هذا هو نظر اناتول فرانس في النقد وقد كان نقده اشبه شيء باحاديث يطارحها اهله وخلطاءه وكان يسير فيه سير المتنزه . فيقف حيث يطيب له الوقوف ويسترسل الى اذواقه وخيالاته على شرط ان يكون في هذا كله صادقاً ، اميناً ، رؤوفاً فلا يريد

ان يعرف كل شيء ولا يشاء ان يفسر كل شيء و يعتقد باختلاف الآراء وتباين العواطف و يشكم عما يجب ان يحب .

شغف اناتول فرانس بالنمط القديم شغفاً عظيماً ، فانظر الى رأيه في هوغو وهو من اكابر الشعراء المجددين .

« لا جرم ان علاج هوغو للكلمات كان اكثر من علاجه للافكار فقد ظهر انه أدمج في أسمى الفلسفات طائفة من الخيالات والاحلام منقطعة مبتذلة ، والذي يؤلمنا ويفزعنا اننا لا نرى في تآليفه الكبيرة بين الكثير من اشخاصه العظيمة صورة بشرية . قال الأغريق : الرجل مقياس كل شيء الا ان فيكتور هوغو جاوز كل قياس لانه غير انساني ولم ينكشف له قط سر النفوس . لم يخلق هوغو ليفهم وليحب ، وقد شعر بذلك من غريزته ولهذا فقد أراد ان يدهش الناس وقدر على ذلك حيناً من الدهر طويلاً ، ولكن هل يستطيع المرء ان يدهش غيره في كل وقت . عاش فيكتور هوغو ثملاً تسكره الألوان ورنات الأصوات وقد أسكر العالم بذلك . هذه هي عبقريته كلها انه ذو افكار غريبة وانه متفنن منقطع النظر وهذا شيء كثير ولكنه ليس بكل شيء .

هذا هو رأي اناتول في هوغو فان اناتول شغف بلغته القديمة ، ذاهب في الحرص عليها كل مذهب ، ولع بمفردات اللغة لانه يرى في هذه اللغة صورة وطنه وقومه من قديم الدهر وحديثه ، ومرآة تنعكس فيها حضارة أمته ، فاللغة ملكت عليه عقله ولبه فهو يحب معجمات اللغة لانها تحتوي على شيء جميل فخم فقد قال :

« انظر الى معجم غازيه او غيره من المعجمات ، وتصور انك ترى روح وطننا في هذا المعجم ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات عبقرية فرنسة وطبيعتها . ليتصور ذهنك ان فيها أفكارنا وأفكار اجدادنا ، وأفراحنا وأفراحهم ، وأعمالنا وأعمالهم ، وآلامنا وآلامهم . ليخطر ببالك ان في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ، وآثار الذين استنشقوا الهواء الصالح وشموا النسيم الرقيق الذي نشمه اليوم . ليخطر ببالك ان كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الافكار كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عديدهم ، وعاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم ، ليهجس في صدرك ان كل هذه الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشر بقو دمهما وروحهما » .

بحث اناتول فرانس في كتابه «العبقرية اللاتينية» عن لغة الشاعر لافونتين فقال :
كان لافونتين يولع بالكلمات و يعرف كيف ينتخبها ، ولا يكون المرء كاتباً الا اذا حسن اختياره للالفاظ . فالكلمات هي افكار ، ولا سبيل الى الإصابة في الحكم الا بالتمكن من النحو والمفردات الصحيحة . واظن ان الشعب الاول في العالم انما هو الشعب الذي يملك احسن الاصول في النحو وتنسيق اللفظ . قد يقع في أغلب الحالات ان الرجال يتناحرون بسبب كلمات لا يدركون معانيها ، ولو فهم بعضهم كلام بعض لتعانقوا . ولا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل معجم يفي بكلمة كل شيء .

اني لاجد عناء في بيان المآخذ التي أخذ عنها لافونتين أسلوبه ، لقد اخذ عن المتقدمين من الشعراء والقصاص ، يحب لافونتين العبارات القديمة فاذا وقع نظره على كلمة قديمة جزلة المعنى استخرجها من موضعها واستعملها في شعره في المقام المناسب . وقد استعمل ايضاً في أشعاره عدداً كبيراً من التعابير التي استعملت في عصر غير عصره ، ولكنه اعاد الى هذه التعابير شبابها .

فلا ينبغي لنا ان نضيع شيئاً مما يمكن ان يدعمنا ، وهذه حكمة اقتصادية تنطبق على كل الخيرات ، فهي تنطبق على خيرات اللغة كما تنطبق على غيرها فاذا أضاعت كلمة طيبة الأصل معناها الاول واصبحت لا تستعمل الا في معناها الخاص او في معناها المحرّف ، فجدير بالكاتب الحكيم ان يعيد الى هذه الكلمة سعة معناها الاول وفصاحته وعلى هذا مشي راسين ولافونتين . ثم قال :

يتبين لنا ان لافونتين الذي استعمل هذه الكلمات كلها لم يخترع شيئاً منها وليعلم الانسان ان حذاق الكتاب هم في الأعم من الأحوال قليلو الميل الى توليد الألفاظ ، فان كنز اللغة المشترك كاف وهذا الكنز لا ينضب فيه الذين يكتبون على السواء ، فكثير منهم لا يجدون فيه ما يحتاجون اليه اما لكسلهم واما لفقدان عبقر يتهم . اما لافونتين فقد استخرج منه كنوزاً :

وبعد ان اشبع اناتول الكلام في لغة لافونتين قال :

« اتمنى لو ان آرائي هذه تقوي في بعض العقول محبة لغتنا ، لقد تغيرت هذه اللغة مرات كثيرة ، ولكن لم تتغير الا محاسنها . لقد قوي اسرها ، وانبسط أفقها

واغنـاها كل نشء من عنده بكلمات تدل على افكار وعواطف وافراح وآلام وعلى مجهود ملايين من الناس ، لقد جاءت الينـا على هذا النحو مترعة الجوانب من قرن الى قرن ، وهذا الميراث الوطني عزيز على كل النفوس التي تحب وطنها .

* * *

هذا بعض ما تمثله الخاطر وتصوره البال من آيات اناتول فرانس ، وما ذكرته انما هو غيض من فيض . ولئن فاتني كثير من صوب عقله ، ونسج طبعه . فلا يفوتني حفظه لغة قومه في القرن العشرين ، ودعوته شباب وطنه الى محبة لغتهم . فقد ملكت عليه لغته مشاعره ، احسن اليها ولم يسئ ، و برّها ولم يعق ، واشفق عليها ولم يك جباراً عنيداً ، ولم يرفيها رأي طائفة من أدبائنا في هذا العصر رغبوا عن لغتنا القديمة كل مرغب ، وانقبضوا عنها كل منقبض على انه ما ادخرت الآباء للابناء ، ولا أبقت الموتى للاحياء شيئاً افضل من هذه اللغة . ولئن عبثت الايام بمديد ملكنا فانها عجزت عن العبث بميراثنا الوطني وهو اللغة . صارعت لغتنا لغات شتى تعاقبت في آفاق الشام من قديم الدهر[1] فصرعت هذه اللغات بحذافيرها ، بعد ان سلبت حضارات اهلها اجمل جمالها واحسن حسنها وتمكنت في ربوع الشام وكثير من بقاع الارض تمكن الاحياء الذين صارعتهم الطبيعـة وصارعوها ومارستهم ومارسوها فعجزت عنهم فتركتهم وشأنهم يستضيئون بضيائها و يستنشقون من نسيمها ، اشتملت لغتنا على بداوة الجاهليـة وحضارة الاسلام . واستوعبت شدة بني أمية ورخاوة بني العباس . ولئن درست رسومنـا وطمست آثارنا فأضعنا ما أضعنا فقد بقي لنا رسم حفظ لنا ماقذفت به الخواطر وجاشت به الصدور . فرحم الله امرءاً تعهد هذا الرسم وتفقده ، فزاد في محاسنه ونقص من مقابحه !

(١) ألق نظرة على الجزء الاول من خطط الشام للاستاذ العلاّمة رئيس مجمعنـا العلمي ، وتدبر فيه فصل « لغات الشام » البارع

قانون البلاغة

— ٤ —

قال الاصمعي : البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر . وقيل للعتابي : ما البلاغة فقال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ، ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ . فان أردت اللسان الذي يروق الألسنة ، ويفوت كل خطيب ، فاظهار ماغمض من الامر ، وتصوير الباطل في صورة الحق . واعلم أسعدك الله انه لا يتسع جريك في مضمار البلاغة ، وان كانت القريحة في نهاية الذكاء والثقافة ، الا بالاتساع في دراسة العلوم ، والافتنان في الآداب ، وحفظ مجامع اللغة ، والنظر في احكام الكتاب والسنة ، لتتفقه في لحن المنطق وتتفسح في معرفة الألفاظ ، فلا تبدع في بداهة بل تتجول (في خطاب (كذا) او كتاب ابتداء وجوابا عزوب لفظ من اللغة ، او استعجام غريب من القول عليك ، فيكتنفك من الحصر ما اكتنف) عمرو بن مسعدة عند مجادلة الحائك إياه : فانه حكى يوسف بن حماد قال : سمعت عمرو بن مسعدة[1] يقول : كنت مع المعتصم مقدمه من الثغر فلما بلغنا الرقة قال لي : يا عمرو الا تعجب من داود بن سليمان الرجحي[2] بالاهواز وفي بيت المال ونيله الدنيا : عنده اموال مجتمعة وقد كتب الي باشياء لا يعذر مثله في مثلها فاخرج اليه حتى تحمله في الحديد وتنقل ما قبله من المال فخرجت فبينا انا اسير بين دير هرقل

(١) في الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ان هذه القصة وقعت للرشيد مع وزيره عمرو بن مسعدة (راجع ص ١٥٦ من الجزء الثاني طبعة محمد مصطفى فهمي المصرية) وفي العقد لابن عبد ربه انها وقعت للمعتصم مع عمرو بن مسعدة وهو غير صحيح لان عمراً هذا توفي سنة ٢١٧ . وفي هامش النسخة الاصلية هكذا : طبقات الكتاب المشاهير عبدالحميد وابن العميد واحمد بن يوسف واسماعيل بن صبيح وعمرو بن مسعدة . (٢) قوله الا تعجب الى آخره مكان هذه العبارة من كتاب الإمامة والسياسة ما نصه : ما زالت تكلمني وتستلطفني في الرجحي حتى وليته الأهواز فقعد في سرة الدنيا يأكلها خضماً وقضماً ولم يوجه الينا درهماً ، فاخرج اليه الخ .

ودير العاقول في وقت الهاجرة في زلال[1] فيه خيش وثلج ، سمعت صائحاً ينادي ياملاح صوتاً بعد صوت فلما كثر ذلك عليّ رفعت سجف الزلال ، فاذا انا بشيخ حاسر الرأس حافي الرّجل على الشط فحملته فلما دعوت بالطعام دعوته فأكل أكل متأدب ، فلما رفع الطعام قدّرت انه يقوم كما يقوم العامة من موائد الخاصة ، فلم يفعل فاستحمقته فقلت : ما صناعتك فقال : حائك أعزك الله . ثم قال : وانت اي شيء تعمل جعلت فداك قلت : كاتب فقال : اصلحك الله من اي الكتاب انت فانهم خمسة أصناف . قال عمرو فوردتْ عليّ منه طامة ثم قلت له : سمّهم فقال : كاتب خراج ، وكاتب رسائل ، وكاتب حاكم ، وكاتب جند ، وكاتب معونة .

اما كاتب الخراج فيحتاج الى ان يكون عالماً بالطسوق[2] والمساحة والمقايسات خبيراً بالحساب . اما كاتب الرسائل فان يكون عارفاً بالاصول والفروع ، والفصول والوصول ، حاذقاً بالاعجاز والصدور ، والفتوح والعهود . واما كاتب الحاكم فان يكون عالماً بالاحكام حافظاً للشروط حاذقاً باختلاف الناس ، في الاموال والفروج . واما كاتب الجند فان يكون عالماً بشيات الخيل وحلى الرجال . واما كاتب المعونة اي الشرطة فان يكون عالماً بالقصاص والجراحات والحدود .

فقلت له : فاني كاتب رسائل . فقال لي : أخ من إخوانك واجب الحق عليك ، تزوجت امّه كيف تهنؤه ، ففكرت ساعة ولم يتجه لي شيء فقلت : لا أكاتبه لانه بالمصاب أشبه فقال : فعزّه إذن ، ففكرت ساعة فلم يجئني فيه شيء فقلت له : اقلني من هذا الفن فاني كاتب خراج قال : فان سلطانك بعثك على ناحية ، وتقدّم اليك بالعدل والانصاف ، وامرك ان لا تدع شيئاً من حق السلطان يضيع ، وحذرك ان تشكى ، فأخرجت عمالك ، وتقدمت اليهم بالعدل ، وحذرتهم ان يُشكوا ، فقدم

(١) الزلال كغراب ضرب من السفن التي تسير في دجلة كالحراقة والطيار .

(٢) الطسق ما يوضع من الوظيفة على الجربان من الخراج المقرر على الارض وكتب عمر الى عثمان : ارفع الجزية عن رؤوسها وخذ الطسق من ارضيها . وقيل شبه الخراج له مقدار معلوم .

عليك اهل الناحية يشكون عمالك ، فأشخصتهم وسألتهم عن ذلك ، فحلفوا بالله لقد انصفوهم ولقد خشوا ان يكونوا جافوا [1] على السلطان فخرجت الى العمل بنفسك ناظراً ، فوقفوا بك على قراح [2] لان تمسحه كيف تمسحه ففكرت ساعة وتجاسرت في الجواب ثم قلت : آخذ وسطه ثم آخذ طوله فاضرب به فيه ، فقال : تختلف عليك العطوف ؛ قلت : آخذ طوله وعرضه من ثلاثة مواضع فقال : ان طرفيه محددان ، وفي تحديدهما تقويس . ففكرت ساعة فاعيـاني الجواب فيه ، ولم يتجه لي فيه شيء فقلت له اقلني من هذا الفن فاني كاتبُ قاضٍ . فقال : ان رجلاً أحبل حرةً له وسرية فولدتا في ليلة واحدة ، فولدت الحرة جارية ، والسرية غلاماً ، فحملت الحرة الغيرة الى ان حوّلت الابن الى مهدها والبنت الى مهد السرية ، فتحاكمتا اليك ، ما كنت تقضي بينهما فقلت لا علم لي بذلك انا كاتب جند قال : فان رجلين تقدما اليك من اهل عسكر واحد سهمهما واحد . ذا اسمه احمد وذا احمد . هذا مشقوق الشفة العليا وهذا مشقوق الشفة السفلى كيف تُحلّيهما قلت اكتب لها احمد الاعلم واحمـد الاعلم . قال : اذاً يأخذ ذا رزق ذا ، وذا رزق ذا ، فتقع بينهما في حيرة ، فتفكرت ساعة فلم يتجه لي فيه شيء . فقلت : لا علم لي بذلك انا كاتب شرطة [3] قال : فان رجلان تقدما اليك احدهما قد شج موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه مأمومةً ، كم تجعل بينهما من الابل قلت : لا ادري فقال : فلست كاتب شرطة ، فقلت ففسّر لي ما قلت قال حبـاً وكرامة . اما الرجل الذي تزوجت امه ، فالوجه ان تكتب اليـه ان الاقدار تجري بغير محاب المخلوقين ، ولموتٌ في عافية خيرٌ من شائبة في الملك ، والله يختار للعبد فخار الله لك في قبضها اليه فان القبور (اكرم) الا كفـاء . واما القراح فتمسح اعوجاجه كم يكون قصبة ، ثم تضرب بعضه في بعض ، فاذا استوى في يدك عقد تعرفه ، رجعت الى المستوي فيه فضربته فيه . واما الحرة والسرية فانه يوزن لبنهما فمن كانت أخف لبناً فالابن [4] لها

(١) لعل صوابه جنفوا على السلطان اي جاروا . (٢) القراح الارض لاماء فيها ولا شجر وقيل المخلصة للزرع والغرس جمعه اقرحة . (٣) قوله كاتب شرطة في هامش الاصل اي ديوان المظالم والشحن وسمي ديوان المعونة ايضاً كما تقدم ذكره . (٤) كذا في الاصل والظاهر فالبنت لها وهكذا في العقد والامامة والسياسة .

واما الجند فيكتب احمد الأعلم مشقوق الشفة العليا واحمد الأفلح مشقوق الشفة السفلى · واما الشجة ففي المأمومة ثلاث وثلاثون من الإبل وثلث وفي الموضحة خمس من الابل فيرد عليه ثمانية وعشرين وثلثاً قلت : الست زعمت انك حائك قال : نعم ولكن أحوك الكلام واذا رجل قد أدبه الزمان ، وأحكمه العلم ·

والمعاني اسعدك الله لُمع ، والألفاظ مشتركة ، فمن سبق الى معنىً ثم جاء بعده من يتعاطاه ، فان أخذه بلفظه كما هو كان سارقاً ، وان أخذه ببعض لفظه كان سالخاً ، وان اخذه وكساه من عنده كان هو اولى به من الاول ·

و يقال ان ابا عُذرة الكلام من سبك لفظاً على معنى ، لا من اخذ معنىً بلفظ ، وقلما تجد شعر شاعر ، اورسالة كاتب ، اوخطبة خاطب ، الا وجدت فيه معنىً مسبوقاً اليه ولفظاً مشهوراً قبله · وقد قال ابو تمام يصف ذلك :

يقول من يقرع أسماعه　　　كم ترك الأول للآخر

فمن ذلك ان اسماعيل بن صبيح كتب الى بعض الامراء : في شكر ما تقدم من إحسانك ، شاغل عن استنباط ما تأخر منه · فأخذ هذا المعنى احمد بن يوسف فقال في بعض كتبه : أحق من أثبت لك العُذر في حال شغلك ، من لم يخل ساعة من برك في وقت فراغك · ثم اخذه سعيد بن حميد فقال : لست مستقبلاً لشكر ما مضى من اياديك(1) ، فأستبطيء درك ما أؤمّل من مزيدك · ثم أخذه حمد بن مهران فقال : لان تعذرت حاجتي قبلك ، لطالما تيسر لي امثالها عندك ، ولست اجمع الى العجز عن شكر ما أمكن ، التسرع الى الاستبطاء فيما تعذر · وسلك الى الطريقة ابو نواس فقال :

لا تجدثنّ اليّ عارفة　　　حتى أقوم بشكر ماسلفا

وقول ابي نواس اربى على جميع ماتقدم في اخذ هذا المعنى · وسلك هذا الطريق من جهة أخرى الضرير فقال : وفد اليّ انك أصبت بشيء من مالك ، لو لم تصب به لأسرعت النوائب اليه ، واتى كرمك عليه ·

و كما انه مطلق لمن لطف في اخذ المعنى فكذلك هو محظور على من لم يكن فيه آلة

(1) خ بلائك ·

الأخذ ان يطور به [1] لان الحاذق والبارع يخفي دبيبه الى الشيء حتى يستخرجه ، والمتخلف البليد يظهر تسوره على الامر اذا أراده .

اللسان هو ترجمان القلب ، وأداة يدرك بها التأليف ، ويلتمس بها التقطيع ، وبه يظهر ما يجنّه الفكر . وقيل في المثل المرء مخبوء تحت لسانه . ويقال : ان روح الحياة اذا كان ظاهراً كان جمالاً ، واذا كان باطناً كان لساناً . وقال علي بن عبيدة : الا لسنة [2] القلوب يؤدي عن ضمائرها المنطق بالفاظ شرايع [3] ماتستنبطه من الحكمة واللسان كاشف لما يخفيه الاغماض .

وفي كتاب الموسيقى ان الانسان حاس ، والعقل لطيف ، وليس لفكرة العاقل غاية يدركها اللسان . ومع هذا فان اللسان ترجمان ، وليس للترجمان ان يبلغ منزلة المترجم . وقيل اللسان عضو فان مرنته مرن . وان تركته حرن . وللسان فضائل معدومة في الجوارح ، ودرجة عالية على درجاتها ، لما خصه الله به من استعماله في المنطق والبيان .

قال عمرو بن بحر : في اللسان خصال هو أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يعبر عن الضمير ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الاشياء ، وناطق [4] يفصل الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، وواعظ ينهي عن القبيح ، ومعزٍ تبرد به الاحزان ، ومعتذر يذهب بالضغينة ، وملهٍ يونق الاسماع ، وزارع يحرز المودّة ، وحاصد يستأصل العداوة ، وشاكر يستوجب المزيد ، ومازح تستحق به الزلفة ، ومؤنس يذهب بالوحشة ومزين يدعو الى الحسنى .

الصوت هو آلة اللفظ ، والذي به يبلغ السامع ما يدركه الفكر .

الفكر هو مستنبط الحكمة ومستثار الصوت ، ومستوضح غوامض الأدلة ، وكاشف ضباب الغفلة عن الافئدة .

البيان هو اسم لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك حجب الضمير ، وابدى مكنونه .

(١) يقال انا لا اطور بفلان اي لااحوم حوله ولا ادنو منه . (٢) لعله سقط هنا لفظ «بريد» او «ترجمان» او ماماثلها . (٣) لعلها شرائف او شريفة . (٤) لعل صوابه قاض .

المعاني هي الحادثة بالذكر ، المتصورة للعقل ، الجائلة في الفكر . وهي بعيدة وحشية ، معدومة في حال ، موجودة في أخرى ، ممتدة الى غير غاية ، ومبسوطة الى غير نهاية .

البلاغة هي ان يبلغ السامع أقصى نهاية المعنى الخاطر بقلبك ، فتصوره لك كتصوره عندك ، بالابانة عنه والافصاح به .

وقيل : الفصاحة لمحة دالة . وقال بعضهم : البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد من حشو الكلام ودنو المأخذ ، وايجاز في صواب ، وقصد الى الحجة ، وحسن الاستعارة .

وقال آخر : البلاغة ان يعرف الفصل من الوصل[1] . وقال ثمامة بن الاشرس : قلت لجعفر بن يحيى ماالبلاغة فقال : ان تكون تحيط بمعناك . وتحكي عن مغزاك . وتخرجه من الشركة . ولا يستعين السامع عليه بطول الفكرة . ويكون سليماً من التكلف . بريئاً من الصنعة . بعيداً من التقعير . غنياً عن التأويل .

وقال الحجاج لابن القرية : ماالحرف وماالكلمة وما الكلام . فقال : الحرف فرد والكلمة جماعة . والكلام على عشرة أبواب : سبعة فواتح وثلاثة جوامع . فالفواتح جرأة الصدر ، وفقدان الحصر ، واتساق القول وبيان الكلام ، وقلة التنحنح ، والقول متى شاء ، والوقوف اذا شاء . والجوامع ان يشبه اول قوله آخره ، و يختار حسن اللفظ و يعرف قصة(؟) الكمية . وقال معوية : البلاغة كلام يتحدر على الطبع كما يتحدر الماء على الكبد الحرّى . لا يحمل الطبع فيه على غير مذهبه . فيظهر فيه نقيصة التكلف وعيب التخلق . وقال قائل : عيوب المنطق صنفان صنف مذموم وصنف خلقية[2] لا سبيل الى الانتقال عنها . والمذمومات توجب الذم اذا كان الاقلاع عنها الى غيرها ممكناً . والخلقية كاللثغة واللفلفة[3] والرتة والحبسة والحكلة والفأفأة والجلجة والتمتمة .

---

(١) وفي هامش الاصل وقال ابوتمام : حد البلاغة معرفة مواقع الفصل والوصل .

(٢) اي من قبيل العيوب الخلقية . (٣) اللفلفة العي و(الرتة) بالضم والتشديد ردة قبيحة في اللسان وقيل هي العجمة في الكلام كالحكلة . والفأفأة هي صفة الفأفاء وهو الذي لا يقدر على إخراج الكلمة من لسانه الا بجهد يبتدئ في اول إخراجه بشبه الفاء ثم يؤدي بعد بالجهد حروف الكلمة على الصحة هكذا فسرها المطرزي .

ومن فساد المنطق فساد مخارج الصوت مثل البحة وعدم اعتدال المخارج من الحلق والخياشيم والصدر فاللثغة تكون في الراء تنقلب الى الغين اوالياء اوالدال واللفلفة ان ان لا يخرج الكلام الا بشق الأنفس والرتة والحبسة واحد والحكلة كالبحة حتى كأنه يسرُ كلامه والفأفأة التردد في الفاء والتمتمة التردد في التاء ·

وقال عمرو بن بحر : من عيوب المنطق التصحيف وسوء التأويل والخطأ في الترجمة فالتصحيف يكون من وجوه : احدها من التخفيف والتثقيل ، ومن قبل الإعراب ومن تشابه صور الحروف · وسوء التأويل يكون من الاسماء المتواطئة وهو انك تجد اسماً بمعانٍ فتأوّل بغير المراد ، وكذلك سوء الترجمة · غير ان الكلام المحتمل على المعاني يكون بالفارسية المنقولة الى غيرها · وقال العتابي : الاستعانة من فساد الكلام · فسئل عن التأويل فقال : اذا قال عند مقطع قوله ياهناة ، واسمع مني ، وافهم عني ، وما أشبه ذلك كله عيّ [1] ·

ومن لمع صناعة الشعر للاردستاني [2] وهو محمد بن احمد قال : وكانت العرب انما تفاضل بين الشعر لشرف المعنى ، وجزالة اللفظ ، وصحة المبنى ، فتسلم النسق فيه لمن وصف فأصاب وألطف ، وشبّه فسدّد ، ولمن كثرت له سوائر الأمثال ، وشوارد الأبيات ، ولم يكن يهتم بتتبع البديع اذا حصل له عمود الشعر ، ونظام القريض ، على انه قد كان منهم من يتعمد التنقيح شعره ، ويتعمل لتحسين ألفاظه وتشذيبها ، وترصين مبانيه ومعانيه وتهذيبها ، مثل زهير والاعشى والحطيئة وابي صخر الهذليّ وعديّ بن

(١) في الهامش هذه العبارة : وقيل فتل الأصابع والنكت على الارض هو ايضاً من العيّ · (٢) هو غير كتاب معاني الشعر للاشناندانى وفي دار الكتب العربية بدمشق نسخة مخطوطة من هذا الكتاب وقد أورد صاحب كشف الظنون اسم كتابين باسم « صناعة الشعر » احدهما للحسين بن محمد الرافعي المعروف بالخالع المتوفى بعد ثمانين وثلاثمائة والآخر لابي سعيد حسن بن عبد الله السيرافي النحوي المتوفى سنة ٣٦٨ · وقد طبع كتاب الاشناندانى مؤخراً في دمشق (١٣٤٠) والاردستاني نسبة لاردستان مدينة بين قاشان واصبهان في فارس ·

الرقاع وابي المثلم والخنساء وغيرهم · فان اثر الصنعة ظاهر في اشعار هذه الطبقة ، ودالٌّ على مقاصدهم فيها ، وشاهد بمعرفتهم بها ، و يدل على ذلك افتخارهم في اشعارهم بالتجويد · ووصفهم لمصابرة القول ومكابدة السهر فيه والتخير منه · والصبر على عرضه وعمله حولاً · حتى قالوا : خير الشعر الحوليّ المنقّح · يروى ذلك عن الحطيئة فقالوا : حوليّات زهير · وقد ذكرت الشعراء ذلك في مفاخرهم فقال سويد بن كراع بذكر تقويمه شعره وطول مصابرته له :

ابيت بابواب القوافي كأنما   اصادي[1] بها سرباً من الوحش نزعا
أكالبها[2] حتى اعرّس بعدما   يكون سحيراً او بعيداً فأهجعا
اذا خفت ان تروى عليّ رددتها   وراء التراقي خشية ان تطلّعا

فاخبر ان القوافي تعتاص عليه وانه يكالبها و يكابدها و يسهر لها الى ان تنقاد له ·
وقال حارثة بن بدر :

قبح الالٓه الإلف الا ما مضى   والشعرَ بعد مرقشٍ ومهلهل
وابي دؤاد او عبيد كلما   نطقوا أصابوا فيه فصّ المفصل

فمدحهم بالاصابة والتجويد · وقال عديّ بن الرقاع :

وقصيدة قد بتّ أجمع بينها   حتى أقوّم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته   حتى يقيم ثقافه مُنآدها

فأخبر انه يعاود النظر و يكرره حتى يثقفه · وقال عمرو[3] بن هند :

فان اهلك فقد ابقيت بعدي   قوافيَ تعجب المتمثلينا
لذيذات المقاطع محكمات   لو ان الشعر يلبس لارتدينا

(للبحث صلة)

---

(١) صاداه عارضه يقال (من صاداك فقد صادك) · (٢) كالبه ضايقه مضايقة الكلاب بعضها بعضاً عند المهارشة · (٣) في الاصل (عمرو بن) فجاء بعض النساخ وزاد كلة (هند) ·

كتابات تدمرية وتفسيرها

يوجد في دار الآثار العربية بدمشق مجموعة نفيسة من العاديات التدمرية ، معظمها تماثيل قبورية وعلى اكثرها كتابة موجزة باحرف تدمرية ، تشير الى اسم المتوفى ونسبه وفي بعض الاحيان الى تاريخ وفاته ، شأن معظم الكتابات القبرية المكتشفة في اطلال تدمر . وهذه التماثيل هي غاية في الإتقان ، ولها فائدة أثرية ولكتابتها شأن خصوصاً في علم الخطوط وتطوراتها .

سأنشر رُقم [1] هذه التماثيل تباعاً في مجلة المجمع العلمي العربي مع صورها وتفسير كتاباتها ليتسنى للذين يهمهم هذا البحث الاطلاع على هذه المجموعة ، واذ كان بعض هذه التماثيل قد ملكه قبلنا أناس آخرون فنحن بالطبع لا ندري اذا كان سبق لغيرنا وكتب شيئاً عن الكتابات التي عليها لعدم وجود المراجع الكافية لديّ اللهم الا القليل منها الذي نشره علماء الآثار ومنهم من أخطأ بقراءة بعض الاسماء لعدم حصولهم على النسخة الاصلية ، او لغلط في النقل ، او لعدم وضوح الرقيم . ولذا سأعيد نشرها مع الاشارة الى ذلك .

« الكتابة الاولى »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ١) كتب على يسارها العبارة الآتية :

١	הדירת	هديرة (بنت)
٢	אחא ברת	اخا ، بنت
٣	בורלחא	بولحا ،
٤	בר ברעא	بن برعا ،
٥	בר זבדעתה	بن زبدعته
٦	חבל	واأسفاه !
٧	בירח	بشهر

(١) الرُقُم جمع رقيم وأصبح يراد به كل كتابة أثرية محفورة او منقوشة على صخر (Inscriptions) .

٨	ניסן	نيسان
٩	שנת	سنة
١٠ ١١	٤٨٠	٤٨٠

من السهل قراءة هذه الكتابة لانها واضحة جلية ، وان كان قسم منها غيرظاهر في الرسم ولكنه محقق في الاصل • وجميع اعلامها معروفة وشائعة الاستعمال في الكتابات التدمرية وليس فيها لفظ غريب •

س (١) הדירת (هديرة) علم مؤنث اتى ذكره في بعض كتابات ضريح (إآه بل) المعروف اليوم بقصر العروس في تدمر (Chabot. Choix d' Inscriptions palmyreniennes) وقد أغفل النحات كلمة (بنت) بعد هذا العلم حسبما أشرنا واحياناً يستغنى عن هذه اللفظة في مثل هذه الكتابات وتذكر الانساب بدونها •

س (٢) אחא (اخا) علم مؤنث معروف - Chabot - Notes d' Epigraphie et d' Archéologie orientale No 16)

س (٣،٤،٥) בורחא (بوطا) و ברעא (برعا) و זבדעתה (زبدعته) جميعها اعلام مذكرة وقد جاء ذكر الثاني منها في بعض الكتابات التي نشرت في (Melanges de la Faculté Orientale pp.170 et 171.— Revue bibli ques 1897 P. 594)

والثالث نشر في (Chabot-Choix d' Inscrip. palmyr. p. 66)

واما كلمة السطر السادس חבל (خبل) فقلما تخلو منهــا كتابة قبرية تدمرية وهي لفظة تفيد التحسر على الفقيد وتعريبها (واأسفاه) !

ومما يزيد في شأن هذه الكتابة انها مؤرخة بما يفيد وقت الوفاة وهو شهر نيسان سنة ٤٨٠ سلوقية [١] الموافقة لسنة ١٦٩ ميلادية •

(١) يبتدئ التاريخ السلوقي في ١ تشرين الاول سنة ٣١٢ قبل الميلاد •

وقد نشر هـذه الكتابة كل من الاساتذة : مولر (Müller No 15) وشابو (Chabot No 50) وجوسن (Jaussen N°5) عن صور غير واضحـة او نسخ مغلوطة · فأخطأ الاول بقراءة السطر الثاني فقرأ בר (ابن) عوضاً عن ברת (بنت) وعلى الرغم من كون تاء التأنيث واضحة في الكتابة فان العَلَم الذي قبلها مؤنث ولذا يجب انتكون هذهاللفظة مؤنثة ايضاً · وقرأ ايضاً السطرالرابع ברעין (برعن) ولـكنه استدرك خطأ النـاسخ واقترح تصحيحه (برعا) كما ترجمته آنفاً وقراءة بقيـة الاساتذة متفقة مع ما أثبتناه ·

« الكتابة الثانية »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٢) وعلى يساره قد كتب هذه العبارة :

١ חירן בר ـِخيرَن ، بن
٢ מרדא مردا
٣ בר ידי بن ، يَدّي ،
٤ חבל وأسفاه

س (١) חירן (خيرن) علم مذكر شائع بين الاعلام التدمرية ·

س (٢) מרדא (مردا) جاء في الكتاب المقدس علم يقاربه وهو מרד (مَرَدَ) (١ · اي ٤ : ١٧ و ١٨) ·

س (٣) ידי (يَدّي) علم تدمري معروف معناه المحبوب ويقابله من الأعلام التي جاءت في الكتاب المقدس ידו (يدو) ·

س (٤) ولفظة السطر الاخير هي كلمة (ـِخبَل) المعروفة كما بينتها اولاً ·

« الكتابة الثالثة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل٣) والكتابة واقعة على اليسار وهي :

١ מלכו בר ملكو بن
٢ ידי בר يَدّي بن
٣ פתיחב فتيحب
٤ חבל وأسفاه

س (١ و ٢) מלכו (ملكو) و ידי (يَدّي) علمان شاع استعمالها في تلك العصور، وقد جاء ذكر الاول في (Chabot Choix d' Inscrip. palmyr. p. 120) والثاني في الكتابة التي قبل هذه . واما العلم الثالث فبالرغم من ان قراءته لا تدع مجالاً للشك بصحتها لوضوح حروفها . فانه لم يسبق العثور على هذا العلم، ولعله جديد بين الاعلام التدمرية . وقد نشر هذه الكتابة الاساتذة : جوسن (Jaussen) ومولر (Müller) فأشكل عليها قراءة العلم الثالث فقرأوه פתיחזב (فتيحزب) والأصح ما ذكرنا لانه لا أثر للحرف (ت) في الأصل . وختمت هذه الكتابة بكلمة (حَبَل) المعهودة .

« الكتابة الرابعة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٤) والكتابة على جهة اليمين هكذا :

١ חבל واأسفاه !

٢ חירן حيرن، (بن)

٣ מרדא مردا

قد سبق في الكتابة الثالثة ذكر العلمين المذكورين في هذه الكتابة . وهذه الكتابة تختلف عما سبقها بشكل حروفها وخصوصاً (ת) وقد سطرت عمودياً وأهمل النحات كلمة (ابن) ولذلك اشكل عليّ معرفة اي منهما ابن للآخر . وكلمة (حَبَل) لا تفيدنا شيئاً هنا لان هذه اللفظة تفتتح الرُقُم القبرية بها او تختتم او يجمع بينهما .

(للكلام صلة) مدير دار الآثار العربية

جعفر الحسني

عثرات الاقلام

— ٣٠ —

ومن عثراتها قولهم (لا نريد ان نشور عليكم في هذه المسألة) صوابه (نشير) من أشار ولم يرد شار عليه ثلاثياً بهذا المعنى ·

ومنها قولهم (فكتمت عنه ما كان يجوش في خاطري) صوابه (يجيش) من جاش جيشاناً وهو لم يرد بهذا المعنى الا يائياً ·

ومنها قولهم (سافر الى باريز وعهد الى فلان زمام الأعمال) صوابه عهد اليه في زمام الاعمال على ان كلمة (الزمام) لاتناسب هنا فالأصح حذفها ويقال (عهد اليه في اعماله) او يقال (سلمه زمام اعماله) او (ألقى اليه بزمام أعماله) ·

ومنها قولهم (اولاده يتناغون جوعاً) لا يوجد تناغى بهذا المعنى وانما هو (يتضاغون) جوعاً او (يتضورون) جوعاً ·

ومنها قولهم (وله خط دقيق الحرف بالكاد لا نقرؤه) · وبعضهم يقول (بالكاد نقرؤه) من دون حرف النفي · وكلاهما خطأ : اذ المراد من الجملة ان قراءة الخط صعبة لا تسهل قراءتها على الانسان الا بعد تعب وجهد · فاذا كان معنى (كاد) القرب كان فعلاً ماضياً ولا يصح ادخال لام التعريف عليه · وان كان معناها التعب والالحاح وجب ان يقال : (بالكدّ) بتشديد الدال كما يقولون أحياناً · ومهما يكن فان الجملة غير صحيحة التركيب والصواب ان يقال مكانها (خطه دقيق لا يكاد يقرأ) او (لا تكاد نقرؤه) او (لا يتبينه الطرف) او (قلما تتيسر قراءته) او (لا يقرؤ بسهولة) او (يقرأ بالكد والتعب) اوغير ذلك ·

المجمع العلمي العربي

« يوم ٤ شباط ١٩٢٧ و٢ شعبان ١٣٤٥ »

غصت ردهة المحاضرات في المجمع العلمي العربي في هذا اليوم لسماع محاضرة رئيسه وموضوعها « ابو حيّان التوحيدي وفلسفته وتصوفه وعلمه والجمعيات العلمية السرية والجهرية والمجامع والمجالس الادبية في القرن الرابع » . وقد حضر المحاضرة سعادة المسيو بيراليب المندوب الممتاز لدى دولة سورية وحكومة جبل الدروز ومعه معاونه المسيو فيبر وكان الترجمان يترجم لسعادة المندوب كل جملة يلقيها المحاضر . وبعد ذلك عقد المجمع جلسته فحضرها المندوب المشار اليه وغبطة العلامة السيد غريغوريوس حداد بطريرك طائفة الروم الارثوذكس وغيرهم من الفضلاء . فبدأت الجلسة ونعى الرئيس للاعضاء عضو المجمع العلمي العربي في باريز العلامة المرحوم كليمان هوار واقترح ايقاف الجلسة خمس دقائق اكراماً لخدمته وايفاء لحقوق الزمالة ثم تلا امين السر محضر الجلسة الماضية وعدد الرئيس ما ورد على المجمع منذ الجلسة الماضية من الكتب المهمة فكان خمسة وسبعين مجلداً وأشار الى الاثر النفيس الذي عثر عليه في دمشق من القرن الخامس وما في وضعه في دار الآثار من الشأن العظيم للتاريخ وعلم العاديات الاسلامية . وجرى البحث بعدئذ في عيد دار الكتب الحسيني الذي سيرأسه العلامة الاستاذ سليم افندي البخاري احد مؤسسي تلك الدار تحت رعاية سمو رئيس الدولة وان المعارف ستتنزل عن جميع المدرسة الظاهرية الى المجمع العلمي فيخصها بدار الكتب . ثم تلا الرئيس اقتراحاً وارداً من الاستاذ الاب بطرس البستاني من علماء العربية في لبنان يرمي الى توسيع اعمال المجمع العلمي في البلاد العربية . فاقترح بعضهم ارجاء البحث في هذا الموضوع الى الجلسة القادمة . وتذاكروا في موضوع محاضرة تلقى في العربية والافرنسية في الدين الاسلامي من حيث الاجتماع على نزلاء دمشق من الاوربيين فلم يتم في ذلك رأي . ثم تفاوض المجمع في ان يقترح على الحكومة وضع رسم على الداخلين الى دار الآثار على ان يجعل الدخول يوم الجمعة من كل اسبوع مجاناً لمن أراد . وان يكون الرسم طفيفاً بادئ بدء لا يتجاوز عشرة قروش سورية

ينفقها المتحف في تنظيم اموره · وبعد ذلك تناقش الاعضاء في عثرات الاقلام وانفضت الجلسة · وكان الرئيس يترجم لسعادة المندوب الممتاز المشار اليه كل دقيق وجليل يدور في الجلسة فسرّ حضرته سروراً زائداً ، وقال للرئيس عضوا على مجمعكم بالنواجذ وحافظوا عليه بكل ما اوتيتم من قوة ومتانة وعلم ، فانه عمل نافع جداً للبلاد كما قلت لكم ولا أزال أقول · ولا عجب فسعادة المندوب من الافراد الذين عرفوا بسعة فضلهم وله مصنفات عظيمة واعمال ادبية مجيدة واكثرها مطبوع ، ومثله من يقدر الاعمال العلمية قدرها ·

مخطوطات مكتبة جامعة برنستون

جاء من الاستاذ العلامة السيد فيليب حتّي احد اساتذة جامعة برنستون كتاب ختمه بقوله : (هل ذكرت لكم ان في جامعة برنستون الفين وخمسمائة مخطوط عربية فهي أعظم مكتبة عربية في العالم الجديد · وسيكون نصيبي في الحياة احياء هذه المكتبة بالطبع والنشر والترجمة فضلاً عن تدريس الطلبة فلا تحسبوا اننا هنا فقدنا رغبتنا في الاسلام والعرب والعربية ومتكلميها) ·

فحيا الله الاستاذ وسائر اخواننا العرب في العالم الجديد الذين ما زالوا يثبتون عربيتهم وتعلقهم بوطنهم العربي مع التجرد عن الصبغة الطائفية اثباتاً يشكرون عليه ويجب ان يحتذى مثالهم فيه ·

مطبوعات حديثة

مفكرات في العهد الحميدي

مها موّه الراضون عن عهد عبد الحميد وسكتوا عن نقائصه فان تفنن الرجل بالمحافظة على حياته ثابت لا يحتاج الى برهان ، وله في ذلك بعض العذر لانه رأى ملكين قبله قد خلعا ، وكاد السلطان يترك مهام السلطنة ليستمع ليل نهار لجواسيسه وعيونه ، ينفق في ذلك أموالاً لو صرفت في المشاريع النافعة مدة ٣٤ سنة لأتت بموارد تغني السلطنة لا محالة ولصان ذاك الملك العظيم من التمزق بادخال الدساتير النيابية الحرة . وقد أشبه عهد عبد الحميد بدور الفتور ، فان الدولة بعد ان غلت مراجلها مدة ستة قرون انتهت ايامها الاستبدادية بآخر زي من أزياء الاستبداد وهو العهد الحميدي فأدخل فيها آخر طراز من الفساد ونعني به فساد الاخلاق ، وهو من أعظم ما يقضي على الدول والأمم فينسفها نسفاً .

اكتب هذا وانا أتلو كتاباً صدر حديثاً باللغة الافرنسية كتبه رجل عاقل غريب عن العثمانية ، مطلع على عجرها وبجرها ، ولعل هذا السفر أصح مصدر يصح الاستشهاد به على فساد دور عبد الحميد . واسم المؤلف (لويز رامبر [1]) واسم مؤلفه « مفكرات وتأثرات عن تركيا » او الدولة العثمانية على عهد عبد الحميد الثاني من سنة ١٨٩٥ — ١٩٠٥ طبع في جنيف من بلاد سويسرا . وكاتب هذه المفكرات هو سويسري الاصل خالي الغرض في الجملة ، ولو كان من أبناء دولة كبرى لاتهم بان له ضلعاً معها و يحاول النيل من العثمانيين وناشر هذه المفكرات الآن هو ابن كاتبها (١٨٣٩ — ١٩١٩) نشرها بعد ان طوي ذاك البساط بما عليه جملة . نشرها للتاريخ ، وأعظم بنشرها من خدمة .

المؤلف من اهل الطبقة العليا في اهل سويسرا حقوقي اداري مالي أديب مفنن ،

---

(١) هكذا اسم الكتاب بالافرنجية :

Louis Rambert : Notes et Impressions de Turquie L' empire Ottoman sous Abdul - Hamid II 1895 1905

أنشأ في صباه جريدة يومية وناب عن أمته في مجالسها العالي ، وكان محامياً مشهوراً وله يد طولى في فتح نفق سان غوتار المشهور بين ايطاليا وسويسرا ، وطلب اول مرة الى الشرق ندبه لذلك نوبار باشا وزير مصر في عهد الخديوي اسماعيل في جملة من اختار من رجال الغرب لخدمة مصر فوصلها ، وكان اسماعيل قد خُلع فرجع من حيث أتى . وبعد مدة ندبته شركة افرنسية لانشاء سكك حديدية في السلطنة العثمانية ، ثم تولى أعمالاً كبرى وأهمها نظارة إدارة حصر الدخان في الاستانة فأبان في حياته علواً في الفكر وخبرة بحياة الناس وحياة الأعمال ، ومعرفة بمعاناة المسائل الكبرى حتى صار لا يلامس منها الا الامور العملية ، وينظر فيها فيعرف المدخل والمخرج من اول وهلة وقد استبطن أسرار السياسة والمالية فكان إدارياً مدهشاً كما قال فيه واصفوه .

أطلت في تعريف الرجل لان للتعريف به دخلاً كبيراً في تسهيل الاعتقاد بصحة احكامه على تلك السلطنة الكبرى وعلى ذلك الرجل الذي سقطت على يده وبيده . ومما يزيد في الثقة بما رواه المؤلف انه كان قريباً جداً من مصادر الحوادث التي وقعت في دار الملك العثماني وكانت له صداقات مؤكدة مع اكبر وزراء السلطنة وولاتها وعمالها وهو على اتصال مع الطبقة السامية من الاجانب فيها ومنهم السفراء ورجال السياسة والاعمال ، فكلامه اذاً كلام الخبير الصادق لا نقرأ فيه شيئاً من الغرض بلي نتبين فيه التحقيق ومعرفة تامة بالحياة وبحثاً وتدقيقاً قل ان تراه لغربي كتب على الشرق وكيف ذلك وليس لجميع من كتبوا مثل ادواته حتى تصح احكامهم وتجود تآليفهم .

دخل المؤلف الاستانة قبيل العهد الذي نشبت فيه الثورة الأرمنية ، التي هلك فيها الوف من الأرمن في الاناضول والاستانة اي في سنة ١٨٩٥ وظل يكتب مفكراته حتى هلك سنة ١٩١٩ . وقد قال ابنه في هذه الحوادث الارمنية في مقدمة الكتاب ما تعريبه : « ينظر عادة الى مذابح الارمن في الغرب بانها نتيجة التعصب الاسلامي ، على حين ان السبب الاصلي هو سياسي (Opportuniste) اكثر مما هو ديني . والظاهر ان قليلاً من الأديان كانت من التسامح على مثال الدين المحمدي ، وأحسن دليل يورد في هذا الشأن كثرة عديد الارمن واليهود والروم وغيرهم ممن كانوا يعيشون مع الاتراك على صفاء في الجملة الى عهد الحرب العالمية . وكثير منهم شغلوا اسمى المراكز

في حكومة السلطنة وإدارتها » الى ان قال وهو عين الانصاف : وكان الداعي في تدبير المذابح الارمنيـة بيد عبد الحميد وحاشيته سياسياً صرفاً لانهم حاولوا انـ يقيموا لهم ملكاً بين السلطنة العثمانية وبلاد روسيا تكون عاصمته ارضروم ٠

هذه المفكرات قطع تختلف بطولها من بضعة اسطر الى بضع صفحات بحسب الموضوع ويؤرخها مؤلفها باليوم والشهر اللذين كتبت فيهما بعبارة عاليـة تتجلى فيها روح المالي والاداري والفنان والاجتماعي ، بعيدة كل البعد عن البذاء والهراء وفيها احياناً الاحماض اللطيف والتهكم بادب قل ان عهد الا في كتابات الشعوب التي بلغت أقصى درجات الحضارة تزينها حسن الاخلاق وجمال الثقافة ٠ وكثيراً ما دوّن صـاحب المفكرات اشياء ربما لا تفيد كل الناس وهي قليلة جداً ولكن نفسه كانت تهتم لها كتفاصيل بعض الحوادث ومنها ما له علاقة ببيته وعمله الخاص ومنها تفهم كيف يعيش ارباب الاعمال مـن الغربيين في الشرق ٠

تكلم في مفكراته (٣٠ تموز ١٨٩٩) على المشاريع التي قام بها الافرنسيون في بلاد الشام فقال في خاتمتها بعد وصفه مشاريع السكك الحديدية « يرجع اخفاق المشاريع في الشام الى الطريقة التي يدرك بها ارباب الأموال من الفرنسيس الاشغال الشرقية ٠ فان هذه الاعمال كلها قليلة الربع قليلة النجاح في السنين الاولى ٠ فالواجب اذاً ان يراعى في عملها الاقتصاد ما امكن برأس مال قليل وانتظار ارباح العمل حتى يتدرج الى النجـاح ٠ بيد ان الجماعات من الافرنسيين يعملون عكس ذلك فانهم يعينون رأس المال سلفاً على أساس الواردات الموهومة ويتقاسمون الارباح المقدرة بصورة زيادة في أسعار البناء او في قيم السهام التي تصدر الى ساحة التداول ، وقد أسرفوا في إنفاق المال على هذه الأعمال في الشام إسرافاً فاضحاً وتناول القائمون بالعمل مبالغ طائلة لانفسهم في قالب حصص (Apports) الى الشركات ٠ فرأس المال الذي طلب هو أعظم كثيراً مما يقتضيه المشروع ولم يكد البناء يتم حتى زهقت روح الشركة ٠ التجربة ثابتة كما هي ضارة ، لا جرم انه لن يستفيد احد من هذه العظة » ٠

وجاء في مفكرته يوم ١٥ نيسان سنة ١٩٠٠ « ان فقراء الفلاحين الذين يزاد في أعشارهم الى الحد الذي لا يطاق ، لا يجدون من يدافع عنهم ، ويتحملون الظلم الذي

يقع عليهم صابرين ، الا ان إرهاق الفلاح وهو المقضي عليه باداء كل ضريبة وسخرة بدون رحمة قد نشأ منه الآن الداء المعضل وهو خلوّ القرى من سكانها . و يقال على الجملة انه ستزيد الحركة ونفنى معها المادة التي يمكن ان تؤخذ منهـا الضرائب . تصبح تركيا اليوم بعد اليوم مملكة تحت التصفية ، ولا نزال نذكر انها أضاعت ولاياتها في البلقان الواحدة تلو الأخرى بفعل المعاهدات الاوربية والحملات المشؤومة ، فقدفقدت كريت مؤخراً عقيب حرب ظافرة . وفي ذلك طريقة التصفية مباشرة وإضاعة البلاد او التخلي عنها بدون حاجة . ويمكن الوصول الى نفس هذه النتيجة من طريق غيرمباشر وذلك بالتضييق على سكان الولاية في معـايشهم و بجعل البلاد المنتجة قفراً . فان آسيا الصغرى تُصفى بالطريقة الثانية على حين ان املاك تركيا في اوربا تنقطع إربًا أربًا .

أصبح القسم الشرقي من المملكة في آسيا أشبه شيء بالقفار فان مذابح الارمن وهجرتهم الى ولايات الشمال وتخريب الكتائب الحميدية والقبائل الرحالة في الجنوب في واديي دجلة والفرات ، كل هذا قد أحدث في بضع سنين تأثيرات عظيمة . نُدب مدير اعمال ادارتنا (كاب) آخراً للتجوال في هذه الأصقاع ودرس مشروع سكة حديد بغداد فقص علينا انه بحث كثيراً عن القرى التي ذكرت بعثة يونس انها موجودة على طول الطريق . وهذه البعثة قامت بمثل هذا الغرض منذ ست او سبع سنين . وكانت القرى القائمة إذ ذاك تعد بالمئات فخربت وعفيت آثارها كأنها لم تكن بالامس عامرة . اما بقية بلاد آسيا الصغرى فهي موقوفة ابداً على التدرج في زيادة الاعشار بحيث تصبح الزراعة متعذرة وتزيد رداءة الحال الى مايدعو الى انفضاض السكان من القرى . ثم تكلم على المهاجرين من الاقطار الاخرى الى بلاد السلطنـة اذ ذاك وقال ان هذا مرض مزمن خاص بدور التصفية الذي نجتازه الخ .

وقال في كلامه على نفي السلطان لبعض الاعيان : وصعب ان يدرك المرء كيف يصرف السلطان جهده في مراقبة جميع دسائس الشرطة ، خصوصاً اذا نظر ان فكره المريض من قلة الثقة يهتم لا بالاخطار الموهومة التي يرى نفسه محاطاً بها في عاصمته ، بل بجميع الاعمال المشتبه بها التي تحدث في أرجاء سلطنته وهذا مما لا يكاد يصدق . في حلب والٍ اسمه رائف باشا كان ناظراً للاشغال العامة وهو رجل

معروف · ذكر لنا ابنه امس ان اباه أراد ان يزور احدى مدن ولايته فأرسل الفرسان في أثره وعادوا به الى حاضرة الولاية كأنه مجرم ، وذلك لان القائد العسكري في الولاية أبرق الى السلطان ان رائفاً هرب فصدر اليه الامر في الحال ان يقبض عليه ·

وقال في وصف القدس ان الناظر الذي يرى الاشياء بالعين المجردة يرى القدس اليوم (في عهده) أثراً من آثار تفوق الاسلام و يرى المسلمون في حالها دليلاً ظاهراً على تفوق دينهم ، وليس ذلك الا وهم من أوهام النظر فان الاحوال السياسية وان قضت على الحكومة العثمانية بالتسامح الواسع ، فقد اضطرتها الى تنظيم ادارة سيادتها وحكمها على الارض المقدسة عند اليهود والنصارى ، وهؤلاء تُركوا وشأنهم ولم ينظمهم نظام عام فأفرطوا في أهوائهم الشخصية والمذهبية · فان السلطة التي تنفذ بحذق واعتدال وما هناك من انانية ومطامع لا نهاية لها قد أحدثت تناقضاً مذلاً تتأذى به أبصارنا !

وقال في دمشق : لا يأسف الانسان في مكان بقدر ما يعروه من الأسف عندما يرى هذه البقعة الجميلة من الارض سلمت الى بلادة الادارة العثمانية وطمعها ·

وصف (١٣٣) عبد الحميد وعهده فقال : حقيقة من الغرائب ما يُرى من السلطة النافذة بالخوف والإرهاب في هذه البلاد التعسة · فان السلطان محكوم عليه بالارهاب وجميع أعماله منبعثة من الخوف · وقد عهد الى جماعات من الجواسيس ان يحموه من الأخطار الموهومة التي يعتقد انه محاط بها · ولما كان هؤلاء الجواسيس يستفيدون بذلك فليس لهم من همّ الا ان يدوم لهم سلطان الوهم يمدونه ويهيجونه بما عندهم من القوى · وان كبار رجال الدولة والوزراء والحجاب والقواد ليعيشون بالخوف وهم يعتقدون ان خوفهم ليس عن وهم صرف لان للسلطان مطلق التصرف في استعمال مايخطر له من نفي من أراد ونكبته والحكم عليه بالموت او بالحياة · فان دسيسة مدبرة بحذق او خيانة في عمل سري ووشاية جاسوس مقدّم يتأتى منها لكل واحد منهم ان يجني أفظع النتائج · وعندئذ فلا تراهم الا مراقبين بعضهم على بعض و يستقرون أخبار الجار لانهم يحاذرونه و يعدون السلاح ليستطيعوا ان يدفعوا عن انفسهم او يهجموا اذا قضت الحال ، و يحاولون ان يتعرفوا ماتدور عليه أعماله وأسراره الخاصة · وما من عمل سافل ولا من خيانة يتردد احد في إتيانها اذا كان فيها رضا السلطان او إسقاط من نال حظوته ·

وكل هذا أحدث تبلبلاً ووشايات وقصصاً مستحيلة تسير بين الناس وتتصادم وتتعارض وتتساقط وكان منها الصالح للاكاذيب والعداوات والدسائس والدناءات يرفرف عليها كلها سلطان الفزع والإرهاب الخ ٠

وقال (١٦٢) ان النظر الى مجموع هـذه المملكة غريب جداً فان فكر الانتقاض والعصيان ومحاربة الشقاء والثورة على البؤس مما تتولد منه فظائع اجتماعية مثل الفوضوية والعدمية وقتل الملوك والحكام اما هنا فالامر على عكس ذلك فان الناس كلهم يحنون رؤوسهم والملك يعمل ما شاء في تدبير الدسائس على رعاياه ليسلبهم أموالهم و يحيط به خدامه و يسلم البلاد اليهم يسلبون الامة ويمتصون دماءها ٠ واذا نشأ بالمصادفة رجل ذو إرادة في وزارته يكون عرضة لكل مراقبة ولا يلبث ان يغيب مبعداً او سجيناً او منفياً او يصيبه غير ذلك ٠ فالفوضى في كل مكان والأشرار يعيثون في كل صقع فساداً وهم مدججون بالسلاح والناس الساكنون يؤذون أنواع الأذى وليس هناك من حماية ولا شرطة ولا إدارة بل ان السلطان الاكبر للسلطان الذي يدبر هذه العدمية و ينفذها ٠ والوظائف في الولايات لاتعطى بحسب الاستحقاق وقد يحسنون على رجال عظام بوظائف في الولايات إرادة إبعادهم عن الاستانة ولذلك تجد في الولايات مثل دمشق وطربزون وقسطموني رجالاً عظاماً ٠٠٠

وقال يصف تأخر المملكة العثمانية وتفسخها بعد ان عاد من اوربا وقال ان رجعته الى الاستانة وتغيير عظيم وراحة للفكر والجسم فان المرء بتنقله هذا بين الاستانة واوربا لا يتنقل فقط في المسافات بل يتنقل في الاوقات والادوار ٠ فان ثلاثة قرون تفصل بين أتراك اليوم وطريقتهم في فهم الاشياء وصلاتهم الاجتماعية وحياتهم العامة ، وبين ارتقاء اوربا الغربية وفضلاً عن هذا التباين المحسوس فان تركيا تهوي قليلاً قليلاً الى درجة سوأى من الانحلال والاستسلام على حين تسير اوربا بخطى واسعة وتنتفع بالاختراعات الحديثة وتغتني أدبياً ومادياً ٠ وذكر بعد صفحات وقد عرضت عليه الدولة ان تبتاع سهام إدارة حصر الدخان قوله : حقاً ان هؤلاء القوم عجائب بسذاجتهم فانهم كلبوا في نقض البنيان الموجود وإلقاء العثرات في سبيل عمل يسير وهذا لايوازيه الا عدم كفايتهم لايجاد شيء ثابت دائم مهما كان نوعه ٠

وقال في وصف الأروام : اننا نعيش في الاستانة الى جنب الأروام كثيراً وهم ثرثارون مثل اهل مرسيليا مفرطون في كلامهم يتكلمون باصوات عالية و باشارات عظيمة ، وكل ذلك ليعبروا عن امور تافهة او لا أصل لها . فهم مهذارون الى التي ليس بعدها و يفيضون اليك و يسرون في أذنيك بأكاذيب هائلة يعتقدونها كل الاعتقاد . لا جرم انهم أناس عاديون غير متماسكين ، رأينا فيهم ما عرفنـاه عن الروم القدماء ، وكنا نذهب الى ان ما أُثِر عن قدماء يونان من الاعمال والانتصـارات والمجد هو من صلفهم وصلف الجنوب ومبالغاتهم ومبالغات مؤرخيهم وشعرائهم قياساً مع أروام اليوم ، لولا ان في زيارة المصانع القديمة في يونان وذكريات العصر اليوناني العظيم مما يزيل هذا الظن ، فان البراهين على الثقافة العاليـة والاقتدار والالهام العالي محسوس لا نزاع فيه .

وقال (ص ٢١١) : زارني هذا الصباح عظيم من عظماء القصر فنعيت اليه قدري بك (والي طربزون وكان إداريًّا حكيماً) فضرب بيديه سروراً وصرخ صرخة الفرح ، واذ قد رآني صامتاً دهشاً قال لي : وهذا والٍ سينصب له خلف ، والغنم لنا في ذلك لان خلفه يجب عليه ان يؤدي على الأقل من ثلاثة الى اربعة آلاف ليرة الى صندوقنا المشترك . ولقد هممت ان أدفعه الى أسفل السلم لكلامه هذا واكتفيت بان قلت له بلهجة استغربها : ان الفضل يرجع الى قدري بك بحماية بلاده من ان تكون طربزون مكدونية ثانية على الحدود الروسية ، وان التفكر في إتمام السياسة التي سارعليها قدري بك أهمّ من تسرب بضعة آلاف ليرة الى صندوق كصندوقهم .

وذكر بداعي وصف احدى الجرائد السويسرية لحال مقاطعته في الأزمان الغابرة ان تبدل الأخلاق وما يتمتع به الجمهور من المرافق العامة يرجع السبب فيه الى أسباب بعيدة صعبة اكثر من التبدلات الساذجة في اصول الحكم والسياسة في شعب . فان هذه التبدلات نفسها ليست سوى نتائج حدثت من اسباب أخرى هي قائمة بانتشار التربية العقلية التي تخلق وتموت في أطراف العالم منبعثة من أسباب عرضية من مثل ظهور رجل عظيم او نبي كريم . ومن الأمة المنوّرة ينشأ الذكاء في طبقات الخاصة الذين يوجدون العلم و يكشفون عن محيا امور نجهلها او يوحون الينا بشرائع ادبية خصبة

بمنائحها ... والفلاح هنا يعيش تعساً في كوخه جاهلاً ما يجري على ميل من مقره لا يملك نقداً ويحصل على حاجياته بطريق المقايضة . وهنا ايضاً لا شأن للنظام والتنظيم الذي هو من شأن المجالس البلدية ، والطرق غير امينة ولا سبيل الى التنقل الا بخفارة . وهنا ايضاً احتفظ القوم باساليب التعذيب والعقوبات التي كانت تجري على عهد شارلكان ...

وكتب (ص٢٦٨) زرت هذا الصباح الصدر الأعظم في قصره وكان يشكو ألماً في ضرسه فقصّ عليّ الدسائس التي تحيط به وما يتهمه به النامون قال : ان في الولايات ولاة لا شأن لهم الا ان ينهبوا الدولة و يسلبوا الامة اقترحت تنحيتهم او نقلهم وعبثاً حاولت لان جلالته لا يصفق على ذلك لان بعض الافاقين او الخدم او احدى نساء الحرم تحمي الوالي ، فيوهمون السلطان انني أعمل بعوامل جنسية ضد مصلحة الدولة والسلطان يعتقد باقوال هؤلاء الساقطين اكثر من أقوالي .

ومن مفكراته (ص٣٤٢) : ان الألمان منافسون وفيهم الخطر : ذلك لان سفاراتهم وبيوتهم المالية الكبرى تضغط بكل ثقلها على مفاوضات الحكومة العثمانية ومفاوضات السلطان ، وترى الافرنسيين يوماً ناجحين ومن الغد متقهقرين ، وهكذا تمر الاسابيع والشهور . وجميع العقبان والبواشق في القصر السلطاني من كبار رؤساء الجواسيس والحجاب وأمناء السر والباشاوات وبعض الوزراء يراقبون هذه الحركات والقلق آخذ منهم ، وأعناقهم ممتدة ، واقفين بالمرصاد للغنائم منتظرين صدور الارادة السلطانية في تعيين الظافر وظهور المنكوب السعيد يوزع عليهم « البخاشيش » عندما تكتب له الغلبة . وما أغرب شأنهم ذاك اليوم . منظر جدير يمثل هذه المملكة مملكة عبد الحميد ... في ادارتي رجل مستقيم فعال اسمه حاجي اوليا عهدنا اليه باستثمار الدخان في ولايات ساحل البحر الاحمر اليمن والحجاز وقد أصبح واسطة لجميع العلاقات بين الدولة وتلك البلاد في البياعات ونقل الجنود والبضائع والمواد . اتى يوم وقد أصبح له في ذمة وزارة المالية ٢٤ الف ليرة عثمانية وتعذر عليه ان يقبض فلساً واعترفت النظارة بصحة حساباته بعد صعوبات جمة وقضى مجلس النظار بان يؤدى اليه مطلوبه ، ضرورة ان الدولة ستطلب منه خدماً أخرى ، وحاول عبثاً استصدار الارادة السنية بذلك ،

وهو منذ أشهر يأتينا شاكياً متوجساً خيفة من إفلاسه القريب ، وها قد اتى امس الى إدارة حصر الدخان متهللاً كأنه عاد فتياً عشر سنين الى الوراء يتغنى بامادیح السلطان ، ويحمد الله على توفيقه . فسألته ماذا جرى لك ياحاجي اوليا فأجاب لا تعرف ماجرى يا ذا السعادة ان اخي فكر فكراً حسناً فأرسل اليَّ من اليمن اربع بقرات غريبة لكل منها سنام في ظهرها فقدمتها هدية الى السلطان فصدرت ارادته بعد اربع وعشرين ساعة وسألني السلطان ان أجلب له طيوراً من بلاد العرب وهاءنذا أقبض الاربعة والعشرين الف ليرة وقد أنقذت مما كان يتهددني . اما نحن فاننا نقاسي منذ سنين الامرين من سخط السلطان وذلك لاننا لم نعرف المدخل والمخرج ولم نستطع جلب اربع بقرات محدودبة الظهر فالواجب ان نفكر في طريقة أخرى .

ومن مفكراته يوم ٢٢ آذار ١٩٠٥ : تتابع الفضائح الداخلية في القصر السلطاني ويوم السبت الماضي كانت لجنة حربية منعقدة للنظر في حوادث صنعاء وحالة اليمن والحجاز المضطربة فان كثيراً من القبائل العربية قد انقضت وهي محاصرة مدينة صنعاء شرقي جدة ، وشاع في الأيام الأخيرة ان المدينة قد سلمت . ومهما يكن من الامر فان المناقشة في اللجنة العليا كانت محتدمة على ما يظهر عندما دخل الكاتب الثاني عزت باشا المشهور وتقدم يشارك اللجنة في مذاكراتها فقام ناظر الحربية اذ ذاك وسأله بشدة كما يسأل صعلوك يتدخل فيما ليس من شأنه ، وأضاف الى كلامه حركته وتناول كرسياً بيده وكسره على رأس ذاك السوري الصغير فوقع اضطراب واستدعي الطبيب زامبا كو باشا وقد أخرج الصدر الاعظم منديله ليقطع به الدم المهراق . جميع اهل المنتدى يقصون هذه القصة وكل انسان يأسف لان أثاث القصر لم يكن متيناً والا لكان الوزير حطم رأس الباشا بدلاً من ان يكسر الكرسي فقط . وليت شعري اي معروف كان أسدى لبلاده ! وسيان وفق في ضربته ام لم يوفق فان حركة الوزير كانت جميلة في النظر ، ترى فيها البادن العظيم رضا باشا بقامته الكبيرة يحمل كرسياً ليسحق به هذا الافعوان المضر . وليت شعري ما كان أجمل الصورة الشمسية التي تستخرج بنقل هذا المشهد .

هذه نموذجات من كتاب السويسري في العهد الحميدي البائد وانما المرء حديث

بعده . وأظن ان هذه الوقائع تكفي في إقناع من يحاولون غش التاريخ ومامداح ذاك الدور في الحقيقة الا الذين حلبوا العنزة المسكينة واكلوا درّها ثم نتفوا صوفها وعرّقوا عظمها .

محمد كرد علي

تاريخ الادب العربي

تأليف السيد احمد حسن الزيات طبع بمطبعة الاعتماد بمصر . الطبعة الثانية (ص٣١٣) طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر المؤسسة سنة ١٩١٤

مؤلف هذا الكتاب من نوابغ الادباء الذي أحكموا القديم من أدوات الكتابة ، وضموا اليها ما ينفعها من الحديث . وقد علمنا من حياته انه بعد ان حفظ في الأزهر القرآن ودرس التجويد والقراآت وعلوم الشريعة واللسان وقرأ أمهات كتب الأدب على العلامة سيد بن علي المرصفي حذق اللغة الفرنسية ودرس الحقوق بها ، وأحرز شهادة العالمية من جامعة باريز ، وغذى عقله بحرية البحث ومحبة النقد ، ثم انصرف الى تدريس آداب العرب وعني بالتأليف والترجمة . وكتابه هذا من خير ما أخرج للناس من الأسفار ألفه بحسب برنامج معارف مصر للمدارس الثانوية فجاء مما يستفيد منه كل من تطمح نفسه الى الإلمام بهذا الفن الواسع الاطراف ، المتشعب المناحي . بدأه بالكلام على أدب اللغة ومنزلة الأدب العربي وتاريخه وفائدته وتقاسيمه وعلوم العرب واللغة ولهجاتها وأطوارها وخصائصها والنثر والحكم والخطب والشعر وأوليته وتقسيمه عند الفرنج وأبان السبب في خلوّ الشعر العربي من القصص ومميزات الشعر الجاهلي والرواية والمعلقات والحماسة والمدح والهجاء والرثاء والاعتذار والوصف والنسيب وأورد تراجم جميلة مع الايجاز لشعراء الجاهلية والاسلام والخطباء والكتاب ، وألمّ بتدرج اللغة وما أثره الاسلام فيها وتأثيرات القرآن الكريم وإعجازه وأسلوبه وتأثيره وجمعه وتدوينه .

وعرض لعبد الحميد الكاتب واثره في الكتابة والموازنة بين الكتابة في عهده وبينها في الجاهلية واثر الخطابة في الاسلام وأورد تراجم علي بن ابي طالب وسحبان وزياد والحجاج بن يوسف ومثالات من خطبهم ومن النثر في عهدهم وذكر الشعر في

العصر الأموي وسيرة طائفة من النابهين من شعرائه ونماذج من أقوالهم . وانقلب بعد ذلك الى العصر العباسي وما آل اليه الأدب بتأثير الحضارة الفارسية فيه وترجم لأعيان الكتاب والشعراء والادباء والنحويين واللغويين والفلاسفة والمحدثين وألمّ بما صارت اليه كتابة التاريخ وتدوينه وعلوم الحديث والفقه والفلسفة وما صارت اليه اللغة في العصر التركي وذكر بعض أعلام الأدب ووصف ضعف ملكة البيان حتى كان الاحتلال الفرنسي في مصر وما تبع ذلك من عمل محمد علي الكبير فآضت اللغة الى بعض رونقها وترجم من المعاصرين في الأدب اربعة رجال وامرأة من المصريين وذلك بحسب الخطة التي رُسمت للكتاب وهم المرحومون محمود سامي البارودي ومحمد عبده وحفني ناصيف والشيخ حمزة فتح الله وملك ناصف ابنة حفني ناصف المعروفة بباحثة البادية . وذيل الكتاب بمعجم صغير لتفسير ماورد في الكتاب من الألفاظ الغريبة والتراكيب الغامضة .

هذه رؤوس المسائل في هذا الكتاب الذي جوّد مؤلفه تصنيفه وجمع الى الجزالة الرشاقة فأتى بمجموعه مثال الكلم الطيب والقول البليغ والتحري في البحث وا ...ف زهرات أئمة الأدب وإدماجها في أسلوب يحبب تلاوته ومراجعته ، ولقد يكتفي طالب هذا الفن بهذا المثال الجيد من أدب العرب ، ويتبلغ بهذه الزبدة الطيبة تملأ وطابه وتغنيه في سن الدراسة عن الرجوع الى المطولات . وعسى ان تصح عزيمة المؤلف النابغة على وضع كتاب مطول في هذا الفن الذي قال فيه انه علم حديث النشأة ابتدعه الايطاليون في القرن الثامن عشر وظل مجهولاً في الشرق حتى اشتد خلاطه بالغرب فكان اول ما نقله الاستاذ المغفور له حسن توفيق العدل اقتبسه من المانيا ودرسه في دار العلوم(١) بمصر .

(١) ألف صديقي العلامة المرحوم حسن توفيق العدل كتاباً في آداب اللغة العربية ونفضل ودفع اليّ في سنة ١٩٠١ بمصر مسودات الجزء الاول فقرأته واعدته اليه ولا أعلم اذا كان مثّل بالطبع ، ومما قرأته من الفوائد فيه ان اوزان الاعار بض من مخترعات العرب الصرفة وانهم لم يأخذوا وزناً من غيرهم بل اخذ عنهم كثير من أمم اوربا انواعاً من القافية .

ومما قاله في الرواية والمعلقات (ص ٢١) « قال ابو عمرو بن العلاء : (ماانتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله · ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير) ولكن هذه الكثرة متهمة وروايتها مُريبة ، فان الشعر لم يدوّن الا في منتصف القرن الثاني للهجرة، وان في نقله على الألسنة طول هذه الأزمنة مَظِنّة للتبديل والاختلاق والتزيد » اه · وقد ثبت ان التدوين سبق هذا العهد فان زيد بن ثابت الف كتاباً في علم الفرائض وكان عبد الله بن عمر يكتب الحديث وذكر مسلم في صحيحه كتاباً أُلف في عهد ابن عباس في قضاء علي · فليس من المعقول ان يتأخر العرب في تدوين شعرهم وهو ديوان مفاخرهم وصحيفة ادبهم وتاريخهم الى منتصف القرن الثاني ·

وقال (٨٢) : وقامت خلافة الأُمويين على غير مُحمّد من الحق فساسوا الناس بالتفريق وإحياء العصبية واوقدوا نار التنافس بين الشعراء ··· وَلَهَا الناس عن الخصومة في خلافتهم بالخصومة في امر جرير والفرزدق والأخطل ، وحلّ المربد في الاسلام محل عكاظ في الجاهلية ، فعلوا ذلك بالشام والعراق فظهر الهجاء السياسي وهو فن من الشعر جديد واعتقلوا شباب الهاشميين وسراتهم في مدن الحجاز ، وسلطوا عليهم الترف ، وشغلوهم بالمال ، وخلّوا بينهم وبين الفراغ ، فتدفقوا في اللهو ، وعكفوا على الغناء ··· اه · وليس هذا الكلام صحيحاً على إطلاقه لان الأُمويين كخصومهم طلبوا دولة فبلغوها بمضائهم وعصبيتهم وحسن سياستهم ، واذا كان الهاشميون من طينة غير طينة العرب او البشر في الفضل والتقى فلماذا مالوا كل الميل الى ما حمله الامويون اليهم من اسباب الترف والسرف · ولو وقف الامر عند الحد الذي أراده الحجازيون والعراقيون اذ ذاك لما انتشر الاسلام هذا الانتشار المدهش ولا بلغت فتوحاته المغربين والمشرقين ·

وقسم المؤلف العصر العباسي الى اربعة اعصر تبعاً لاحواله السياسية والاجتماعية ، فالعصر الاول من ابتدائه الى خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ ، والثاني من خلافة المتوكل الى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ ، والثالث من تغلب البويهيين الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ، والرابع من دخول السلاجقة بغداد الى سقوطها

في ايدي التتر سنة ٦٥٦ وهذا التقسيم سار عليه ايضاً بعض المؤلفين المحدثين الذين دوّنوا شيئاً في تاريخ الادب عند العرب ٠

واعتذر الاستاذ عن إغفال ذكر الشاميين وأثرهم في النهضة العربية بقوله : وما كان أروح للنفس لو اتسع صدر هذا الكتاب لتراجم مواطني وجيرتي ! ولكن البحث محدود والقلم موجز ٠ ومهما يكن من شيء فلن يفوتنا ذكر اسمائهم مُعْقَبةً باسماء معاصريهم في العراق والمغرب ، اعترافاً لهذه النفوس الكبيرة المطمئنة بالاحسان والفضل » ٠

وقد وقعت بعض هنات قليلة جداً للمؤلف اكثرها من غلط الطبع مثل « اعتنق الاسلام » وهذا من التعابير الافرنجية والأولى انتحل او دان او غير ذلك ٠ ومنها (ص ٢٣٢) ان الاستاذ جويدي الايطالي وضع فهرساً ابجدياً مطولاً للاغاني وطبعه بمصر سنة ١٣٢٢ والصحيح ان الاستاذ الايطالي وضع جداول الاغاني بمؤازرة ثمانية من علماء المشرقيات وطبعه في ليدن سنة ١٩٠٠ وما طبع في مصر منتحل من الطبعة الفرنسية ومنقول عنها ٠ وروى (ص ٢٤٥) ان كتاب البدء والتاريخ هو لابي زيد البلخي ولكن تبين آخراً انه لمطهر بن طاهر المقدسي ، وان ابن ابي أصيبعة صاحب طبقات الادباء والصحيح ان صاحب هذه الطبقات ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان وكتاب ابن ابي أصيبعة اسمه عيون الأنباء في طبقات الاطباء ٠ وقال ان ابا الفداء وصل في كتابه المختصر في اخبار البشر الى سنة ٩٢٩ وصوابه ٧٢٩ وابو الفداء مات سنة ٧٣٢ كما جاء في الكتاب نفسه ٠ وجميع صفحات الكتاب درر وغرر ٠ **محمد كرد علي**

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف «جوت» الالماني نقله عن الفرنسية السيد احمد حسن الزيات
الطبعة الثالثة طبعت بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر في مطبعة
الاعتماد سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٤ ص ٢٠٨

اشتهرت هذه القصة في الأدب الغربي و بالغ الغربيون في الإعجاب بها ، وقد نقلها نابغة الأدب الاستاذ الزيات ايضاً بما رزق من القوة على تذليل صعاب اللغتين و برشاقة

وذلاقة دل بها على علو كعبه في ممارسة القلم العربي الذي يتوفر على إرجاعه في أسلوبه الى عهد ابن المقفع والجاحظ وسهل بن هرون . خاصية امتاز بها بعض من درسوا الأدب العربي حق دراسته ، وتشبعت نفوسهم بالأدب الفرنجي أمثال شكيب وطه والعقاد والمازني وغيرهم من أعيان البيان في هذا الزمان . وقد برّز في هذه الطريقة خصوصاً نوابغ الازهريين الذين عالجوا الادب ومقوماته ، ونوابغ دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي ، وكم فيهم من لم يشتهر اليوم يكتب من السهل الممتنع الذي لم ينهض بمثله كتاب القرن الخامس والسادس . وقد قدم لهذا الكتاب صديق المؤلف وتربه وقسيمه الدكتور طه حسين مقدمة قال فيها ان «جوت» وصف في هذا الكتاب الحياة النفسية لكل شاب وشابة على اختلاف الازمنة والامكنة وعلى تباين الحالات ، وانه من الكتب التي أنشئت لتبقى ابد الدهر ، تخلد لانها لا تصف الأشخاص التي تفنى وتزول وانما تصف النوع الذي يبقى ويدوم ، وخصلة أخرى قضت لهذا الكتاب بالبقاء والخلود هي انه لم يقف عند حد تمثيل الحياة النفسية للشباب في طور من أطوارها وانما وضع للانسانية مثالاً من الفضيلة تحس كل نفس الميل اليها وترد لو بلغته او دنت منه ... ان آلام فرتر ليست قصة منتحلة او بناء متكافئاً استعيرت اجزاؤه المتكلفة من الخارج ، انما هي قصة ما أصاب «جوت» نفسه إبان شبابه . ومن هنا برئ الكتاب مما يشوه غيره من آفة الكذب والاختراع .

وقد وضع المترجم بعض الألفاظ للدلالة على بعض الكلمات الفرنجية مثل بيان (Piano) او المضراب . عصّر (Goûter) الوجبة الخفيفة التي تؤكل وقت العصر لكلمة عدف ونعدّف ، لمج وتلمّج ، تلق عند العصر وجمع اسمها على عصور . قديح (Gratin) الأشنان (Mousse) وربما كان الأولى يطلق عليها اسم طُحلب ولعلها الأُشنة (شيبة او كشة العجوز) . وفنزج (bal) اي المرقص . واستعمل كلمة «ظروف» بدل الاحوال و« قتل الوقت » بدل صرفه وقطعه والقتل هنا العجمي . وجمع الوادي على وديان والمعروف الاودية والاوداء والاوادية . وقال (اشجار الدوح) . والدوح الشجر العظيم فلا حاصل لمعنى (اشجار الاشجار) . ومن الفصح والتراكيب الجميلة التي يريد احياءها : مُتَع الحياة . متوع النهار . تحدي الناظر وتعاجز المراقب .

نزية (حدة) من الشوق • يزوجون بنيهم من بناتهم بدالا • يوم قائظ تتوقدهواجره • وتحرق سمائمه • الكلمات المندية — المخجلة • خشاة ان — خشية ان • رجاة ان — رجاء • رَجْيَة وامل — رجاء • الصاغر المشدوه • اصحر القلب (اصحر بما في قلبه اظهره) وضاح الجبين • تركته يعب عبابه • ثقل خلاطهم (مخالطتهم) على طبعه • تعلم منذ بعيد • اجزت الفناء — جزته • عُدَواء الدار — بعدها • امرأة نصفا تغترق الابصار ملاحة • عقِرت — فجأني الروع فلم اقدر ان اتقدم او اتأخر • معيشة ضنك ومستراد حرج • العيش الرفيع — لعله الرفيغ بالغين المعجمة من رفغ العيش اتسع • مخشوشب الجسم • يحذونهم على مثالهم • عصاه العقداء • رئدها — قرينها في السن • يتجلون المرعى يحشونها • الود المصفَّق • مؤانستها والتظرف اليها • أُبقي على نفسي واهاونها • ربكها حمله • ارفه على نفسي • لهاث الموت شدته وكربه • نَعِم ونَعام عين • لا يقع الا ندورا • زهاه النصر ولج به الفخر • كان مُحمَّقاً مأفوناً • رجل مأفون مماحك • راقصة مرجحنة • القى الخبر على رُسَيلاته — من دون تثبت • نفع هذه الكلمات وجداؤها • الداء الثُّبات المعجز عن الحركة • عرفت لهذا الخطب صبرت وتجلدت • اري له صَورةً اليّ اي ميلاً بالود • صب جلده وارتهكت مفاصله • استنشيت ذكرى ما نعمت به • كظمني الحزن ولاع قلبي الهم • اعمد في جوف غابة واخبط في الادغال الشواجن • لن تراني عَوْض • كظمت على جرّتي • ادهام الممشى بالخضرة النضرة • زهفت الى الموت • الهندام المثيّأ —المخلف القبيح • يسمّعون عنه اي يذيعون منه عيبًا وفضيحة • يمرجون السنتهم في عرضه — يطلقونها في الذم والاغتياب • أُفد الوقت (دنا) • يفري الفَرْي يأتي بالعجاب في عمله • امرأة عجفاء معروقة العظم مسقامة • تنثاثان الحديث • استمر الكأس واجتواها اي وجدها مرة وعافها وكرهها • افهي عن الطعام كرهه • خبّ المرأة على زوجها — حملها الى النفور منه • نرويها على سوقها وتثبتها بنصها • شقق الماء الارض غمرها • اقرنت السماء بالمطر — دامت ولم تقلع • اضب له على حقد اضمره ونواه • يوزعها الصبر ويشعب قلبها بالسلوة • الى عشرات غيرها من الفصيح في التركيب الحري بالاقتباس والاحتذاء •

م • ك

رفائيل

لشاعر الحب والجمال (لامرتين) نقله عن الفرنسية السيد احمد حسن الزيات الطبعة الاولى بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع بمطبعة الاعتماد بمصر (ص ٢٦٢)

وهذا ايضاً من نقل الاستاذ الزيات وآخر ماخطته يده الصَناع ، وذوقه المعجب ، وأدبه الممتع ، قدم له الاستاذ الدكتور منصور فهمي من حكماء مصر في هذا العصر مقدمة شائقة قال فيها : « فكأن الاستاذ الزيات باختياره ترجمة هذه القصة التي استمدها كاتبها من جمال الطبيعة ، وجلال الايمان ، وشرف العاطفة ، قد حرص على ان يقرئنا صحيفتين فيهما دقائق الكونين من عالم الغيب والشهادة ، او من عالم المعنى وعالم الحس ، وبهذا الحرص قدخدم اللغة العربية أجل خدمة . واي خدمة أعظم من ان يعين الانسان لغته على بلوغ دقة الوصف ورشاقته وتحليل الشعور ودقته . » « فاذا نقل الينا الناقلون كتاباً حديثاً يتضمن أوصافاً لارض غير التي ذكرها العرب ، ويحتوي مشاعر غير التي أحسها العرب ، فانهم بعملهم هذا يمدون في لغتنا سبباً ويضيفون الى زهراتها زهوراً ، والى نغماتها ألحاناً ، والى حياتها حياة . » « وخير برهان على ذلك ان قصة رفائيل التي نحن بصددها يقرأها الانسان عربية صحيحة على أسلوب العرب ، وبيان العرب ، وفيها رخامة ألحانهم ، ورنات أوتارهم ، وهي تحمل الينا كل ما قاله وصوره كاتب من اكبر كتاب الفرنجة بلغة الفرنجة وأسلوبهم ولحنهم . أوَيقول المتطرفون بعد ذلك ان اللغة جامدة ! او يقول الجامدون بعد ذلك ان نفوسنا لاتتأثر بما ننقله الينا اللغة من مشاعر الغير وأساليبه في تصوير الوجود ؟ . » ثم قال ان للترجمة كما قال الصفدي طريقتين ترجمة حرف بحرف وهي ترجمة رديئة وترجمة المعنى وهو ان يأتي بالجملة فيحصل معناها في ذهنه ، ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها ، سواء ساوت الألفاظ ام خالفتها . قال الدكتور فهمي ان مترجمنا هذا جمع في منهاجه في الترجمة فضائل الأساليب جميعاً فلم يفرط في نظام الكلمات اذا سلم المعنى ولم يفرط في معنى اذا لزم الامر لتفريط في مبنى قال : « وبين تزويجه للطريقين قدافاده تمكنه

من اللغتين المنقول اليها والمنقول عنها ، فتخير الألفاظ وصقل الأسلوب، وادى الامانة بما تقتضيه الدقة والايجاز . والخلاصة ان الاستاذ الزيات كان فناناً في نقله ، أميناً في فنه ، موفقاً في عمله » .

وهذا الكتاب كصنوه « آلام فرتر » ينطوي على أجمل التراكيب وأفصح الألفاظ أحيا بها كثيراً منها حريٌّ بالكتاب ان يتعاوروا استعمالها كما أحيوا مئات من مثلها . وقد وقعت للمترجم ألفاظ من الفاظ الصوفية جاء بها للتعبير عن المعاني الروحية التي أرادها المؤلف الأصلي وهذا من جميل العناية البالغة في اجادة التصوير . وقد وقعت له بعض الفاظ لم تؤثر لاحد من البلغاء منها . يتراوح بين فرسخ وثلاثة والاولى يختلف لان التراوح ان يفعل هذا مرة وهذا أخرى . بلغ اربعة وعشرين ربيعاً اي سنة ولم يعهد استعمال الربيع بمعنى السنة وهو استعمال افرنجي . والتحوير بدل التبديل والتغيير والتحوير التبييض . في بحر يوم وليلة . والاولى في سحابة يوم . سمع البندول (الرقاص) يدق الثواني . الكنبة لذاك الكرسي المستطيل . البرنز — الشبه اولى منهــا . تضحي بنفسها في سبيل . يرضخا (يعطيا قليلا) الي شيئاً من مالها والحريري يقول بدريهمات رضخ بهــا له . يقتلوا ساعات من الفراغ فقتلوا غير عامدين ساعات من الهناء ومثلهــا اقتل الوقت .

وان في اقبال القراء على ماتجود به قريحة الاستاذ الزيات في هذه الترجمات البارعة لبرهان قاطع على ان في جمهور المتعلمين من تروقهم روعة هذا اللون من الإنشاء الرصين ، ولا يرتضون بعد الآن غيره من النمط النازل عن درجات الفصحاء والبلغاء .

م . ك

هدية

اهدى الى المجمع العلمي الاستاذ العلامة السيد رشيد رضــا صاحب المنار بعض مطبوعات مكتبته وهي : (١) أسرار البلاغة و(٢) دلائل الإعجاز والجزء الثامن من تفسير القرآن الذي ينشره في مجلته ورسالة التوحيد للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فالمجمع يشكر له هديته .

كتب ورسائل مختلفة

(١) صور المفاوضات الخطية المتبادلة بين وفد خدام الحرمين الشريفين الهندية وبين عظمة سلطان نجد في غضون يناير — فبراير سنة ١٩٢٦ .

(٢) المنهاج في المعراج للشيخ عبد المجيد المغربي من علماء طرابلس طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام سنة ١٣٤٤ ص ٤٠ .

(٣) النظم المفيد الاحمد في مفردات الامام احمد نظم قاضي القضاة محمد بن علي العمري المقدسي الدمشقي المتوفى سنة ٨٢٠ عنيت بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها في القاهرة سنة ١٣٤٤ ص ٨٠ .

استدراك

ذكرتُ في تعليقي على رحلة ناصر خسرو القبادياني عند ذكر قرية حاضرة انها ربما تكون محرّفة عن كفرمندة وقد تراءى لي أخيراً انها محرّفة عن حطّين اوخيارة اللتين ذكرهما ياقوت في معجم البلدان في مادة حطين اذ قال : [1] حطين موضع بين طبرية وعكا بينه وبين طبرية نحو فرسخين بالقرب منه قرية يقال لها خيارة بها قبر شعيب عليه السلام ونقل عن الحافظين ابي القاسم الدمشقي وابي سعيد المروزي ان حطين قرية وهو الصواب لان هذه القرية لا تزال آهلة بالسكان وعددهم اليوم ٨٨٩ نسمة .

اما اربل او اربد التي ذكرها فيجب ان تكون محرّفة عن (بيت اربئيل) العبرية ومعناها دار الله او مكمن الله وهي اليوم خربة على نحوثلاثة أميال شمالي طبرية وجنوبي قلعة ابن معن تسمى اربد وقد ذكرها ياقوت ايضاً بهذا الاسم [2] .

عبد الله مخلص

---

(١) معجم البلدان طبع ليبسك ج ٢ ص ٢٩١ .

(٢) « « « ج ١ ص ١٨٤ .

الجزء ٥ المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : ايار سنة ١٩٢٧ م الموافق ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هـ

البلاغة سبيل الوزارة(١)

« وعمرو بن مسعدة وعصره الزاهي »

عصر عمرو بن مسعدة :

من أجمل العصور بل أجمل عصور الامة العربية هذا العصر عصر المأمون العباسي الذي دام عشرين سنة ونحو نصف سنة ، كان السلطان الاكبر فيه للعقل في السياسة والادارة ، وقلّ المتوثبون على الخلافة ، والعابثون باهواء الناس ، وانصرفت الامة الى شؤونها في ظل السلام فزادت سعادتها وشملتها الرفاهية والهناء . نظر المأمون في ماضي الملة وحاضرها ، فرأى ان من اعظم ما يكدّر شرعة سياستها ، طموحُ آل البيت الى الخلافة ، وقعودهم لها بكل مرصد، واستهانتهم في سبيلها بالخطوب والكوارث. رآهم منذ مقتل الحسين بل منذ أوائل العهد الأموي يهتبلون الغرة للاستيلاء على زمام الامر ، فيضطرب كل بلد نجم فيه ناجم منهم ، وتلتاث الاحوال ويخشى سوء المآل ، فلم ير رحمه الله الا ان يعمد الى الرفق والرحمة للكبح من جماح العلويين وتأليف شاردهم .

وكان آل امير المؤمنين علي بن ابي طالب منذ عهد المنصور ومن بعده يتوجسون خيفة من قوة العباسيين ، فيستخفون و يبتعدون عن الناس ، تخفيت بعزلتهم عن العوام حقيقة امورهم وظنوا فيهم ما يظنونه بالانبياء ، وأنشأوا يتفوهون في صفتهم بما يخرجهم عن الشريعة من التغالي . فنظر المأمون في هذا الامر نظراً بليغاً وقال : لو ظهروا للناس ورأوا فسق الفاسق منهم ، وظلم الظالم ، لسقطوا من اعينهم ولانقلب شكرهم لهم

---

(١) محاضرة للسيد محمد كرد علي القاها في ردهة المجمع العلمي في ١١ آذار سنة ١٩٢٧ .

ذما . ثم قال : اذا امرناهم بالظهور خافوا واستتروا وظنوا بنا سوءاً ، وانما الرأي ان نقدم احدهم ويظهر لهم إمام ، فاذا رأوا هذا ، أنسوا وظهروا ، وأظهروا ماعندهم من حركات الآدميين فيتحقق للعوام حالهم وما هم عليه مما خفي بالاختفاء . واستشار المأمون خاصته فأشاروا عليه بعلي بن موسى الرضا ، فعقد له ولاية العهد من بعده ، « لما رأى من فضله البارع ، وعلمه الناصع ، وورعه الظاهر ، وزهده الخالص ، وتخليه عن الدنيا » ولقبه الرضا من آل محمد وزوج ابنه محمداً من ابنته ، وساوى بين آل علي وآل هاشم ، غاضاً الطرف عن شكاية بني العباس . وكانوا قد بلغ عددهم لعهده ثلاثة وثلاثين الف انسان . وبذلك استقرت الحال وكفيت المملكة شر الغوائل الداخلية زمناً . تجلى عقل المأمون في هذه الطريقة الجديدة كل التجلي ، بيد ان عمله لم يرض عنه الشيعة ولا السنة : الشيعة لا يرضيهم الا القبض مباشرة على قياد الامر وإزالة كل مُلك الا لشيعتهم والقضاء على كل خليفة وخلافة ، والسُنة لانه عهد بولاية العهد الى أمثل رجل علوي في عصره ، فحاذروا ان تخرج الخلافة عنهم ، وتهامسوا بشيعية المأمون وهو فوق ماتصوروا وقدّروا ، واتخذ خصومه من هذا العمل حجة لإفضاء الخلافة اليهم فأبدوا نواجذ الشرّ ولكنهم لم يفلحوا .

اما صلات المأمون مع الدول المجاورة فكانت حسنة في الجملة خصوصاً مع صاحب الروم ، ومملكة هذا ظلت في ذاك العصر على شيء من التماسك والقوة أمام سلطان العرب . بيد ان كلمة المأمون كانت هي العليا في فض كل خلاف يعبث بحقوق الجوار ، ويشوه وجه السلام الجميل . كتب توفيل بن ميخائيل صاحب الروم مع وزيره يطلب من المأمون الصلح وعرض الفدية ومما قال في كتابه : وقد كنتُ كتبتُ اليك داعياً الى المسالمة ، راغباً في فضيلة المهادنة . لتضع أوزار الحرب عنا ، ونكون كل واحد لكل واحد ولياً وحزبا ، مع اتصال المرافق ، والفسح في المتاجر ، وفك المستأسر ، وأمن الطرق والبيضة » . فكتب اليه المأمون يهدده برجاله « الذين يتقربون الى الله بدماء الروم وهم اظمأ الى ورود المنايا منهم الى السلامة » . جاء في آخره « غير اني رأيت ان اتقدم اليك بالموعظة التي يثبت الله بها عليك الحجة من الدعاء لك ولمن معك الى الوحدانية والشريعة الحنيفة ، فان ابيت ففدية توجب ذمة » .

ومن دعوة المأمون ملك الروم الى الاسلام تفهم عزة الامة الى عصره . ثم حدثت احداث في بعض بلاد الشرق وديار مضر وربيعة واليمن ، فأطفئت نائرتها لم تتعد الارض التي انبعثت شرارتها منها . ولم تهتزلها عامة طبقات المجتمع في تلك الامبراطورية العظيمة . قال الهمداني : وقد كانت للخلفاء فتوح ولكنه لم يتسق لاحد ما اتسق للمأمون وعبد الملك بن مروان والمعتصم بالله الا ان فتوح المأمون وعبد الملك كانت لمن قصد الى ملكها فبلغا في ذلك ما لم يبلغه احد في الاسلام من الملوك . والسبب في نجاح سياسة المأمون ابداً انه كان يحسن اختيار رجاله ، واختيار المرء قطعة من عقله ، ولا يعرف الرجال الا رجل ، ومن يختار لحماية البيضة وقيام الدولة امثال طاهر بن الحسين وعبدالله بن طاهر والفضل بن سهل وسهل بن هرون وعمرو بن مسعدة — موضوع محاضرتنا الآن — الى غيرهم من القواد والوزراء والكتاب والعمال لا ينال عمله غير النجاح ، ولا يعتري سلطانه ضعف ووهن .

الحالة العلمية في عهد عمرو بن مسعدة

اتم المأمون ما بدأ به جده وابوه المنصور والرشيد من ترجمة كتب الاوائل ، واستجاد مهرة التراجمة لنقل الكتب التي اخذها من الروم ، وانفذ الى بلادهم لاخذها الحجاج بن مطر ويوحنا بن البطريق وسلمة الحراني صاحب بيت الحكمة ، وجلب المترجمين من اطراف مملكته . وقد ندب المأمون ابن البطريق هذا الى الروم ليأتيه بكتاب السياسة لارسطو الذي الفه للاسكندر فلم يدع كما قال عن نفسه هيكلاً من الهياكل التي اودعتها الحكماء اسرارها الا اتاه ، ولا عظيماً من عظماء الرهبان الذين انقطعوا لمعرفتها الا قصده وانتحاه ، حتى وصل هيكل عبدة الشمس الذي كان بناه هرميس الاكبر لنفسه فظفر فيه بناسك مترهب ، ذي علم بارع ، وفهم ثاقب فتلطف به واستنزله ، واعمل الحيلة حتى اباح له المصاحف المودعة فيه فوجد في جملتها الكتاب المطلوب الذي كان امره امير المؤمنين بطلبه مكتوباً بالذهب المحلول في رق مصبوغ بالارفير منقوطاً بالفضة البيضاء المحلولة ، فرجع الى الحضرة المنصورة ظافراً بالمراد وسعى بعون الله و بسعد امير المؤمنين وجده في ترجمته ونقله من اللسان اليوناني الى اللسان العربي .

وكان المأمون يخلو بالحكماء و يأنس بمناظرتهم وتلذه مذاكراتهم ولطالما اراد المترجمين واهل المملكة على ان ينبذوا التعصب ظهرياً وهم مؤلفون من مجوس و يهود ونساطرة و يعاقبة ومسلمين على اختلاف المذاهب . وادعى انه رأى فيما يرى النائم انه رأى رجلاً على كرسي جالساً في المجلس ، فتعاظمه وتهيبه وسأل عنه فقيل هو ارسطاطاليس فقال : اسأله عن شيء فسأله فقال : ما الحسن ؟ فقال : ما استحسنته العقول . فقال : ثم ماذا ؟ فقال : ما استحسنته الشريعة . قال : ثم ما ذا ؟ قال : ما استحسنه الجمهور . ثم قال : ماذا ؟ قال : ثم لا ثم . فكان هذا المنام من أوكد الاسباب في استخراج الكتب على ما زعموا .

ولم يكن المأمون في حاجة الى هذه التوطئة بعد ان بدأ ابوه الرشيد بترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدها بانقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها . ولما ولي المأمون الخلافة أتم ما كان شرع فيه ابوه فأخذ يغدق نعمه وصلاته على المترجمين والفلاسفة ، حتى كان يعطي حنين بن اسحق زنة ما ينقله من الكتب الى العربي مثلاً بمثل من الذهب وكان حنين رئيس التراجمة عنده ، ومن رؤساء التراجمة يوحنا بن ماسويه وعمر بن الفرخان . وربى المأمون بني شاكر محمداً واحمد والحسن حتى صاروا علماء ، وكان ابوهم لصاً فلما اشتد ساعدهم حققوا طول محيط الارض ، وكانوا يرزقون النقلة نحو خمسمائة دينار في الشهر ، وكان دخل محمد وحده اربعمائة الف دينار . وهؤلاء الاخوة الثلاثة الذين أولدهم لص ليكونوا علماء أشبه بالاخوة الثلاثة ابناء بويه الذين أنجبهم صياد ليفتحوا البلاد و يسوسوا العباد . ومن النقلة حبيش بن الحسن وثابت بن قرة والحجاج ابن مطر وحبيب بن بهريز وعلي بن يحيى المنجم وابو نوح النصراني . وكان جرجس ابن بختيشوع عند المأمون مثل ابيه اذا خاطبه كناه بابي عيسى جبرائيل واكرمه زيادة على ما كان ابوه يكرمه . ومنهم بختيشوع بن جرجس وجبرائيل بن بختيشوع .

ومن منجميه حبش الحاسب واحمد الفرغاني وسند بن علي والعباس بن سعيد الجوهري وعبد الله بن سهل بن نوبخت ويحيى بن ابي منصور وكان هذا في بيت الحكمة ، ومن علمائه محمد بن موسى الخوارزمي صاحب الازياج وصورة الارض ، كان منقطعاً الى خزانة كتب الحكمة للمأمون ، وكذلك علان الشعوبي كان ينسخ للمأمون

كما كان سهل بن هرون رئيس بيت الحكمة ، والغالب انه كان في بغداد عدة بيوت تدعى دور الحكمة او بيوت الحكمة[1] الى غير هؤلاء من المترجمين والمؤلفين في العلوم المادية . والمأمون هو الذي جمع بعض حكماء عصره على صنعة الصورة التي نسبت اليه ودُعيت الصورة المأمونية صوروا فيها العالم بافلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الامم والمدن الى غير ذلك ، وهي احسن مما تقدمها من جغرافية بَطليوس وجغرافية مارينوس . وقد وضع له علماء رسم الارض — قال الزهري : انهم كانوا سبعين رجلاً من فلاسفة العراق — كتاباً في الجغرافيا أعان عمال الدولة على التعرف الى البلاد والامم التي أظلتها الراية العباسية . هذا الى عنايته بالفلك ، وفلكيّه الفزاري اول من استعمل الاسطرلاب من العرب . وعُني بالطبيعة والرياضيات فوق عنايته بالطب ، ومعرفة العقاقير والنبات والحيوان الى ماشاكل تلك العلوم مما كان له الأثر المحسوس في إدخال المدنية على دولة العرب ، وفتح به المأمون باب العقل على مصراعيه في كل مطلب وشأن .

قال صاعد : ان المأمون أقبل على طلب العلم في مواضعه واستخراجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة فداخل ملك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا اليه منها بماحضرهم من كتب أفلاطون وارسطاطاليس وأبقراط وجالينوس وأقليدس وبَطليوس وغيرهم من الفلاسفة فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم إحكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما امكن ثم حض الناس على قراءتها ورغبهم في تعلمها فنفقت سوق العلم في زمانه وقامت دولة الحكمة في عصره وتنافس اولو النباهة في العلوم لما كانوا يرون من إحظائه لمنتحليها واختصاصه لمتقلديها فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم فينالون بذلك عنده المنازل الرفيعة والمراتب السنية ، وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحققين والمحدثين والمتكلمين واهل اللغة والاخبار والمعرفة بالشعر والنسب فأتقن جماعة من ذوي القبول والتعلم في

(١) كان جد احمد الضبي المعروف بالصنوبري الحلبي صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون .

ايامه كثيراً من أجزاء الفلسفة وسنوا لمن بعدهم منهــاج الطلب ومهدوا اصول الادب حتى كادت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومية ايام اكتمالها وزمان اجتماع شملها اه ٠

وازدانــ عصر المأمون بكثير من حملة الشريعة والادب ومنهم يحيى بن اكثم وابو محمد اليزيدي والحسن بن زياد وابو داود الطيالسي وابو عبيد القاسم بن سلام وابن الأعرابي والنضر بن شميل وابو عمرو الشيباني ومحمد بن عمر الواقدي وابوعبيدة والفراء والاخفش والاصمعي والصغاني والضبي والشافعي وابن‌سعد وابن داود وابن ابي دؤاد وابن حرب وابن حنبل والجاحظ والقواريري وقتيبــة وسعدويه الواسطي وابن الجعد وابن علية الاكبر وابونصر التمار وابومعمر القطيعي وابوالعوام البزاز وابن شجاع وبشر المريسي وبشر بن الوليد وسجادة ومحمد بن نوح وابو هرون بن البكاء والهذيل محمد بن الهذيل وابو زكريا المري ومحمــد بن مبشر ، الى مئات غيرهم كانوا فخر الدولة وعنوان نبوغ الامة ٠ اما الشعراء والكتاب فكانوا طبقة عالية كثيرةالعدد والحصى، جيدة المنحى والأسلوب تغلب الرقة والجزالة على اهل هاتين الصناعتين ، تأثروا كلهم بالحضارة الجديدة حتى غدا الشعر المدني البديع ظاهر الاختلاف عن الشعر الجاهلي ، بعيداً عن وصف الاطلال والدمن والركاب وطلب الثأر والمفاخرات الفارغة ٠ هذاوكان الجمهور يشارك الادباء في فهم الشعر ، وقدر الخطب والرسائل قدرها ، فلم يكنــ الشعراء في وادٍ والامة في آخر ، بل كان الشاعر او الكاتب اذا قرض شعراً او حبر خطاباً تتناقله الايدي في الحال ، وتتعاوره الرواة فيفشو في الامصار ٠ وهذا ما كان يزيد في طُلاوة أدب الاديب ، وشعر الشــاعر ، وخطبــة الخطيب ويحثه على تجويد مقاله ٠

أعمال الكبير كبيرة ، والمأمونــ العظيم باعماله وأقواله لم يخرج عن هذا الحد ، فكانــ خليفة المسلمين بكل ما في لفظ الخلافة من معنى شريف يجمع مصالح الدين والدنيا ٠ كان رحمه الله يفكر منذ عهد بعيد في خلق القرآن حتى اعتقد ان كل من لم يقل بقوله ضالّ ، فوضع هذا المبحث موضع المناقشة بين العلماء فقال السواد الأعظم بقوله ، وأبى بعضهم تورعاً ان يوافقوه على ان القرآن مخلوق ، فطلبهم للبحث وكان في مصيفه في الرقة فكتب الى عامله في بغداد انــ يمتحن القضاة والمحدثين ويكشفهم

عما يعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه ، وقال له « واعلمهم ان امير المؤمنين غير مستعين في عمله ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من امور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده و يقينه » و « انه لا توحيد لمن لم يقرّ بان القرآن مخلوق » وامر ايضاً بان يكتب الى الآفاق بذلك فوافق اكثر الممتحنين وهرب أفراد وحاولوا التملص . وقد أحدث هذا الرأي ضجة في الامة شأن كل فكر جديد ينقسم فيه الناس بين مثبت ونافٍ . ودل بعض الممتنعين عن التصريح بما لا يعتقدونه على الاخذ بالاحتياط في دينهم ، فأوذي بعضهم وما أراد المأمون أذاهم ، وقبض الى ربه وبعض الذين توقفوا عن التصريح بما أرادوا على البيان فيه قيد السجن . وكان من مفاخر هذا الخليفة ايضاً تحكيم العقل في الشريعة فاتخذ أعداؤه من ذلك سبيلاً الى النيل منه وسموا ذلك المحنة .

وفي هذا العصر الزاهر نشأ عمرو بن مسعدة وكان من جملة رجالات السياسة فيه .

اصل عمرو بن مسعدة وحليته ونشأته :

هو عمرو بن مسعدة بن سعد بن صُول بن صُول . وصُول (بضم الصاد) كان رجلاً تركياً وكان مَلِك واخوه فيروز على جرجان وتمجسا بعد التركية وتشبها بالفرس وصول كما قال البيروني لقب ملوك دِهِسْتان كان يطلق عليهم كما يطلق شاهنشاه وكسرى على ملوك الفرس الساسانية و باسيل وهو قيصر على ملوك الروم و بطليوس على ملوك الاسكندرية وتبّع على ملوك اليمن وخاقان على ملوك الترك والخزر والقرغز وحنوته على ملوك الترك الغزية وبغبور على ملوك الصين وبلهرا على من ولي الهند ورابي على من استأثر بقَنُّوج والنجاشي على صاحب الحبشة وكابيل على ملوك النوبة ومهراج على ملوك جزائر البحر الشرقي وإصْفَهْبَذ على ملوك جبال طبرستان ومصمغان على ملوك دنباوند وشار على ملوك غرجستان (غرشستان) وزاذويه على ملوك سرخس و بهمنه على ملوك نَسا وأَبِيْورد ونيدون على ملوك كَشّ وإخشيد على ملوك فرغانة وأفشين على ملوك أُشروسنة وتدن على ملوك الشاش وماهويه على ملوك مرو و كنبار على ملوك نَيسابور وطرخون على ملوك سمرقند والحجاج على ملوك السرير واناهبذ على ملوك جرجان وقبّار على ملوك الصقالبة و نِمروذ على ملوك السُّريانيين و فِرعون على ملوك القبط

وشير باميان على ملوك باميان والعزيز على ملوك مصر وكابل شاه على ملوك كابل وترمذشاه على ملوك الترمذ وخوارزم شاه على ملوك خوارزم وشروانشاه على ملوك شروان وبخار خداه على ملوك بخارا ٠

ولما وافى يزيد بن المهلب بن ابي صُفرة في ولاية سليمان بن عبد الملك بن مروان جرجان أمنها فأسلم صول على يده وغدا محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها بعد ذلك ٠ وكان بعض اهليهم ادعوا انهم عرب وان العباس بن الاحنف الشاعر خالهم ٠ وكان مسعدة والد عمرو مولى خالد بن عبد الله القسري امير العراق وكان يكتب له ٠ وكتب لخالد بن برمك ثم كتب بعده لابي أيوب وزير المنصور على ديوان الرسائل ٠ وكان لمسعدة اربعة بنين مجاشع ومسعود وعمرو ومحمد ٠ ومجاشع هو الذي يقول فيه ابو العتاهية :

علمت يا مجاشع بن مسعدة ان الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء اي مفسدة

بدأ عمرو بن مسعدة في خدمة الدولة عاملاً من العمال فظهرت كفايته وبلاغته ، وبالبلاغة توصل الى الخليفة فعدّ احد أفراد قلائل في رجاله ، قال احمد بن يوسف الكاتب : دخلت يوماً على المأمون وبيده كتاب يعاود قراءته تارة بعد أخرى ، ويصعد فيه ويصوّب ، فلما مرت على ذلك مدة من زمانه التفت اليّ وقال ، يا احمد أراك مفكراً فيما تراه مني ، قلت : نعم ، فقال : ان في هذا الكتاب كلاماً نظير ما سمعت الرشيد يقول في البلاغة ، زعم ان البلاغة انما هي التباعد عن الإطالة ، والتقرب من معنى البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ ، على الكثير من المعنى ، وما كنت أتوهم ان احداً يقدر على ذلك ٠ وقال : هذا كتاب عمرو بن مسعدة الينا ، ففككته فاذا فيه : « كتابي الى اميرالمؤمنين ، ومن قبلي من قواده ، ورؤساء أجناده ، في الانقياد والطاعة ، على أحسن ماتكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم ، فاختلت لذلك احوالهم ، والتاثت معه امورهم » ٠ فلما قرأته قال : ان استحساني إياه بعثني ان امرت للجند قبله بأعطياتهم لسبعة اشهر ، وانا على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حلّ محله في صناعته ٠ وفي رواية ان المأمون امر لعمرو بن مسعدة برزق ثمانية

اشهر وانه قال لاحمد بن يوسف لله در عمرو ما ابلغه ، الا ترى الى ادماجه المسألة في الإخبار ، واعفائه سلطانه عن الإكثار ٠

وكان عمرو بن مسعدة وكنيته ابو الفضل ابيض أحمر الوجه ، وكان المأمون يسميه الرومي لبياض وجهه وكان يخضب وتوفي بأذنة سنة سبع عشرة ومائتين ٠ ولم نعرف منشأه ومولده وأساتيذه وغاية ماعرفناه انه كان احد أخوة اربعة احسن ابوهم — وكان كاتباً ايضاً — تربيتهم كل الاحسان حتى جاءت من احدهم هذه البلاغة النادرة التي كان من اثرها ان أصبح عشير المأمون ، وكان هو وابو عباد ثابت بن يحيى يكتبان بين يديه ويخلوان معه ويمازحانه ٠ ولكي يصل الرجل الى هذا المقام مع مثل هذا الخليفة العظيم في كل شؤونه يجب ان ينطوي على صفات عالية يعزّ مثلها في الأقران والأتراب ٠

قال عمرو بن مسعدة : كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي فرفع اليه غلمانه ورقة يستزيدونه في رواتبهم فرمى بها اليّ وقال : أجب عنها فكتبت : « قليل دائم خير من كثير منقطع » فضرب بيده على ظهري وقال : ايّ وزير في جلدك ٠ وقد شهد لعمرو بن مسعدة بالبلاغة أعيان البيان في عصره ومنهم الفضل بن سهل فقال فيه : انه أبلغ الناس ، ومن بلاغته ان كل احد اذا سمع كلامه ظن انه يكتب مثله فاذا رامه بَعُدَ عليه ٠ وهذا كما قيل لاحد البلغاء ما حدّ البلاغة فقال : التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يقدر على مثلها ، فاذا رامها استصعبت عليه ٠

ولم يؤثر عن عمرو انه الف في موضوع خاص وأفرد مسألة في التأليف ، وعده ابن النديم في الشعراء الكتاب ولم يذكر الا ان له ولاخيه مجاشع خمسين ورقة من الشعر وهي من الضائع ايضاً ٠ والغالب ان مهام الدولة لم تترك له وقتاً يصرفه في درس خاص ، او وضع كتاب او رسالة : وما تلقطه العلماء والادباء من كلامه ، فهو مما صدر عنه بالمناسبات ، ورواه له المعجبون به ، وما أعظم المفقود منه ٠ والمظنون ان لو كانت جمعت له رسائله على ايجازها لكان منها ديوان كبير ، لان من صرف أعواماً طويلة وهو قابض على يراعته يعالج بها الموضوعات السياسية والادارية في ذاك المجتمع العظيم لا شك انه تجتمع له صفحات كثيرة مهما كان مقلاً معروفاً بالايجاز ٠

وأفادنا ابن عساكر مؤرخ دمشق ان عمرو بن مسعدة زار هذه العاصمة مع المأمون ، وانه من رجال الحديث فأسند حديثاً عن المأمون في سندٍ ذكره عن عمرو بن مسعدة قال : سمعت المأمون اميرالمؤمنين يقول حدثني ابي عن ابيه عن عمه عبد الصمد بن علي ابن عبد الله بن عباس عن ابيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : علقوا السوط حيث يراه اهل البيت فانه أدب لهم . وفي الامثال « علق سوطك حيث يراه اهلك ، والمعنى اجعل نفسك بحيث يهابك اهلك ولا تغفل عنهم وعن تخويفهم وردعهم » .

ولم نعلم نوع الدراسة التي انصرفت اليها همة عمرو بن مسعدة في صباه حتى بلغت به البلاغة ذاك المقام ، بيد ان ظواهر الحال تدل كل الدلالة على ان من كان هذا شأنه من الانشاء في ذاك العصر الزاهي بمن يشار اليهم بالبنان في البيان ، يستحيل ان يبلغ هذا المبلغ الا بادوات كثيرة ، بل لا يتأتى له ذلك الا بجميع أدوات البيان والشريعة ، يجمعها الى ما خصت به فطرته من سلامة الطبع وجودة الابداع ، وفوق ذلك لا بدّ له من التخرّج بهذه الصناعة أعواماً طويلة . وصحف التاريخ لم تعرفنا الى عمرو بن مسعدة الا انه تام الادوات ، كأن بلاغته مما ارتجل ارتجالاً او وهبته اياها الفطرة عرضاً . وصرف عمرو ايام حياته على ما يظهر بانفاذ امر ولي امره وجعل نفسه وقفاً على مهام الخلافة ، فأقبلت عليه الدنيا اقبالاً عظيماً فنعم ولذ واغتبط وقصده القاصدون ، وطابت نفسه باصطناعهم والاحسان اليهم ، وعطف على العفاة والقصاد فاستكثر من الأنصار ، وانبسطت نفسه و يده بالعطاء فتعشقته نفوس الناس واهل الدولة ، والخليفة من وراء ذلك يمده و يطلق يده في المال والنوال . ومن جعل وُكده في هذه الأعمال يتعذر عليه ان ينقطع الى نفسه اياماً يصرفها في عمل يخلد به ذكره و يعم القاصي والداني والحاضر والمقبل نفعه وذلك لان هذا العمل مما يستغرق العمر ، ولا يبرز فيه الا من حكموا على أوقاتهم ومُتّعوا بالفراغ ، ولا سبيل الى ان يجمع التطال الى ذلك بينه وبين شيء آخر من أعمال العالم وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه .

واختلفوا في كون عمرو بن مسعدة ولي الوزارة او لم يتولها فقال ياقوت : سماه

بعض الشعراء وزيراً لعظم منزلته لا لانه كان وزيراً وهو قوله :

لقد اسعد الله الوزير ابن مسعدة   وبث له في الناس شكراً ومحمدة

وقال المسعودي : ان المأمون استوزر الفضل بن سهل ثم أخاه الحسن بن سهل فلما اظهر العجز عن الخدمة لعوارض من العلل ولزم منزله ، عدل المأمون الى استكتاب كتّاب لعلمه بكتابتهم وجزالتهم ، وانه ليس في عصرهم من يوازيهم ولا يدانيهم فاستوزرهم واحداً بعد واحد اولهم احمد بن ابي خالد ثم احمد بن يوسف ثم ابو عباد ثابت بن يحيى وعمرو بن مسعدة بن صُول ، وكان يجري مجراهم ولا يعده كثير من الناس في الوزراء ، قال : ولم يكن يسمى بين يدي المأمون احد من كتابه وزيراً ، ولا يكاتب بذلك فلاجل هذا ترك كثير من الناس ان يعد من ذكرنا في الوزراء . ومهما كان فالرتبة التي بلغها عمرو بن مسعدة وزارة وزيادة .

روى البيهقي ان المأمون قال لولده وعنده عمرو بن مسعدة ويحيى بن اكثم : اعتبروا في علوّ الهمة بمن ترون من وزرائي وخاصتي انهم والله ما بلغوا مراتبهم عندي الا بانفسهم ، انه من تبع منكم صغار الامور تبعه التصغير والتحقير وكان قليل ما يفتقد من كبارها اكثر من كثير ما يستدرك من الصغار فترفعوا عن دناءة الهمة ، وتفرغوا لجلائل الامور والتدبير واستكفوا الثقات وكونوا مثل كرام السباع التي لا تشتغل بصغار الطير والوحش بل بجليلها وكبارها واعلموا ان أقدامكم ان لم تتقدم بكم فان قائدكم لا يقدمكم ولا يغني الوليّ عنكم شيئاً ما لم تعطوه حقه . وكان اليه ديوان الرسائل وديوان الخاتم والتوقيع والازمة ويندبه الخليفة في مهام السلطنة .

وسواء تقلد ابن مسعدة الوزارة ام لم يتقلدها فان المهات السياسية التي كان يندب اليها مهمة للغاية تدل على الثقة به ، فقد حكى ابن منصور وكان على بريد عبدالله بن طاهر يخبر المأمون ان عبدالله بن طاهر يخرج في كل ليلة من عسكره ويخرج اليه نصر بن شبث فيجتمعان ويتحدثان ، فدعا المأمون بعمرو بن مسعدة فأمره ان يظهر علّة يحتاج ان يقيم لها في منزله وان يخرج على خمس عشرة دابة من دواب البريد ، ولا يعلم احداً حتى يصير الى عبدالله بن طاهر ويقول له : يا ابن الفاعلة لقد همّ اميرالمؤمنين ان يأمر عبداً اسود ثم يوجهه مكانك ويحملك سائساً له . وامر عمراً ان لا يسلم عليه ولا يسمع

له جواباً . فخرج عمرو فلما اجتمع مع عبدالله لم يسلم عليه حتى بلغه الرسالة على رؤوس الناس ثم انصرف ، ولم يسمع منه جواباً . فلما كان يوم الاربعين من مصير عمرو وافى نصر بن شبث . ونصر هذا كان عصي على المأمون وعبد الله بن طاهر من أجل قواد المأمون .

وذكروا ان المأمون(١) قال لعمرو بن مسعدة وهو في الرقة : ما زلت تسألني في الرخجي حتى وليته الأهواز ، فقعد في سرة الدنيا يأكلها خضماً وقضماً ، ولم يوجه الينا بدرهم واحد ، أُخرج اليه من ساعتك ، قال عمرو : فقلت في نفسي أبعد الوزارة أُصير مستحثّاً على عامل خراج ، ولكن لم أجد بداً من طاعة اميرالمؤمنين ، فقلت اخرج اليه يا امير المؤمنين فقال : احلف لي انك لا تقيم ببغداد الا يوماً واحداً ، فحلفت له ، ثم انحدرت الى بغداد في سفينة فلما صرت بين دير هزقل ودير العاقول اذا رجل يصيح بالملاح رجل منقطع . فأمر بان يركب معه ، وكان من حديثه معه بعد ان ادعى انه حائك فكان حائك كلام ، وأعجز عمرو بن مسعدة باسئلته ما هو مدوّن في كتب الادب ، ولما عاد الى الخليفة اخبره خبر الحائك وحدثه حديثه ، فقال له الخليفة فلاي شيء يصلح هذا الرجل فقال هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة فولاه المأمون البناء والمرمة .

شيء من كلامه

ومن كلام عمرو بن مسعدة : أعظم النـاس أجراً ، وأنبههم ذكراً ، من لم يرض بموت العدل في دولته ، وظهورالحجة في سلطانه ، وايصال المنافع الى رعيته في حياته ، وأسعد الرعاة من دامت سعادة الحق في ايامه ، وبعد وفاته وانقراضه . وقال : الخط صور الكتب ترد اليها أرواحها .

(١) في رواية ابن عبد ربه في العقد ان المعتصم هو الذي عهد الى عمرو بن مسعدة وليس ذلك بصحيح لان عمراً مات قبل المأمون وعزا ابن قتيبة القصة الى الرشيد ولم يعلم من طريق مأمون ان عمراً بلغ الوزارة في ايام الرشيد بل ان المأمون هو الذي رفعه اليها .

وقال عمرو بن مسعدة (او ثابت ابو عباد) لا تستصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك ، اكثر من امتاعه لك بشكر لسانه وفوائد علمه ، ومن كانت غايته الاحتيال على مالك وإطراءك في وجهك فان هذا لا يكون الا رديء الغيب ، سريعاً الى الذم .

وكتب الى الحسن بن سهل : اما بعد فانك ممن اذا غرس سقى ، واذا أسس بنى ، ليستتم تشييد أسه ، و يجتني ثمار غرسه ، وثناؤك عندي قد شارف الدروس ، وغرسك مشفٍ على اليبوس ، فتدارك بناء ما أسست ، وسقي ما غرست ان شاء الله .

وكتب الى بعض أصحابه في شخص يعزّ عليه : اما بعد فموصل كتابي اليك سالم والسلام . أراد قول الشاعر :

يديرونني عن سالم واديرهم   وجلدة بين العين والانف سالم

اي يحل مني هذا المحل .

وكتب الى المأمون في رجل من بني ضبة يستشفع له بالزيادة في منزلته وجعل كتابه تعريضاً : « اما بعد فقد استشفع بي فلان ياامير المؤمنين لتطولك عليّ ، في إلحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به ، وأعلمته ان امير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدي طاعته والسلام » فكتب اليه المأمون قد عرفنا توطئتك له وتعريضك لنفسك وأجبناك اليهما ووافقناك عليهما اه . وقوله : « ان امير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعدى طاعته » من الكلام السريّ الذي يدل على مبلغ أدب عمرو وبعد غوره في السياسة ووقوفه على روح عصره ونفسية الخلفاء .

قدم رجل من أبناء دهاقين [1] قريش على المأمون لعدة سلفت منه ، فطال على الرجل انتظار خروج امر المأمون ، فقال لعمرو بن مسعدة : أُوصل مني رقعة الى امير المؤمنين تكون انت الذي تكتبها تكن لك عليّ نعمتان . فكتب : « ان رأى امير المؤمنين ان يفك أسر عبده من ربقة المطل بقضاء حاجته ، او يأذن له بالانصراف الى بلده فعل ان شاء الله » فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً فجعل يعجب من حسن

(١) الدهاقين الزعماء ارباب الاملاك بالسواد واحدهم دهقان بكسر الدال معرّب .

لفظها ، وايجاز المراد . فقال عمرو : فما نتيجتها يا اميرالمؤمنين . قال : الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه ، لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه ، و بجائزة مائة الف درهم ، صلة عن دناءة المطل ، وسماجة الإغفال اه . وهذا مما يدل على سعة عقل المأمون وولوعه بالبلاغة وتقديره اهلها حق قدرهم ، دع ماهنالك من نفس ما أحبت الا الجود والعطاء .

ومن حكم عمرو بن مسعدة : العبودية عبودية الإخاء ، لا عبودية الرقّ . الود أعطف من الرحم . ان الكريم ليرعى من المعرفة ما رعى الوصل من القرابة . عليكم بالاخوان فانهم زينة في الرخاء ، وعُدة للبلاء . مَثَل الاخوان مثل النار ، قليلها متاع وكثيرها بوار . النفس بالصديق ، آنس منهــا بالعشيق ، وغزل المودة ، أرق من غزل الصبابة . من حقوق المودة ، عفو الاخوان ، والاغضاء عن تقصير ان كان . ذكر رجل رجلاً فقال حسبك انه يُخلق كما تشتهي اخوانه . المودة قرابة مستفادة . ما تواصل اثنان فدام تواصلهما ، الا لفضلهما او فضل احدهما . أسرع الاشياء انقطاعاً مودة الأشرار . المحروم مَن حرم صالحي الأخوان . لقاء الخليل ، شفاء الغليل . قلة الزيارة ، أمان من الملالة . اخوان السوء كشجر النار يحرق بعضه بعضاً . علامة الصديق اذا أراد القطيعة ان يؤخر الجواب ، ولا يبتدئ بالكتاب . لا يفسدنك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له . من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الانس ، أثمرت مودته ندما . اذا قدمت الحرمة ، تشبهت بالقرابة . العتــاب حيــاة المودة . ظاهر العتاب ، خير من باطن الحقد . ما اكثر من يعاتب لطلب علة . و يبقى الود مابقي العتاب . كمون الحقد في الفؤاد ككمون النار في الزناد . القريب بعيد بعداوته ، والبعيــد قريب بمودته . لا تأمنن عدوك وان كان مقهوراً ، واحذره وان كان مفقوداً ، فان حد السيف فيه وان كان مغمودا . لا تتعرض لعدوك في دولته فانها اذا زالت كفتك مؤونته . نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب .

روى البيهقي قال : أخبرنا بعض أصحابنا قال : شهدت المأمون يوماً وقد خرج من باب البستان ببغداد فصاح به رجل بصريّ : يا امير المؤمنين اني تزوجت بامرأة من آل زياد وان ابا الرازي فرّق بيننا وقال هي امرأة من قريش قال : فأمر عمرو ابن مسعدة فكتب الى ابي الرازي : انه قد بلغ امير المؤمنين ما كان من الزيادية

وخلعك إياها اذ كانت من قريش فمتى تحاكمت اليك العرب لا أمَّ لك في أنسابها ، ومتى وكلتك قريش يا ابن الخناء(١) بأن تُلصق بهـا من ليس منها ، تخلّ بين الرجل وامرأته . فلئن كان زياد من قريش انه لابن سُمَيّة بغي عاهرة لا تفخر بقرابتها ولا يتطاول بولادتها ، ولئن كان ابن عُبيد لقد باء بامر عظيم اذ ادعى الى غير ابيـه لحظّ تعجّله ومُلك قهره اه .

وامر المأمون عمرو بن مسعدة ان يكتب لرجل به عناية الى بعض العمال في قضاء حقه وان يختصر كتابه ما امكنه ، حتى يكون ما يكتب به في سطر واحد لا زيادة عليه فكتب عمرو : كتابي كتاب واثق بمن كتبت اليه ، معنيّ بمن كتب له ، وان يضيع بين الثقة والعناية حامله .

وكتب الى بعض الرؤساء وقد تزوجت أمه فساءه ذلك ، فلما قرأها ذلك الرئيس تسلى بها ، وذهب عنه ما كان يجده ، وقيل ان هذه الرسالة من إنشاء ابن العميد وهي : الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة ، وهدانا لستر العورة ، وجدع بما شرع من الحلال انف الغيرة ، ومنع من عضل الامهات ، كما منع من وأد البنات ، استنزالاً للنفوس الأبية ، عن الحمية حمية الجاهلية ، ثم عرّض لجزيل الاجر ، من استسلم لواقع قضائه ، وعوّض جليل الذخر من صبر على نازل بلائه ، وهنأك الذي شرح للتقوى صدرك ، ووسع في البلوى صبرك ، والهمك من التسليم لمشيئته ، والرضا بقضيته ، ما وفقك له من قضاء الواجب في احد ابويك ، ومن عظم حقه عليك ، وجعل الله تعالى جده ما تجرعتـه من أنف ، وكظمته من أسف ، معدوداً فيما يعظم به اجرك ، ويجزل عليه ذخرك ، وقرن بالحاضر من امتعاضك بفعلها ، المنتظر من ارتماضك بدفنها ، فتستوفي بها المصيبة ، وتستكمل عنها المثوبة ، فوصل الله لسيدي ما استشعره من الصبر على عرسها ، بما يكتسبه من الصبر على نفسها ، وعوضه من اسرّة فرشها ، أعواد نعشها ، وجعل تعالى جده ما ينعم به عليه بعدها من نعمة ، معرىً من نقمة ، وما يوليه بعد قبضها من منحة ، مبرأ من محنة ، فأحكام الله تعالى جده وتقدست اسماؤه ، جارية على

(١) اللَّخناء الأَمة المنتنة المغابن .

غير مراد المخلوقين ، لكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين ما هو خير لهم في العاجلة ، وابقى لهم في الآجلة ، اختار الله لك في قبضها اليه ، وقدومها عليه ، ماهو أنفع لها ، واولى بها ، وجعل القبر كفوءاً لها والسلام .

أقول وهذه رسالة أشبه بكلام ابن العميد للتوازن والترصيع والمزاوجة الظاهرة في اسجاعها ، ثم للطول الذي لم يكد يؤثر في شيء مما انتهى الينا من كلام عمرو بن مسعدة ، وكلامه بايجازه اشبه بالتوقيعات . وهنالك قرينة أخرى وان كانت ضعيفة جداً وهي ان عمرو بن مسعدة لما سأله حائك الكلام في السفينة وهو قاصد الى الاهواز كما مرّ بنا قبل هذا عن طبقات الكتاب وقال له انا كاتب رسائل قال الحائك لعمرو : « فصديق لك تكاتبه في المحبوب والمكروه تزوجت أمه كيف تكتب اليه تهنئه او تعزيه . قال عمرو : هو والله الى التعزية أقرب قال : كيف تعزيه قلت : لا اجد الى ذلك سبيلاً . الى ان عاد ذلك الحائك واجاب عن طبقات الكتاب طبقة طبقة ثم قال في حل الاشكال : « اما الرجل الذي تزوجت أمه فتكتب اليه ان الأقدار تجري بخلاف محابّ المخلوقين ، وستر في عافية خير من شائنة في اهلها ، والله يختار للعباد ، نخار الله لك في قبضها اليه ، فان القبور اكرم لها والسلام » . و بهذا رأينا ان الذي اجاب في هذه المسألة هو الحائك لا سيد الكتاب عمرو بن مسعدة الذي نجذته التجارب وراجت بضاعته بهذا الضرب من الكتابة فقد قال عن نفسه انه كتب الى عامل دَمَنْدَبي كتاباً اطاله فأخذه المأمون بيده و كتب « قد كثر شاكوك فإما عدلت ، وإما اعتزلت » .

ولا ارى ان نمرّ بهذا الايجاز بل الاعجاز دون ان نعرض له بشيء يبقي على ذكر منا . فالايجاز في اصطلاح علماء البيان هو اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل . وقال ابن الاثير هو حذف زيادات الالفاظ ، وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به الا فرسان البلاغة ممن سبق الى غايتها وما صلى ، وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلى ، وذلك لعلو مكانه ، وتعذر إمكانه ، والنظر فيه هو الى المعاني لا الى الألفاظ ، فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير ، ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل ، ومثال ذلك الجوهرة الواحدة بالنسبة الى الدراهم الكثيرة فمن ينظر الى طول الالفاظ

يؤثر الدراهم لكثرتهـا ، ومن ينظر الى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفاستها . والبلاغة كما قال ارسطاطاليس ان تجعل في المعنى الكثير كلاماً قليلاً ، وفي القليل كلاماً كثيراً . وهذه البلاغة الموجزة يلمسها المرء في كلام هذا الفنان الفتان الذي فتن نظراءه بفنه ، ولسان حال ما يقوله المناطقة العبرة بالكيفية لا بالكمية .

لا تجد في الفاظ عمرو شيئاً من الوحشي ولا السوقي ، فألفاظه مختارة منخولة ، ترتضيها وتفهمها عامة طبقات القارئين والسامعين . اما تركيبه ونسجه ، وهنا سر فصاحته ، فهو أيسر تركيب يجري مع الطبع ، كأنه في ايراده يتكلم كلامه المعتاد معرباً و يسطره في الورق . نعم وهناك صعوبة تحديه في جوامع كلمه . الاحجار الكريمة والمعادن الثمينة قد تتنقل في الايدي ويعجب بها ناظروها، ويفاخر بها مالكوها ، ولكن متى وصلت الى ايدي الصائغ الحاذق والجهبذ النقاد ، تزيد بهاء ورُواء ، وتتجلى فيها يد الصناع وفكر الفنان . فالسبك الحسن في كلام عمرو هو الذي تفرد فيه ، ولما رأى انه أبدع فنه زاد في تجويده وطال مرانه عليه ، لانقطاعه معظم حياته الى الخدمة ، والسياسي من جملة خصائصه ان يوجز و يجمجم احياناً ويعرّض لئلا يؤخذ باقراره وتؤول له عباراته ، فكان في ذلك اكبر عون لعمرو على النبوغ في هذه الطريقة طريقة ابن المقفع وسهل ابن هرون واضرابهما .

نقلنا أمثلة قليلة من نثر عمرو بن مسعدة اما شعره فقليل جداً . ذكر المترجمون له انه كان له فرس أدهم أغر ، لم يكن لأحد مثله فراهةً وحسناً ، فبلغ المأمون خبره وبلغ عمرو بن مسعدة ذلك ، فخاف ان يأمر بقوده اليه فلا يكون له فيه محمدة ، فوجه به اليه هدية وكتب معه :

يا اماماً لا يدا نيه اذا عدّ امام
فضل الناس كما يفـ ضل نقصاناً تمام
قد بعثنا بجواد مثله ليس يرام
فرس يزهى به للـ حسن سرج ولجام
دونه الخيل كما دو نك في الفضل الانام
وجهه صبح ولكن سائر الجسم ظلام

والذي يصلح للمو لى على العبد حرام

وعمرو هو القائل :

ومستعذب للهجر والوصل اعذب أكاتمه حبي فينأى وأقرب
اذا جدتُ مني بالرضا جاد بالجفا ويزعم اني مذنب وهو أذنب
تعلمت الوان الرضا خوف هجره وعلّمه حبي له كيف يغضب
ولي غير وجه قد عرفت طريقه ولكن بلا قلب الى اين أذهب

قالوا وهذان البيتان الاخيران متنازَعان . على ان محمد بن عمرو بن مسعدة ذكر ان اباه لم يقل من الشعر شيئًا الا بيتًا واحداً فوقّع في ظهر رقعة لرجل :

اعززْ عليّ بامر انت طالبه لم يكن النجح فيه وانقضى أمده

محاسنته للشعراء والادباء والعلماء

ثبت ان عمرو بن مسعدة كان يعطف على الشعراء و يرتاح الى الشعر والادب كل الارتياح ، وذكروا ان شقيقه مجاشع بن مسعدة كان صديقاً لابي العتاهية الشاعر يقوم بحوائجه كلها ، و يخلص مودته ، فمات ، وعرضت لابي العتاهية حاجة الى اخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها فكتب اليه ابو العتاهية :

غَنيت عن العهد القديم غَنيتا وضيعت وداً بيننا و نسيتا
ومن عجب الايام ان مات مألفي ومن كنت تغشاني به وبقيتا

فقال عمرو : استطال ابو اسحق اعمارنا وتوعدنا ، ما بعد هذا خير ، ثم قضى حاجته .

ومرّ عمرو بن مسعدة مرة بابي العتاهية وهو جالس على الطريق ، فوقف عليه يسأل عن حاله ، فما قام اليه ورفع اليه رأسه وهو يقول :

أقعدني اليأس منك فما أرفع رأسي اليك من كسلي

وعرفنا من هذا ان ابا العتاهية كان يدلُّ على عمرو بن مسعدة وكلاهما كان يعرف لصاحبه قدره .

وهجا شقيقه مجاشع حمادَ عجرد وهو صبي حينئذ فشبب حماد بامه فبلغ الشعر عمرو

ابن مسعدة فبعث الى حماد بصلة ، وسأله الصفح عن اخيه ، ونال اخاه بكل مكروه ، وقال له : ثكلتك أمك أتتعرض لحماد ، وهو يثاقف [1] بشاراً ويقاومه ، والله لو قاومته لما كان لك في ذلك فخر ، ولئن تعرضت له لينهكنك وسائر اهلك وليفضحنك فضيحة لا يغسلها ابداً عنا .

لما أعيت الحسينَ بن الضحاك الحيلةُ في رضا المأمون عنه رمى بامره الى عمرو بن مسعدة وكتب اليه :

انت طودي من بين هذي الهضاب ... وشهابي من دون كل شهاب
انت يا عمرو قوتي وحياتي ... ولساني وانت ظفري ونابي
أتراني أنسى ايادَيك البيـ ... ـضَ اذا اسود نائل الاصحاب
اين عطف الكرام في مأقط [2] الحا ... جة يحمون حوزة الآداب
اين اخلاقك الرضية حالت ... فيَّ ام اين رقة الكتاب
انا في ذمة السَّحاب وأظما ... إن هذا لوصمة في السحاب
قم الى سيد البرية عني ... قومة تستجر حسن خطاب
فلعل الاله يطفئُ عني ... بك ناراً عليَّ ذات التهاب

قال : فلم يزل عمرو يَلْطُف للمأمون حتى اوصله اليه ، وادرَّ رزقه .

وفي عمرو بن مسعدة يقول ابو محمد عبد الله بن ايوب التيمي :

أعني على بارق ناضب ... خفي كوحيك بالحاجب
كأن تألقه في السما ... ء يدا كاتب او يدا حاسب
فروِّي منازل تذكارها ... يهيج من شوقك الغالب
غريب يحنُّ لأوطانه ... ويبكي على عصره الذاهب
كفاك ابو الفضل عمرو الندى ... مطالعةَ الامل الكاذب
وصدقُ الرجاء وحسنُ الوفاء ... لعمرو بن مسعدة الكاتب
عريض الفناء طويل البنا ... ء في العز والشرف الثاقب

(١) يثاقف يخاصم . (٢) المأقط موضع القتال .

هو المرتجى لصروف الزما ن ومعتصم الراغب الراهب
جواد بما ملكت كفه على الضيف والجار والصاحب
بأدم الركاب ووشي الثيا ب والطرف والطفلة الكاعب
نؤمله لجسام الامو ر ونرجوه للجلل الكارب

وختمها بقوله :

كسبت الثناء وكسب الثنا ء افضل مكسبة الكاسب
بقينك يجلو ستور الدجى وظنك يخبر بالغائب

وأنشد محمد بن داود بن الجراح لمحمد البيدق النصيبي وقيل لمسلم بن الوليد في عمرو بن مسعدة وقد اشتكى :

قالوا ابو الفضل معتل فقلت لهم نفسي الفداء له من كل محذور
يا ليت علته بي ثم ان له اجر العليل واني غير مأجور

وكان بين عمرو بن مسعدة وابراهيم بن العباس الصولي مودة وقرابة فحصل لابراهيم ضائقة بسبب البطالة في بعض الاوقات فبعث له عمرو مالاً فكتب اليه ابراهيم :

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وذكر دعبل الشاعر ان عمرو بن مسعدة كان يقوم بامر عمرو بن ابي بكر يعني المؤملي قاضي دمشق وكان محمد بن داود يحمل عليه فقال :

لشتان بين المدعين وزارة وبين الوزير الحق عمرو بن مسعدة
فهم في الناس ان يجبهوهم وهم ابي الفضل اصطناع ومحمدة
فأسكن رب الناس عمراً جنانه وأسكنهم داراً من النار موصدة

قال حميد بن بلال : ولي عمرو بن مسعدة فارس وكرمان فقال له بعض اصحابه : ايها الامير لو كان الحياء يظهر سؤالاً ، لدعاك حيائي من كرمك ومن جميع اهلك الى الاقبال عليّ بما يكثر به حسد عدوّي ، دون ان اسألك . فقال عمرو لا تبغ ذلك

بابتذالك ماء وجهك ، ونحن نغنيك عن إراقته في خوض السؤال ، فارفع ما تريده في رقعة يصل اليك سراً . ففعل .

ولقد جرى ذكر عمرو بن مسعدة في رسالة الحَيْدة وفيها وصف ما جرى من المناظرة بين عبد العزيز بن يحيى المكي وبين بشر بن غياث المريسي بحضرة امير المؤمنين المأمون في مسألة خلق القرآن جاء فيها كلام لعمرو بن مسعدة . ومنه ما قاله عبد العزيز : فلما كان يوم الاثنين صليت الغداة في مسجدي الذي كان على باب منزلي فلما فرغت من الصلاة اذا بخليفة عمرو بن مسعدة قد جاءني ومعه جمع من الفرسان والرجالة فحملني مكرماً على دابته حتى صار الى باب امير المؤمنين فأوقفني حتى جاء عمرو بن مسعدة فدخل فجلس في حجرته التي كان يجلس فيها ثم أذن لي بالدخول عليه فدخلت فلما صرت بين يديه أجلسني ثم قال لي : انت مقيم على ما كنت عليه او قد رجعت عنه فقلت : بل مقيم على ما كنت وقد ازددت بتوفيق الله تعالى اياي بصيرة في امري فقال لي عمرو بن مسعدة : ايها الرجل قد حملت نفسك على امر عظيم ، وبلغت الغاية في مكروهها ، وتعرضت لما لا قوام لك به في مخالفة امير المؤمنين ، وادعيت بما لا يثبت لك به حجة على مخالفتك ، ولا لاحد غيرك ، وليس وراءك بعد الحجة عليك الا السيف ، فانظر لنفسك و بادر امرك ، قبل ان تقع المناظرة وتظهر عليك الحجة ، فلا تنفعك الندامة ولا يقبل منك معذرة ولا تقال لك عثرة ، فقد رحمتك واشفقت عليك مما هو نازل بك ، وانا أستقيل لك امير المؤمنين وأسأله الصفح عن جرمك ، وعظيم ما كان منك اذا اظهرت الرجوع عنه والندم على ما كان ، وآخذ لك الامان منه والجائزة ، فان كانت لك ظلامة ازلتها عنك وان كانت لك حاجة قضيتها لك ، فانما جلست رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة ان أقمت على ما انت عليه ورجوت ان يخلصك الله تعالى على يدي من عظيم ما أوقعت نفسك فيه .

عظمة أخلاقه

روى ابن نافيا في كتاب ملح الممالحة قال : دخل الحسن بن سهل على المأمون فقال له : كيف علمك بالمروءة قال : ما أعلم ما يريد امير المؤمنين فأجيبه . قال :

عليك بعمرو بن مسعدة قال : فوافيت عمراً وفي داره صناع وهو جالس على آجرة ينظر اليهم فقلت : ان امير المؤمنين يأمرك ان تعلمني المروءة . فدعا بآجرة فأجلسني عليها وتحدثنا ملياً وقد امتلأت غيظاً من تقصيره بي ثم قال : يا غلام عندك شيء يؤكل قال : فقدم طبقاً لطيفاً عليه رغيفان وثلاث سكرجات[1] في احداهن خل وفي الاخرى مري[2] وفي الاخرى ملح فأكلنا وجاء الفراش فوضأنا ثم قال : اذا شئت فنهضت محفظاً ولم أودعه فقال لي : ان رأيت ان تعود الي في يوم مثله . فلم اذكر للمأمون شيئاً مما جرى . فلما كان في اليوم الذي وعدني لقياه سرت اليه فاستؤذن لي عليه فتلقاني على باب الدار فعانقني، وقبل بين عيني، وقدمني أمامه ، ومشى خلفي ، حتى أقعدني في الدست[3] وجلس بين يدي ، وقد فرشت الدار وزينت بانواع الزينة واقبل يحدثني ويتنادر[4] معي الى ان حضر وقت الطعام، فأمر فقدمت أطباق الفاكهة فأصبنا منها ونصبت الموائد فقدم عليها انواع الاطعمة من حارها وقارها وحلوها وحامضها ثم قال : اي الشراب أعجب اليك فاقترحت عليه . وحضر الوصائف للخدمة ، فلما أردت الانصراف حمل معي جميع ما أحضر من ذهب وفضة وفرش وكسوة وقدم الى البساط فرس بمركب ثقيل فركبته ، وامر من بحضرته من الغلمان الروم والوصائف حتى سعوا بين يدي وقال : عليك بهم فهم لك ثم قال : اذا زارك اخوك فلا تتكلف له واقتصر على ما يحضرك واذا دعوته فاحتفل واحتشد ولا تدعن ممكناً ، كفعلنا بك عند زيارتك إيانا وفعلنا يوم دعوناك .

وما الحسن بن سهل الذي يعلم المروءة وهو الوزير العظيم العاقل العالم الذي كان مثال المروءة زوج ابنته بوران من المأمون فعمل « من الولائم والافراح مالم يعهد مثله في عصر من الأعصار وكان ذلك بفم الصلح وانتهى امره الى ان نثر على الهاشميين والقواد والكتاب والوجوه بنادق مسك فيها رقاع باسماء ضياع واسماء جوارٍ وصفات دواب وغير ذلك فكانت البندقة اذا وقعت في يد الرجل فتحها فيقرأ مافي الرقعة فاذا علم مافيها مضى الى

---

(١) السُّكُرُّجة قصاع يؤكل فيها صغار . (٢) المُرّي ربٌّ مملح ونقول له سلامورة . (٣) الدَّست صدر البيت . (٤) تنادر علينا حدثنا بالنوادر .

الوكيل المرصد لذلك فيدفعها اليه ويتسلم مافيها سواء كان ضيعة او ملكاً آخر اوفرساً او جارية او مملوكاً ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر » وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين الف الف درهم . لا جرم ان في امر المأمون عمه بالذهاب الى عمرو بن مسعدة يتعلم منه المروءة مايشعر بمنزلة عمرو من الخليفة وانه عظيم في أخلاقه ويعرف كيف يربي الناس عليها .

قال ابراهيم بن الحسن بن سهل كنا في مجلس المأمون وعمرو بن مسعدة يقرأ عليه الرقاع فجاءته عطسة ، فلوى عنقه فردها ، فرآه المأمون فقال : يا عمرو لا تفعل فان رد العطسة وتحويل الوجه بها يورثان انقطاعاً في العنق . فقال بعض ولد المهدي ما أحسنها من مولى لعبده ، وامام لرعيته ، فقال المأمون وما في ذلك ؟ هذا هشام اضطربت عمامته فأهوى الأبرش الكلبي الى إصلاحها ، فقال هشام انا لا نتخذ الاخوان خولا ! فالذي قال هشام أحسن مما قلته . فقال عمرو : يا امير المؤمنين ان هشاماً يتكلف ما طبعت عليه ، فما تعدل[1] به ، ليس له قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قيامك بحق الله وانك والملوك كما قال النابغة الذبياني :

ألم تر ان الله أعطاك سورة[2] يرى كل ملك دونها يتذبذب
لانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ثروته ونعمته

ظهر ان عمرو بن مسعدة كان ذا نعمة وافرة وثروة طائلة ، على كثرة ما بذل من العطاء للعلماء والشعراء ، والاحسان على قاصديه ومن انتمى اليه ، ومت اليه بسبب من الاسباب . وقد كان له قصور في دار السلام وله ساباط يعرف به يقال له ساباط[3] عمرو بن مسعدة وهو فوق الجسر ومن منازله منزل بحضرة طاق الحراني ابراهيم بن ذكوان . جمع كل هذا من مال دولة خدمها بالاخلاص والعقل وربما كان فيها ما أخذ

(١) يقال ما يعدلك عندي شيء اي مايشبهك . (٢) السورة الشرف والفضل والرفعة . (٣) الساباط سقيفة بين دارين او جدارين والطاق عقد البناء حيث كان والجمع أطواق وطيقان .

من غير حله ان صح ما روي ان المأمون وقّع في قصة متظلم من عمرو بن مسعدة : « يا عمرو عمّر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها » ولما مات عمرو رُفع الى المأمون انه خلف ثمانين الف الف درهم . فوقع على الرقعة « هذا قليل لمن اتصل بنا ، وطالت خدمته لنا ، فبارك الله لولده فيه » . اي ان عمراً خلف ثمانية ملايين دينار واذا جعلت نسبة بين قيمتها منذ نيف واحد عشر قرناً وقيمتها اليوم لا يبعد ان يكون ماخلفه نحو اربعة وعشرين مليوناً من الجنيهات . وروى المسعودي انهم عرضوا لمال عمرو ولم يعرض لمال وزير قبله والرواية الاولى أصح وهي عن الصولي ابن عم عمرو ابن مسعدة . والمسعودي يقصد بقوله هذا الحط من قدر المأمون لعداوة مذهبية كأن المأمون كان يخاف عمراً في حياته فيغضي عنه وأراد الانتقام منه بعد مماته بان يصادر اولاد احد رجاله بعده .

خلف عمرو هذه الثروة من مال الدولة التي أخلص لها الخدمة في سره وجهره بعد ذاك البذخ والرفاهية في زمن كانت الخلافة العباسية الكل في الكل ، وفي ايام خليفة يعرف أقدار الرجال و يرى انه يقلّ في اصطناعهم كل برّ ومكرمة ، وكان يعتمد على عقلهم وإخلاصهم في تدبير ملكه ، وللعقل قيمة عظيمة دونها كنوز الارض وركازها في نظر المأمون . ولقائل ان يقول ومن اين لفرد ان يجمع مثل هذه الثروة العظيمة وهو مقيد بخدمة الدولة ، لا يعمل فيما يجهد له الناس في الجمع ليكون عضّ مال حسن القومة عليه . فالجواب ان الخلفاء كانوا يُقطِعون رجال دولتهم الولايات العظيمة وربما نزلوا لهم عن خراجها السنة او السنين . و يهبونهم من ضروب العطايا من ناطق وصامت وعقار ومتاع ما يتأثلون به و يرتاشون . والدولة التي قدرت مساحة ممالكها بنحو مساحة قارة اوربا اليوم وضمت جميع الاقطار العامرة في آسيا وافريقية — اذا جمعت جميع دخلها لا تحتاج اليه ، وتقف الحركة الاقتصادية في البلاد لا محالة ، فترى من الحكمة ان تنتقل الثروة في الايدي . وما كانت الدولة في الحقيقة تحتاج يومئذ الى نفقات كبيرة لإطعام الجيوش وإعداد الاساطيل وتجهيزها بالمدمرات والمهلكات شأن دول اليوم ، والحروب المدمرة في هذه الحضارة الحديثة لم تُعرف في عصر العباسيين . وليس غير الحروب تستنزف الاموال وتذهب بارواح الرجال .

ولقائل ممن تشبع بروح الديمقراطية في هذا العصر وهل هذا هو المعقول في قيام الملك من الإفراط في الإفضال على افراد يُسَوَّغون جباية قطر او أقطار صبرة واحدة وهي تُجمع بالدانق والدرهم . وهل بمثل هذا نجح الخلفاء الأُول او ارباب الدول الغربية اليوم . فالجواب ان طبيعة القرن الثاني والثالث غير طبيعة القرن الاول وهذان القرنان الاخيران لا يشبهان بحال قرون البشر منذ عشرة قرون خصوصاً اذا وضعنا موضع النظر ايضاً اتساع رقعة الملك، وعمران العراق وحده دع غيره من الاقطار، فان كل هذا أعظم حامل على البذل . ولهذا كان للخلفاء في هذا العطاء بعض مبرر لاعمالهم ، وان كان لا مبرر من إسراف ، لكن حالة العمران اقتضت ذلك في الدهر السالف . وكان الاولى ان يعمدوا الى القصد في الأخذ والقصد في العطاء ، ويقيموا بما يفضل المصانعَ والمعالمَ في أرجاء المملكة والمنصف يقول ان هذا النظام البديع في تنظيم الموازنات هو وليد العصور الجديدة . وهذا التقدير وهذا التقتير حتى في التافه والقطمير هما من خلق دول الغرب . وكان ذلك على حالة ابتدائية في عصر الأُمويين والعباسيين ولم تكن أسباب الحياة تشعبت هذا التشعب . ولا الاوضاع هذه الاوضاع ولا الابداع في النُظُم هذا الابداع .

هذا أقصى ما أبقته لنا الايام من أخبار هذا الوزير العربي النابغة بدهائه السياسي وبلاغته ، ومن الأسف فَقْدُ ما فاضت به قريحته البراقة التي عرفت بالبلاغ الممتع وعرفنا من سيرته ما أطللنا به من نافذة ضيقة على ماخُصت به نفسه وانطوى عليه من الصفات السامية التي كانت بها عظمته . وربما لم يخل عصره من بلغاء أمثاله لو فتح لهم الطريق لاغنوا غناءه ولكن الطبائع تختلف وهذه الرقة في السياسة يصعب ان يبرز فيها كل انسان فهو كما كتب الحسن بن سهل الى محمد بن سَماعة القاضي وقد احتاج الى رجل يوليه بعض الاعمال فقال انه يريد رجلاً جامعاً لخصال الخير ذا عفة ونزاهة طِعْمة(١) . قد هذبته الآداب . وأحكمته التجارب . ليس بظنين في رأيه . ولا بمطعون

(١) في الاساس : ومن المجاز فلان طيب الطعمة وخبيث الطِعمة بالكسر وهي الجهة التي منها يرتزق بوزن الحرفة .

في حسبه . ان اؤتمن على الأسرار قام بها وان قُلد مهماً من الامور أجزأ [1] فيه . له سن مع أدب ولسان . تقعده الرزانة و يسكنه الحلم . قد فُرَّ [2] عن ذكاء وفطنة . وعضَّ على قارحة [3] من الكمال . تكفيه اللحظة . وترشده السكتة . قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها . وقام في امور محمد فيها . له أناة الوزراء . وصولة الامراء . وتواضع العلماء . وفهم الفقهاء . وجواب الحكماء . لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده . يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه . وحسن بيانه . دلائل الفضل عليه لائحة . وأمارات العلم له شاهدة . مضطلعاً بما استنهض . مستقلاً بما حُمّل اه .

ومثل هذه الصفات هي صفة عمرو بن مسعدة . وأنعم به وبسيده وسقياً ورعياً لعصر أخرج عظماء يحق لنا التمجد بهم مهما بَعُدَ عهدنا بهم .

(١) أجزأني كذا : كفاني وهذا مُجْزِيءٌ . (٢) اي جرّب واختبر فيهما وأصله من فرّ الدابة كشف عن اسنانها لينظر ما سنها . (٣) قوله وعضّ على قارحة إلخ كناية عن بلوغه درجة الكمال .

مناقشة لغوية

عثر رصيفنا الفاضل الاب انستاس الكرملي في (عثرات الأقلام) التي ينشرها المجمع العلمي — على ثلاثة مواضع حسبها محلاً للنقد والمؤاخذة فذكرها في مجلته (لغة العرب) (جزء ٧ ص ٤) وعلق عليها تخطئة ونقداً . وقد رأينا ان ننبه الى حجتنا فيها :

(١) قلنا في عثرات الأقلام ان قولهم (طاف جسده على وجه الماء) صوابه (طفا جسده) فرد الاب هذا وعلق عليه كلاماً ذكر فيه (ان طاف مقلوب طفا) يعني يجوز استعمال كل منهما مكان الآخر . ولا نظن هذا صحيحاً لوجوه : الاول ان جمهور اللغويين قالوا (طفا الشيء فوق الماء اذا علا عليه ولم يرسب) وقالوا (طاف حول الشيء وبالشيء اذا دار حوله . (الوجه الثاني) ان القلب في مثل هذا سماعي كما نص عليه الرضي في شرح الشافية . ولم نظفر بنقل عن اللغويين يصرح بان (طاف مقلوب طفا) . (الوجه الثالث) على فرض صحة ان (طاف مقلوب طفا) لا يلزم منه ان يصح حلوله محله في كل استعمال . نعم ورد الجواز في مثل (عاث) مقلوب (عثا) و (راء) مقلوب (رأى) و (ناء) مقلوب (نأى) اما في (طاف) على فرض انه مقلوب (طفا) فقد خصوا الاول بالانتقال من مكان الى آخر او الاستدارة حول الشيء ويقال في ضده ثبت وسدك ولزم مكانه كما خصوا الثاني وهو (طفا) بالجسم الذي يعلو وجه الماء سواء انتقل او لم ينتقل وضده رسب . ومثل (طاف وطفا) في تخالف الاستعمال قولهم : (غام وغمى) خصوا الاول بتغطية السماء بالسحاب . والثاني بتغطية سقف البيت بالطين والخشب .

(٢) قلنا في (عثرات الأقلام) في تخطئة من يقول (الإركان على النفس علامة النجاح) : انه لم يرد (أركن رباعياً) بدليل ان الموثوق بهم من ارباب المعاجم لم يذكروه كصاحب اللسان والتاج والصحاح والأساس . فخطأنا الاب في هذا وقال ان صاحب الكشاف روى جواز (أركن) رباعياً في قراءة من قرأ (ولا تُركنوا الى الذين ظلموا) على البناء للمفعول من أركنه اذا أماله . ونقول في الجواب اننا في

(العثرات) انما خطأنا من استعمل (الاركان) اي الرباعي اللازم بمعنى (ركن) الثلاثي اللازم اي بمعنى مال كما اذا قال قائل (أفهم زيدٌ) يريد (فهم زيد) فنقول له هذا لايجوز اذ لم يرد في كلام العرب (أفهم) رباعياً ولا شك ان السياق يعيّن مرادنا واننا انما نعني ان (أفهم) الرباعي لم يجيء لموافقة (فهم) الثلاثي فلايصح ان يعترض علينا بانه ورد (أفهم) رباعياً متعدياً . ويعلم الله اننا رأينا (أركن) الرباعي المتعدي بمعنى أمال في تفسير البيضاوي وابي حيان عند قوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) بالبناء للمجهول كما رأى الاستاذ ذلك في الكشاف . لكننا لم ننبه عليه في (عثرات الأقلام) خشية التطويل الذي نتجنبه جهد طاقتنا في (العثرات) . والحاصل ان (أركن) رباعياً لم يرد بمعنى (ركن) كما ورد(أقاله) البيع بمعنىقاله. وانماورد (أركنه) بمعنى أماله على ان تكون همزته للتعدية لا لموافقة الثلاثي وهذا خارج عن موضوعنا .

(٣) آخذنا الاب الفاضل في كلة ثالثة وقبل ان نوردها نقدم بين يديها ملاحظة لنا على رصيفنا وعضو مجمعنا المحترم: ذلك انه كما رأى احداً فتح نافذة لاصلاح اللغةالعربية وتنمية كلماتها وتسهيل قواعدها والتوسعة على الناطقين بها في بعض ماحظره الاقدمون — بادر الى سد تلك النافذة قائلاً ان في هذا الفتح . الضر والبرح . وعلى العكس اذا رأى احداً سدّ نافذة يكون من شأنها الإفساد في اللغة عارضه وفتحها متأليًا ان سيكون في هذا الفتح . الربح والنجح . فمثال النافذة التي سدّها المجمع ففتحها هو قولنا في العثرات انه لا يجوز ان يقال (مكثنا مع الاخوان فويّق ناقة) على ان يكون (فويّق) تصغير (فواق) وعللنا ذلك بانه من الامثال والامثال لاتغير. ولا نريد بذلك الامثال نفسها بل ما يعمها ويعم ما كان من قبلها ثقة منا بان قراء مجلتنا انما هم من اهل الفضل الذين يفهمون المراد من مثل هذا الإطلاق . فلم يعجب الاب سدّ النافذة على هذه الصورة وقال ما نصه : « نحن لا نعتبر قولهم فويق ناقة من الأمثال بل من الأقوال السائرة مسير الامثال ولهذا لا نرى مانعاً من اعتبار (فويّق ناقة) بتصغير فواق — من الغلط » اه فالأب اعطى فتوى بجواز استعمال (فويّق ناقة) بالتصغير وان لم ينطق به العرب الخلّص . ولا غرو ان يكون في قوله هذا توسعة وتخفيف واغراء لنا باستعمال نظائر (فويّق) مما فيه مخالفة لاهل اللسان فنقول من دون ان يكون ثمّ ضرورة (على

طرف الثميّم) بالتصغير مكان (الثمام) بالتكبير و (حمى الوطيّس) مكان (الوطيس) و (لحم على وُضَيْم) مكان (وضم) و (مات حُتيف أُنيفه) مكان حتف أنفه وضغيث على أبيبلة مكان ضغث على ابالة في نظير ذلك مما يشكره عليه ارباب (الباب المفتوح) في اللغة !!! ·

اما مثال النافذة التي فتحناها للإصلاح اللغوي وقام هو فسدّها في وجهنا ووجه الناطقين بالضاد فهو قولنا في اثناء الكلام (وتبعه على ذلك صاحب أقرب الموارد الخ) فانتقد تعدية فعل تبع بعلى · فروى عبارتنا هذه قائلاً هكذا (وتبعه على (كذا) ذلك) يشير بكلمة (كذا) الى هذا الخطإ الفاضح · ولعله يريد ان الواجب ان يقال (وتبعه في كذا) · وحجتنا نحن في ذلك او في فتح هذه النافذة ما اشتهر بين علماء اللغة من ان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وان (على) خاصةً تنوب مناب (في) كقوله تعالى : (ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها) اي في حين غفلةٍ كما صرّح بذلك اهل اللغة والتفسير · ولعله يقول ان معاجم اللغة لم تنقل (تبعه على كذا) بخصوصه فالواجب ان نتابعهم على ما قالوا · أرأيت كيف ان الأب المحترم سدّ هذه النافذة الموصلة الى تلقي الهواء الطلق كيلا تموت اللغة اختناقاً · بل أرأيت كيف ان الاب يصرّح في نفس رده علينا بقوله : (عدم ورود كلمة أركن في دواوين اللغة لا ينفي وجودها اذ لغتنا اوسع من ان تضمها دفتا معجم فهي بحر لجيّ لا قرار له) اسمع ما أحسن هذا التصريح وما أحسن فتح النوافذ على هذه الصورة لإصلاح اللغة · ولو فتح غيره هذه النافذة لعارضه لعمري وقام في وجهه كما عارضنا وقام في وجهنا مذ قلنا (تبعه على كذا) وان لم تنقله المعاجم ونحن نريد ان نفتح نافذة استعمال حرف جر مكان حرف جر كما جوزه اهل اللسان فمعنى (تبعه على كذا) تبعه في كذا · ثم ان كان رصيفنا الأب يسد علينا هذه النافذة فهل يسد علينا نافذة أخرى في تصحيح هذا الاستعمال ؟ (نافذة التضمين) اي ان فعل (تبع) ضمناه معنى (وافق) فعدي تعديته والتضمين في اللغة إشراب كلمة معنى كلمة أخرى فتتعدى تعديتها · فنحن أشربنا فعل (تبع) معنى (وافق) فعديناه بعلى مثلها · ويكفي حجة لنا في جواز هذا التضمين ما قاله ابن جني في الخصائص وهذا هو نص عبارته : (وجدت في اللغة من هذا الفن (التضمين) شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به ولعله

لو جمع اكثره لاجمعه لجاء كتاباً ضخماً فاذا مر بك شيء منه فتقبله وانس به فانه فصل في العربية لطيف حسن اهـ) فالنافذة التي فتحها ابن جني وتبعناه نحن على رأيه في فتحها يقوم صديقنا العلامة فيوصدها و يقول للناس انظروا الى المجمع العلمي كيف يريد ان يفسد اللغة ! ! ألا يفهم من هذا انه يحاول احتكار فتح النوافذ في الإصلاح اللغوي ؟ و يوشك ان نبارك له نحن فيما يريد ولكن بشرط ان ينتبه فلا يفتح ما سد ولا يسد ما فتح .

اعضاء المجمع العلمي

« في الغرب »

الاستاذ ادوار مونته (Montet)

ولد السيد مونته في ليون سنة ١٨٥٦ وعاش في تلك المدينة حيث درس الدروس الثانوية وجاز فحوص البكالوريا (العالمية) الى سنة ١٨٧٤ ثم اخذ يدرس دروساً عالية تامة وذلك بالاشتغال في جامعات جنيف و برلين وهايدلبرغ ثم في جامعة باريز حيث نال رتبة دكتور في اللاهوت (مدرسة اللاهوت البرنستانتي) وذلك في سنة ١٨٨٣ وقد قدم كتاباً اسمه في اصول الفرقتين الصدوقيين والفريسيين وتاريخهم الى ولادة السيد المسيح . وفي سنة ١٨٨٥ عين المسيو مونته في جامعة جنيف استاذاً للعبرية والارامية والعهد العتيق . ومنذ سنة ١٨٩٤ اخذ يدرس في تلك الجامعة ايضاً العربية وتاريخ الاسلام .

ان مقدرة السيد مونته التي عرفها الخاص والعام في كل ما له مساس بالمدنيات السامية ولا سيما بالاسلام قدعت الحكومة الافرنسية مرتين لتنديبه الى مراكش في بعثة علمية . والمرة الاولى كانت سنة ١٩٠١ والمرة الثانية سنة ١٩١٤ وفي سنة ١٩١٠ دعي ليلقي سلسلة من المحاضرات على الاسلام في كوليج دي فرانس بباريز . وكان الاستاذ مونتيه رئيس جامعة جنيف من سنة ١٩١٠ — ١٩١٢ .

ان المقالات التي نشرها هذا العالم في كثير من المجلات والصحف وقائمة أهم تآليفه

التي تقرأونها في أسفل هذه المجالة تشهد شهادة ناصعة بان جهاد هذا الاستاذ قد قسمه خلال حياته بين الدروس التي لها علاقة بالعربية والعهد العتيق والدروس الاسلامية .

« قائمة أهم كتب ادوارد مونتيه باللغة الافرنسية »

باكورة في اصول الفرقتين الصدوقية والفريسية وتاريخها الى ولادة السيد المسيح (باريز ١٨٨٣) .

مختصر نحو العبرية والارامية الكتابية (باريز ١٩٠٥) .

مبادئ النحو العربي (جنيف ١٨٩٦) .

تاريخ لسكان مقاطعة الفو من البيمون (باريز ١٨٨٥) .

الدرس الشريف وهو نص غريب نشره عن نسخة كمبردج وذكر اختلاف النسخ بينها وبين نسخة جنيف ودوبلين مع ترجمتها بالافرنسية وترجمتها بلغة الفو الحديثة (باريز ١٨٨٨) .

تاريخ شعب اسرائيل أخذاً من العهد القديم (باريز ١٩١٠) .

سياحة في مراكش (سياحة العالم) (باريز ١٩٠٣) .

حاضر الاسلام ومستقبله (ترجم الى الايطالية والمجرية والعربية) (باريز ١٩١٠) .

الاعتقاد بالاولياء المسلمين في افريقية الشمالية ولا سيما في مراكش (جنيف سنة ١٩٠٩) .

دروس شرقية ودينية (باريز ١٩١٧) .

الاسلام (باريز ١٩٢١) .

وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي منذ اول نشأته .

الغَزَالي ام الغزّالي

لما وجدت الخلاف قديمًا وحديثًا في ضبط هذا الاسم رأيت ان اجمع أقوال العلماء لتصحيح هذا الرسم ·

قال ابن خلكان (ط · مصر ١٣١٠ ج ١ ص ٢٩) في ترجمة ابي الفتوح احمد اخي ابي حامد الغزالي : والغزالي بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة وبعد الالف لام هذه النسبة الى الغزّال على عادة اهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون الى القصّار القصّاريّ والى العطّار العطّاريّ · وقيل ان الزاي مخففة نسبة الى غَزَالة وهي قرية من قرى طوس وهو خلاف المشهور ولكن هكذا قاله السمعاني في كتاب الأنساب والله اعلم ·

اما ما نسبه ابن خلكان للسمعاني فهو غير موجود في كتاب الأنساب المطبوع في ليدن سنة ١٩١٢ بل ليس فيه ذكر لهذه النسبة ·

ولكن قال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (ط · بركلاي ١٩٠٩—١٩١٢ ج٢ ص ٣٥٨) في حوادث سنة ٥٠٥ ان السمعاني ذكره في الذيل ولعل هذا الذيل هو ذيل تاريخ بغداد لابي بكر الخطيب ·

ونقل ابو الفداء في تاريخه في حوادث سنة ٥٠٥ ما ذكره ابن خلكان فيما يخص التشديد فقط ·

وذكر السيوطي في لُبّ اللباب (ط · ليدن ١٨٤٠ ص ١٨٦) القولين مع تضعيف التخفيف ·

وقال ابن الوردي في تاريخه في حوادث سنة ٥٠٥ وتخفيف الزاي وتشديدها من الغزالي مشهور وانشد [1] بيتًا فيه التخفيف :

(بدر تمّ اضحى بسيط غرامي فيه يروي عن طرفه الغَزَالي)

---

(١) قوله (وانشد بيتاً فيه التخفيف) راجعنا تاريخ ابن الوردي فوجدناه قد استشهد بهذا البيت من دون ان يصرح انه شاهد على التخفيف والظاهر انه شاهد على التشديد · (المجمع)

وقال اليافعي في روض الرياحين (ط . مصر ٣١٠ ص ٢٣٦) وفي مرآة الجنان (ط . حيدر اباد ١٣٣٨ ج ٣ ص ١٨٦) قصيدة في مدح الغزالي فيها هذا البيت .

(ابو حامد غزّال غزل مدقق من العلم لم يغزل كذاك بمغزل)

وقال الشيخ مرتضى في تاج العروس في مادة (غ ز ل) : وغزالة كسحابة قرية من قرى طوس قيل واليها ينسب ابوحامد كما صرح به النووي في التبيان وقال ابن الاثير : ان الغزالي مخففاً خلاف المشهور وصوّب فيه التشديد وهو منسوب الى الغزّال بائع الغزل او الغزّالي على عادة اهل خوارزم وجرجان كالقصّاري الى القصّار ، و بسط ذلك السبكي وابن خلكان وابن شهبة .

وقال محمد طاهر الفتني في المغني (دهلي ١٣٢٠ ص ٦٠) بعدما ضبط الغزالي بالتشديد وروي عن الغزالي انه انكرها وقال انما انا الغزَالي بخفة زاي نسبة الى غزالة قرية بطوس .

وحكى طاش كبري زاده في مفتاح السعادة (حيدراباد ١٣٢٩ ج ٢ ص١٩٢) ان والد الغزالي كان يغزل الصوف و يبيعه بدكان بطوس وروى ايضاً ان الغزالي حكي ان اباه كان فقيراً صالحاً لا يأكل الا من كسب يده في عمل غزل الصوف .

وبتلخص من هذه النقول ان التشديد هو المشهور الجاري على لسان العلماء قديماً وحديثاً وان التخفيف مبني على قول السمعاني في الذيل الذي ذيل به تاريخ الخطيب البغدادي لانه يُعرف له ذيل لكتابه في الانساب .

ومن جهة أخرى فاني راجعت معاجم البلدان المطبوعة في اوربا مثل معجم ياقوت وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري والمكتبة الجغرافية فلم أعثر على قرية اسمها غزالة كما ذكر السمعاني وانما الموجود فيها ان طوس مشتملة على بلدتين يقال لاحداهما نوقان وللاخرى طابران و بها مات ابو حامد ودُفن بظاهرها .

ومما يؤيد التشديد العصّاريّ نسبة الي العصّار قال السمعاني في كتاب الانساب المذكور (ورقة ٣٩٢ وجهاً) هذه النسبة الى العصارة وقد ذكرناه وقد جرت عادة عدة من البلاد ان ينتسب اهلها الى الحِرَف مثل خوارزم وجرجان وآمل طبرستان

وذكر هذه النسبة السيوطي في لب اللباب (ص١٨٠) وذكر ياقوت في معجم البلدان ابا محمد العباس بن محمد العصّاري الطوسي من أصحاب طابران ٠

واقتطفت من لب اللباب للسيوطي التبّاني نسبة الى بيع التبن والجوّازي الى بيع الجوز والجلاّبي الى جلب السلع والحدّادي الى الحديد كالحدّاد والحنّاطي كالحنّاط الى بيع الحنطة والخبّازي كالخبّاز الى الخبز والخفّافي كالخفّاف الى الخفاف والخيّاطي كالخيّاط الى خياطة الثياب والروّاسي كالروّاس الى بيع الرؤوس والصائغي كالصائغ الى الصياغة والمطرّزي كالمطرّز الى الطرازة ٠

الجزائر : محمد بن ابي شنب

عضو المجمع العلمي العربي

حول الكراس الشارد

كنت كتبت في مجلة المجمع (جزء ١١ من السنة الماضية) مقالاً في وصف كرّاس مخطوط ظفرت به في مكتبتي وسألت اهل العلم والفضل ان يذكروا لنا من امر المخطوط الذي شرد منه هذا الكراس ٠ ولقد كتبت ذلك المقال وانا على يقين ان الصديق احمد تيمور باشا سيكون اول من يحقق امر ذلك الكراس ويكشف عن نسبته الغموض والالتباس فكان ماقدرته وروّزته في نفسي صحيحاً فقد جاءني كتاب من العلاّمة المشار اليه قال فيه ما يلي :

الكراس الشارد الذي تكلم عنه في المجلة هو من رحلة كبيرة لاحمد الادهمي اسمها (تحفة الادب في الرحلة من دمياط الى الشام وحلب) عندنا منها نسخة تقع في ٤٧٩ صفحة منقولة من دار الكتب المصرية واول مافي كراسكم يقع في ص ١٠ منها ٠ وقد أورد المؤلف أبياتاً لوالده في ص ٧٠ ترجم لها بقوله : « ومايعجبني قول الوالد الهام في مدح طرابلس الشام » وكتب بعضهم على حاشية نسخة الاصل (اي والده صالح افندي الادهمي) ٠ وترون في سلك الدرر جزء ١ ص ١٦٩ ترجمة له جاء فيها انه احمد بن صالح بن منصور المعروف بالادهمي الحنفي الطرابلسي وانه نشأ بدمياط وتولى

الافتاء بها ثم نقابة الاشراف بمصر وتوفي سنة (١١٥٩ هـ) ولكن ليس بهـا ذكر هذه الرحلة • وقوله في ص ٤٨٣ من المجلة (فتوجهت الى العذبة) صوابه (العزبة) بالزاي وهي الضيعة او القرية بلغة عوام مصر ولم تزل هذه القرية باقية الى الآن على الشاطئ الشرقي للنيل شمالي دمياط وتسمى بعزبة البرج • والبكري الذي ذكره يغلب على الظن انه احد أفراد أسرة البكري الباقية الى اليوم بدمياط • واذا شئتم الاطلاع على الرحلة لكتابة شيء عنها أرسل بها اليكم في البريد • اهـ المراد من كتاب العلامة وهو آية عظمى على فضله وولوعه بخدمة العلم ونشر أسفاره • والنبش عن كنوزه وآثاره • اما تصويبه (للعذبة) (بالعزبة) فصحيح ولكننا نحن أبقينا الكراس على أخطائه وأشرنا لذلك في اول هامشة علقناها عليه • وقوله : « ان (البكري) الذي ذكره صاحب الكراس يغلب على الظن انه احد أفراد أسرة البكري الباقية الى اليوم في دمياط » فيه نظر لانه لم يقل (البكري) وانما قال (الحاج بكري فتح الله) وهذا يدل على ان (بكري) اسمه لا اسم أسرته وان اسم أسرته (فتح الله) وربما كانت هي أسرة فتح الله المشهورة في بيروت الى اليوم • واما أسرة الادهمي المذكورة فمازالت من أسر طرابلس المشهورة بعراقة النسب ونعرف منها اشخاصاً مارسوا الادب والشعر أشهرهم السيد اسحق الادهمي وهو شاعر مشهور له ديوان شعر مخطوط وله قصائد في مدح الامير عبدالقادر الجزائري ولم يخلف سوى ولد ذكر لا نعلم ان كان حياً او لا وقد توفي السيد اسحق في أوائل هذا القرن الهجري •

المغربي

مطبوعات حديثة

المرأة في شرع الاسلام

« للسيد عبد الله اليافي — الدكتور في الحقوق »

Condition pxivée de la femme dans le Droit de l'Islam

رأى فريق من فتيان هذه الامة النابهين ممن قصدوا الى الغرب في طلب العلم، ان من مصلحة الوطن ، وحق الامة عليهم ، تعريف قومهم الى الغربيين تعريفاً صحيحاً كي لا يظل بعض هؤلاء على رأيهم الفاسد في هذه الامة العربية . فجدّوا في وضع أطروحاتهم لنيل العالمية ، عن المسائل العربية . تنويراً للاذهان الغربية في الشؤون الاسلامية الشرقية . فجاءت رسائلهم غربية اللفظ ، عربية الروح .

وفي جملة من قصد هذا القصد ، السيد عبد الله اليافي . فلقد جعل موضوع أطروحته « مكانة المرأة في شرع الاسلام » . والمرأة العربية — ولا سيما من حيث حقوقها — هي أحوج ماتكون الى التعريف . لذلك احسن الدكتور اليافي الى أمته برسالته هذه ، إحساناً لا يفيه بعض حقه ، الا ان يشار الى الموضوعات الممتعة التي عالجها فيها .

قسم السيد اليافي أطروحته الى : مقدمة . وثلاثة ابواب . وخاتمة .

فتناول في المقدمة العهد الجاهلي . فوصف شيئاً من عادات العرب واديانهم وطباعهم . وحالة المرأة في ذلك العهد . واما في الباب الاول فقد بحث عن المرأة في العهد الاسلامي ، ورد مزاعم الغربيين الذين ينعون على محمد (ص) معاملته للمرأة . واثبت انه ليس في المتقدمين من المشترعين من عطف على المرأة عطفه . وعاملها بالرحمة والعدل مثله . ذلك على الرغم مما كان يعترض احكامه هذه من قسوة العرب ومستحكم عاداتهم . وذكر في فصول هذا الباب عمل المرأة من حيث هي أم ، وما اوجبه لها الشرع الاسلامي من الحرمة والمكانة . وان الاسلام اذا كان رغب للمرأة ان تكون قيمة منزلها ، وفضّل لها الاشتغال بتدبير المنزل ، فليس في شيء مما جاء به ما يدل على

انه حرم عليها الاتجار والعناية بالشؤون الاجتماعية ، بل السياسية . وهو اذا لم يكن جعلها ربة المنزل ، فلقد جعلها فيه مساوية للرجل .

ثم انه سرد جملة من الأحاديث التي تدل على قيمة المرأة في الاسلام وعلى معاشرة الرسول لنسائه بالإحسان ، ومعاملته لهن بالمعروف . واشار الى الاسباب الاجتماعية التي ابقت في الاسلام شيئًا من الفرق بين الرجل والمرأة . على انهما امام الله والقضاء سيان . واتى بادلة بينة على ان حقوق المرأة هي في كثير من القوانين الغربية ، دونها في الشريعة الاسلامية . وان المرأة في الاسلام قد تولت الملك والحكم . على حين لم تتمتع في بلجيكا وايطاليا واسوج ونروج وفي فرنسا — الى اواخر ايام الملكية فيها — بشيء من هذا الحق . قال : واذا كانت المرأة قد ضُربت في الاسلام ، فقد ضُربت ظلماً وعدواناً ، لا بحق شرعي اقرته القوانين ، كما كانت الحالة في الغرب ، والى هذا اليوم في البورتغال . ثم تكلم عن حق المرأة في النفقة والمسكن وما اليها . وعن حقوقها في عقد العقود مستقلة عن الرجل . وعلل الاسباب لنقصان حظها في الارث والشهادة تعليلاً مقبولاً ، مستشهداً في ذلك كله بادلة نقلية وعقلية . مثبتاً ان حظ المرأة الغربية من قوانينها ، لم تكن بافضل من حظ نسائنا شهادة وإرثاً .

وفي الباب الثاني : وعنوانه (الحقوق الموضوعة) فصل شيئًا من مسائل الزواج والوجهة الاجتماعية الاسلامية فيه . وشرائطه الشرعية . وتعدد الزوجات ، واسبابه وفوائده ومضاره . وجاء بما ينفي ان تكون الشريعة اجازت لابوي البنت ان يزوجاها كيفما ارادا . ثم عقد فصلاً للحجاب . وقال انه اثر من آثار الروم والفرس ، اكثر منه عادات عربية موروثة . واشار الى مالاقته المرأة من التضييق في كل أمة من أمم الغرب . ثم نوّه بالامتيازات التي منحتها الشريعة للمرأة : كالحضانة ، والمهر ، وان هذا لا يراد به شراء المرأة بالمال كما يتوهم بعضهم ، بل هو تلطيف لعادة قديمة ، ومعاونة للمرأة على قضاء حاجاتها وسداد عوزها .

ثم اجمل في الخاتمة ما كان بسطه في الفصول السابقة . والذي يزيد في قيمة هذا الكتاب ان مؤلفه مضى فيه بروح مشبعة من الاعتدال ، فكتب ما كتب ورائده الحقيقة ، يمليها عليه عقله وعلمه ، لا نزعته وحسه .

واري قبل ان أُنهي هذه الكلمة ان ألفت نظر السيد اليافي الى ان بعض العبارات ترجمت ترجمة لا تخلو من شيء من التوسع ٠

من ذلك مااستشهد به من قول صفية للرسول « تتحدث مع ابنة اليهودي في يومي وانت رسول الله » — وهذا قول لم تقله صفية بل قالته لها ام سلمة — وقد جاء في الترجمة « وانت تزعم انك رسول الله » ولا ادري من اين جاءت «تزعم» هذه ٠ فلا ظاهر العبارة المترجمة يدل عليها ٠ ولا ما في نفس ام سلمة وهي زوجه المؤمنة ينمّ بها ٠ ومثل ذلك « ان دين الله الاسلام » بدلاً من « ان الدين عند الله الاسلام » وبين العبارتين فرق ٠

وشيء آخر نخالف الصديق فيه ، وهو ماذكره في سياق كلامه عن المعاملة الحسنة التي ارادها الرسول للمرأة : مساواة بالرجل احياناً ، وتفضيلها عليه حيناً ٠ فلقد قال : « ومع ذلك كله لم يُنفَّس عن المرأة ٠ والسبب في ذلك ان الرسول كان في الاصلاحات الاجتماعية يلجأ الى الدين ، ويعتقده عاملاً كافياً لتحول جوهري في الاخلاق » الى ان يقول : « وليس — في الوعد والوعيد بالثواب في الآخرة والعقاب — غناء عن القصاص العاجل ٠ ولا سيما في قوم عصاة كانوا كالعرب ٠ ولكن النبي لم يأخذ بهذا ، ورأى في العقوبة الدينية الكفاية » ولست ادري كيف رأى السيد عبدالله هذا الرأي ، وهو يعلم جد العلم ان الشرع الذي جاء به صاحب الرسالة كان شديداً في الحق ، صارماً في العقاب ٠ ردعاً لتلك الامة عن روح الاجرام والعصيان ٠ ولم يُنظر النبي العربي الى الآخرة جرماً يجب ان يُعاقب به في هذه الدنيا ٠ اما الوعد بالآخرة ترغيباً في حرمة الام ، وإحسان ادب البنت ، واسباغ النعمة عليها ، مما استشهد به المؤلف ٠ فتلك اقرب الى النوافل التي تدخل في الحقوق الطبيعية ٠ ولا عقوبة على من لا يفعلها حتى اليوم ٠ فكأن محمداً (ص) اتخذ لها من الآخرة شبه قوة منفذة ٠

اما ان المرأة لم ينفَّس عنها التنفيس الذي اراده لها صاحب الرسالة كله ٠ فذاك لا يعود الى نقص في الشرع ، ولا الى خطإ في ترتيب العقوبة ، ولكنه يرجع الى قوة في الرجل وضعف في المرأة ٠ والصديق أعزه الله يعلم ما تفعل القوة والضعف بالامم فكيف بالنساء ؟ ٠

عارف النكدي

من اعضاء المجمع العلمي

مصنفات الامير عمر طوسون

تفضل صاحب السمو الامير عمر طوسون واهدى المجمع العلمي خمس مجلدات من تأليفه ، في النيل وتاريخه ، وفي مالية مصر منذ عهد الفراعنة الى ايامنا هذه ، وفي جغرافية مصر على عهد العرب كتبها بالفرنسية على احدث اصول في التأليف وجود موضوعاتها وشفعها بصورات وخطط بديعة دلت على علو كعبه في العلم وشدة شغفه بالبحث وقدمها الى المجمع المصري فنشرت تحت رعاية صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر المعظم . وقد كنا رجونا العلامة الاستاذ احمد زكي باشا احد اعضاء مجمعنا العلمي ان يتفضل بالكتابة على هذه الاجزاء كتابة علمية ليستفيد منها القراء علماً منا بان ابن النيل أحق الناس بالكلام على نيله المبارك وعلى عمران قطره المحبوب ، وعساه يفعل و يبرّ بوعده . ولا يسعنا هنا الا شكر الامير المؤلف على هديته وأفضاله على الآداب . فقد اشتهر بالامس الامير باحسانه وصدقاته ، واليوم يعرف باحسانه في العلم والتأليف . أقر الله به عين الامة العربية . وهذه اسماء هذه التآليف الممتعة بالافرنسية .

(١) Memoire sur les anciennes branches du Nil (époques ancienne et arabe)

(٢) Memoire sur les Finances de l' Egypte (depuis les pharaons jusqu'à nos jours)

(٣) Memoire sur l' Histoire du Nil, « 2 Vol. »

(٤) La Géographie de l' Egypte à l'époque Arabe « T.I »

م . ك

النشر في القرآآت العشر

عني المتقدمون من علماء الاسلام بالاختصاص فبلغ كل منهم شأواً عظيماً فيما اختص به ، وممن حفظ لهم التاريخ بين طياته صفحة بيضاء لحياتهم الطيبة (الامام

الحافظ ابو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري) المتوفي سنة ٨٣٣ تخصص المذكور في علمي التجويد والقراآت فحاز قصب السبق فيهما حتى شهد له بذلك علماء عصره ومن اتى بعدهم — رغماً عما يوجد بين المعاصرين من الحسد — قال الحافظ ابن حجر : انتهت اليه رياسة علم القراآت في الممالك ، وقال الحافظ السخاوي : فنه الذي مهر فيه القراآت ، وقال العمادي في الشذرات عنه : مقرئ الممالك الاسلامية — وفي موضع آخر — الامام الاعظم ، ولقبه الحافظ السيوطي في اتقانه بامام القراء ، وحافظ القراء ، وفي الشقائق النعمانية : ان تيمور أولم وليمة عظيمة وعين جانب يساره للامراء وجانب يمينه للعلماء وقدم في ذلك المجلس الشيخ الجزري على السيد شريف الجرجاني .

بلغ المترجم من إتقانه لهذين العلمين ان ألف فيهما وفي غيرهما كتباً قيمة بقيت أثراً خالداً بعد وفاته . حتى قال الحافظ السخاوي عنه ، وكذلك نظم الهداية في أئمة العشرة وسماه الدرة وله ثمان عشرة سنة وربما حفظها او بعضها بعض شيوخه . واذا كان بعض شيوخه يحفظ ما نظمه وهو لم يتم العقد الثاني من عمره فما ذا نقول عن كتابه : (النشر في القراآت العشر) الذي الفه وهو في العقد الثامن من عمره ؟ .

لقد أحسن — أجزل الله مثوبته — الى فن القراآت في كتابه هذا كل الاحسان . وما ذا اقول عن كتاب كفانا مؤنة المراجعة في نحو سبعين كتاباً لجمع مسائلها وفرائدها فيه . ويكفي تقريظ الحافظ ابن حجر له : بانه جوده . ولم يشأ رحمة الله الا ان يجعل كتاباً عاماً ينتفع به المقرئ وغيره فضمنه مسائل علم التجويد وقواعده ، واتى بنحو مئتي ترجمة لمشاهير المقرئين حتى لو جردناها لأصبحت كتاباً جامعاً وهذا عدا ماذكره من المسائل الاصولية والفقهية والتاريخية مما لا يسمح لنا المقام بشرحها . واليك كلمة للمؤلف يصف كتابه هذا : وجمعتها في كتاب يرجع اليه ، وسفر يعتمد عليه غير ما فيه من فوائد لا تحصى ولا تحصر ، وفرائد دخرت له فلم تكن في غيره تذكر ، فهو في الحقيقة نشر العشر ، ومن زعم ان هذا العلم قد مات قيل له حي بالنشر .

هـذا ما أملاه المقرئ الحجة الشيخ محمد القطب من قراء دمشق المشهورين وقد ظل هذا الكتاب على جلالة قدره نادراً لا ينتفع به الا أفراد قلائل لندرة نسخه المخطوطة حتى قام الاستاذ الشيخ محمد احمد دهمان من قراء دمشق وصححه على اصول معتبرة

وطبعه (في مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٥ والجزء الاول منه في ٥٠٤ صفحات) وقد عني بمعارضته والتعليق عليه وقدم له مقدمة تبين الغرض من نشره وترجم لمؤلفه الامام المشهور في هذا الفن فشكره كل من يهتمون لعلوم الكتاب العزيز . ولا غرو فانه من الاسفار التي تتشرف بها الخزائن ويتنافس في اقتنائه المتنافسون . جزاه الله عن هذا العلم الجزيل الفائدة خير جزاء .

م . ك

ارشاد الاريب الى معرفة الاديب

المعروف بمعجم الادباء اوطبقات الادباء لياقوت الرومي . نشره وصححه السيد (د . س مرجليوث) الجزء السابع بمطبعة هندية بالموسكي بمصر ١٩٢٥ ص ٣٦٦

أتم رصيفنا الاستاذ مرجليوث ماعثر عليه من هذا الكتاب النفيس في خزائن الكتب المعروفة في العالم ، فبقي فيه نقص وهو حروف الخاء والدال والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء . وتمت بقية حروف المعجم فانتهى الجزآن الاول والثاني والقسم الاول من الجزء الثالث بالحسن بن ميمون . ونقص من الاجزاء القسم الثاني من الجزء الثالث والجزء الرابع برمته . اما الجزء الخامس فكله في حرف العين وفي السادس تكملة حرف العين وانتهى بمحمد بن الحسن والسابع هذا انتهى بحرف الياء ، ولعل الزمان يظفر الاستاذ الناشر ببقية الحروف فيكمل بها هذا الكتاب الممتع الذي كشف لنا في الرجال عن طبقة مهمة ليس لها ما يعرفها فيما لدينا من كتب التراجم المطبوعة الا قليلاً . وان فضل الناشر لايقل كثيراً عن فضل المؤلف فان من عانى مثل هذه الموضوعات بالنشر في هذا العصر وليس لديه نسخ متعددة مقروءة على الثقات يعرف مقدار الجهد الذي بذله الاستاذ محيي الكتاب ، نخدم بذلك الادب العربي كما خدم في القرن الماضي الاستاذ وستنفيلد الجغرافيا والتاريخ بنشره كتاب معجم البلدان لياقوت ايضاً . و بهذين الكتابين « معجم الادباء » و « معجم البلدان » وبكتابه « المشترك وضعاً والمفترق صقعاً » عرفنا ايضاً مبلغ المؤلف رحمه الله من العلم الناضج وما طالع من الكتب و كيف رحل في بلاد الاسلام لعهده اواخر المئة السادسة

الى ثلث المئة السابعة رحلات زادت فوائد كتبه ومادته العلميـة . وما نظن الاجادة تكتب لعالم من علماء العصر اكثر من ذلك على تيسر اسباب التـأليف والتنقل اليوم لذلك ما زال ياقوت الرومي الحموي موضع إعجاب علماء المشرقيـات من الغربيين ، وبفضلهم ظهر فضله لامته ولغيرها ، وبفضل كتبه عرفنا طرفاً صالحاً من مدنية قومنا واجتماعهم وأصقاعهم ومجالسهم ومراميهم وأخلاقهم . وقد حوى هـذا الجزء الأخير ٢٠٧ تراجم ليست في طولها على مثال ماورد للمشهورين من نوعها في الاجزاء السالفة .

ومن المشاهير التي وردت تراجمهم فيه ابن الاعرابي (محمدبن زياد) وابن السراج البغدادي (محمدبن السري) والجمحي (محمدبن سلام) وابن زهر (محمدبن عبدالملك) وغلام ثعلب (محمدبن عبدالواحد) وابن النعاويذي (محمدبن عبيدالله) والهروي (محمد ابن علي) والمرزباني (محمدبن عمران) وابن القوطية (محمدبن عمر) والواقدي (محمد بن واقد) والحافظ الحميدي (محمد بن فتوح) وابو العيناء (محمد بن القاسم) وابو بكر بن الانباري (محمدبن القاسم) وابن لنكك (محمدبن محمد) والعماد الكاتب (محمد بن محمد) والوطواط (محمد بن محمد) وابن شرف القيرواني (محمد بن ابي سعيد) وابن ظفر الصقلي (محمد بن ابي محمد) ومحب الدين محمود النجار وقطرب وابن القيسراني الحلبي وابن عنين الدمشقي وابن هاني الاندلسي وابن ولاد وابوعبدالله المرسي الخطيب المصقع والثمالي الأزدي البصري (محمدبن يزيد) وابوالقاسم الزمخشري والمعافا بن زكريا النهرواني وابوعبيدة معمر ابن المثنى والمفضل بن سلمة والمفضل الضبي ومكي بن ابي طالب ومنذر بن سعيد البلوطي الخطيب المصقع ومؤرج بن عمرو البصري والجواليقي والمطرزي ونشوان الحميري ونصر بن عاصم الليثي وابوعبدالله الشيرازي خطيب شيراز ونصيب بن رباح والنضر بن شميل وواصل بن عطاء والبحتري ووهب بن منبه وابن سناالملك والبديع الاسطرلابي (هبةالله بن الحسين) وامين الدولة بن التلميذ وابن الشجري وابن الكلبي وهلال الصابي حفيد ابي اسحق والفرزدق (همام بن غالب) والهيثم بن عدي والشهاب السهروردي (يحيى بن حبش) و يحيى بن خالد ابن برمك و يحيى بن زياد ويحيى بن بقي الاندلسي والخطيب التبريزي (يحيى بن علي) واليزيدي (يحيى بن المبارك) وابن طباطبا العلوي (يحيى بن محمد) وابن ماري المسيحي وابن السكيت (يعقوب بن اسحق) والسكاكي وابو الحجاج الشنتمري المعروف بالاعلم النحوي و يونس بن

حبيب الضبي وغيرهم . وقد شفع الناشر كتابه بفهرس لاعلام هذا الجزء واسماء الكتب الواردة فيه . فنهنئه بهــذه التحفة التي أتحف بها العلم العربي ، ونشكر له همته وكثرة تحقيقه ، ونستمطر الرحمة على جيب المستشرق الانكليزي الذي وقف اهله مبلغاً من المال لإحياء كتب العرب والفرس والترك فطبع منها حتى الآن ٣٩ كتاباً معظمها من الامهات واكثر من ثلاثة أرباعها من كتب العرب . وأنعم واكرم بكل من خدم لغتنا وآدابنا .

محمد كرد علي

مبادئ الفلسفة

تأليف (أ . س . رابو پرت) ونقله من الانكليزية السيد احمد امين

طبعة ثانية بمطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٢٢ ص ٢٢١

هذا الكتاب الصغير الجرم العظيم الخطر فيه خلاصة المنــازع الفلسفية على ما يعرفها الغربيون ، واذ قد أغفل المؤلف الاصلي التعرض لفلسفة العرب حشي الناقل كتابه بجملة صالحة في الفلسفة عند العرب ونشأتها . وقد تخير في الترجمة كرائم الالفاظ وأجمل التعابير ، والموضوع شاق صعب . فقرب المعاني من الاذهان ولم يخرج عن مصطلح العرب في الحكمة ، ووضع بعض الفاظ للاعراب عن الفاظ من مصطلح الفلسفة الحديثة ، وترجم للفلاسفة الذين ورد ذكرهم تراجم موجزة فعرفهم الى القارئ العربي ، فاستحق المترجم شكر الآداب على هذه العناية وهذا الفضل .

م . ك

مؤتمر الآثار الدولي

« في سورية وفلسطين ١٩٢٦ »

G. Contenau : Le Congrès international d'archéologie de Syrie-Palestine, avril 1926

هذه رسالة ذكر فيها الاستاذ كونتو أعمال المؤتمر الأثري في الشام خلال شهر نيسان من السنة الفائتة وما قيل في بيروت والقدس من الخطب مما ألقاه الاعضــاء

او رئيس الوفد الفرنسي الاستاذ دوسو وما لقيه اعضاء المؤتمر من حفاوة الحكومتين المنتدبتين في سورية وفلسطين ومن بعض أعيانها . وكذلك ما شاهدوه من العناية في المدن الاثرية التي زاروها مثل تدمر وبعلبك وجرش وعمان ووادي موسى وار يحا وحصن الاكراد وحبرون والناصرة وطبرية وسبسطية محلى ذلك بصور الاماكن التي تجري الحفريات فيها مثل جبيل وتدمر والسامرة وكفرناحوم وجرش وغيرها ، وفيه ثناء على مديري الآثار في المفوضية العليا في بيروت المسيو فيرولو ومدير الآثار في فلسطين والشرق العربي لما يبذلانه من الاهتمام بالعاديات وإخراجها . وقد جاء في هذا البيان ان مندوب الجزائر دعا المؤتمرين لما نقوض مجلسهم الاخير الى عقد اجتماعهم القادم في سنة ١٩٣٠ في مدينة الجزائر وهي السنة التي يتم بها قرن كامل لافتتاح فرنسا مدينة الجزائر . وقال ان تدمر الآن على خمس ساعات في السيارة من حمص وان بلاد الشام اذا صرفت العناية بفنادقها تصبح مقصد السياح من اهل الارض الخ .

م . ك

جامع التصانيف الجديدة

لجامعه ومرتبه السيد يوسف اليان سركيس الدمشقي طبع بالمطبعة العربية بمصر لصاحبها السيد خيرالدين الزركلي ١٣٤٥ — ١٩٢٧ ص ١٦٣

هذا كتاب في الاسفار والرسائل التي نشرت باللغة العربية في ست سنين في الغرب والشرق رتبها الاديب جامعها بحسب الفنون فكانت ١٢٠٧ كتب يخرج منها ما لا بال له من الروايات . وقد اعتمد المؤلف في ذكر بعض هذه الكتب على ما قرأه عنها في المجلات ولعله في الطبعة القادمة يدقق في الكتب التي وضعها في فن وهي ليست منه ويبحث عما فاته من المطبوعات ومنها المفيد جداً . وأجمل ما في هذا الكتاب فهرس أسماء جميع المصنفين على حروف المعجم يسهل معه الاهتداء الى مصنفاتهم على أيسر وجه . وهذه فكرة جديدة جميلة فيها دعوة الى التعريف بالكتب المطبوعة واقتصاد في وقت الباحثين في المؤلفات والمؤلفين فنشكر اباعذرها ونأمل ان تكون طبعته من قابل أنفع وأمتع .

م . ك

عقلاء المجانين

للعلامة ابي القاسم الحسن النيسابوري نشره وعلق حواشيه السيد وجيه فارس الكيلاني بدمشق والكتاب في ١٦١ صفحة

لم يكد ينتشر كتاب (الحمقى والمغفلين) في أيدي الناس حتى تذكر فضلاء دمشق الكتاب الآخر المسمى (عقلاء المجانين) للنيسابوري اذ ان الكتابين وضعا على غرار واحد وهما لمؤلفين واعظين كبيرين : ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . والنيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦ هـ . وكان الفاضل السيد وجيه فارس الكيلاني شرع منذ حين بنشر كتاب (عقلاء المجانين) لكنه لم يوفق الى إنجاز طبعه الا في هذه الآونة فطبعه طبعاً حسناً وعلق عليه بعض الحواشي . والغرض من وضع الكتاب الاول أعني (الحمقى والمغفلين) الذي الفه ابن الجوزي هو ان نتعظ بحماقاتهم فلا نحذو حذوها ولا نتورط في مثلها كما ان الغرض من الثاني (عقلاء المجانين) هو ان نتعظ بحكمة المجانين التي تصدر عنهم أحياناً مما قد يندر صدور مثله من العقلاء : فان سماعنا كلمات الحكمة من المجانين له هزة في النفس وارتياح يحمل على الانتفاع بماقالوه ووعظوا به . وهذا كتأثير المواعظ والأمثال التي تقال على ألسنة الطيور والحيوانات . فما جاء في كتاب (عقلاء المجانين) ماروي عن بعضهم انه قال لمجنون لم أر مجنوناً أعقل منك قال : الجنون ما انت فيه : تأكل رزق الله وتطيع عدوه (يعني ابليس) . وقال الحسن بن علي بن جعفر الخياط بالكوفة سمعت ابي يقول : رأيت مجنوناً في سوق دمشق وهو يقول :

(يا غافلاً مقبلاً على امله وجاهلاً والقصور في عمله)
(كم نظرة لامرئٍ يُسرّ بها لعلها منه منتهى أجله)

واتفق لكاتب هذه السطور امس انني صادفت في سوق دمشق رجلاً من ابناء اعيان الشام . وعهدي به انه يجُنّ ويفيق – فسلم عليّ وسلمت عليه وسألته عن حاله وقلت له : اني لم أرك من مدة فأين كنت ؟ قال : في مكة ! وكشف جبته فاذا تحت إبطه رسائل ظننتها دلائل الخيرات اونحوها . وقال: انه كان يشتغل بامثال هذا في مكة . مشيراً الى الكتاب ثم فارقته وسألت بعض من يعرفه عن أمره فضحك وقال: ان الرجل كان في

البيمارستان طول هذه المدة . فقضيت عجباً من هذا وقلت : ان هذه النكتة ينبغي ان تسطر في كتاب (عقلاء المجانين) . اذ ربما كان مراده من وجوده في مكة ان الإقامة في البيمارستان تطهّر المجانين من لوث الجنون . كما ان مكة المكرمة تطهّر المذنبين من من لوث الذنوب . و بالجملة فان كتاب (عقلاء المجانين) مما يحسن بكل عاقل ان يقرأه و يشكر لمن طبعه ونشره .

المغربي

عدة الاديب

وضعه وشرح ألفاظه اللغوية السيدان سليم الجندي ومحمد الداودي جزآن طبع الاول في مطبعة الترقي بدمشق ١٩٢٦ ص٨٤ والثاني ايضاً في مطبعة الترقي في ٨٨ ص سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٦

هذا كتاب في مبادئ الادب اختار لها الاستاذان واضعا هذا السفر جملة صالحة مما تخيراه من الكلام المنظوم والمنثور او تخيره العلماء الذين شيدوا بنيان الادب مما حاكته قرائح الشعراء والخطباء والحكماء واصحاب المقامات والمقالات على اختلاف موضوعاتها وقد شرحاه شرحاً مستوفيً يقرب متناولها من اذهان الطالبين الذين يرغبون في ان يشدوا شيئاً من أدب العرب وجملا الحظ الاوفر للشعر القديم ، فدلّ على حسن ذوق في الاختيار ومعرفة بجمل المقول على تدبر كلام البلغاء وعسى ان يوفق الاستاذان المحققان الى انجاز هذه السلسلة التي تغني طلاب الادب عن المطولات وتتدرج بهم في مراقي الكلام .

م . ك

كتاب الاخلاق

تأليف أستاذ علم الأخلاق بمدرسة القضاء الشرعي سابقاً ، والقاضي بالمحاكم الشرعية في مصر ، السيد احمدامين ، طبعته دارالكتب المصرية على نفقة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة طبعة ثالثة أكمل من سابقتيها وأوسع وقعت في ثلاثمائة صفحة ونيف ، فيه كفاية لمن اقتصر عليه وإعداد لطالب التبحر في علوم الأخلاق

والنفس والاجتماع ، قد أحسن مؤلفه في اختيار أهم المباحث الأخلاقية وانتقى له أفضل الشواهد ، أخذاً من زهاء ثلاثين كتاباً من الكتب الاسلامية واليونانية والانكليزية ، بعبارة فصيحة صحيحة وطبع متقن ، الا هنات لا خطر لها .

هذا الكتاب وأمثاله من المؤلفات الحديثة في الأخلاق ، مما يجب ان لا تكون قراءته مقتصرة على تلامذة المدارس ، بل يجدر بكل قارئ ان يقرأها بامعان ، فان فيها إرشاداً لمحاسن الأخلاق التي عليها مدار السعادة في الدنيا والآخرة ، فللمؤلف واللجنة الناشرة الشكر على هذه الطرفة النفيسة .

من اعضاء المجمع العلمي
مسعود الكواكبي

الكشاف

هي مجلة بديعة صدرت في بيروت جاءنا العدد الاول منها وقد جعلت شعارها العمل على خدمة الإصلاح الإجتماعي عن طريق التربية والتهذيب . وحوت هذه الصحيفة مقالات جميلة منقحة للاساتذة ، صاحبها الرئيس الاستاذ السيد محيي الدين النصولي ومقالة لشيخ الكشافة ومؤسسها السر روبرت بادن باول وثالثة للاستاذ السيد عبد الباسط فتح الله ورابعة في تأليف الكشافة وخامسة في الفلك اسمها نظرة الى السماء للاستاذ منصور جرداق وسادسة في حياة بيروت وتحولاتها للاستاذ السيد عبد القادر القباني وخطب للاساتذة السادة عمر فاخوري وعبد الله اليافي ومصطفى فروخ في التصوير وما اليه الى غير ذلك من الفوائد والاخبار العلمية التي تهم الكشافة وغيرهم وقد زينت بعض صفحاتها بصور جميلة . فنحث الادباء على اقتناء هذه المجلة ومناصرتها خدمة للآداب .

م . ك

الآثار

هي مجلة عامة كان أصدرها فيمدينة زحلة العلامة السيد عيسى اسكندر المعلوف احد اعضاء المجمع العلمي ثلاث سنين قبل الحرب ، فكانت من عوامل النهضة السورية

ودعامة من دعائم البحث . وها قد عاد الآن الى نشرها في تلك المدينة فسررنا بعودتها الى خدمتها النافعة للآداب . وليس صديقنا منشئ هذه المجلة بالذي يحتاج الى تعريف . فان قراءنا يعرفونه حق المعرفة وعلماء الامة يقدرون جهاده في التاريخ والادب والأبحاث العلمية التي عالجها فيما كتب ونشر ، ولذلك كانت عودة مجلته الى الصدور مما تبتهج له القلوب وتثلج له الصدور . م . ك

كتب ورسائل مختلفة

(١) المختصر في ترغيب وترهيب حديث سيد البشر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغرر للاستاذ الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي (ص ٦٣) من القطع الكبير . ومعه اللطائف البهية في شرح الاربعين الحديث السيلقية (ص٤٤) . والبدر المزيل للحزن في فضائل اليمن ومحاسن صنعاء ذات المنن (ص٣٢) تطلب في مصر من المطبعة السلفية ومكتبتها .

(٢) تفسير سورة الفاتحة وحل مشكلاتها القرآنية للاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري طبع بمطبعة السيد مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر (ص ٦٤) .

(٣) فهرست مكتبة السيد مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر عن سنة ١٣٤٥ (١٩٢٧)

(٤) رواية رفائيل خزامي في آداب المعاشرة بقلم المطران جرمانوس معقد بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ص ١٠٨

(٥) دقائق تاريخية للكرسي الملكي الانطاكي — البطريرك مكسيموس الثالث مظلوم سنوه الاخيرة (١٨٤٨ — ١٨٥٥) بقلم ابن اخيه الشماس توما مظلوم بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ص ١١٠

(٦) النفس الحائرة رواية اجتماعية خلقية غرامية بقلم الاستاذ فريد حبيش عني بنشرها الاستاذ السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر .

(٧) بول دي سويف الفاجرة . ترجمها الاستاذ توفيق عبد الله نشرها السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر .

الجزء ٦ المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : حزيران سنة ١٩٢٧ م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٥ هـ ٧٨

محاضرة

في الكرم وتأثيره في عالم الاجتماع

ايها السادة : لقد أسمعكم هذا المنبر منذ عامين محاضرات جمة . وخطباً عديدة في الأدب واللغة وانواع شتى من العلوم والفنون . فلاق بي الآن ان انتقل بكم في محاضرتي هذه الى موضوع أخلاقي عمراني . هو مزية من مزاياكم . ومكرمة من مكارم أسلافكم . له عظيم تأثير في حالة الاجتماع الانساني شرقاً وغرباً . بدواً وحضراً . الا وهو الكرم . وفي يقيني انكم تجدون فيه لذةً وفكاهةً . وارتياحاً وعبرةً . فأقول :

(الأغنياء يعظمون لانهم أقوى على الإمداد والإحسان)
(فاذا تباخلَ ذو غنىً أضحى الفـ ـقير أجلَّ نفعاً منه للعمران)
(فعلامَ يُكرمُ منعم ذو ثروة لم يُجد خيراً عالم الانسان)
(وإلام يُزرى بائسٌ ذو حرفةٍ يشقى لينعم ذو الغنى المتواني)
(سبحان ربي كم نرى في ذا الورى حيفاً وظلماً واضح البرهان)

الكرم ، والجود ، والسخاء ، والحباء ، والسماحة ، والعرف ، والمعروف ، والعرفان ، والنوال ، والنائل ، والرِفد ، والإحسان ، والبذل ، والجَدى ، والنَدى ، والمنح ،

(١) للاستاذ الشاعر الناثر سليم بك عنحوري احد اعضاء المجمع تليت في ردهة المجمع العلمي العربي في ٧ ايلول سنة ١٩٢٣ .

والنفح ، والسيب ، والنفل ، والهبة ، والصلة ، والهدية . كلمات مترادفة تدل مع بعض الفوارق على معنىً واحد . يراد به العطاء نبلاً وأريحية . او عطفاً وشفقة . او إغاثة ومعونة بلا مقابل مادي . او موجب ديني او قضائي .

فالكرم إذن بمقتضى هذا التحديد والتعريف لا يكون اداء لدين اوسابق حق . ولا وفاء لزكاة او نذر . ولا جزاء لعقوبة . او ضماناً لغرامة . او صلحاً عن خصومة . او قياماً بما يلزم المرء عيالته من اليتامى والاقربين . فان هذه المعدودات وأشباهها انما هي من قبيل ايفاء الحقوق وابراء الذمم والنهوض بالفروض والواجب فلا تحسب من الكرم في شيء كما تعلمون .

والكرم نوعان اما خاص واما عام . فالخاص ما شمل شخصاً او أسرة او جماعة في حال من الاحوال . فيكون نفعه موقتاً ومحصوراً بالمحسن اليهم دون سواهم . والعام ما يبذل في سبيل خيريّ او عليّ . بحيث ينفع قوماً بجماعتهم او أمة بأسرها أمداً مديداً . وكلاهما مفيد ولازم للجامعة الانسانية . وان كان الثاني أنفع وأبقى وأعم وأتم .

ولا فرق من حيث النتيجة بين ان يكون العطاء عفواً قبل الطلب . او تلبية للسائل بعد الطلب . وان كان الاول منها أوضح دلالة . وانصع برهاناً على علو كعب الكريم الجواد واتساع مروءته . ونزاهة غايته .

قال الحسن رضي الله عنه : المعروف ما كان ابتداء من غير مسألة . فمن تعطيه بعد المسألة انما يأخذ بما بذل لك من ماء وجهه .

وكان قد دخل على أسامة بن زيد وهو يجود بنفسه فرآه يتأوه لدَين عليه : ستين الف درهم لا يجد له قضاء فحملها عنه قبل السؤال ومضى .

والى فضل هذا النوع من العطاء أشار يزيد بن محمد المهلبيُّ مادحاً الوزير سليمان بن وهب :

(وكم ملحف قد نال ما رام منكم وتمنعنا من مثل ذاك التجملُ)
(وعوّدتمونا قبل ان نسأل الغنى ولا بذل للمعروف والوجه يُبذل)

وشر العطاء ما جاء بعد وعدٍ ومطل . وتسويفٍ وتأجيل . ولذلك قيل : « خير البر عاجله » .

مدح بشار بن برد احد الامراء فوعده بجائزة ثم مطله زماناً ، ثم حجبه فاعترضه يوماً في الطريق بعد ان سئمت نفسه وقبض على شكيمة فرسه وأنشد :

(أظلت علينـا منك يومًا سحابةٌ   أضاءت لنا برقاً وأبطا رشاشُها)
(فلا غيمها يصحو فييأسُ طامعٌ   ولاغيثها يهمي فتروى عِطاشُها)

فخجل الأمير وبذل له صِلته ·

وقد تعجبون يا سادتي لكثرة الكلمات الدالة على معنى الكرم · ولكن هذا العجب يز ل متى عرفتم ان العرب من شأنهم اذا أحبوا شيئًا ، او خافوا شيئًا ، او تفاخروا وتنافسوا في شيء اكثروا له من اسماء الذات والصفات حتى لقد يتجاوزون في بعضها المئات : كالإبل والأسد والخيل والحيّة ، والسيف والرمح والمرأة ، والخمرة ، وغيرها وغيرها · تلك مزية تفردت بها هذه اللغة الشريفة فلا يضارعها بها غيرها من سائر اللغات ·

والكرم كما تعلمون من مميزات هذه الامة · وأسمى مفاخرها · و به اشتهرت في كل دور من أدوارها — اي حال جاهليتها واسلامها · وفي أطوار بداوتها وحضارتها · وفي عهد تقدمها وتأخرها — فلا عجب اذا تكاثرت فيهـا اسماؤه وتعددت صفاته · وهو في عرف اهلها سجية من سجايا النفس يهتزلها الجواد اهتزاز المهنّد في كف الشجاع · فتفيض يده بما تفيض إحساناً على من يريد ، فيضاً تنبسط له روح المحسن كما تُسرُّ به نفس المحسَن اليه · على حد قول القائل :

(تعوّد بسط الكف حتى لو انه   اراد أنقباضـاً لم تطعه أنامله)
(يفيض سروراً كلما فاض سيْبه   كأنك معطيه الذي انت نا له)
(فلو لم يكن في كفه غير روحه   لجاد بهـا فليتّق الله سا له)

وهذه السجية موهبة من مواهب الله عزّ وجلّ يخصُّ بها من طاب عنصره · وسمت أعراقه من عباده · فلا تأتي تكلفًا ولا تطبعـاً : فان البخيل اذا تظاهر بالجود حينًا من الدهر لغرض في النفس · او حياء من الناس او تطالّ لمنزلة الاجواد لا يبطيء ان يعود الى سالف حاله · وسابق رخسه · ولقد صدق من قال :

(كل امريء راجع يوماً لشيمته   وان تخلّق اخلاقاً الى حين)

وكفى بالكرم شرفًا انه من صفات الجمال المطلق والكمال الالهي ولله فيه من الاسماء الحسنى · الكريم · والاكرم · والجوّاد · والمُعطي · والمحسن · والواهب · والوهاب · والرازق · والرزاق · وما بعد ذلك من حاجة لمستزيد ·

وللعرب في الكرم كما قلنا الطراز المُعْلَم · والحظ الأوفر · والذكر الشائع · وان أمة نشأ فيه امثال (كعب بن مامة) الإيادي الذي آثر رفيقه على نفسه بنصيبه من الماء وهو يموت من الظماء · واضراب (حاتم الطائي) الذي ذبح ايام المجاعة فرسه ليطعم ضيوفه واهلَ حيه ، وهو جائع لا يبقي لنفسه قوتاً · واشباه (هَرِمَ بن سنان) المرّي الذي كان يحمل الديات عن ذوي الثأرات ليصلح بين القبائل حجباً للدماء ، وإزالة للشحناء · وأنداد (صعصعة بن ناجية) الدارمي التميمي جد الفرزدق الشاعر المشهور محيي الوئيدات اي البنات اللواتي اعتاد العرب في جاهليتهم ان يدفنوهن حيات ليأمنوا شرّ إملاقهن في المجاعات وعار سبيهن في الغارات : فان (صعصعة) هذا كان يفتديهن من آبائهن بالمال استحياءً لهن حتى جاءهم الاسلام فحرم فيما حرم الوأد · ومنعه بعد اذ كان (صعصعة) استحيى اربعمائة فتاةٍ وفي ذلك يقول حفيده الفرزدق :

(وجدّي الذي منع الوائدات   واحيى الوئيدَ فلم يوأدِ)

أجل ! ان أمة نبغ فيها امثال هؤلاء الاجواد في الجاهلية · ومئات بل الوف غيرهم في الاسلام ممن تضرب بجودهم الأمثال · وتفيض بذكر مآثرهم الاندية والاودية — لجديرة بالقول انها المجلية في مضمار البذل والعرفان بين أمم الأكوان · منذ خلق قحطان حتى هذا الزمان ·

ولم يقتصر الكرم العربي على الرجال فقط فقد نبغ في نسائهم من حاكينهم فيه : فسفّانة بنت حاتم كانت كأبيها تقري الضيوف وتهب الالوف وتكسو الفقراء الشفوف · ولا تبالي ·

وأم البنين بنت عبد العزيز الأموية تعتق في كل يوم رقبة وتحمل عتيقها على فرس وتقول « لو كان البخل قميصاً ما لبسته · ولو كان طريقاً ما سلكته » ·

وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : ارسل اليها عبدالله بن الزبير مئة وثمانين الف درهم فقسمتها بين الناس فما امست وعندها منها درهم واحد · ولقد روي عنها ايضاً انها احسنت بسبعين الف درهم في يوم واحد وهي في دِرْعٍ مرقَّعٍ لا ثوب لها سواه ·

وسكينة بنت الحسين رضي الله عنهما كان يحتكم اليها مجيدو الشعراء كالفرزدق وجرير وجميل وكثير ونصيب فتسمع ما يقولون وتحكم بينهم ثم تحسن اليهم حتى انها اعطت جميلاً العذري في يوم واحد كسوة وطيباً وخمسمائة دينار ولكل من رصفائه مئة مئة ·

وزبيدة ابنة جعفر زوج الرشيد : لقيها نُصيّب (الصغير مولى المهديّ) في طريق الحج فترجل وأنشد ابياتاً منها :

(سيستبشرُ البيتُ الحرامُ وزمزمٌ بأم وليّ العهد زين المواسم)
(ويعلمُ من وافى المحصّب أنها ستحمل ثقل الغرم عن كل غارم)

فجادت عليه بعشرة آلاف درهم وفرس .

والعباسة بنت المهدي مدحتها جنباء بنت نصيب هذا باربعة ابيات آخرها :

(عليكِ ابنة المهديّ عوذي ببابها فان محل الخير في حيث حلّت)

فأمرت لها بثلاثة آلاف درهم و كسوة وطيب .

وأم سلمة زوج السفاح سمعت كلاماً مستحسناً قاله خالد بن صفوان لزوجها فأمرت له بخمس بدر وخمس حلل .

وفيما ذُكر غنيّ عما لم يذكر من امثال هذه النوادر الدالة على جود ربات الحجال فان المقام مقامُ إلماعٍ وايجاز لا مقام تفصيل وإسهاب .

ولم ينته الكرم باهله الى هذا الشأو ، و يرتفع بصاحبه الى الأوج الاسمى من المجد والسؤدد الا لانه المرآة الصافية التي تجلي من شعاعها عاطفة الانسان نحو اخيه الانسان . ومبلغ ما تكنّه الافئدة النقية من شواعر الرقة والرأفة والحنان . فهو كما لاتجهلون ابن الرحمة وأثرها الظاهر للعيان : فان الأريحية لا تنبعث في النفوس فتفيض على الأكف فتنهلل لها الوجوه بحيث تكشف ضياً ، وتزحزح بلاءً ، وتدفع مصيبة . الا اذا مست الرحمة قلوب أصحابها ، وتسربت الشفقة الى صميم شغافها . فتحدو بها الى إغاثة ذي المحنة بالمال الذي يسمونه سيد الارض ، وعديل الروح ، وقاضي الحاجات — وما إطلاقه من الايدي بالهين السهل — لولا ذلك الشعور الفاعل بالاعصاب الحساسة فعل الكهرباء الا وهو الرحمة الباعثة على المكارم .

ولقد جاء في الحديث النبوي الكريم « ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » فالمراد من الرحمة هنا ليس التوجع والتفجع لمصائب الناس فحسبُ ، بل يراد بها مع ذلك ظهور آثارها بالمعونة والإغاثة والإمداد مالاً وجاهاً وعملاً على قدر الوسع والطاقة بلامنٍّ ولا إذاعة ولا استعلاء . لان الرحمة غير المقرونة بالإحسان والإسعاف

لا نفع لها ولا جدوى مادامت مقصورةً على التأوه والتألم فقط ولا تتعداه الى الإغاثة والمعاونة التي هي أس العمران ودعامة الحياة وركن الاجتماع ·

يظن بعض النـاس ان التعاون انما يراد به ان يكون احدنا مثلاً نساجًا والآخر حراثاً ، والآخر نجاراً · فيتبادل كل منا حاجته من الآخرين بالشراء بحيث تستغني الافراد عن تعـدد الاعمال التي تقتضيها الحيوة · وهو ما يقال له (توزيع الاعمال) وتبادل المنافع · وعليه تجري جميع أمم الارض · و به تقوم الحضارة · ويصلح شـأن الجماعات في كل عصر ومصر ·

أجل ان ما وصفناه هنا انما هو ضرب من ضروب التعاون الذي هو نتيجة ضرورية وطبيعية لحياة المجموع · وليس هو التعاون كله : فأن له ضروباً أخرى أهمها ما كان صادراً عن عاطفة الرحمة : فان الحياة الدنيا كثيرة المعاثر والصدمات والجوائح والامراض · فاذا لم يكن كل فرد عوناً لصاحبه او لمن حوله من بني نوعه حال عثاره ومحنته سقط المجموع لتخاذل الافراد وآل امره الى التعس والشقاء المؤديين الى الضعف والبوار والانقراض وهيهات يتوفر لأمة حظ او يستقيم لها شأن الا بهذا الضرب من التعاون المجاني الطوعي الذي نسميه هنا كرمًا وإحساناً وعاطفة ورحمة بل بمقدار ما يزداد عدادُ الرحماء الكرماء المحسنين في قوم زادت حياتهم بسطةً ومنعةً ومعيشتهم راحةً ودعةً · وظهر في أفرادهم ومجموعهم من آثار القوة والنعمة ما ينيلهم الغبطة والسعادة والنعيم والهناء والعكس بالعكس · ولكن قل من يتفكرون ·

لقد مرَّ بكم ياسادتي عن الكرم واسمائه ومعانيه وحدوده ومنزلته وأنواعه وتأثيره في المجتمع الانساني مايحتمله المقام · ولقد رأيت قبل ان أعالج تقسيمه الى اقسام تميز فيها منافعه من مضاره ان أروي لكم لمًا من مكارم الأجواد من السلف مما فيه فكاهة وعبرة وذكرى ·

فمن هؤلاء (حاتم الطائي) الذي مرَّ بكم ذكره وهو أشهر أجواد العرب ذكراً وأبعدهم صيتاً · واليه ينسب الكرم في الجاهلية · فيقال (كرمٌ حاتميٌّ) كما ينسب في الاسلام الى البرامكة وزراء الرشيد فيقال (كرم برمكي) ·

وكان حاتم هذا مع جوده شـاعراً مطبوعًا وبطلاً مغواراً وغازيًا مظفراً اذا قاتل

غلَب ، واذا غَنِم أنهب ، واذا سُئل وهب ، واذا ضرب بالقداح فاز ، واذا سابق سبق ، واذا أُسر أُطلق ٠

ومما تفوّق به على اقرانه حتى كان سبباً لشهرته وإذاعة صيته انه كان يرسل عبيده في ليالي الشتاء الباردة المظلمة فيضرمون النار على رؤوس النجاد ، وفي مفارق الطرق ، ليهتدي بها أبناء السبيل ، فيقصدونه للقِرى والمبيت ٠ فاذا جلبت النار ولو ضيفاً واحداً عتق موقدها من الرق سروراً بضيفه ٠ وفي ذلك يقول مخاطباً عبده :

(اوقد فان الليل ليلٌ قرٌّ عسى يرى نارك من يمرُّ)
(ان جلبتْ ضيفاً فأنت حر)

وكان اذا أهلّ الشهر الاصم الذي تعظمه العرب في الجاهلية نحر كل يوم عشراً من الابل ٠ فيطعم الناس ٠ فلما زاد إتلافه للمال وهو لا يزال في حجر اوليائه ارسله ابوه وقيل جده الى المراعي ليبعده عن الناس ٠ فمرّ به هناك ثلاثة من الشعراء وهم عبيد بن الابرص و بشر بن ابي حازم ونابغة بني ذبيان ٠ ففرّق بينهم مالأهله من الابل وقفل الى الحيّ مسروراً كمن عاد من ظفر او غنيمة ٠ ولما سأله جده سعد عن الابل قال له « طوّقتك بها طوق الحمامة مجداً وكرماً » فقال مغتاظاً (شهد الله اني لا أساكنك بعد اليوم ابداً) ثم ترك له جاريةً وفرساً ذات فلوٍ ورحل عنه ٠ وفي ذلك يقول حاتم من ابيات :

(وما ضرّني ان سار سعدٌ باهله وافردني بالدار ليس معي اهلي)
(سيكفي ابتناء المجد سعد بن حشرجٍ واحمل عنكم كل ما ضاع من نفلي)

فما عتم ان جاءه جماعةٌ من بني أسد وقيس ٠ وقالوا له : ان لنا صاحباً فقد راحلته فقال حاتم خذوا فرسي هذه واحملوه عليها ٠ فلما اخذوها تبعها المهر فجرت الجارية وراءه لتمسكه وتعيده فصاح حاتم بالقوم « ماتبعكم فهو لكم » فذهبوا بالجميع اي بالفرس والمهر والجارية ٠ وبقي وحده لا يملك شيئاً ٠

ومرّ في احد الاشهر الحرم بقوم من بني عنزة واذا باسير لهم يدعوه باسمه و يقول له : انقذني فقد اكلني الإسار ٠ فقال له : ويحك ماانصفتني فقد نوهت بي واستجديتني وانا هنا غريب ولا مال لي ٠ ثم ساوم القوم وافتداه منهم على مال معلوم ٠ وقال لهم :

خلّوا سبيله . وانا أُقيم مكانه في قيده حتى أعطي الفداء ففعلوا وما برح اسير القوم يقاسي الذل والامتهان حتى تيسر له الوفاء .

وقيل نزل عليه ضيف ولم يكن عنده شيء فنحر ناقة الضيف واطعمه منها . ثم قال له قد نحرت ناقتك فاحتكم قال (راحلتين) قال حاتم لك عشرون أرضيت قال نعم قال فلك اربعون . ثم قال لمن لديه من قومه من اتاني بناقة الآن فله ناقتان بعد الغارة فاتوه باربعين فدفعها للضيف . وأدّاها لهم ثمانين .

وكان قيس بن عاصم المنقري من سادات العرب وأجوادهم فنزل به ذات يوم ضيف فأطعمه واكرمه جرياً على عادته . واذا بقومه يتصارخون ونسائه يبكين . فسأل ماالخبر؟ فقالوا له ان ابنه قُتل . وان القاتل هو الضيف . فقال ما لكم اليه من سبيل . فقد دخل في ذمامي وتحرّم بطعامي . ثم عزل من ماله دية القتيل ودفعها الى أمه . وما زال يرعى ضيفه ويحارسه حتى بلغ حماه .

وكان قيس هذا اذا قدموا له طعاماً يقول التمسوا اكيلاً اي ضيفاً يأكل معي فلم يأكل مرة وحده .

وسرُّ تنافس العرب بايواء الضيف وإطعامه كائناً من كان انما هو كونهم اهل مضارب وخيام واصحاب إبل وشاء . يدفعهم الاحتفاظ بها . والقيام على تربيتها وانمائها الى انتجاع منابت الكلاء وارتياد مناهل الماء فهم ابداً متنقلون من مرتع الى مربع . ومن سهل الى واد . لا يستقر بهم مكان . ولا يقوم لهم بنيان . فلا يجد المسافرون منهم في طول تلك البوادي وعرضها نزلاً او خاناً او دسكرةً للمبيت او الطعام كما يوجد في المدن والعواصم على النحو المعروف منا الآن . فيلجأون بحكم الضرورة الى استضافة بعضهم بعضاً التماساً للراحة والنوم والقوت . وتخلصاً من وحشة الانفراد في حنادس الليل . ووقايةً لنفوسهم مما قد يفاجئها في تلك الفلوات الخالية من عدوٍّ غادر ، او اسد كاسر ، او وحش جائع نافر .

فمن كان من سادتهم واشرافهم كريم النفس ، واسع النعمة ، طلاباً للشهرة رفع عماد سرادقه ، وتوسط به الحي تمييزاً له عن سواه ليقصده المسافرون فيبذل طعامه للصادرين والواردين والرائحين والغادين ، ولو كابد في ذلك عرق القربة ومنتهى المشقة .

ولقد شاعت هذه المكرمة فيهم . وتمكنت من خاصتهم وعامتهم . حتى عُدَّ الإضراب عنها والزهد فيها عاراً وسبةً تشتم فيها الابناء عن الآباء . وتذم الاحفاد عن الأجداد . ولقد يطرق الضيف ارملةً عجوزاً وحيدةً لا مال لها الا شاة او عنز نقتات بدرّها وتكتسي بصوفها اوشعرها فتذبحها اكراماً لضيفها وهي طلقة الوجه مبذولة الأنس ثم تبقى الى ما شاء الله أليفة الفقر حليفة البؤس فيحسب عملها هذا مأثرة لها يتحدث بها فتيانهم . ويتناقلها ركبانهم الى امد مديد .

ولا يزال ذلك شأن البدو وبعض اهل المدر حتى يومنا هذا : فكم وكم في بلادنا هذه من شيوخ عشيرة او قرية لاتطفأ ابداً نارهم ولا تنزل قدورهم يبسطون كل يوم عشرات من الاسمطة للذاهبين والآيبين ويبذلون العلف والماء لخيول المقيمين والراحلين لايلتمسون عن ذلك بدلاً ولايبتغون اجراً . الا طيب الاحدوثة ونباهة الذكر . وغاية مايتطالون اليه من دواعي الفخر ان ينزل بهم ضيف خطير فينحرون له كبشاً . ويطبخون ارزاً . ويجمعون اهل الحي اوالقرية على جفانهم فيأكلون هنيئاً مريئاً . وينقلبون حامدين شاكرين .

واذا استقرأنا ياسادة مامرّ بكم من اخبار الكرم الجاهلي نجده منحصر في اربعة انواع : وهي بذل الديات عن متحاربي القبائل والعشائر كما كان يفعل هرم بن سنان ، واستحياء الموؤدات من البنات بافتدائهن من آبائهن بالمال كالمأثور عن صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق . وافتداء الاسرى بالمال او بالنفس كما فعل حاتم باسير بني عنزة . وقرى الضيوف وايواء ابناء السبيل كما هو شائع عند الجميع .

وهذه الأنواع الاربعة منبعثة بالضرورة عن الحاجة فهي والحالة هذه متلائمة مع عادات ومعايش الوسط الناشئة فيه . موافقة كل الموافقة لاقوام رحالين ذوي غزوات لاتنقطع ، وأسفار لا تهدأ ، وعداوات لا تزول . وفي ذلك برهان على ان اولئك البدو أقدر من كثيرين منا على إنزال سخائهم مواضعه . بخلاف مافعل حاتم من توزيع مال جدّه برمته بين ثلاثة من الشعراء سرفاً وتبذيراً . واعطائه ضيفه بدل الناقة التي نحرها لاطعامه اربعين ثم أداء الاربعين الى قومه ثمانين بينما هو فقير وقير لا يملك من حطام الدنيا الا مايؤمل اغتنامه من سلب ونهب عن طريق الغزو والحرب . فان في ذلك من سفه الرأي ما لا يصدر عن عاقل مفكر بصير .

بعد ان ظهور الاسلام وانضواء متفرقي القبائل وشذاذ القوم كافة تحت لوائه بعد ان كادت تطحنهم الأحقاد والضغائن . وتأكلهم الحروب والغارات . ثم دخولهم عن طريق الجهاد والفتح في بلاد الفرس والروم وما وراءهما من شواسع البلاد وأطراف الممالك وانتقال الخلافة من الحجاز الى الشام على العهد الأموي ثم الى العراق على العهد العباسي . كل ذلك قد وسّع نطاق الكرم العربي وحوّله الى جهات أخر . فتفنن فيه أجواد ذلك العصر الذهبي تفنناً ينطبق على حضارتهم المكتسبة وثروتهم المغتنمة . وترقيهم الناشيء حتى صار امير كمعن بن زائدة الشيباني — وهو من صنائع المنصور ورجاله — يركب في قسيّه نصالاً من الذهب فيرمي بها العدو والصيد وفي ذلك يقول الشاعر :

(يركب في القسيّ نصال تبرٍ و يرمي للعدى كرماً وجودا)
(فللأسرى شفاءٌ من جراحٍ وأكفانٌ لمن سكن اللحودا)

ومعن هذا رجل عصاميٌ . نشأ في بني شيبان وكان أدلَّ بيدٍ على الخليفة المنصور بان أنقذه من تهلكة فرفع شأنه . وأسنى مقامه . حتى صار أميراً ممدّحاً يشار اليه بالبنان . وقد اشتهر بالحلم كما اشتهر بالكرم حتى قيل انه لم يغضب . ولم يغتظ قط .

ولما شاع عنه هذا الخُلق وتداولته الألسن تراهن احد شعراء الأعراب مع قوم على مئة بعير يُعطاها اذا استطاع إحراجه وإخراجه عن حلمه ويعطيهم مثلها اذا أخفق . ففاجأه يوماً وهو على سريره بين أشراف قومه وخاصة اهله . وابتدره بلا تحية ولا سلام بقوله :

(أتذكر اذ لحافك جلد شاة واذ نعلاك من جلد البعير)

فبُهت الحضور من قحة الرجل وسوء أدبه وتعمده الحط من كرامة الامير . اما معن فبقي محافظاً على سكينته وأجابه بلا حدة ولا استياء قائلاً : نعم اذكر ذلك ولا انساه . فقال الشاعر :

(فسبحان الذي أعطاك ملكاً وعلّمك الجلوس على السرير)

فقال معن : سبحانه على كل حال . فقال الشاعر :

(اميرٌ يأكل الفالوذَ سراً ويطعم ضيفه خبز الشعير)

فقال معن : الزاد زادنا . نأكل منه ما نشاء . ونطعم ما نشاء . فقال الشاعر :

(فلست مسلّماً ان عشت دهراً على معن بتسليم الامير)

فقال معن : السلام سنة تأتي بها كيف شئت . فقال الشاعر :

(سأرحل عن بلاد انت فيها ولو جار الزمان على الفقير)

فقال معن : ان جاورتنا فمرحباً بك . وان رحلت فمصحوب بالسلامة . فقال الشاعر :

(فجد لي يا ابن فاعلة بشيءٍ فاني قد عزمت على المسير)

فقال معن : أعطوه الف درهم . فقال الشاعر :

(قليـلٌ ما أتيت به واني لأطمع منك بالمال الكثير)

فقال معن : أعطوه الفاً أخرى . فتقدم الشاعر الى سرير معن وقد يئس من إغضابه فقبل يده وقال :

(سألت الله ان يبقيك ذخراً فمالك في البرية من نظير)

فقال معن : أعطيناه على هجونا الفين فأعطوه على مدحنا اربعة آلاف . ولما عرف منه قصة الرهان الباعثة له على هذا التهجم أعطاه ايضاً مئة بعير مكان التي خسرها بالرهان . ومئة أخرى بدل التي كان يتوقع ربحها .

واحاديث معن في الكرم اكثر من ان تحصى . ومما قيل فيه رثاءً له بعد موته :

(كأن الشمس يوم أصيب معنٌ من الظلماء مُلْبَسَة جلالا)

(وكان الناسُ كلهمُ لمعنٍ الى ان زار حفرته عيالا)

وقيل دخل يزيد بن مزيد مسجداً باليمن فوجد في قبلته مكتوباً :

(مضى معنٌ وخلّفني ببعثي على معن بن زائدة السلام)

فسأل يزيد عن قائله ولما اهتدي اليه أعطاه الف دينار . فقال الرجل يرحم الله معنًا : فقد أحسن اليَّ حياً وميتاً .

ومن فنون السماحة عند العرب قبل الاسلام وبعده ان يقصد الرجل جواداً منهم يؤدي عنه مهر فتاة أحبها فخطبها ولا مال له فيحمل عنه المهر مهما كان جسيماً ويعطيه ما ينفق في وليمة بنائه بها . كما فعل عمرو بن ابي ربيعة الشاعر غير مرة . وهو ايضاً من أفضل أنواع الكرم وأنجعها في الحسن اليهم كما لا يخفى .

اما صلات الشعراء بالألوف وعشرات الألوف فهو شأنهم بدواً وحضراً وجاهليةً

وإسلاماً . وقد فاضت باخبارها كتب التاريخ . والأدب العربي حتى لم تبق حاجة لمستزيد .

ومن لطيف فكاهات هذه الصلات . ان عليَّ بن جبلة مدح ابا دُلف القاسم بن عيسى العجلي احد كبار قوّاد المأمون ثم المعتصم بقصيدة منها هذان البيتان :

(انما الدنيا ابو دُلَفٍ بين باديه ومحتضره)

(فاذا ولّى ابو دُلفٍ ولّت الدنيا على أثره)

فأعطاه الف دينار . ثم بينما كان بعد أعوام يسير ابو دُلف في بعض الأزقة مع رفيق له اذ أشرفت فتاتان من قصر فسمع احداهما تقول للاخرى « انظري : هذا ابو دُلف الذي يقول فيه الشاعر » « انما الدنيا ابو دُلف الخ » فقالت الاخرى : أوَهذا هو ؟ قد والله كنت أُحب ان أراه منذ سمعت ماقال فيه ذلك الشاعر . فالتفت ابو دُلف الى رفيقه . وقال له : ما انصفنا عليَّ بن جبلة ولا وفيناه حقه . فانه اعطانا مجداً باقياً . واعطيناه مالاً زائلاً . وان ذلك لمن اكبر همي . ثم بعث الى عليٍّ وكان مريضاً لايقوى على مفارقة بيته بالف دينار ولازال يبرّه ويواصل إحسانه اليه حتى مات .

ومن عجيب امر ابي دُلف هذا انه مع فرط سخائه بالمال كان بخيلاً بالطعام حتى اشتهر عنه ذلك فقيل فيه :

(ابو دُلفٍ يجود بالف الفٍ ويضرب بالحسام على الرغيف)

(ابو دُلفٍ لمطبخه قتارٌ ولكن دونه ضرب السيوف)

ومن أغرب نوادره في الصلات انه لكثرة جوده قد ركبته الديون حتى لزم داره واشتهر عنه ذلك فدخل عليه بعض الشعراء وأنشد :

(أيا ربّ المنايا والعطايا ويا طلق المحيا واليدين)

(لقد خُبّرتُ ان عليك ديناً فزد في رقم دينك واقض ديني)

فقضى دينه ووصله . وابو دُلف كان مع كرمه الذي تجاوز حد الاسراف وحلمه الذي لم يتقدمه ولم يتأخر عنه من يضاهيه فيه ذا رأيٍ اصيل وغناء رخيم وشعر جيّد وبأس شديد . وهي صفات ومحامد قلما اجتمعت في غيره . ومن شعره متحمساً ومفتخراً :

(أجود بنفسي دون قومي دافعاً لما نابهم قدْماً واغشى الدواهيا)

(واقتحم الامرَ المخوفَ اقتحامه لإدراك مجدٍ او أُعاود ثاويا)

وله الابيات المشهورة في الغزل الممزوج بالفخر :

(أحبك يا جنان فأنت مني مكان الروح من جسد الجبان)

(ولو اني أقول مكان نفسي خشيت عليك بادرة الزمان)

(لإقدامي اذا ما الخيل حامت وهاب كماتها حرّ الطعان)

فما مرّ بكم من اخبار معن وابي دُلف هذين يظهر لكم مبلغ إسراف أولئك الناس وإغراقهم بالجود والبذل حتى كانوا يستدينون و يهبون ويُغنون غيرهم ويفتقرون وكلما توسعوا في العطاء على طالبي رفدهم ومستجدي فضلهم كان هؤلاء يتفننون في استنباط الحيل واختراع الأساليب للمبالغة باستدرار النعم منهم واستزادة أنواع الصلات والهبات لهم . متزلفين اليهم بضروب من الوسائل لا تمر على خيال مفكر ولا تخطر على فؤاد لبيب . حتى صار الشعراء والرواة والمغنون في تلك العصور اكثر الناس مالاً . وأعظمهم جاهاً . وأوسعهم نفوذاً وتبسطاً وترفاً .

فالأخطل التغلبي الشاعر كان يدخل على الخلفاء والامراء من بني أمية وهو يتبختر ثملاً وعجباً وفي عنقه قلادة الذهب ثم يخرج وفي يده الصلات الكبار والهبات الجسام ثم يشفع فيمن يريد فلا تردّ شفاعته . كل ذلك لانه مدّاحهم المجيد القائل فيهم :

(شمس العداوة حتى يستقادَ لهم واكرم الناس أحلاماً اذا قدروا)

وجرير التميمي اخذ من عبد الملك بن مروان عشرة آلاف درهم وعشرين راحلةً وجاريةً حسناء . لقوله في المروانيين :

(ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح)

ومروان بن ابي حفصة كان يرفل بالحرير والخزّ وينقلب على الاستبرق والديباج ويأخذ من المهديّ العباسيّ فما بعده من الخلفاء حتى المتوكل مئات الالوف من الدراهم والدنانير لانه رجّح أحقية الخلافة للعباسيين على الفاطميين من آل البيت بقوله :

(أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام)

قيل لما دخل على المهديّ اول مرة وأنشده الشعر الذي يقول فيه هذا البيت وصله بسبعين الف درهم . وقال له هي لك مني في كل حول مادمت حياً . وفي ذلك يقول مروان مفتخراً :

(بسبعين الفاً راشني من حبائه — وما نالها في الخلق من شاعر قبلي)

وأبانُ بن عبد الحميد اللاحقي اخذ من الرشيد عشرين الف درهم في اول مرة دخل عليه لقوله ضاربًا على الوتر ذاته الذي ضرب عليه مروان بما يتعلق بإرث الخلافة :

(نشدت بحق الله من كان مسلماً — أعمُّ بما قد قلته العجم والعربْ)

(أعمّ رسول الله اقرب زلفةً — لديه ام ابن العم في رتبة النسبْ)

(وأيهما اولى به وبعهده — ومن ذا له حق التراث بما وجبْ)

(فان كان عباسٌ أحقّ بتلكمُ — وكان عليٌّ بعد ذاك على سببْ)

(فأبناء عباسٍ همُ يرثونه — كما العم لابن العم في الإرث قد حجبْ)

وابو العتاهية مات عن سبعة عشرة بدرة من المال لانه كان ملازمًا باب الرشيد وأعقابه من بعده متقربًا الى قلوبهم بما يبدو في شعره من آثار الزهد في الدنيا مع انه كان من أشد الناس حرصًا عليها وطمعًا بها .

وابن الخياط الشاعر دخل يومًا على المهدي مستجديًا مادحًا فأمر له بخمسين الف درهم . فلما قبضها فرقها بين الناس وانشأ يقول :

(لمست بكفي كفه ابتغي الغنى — ولم ادر ان الجود من كفه يعدي)

(فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى — أفدت واعداني فبددت ما عندي)

فأعطاه خمسين الف دينار :

ودخل اسحق الموصلي المغني على الرشيد يصحبه الاصمعي الراوية وكان الرشيد منقبضًا كئيبًا . فأنشده ابياتاً مطلعها :

(وآمرةٍ بالبخل قلت لها اقصري — فذلك شيءٌ ما اليه سبيل)

وختامها :

(وكيف أخاف الفقر اواحرم الغنى — ورأي امير المؤمنين جميل)

فقال له الرشيد : « لله درّ ابيات تأتينا بها ما اشدّ اصولها . واحسن فصولها . واقلّ فضولها » . ثم احسن اليه بخمسين الف درهم . فقال له اسحق : ان وصفك لشعري يا امير المؤمنين احسن منه فعلامَ آخذ الجائزة ؟ فضحك الرشيد - وقال اجعلوها له مئة الف درهم . فقال الاصمعي الآن علمت ان اسحق احذق مني بصيد الدراهم .

ودخل يوماً ابو دُلامة الشاعر على ابي العباس السفاح وكان كثير الإدلال عليه فطلب منه كلب صيد فأعطاه · فطلب غلاماً يقود الكلب · فأعطاه · فطلب دابة تحمل الصيد فأعطاه · ثم طلب جارية تصلح الصيد فأعطاه · ثم طلب منه داراً تجمعهم فأعطاه · ثم مالاً ثابتاً ينفق عليهم من غلته فأعطاه ارضاً عامرة وارضاً غامرة ثم استبدل الغامرة بالعامرة فجعل له الاثنتين عامرتين ·

فتأملوا يارعاكم الله كيف فرّق ابن الخياط الدراهم ليأخذها دنانير وكيف احتال اسحق حتى جعل الخمسين الف درهم مئة الف وكيف تذرع ابو دُلامة بطلب كلب للصيد حتى توصل ببعض كلمات الى نيل هذه النعم المتوالية التي تعود عليه بالخير الكامل والهناء الشامل · وفي ذلك من شدة الحرص على ابتزاز الاموال ما لا تجهلون ·

وكل ما اشرت اليه من احاديث الجود على إفراطه · ومآثر الاحسان على عظمتها · لا يعدّ شيئاً في جانب ما كان يصدر عن البرامكة وزراء الهادي فالرشيد من مدهشات العطاء الذي تجاوز حدّ المعقول · وكاد يحسب من مبالغات اهل التاريخ : فقد كان لآل برمك في هذا الخُلق القِدح المعلّى والسهم الأنفذ والنصيب الأوفر حتى قيل عنهم انهم شفاء اسقام دهرهم · وغياث اجداب عصرهم · ومفزع ملهوفي زمانهم لاسيما احدهم الفضل الذي قال فيه ابو النضير :

(وللنـاس معروفٌ وفيهم صنائعٌ ولن يجبر الاحزان الاجدا الفضلِ)
(اذا ما العطايا لم تكن برمكيةً فتلك العطايا ما تمرّ وما تُحلي)

وهم ولئن لم يكونوا عرباً في الاصل بل كان جدّهم الاعلى فارسياً الا انهم نشأوا في العراق وترعرعوا في دور الخلفاء · وخالطوا خاصة العرب وعِليتهم واقتبسوا آدابهم وعاداتهم حتى اصبحوا كأنهم من صميمهم ·

كان البرامكة يخرجون بالليل سراً وهم متنكرون معهم الاموال صرراً بين الثلاثة آلاف والخمسة آلاف فيطرقون الأبواب من بيوت المحاويج اهل الستر والحرمات فيدفعون الى اصحابها الصرة بعد الصرة · وربما طرحوا ما معهم في عتب الابواب فكان الناس لاعتيادهم ذلك يعدون الى العتب اذا اصبحوا فيأخذون ما يجدون ·

واتصل بخالفٍ المصريّ ان يحيي بن مُعاذ في حاجة وقد ركبه من الدين ثلاثمائة

الف درهم حتى أُرغم على إغلاق بابه تواريًا عن غرمائه . فأخبر الفضل بن يحيى . فقال له : دللتنا على مكرمة . ثم امر له بمائة الف درهم . وحمل الى يحيى بن معاذ ثلاثمائة الف درهم قضى دينه بها .

وخرج الواقدي من المدينة بعد ان ساءت حاله وركبه الدين قاصداً البرامكة وهو لا يعرفهم وهم لا يعرفونه . فدخل على يحيى بأسمال من الثياب تحيط به الكآبة والبؤس وقصارى ماتمناه الف درهم فدفع اليه كيساً ولم يعلم ما فيه . فلما تناوله خرج مهرولاً حتى اذا انتهى الى بيته فتحه فاذا فيه اربعة آلاف دينار . فكاد يغشى عليه من السرور ثم ما ابطأ ان ابتاع اثوابًا اصلح بها حاله وبكّر من الغد على يحيى ليودّعه ويشكره فتوسم فيه يحيى علماً وفضلاً وادبًا فقال له أَقم عندنا ولك مثلها في كل عام فأقام عنده عزيزاً مكرماً موسعًا عليه حتى فرّقت بينهما النكبة .

ونظم أبان ابن عبدالحميد كتاب كليلة ودمنة شعراً ليسهل حفظه مبتدئاً بقوله :

(هذا كتاب ادب ومحنه ْ وهو الذي يدعى كليله دمنه ْ)

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار . واعطاه ابنه الفضل خمسة آلاف دينار . وقال جعفر سأستظهر كتابك هذا . وحسبك مني ان اكون روايتك فيه .

وما الممت عنه من مكارم البرامكة ان هو الا صبابة من بحر مما يؤثر عن هذه الاسرة التي لم يقم بعدها ولا روي عن احد قبلها من يحاكيها او يتحداها بالجود الفائض والسخاء الاتم لاسيما على المحاويج من اهل النعمة وبيوتات المجد والعلم والفضل . خلافاً لسيف الدولة الحمداني صاحب حلب الذي كان يصادر اموال الناس ويبتز مواريثهم لينعل افراس شاعره ابي الطيب المتنبي بالعسجد . ويهب سائر من يقف ببابه ويلتف حوله من الشعراء فأرات المسك ونوافج العنبر . ونفائس الخلع والالوف المؤلفة من الدنانير لقاء ما يسمعونه من الاطراء غير المعقول كقول ابي الطيب مخاطبًا اياه :

(كأنك في ثوب . وصدرك فيهما على انه من ساحة الارض أوسع)

وفي ذلك وامثاله ما يخالف قواعد الاجتماع ، وسنن العطاء ، وقوانين الاقتصاد في هذا العصر الذي لكل نفقة فيه حساب ، ولكل بذل مقياس ، فان ابواب المثرين والمتمولين في الغرب من ملوك وامراء وسوقة محجبة . وخزائنهم مقفلة دون امثال

هؤلاء المداحين المحترفين . وانهم يبذلون الملايين في سبيل مشروع خيري او معهد علمي ويرصدون مئات الالوف لمن يكتشف مثلاً دواء ناجعاً للسل او السرطان او الطاعون . ويهبون ماهو فوق المأمول لمن يؤلف احسن كتاب في التربية اونوع من العلوم . ولا يبذلون ديناراً واحداً لمستجد او مداح كاذباً كان او صادقاً بل يقولون له انصرف الى العمل مادمت قادراً عليه فان عجزت لك من ملاجئ العجزة مايغنيك عن التسول المنافي لسنة الحياة . فان الانسان المعافى خلق ليعمل . لا ليعيش كلاً على عواتق الناس .

وفي هذا القول ما ينطبق على ما اوجبته الشرائع التي اجمعت على وجوب العمل وكراهة البطالة حتى عدّ العمل ضرباً من العبادة . وما دام الانسان معافى في جسمه وعقله لايجدر به ان يكون ساقط الهمة ، دنيء النفس ، يبذل ماءوجهه التماساً لما في ايدي غيره من ثمرات اتعابه ليعيش على بساط الراحة والدعة والخمول متنقلاً من معصية الى كبيرة . ولا بدع ولا غرابة فان رأس البطال مخزن الشيطان . والاحسان الشخصي انما يكون للارملة واليتيم والمريض والسجين والعاجز والمرهق . لا لرجال اشداء اقوياء يقاسمونك مالك استجداء وتحيلاً . ليبددوه في سبيل شهواتهم وهم وادعون .

والكرم بوجه عام يقسم الى ثلاثة اقسام : القسم الاول ما نسميه (الكرم العادل) و يحق لصاحبه ان يسمى المحسن الجواد . والقسم الثاني (الكرم الجائر) و يقال لصاحبه المسرف المتلاف . والقسم الثالث (الكرم الاحمق) و يدعى صاحبه المبذر السفيه .

القسم الاول

« الكرم العادل »

هو الكرم الحق الذي يستحق وحده ان يسمى كرماً . وله شرطان : الشرط الاول ان يكون من فضلة مال المحسن لا من صلبه . لانه اذا كان من صلب المال لا يلبث المحسن مهما كان مثرياً واسع النعمة ان يفتقر فيظلم نفسه واهله واولاده : اذ يصبح عاجزاً عن الكسب ، قاصراً عن الاحسان ، بل عالة على سواه . وهنا تتجلى حكمة الآية الكريمة (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) : الشرط الثاني ان ينزل المرء احسانه منزلته و يضعه في محله بحيث ينفع المحسن اليهم نفعاً صحيحاً . لا يضر بمستقبلهم واخلاقهم وعاداتهم .

ولنضرب لذلك مثلاً — زيد متوسط النعمة ، ريعه السنوي الف دينار ، ينفق منها بلا تبذير ولا تقتير ثلاثمائة ، ثم يقسم الباقي وهو سبعمائة ، الى شطرين احدهما يضيفه الى رأس ماله انماءً له ، وتحوطاً لعثرات الايام ، والآخر يرصده للاحسان . ان شاء احتبسه الى ان ينمو ويتضاعف بما يليه في مستقبل الاعوام بحيث يصبح كافياً لاحسان ثابت عام : كإنشاء مدرسة او مكتبة اومأوى للايتام . تدوم فائدته ، ويعم نفعه ، و يُبقي لصاحبه الذكر الخالد . وان شاء أطلقه لوجوه بعض الاحسان الخاص كامداد عائلة أخنى عليها الدهر فسلبها نعمتها حتى كاد ينكشف سترها ، ويفتضح امرها ، بحيث تصبح مضغةً في أفواه الشامتين ، او إغاثة تاجر امسى على شفير الافلاس . فينقذه من ذل التقاضي ووبال السجن بان يعاونه سراً على نفقاته وايفاء مااستحق اجله من ديونه الى ان يأذن الله بالفرج . او ان يتوسم باحد اولاد البؤس النباهة والذكاء فينفق على تثقيفه وتعليمه مايصيره نافعًا لأسرته . جلاباً للفوائد له ولوطنه . فلا يبقى تعساً يعيش كالحشرات ، عالةً مفسداً ، ويموت ذمياً شقياً غير مأسوف عليه . الى غير ذلك من ضروب المكارم التي تخفف الآلام ، وتزيل المحن ، وتفرّج الكروب ، وتجلب الفوائد .

هذا هو الكرم العادل الذي تمشي عليه الأمم الراقية الآن . فيرضى عنه الصواب وتقرّ به عين الحكمة ، وتتوفر فيه شروط الإحكام والاتقان والانصاف . فلا يظلم المحسن بان يستهلك ماله في سبيل اريحيته ، ويصبح من المملقين بل يدوم راتعاً في نعمته ، مقيماً على كسبه ، قديراً على مواصلة الاحسان لبني جلدته ، مستغنياً عن استجداء من لاخلاق لهم ولا مروءة ، ولا يُظلم المحسَن اليه بان يكون ميّالاً الى البطالة ، فيغريه بما يناله منه غنيمةً باردةً على الكسل وبغض العمل ، وتبديد ما يعطاه في سبيل اللهو والزهو والشهوات .

أجل ان هذا النوع من الكرم يا سادة هو المعوّل عليه عند بعيدي النظر من متمولي الغرب . وكل ماننظره ونسمع به . او نقرأ عنه من المرافق الحيوية والمعاهد الادبية والعلمية . والملاجئ الخيرية القائمة في طول البلاد وعرضها على تضارب أنواعها ، وتفاوت مراميها وغاياتها ، انما هو اثر من آثار هذا الضرب من الاحسان .

وهو لسوء الطالع مفقود ، او يكاد يكون مفقوداً تحت سماء هذه البقعة التي كتب عليها منذ مئين من السنين الغبن والحيف والجهل والحرمان ٠

أجل ثم أجل ياسادتي فان بهذا الكرم رُفع منار الانسانية ، وتمتت دعائم العمران ، وتمهدت للامم الغربية سبل السعادة والغبطة والحضارة ، وخفت عنها وطأة شقاء الحياة وبؤسها ٠ ولولاه لكان العجزة منهم يأنون منطرحين في زوايا الطرق ومنعرجات الأزقة ، شاكين آلام الامراض والجوع والمتربة يلتمسون الموت فلا يجدونه ٠ ولكان ايتامهم وناشئة النساء منهم هائمين على وجوههم ، يكتنفهم الجهل والفساد ، و يحيط بهم الذل والمسكنة مما نرى أمثولته بيننا كل يوم ٠ والعين تقطر دماً ، والقلب ينفطر حزناً ٠ فان بهذا النوع من الكرم لا بغيره أُنشئت مكاتب وملاجئ للعمي والصم والخرس والمقعدين ٠ يتعلمون بها القراءة والكتابة والحساب وضروباً من الصناعات التي تلائم أحوالهم ٠ فيعيشون رغداً آمنين مطمئنين ٠ فلا يكونون عبئاً ثقيلاً على عواتق الناس ، فيكرههم اهلهم ، وتنبو بهم الارض ، وتبكي عليهم السماء ٠

و به لا بغيره ترقت العلوم والفنون والصناعات ، وزاد الاكتشاف والاختراع حتى سخر الانسان العناصر لخدمته فغاص مسافراً في الماء ٠ وركب طائراً في الهواء واستنار بالكهرباء ٠ واستخدم البرق لنقل الاخبار ٠ والبخار لجر الاثقال وسرعة الترحال ٠ الى غير ذلك مما لو رُوي الى اسلافنا لعدّوه خرافات وأساطير تحكى ولا تعقل ، وتروى ولا تخيّل ٠

هذا هو الكرم الحق الذي يعرج باصحابه الى مقام الاعلام المحمودي الاثر الخالدي الذكر لا ماافتخر به عنترة العبسي بقوله :

(ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلمِ)
(بزجاجة صفراء ذات أسرةٍ قرنت بأزهر بالشمال مفدمِ)
(فاذا شربت فانني مستهلك مالي وعرضي وافرٌ لم يُكلمِ)
(واذا صحوت فما اقصّر عن ندىً وكما علمت شمائلي وتكرمي)

فان من يفتخر بسكره و يستهلك ماله كله في سبيل أريحيته عادلاً كان اوجائراً ثملاً اوصاحياً هو الى الجنون أقرب ٠ وخليقٌ بمثله ان يحجر عليه الى ان يصبح من العاقلين ٠

﴿ القسم الثاني ﴾
« الكرم الجائر »

وهو الذي يجور على صاحبه المثري فيستكثر ما لديه مما تركه له آباؤه او جاءه عن طريق الصدف والاتفاق . فيأخذ بالتوسع في العطاء والاسراف في الانفاق . فان مشى أحاطت به حاشيته من اهل البطالة واللهو . وان جلس طوّقه فريق من اهل الحرص والطمع والنفاق . وان ركب ركب في موكب يشبه مواكب الملوك . يقصده المحتالون المتفرقون من كل اوب وصوب . فيغدق عليهم النوال و يكيله لهم جزافاً ليقال عنه انه جواد وهاب . يُعطي بغير حساب . فلا يمرّ عليه حين من الدهر حتى يصبح ككثيرين من اولاد البيوتات في بلادنا خاليَ الجيب باديَ الانفاض . متدهوراً في مهواة اليأس والبؤس ، فهو ظالم لنفسه ، لانه أفقرها وأذلها ، ظالم لعائلته وذوي قرباه لانه أحوجهم وأشقاهم ، ظالم لمن أحسن اليهم لانه أغراهم بالتسوّل والكسل ، وكراهة العمل . فأصحاب هذا القسم من الاحسان آفة الوطن الكبرى ، وبلاؤه الادهم ، وشره المستطير . ولو تدبروا ووعوا لكان لهم من تراث آبائهم وتليد أموالهم وطارفها ما يقوون به على استدرار أخلاف النعمة . واستعمال ما أودعه الله في فطرتهم من مزايا البذل في موضعه مع الاعتدال والروّية والرفق . فعاش كل منهم سعيداً مجيداً ، ومات فقيداً حميداً ، حافظاً له الوطن واهلوه مكارم تعود عليه بحسن الاحدوثة وآثاراً تخلد له الثواب ، ولكنهم لا يتدبرون .

﴿ القسم الثالث ﴾
« الكرم الاحمق »

ينشأُ ابن النعمة في بيت ابيه طاعماً كاسياً مخدوماً مكفّى المؤونة لا يطالب بشيء الا ان يكون رجلاً كاسباً مقتصداً نافعاً . فيلج باب الاعمال مديراً او كاتباً في احدى الخطط الاميرية او المؤسسات التجارية براتب لو تدبر فاحتفظ به ، وحرص على انمائه في الطرق المشروعة لاألف منه على تراخي الايام ثروة يستطيع معها عند الحاجة ان يكون رب بيت ينفق عليه من سعة ثم يكون من المحسنين : فان اضافة شعرة الى شعرة تؤلف لحية كما يقول العوامّ . ومن لا يعبأُ بالقليل لا يتسنى له الكثير .

(قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد)

فبدلاً من ان يسلك هـذا السبيل الهادي الأمين الذي ينتهي به رويداً رويداً الى منزلة أفاضل الرجال العاملين ، يقول في نفسه انني لا أزال في ريّق الصبوة وربيع العمر لا يطلب مني شيءٌ ولا أُسأل عن شيء ، فما ضرني لو بذلت راتبي باسداء الجميل واصطناع الاخوان ، فيبسط صدره ومجلسه لمن يعرض له من الاتراب والأقران فيستأنسون به و يتألبون حوله فتنفخه الكبرياء كالزق و يتوهم انه أصبح من مشاهير الاعلام المتميزين بالوجاهة والفضل : فاذا استقرضه احدهم ديناراً نفحه بدينارين ، وان استحسن لديه تحفةً أهداه تحفتين . ثم ينتهز فرصة عطلته وأوقات فراغه فيـدعوهم الى الولائم والمآدب ومعاهد النزهة والطرب . فلا يمضي من الشهر اسبوعان حتى ينفد راتبـه فيستلف من بعض الصيارفة على راتب الشهر الآتي ولا يزال يتدرج في هذه الطريق حتى تتراكم عليه الديون ، و يضيّق عليه الدائنون ، فيهرع بعضهم الى ابيه فيشكون وبعضهم الى رئيسه فيتظلمون .

هنالك تنقشع الغمامة عن عيني ذلك الغرّ المسكين فتجلي الحقيقة له كما هي فلا يشعر الا وابوه ماقتٌ له ورئيسه ساخطٌ عليه ، وأصحابه متفرقون عنه ، يتجنب الظهور في الأسواق لئلا يُرى فيُطالَب أمام الناس . و ينقطع عن الأندية ، ومجتمعات الخلق ، كيلا يضطر الى الانفاق ولا مال لديه : يجلس في دائرة عمله ناكس الرأس ، خائر النفس ، متوزع الفكر لا تنبسط نفسه الى عمل ، ولا تصغي أُذنه الى حديث ، ولا يبرح ذلك شأنه حتى ينتهي الى احد امرين : اما ان يرأف به ابوه فيفي ماعليه ثم يكون مسيطراً على حركاته وسكناته الى ما شاء الله وهو ذليل واجم كظيم . واما ان يتيسر له من غامض علم الله رزقٌ جديد او زيادة في الراتب فيتخلص من شدته بعد ان تبلغ روحه الحلقوم فيتخذها عبرةً تنكّب به عن مثل هذه المهواة الى ان يوافيه الأجل المحتوم .

هذا اذا لم يدركه العزل وتنتابه الفضيحة من قبل . فيساوره الغم وتتقاسمه الامراض فيلزم البيت خاسئًا مخذولاً مقهوراً : يرى الدنيا وما حوت من زخرف ظلمات بعضها فوق بعض . ولبئست العاقبة لمن لا يزدجرون .

وهذا الفريق ايضاً حسكٌ ينشب في حلق الاجتماع الانساني فيمنعه هناءه و يسلبه قراره . ويجعل حياة البلاد الاقتصادية الى الاحتضار أقرب . فالى الله المشتكى من قبل ومن بعد .

* * *

لقد طال بي ياسادة نفس الكلام حتى لم يبق سبيل للمزيد على انني أرجو ان يأتي يوم ، وهو منا قريب ، يقف فيه متمولونا وناشئتنا موقف الاعتدال بين منزلتي التقتير والتبذير . و يختارون من ضروب الاحسان ما يجعله نافعاً مفيداً عاماً معززاً للعلم والصناعات وملاجئ الخير والمبرات مخففاً عن كواهل الانسانية مصابها وإحنها وأسقامها حيثما يعرجون بهذا الوطن العزيز الى المستوى الذي يستحقه اهله من الغبطة والسعادة والرغد . انه سبحانه ولي التوفيق .

عضو المجمع العلمي العربي

سليم عنحوري

منشأ اللغات

اختلف الباحثون من المليين وغيرهم قديماً وحديثاً في مأخذ اللغات على أقوال :

فقال قائلون انها توقيف من الله تعالى · وفسر بعض هؤلاء ذلك بالوحي وبعضهم بالإلهام والإقدار وبعضهم بالأمرين ·

وقال آخرون انها من وضع البشر · وفسر بعضهم ذلك بمواضعة حكماء البشر على اختراع أصوات خاصة يتفاهمون بها ، وتابعهم في ذلك العامة · وبعضهم باشتراك أفراد الناس في ارتجال بعض الألفاظ · ولقن غيرهم عنهم من غير سابقة اتفاق · وبعضهم بالتدرج في بناء الألفاظ من محاكاة أصوات الحيوان وتفاعل قوى الطبيعة بحرف او حرفين الى التزيد بالتكرير والملحقات والقلب والتبديل ·

وقال قوم بالتوفيق بين الأمرين بالتوقيف من الله بمعنى الإلهام والإقدار على الارتجال احياناً ، و بالوضع بالقصد الى محاكاة الأصوات منه ومن غيره وتعديلها أحياناً ·

وعلى هذا الرأي جمهور المحققين من المليين وغيرهم ·

وتفصيله ان الانسان كسائر الحيوان مفطور على ان يعبر عن انفعالاته النفسية باصوات مختلفة ، فانا نسمع الهرة مثلاً تموء بضعة أصوات مختلفة تظهر بها بإلهام من الله انفعالاتها ومطالبها ، فصوت الاستعطاء والاستعطاف غير صوت الزجر والغضب الخ · وشأن الانسان الناطق بالطبع في ذلك ليس أقل من شأن الحيوان الأعجم بما ركب فيه من قوة الارادة والتمييز ، وماأودع أداة صوته من الموهبة العظيمة التي جعلته يحكي كل صوت و ينوعه حروفاً منطقية ، فبالقدرة على الحكاية أمكنه ان يعبر عن المعاني المشعرة بها الأصوات الفطرية في نفسه وغيره بمحاكاتها بالحروف الشبيهة بها كالفعل البيغاء التي هي دون الانسان في الادراك ، وبطبيعة القوة الناطقة التي أودعها الله اياه وميزه بها على سائر الحيوان أمكنه إرتجال بعض ألفاظ يعبر بها عن رغائبه القليلة في بدء نشأته ثم تولد عنها غيرها ·

فيتصور انه عندما كان يجيش صدره باظهار رغبة او رهبة يصيح بصوت مصور بصورة ما ، فيسمعه غيره و يفهم منه مراده باضافة قرينة حال او إشارة كما نشاهد

ذلك كثيراً في بعض الأطفال عند محاولتها النطق ، فاذا وجد انه أدى غرضه استعمله ثانية وثالثة في افهام رفقائه ، فيذاع بينهم و يعرف ، ولا يحتاج في استعماله الى قرينة ، وهكذا يفعل غيره فعله و يقلدهما ثالث ورابع حتى تتكون من هذه الالفاظ المرتجلة والمحكية اللغة الاولى الضرورية للبيئة التي يعيشون فيها ، و يتفق عليها طبيعة من غير تعمل ولا قصد الى الاتفاق . ثم تتسع هذه اللغة بعوامل النمو المعروفة من تنوع الوضع وتشعب الألفاظ بتشعب المعاني الكلية الى معانٍ جزئية ، ومن الاشتقاق والقلب والابدال والزيادة والنقص والنحت والتحويل من الحقيقة الى المجاز ، فيشتهر المجاز ثم يصير حقيقة . والتجوز في اللفظ قد يكون من عمل المرء وحده ، او من عمل طائفة معه راقية تحاول علماً او صناعة وتضع لمعانيها وأدواتها مصطلحات تشتهر وتصير حقيقة عرفية .

هذا وقد اختلف الحكماء فيما نطق به الانسان ابتداءً ، فقال قوم انه نطق اولاً بالاصوات الدالة على الانفعالات الوجدانية كالتأوه والأنين والتأفف والقهقهة وأصوات الزجر والغضب والخوف . ثم كان يستعمل للمحسوسات الاشارة باليد وتزوية الوجه قياساً على العجماوات في ذلك . ثم وضع ألفاظ المحسوسات بالحكاية او الارتجال . ثم الالفاظ الدالة على حركة النفس الفكرية . وقال قوم انه ابتدأ بالاشارة الى المحسوسات ثم الوجدانيات ثم العقليات . والظاهر تساوي مرتبة الوجدانيات الفطرية ووضع اسماء المحسوسات ، وتأخر مرتبة العقليات في الوجود ، حتى لترى جميع لغات البشر عاجزة عن التعبير عن كثير من المعاني التي تخالج النفس بل عن كثير من معاني المحسوسات كالفرق بين الروائح والطعوم .

ثم اختلفوا ايضاً في اي أقسام الكلام وضع ابتداءً ، فقيل اسماء المفردات والمصادر ثم الافعال ، ونحت من كليهما اسماء الضمائر والاشارة والموصولات والحروف ، وقيل الأفعال ثم الاسماء الخ .

واذا قسنا نشأة النوع الانساني على نشأة الطفل كما يقول جمهور حكماء العصر فقد لحظنا في الأطفال الذين عنينا بتربيتهم انهم نطقوا بالاسماء الدالة على رغائبهم الفطرية وبعض المحسوسات المحيطة بهم ، ثم نطقوا باسماء المصادر ، ثم تلتها الافعال ،

وسبق المضارع فيها اخوبه الماضي والامر · ثم ببعض اسماء الاشارة وجاءت الضمائر والموصولات والحروف متأخرة وتلتها بقية المشتقات · و يؤيد هذا كثير من الحكايات التي تروى عن الامم المتوحشة بافريقية وجزائر المحيط الأعظم ·

وكل ماذكرناه يقرب الى الذهن تصور نشأة اللغة الاولى للانسان · اما اللغات المتفرعة منها ثم من أنفسها فتنشأ من هجرة بعض طوائف اهل اللسان الاصلي الى جهات متباعدة فيدفعهم التقاطع الى نسيان بعض الكلمات لعدم استعمالها في وطنهم الجديد والى تحريفها على طول الزمان ، ثم يرون في هذا الوطن ما لم يروه من قبل من أنواع الحيوان والنبات والجماد فيضطرون الى وضع كلمات على الوجه الآنف الذكر وهكذا ، فتتباعد اللغة الفرعية عن الأصلية كما تباعد الزمان والمكان ، و يزيد مدى التباعد اذا جاوروا أمماً تتكلم بغير لسانهم فيستعيرون من لغاتهم كلمات تتمثل بعد حين في بنية لغتها ، ثم اذا طال الأمد على أهل لغة و كثر عددهم وارتقت الصفات الانسانية فيهم اتسعت هذه وتعددت أساليب التعبير فيها وضاق حفظ اي فرد من علمائها عن ان يحيط بها ·

القاهرة : احمد الاسكندري

عضو المجمع العلمي العربي

الموازنة

بين الاعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

أجمع المؤرخون على ان مولد ابي العلاء المعري كان سنة ٣٦٣ هجرية وكانت وفاته سنة ٤٤٩ اي سنة ١٠٥٧ مسيحية ومنزلته من علوم اللغة والصناعة الشعرية فوق ان تحتاج الى بيان ، ومكانه بين امراء الكلام فوق ان يعزّز ببرهان وكان له وقوف على سائر علوم عصره ولا سيما العلوم الفلسفية والدينية والهيئة ، اما ذكاؤه وحفظه فما يُعدّ من خوارق الآيات بل من المعجزات ، ولولا ما لدينا من كتبه وشعره ، مع ثبوت فقده البصر منذ الرابعة من عمره ، لكان ما نقل الينا من ذلك الى التكذيب اقرب منه الى التصديق . بيد ان من كان يحفظ ذلك المقدار الجزيل من شتات اللغة والشعر والعلوم ، و يتكلم بما تكلم به نثراً ونظماً ، ويخوض في موضوعات سائر أحوال عصره وعلومه ، لحقيق بان يُصدّق ما نقل الينا عنه ، فمن ذلك انه كان قاعداً يوماً في دكان يهودي ببغداد واتفق ان جاءه خصم له وتكلما بالعبرانية ، ثم مرت على ذلك ايام تحاكما بعدها الى القاضي فقال للمدعي هل عندك شاهدان على ما تقتاله ، فقال عندي رجل يهودي وثانٍ مسلم اعمى ، فأحضرهما القاضي ولما سأل ابو العلاء شهادته قال اني اعرف احدهما بصوته ولعلي أعرف الثاني ايضاً بصوته ، وهما قد تكلما في حضوري بالعبرانية ولم أفهم منها شيئاً ولكنني أحفظ ما قالاه او ما قاله احدهما ، وأعاد العبارة بالعبرية وهو لا يفهم ما يقول ، وكان في شهادته ربح الدعوى ، انقلها باختصار .

ومما اشتهر عنه انه اذ كان في بغداد سنة ٣٩٩ أنشده احد الشعراء قصيدة — ولعله ابو الخطّاب الجبلي — قال ابن الاثير في الكامل في حوادث سنة تسع وثلاثين واربعمائة وفيها مات ابو الخطاب الجبلي الشاعر ومضى الى الشام ولقي المعري وعاد ضريراً ومن شعره :

(ما حكمُ الحبِّ فهو ممتثلُ   وما جناه الحبيب محتملُ)
(تهوى وتشكو الضنى وكل هوىً   لا ينحل الجسم فهو منتحَلُ)

فلما اتى على آخر القصيدة قال له انت أشعر من بالعراق ، ثم عاد ابو العلاء الى الشام ولزم بيته في معرة النعمان ، وبعد خمس عشرة سنة من ذلك التاريخ جاءه شاعر فأنشده قصيدة ولم يذكر اسمه له ، فلما اتى على آخرها قال ابو العلاء : ومَن بالشام ، فعجب الشاعر من فطنته وحذقه ، وسئل مامعنى ما قال لك فذكر للسامعين حكايته معه في بغداد وقوله له انت أشعر مَن بالعراق وانه عرفه الآن بنفسه فعطف على عبارته تلك بقوله ومَن بالشام .

وأمثال هذه الروايات عن ابي العلاء كثيرة ولم أرد بذكر ما أوردته منها اثبات المنقول اونفيه ، فلذلك مقام آخر ، وانما أوردت ذلك تمهيداً لما سيأتي في هذه الموازنة .

وانت تعلم انه قلما نبغ شاعر في فنون المنظوم ، او جاء عالم برأي جديد في علم من العلوم ، الا وقام له من الخصوم والحساد ، او المساجلين والنقاد ، قوم تدفعهم غرائزهم للتعريض به والطعن عليه ، وقد يكون بينهم أفراد لا غرض لهم الا تمحيص الحقائق ، وقليل ماهم ، هذا شأن البشر في كل عصر ، ولاسيما في تلك القرون السحيقة ، يوم كانت الأديان في الشرق والغرب تجارة يتزلف بها العلماء الى مستبدي الحكام والامراء ، بعضهم للتمسك بالرمق ، وبعضهم للتكسب كيفما اتفق ، وآلة قاطعة في ايدي الملوك والحكام توصلاً لمطامعهم السياسية وأهوائهم النفسانية ، ولهذا لم يكن بدّ للفلاسفة والعلماء من إلباس مايكتبون في اي علم غير علوم الدين ، ثوباً من التدين والورع ليأمنوا غائلة عدو يقدح او حسود يشي بهم وينم .

فاذا علم هذا فلننظر اولاً نظرة ناقد في رسالة الغفران هذه ، ففي بدء ما ينعى عليها طولها ، وهي رسالة من صديق الى صديقه ، ويُعتذر عن ذلك ان رسائلهم لذلك العهد كانت طويلةً لعسر وسائل النقل وبُعد المسافات ، معما كانت عليه حالة الطرق في تلك العصور من فقد الأمن ، ولم تكن البُرُد الا لحاجات الحكومات ، فاذا ما همَّ القريب او الصديق بالمكاتبة ، لم يكن له بدّ من البحث عن مسافر امين يودع بين يديه رسالته ، وهذا لم يكن ميسوراً . ولذلك كانت رسائلهم طويلة ، الا ان المسافة

بين معرة النعمان وحلب ليست الا ساعات على القافلة ، فلا ينطبق عليها ما ينطبق على الرسائل التي تقتضي خوض البحار وقطع المسافات الشاسعة في الصحاري والقفار . ثم ان هذه وان كانت جواباً عن رسالة وردت ابا العلاء من صديقه ابن القارح ، فلم تكن رسالة اخوانية ، اذ طولها وما فيها من الأغراض التي لا احسب المعري الا قصد لها وتوخاها ، يخرجها عن الاخوانيات ، و ينزلها منزلة معجم لعويص كلام العرب وغريب أشعارهم في ظاهرها ، وانما هي في الحقيقة مفاكهة بين صديقين في الاعتقاد متبادلين ، ولا أحسب الشيخ ابن القارح الا على مذهب الفلاسفة الزنادقة ، وسيأتيك الدليل فيما يجيئ . اما ابوالعلاء فقد كان فيلسوفاً قولاً وفعلاً ، أقول فعلاً لانه لم يكن بين فلاسفة العرب كلهم من طابق بين قوله وفعله سواه . فهذا الرئيس ابن سينا على فضله ورسوخ قدمه في العلوم الفلسفية ، كان نهماً شديد الشبق ، وكان هو ووالده يتقلدان الأعمال للسلطان في الدولة السامانية ، وقيل انه مات بالسجن . وقال فيه كمال الدين ابن يونس :

(رأيت ابن سينا يعادي الرجال وفي السجن مات أخسّ الممات)
(فلم يشف ما ناله بالشفا ولم ينج من موته بالنجاة)

والشفا والنجاة من أشهر كتب الرئيس كما هو معلوم .

اما ابن الصائغ وابو بكر بن طفيل وابو الوليد بن رشد فكلهم ممن اشتغل مع العلم بالسياسة ولم تصرفه الفلسفة عن الرئاسة ، بل ان أكابر فلاسفة اليونان قبلهم ، لم يحصلوا على منزلة المعري العالية . فان ديوجينوس المشهور بالكلبي لتقشفه وزهده في الدنيا ، قد اشتغل في صباه مع ابيه الصراف بالتزوير والتزييف ، ونفي من وطنه بعد التحقير والتعنيف . ورسطاليس نُسب اليه عقوق استاذه أفلاطون ، وأشياء ان صدق راووها الصقت به العار على مرّ القرون ، بل ان أفلاطون نفسه اشتغل بالسياسة وحام حولها ونُسبت اليه أفعال لم يجزم بصحتها ولم يقطع بتكذيبها .

واين من هؤلاء كلهم ابو العلاء فقد اجمع حساده وخصومه على زهده وتنسكه ، وعظ بالعفاف ونهى عن الدنس . ومات وقد جاوز الثمانين ولم يدنس له عرض ، وحرّض على الفضائل ولزمها ، ذم الدنيا وأعرض عنها ، حرّم ذبح الحيوان منذ

الاربعين من عمره ، فمكث خمساً واربعين سنة لم يذق لحماً ، سمى نفسه رهين المحبسين لفقده بصره ولزومه منزله فمكث اثنين وخمسين سنة بعد عودته من بغداد في بيته .

وهو لم يكن يعتقد بدين من الاديان ، لا كما تحل له اصحابه والمتشيعين لفضله ، زعماً منهم ان القول بذلك مما يحط من قدره ، وقد علموا ان جل فلاسفة اليونان والرومان وغيرهم من الامم الخالية لم يكونوا على دين . وان منهم من كان على الوثنية والمجوسية لم يقدح ذلك في علمهم ، بيد ان عصور المتشيعين للمعري لم يكن يباح فيها لعالم ان يمالئ بمدح زنديق وان بلغ من العلم والفضيلة ما بلغه المعري ، ولم يكن اولئك المتشيعون بالعدد القليل منذ كان حياً . فقد بلغ مرتبة من تجلة الناس ووقارهم لم يروها تاريخ من تواريخ الارض كلها عن عالم اوفيلسوف او ملك . فقد روى الحافظ السلفي قال جلس على قبر ابي العلاء المعري عند دفنه نحو من مائة وثمانين شاعراً ورثاه اربعة وثمانون شاعراً منهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم صوفية وترجمهم باسمائهم .

فلا بدع بعد ذلك اذا ما رأي اولئك الفضلاء وأمثالهم ان يتحلوا له صدق الاعتقاد درعاً يتقون بها الوشايات ، ووسيلة يتوسلون بها لنشر مؤلفاته ، ولست القي القول على عواهنه فحسبك من قوله في لزومياته .

(اذا رجع اللبيب الى حجاه تهاون بالمذاهب وازدراها)
(فخذ منها ما أداه لب ولا يغمسك جهل في صراها)
(وهت اديانهم من كل وجه فهل عقلٌ يُشَدُّ به عراها)

وقوله :

(وجاءتنا شرائع كل قوم على اثار شيءٍ رتبوه)
(وغير بعضهم اقوال بعض وابطلت النهى ما اوجبوه)

وقوله :

(هفت النصارى والحنيفةُ ما اهتدت ويهودُ حارت والمجوسُ مضلَّلَه)
(اثنـان اهل الارض ذو عقل بلا دينٍ وآخرُ ديِّن لا عقلَ له)

وكثير من مثله في كتبه مما لا يحتمل التأويل .

ولست أراه أراد برسالة الغفران الا الانتقاد على ما ذكره فيها ، وقد قلت قبل

هذا اني أحسب ابن القارح على مذهبه ، لا لان رسالة الغفران قد كتبت اليه فقط ، بل لانها جواب على رسالته التي لاخالها تضرب الا على هذا الوتر — وان لم يكن ذلك صريحاً — لقول المعري في اوائل رسالته : وقد وصلت الرسالة التي بحرها بالحكم مسجور، ومن قرأها لاشك مأجور، اذ كانت تأمر بنقيل الشرع ، وتعيب من ترك اصلا الى فرع : أفلم يجد ابن القارح من طلبة العلم وغيرهم من محبي العلوم الشرعية في حلب يومئذ جديراً بتعلم الشرع وحدوده سوى ابي العلاء وهو بحر العلوم ، ولاسيما والمفهوم من جواب ابي العلاء انها تتضمن أغراضاً أخرى كثيرة ، وان عنونهـا بغير ذلك كما ذكر في اول رسالة الغفران .

وعلى الجملة فلا شك عندي انه لم يقصد برسالته تلك الا مذاكرة المعري في معنى كلاهما عليه متفقان واليه قاصدان . وحسبك من ذلك ان رسالة ابن القارح في ثقيل الشرع ، فبدلاً من ان يجيبه المعري عليها بما يتعلق بذلك او بالاعتراض على شيء منها او بشرح ما يعنُّ له في ذلك كله ، تراه يدعو له بالجنة ويحدثه عما فيها وفي الجحيم من الغرائب ويقول له « ومثلها شفع ونفع ، وقرّب عند الله ورفع ، والفيتهـا مفتتحة بتمجيد صدر من بليغ مجيد وفي قدرة ربنا جلّت عظمته ان يجعل كل حرف منها شبح نور .. » الى آخر ما ذكر عن هذه الرسالة مما لا أراه فيها هازلاً منتقداً لا جاداً معتقداً وحسبك قوله « وانما أذكرها لانه قـد يجوز ان يقرأ هذا الهذيان ناشئ لم يبلغه ذلك » .

واما ظاهر مافيها من ألفاظ التقوى ، فليس بحجة على نفي ما أقول واليك عبارته عن المتنبي : واذا رُجع الى الحقائق فنطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الانسان لان العالم مجبول على الكذب والنفاق و يحتمل ان يظهر الرجل تديناً وانما يجعل ذلك تزيناً الى آخر ذلك .

ولم يكن ابو العلاء ممن يحسب لفظ الزنديق شتماً او تحقيراً وانما هو وصف يراد به ان الموصوف بهذا اللفظ لايدين بمذهب من المذاهب ، وهو المعبر عنه في كتب اللغة ، وقد وصف به كثيرين ممن ذكرهم في رسالة الغفران ، لاتحقيراً بل بياناً وتمييزاً .

واما اختياره تسمية هذه الرسالة برسالة الغفران ، فلا أدري أهو الذي اسماها

أم ابن القارح ام سواه ، والارجح ان يكون هو المسمي ولعله استحب لها اسم الغفران لطلاوة وقعه في الآذان وقد أراد به التفاؤل لصاحبه بالغفران أُسوة بمن ذكرهم من الزنادقة والملاحدة والكفار ، الذين سيراهم في الجنة راتعين وقد نجوا من عذاب النار ، وغفر الله لهم لكلمة خير قالوها ، او بيت فيه وصية صالحة ، يريد ان كتاب ابن القارح « في ثقيل الشرع » وذم من ترك الوقوف عند حدوده ، سيكون سبب الغفران له ودخوله الجنة كغيره من الزنادقة ، وهو برهان لما ذكرناه من ان ابن القارح ايضاً كان من الزنادقة ، وان كتابه لا ينبئ عن اعتقاده ، وان ابا العلاء رام ممازحته في مضمون الكلام والثناء عليه في ظاهره ، ولعل تصدي ابن القارح لتأليف تلك الرسالة في ثقيل الشرع اي لزوم حدوده ، مع ما كان عليه من الزندقة التي كان يبوح بها لابي العلاء في خلواتها ، هو الذي وحى اليه موضوع رسالة الغفران وابتكاره ، فكان آية في الهزل صوّره الجد ، وثوب تقريظ سداه النقل ولحمته الحمد ·

وقد آن لي ان أذكر جملاً منها توضح لك غرضه في الانتقاد طي ثوب الاعتقاد وهزلاً يضحك الثاكل والمنفجع ، ويشغل عن الراضع المرضع ، وتهويلاً ترتعش له المفاصل ، وترتعد منه الخصائل ، في بيان يعجز المصور عن تصويره بعد دقيق اللحظ ، بابدع وصف وابرع لفظ ، وقائله لم ير نوراً ولا تصويراً ، منذ كان طفلاً صغيراً ·

« الطواف في الجنة »

قال بعد وصف خمور الجنة : فأما الانهار الخمرية فتلعب فيها اسماك هي على صور السمك بحرية ونهرية ، وما يسكن منه في العيون النبعية ، ويظفر بضروب النبت المرعية ، الا انه من الذهب والفضة وصنوف الجواهر ، المقابلة بالنور الباهر ، فاذا مدّ المؤمن يده الى واحدة من ذلك السمك شرب من فيها عذباً لو وقعت منه الجرعة في البحر الذي لا يستطيع ماءه الشارب ، لحلت منه أسافل وغوارب ··· وكأني به ادام الله الجمال ببقائه اذا استحق تلك الرتبة بيقين التوبة ، وقد اصطفى له ندامى من ادباء الفردوس ، كأخي ثمالة واخي دوس ، ويونس بن حبيب الضبي ··· وهو ايد الله العلم بحياته معهم كما قال البكري :

(نازعتهم قضب الريحان مرتفقاً وقهوةً مزةً راووقها خضل)

وابو عبيدة؟ يذكرهم بوقائع العرب ... وتهش نفوسهم للعب فيقذفون تلك الآنية في أنهار الرحيق ....

ثم يرينا الشيخ علي بن منصور وهو ابن القارح نفسه ينتقل في أمصار الجنة فيسأل حميد بن ثور : وهو الذي يقول :

(ارى بصري قد رابني بعد صحة وحسبك داءً ان تصح وتسلما)

كيف بصرك اليوم فيقول اني لا كون في مغارب الجنة فألمح الصديق من اصدقائي وهو بمشارقها وبيني وبينه مسيرة الوف أعوام للشمس التي عرفت سرعة مسيرها في العاجلة ... ثم يخطر له حديث شيء يسمى النزهة في الدار الفانية فيركب نجيباً من نجب الجنة خلق من ياقوت ودرّ ، في سجسج بعد عن الحرّ والقرّ ... ثم يصنع مأدبة في الجنان يجمع فيها ما أمكن من الشعراء ويمدد مافيها من ضروب الماعون العسجدية ، والخون الذهبية ، والفواثير [1] من اللجين والصحاف العجيبة والأقداح والكؤوس ذوات التصاوير والأباريق والزجاجات ، والبواطي والطاسات ، من أشكال الجواهر وأنواع الأطعمة وأجناس الطير والحيوان ، وكل طهاة حلب منذ عمرت الى ما بعد البعث ، وجميع المغنين والمغنيات ، تخدم بين ايديهم جوارٍ من الحور العين ، وغلمان كأنهم اللؤلؤ المكنون ، وينشيءُ الله بحكمته شجرة جوز تنفض عدداً لا يحصيه الا الله تنشق كل جوزة عن اربع جوارٍ يرقصن على أبيات الخليل فتهتز ارجاء الجنة ... ثم يرى بين من يخاطبهم من الشعراء عُبيداً فيقول : السلام عليك يا اخا بني اسد فيقول وعليك السلام . واهل الجنة أذكياء ، لا يخالطهم الاغبياء ، لعلك تريد ان تسألني بمَ غُفر لي ... ثم يساجل الشعراء ويحضر مهاترتهم ونشائمهم ويفترق اهل ذلك المجلس بعد ان اقاموا فيه كعمر الدنيا اضعافاً كثيرة .

ومن هزله فيها : وبينما هو (اي الشيخ علي القارح) يطوف في رياض الجنة لقيه خمسة نفر فيقول ما رأيت أحسن من عيونكم من اهل الجنان فمن انتم خلد عليكم النعيم فيقولون نحن عوران قيس ...

---

(١) خوان الطعام او الموائد .

ومن هذا الباب طلب رضوان جوازاً منه ليدخله الجنة ونظمه قصيدة الى آخر هذه الحكاية البديعة .

وابدع من ذلك واغرب قصصه على لسان ابن القارح كيف حُشر وحوسب الى ان يقول : فلما خلصت من تلك الطموش [1] قيل هذا الصراط فاعبر عليه ، فوجدته خالياً لاعريب [2] عنده ، فبلوت [3] نفسي في العبور ، فوجدتني لا استمسك فقالت الزهراء صلى الله عليها لجارية من جوار يها يافلانة اجيزيه فجعلت تمارسني [4] وانا أتساقط عن يمين وشمال فقلت ياهذه ان اردت سلامتي فاستعملي معي قول القائل :

(ستّ ان اعياك امري فاحمليني زَقَفُونَهْ)

فقالت وما زَقَفُونَهْ ؟ قلتُ ان يطرح الانسان يديه على كتفي الآخر ويمسك بيديه ويحمله وبطنه الى ظهره ، اما سمعت قول الجعجلول من كفر طاب ؟

صلحت حالتي الى الخلف حتى صرت امشي الى الورى زقفونهْ

فقالت ما سمعت بزقفونه ولا كفرطاب الا الساعة ، فتحملني وتجوز كالبرق الى آخر ما ذكر ؟ . ومن هذا الباب ايضاً عربدة نابغة بني جعدة والاعشى ومنها : ويَثب نابغة بني جعدة على ابي بصير فيضربه بكوز من ذهب فيقول اصلح الله به وعلى يديه لا عربدة في الجنان انما يعرف ذلك في الدار الفانية بين السَفِلَة والهجاج وانك يا ابا ليلى لمُتَترّع [5] .

ومن بدائع مفاكهاته : فيأخذ سفرجلةً او رمانة او تفاحة او ما شاء الله من الثمار فيكسرها فتخرج منها جارية حوراء عيناء تبرق لحسنها حوريات الجنان فتقول من انت ياعبد الله ؟ فيقول انا فلان ابن فلان : فتقول اني أُمنّى بلقائك قبل ان يخلق الله الدنيا باربعة آلاف سنة ... ويخطر في نفسه وهو ساجد ان تلك الجارية على حسنها ضاوية [6] فيرفع رأسه من السجود وقد صار من ورائها ردف يضاهي كثبان عالج ، وانقاء الدهنا ، ورملة يبرين و بني سعد [7] ، فيهال من قدرة الله اللطيف الخبير .

(١) البلايا والمصاعب . (٢) اي لا احد . (٣) جربت . (٤) تلاعبني .
(٥) متسرع الى الشر . (٦) نحيفة . (٧) اسماء تلال من الرمل كالجبال الصغيرة مشهورة عند العرب .

و يقول يا رازق المشرقة سناها ، ومبلغ السائلة منـاها ، والذي فعل ما اعجز وهال ، ودعا الى الحلم الجمّال ، اسألك ان تقصر بَوْسَ[1] هذه الحورية على ميل في ميل ، فقد جازَ بها قدرُك حدّ التأميل . . . (ستأتي البقية)

القاهرة : قسطاكي الحمصي

عضو المجمع العلمي العربي

اعضاء المجمع في الغرب

السيد بدرسن (Pedersen) الدانيمركي

ولد الاستاذ بدرسن يوم ٧ تشرين الثاني ١٨٨٣ واختلف منذ سن السابعة الى مدارس مختلفة حتى سنة ١٩٠٢ ودخل جامعة كوبنهاغ فدرس اللاهوت وعني عناية خاصة بدرس التوراة ولاسيما العهد القديم وقد اوصله درس اللغة العبرية التوراتية الى دراسة سائر اللغـات السامية ولما جاز الامتحان سنة ١٩٠٨ عني من سنة ١٩٠٩ — ١٩١٢ بالدروس السامية في المانيا وهولاندة و باريز و بودابست ونال سنة ١٩١٢ شهادة الدكتورا بتأليف كتبه على اليمين عند الشعوب السامية وفي الاسلام .

وفي سنة ١٩١٦ عين استاذاً للعهد القديم في جامعة كوبنهاغ وخلف استاذه القديم الاستاذ بول منذ سنة ١٩٢٢ في تدريس اللغات السامية . وعني عناية خاصة بالعبرية والعربية . وعاون من سنة ١٩١٣ — ١٩١٩ في المعجم العربي الذي يعده الاستاذ فيشر الالماني للنشر في ليبسيك وذلك بتهيئـة شواهد عربية قديمة ولا سيما من الشعر القديم .

وفي سنة ١٩٢٠ — ١٩٢١ رحل الى مصر وفلسطين وسورية لدرس العربية الحديثة والتوسع في معرفة الاسلام . وله بضعة تآليف منها ما كتبه بالدانيمركية ومنها بالالمانية ومنها في بعض موضوعات التوراة ومنها نقول دينية اسلامية . ومن

(١) ردف .

ابحاثه رسالة في بلاد العرب الوسطى والوهابيين وأخرى في الدليل على اليوم الآخر من القرآن ورسالة على الازهر الشريف وتاريخ التعليم في الاسلام · وهو مؤازر في الموسوعات الاسلامية وفي عدة معاجم ومجلات كتب فيها مقالات او عارض فيهما نصوصاً باخرى · وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي منذ سنة ١٩٢٢ ولنا به صحبة وأنسة ايام كونه في دمشق ·

مطبوعات حديثة

الذخيرة

« لابن رشيق القيرواني وزميله ابن شرف »

أودع اليّ المجمع العلمي رسالةً بهذا العنوان مهداةً من رصيفينا الفاضلين محب الدين الخطيب وعبدالفتاح قتلان صاحبي المطبعة السلفية في مصر لاتتجاوز صفحاتها المئة والعشرين من القطع الصغير وهي مماعني بجمعه السيد ابي البركات عبدالعزيز اليمني السلفي الراجكوتي الاستاذ بالكلية الشرقية في مدينة لاهور (عاصمة بنجاب الهندية) مشفوعة برسالة أخرى تنطوي على ترجمة ابن رشيق هذا سأتكلم عنها في فرصة ثانية ان شاء الله ·

ولقد وضح لي مماطالعته في تلك الرسالة ان ابن رشيق لم يجمع شعره حال حياته ويدوّنه فبقيت فرائده مبعثرة تتلاعب بها ايدي الضياع الا مارواه واستشهد به بعض المؤلفين من أساطنة التاريخ ونوابغ اهل الأدب مماجاء متفرقاً في كتب شتى فبعثت الغيرة السيد ابي البركات المشار اليه الى التماسه من مواطنه باذلاً الوقت والعناية حتى تسنى له الاشتمال عليه نتفاً ومقاطيع وابياتاً فذّة نسّقها في هذه الرسالة مرتبة على حروف المعجم وذيل صفحاتها بحواشٍ ذكر فيها المآخذ التي نقل عنها مع تعيين الصحيفة والطبعة واسم الكتاب المأخوذ عنه ثم شفع كل ذلك بشرح لطيف لما ورد في المتن من الالفاظ اللغوية التي قد تعزب معانيها على معظم القراء وهي طريقة حبذا لو تحداها عامة الكتبة والمنشئين لما ينجم عنها من الفائدة وصحة التثبت من الرواية لمن يعنيه ذلك ·

اما شعر الرجل فهو غاية الغايات في الرقة والطلاوة وحسن السبك ولصاحبه من سعة الخيال والقدرة على الابتكار والاجادة في مختلف المناحي وشتى المقاصد ما لا يضارعه فيه الا أفذاذٌ معدودون من فحول القريض . من اجل هذا رأيت ان أثبت هنا للقراء الافاضل طائفةً صالحةً من تلك التنف الغوالي تفكهة وذكرى . من ذلك قوله في وصف الزرافة :

(جمعت محاسنَ ما حكت فتناسبت في خلقها وتنافت الاعضاءُ)
(تختالُ بين الخوافق مشيةً بادٍ عليها الكبر والخيلاءُ)
(وتمدُّ جيداً في الهواء يزينها فكأنه تحت اللواء لواءُ)
(حُطت مآخرها واشرف صدرها حتى كأن وقوفها اعياءُ)
(نعم التجافيف التي ادرّعت به من جلدها لو كان فيه وقاءُ)

وقوله متغزلاً وفيه معنىً رائع :

(ان كنت تنكر ما منك ابتليت به فان بُرءَ سقامي عزَّ مطلبهُ)
(اشمم بعود من الكبريت نحو فمي وانظر الى زفراتي كيف تلهبهُ)

وقوله وهو في غاية الابداع :

(سألتُ الارض لِمْ كانت مصلّى ولِمْ كانت لنا طهراً وطيبا)
(فقالت غير ناطقةٍ لاني حويتُ لكل انسان حبيبا)

وقوله وفيه من لطف الصبابة ما شاء الوجد الصادق :

(ومن حسنات الدهر عنديَ ليلةٌ من العمر لا نترك لايامها ذنبا)
(خلونا بها ننفي القذى عن عيوننا بلؤلؤةٍ مملوءةٍ ذهباً سكبا)
(وملنا لتقبيل الثغور ولثمها كمثل جنوح الطير تلتقط الحبّا)

ومثله وهو اعذب واطرب وفيه من سلامة الاختراع ما لا يخفى :

(قبلت خدًّا منه أضرم لوعتي وجعلت اطفئُ حرّها برضابه)
(وضممته للصدر حتى استوهبت مني ثيابي بعض طيب ثيابه)
(فكأن قلبي من وراء ضلوعه طرباً يخبر قلبه عما به)

وله مماجناً :

(لك مجلس كملت بشارة لهونا فيه ولكن تحت ذاك حديثُ)

(غنّى الذباب فظل يزمر حوله فيه البعوض و يرقص البرغوثُ)

ومن مبتكراته قوله من ابيات :

(كادت خلاخيل من اهوى تبوح به سرًّا وغصت بما فيها دمالجه)

وله في ذمّ الصباح وهو من غرر معانيه :

(كيف لا ابغض الصباح وفيه بان عني اولو الوجوه الصباح)

وله وهو انيقٌ رشيق :

(لو وُضع الورد على خده ما عُرف الخد من الورد)

(قل للذي يعجب من حسنه اقرأ عليه سورة الحمد)

وقال يصف خالاً بين الجيد والخدّ :

(حبذا الخال كامناً منه بين الـ ـ جيد والخد رقبة وحذارا)

(رام تقبيله اختلاساً ولكن خاف من سيف لحظه فتوارى)

وله وهو من الحكمة الرائعة بمكان :

(في الناس من لا يرتجى نفعه الا اذا مُسّ باضرار)

(كالعود لا يطمع في طيبه الا اذا أحرقَ بالنار)

وله في وصف السحاب :

(سحاب حكت ثكلى أصيبت بواحدٍ فعاجت له نحو الرياض على قبر)

(ترقرق دمعاً في خدود توشحت مطارفها بالبرق طرزاً من التبر)

(فوشيٌ بلا رقمٍ ونسجٌ بلا يدٍ ودمعٌ بلا عين وضحك بلا ثغر)

وما جاء في الرسالة من شعر ابن رشيق فهو بالجملة آيات بينات ، اما زميله ابن شرف فهو شاعر متوسط الطبقة لا يدل ماورد في الرسالة من منظومه على خيال سامٍ وأسلوب ممتاز وهو في كل حال دون منظوم ابن رشيق بمراحل ومن أجود مايعزى اليه قوله :

(والكأس كاسية القميص كأنها لوناً وقدراً معصمٌ مخضوبُ)

(هي وردة في خده وبكأسها تحت القناني عسجدٌ مصبوبُ)

ومما تُعاب به الرسالة ما جاء في بعض محتوياتها من فحش الكلام وبذيئه ومما

لا يغتفر اثباته في كتب الأدب ولو وكل الامر اليّ لاستجزتُ حذفه وانْ اخلّ بشروط الأمانة اذ عارٌ على الأدب ان يُمزج بما يغري على سوء الأدب ·

عضو في المجمع العلمي

سليم عنحوري

عدة الاديب

وضعه وشرح الفاظه اللغوية السيدان سليم الجندي ومحمد الداودي

الجزء الثالث ص٩٦ طبع في مطبعة الترقي في دمشق ١٩٢٦—١٣٤٥

يوالي هذان الاستاذان المحققان نشر السلسلة البديعة التي بدآ بهـا وفيها طرف من شعر الشعراء والكتاب محدثين ومتقدمين وشيء من تراجمهم ونحن لاعجابنا بكتاب العدة نقول للمؤلفين ما قاله الصاحب بن عباد وقد اطلع على كتاب الفاظ الكتاب المشهور الذي ألفه عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني الكاتب : لو ادركته لامرت بقطع لسانه ويده فسئل عن سبب ذلك قال : لانه جمع شذور العربية الجزلة المعروفة في اوراق يسيرة فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب ورفع عن المتأدبين عنت الدرس والحفظ الكثير والمطالعـة الدائمة اه · ونرجو للمؤلفين الصديقين المعونة على اتمام ما يسهل على اولادنا تناول المختار من الكلام الجزل مشروحاً منقحاً لينشأوا فصحاء بلغاء · م·ك

مركز المرأة في قانون حمورابي

« والقانون الموسوي »

ألفه (جان أمل ربك) وعربه الاستاذ سليم العقاد · وقد طبع في المطبعة المصرية بمصر في نحو ١٢٠ صفحة بالقطع الصغير

موضوع الكتاب بحث اجتماعي عائلي يصور لك مركز المرأة والأطوار التي تقلبت فيها خلال الفي سنة اي من (٢٥٠٠) ق م الى (٥٠٠) ق م وقد كسر بحثه على ادوار اربعة :

(١) مركز المرأة في شرائع البابليين الأُول اي منذ اربعة آلاف وخمسمائة سنة وقت ان كانت المرأة تحجب عن الانظار و يبيعهـا ابوها وفاءً لدينه بالدرهم والدينار وقت ان كان الحق للرجل في ان يطلق امرأته بمجرد قوله لها انت لست امرأة لي فتطلق من دون ان يلحق الرجل ملام او تبعة من الهيأة الاجتماعيـة ، اما اذا طلقت المرأة زوجها قائلة (انت لست زوجاً لي) أغرقوها في النهر للحال وان أفلتت من الاغراق طردت من الهيأة الاجتماعية ذليلة طول عمرها . وقت ان كانت تبيح نفسها مرة في العمر لمن أراد ملامستها في هيكل الربّة ميليتا (الزهرة) مقابل جعل من المال يعتبر مقدساً .

(٢) مركز المرأة في شرائع حمورابي اول ملك بابلي دونت شريعته ووصلت الينا وذلك سنة (٢٠٠٠) ق م تقريباً هذه الشريعة نسخت الشريعة الاولى ورفعت من قدر المرأة بالقدر الذي استعدت له حالة البشر يومئذ لكن بقي فيها بعض الجزئيات مثل ان المرأة المتهمة بالزنا تلقى في نهر فاذا طفت على وجه الماء كانت بريئة وان رسبت كانت فاعلة والمدافعون عن شريعة حمورابي يقولون ان الكنيسة في العصور الوسطى كان لها في تحقيق التهمة مثل هذه الطريقة وكانت تسمى (حكم الله) .

(٣) مركز المرأة في شريعة إسرائيل الاولى وان مركزها في هذا العهد يشبه مركزها تقريباً في العهد الحمورابي مع قليل من الاصلاح في بعض الشؤون من ذلك تغطيس الزانية المتهمة فقد استعاض الاسرائيليون عنه بتجريع (الماءالمرّ) ذلك انهم يسقونها ماءً مقدساً ممزوجاً بتراب وطئته النعال فتجرعه المسكينة فان ضرها وأفسد صحتها كانت زانية والا كانت بريئة .

(٤) مركز المرأة في شريعة موسى أثبت المؤلف ان هذه الشريعة رفعت المرأة الى المستوى الشريف اللائق بها وأقام على ذلك الأدلة والبراهين من اقوال كبار العلماء المؤرخين واللاهوتيين نعم بقي فيهاشيءٌ موضع نظر مثل مسألة تجريع الماءالمر وامتحان الزانية به . وبين شيئاً من حكمته بالجملة ثم رد على من قال ان شريعة حمورابي أفضل من شريعـة موسى بالنسبة الى رفع شأن المرأة بل ان المؤلف تخطى الى تفضيل شريعـة موسى على شريعة (القانون المدني الافرنسي) وقابل بينهما مادة مادة بما دل على اضطلاعه وطول

باعه في التاريخ واللاهوت وضرب لذلك مثلاً مسألة حرية تصرف المرأة في ما تملك فالشريعة الحمورابية سوغت لها ذلك ضمن دائرة محدودة فجاءت الشريعة الموسوية ووسعت تلك الدائرة ، اما القانون الافرنسي فانه حجر عليها وجعلها كالقاصر بحيث لا يجوز لها التصرف مطلقاً الا بارادة زوجها ٠

هذه هي خلاصة موضوع الكتاب ونموذجات من المباحث التي أفاض فيها مؤلفه إفاضة ممتعة ، اما غرض المترجم الاستاذ سليم العقاد[1] من اهداء الكتاب مترجماً بلغة عربية فصيحة الينا معشر العرب فهو تنبيهنا الى ما يجب علينا اليوم من امر إصلاح شأن المرأة المسلمة فهو كأنه يقول ان على المرأة المسلمة واجبات ولا يمكن مطالبتها بها مالم نوفها حقوقها وقد قامت الهيعات في البلاد العربية حول حقوق المرأة وواجباتها وكثر اللغط والجدل حتى كاد يؤول الى مالاتحمد عقباه فهو بهذا الكتاب كأنه يرفع بيده مشعالاً من عبر التاريخ او هو لعمري يرفع مرآة وكأنه يقول لرجال الدين انظروا فيها وتبينوا مركز المرأة المسلمة بين اخواتها منذ اربعة آلاف سنة الى اليوم ٠ لا جرم ان المسلم ليباهي بما منحته شريعته للمرأة المسلمة مذ حماها من مثل لعنة (التغطيس في النهر) و (تجريع الماء المر) بل يفتخر وحق له ان يفتخر مذ يرى شريعته اعطت المرأة من حق التصرف بمالها كتصرف الرجال تماماً ذلك الحق الذي حرمتها اياه حتى الشريعة الافرنسية — حقاً ان هذا يملأ نفس المسلم صلفاً وعجباً ومباهاةً بنبيه صلى الله عليه وسلم الذي رفع عن المرأة الاصر والأغلال التي قيدتها بها شرائع الأمم الاخرى ٠ ولكن لا يلبث ذلك العجب والتيه ان تخمد جمرته مذ يرى علماء الاجتماع يرفعون عقيرتهم بالشكوى من لعنة الطلاق في الشرائع الاسرائيلية الاولى التي يطلق الرجل بموجبها زوجته لأهون الاسباب وانفه الدواعي ، فالمطلقة المسكينة على هذه الصورة تبقى مضغة بين الناس متسائلين ما ذا عساه يكون السبب في تطليقها حتى جاءت الشريعة الموسوية فأمرت المطلق بان يسلم زوجته (كتاب طلاق) يبرؤها من كل تهمة ووضمة تحط من قدرها ٠ وها نحن اولاء معشر المسلمين اليوم نعامل المرأة من هذه الوجهة بما كانت تعامل به في شريعة البابليين والاسرائيليين لا يلبث الرجل ان يغضب على زوجته

(١) هو غير الاستاذ السيد محمود عباس العقاد عضو المجمع العلمي العربي ٠

لالا يُعلم من الأسباب · فيطلقها و يطرحها كالشيء اللقا خارج الأبواب · فهل يتصور في العقل ان محمداً صلى الله عليه وسلم الذي اعطاها في الحياة والعلم والمال والكرامة كل حق يعرضها لمثل هذا الامتهان لا والله · فعلى اخواننا علماء الاسلام ان ينظروا في المرآة التي رفعها لهم الفاضل العقاد فان في ذلك الحق والسداد · المغربي

اعلام العراق

يتضمن سيرة المرحوم السيد محمود شكري الألوسي وتراجم طائفة من نوابغ أسرته · تصنيف تلميذه السيد محمد بهجة الاثري · طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٥ ﻫ في نحو ٢٤٠ صفحة بالقطع المتوسط

قال الاستاذ مصنف هذا الكتاب في مقدمته شارحاً الغرض من تأليفه « ولما كنت أشد الناس اتصالاً به (ايـ بعلامة العراق المرحوم الألوسي) ومثافنة له ومعرفة باحواله فقد بعثني باعث الواجب والوفاء له وللتاريخ معاً على ان أشرح سيرته العلمية والعملية وأخدم بها التاريخ الحديث » وكما وفى المصنف الفاضل حق استاذه بوضع هذا الكتاب أراد ان يفي به ايضاً حقاً آخر لمجمعنا العلمي رآه واجباً عليه فجعل كتابه تقدمةً له ورقم ذلك بالطبع على نسخه فقال ما نصه : « الى المجمع العلمي العربي الجليل : هذه زهرة اقتطفتها من رياض الشباب وآثرت ان أقدمها اليك والهدايا على قدر مهديها » فيكون هذا المصنف اول كتاب أُهدي الى المجمع على هذا النمط من الاهداء ولذلك حق على مجمعنا ان يشكر للمهدي صنيعه ويقابل ثقته هذه بالارتياح والاغتباط · افتتح المصنف الكتاب بفصول ضمّنها نشأة أسرة الألوسي في بغداد ثم اتى على تراجم بعض نوابغهم ونشر رسومهم ورسوم بعض أبنائهم · وأشهر هؤلاء النوابغ السيد محمود الألوسي صاحب التفسير الكبير (المتوفى سنة ١٢٧٠ ﻫ) وهو جد المرحوم محمود شكري الالوسي ومن أشهر نوابغهم ايضاً عمه السيد نعمان مؤلف كتاب (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) (المتوفى سنة ١٣١٧ ﻫ) ثم أفاض المصنف في ترجمة استاذه

فاستغرقت نحو ثلثي الكتاب : فأتى على ذكر دراسته وأساتذته وتدريسه ثم تأليفه كتاب (نيل الأرب) الذي اخذ عليه الجائزة والوسام الذهبي من (اسكار الثاني) ملك اسوج ونروج . ثم مصنفاته الاخرى . ثم حادثة نفيه الى الموصل (سنة ١٣٢٠هـ) بسعاية اعدائه لدى والي بغداد ثم عودته الى وطنه بعد شهرين وذلك بالمساعي الجميلة التي قام بها اهل الموصل لدى السلطان عبد الحميد ثم ذكر تكليف الحكومة التركية له في اول الحرب العامة ان يسافر الى نجد ويفاوض صاحبها ابن سعود في إنجاد الأتراك ثم وصف حفلات التأبين التي أقيمت له بعد وفاته ومن جملتها حفلة المجمع العلمي بدمشق ثم أسهب في وصف اخلاق استاذه واطواره ومبلغ مقاومته للحشو بين الجامدين وقد ذكر نتفاً من اقواله وآثاره الدالة على ذلك وهي من اكبر الشواهد على رسوخه في العلم وعقيدة السلف وحبه الشديد للاصلاح . كما تدل على مبلغ خسارة العالم الاسلامي بفقده رحمه الله . وكنا اثناء تصفحنا لهذا الكتاب نعجب لذكاء مؤلفه وحسن تصرفه في الثناء على استاذه . وكنا نرى علم استاذه واخلاقه وطريقته في الاصلاح وشدة وطأته على الجامدين — كل ذلك متجسماً فيه ضاربًا قبابه عليه . فما أشبههما بالشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية : فكما كان هذان كوكبي إصلاح في العصور المتوسطة كذلك كان الألومي وتلميذه الاثري في هذه العصور المتأخرة . وان كان الدهر فجعنا بالاستاذ الشيخ ، فندعو الله ان يمتع المسلمين زمنًا طويلاً بالتلميذ الذي ما زال في ميعة الشباب . وغضاضة الأهاب . وهو مع كونه لم يزل ابن لبون . قد شأى المُقرمين واستطاع أن يبذ البزل المصاولين . ولم نجد في كل ما كتبه المؤلف اثراً لغلواء الشباب . اللهم الا ثلاث جمل كنا نحب ان يتنزه عنها الكتاب : كلمة في ص ٣٧ وردت في وصف ابي الثناء محمود للنساء الاستانة . وكلمة أخرى في ص ٩٩ فيها شتم لرجل قضى نحبه . وكلمة ثالثة في ص ١٣٥ فيها تحقير لرجل شهير لا شبهة في فضله ونبوغه . نعدّ على صديقنا المؤلف هذا ملقين تبعته على شبابه لا عليه وهو موضع الثقة في ان يحل نقدنا محله ويصغي اليه .

له

المرأة الحديثة وكيف نسوسها

تأليف السيد عبد الله حسين الخريج في الحقوق والعلوم السياسية . عني بنشره السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية ص ٢٦٠

يدور البحث في هذا الكتاب حول الطور الجديد الذي دخلت فيه المرأة لا سيما بعد الحرب العامة وكيف أصبح للرجل أزاءها موقف غير موقفه الأول من حيث سياستها ومعاملتها ومعاشرتها فلم يعد في إمكان الرجل ان ينظر اليها كآلة لهو اوحارسة بيت بل عليه ان يعتبرها شريكاً له في هذه الحياة عوناً على تحصيل السعادة والهناء العائلي . فليجتهد إذن في تربية هذه الشريك التربية العائدة بالنفع عليهما معاً .

وهذا ما قاله المؤلف مبيناً الغرض من تأليفه (أردنا ببحثنا ان نعلم كيف يجب ان يسوس الرجل المرأة الحديثة بعدما تطورت هذا التطور بخيره وشره ، فضائله ورذائله) ولغة المؤلف وانشاؤه ليس من الطبقة الراقية على العكس من تفكيره وتوقد بصيرته في الموضوع الذي يكتب فيه على ان الفصول الاولى التي افتتح بها الكتاب ضمنها الكلام على المرأة الانكليزية وتطورها الحديث وهي مترجمة عن الانكليزية للموسيو جاليكان من اشهر علماء الاجتماع الاوربي واحد اساتذة المؤلف . ويحتوي الكتاب على عشرين فصلاً ضمنها اهم ماتجب معرفته من علاقات الرجال بالنساء من حيث النزاع واسباب سوء التفاهم بينها وتحديد الحقوق التي لها والواجبات التي عليها وصفات الزوجة واختيارها والزواج والطلاق والامانة الزوجية وان في الإخلال بها إخلالاً بالعائلة وإضاعة للنسل والتزوج بالاجنبية ووجوب العفاف وفوائده وانه لا يفسد الصحة كما يزعم بعضهم وغير ذلك مما يهم الجنسين معرفته . وبالجملة فان هذا الكتاب كسائر الكتب التي تصدرها المطبعة العصرية فائدة وإتقاناً . له

كتاب الاخلاق

مؤلفه صموئيل سميلز الأسكتلندي المولد اللندني النشأة (١٨١٢ — ١٩٠٤) حاز هذا الكتاب إقبالا في انكلترا وامريكا ونقل من الانكليزية الى لغات عديدة ·

جعل مؤلفه جل اعتماده في تقرير الأسس الأخلاقية التي تكلم عنها على خصال وأقوال لأكثر من اربعمائة من رجال ونساء اشتهروا بالدهاء والفضل من الأقدمين والمتأخرين منهم اليوناني والروماني والانكليزي والافرنسي والالماني والايطالي والرومي والصيني والهولاندي والامريكي ·

نقل هذا الكتاب الى العربية الاستاذ محمد الصادق حسين خريج مدرسة المعلمين العليا ومدير الادارة العربية بوزارة المواصلات بمصر بعبارة فصيحة وأسلوب حسن لا يكاد يظهر عليه اثر الترجمة ، مصدقاً عليه من لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهو مطبوع في مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٣٤٢—١٩٢٤ طبعاً معنى به ، وان كان فيه بعض أغلاط منها مالا يصعب الاهتداء الى صحيحها ومنها ما ربما لا يتبادر الى الذهن صوابه نحو :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧١	٨	الشجرة	الهجرة
١٥٥	٢٠	للقادمين	للقادحين
١٨٥	٤	هروانه	هراوته
١٩٥	١٠	للأولاد	للبنين
	١٢	الأولاد	البنين
٢٠٣	٩	خمورهن	خمرهن
٣٤٦	١٨	الساعه	الباعة
٣٥٦	١٨	ولما ذا	ولذا ، او ، ولهذا

والحق انه لجدير بمحب الاطلاع على اخلاق تلك الامم وآراء عظمائها في التربية والأخلاق ان يقرأ هذا الكتاب فانه يحصل له فكر واف في ذلك يستطيع ان يقابل به بين ماجاء عن علماء الأخلاق من العرب وما ورد عن اولئك الأعلام ·

وقد وضع له الناقل ذيلاً فيه ترجمة موجزة لمن ورد لهم ذكر في الكتاب ليتعرف القارئ منزلتهم في المفكرين فأحسن بذلك الصنع ، وحبذا لو يوفق الى تأليف مثله عربي الوضع ، اتماماً للنفع ·

من اعضاء المجمع العلمي

مسعود الكواكبي

كتاب علم الغريزة (فسيولوجيا)

لمؤلفه الحكيم احمد منيف العائدي استاذ علم الفسيولوجيا في المعهد الطبي العربي بدمشق

هو كتاب عربي يقع في مجلدين كبيرين عدد صفحات اولها ٧٥٠ صفحة وعدد الثاني ٤٩١ · الاول موشح بمائة واربعة وعشرين رسماً والثاني بخمسة وثلاثين · يبحث الاول في فسيولوجيا الخلية والبيئة الباطنة وتركيبها وغرائزها وجهاز الدوران والتنفس والمجموع العصبي والحواس والحركات وشروط أفعالها وقد لاحظنا ان المؤلف وضع بحث المجموع العصبي في المكان الذي ذكرناه مقدماً إياه على ماسواه من الابحاث نظراً الى شدة علاقته بجهازي الدوران والتنفس ·

ويبحث المجلد الثاني في الهضم وجهازه وفي ملحقات الأنبوب الهضمي وأفعالها ومفرغاتها الداخلية والغدد ذات الإفراغ الداخلي وفعل التمثيل ومضاده والأغذية وفعل الاغتذاء والراتب الغذائي ومفرغات الاعضاء كالبول والعرق وغيرهما وفعل التناسل والحرارة الحيوانية وغرائز أدوار الحياة الباقية كالطفولة والشيخوخة والمواد السامة وتأثيراتها ·

وقد رأينا ان هذا المجلد استوفى البحث في الغدد ذات الافراغ الداخلي مما لم تذكر عنه المؤلفات الغربية الا النزر القليل وهذا دليل على ان المؤلف لم يكتف بترجمة المؤلفات الموضوعة ولكنه اقتبس كثيراً مما دوّنه في كتابه من المجلات والجرائد الطبية والمحاضرات التي القاها كبار الفسيولوجيين في باريس حين كان فيها كشارل ريشه وغيره · وكذلك القول عن السمية في الكيمياء الحيوية وعن الفسيولوجيا في الطفولة والشيخوخة فانه ألمّ بها وذكرها مفصلاً فجاء كلامه عنها جامعاً مفيداً ·

والكتاب مبوب تبويبًا حسنًا متقن الطبع صقيل الورق صحيح العبارة يدل دلالة واضحة على ماعانى واضعه من الجهد في تأليفه فقد اقتبسه من مؤلفات الفسيولوجيا العديدة ومن نظريات أعاظم العلماء وأفكارهم وتجاربهم واختباراتهم من فرنسيين والمان وانكليز واميركان وروس وغيرهم من الامم الحية ودوّن فيه اختباراته الشخصية التي قام بها حين وجوده في البلاد الغربيــة فجاء مؤلفه من أغزر المؤلفات مادة واليك المآخذ التي عاد اليها في تأليفه واسترشد بها في وضع كتابه :

كتاب الفسيولوجيا : لشارل ريشه استاذ الفسيولوجيا في معهد الطب في باريس ٠

كتاب غلاي : معلم الفسيولوجيا في مدرسة فرنسة ٠

كتاب ارثوس ٠

كتاب لئون فريدريك ونوئل الاستاذين في جامعة لياج ٠

كتاب مورا : الاستاذ في جامعة ليون ومعاونه دوايون ٠

قاموس الفسيولوجيا : لشارل ريشه وزملائه ٠

قاموس الفنون الطبية : لديشامبر وزملائه ٠

كتاب الفسيولوجيا البشرية : لبونيس معلم الفسيولوجيا في جامعة نانسي ٠

كتاب الكيمياء الحيوية للامبلنج استاذ في جامعة ليل ٠

ولعمري ان مطالعة هذه الكتب العديدة ومقابلتها وانتقاء الأصلح منها وصوغه في قالب عربي فصيح والتغلب على العقبات الجمة التي تقوم في وجه المقدمين على التأليف في لغتنا العربية الشريفة كل هذا يحملنــا على تقدير العمل الشاق الذي قام به حضرة المؤلف ويدفعنا الى تهنأته ببروز كتابه البديع الى عالم العربية بحلة قشيبة جديدة ٠

وقد جارانا حضرة الزميل في كسع الألفاظ العربية باضافة النهايات الأجنبية اليها كالمضمين (للبيسين) والمضمون (للبپتون) والمضمون الثلاثي (للتربسين) وغير ذلك ٠ وقد احسن باستعمال القمة (لقلة الاشتهاء) والنطفة (للحُيَيْوين المنوي) والدحداح (للمسخ) وغير هذه من المصطلحات التي لم يستأثر بها وانما استعملها ريثما يقر رأي العلماء الاختصاصيين عليها او على ما هو اصلح منها ٠

غير ان الكتاب على الرغم من العنــاية به لا يخلو من الأغلاط المطبعية الكثيرة

ومن بعض الغلطات اللغوية التي كنا نتمنى لو صين عنهـا · هذا عدا مصطلحات علمية كثيرة لانجاريه في وضعها يطول بنا المقام اذا جئنا على ذكرها ومنها ترجمة الفسيولوجيا بعلم الغريزة ·

فنحن نشكر باسم المجمع العلمي للمهدي هديتـه هذه الثمينة ونحض العلماء والزملاء على اقتناء كتاب نفيس كهذا اهل لان يزدان به جيد الخزائن الطبية والعلمية ·

الحكيم

مرشد خاطر

عضو المجمع العلمي العربي

هدية منطقية

أهدى الى المجمع العلمي الفـاضل الارشمندريت توما المعلوف رئيس دير سيدة التلمند جدولين وضعهما في علم المنطق (الاول) في أشكال القياس الاقتراني وضروبها المنتجة وغير المنتجة · و (الثاني) لضروب القيـاس الاستثنائي المنتجة والعقيمة · فالمجمع يشكر له هديته و يلفت اليها انظار الذين لا يزالون ينظرون في منطق ارسطو و يناظرون خصومهم بمقتضي اصوله ·

دار الآثار العربية

جاء في تقرير الحكومة الافرنسية المرفوع الى جمعية الامم هذه السنة ما نعربه :

نما متحف دمشق كثيراً هذه السنة وخاصة بفضل اجتهاد محافظه الامير جعفر حفيد عبد القـادر واحد قدماء تلاميذ مدرسة اللوفر · وقد جعل هذا المتحف في بناية من بنايات القرن الثالث عشر (المدرسة العادلية) التي رممت برمتها منذ سنة ١٩١٩ بناءً على ماارتآه رئيس المجمع العلمي العربي محمد بك كرد علي · وقد جمعت في هذه البناية الجاميع التي كانت مبعثرة في بعض معاهد دمشق وضُمت اليهـا الوثائق التي اكتشفت في الحفريات ولاسيا حفريات الشيخ سعد والمشرفة وتل النبي مند وتدمر اه ·

كتب ورسائل مختلفة

(١) التقرير السنوي للجمعية التاريخية الاميركية عن سنة ١٩٢١ — ١٩٢٣ وقع الاول في ٢٥٥ صفحة والثاني في ٢٧٥ واسمه بالانكليزية هكذا :

Annual report of the Américain historical Association (1921 ef 1923)

(٢) « العيون » تأليف الفيلسوف الهندي رابندرات طاغور تعريب السيد انيس الرامي طبعتها مجلة الجالية الغراء التي تصدر في سان باولو في برازيل واهدتها لمشتركيها يوم عيد الميلاد (٣٢ص) .

(٣) « بلوغ المرام من احكام ذوي الأرحام » وفي ذيله « القول الصائب في تقديم ولد العاصب » هما رسالتان في بحثين من مباحث فن الميراث وضعها الشيخ محمد رحيم من علماء طرابلس الشام .

(٤) غريغور يوس الحجار متروبوليت عكا وحيفا والناصرة وسائر الجليل . ترجمة اعماله . نشرها السيد جميل البحري صاحب المكتبة الوطنية ومجلة ومطبعة الزهرة وجريدة الزهور في حيفا بمناسبة يوبيله الفضي طبع بمطبعة الزهرة في حيفا ص ٢٢

(٥) « مشاهد الحياة » نظم السيد اسكندر الخوري البيتجالي الجزء الاول طبع في القدس سنة ١٩٢٧ ص ٣٠٤ .

(٦) « حقائق وعبر » مقالات في موضوعات شتى نشرها السيد اسكندر الخوري البيتجالي طبع في مطبعة القبر المقدس في القدس ١٩١٣ ص ١٩٢ .

(٧) « الحياة بعد الموت » رواية تاريخية غرامية اجتماعية وقعت حوادثها اثناء الحرب العمومية ١٩١٣ — ١٩١٨ للسيد اسكندر الخوري البيتجالي طبعت بمطبعة الروم الارثوذكس بالقدس سنة ١٩٢٠ ص ٢١٦ .

(٨) « الداء والدواء » مجموعة مقالات اجتماعية للسيد اسكندر الخوري البيتجالي طبع بالقدس بمطبعة دير الروم ١٩٢١ ص ١٢٤ .

الجزء ٧ المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تموز سنة ١٩٢٧ م الموافق المحرم سنة ١٣٤٦ هـ ٧٩

بحث في بعض اصطلاحات

« النبات والحيوان »

طلب اليَّ اديب كبير لا يسعني ردّه ان اكتب شيئاً في علم النبات او علم الحيوان فكتبت في ما يلي بعض ما عثرت عليه في كتب القوم من الالفاظ التي ربما رأى فيها الادباء ما يصلح استعماله في هذين العلمين او التي فيها خلاف او كانت غير معروفة عند عامة القراء وذكرت بعد كل اصطلاح ما يقابله بالانكليزية او باللاتينية . اما الاصطلاح الفرنسي فانه لا يختلف عن الاصطلاح الانكليزي في غالب الاحيان الا في كتابته . على اني ذكرت الاصطلاحين معاً متى كان الفرق بينهما كبيراً ولم اكثر من الالفاظ الأعجمية بحروف لاتينية تسهيلاً لجمع الحروف بل ذكرت عدداً وافراً منها بحروف عربية لا يصعب على الأديب معرفة اصلها الافرنجي . ولا يخفى ان الطريق وعر وان السائر فيه لا يأمن العثار فلا عجب اذا كثرت عثراتي فيه فارجو من الادباء إقالتها او الاغضاء عنها . وهاك بعض ما عثرت عليه او فيه من الفاظ علم النبات :

(١) : البَزرة من النبات كالبيضة الملقّحة من الحيوان اي هي نبات صغير في حالة السكون فاذا أصابتها الحرارة والرطوبة فرّخت ونمت وصارت نباتاً مثل النبات الذي حملها ففيها اذاً الاصل او الجنين الذي يخرج منه النبات وهذا الاصل او الجنين اسمه الفُوف بالعربية (Embryo) . قال في التاج « هو الحبة البيضاء في باطن النَّواة التي تنبت منها النخلة » . وهو قول لا يحتاج الى تفسير فالفوف هو الانبريون عند علماء النبات وكذا ترجمها لاين صاحب مدّ القاموس .

وفيها اي البزرة نكتة في الموضع الذي يكون الفوف وراءه يقال لها النّقير والنقّيرة والنُقْرَة والأُنقور (Hilum) قال ابن سيده في وصف النخلة « اول اسمائها النقيرة . والنقيرة سُرّة العجمة قال ابو زيد : النقير النقرة التي في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة من حبة صغيرة مدوّرة تكون في ذلك الموضع » (المخصص ١١ ١٠٢) واللفظة اللاتينية التي تقدم ذكرها والتي اتخذها النباتيون لهذا المعنى هي كالعربية حقيقةً ومجازاً اي معناها النقرة التي في البزرة والشيء الزهيد كذلك بالعربية فانه يقال لايملك شروى نقير اي لايملك شيئاً . واللفظة عينها مستعملة في التشريح و يراد بها النقرة التي تدخل منها الأوعية والأعصاب والقنوات فالاصح ان يقال نقير الكبد او أنقورها ونقير الرئة ونقير الكلية الخ . وهو أفضل من قولنا سُرّة لان السرة كما لا يخفى هي موضع آخر له اسم آخر عند علماء التشريح . ولا شبهة ان الفوف هو جنين البزرة كما تقدم عن التاج وغيره وهي أفضل من الرُشَيم تصغير رَشم كما في مدارس الاستانة فمادة رسم ورشم واحدة والرَشم في اللغة الأثر واول مايظهر من النبت ولكن النبت اذا ظهر يكون قد فرّخ وخرج من البزرة اي ان الرشم هو الفرخ من النبت فلا يصح ان يقال هو الجنين والا جاز ان نسمي جنين الانسان وُلَيْداً تصغير وَلِيْد او طُفَيْلاً تصغير طفل وان نسمي جنين الفرس مُهَيْراً وهلم جراً . ثم ان اللغويين ذكروا للنبت في اول ظهوره اسماء كثيرة غير الرشم معظمها في المخصص (١٠ : ١٨٢ الى ١٨٧) وكلها أفضل من الرشم ولكنها لاتصلح للجنين . ثم ما المانع من اطلاقنا لفظة الجنين على الصغير من الاحياء قبل خروجه سواء كان في النبات او في الحيوان قال ابن سيده : « مادام الولد في بطن أمه فهو جنين . . . . . وقد يكون في غير الناس » (المخصص ١ : ٣٠) . وان قيل ان علماء الاحياء يستعملون لفظتين احداهما يونانية وهي الانبريون مشتقة من فعل معناه عَلِقَت اي حَبِلَت و يريدون بها في النبات والحيوانات الدنيا الصغير مطلقاً في ما زال في البزرة او في البيضة او في بطن أمه وفي الحيوانات اللبونة الجنين في اوله وهو في الانسان من زمن العُلوق الى آخر الاسبوع الخامس او اكثر من ذلك . واللفظة الثانية لاتينية وهي فيتس و يريدون بها الصغير في دوره الاخير اي بعد الاسبوع الخامس في الانسان فالجواب على ذلك ان الانبريون

في الانسان هو العلقة وقد وردت في وصف خلق الانسان في سورة المؤمنين في قوله : « ولقد خلقنا الانسان » الآية الى آخر قوله « فتبارك الله أحسن الخالقين » . والانبريون في النبات هو الجنين او الفوف وفي الحيوان النُّعَرة (تاج العروس) وفي الانسان العلقة او المضغة وفي دوره الاخير الجنين . وقد استعمل اطباء مصر هذه اللفظة اي العلقة ووردت في معجم النجّاري ومعجم البقلي على انهم قالوا في غالب الاحيان الجنين سواء كان في دوره الاول او الثاني . وأمامي الآن كتاب مصري في الطب الشرعي ليس فيه بهذا المعنى الا لفظة الجنين ولم ير مؤلفاه حاجة الى غيرها بل قالا الجنين في شهره الاول والجنين في شهره الثاني الخ . ولم يجد أطباء مصر وبيروت حاجة الى استعمال لفظة غير الجنين في الاحياء كلها وفي جميع الأدوار وقالوا علم الأجنة او الكلام على الجنين او مبحث الجنين ولم يقولوا مبحث الرُّشَيم ولم يروا حاجة الى هذا الاستعمال الغريب .

وفي النقير ثُقْبة يقال لها البويب (Micropyle) وهي ترجمة اللفظة اليونانية ومعناها الباب الصغير ومنه يخرج الفوف اذا فرَّخ . وفي البزرة السُّوَيداء (Endosperm) وهي مادة يغتذي منها الفوف تكون نَشَوية او دُهْنية او آحيَّة او غير ذلك . والسويداء من وضع أطباء مصر استعاروها من سويداء القلب وهي حسنة جداً . ولكل بزرة غلاف يقال له الغِدْفة (Testa) والغدفة لباس الفول والدَّجْر[1] ونحوهما (المخصص ١١ : ٦٢) وربما كان لها غلافان فيسمى الغلاف الباطن منها السِيَرَاء والقِطار او القِطمير (Tegumen) . وفي البزرة خلايا واحدها خَلِيَّة (Cell) وأطباء الاستانة يقولون حُجَيرة تصغير حُجْرة والخلية أصلح لانها أقرب الى ما يقابلها عند الافرنج او لان الاصلين واحد . ولكل خلية عضد او جدار يقال له خَلِيُّوس (Cellulose) . وقد يتحول الخليوس الى مواد أُخرى منها البَهْشين اوالشوبرين (Suberin) . والبَهْش عربية وهي نوع من البلُّوط يخرج من قرفته الفِلّين او القُرْق (انظر اللفظتين في دوزي) والشوبر لاتينية بمعنى البهش وقد ورد ذكر البهش والشوبر في مفردات ابن البيطار . و يقال للمادة الملوَّنة في النبات

(١) اللوبياء . (المجمع)

خَضوب (Chlorophyll) وزان فعول وأظنها من أوضاع الاب انستاس · وخَضير وغَضير وزان فعيل وأظنها من وضع اليازجي ولاأذكر جزء المشرق ولاجزء الضياء اللذين فيهما ذكر هذه الألفاظ وهي حسنة جداً · ومعنى كلوروفل باليونانية خُضْرة الورق ·

واذا فرَّخ النبات اي خرج من بزره قيل له السَّبَد (Plumule) واللفظة اللاتينية معناها السَّبَد اي الزَّغب وهو صغار الريش · ويقول العرب سبَّد البقل وأسبد · ويقال للسبد الغَفْر وقد أغفرت الارض وهو مأخوذ من الغفر وهو الشَّعَر الصغار القصار · ويقال له البارض والوادس والوديس والنميص (المخصص ١٠ : ٨٤ و١٨٦) على ان السَّبَد والغَفْر أقرب الى المعنى الافرنجي · ثم اذا ضرب الفرخ في الارض قيل لما يضرب منه النَّتَش (المخصص ١٠ : ١٨٦) (Radicle) ومعنى اللفظة الافرنجية الجُذَير تصغير جذر · ويقال لما بين السبد والنتش العُجُز والقَصَرة والمَقْعَد (المخصص ١١ : ١٠٤) (Hypocotyle) ومعنى اللفظة اليونانية تحت الفلقتين وهما في الفرخ بين السبد والنتش · ومن العجز او القصرة تنشأ الساق ·

اما الجذور فيقال للاصلي منها الذي تتفرع منه باقي الجذور الأُرومة (primory root) فاذا ضرب في الارض وكان مستقيماً فهو الجِنْث (Taproot. pavot) وفي المخصص « الجِنْث اصل الشجرة وهو العرق المستقيم أرومته في الارض» (١١ : ١٠) والجنث اما مخروطيّ كالجَزَر او مِغْزلي كالفُجل وما يقابلها بالافرنجية معروف او شَلْجَميّ كالشلجم (Napiform) · وقد يقال للجنث اذا كان مخروطيًا او مغزليًا او شلجميًا جَزَرَة او فُجْلة (المخصص ١١ : ١٥٩ و١٦٩) او شلجمة ولو كان جذر نبات خلاف الجزر او الفجل او الشلجم ·

وعلى سطح الجذور زَغَب (Cilia) وعلى رأس كل جذر نامٍ خلايا مجتمعة يقال لها عَمْرة او كُمَّة (Cap) وهما في اللغة غطاء الرأس ·

واذا نمت القَصَرة وارتفعت فهي الساق (Caulis. Stem. Tige) او الجِذْع (Trunk. Tronc) وهو ساق النخلة خاصة وقد يستعار لغيرها (المخصص ١٠ : ٢١٥) واذا كانت ساق نبات كالقصب او الذرة او القمح فهي قَصَبة او يَرَاعة او قلم (Culm) واللفظة اللاتينية هذه من قَلَمُس اليونانية وهذه من القلم العربية · ويقال

لواحدة الا َبن او العُجَر او العُقَد او الكُعوب التي في القصبة او الساق أُبْنَة وعُجْرَة وعُقْدة وكَعْب (Node) وأفضلها العقدة لانها شائعة في الفلك وغيره من العلوم . واذا كان العود كثير العقد فهو معقَّد وأَعْقَد ومُعَجْرَم (Nodular) ومنه العُجْرُم لنبت معروف . و يقال لما بين عقدتين أُنبوب وأُنبوبة (Internode)

والساق اما مستقيمة ذاهبة صعداً (Erect) فيقال لها صَعْدَة . او مسلنطحة ويقال لها مستلقية ومسنطحة ومتسطحة ومفترشة ومنبسطة (Prostrate) . او عارشة ومعترشة ومعرّشة كالكرم (Climter. plante grimpante) او ملتفة على عود او شجرة أُخرى كالأَبلات فيقال لها عَصْبة وعِطْفة او عَطفة (Tuviner. Convolve) (المخصص ١١ : ١٨٤) ويقال لواحد الخيوط التي يعترش بها الكرم ونحوه حالِق وأُظفور وعِطفة ورِشاء وحَبْلة (Tendril) .

ثم ان الساق قد تسير على سطح الارض ثم تضرب فيها وتصير جذوراً او عروقاً فاذا كانت كذلك فهي حَبْلة وسارعة وسِرْع وسَرْع وشَكير ونامية (Runner. Rejeton) (المخصص (١١ : ٦٥) واذا كان الشكير مرتفعاً عن سطح الارض ثم ضرب فيها وفرّخ فهو الراكب والراكوب والرَكوب والرَكّابة واللاحقة (Stolon) (المخصص ١١ : ١٠٣) والزرّاع يعرفون ذلك فيعمدون الى الشكير او الراكوب و يدفنون طرفه في التراب ليفرّخ وهم يسمون ذلك في مصر بالترقيد وفي الشام بالدَرْخ والتدريج وفي العراق بالتنويم (Layering. marcottage) وربما قالوا في بعض انحاء العراق التدريخ كالشام وهي سريانية على ما علمت وفصيحها عكس وتعكيس ولا بأس بالترقيد والتنويم . اما الشكير الذي يُكعس فهو العَكِيْس (Layer. marcotte) وفي الشام الداروخ وفي مصر الترقيدة . واذا كان الشكير تحت التراب ثم سار قليلاً وخرجت منه جذور وفرّخ فهو الرِئْد والشَطْء والشَطَأ (Sucker. drageon) كما في النخل والزيتون والكرنب . وجميع ماتقدم مستعار من الكرم او النخل او من كليهما .

واذا كانت الساق جذوراً كما في الزنجبيل والراسَن فهي عروق واحدها عِرْق (Rhizome) وربما قيل أُرُومة وجُذمور وجِذمار . فاذا كان العرق دقيقاً فيه

عقد صغيرة كما في النجيل والسُعْد وحَبّ الزَلَم فهو سُعْدة وسُعادى (Sobole) (المخصص ١١ : ١٦٨) وربما قيل نَجِيلة وثِيْلة كما نقول بَصَلة لكل أرومة مثل ارومة البصل فنقول بصلة العُنْصل وبصلة النرجس ونحوهما . واذا كان العرق عقداً غليظة كثيرة النشا كالقلقاس والبطاطس فهو عَسْقل وعُسْقول (Tuber) واللفظة اللاتينية معناها في الاصل الكمء فاستعارها النباتيون لهذا العرق ولما كان للكمء اسماء كثيرة بالعربية فلا بأس باستعارة ما كان غير شائع منها لهذا المعنى الخاص . واذا كانت الساق او الارومة او العرق فَلْكة في أسفلها جذور وفوقها قشور متراكمة فهي بصلة (Bulb) كما في البصل الذي يؤكل والعنصل والنرجس . واذا كانت عقدة او كعباً تحت الارض كما في الزعفران فهي كعب وجِرْثِن وجِعْثِم وقُرْمة (Corm. chicot) وهذه الاخيرة عامية شامية بهذا المعنى ويريدون بها كما في اليونانية اي ارومة الشجرة الباقية في الارض واهل العراق يقولون كعباً وهي فصيحة . ومنها الكَعُّوب عندهم وهو العكوب في الشام . وللقرمة وجه في اللغة فهي نبات يخرج من الماء (المخصص ١١ : ١٦٨) ولمادة قَرَم وما اشتق منها معانٍ كثيرة تدل على القطع ولا يبعد ان قُرْمُس اليونانية من اصل سامي .

والنبات ثلاثة أصناف الشجر والجَنْبة والبقل فالشجر واحدته شجرة (Arbor) وهو ما عظم منه وكانت له ساق واحدة خشبية . والجنبة (Arbustus, strub . Arbuste) كالشجر الا انها أصغر ولها سوق عدّة تخرج فروعاً من الارض او فوق الارض قليلاً منها الورد والآس والخطْمي والقطن . وربما قيل للجنبة شجيرة تصغير شجرة لكن الجنبة أصلح لهذا التعبير لان الشجيرة قد تكون الشجرة الصغيرة في العمر وليس هو المراد بالجنبة فهي الصغيرة خلقة على ان ابن سيده وغيره من علماء اللغة قالوا تارة جنبة وتارة شجيرة بهذا المعنى الذي يريده علماء النبات لكنهم لم يقولوا نجماً قط كما جاء في بعض كتب النبات الحديثة فالنجم في اللغة كل ما كان خلاف الشجر . قال في التاج : « والنجم من النبات ماظهر على وجه الارض ونجم على غير ساق وتسطح فلم ينهض وقد خص بذلك كما خص القائم على ساق منه بالشجر وبه فُسّر قوله تعالى : « والنجم والشجر يسجدان » . وقال في مكان آخر النجم الثِيْل الواحدة نجمة .

وقال : « الجنبة عامة الشجر التي تتربَّل في زمن الصيف » · وقال الازهري : « اسم لنبوث كثيرة وهي كلها عروق سميت جنبة لانهـا صغرت عن الشجر الكبار وارتفعت عن التي لا أرومة لها في الارض فمن الجنبة النَصِيّ والصِلِّيان والحَماط والمَكْر والجَدْر والدَهْماء صغرت عن الشجر ونبلت عن البقول ····· وقيل مافوق البقل ودون الشجر وقيل هو كل نبت مورق في الصيف من غير مطر او هي ما كان بين البقل والشجر » · انتهى ما أريد نقله عن التاج · انظر كذلك المخصص ١٠: ١٨٧ · وذكر ابن سيده نبوتاً كثيرة من الجنبة قال : « الطريفة بين البقل والشجر لذلك سميت جنبة » (المخصص ١١ : ١٧٦) ·

اما البقل واحدته بقلة (Herba) فهو كل نبت يبيد الشتاء أرومتـه وفرعه منه القمح والرِجْلة والقَتّ والفول والأَوْبياء والأُقحوان على أنواعه ومعظم الخضراوات التي تؤكل لذلك يقال لها البقول ومن أسماء البقل العابط (المخصص ١٠ : ٢١١) ·

ومن سوء الحظ انهم سموا فصيلة من فصائل النبات بالبقلية وسماها غيرهم بالقرنية (Legumenosae) واسمها مأخوذ من (Legumen) باللاتينية ومعناها القطانية واحدة القطاني وهي الحبوب التي تطبخ كالفول والعدس والماش والحمص واللوبيـاء وكلها من هذه الفصيلة وكذا معنى (Legume) بالانكليزية والفرنسية على انه شاع استعمالها بالانكليزية للسِنْفة اي ثمرة هذه النباتات و بالفرنسية للبقول اي الخضراوات التي تؤكل سواء كانت من القطاني كاللوبيـاء او من غيرها كالكرنب والرجلة ونحوهما فالذين أخذوا عن الفرنسية سموها البقلية وهي لا تؤدي المعنى المقصود لان البقول كما لا يخفى تشمل القطاني وانواعاً كثيرة من الخضراوات ليست من هـذه الفصيلة فالفجل والجزر والكرفس والجرجير والرشاد والخس والهندباء والكرنب والرجلة والملوخية والخبّازى كلها بقول وهي من فصائل غيرهذه ·· اما الذين أخذوا عن الانكليزية فسموها القرنية نسبة الى هذه الثمار التي لها كلها قرون سواء كانت من القطاني او من العضاه كالسَنْط والسَمُر والسَيَال والطَلْح والأَبَنْخ والحُمَر اي التمر الهندي وكلهـا من هذه الفصيلة وهي اشجار وليست من البقول وثمارها كلها قرون · اما القرن ويقـال له السِنْف والسِنْفة والحُبْلة والحُنْبُل والعُلَّف (المخصص ١١: ١٨٢و١٨٣و١٨٤)

فهو الاسم الشائع لثمار هذه النباتات في مصر والشام واللفظة ليست عامية بهذا المعنى بل وردت كثيراً في كتب اللغة في وصف هذه الثمار . قال ابن سيده (المخصص ١١ : ١٥٠ و١٦٦ و١٨٢ و١٩١) « وقرون كقرون اللوبياء وقرون كقرون الباقلىّ » .

ولعل أحسن اسم لهذه الفصيلة اذا أردنا اصلها اللغوي هو فصيلة القطاني او الفصيلة القطانية لا القطنية دفعاً للالتباس لئلا يظن انها منسوبة الى القطن وهو ليس منها . واذا اردنا وصفها بثمارها فالفصيلة القرنية او السنفية فثمارها كلها قرون اي سنوف .

كذلك في بيروت فانهم سموا فصيلة غير هذه بالبقلية (Portulacaceae) لان البقلة عندهم هي البقلة الحمقاء وعربيتها الرِجلة وهي شائعة في مصر ومن اسمائها الفارسية المعرّبة الفَرْنخ والفرفخين وهذا شائع في لبنان والفَرْفين والبغاددة يقولون البربين بباءين فارسيتين . وحقها ان تسمى الفصيلة الرجلية او الفرفينية الخ فانه لا يجوز تسمية فصيلة من الفصائل بالبقلية سواء كانت هذه وتلك او غيرهما .

والنباتات بالنسبة الى أعمارها اما سنوية ويقال عامية (Annual) وهي التي تبيد اصولها وفروعها في سنة واحدة او أقل ومنها معظم البقول . او مُحْوِلة (Biennial) وهي التي تذخر غذاءها في أرومتها وتبيد فروعها في الشتاء ثم تتربّل في الصيف كالجزر والفجل والشلجم من البقول وكالباذنجان والحَدَق من الجنبة . او مُعَمِّرة (Perennial) وهي التي تعيش أعواماً كثيرة كالشجر واكثر الجنبة . وربما قيل للمعمرة الخالدة او الدائمة على ان المعمرة أصلح .

ويؤلف الجذر والساق في معظم الشجر من الخشب والقشرة . فالخشب نوعان : الخشب الصُلْب في القلب وهو الجِلْب والجُلْب والجُلْبة (Duramen) (المخصص ١١ : ١٩٠) ويقال له الخشب الحقيقي . والنوع الثاني هو الخشب الابيض (Alburnum) ويقال له الخشب الكاذب .

والقشرة (Cortex) ويقال لها القِرْف والقِرْفة والقُرافة ومنه القرفة لقشرة الدارصيني ونحوه كذلك القِلْف والقُلافة هي ثلاث طبقات فالتي تلي الخشب يقال لها اللّحاء (Liber Bast) وهي طبقة ليفية تفتل منها الحبال . قال ابن سيده : « اللحاء القشر الرقيق الذي يلي صميم العود » (المخصص ١١ : ١٤) وذكر نباتات

كثيرة تفتل الحبال من لحائها منها العُرْفُط قال « و يصنع من لحائه الارشية » (المخصص ١١ : ١٨٤) . والطبقة التي تلي اللحاء يقال لها النَجَب (Suber Cork Liège) قال في المخصص « هو ما فوق اللحاء » (١١ : ١٤) . والاسماء الثلاثة اي اللاتيني والانكليزي والفرنسي تطلق على البَهْش وعلى هذه الطبقة من قشره والبهش نوع من البلوط يسميه النباتيون (Zuercus ilex) ذكره ابن البيطار وذكر من اسمائه الشوبر وهي لاتينية اما البهش فعربية . و يعرف قشر البهش عند عامة المصريين بالفلّ وهي من فَلّس باليونانية ومعناها البهش وقشره ، وعند عامة اهل الشام بالفلّين من فَلّينوس باليونانية نسبة الى فلّس . و يعرف في المغرب بالقُرْق قال دوزي هي من قُرْنَقْس باللاتينية ومعناها قشرة وقد مرّ بنا ان الاسم العلمي للبلوط هو قرقس ولعلها من القرق المغربية لجميع هذه الالفاظ متشابهة ولا شبهة في ان البهش هو شجر الفلين فكما أطلق الافرنج الاسم الافرنجي على هذا الشجر وعلى قشره يجوز لنا ان نضع مثل هذا الوضع اي ان نسمي الطبقة الثانية من قشرة الشجر بالبهش وان شئنا قلنا النجب وكلاهما عربي او الشوبر وهي لاتينية او الفلين وهي يونانية او القرق وهي مغربية . وجميع ما تقدم عن المخصص وابن البيطار ودوزي . اما الطبقة الثالثة من القشرة فهي البَشَرة (Cuticle) وهي مستعارة من بشرة الانسان ولا أعرف لها اسمًا غير هذا .

بقي هناك طبقة بين الخشب واللحاء تولد الخشب واللحاء وتعرف عند النباتيين بالكنبيون (Cambium) وهي لفظة لاتينية من فعل معناه حوّل او بدّل ومنه الكمبيو اي الحوالة عند التجار . ولا بد ان العرب وضعوا لفظة لهذه الطبقة لانهم كانوا على جانب عظيم من الفراسة لا يفوتهم شيء مما بين ايديهم فالذين عرفوا ان الفوف على صغره هو جنين النبات في البزرة لا بد انهم عرفوا هذه الطبقة اللزجة الحلوة الطعم التي بين العود وقشره على انني لم أجد شيئًا صريحًا بهذا المعنى سوى في كتاب الفلاحة لابن العوّام فانه سمى هذه الطبقة بالمادة (المجلد الاول من الترجمة الفرنسية الصفحة ٢٤٤ في الحاشية) كذا قال كليمان موليه مترجم الكتاب ولعل الذي لديه نسخة عربية من هذا الكتاب النفيس يجد ان المؤلف ذكر انها مادة النُسغ كما

يظهر من الترجمة فان المترجم يقول : (Matière Sèveuse) وذكر في الحاشية لفظة المادة بالعربية بحروف عربية لكنه لم يذكر النسغ . وان تسمية الكنبيون بالمادة حسن جداً لكن المادة قد اشتهرت بمعنى آخر والذي أراه ان الكنبيون هو النُّسْغ وهو على ما جاء في كتب اللغة « ماء يخرج من الشجرة اذا قطعت » وقالوا انسغت الفسيلة اذا أخرجت قلبها وأنسغت الشجرة نبتت بعدما قطعت وكذلك الكرم اما « قلب النخلة وقُلْبها وقِلْبها فهو الشحم الذي في رأسها وكذلك الجُمَّار والجامور والكَثَر) كل ذلك وارد في كتب اللغة (المخصص ١١ : ١٠٥) ولا يخفى ان معظم الشجر ينمو من الخارج الا ما كان منه كالنخل فانه ينمو من أعلاه اي من الجمار وقد عرف العرب ذلك وعرفوا ان الجمار اذا نزع ماتت النخلة . ثم انه اذا قطعت الشجرة او نشرت بمنشار فانه يرى على سطحها المقطوع دائرة او طبقة لزجة بين القشرة والخشب واذا فرّخت فانها تفرّخ من هذا الموضع لذلك قالوا أنسغت الفسيلة اذا أخرجت قلبها وأنسغت الشجرة نبتت بعدما قطعت فالنُّسْغ والقُلْب والجُمَّار هو الكنبيون الذي تنمو الشجرة منه على ان النُّسغ قد شاع في كتب النبات للدُمَّاع (Saps Sève) فلا سبيل الى تغيير هذا الاستعمال والأصلح ان يقال للكنبيون القُلْب او الجُمَّار او الجامور او الكَثَر والله أعلم .

وعسى ان أُوفق الى متابعة البحث في اصطلاحات النبات في الجزء التالي .

عضو المجمع العلمي العربي

بغداد : الحكيم امين المعلوف

رحلة الى حلب والشام (١)

«في سنة ١١٥٠ هـ — ١٧٣٧ م»

— ١ —

نشرنا في مجلد السنة الماضية ص ٤٨١ مقالاً بعنوان (الكراس الشارد) وصفنا فيه ذلك الكراس ومضامينه وصفاً يلذ لمتتبع تاريخ سورية لاسيما معرفة أطوار سكانها الاجتماعية منذ مائتي سنة . وقد سألنا قراء مجلتنا عما اذا كان عندهم نبأ من امر الرحلة التي شرد منها ذلك الكراس . فلم يفجأنا الا كتاب من الصديق الأبرّ العلامة احمد باشا تيمور يقول فيه : ان كراسنا الذي وصفناه هو من رحلة كبيرة للشيخ احمد ابن صالح الادهمي الطرابلسي المتوفى (سنة ١١٥٩ هـ ١٧٤٦ م) وقد سمى رحلته هذه (تحفة الأدب في الرحلة من دمياط الى الشام وحلب) فنشرنا الكتاب الذي جاءنا من العلامة المشار اليه في مجلد هذه السنة ص ٢٢٦ وعلقنا عليه . ثم كتبنا اليه ان يرسل الينا الرحلة نفسها لنقتبس من فوائدها الاجتماعية على نمط مافعلنا في كراسها الشارد . فلم يعتم علامتنا ان بعث بالرحلة المخطوطة الينا فاذا هي كما وصف في كتابه . ولما تصفحناها رأينا فيها أخباراً عن حلب ودمشق جديرة بالنقل . وإعجاب اهل العلم والفضل .

خلاصة مامرّ من مضامين (الكراس الشارد) ان المؤلف سافر من القطر المصري الى وطنه الاصلي طرابلس الشام وقد جرت له في طريقه اليها وفي المدن البحرية التي عرّج عليها — امور وصفناها ولخصناها الى ان استقر في طرابلس بين أهله وخلانه . ونبتدئ الآن بتلخيص أخبار رحلته من طرابلس الى حلب ثم الى دمشق :

قال المؤلف جرى في بعض مجالس الانس ذكر التفاضل بين حلب ودمشق « وانه قد وقع بين أهلها خلاف وارتياب . من قديم الزمان وسالف الاحقاب » . وان كل

(١) هذه الرحلة تتمة لمقالة (الكراس الشارد) المنشورة في مجلد السنة الماضية ص ٤٨١ والاخبار المسوقة هنا سلسلة متصلة الحلقات بالاخبار التي لخصناها من ذلك الكراس اذ الكل من كتاب واحد ولمؤلف واحد .

فريق يفضل بلده . فقال القيمي اسعد [1] لا بد من الرحلة اليها للفصل في هذا الامر فوافقوه على ذلك و برحوا طرابلس في ١١ محرم سنة ١١٥٠ ﻫ وكان الزمان ربيعاً وقصدوا اولاً « حلب الشهباء ذات المرأى الوسيم . والمنظر البهج المقضي له بالتقديم » واول ما صادفوا حين خروجهم من طرابلس المزار المشهور باسم (الشيخ البداوي) فزاروه كما هي عادة العلماء في ذلك الزمان فان زيارات الأضرحة المشهورة من جملة الاسباب التي تحملهم على السفر وشد الرحال مع ورود النص في النهي عن ذلك . والبداوي مازال الى اليوم يُقصد للزيارة وعليه مسجد و بجانبه بركة فيها سمك مشهور بنسبته الى ذلك المزار . ثم وصلوا الى (مقام الهمام الشهيد) ولعله يعني به المزار المشهور المسمى اليوم (الشيخ بدر) ولا أذكر من هو هذا الشيخ بدر ولماذا وصفه المؤلف بالشهيد وهو ما زال يقصد من القرى التي في جواره للتبرك ولتفريج الكروب وطلب الحاجات وصاحب هذا المزار ذكره الشيخ النابلسي مذ ورد طرابلس في رحلته التي سماها (الحقيقة والمجاز) وذلك سنة ١١٠٥ ﻫ فقال : « ثم سرنا اي (من طرطوس) الى ان وصلنا الى مكان فيه قبة يقال انه دُفن فيها شهيد البحر وهو رجل من الاولياء المشهورين في ذلك المكان وحول قبته أشجار و بساتين وبعض بيوت » انتهى . ومعظم سكان القرى من حواليه هم من طائفة النصيرية . ثم وصلوا الى (القنيطرة) ولا أذكر ان هناك قرية باسم (القنيطرة) فلعلها المنيطرة بالميم وتكون هي التي تسمى اليوم (المنطار) وهي قرية مشهورة كان يملكها المرحوم الحاج عبد الله غازي من أعيان أسكلة طرابلس الشام . ثم نزلوا طرطوس فذمها وذم أهلها ووصف براغيثها فقال :

(وخليل يقول لما رآني ابداً أوسع البراغيث ذمّاً)
(ان في اسم البرغوث برّاً وغوثاً قلت لكن ألاسم غير المسمى)

والمؤلف مع رفقته لم يسافروا الى حلب من طريق حماه وانما أخذوا ساحل البحر عن شمالهم الى اللاذقية ومنها سلكوا الوعر الى ادلب فحلب . وصلوا (جبلة) فلم يروا من أهلها حفاوة فلجأوا الى جامع ابراهيم بن ادهم المشهور ثم دخلوا اللاذقية ضيوفاً على

(١) راجع ترجمته في المرادي (ج ٤ ص ١٥٤) .

(احمد الزيادي) بتشديد الياء كما يظهر من قوله فيه :

(خل الفنـاء بزينب وسعاد واقصد مرابع احمدالزياد)

ووصف ما كان من حفاوة هذا الكريم المضياف بهم كما وصف غلمانه وحسنهم وجمالهم من ذلك قوله في الواحد منهم :

(فكأن مالكه المفضّل احمد غذاه لبن الانس للعواد)

ولعل صوابه (للوراد) ويفهم من قوله هذا ومن أوصاف أخرى لغلمان الخدمة لدى من كانوا يضيفونه ان شراء المماليك واستخدامهم كان فاشياً بكثرة في مدن الشام . ثم وصف حماماً دخله في اللاذقية بأشنع الاوصاف وقال انه سأل عن اسمه فقيل له (انه حمام العواني او العشور) كذا وصوابه حمام العُشر كما أخبرني بعض اهل اللاذقية وموقعه في البازار . ومما وصف به الحمام ان صابونه منتن الروايح واستطرد من بشاعة هذا الحمام الى ذكر ما قاله الشعراء في الحمامات مدحاً وقدحاً وافتتح ذلك بقوله هو في حمام اللاذقية :

(وحمام حوى ما ليس يحصى من الأوساخ والدنس القديم)
(ينادي من اتى يبغي قراه لك البشري قدمت على الجحيم)

وممن زاره في اللاذقية (الشيخ عبد الفتاح) وقد وصفه بالتقوى والصلاح ويوجد الى اليوم عائلة وجيهة بهذا الاسم في اللاذقية . وصلوا في جامع (الوزير سليمان باشا) ودعاهم للضيافة (احمد بن بديع) وقال ان من المدعوين اليها (حضرة الشيخ عبدالرحمن افندي مفتي اللاذقية) ولعل عبد الرحمن افندي هذا هو جد جد كاتب هذه السطور فقد ترجم له المرادي في تاريخه (سلك الدرر) (ج٢ ص٣٠٣) وقال ان عبدالرحمن افندي المغربي (استقام مفتياً في طرابلس واللاذقية مقدار خمس واربعين سنة وكانت وفاته سنة احدى وتسعين ومائة والف) اي بعد زمن هذه الرحلة باربعين سنة ثم قال عنه مانصه : « فجرينا معه في الكلام والمذاكرة وبسطنا له بساط المفاكهة والمحاضرة . وهو لا يطوي عن مرامنا كشحاً . ولا يضرب عن الذي طلبناه صفحاً . بل كلما فتحنا له مسألة فقهية . سلك طريق المطارحة بالكلية . فعلمنا بقرائن الحال . انه رجل في

غاية الكمال . فعندها اعتقدنا محبته . وحققنا مع حضرة الوالد صحبته » . يريد ان عبدالرحمن افندي كان من أصحاب والدالمؤلف واسمه صالح افندي الادهمي الطرابلسي وكان فاضلاً شاعراً . ثم غادروا اللاذقية الى حلب فمروا بقرية (البهلولية) وهي ملك (احمدالزيادي) الذي كانوا ضيوفه في اللاذقية ومروا بعقبة السكون(اوالسفكون) ووادي القرشية ووصف وعورة هاتين العقبتين وصعوبة السير فيهما قال « وفي اثناء ذلك الضيق . لاح لنا بيت على قارعة الطريق . فتقدمنا لطلب البيان . فاذا نحن بشيخ وثلاثة نسوان . فسألنا عن الناس الأجواد . فقيل لنا انهم من اهالي الأكراد . واحدى الثلاثة رعبوبة ذات جمال . وغادة قد تسربلت برداء الدلال . فتقدم اليهن رفيقنا (ابن بدران) . وقال هل ماء الى ابن السبيل الوارد العطشان . وصار يطيل النظر اليها . و يلقي من أسرار لواحظه عليها . فاندفعت تسقي الوراد . وطفقت تطفي ببرودة كلامها حرارة الاكباد » . و (ابن بدران) هذا كان امرءً فيه دعابة وحسن نادرة فكانوا يستخرجون من نكته ولطائفه مايطربهم و يزيل كربهم ويخفف عناءهم قال : « ومرت علينا ونحن في ذلك المكان . قافلة كبيرة من الركبان . فسألنا الى اين أيها الاخوان . فقالوا لنا من ادلب الى زيارة حضرة السلطان . فقلنا لهم مصحوبين بالسلامة ولا زالت العناية لكم ترعى . ولا تنسونا معاشر الاخوان من صالح الدعاء » والسلطان هذا هو السلطان ابراهيم بن أدهم دفين (جبلة) على ساحل البحر بين اللاذقية وطرابلس . قصدته هذه القافلة من اهل ادلب مكابدين عناءالسفر وقطع تلك العقاب الشاقة لاجل زيارته مع ان ذلك مما نهى عنه الشارع بصراحة لاتشوبها جمجمة . وهذه القافلة تدل على مبلغ انحطاط التربية الدينية في نفوس الناس يومئذ مما كان مقدمة لثورة محمد بن عبد الوهاب و باعثاً على رفع صوته وانكاره على اهل ذلك الزمان مخالفة آداب السنة وطريقة السلف . ثم وصلوا الى (جسرالشغر) فذمها المؤلف وقدح في مروءة أهلها . حتى بلغوا ادلب فلم يجدوا محلاً لنزولهم ثم وقعوا على مكان عظيم البناء رحب الفناء وسألوا عن صاحبه فخرج اليهم شاب لطيف حسن المحيا فرحب بهم وأخبرهم ان المكان (مطبخة صابون) اي موضع طبخه وصنعه ويسمى ايضاً (مصبنة) مفعلة من الصابون . وصنعة الصابون مازالت الى اليوم من اكبر موارد الرزق

في ادلب . ثم سألوا الشاب عن مالك (المطبخة) فقال هو (احمد افندي ابن طه افندي) نقيب أشراف حلب ثم هيأ لهم في المطبخة مكاناً لنزولهم فنزلوا واذا رجل شائب فظ دهمهم وجعل يسب الشـاب بكلام بذيء ونال منهم ايضاً ، فسألوا الشاب عنه وعن خبره فقال ان اسمه (علي النداف) وان والده (اي والد الشاب) كان في هذه المصبنة بيّات (كذا فلعل البيات هو رئيس عمالها او حارسها الذي يبيت فيهـا) ولما مات والد الشـاب جعل هذا الشيخ الفظ يعارضه و يريد رفع يده عن المصبنة قال : « و برقبتي اخوة صغار . وثلاث أخوات أبكار » ثم قال والداهية الدهماء « انه مُحرق لافندينا نصف قنطار من الصابون وانا خايف من افندينـا ان يدري » و يعني بقوله (افندينا) مالك المصبنة نقيب أشراف حلب . فبشروه انهم اذا وصلوا حلب واجتمعوا بنقيب الاشراف قصوا عليه الخبر وسألوه تفريج الكرب عن الشاب . وهكذا وقع فانهم ذكروا للنقيب حادثة (علي النداف) وما ارتكبه من قلة الانصاف فخجل وعزله من بيانة المصبنة . ثم تفسحوا في شوارع ادلب وأسواقها فرأوا (في أهلها حسن بشاشة ونوع من الانس واللطافة) لكنهم لما أرادوا الصلاة وجدوا المساجد مقفلة الأبواب حتى ظفروا أخيراً بمدرسة مفتحة الأبواب وأرادوا زيارة « الكاملي الكبير (؟) وهو الذي اتفق على زهده الصغير والكبير » فلم يهتدوا الى داره ! ثم استزارهم المفتي فزاروه للتبرك ودخلوا « الى مكان صغير وجدوا فيه من الأشراف جمّاً كثير » ثم ان المفتي جعل يشنف آذانهم باخبار بلاد الروم (يعني القسطنطينية) وطلبوا منه زيارة والده . لاجل الشرب من رايق موارده « فأخبرنا انه نائم . وهو في بحر من الولاية عائم » ولا ريب ان المفتي ووالده هما من أسرة (الكيّال) الشهيرة في ادلب وحلب فان هذه الأسرة الكريمة هي المعروفة بالأسرار . والعوم في بحار الأنوار . ثم انهم خرجوا من دار المفتي ولم يروا والده وذهبوا مع الشيخ عمر ؟ فدخلوا الى جامع صغير وتركهم الشيخ عمر وغاب قدر نصف ساعة ثم عاد ومعه (هيطلية) فأكلوا منهـا بحسب الامكان . و (الهيطلية) حلوى تصنع من النشا وتحلّى بالسكر المذاب . ثم برحوا ادلب الى نبيش فخان طومان وقبل ان يصلوا الى حلب رأوا من بعد قباباً وقيل لهم انها قباب (سيدي عبدالله الانصاري) فقرأوا لروحه ما تيسر من القرآن ثم دخلوا حلب من باب المقام ونزلوا في دار السيد حسن الطبلاوي

لانه كان دعاهم الى النزول في داره وهم في طرابلس ففارقهم من خان طومان لإعداد الدار والنزُل . وقال في وصف داره « وأدخلنا الى فسيح دار قد زينت بانواع المحاسن والفخار . طوانها بالذهب مغموس . وله بريق كبريق الشموس » . و (طوان) كلمة دخيلة وكنا نحسبها حديثة العهد واذا المؤلف يستعملها منذ مائتي سنة وهي من اللغة التركية و يراد بها اليوم سقف الغرفة المغشى بالجبس او الخشب المنقوش بأنواع الأصباغ والزخرف . ثم ذكر توارد أهل حلب للسلام عليه وفي ثاني يوم خرجوا لزيارة نبي الله زكريا فصادف المؤلف في الطريق صديقاً له من بلده طرابلس وكان مجاوراً معه في الأزهر و يظهر من وصفه لصديقه هذا انه من أفاضل الرجال وعظمائهم واسمه (السيد محمد افندي الطرابلسي) وكان له منصب في حلب وعمل في حكومتها . صادفه في الطريق مصادفة فسلم عليه تسليم الصديق المشتاق فلم يعبأ به (محمد افندي) لانه لم يعرفه « وسلم باطراف البنان . وألوى عن المعرفة العنان . فلما رأيت هذه الأحوال . قلت وعند تغير الحال . للامراء انتقال » فيفهم من هذا ان منصب محمد افندي كان إدارياً لا علمياً وان كان هو من العلماء فأعرض عنه المؤلف وقطع الحديث معه لكن صديقه لم يلبث ان أدرك حقيقة الأمر فأسرع اليه واعتذر وألح في ان يأخذه الى داره فلم يقبل . ثم وصلوا الى الجامع وكان يوم جمعة فوصف المؤلف الجامع وضريح سيدنا زكريا بكلام نجم مسجع الى ان قال مخاطباً له : « ها نحن ببابك وقوف . وانت بمكارم الأخلاق موصوف . فمدنا بمددك . وانظمنا في سلك خدمك . فاننا قطعنا بحبك المهامه والقفار . وقلونا الاولاد والديار » . مع ان المؤلف ورفقته انما قصدوا حلب والشام لأجل إعمال المقارنة والمفاضلة بينهما لا لأجل طلب المدد من زكريا (صلعم) ومع هذا فقد قال المؤلف : « فسرى علينا من فيضه الايناس . . . وبدت لنا منه أمارات . هي على القبول إشارات » . فما أطيب قلب ذلك النبي الحليم . ثم استأذن المؤلف النبي في الإنصراف قائلاً : « ثم طلبنا الاذن والدستور . بالإنصراف عن رحبه المعمور . فخرجت الإشارة . بالإنصراف وقبول الزيارة » . وكان المؤلف كلما زار ضريحاً عقد محاورة بينه وبين صاحب الضريح ضمنها كلمات : أنوار وإشارات . و بشارات . وبوارق وقبول وإمداد و إذن . ونفحات : ولمحات . في نظير

ذلك وكنا نقرأ مثله في رحلات الشيخ عبد الغني النابلسي وغيره من علماء ذلك الزمان الذي اشتد فيه حلك الظلام . ثم خرجوا من الجامع وطافوا أسواق حلب قال « فحصل لنا فيها غاية الانشراح . لما رأيناه من وجوه أهلها الصباح » الخ الخ . ثم عادوا الى دارهم وفي صبيحة ثاني يوم زارهم (السيد محمد افندي الطرابلسي) فعاد الى الاعتذار للمؤلف عما وقع منه وأخذا يذكران ايام المجاورة في مصر ويتلهفان على تلك الايام التي قضياها ثمه وانشد المؤلف في المعنى أشعاراً في التشوق الى مصر ومغانيها . ودعاهم السيد محمد الى داره وعينوا له وقتاً فذهبوا فيه قال « حتى وصلنا الى شارع بكنوس مرشوش . وبانواع البلاط مفروش » . ووصف الدار والخدمة والغلمان واستقبال صاحب الدار لهم كل ذلك بأساليب مسجعة . وبانواع البديع مرصعة . وهي تدور حول المبالغة في الوصف والاطراء في التقريظ والمدح الى ان جرت مناسبة لتفسير آية وهي (أغرقوا فأدخلوا ناراً) فتذاكروا فيها وكان مدار البحث على ان فاء التعقيب في (فأدخلوا) هل تدل على عذاب القبر او لا تدل ؟ فذكروا ماقاله الفناري والسعد ثم ذكر مؤلف الرحلة ما كتبه هو في هذه المسألة . ولما أرادوا الانصراف لم يأذن لهم (محمد افندي) حتى أخذ منهم وعداً لضيافة يقيمها لهم في بستانه لكن جاء رسوله في الوقت المعين يعتذر لهم « بانه قد حصل لسيده شغل شاغل . عن الورود الى منهلكم الذي هو أعذب المناهل . وفي المحكمة جمعية . لا يمكنه التخلف عنها بالكلية » . ثم عين لهم اليوم الثاني . وذكر المؤلف في جملة الذين زاروه « الشاب اللطيف . نجل الكيلاني السيد عبد اللطيف » . ثم وصفه نثراً وشعراً فقال :

(عبد اللطيف له أنس ومعرفة ... قد فاق أقرانه باللطف والادب)
(قد جمّعت فيه أوصاف مهذبة ... كأنما صاغه ربي من الذهب)

وكان السيد عبد اللطيف هذا يكثر من زيارتهم وأخيراً دعاهم الى داره « لاقامة الجمعية . المسماة عندهم بالليلة الوردية . فانها عندهم من أعظم الليال . لجمعها لسائر أنواع الجمال .... فأجبنا دعوته . وأخذنا عليه المواثيق والعهود . ان لا يحضر آلة لهو كطنبور وعود . وقلنا يكفينا لتحريك الشجن . طيب النغمة بالصوت الحسن » . قال ولما جاء الوقت المعين وغربت الشمس « توجهنا مع الاخوان . ونحن لا ندري حقيقة

هذا الشان » . يعني انهم لا يدرون كيف تكون « حقيقة تلك الليلة الوردية . المشهورة بين أدباء حلب المحمية » . الى ان وصلوا الدار « وعلى بابهـا قناديل معلقة .... وقادوا بين أيدينا الشموع ... وأدخلونا الى إيوان . كأنه قطعة من الجنان . منقدة فيه من الشموع احد عشر . ومن المصابيح مالا يكاد يحصر . قد فرش ذلك المكان من الورد بنحو قنطار . وحفت جوانبه بسائر أنواع الأزهار . كأن الورد وجه خودرداح . وقد وضع على جوانبه نرجس وأقاح . وعلقت بسائر أطراف المكان صوادح البلابل ... وأحدقت بتلك الأزهار زمر ... فيهم كل منشـد يحرك الجلمود . مع ظبـاء هذبت بألطف طباعها .... من كل فتى الخ الخ » ثم وصف المؤلف احد هؤلاء الفتيان باللطف ورقة الحـديث وانه كان يدير القهوة على الحاضرين . فقال « وطفق ذلك الغزال . يدير القهوة على الرجال . وكلما سكنت أصوات الألحان . حركت البلابل بنغريدها لواعج الأشجان . ونثار الورد على من حضر . كما ينثر الغمام رشاش المطر » فالليلة الوردية عند اهالي حلب . عبارة عن ليلة أنس وطرب . تقام في فصل الربيع يستكثرون فيها من ضروب الأزاهير . لا سيما الورد فانهم يجلبون منه القناطير . و يظهر من تكرار المؤلف لذكر قهوة البن انها كانت لذاك الزمان شائعة الاستعمال في مدن الشام مع قرب العهد بظهورها . ثم قال المؤلف انهم في آخر الليل طووا بساط الغناء والألحان وانتقلوا الى مطارحة كلمات المزاح والمطايبة . ثم مدت موائد الطعام ثم انصرفوا بسلام قائلين : « قد أخذنا من حسن ماراً ينا العجب . وقطعنا بلطافة ابناء حلب» . يريد (بقطعنا) جزمنا وحققنا واعتقدنا . وفي مجالسهم في ثاني يوم عرض ذكر (هبنقة) الأحمق المشهور فسرد المؤلف خبره وحماقاته . وسئل عن الفرق بين (الايغال والإمعان) في فن البديع ففرق بينهما وذكر الشواهد عليهما . ثم ذهبوا في الوقت المعين الى بستان السيد محمد افندي الطرابلسي فوصف البستان بأوصاف (كتاب ليلة وليلة) منها قوله : « يخترقه ماء كأنما صب من دره . او ترقرق من عبره » . ثم سرد أسماء الأزهار والطيور التي في البستان متفننا في وصفها وتشبيهها الى ان قال في صفة البستان « أصايله متوافقة مع أسحاره . وشمسه لا ترى الا من خلال أشجاره . وقد أحدق به ماء يتدفق . وهو عن مثل المسك ينفتق » . ولا نعلم كيف كان الماء كثيراً في ذلك البستان وعهدنا

بحلب انها قليلة المياه . ثم ذكر ان (محمدافندي) تلقاهم وأجلسهم (على جانب ذلك النهر الرائق) ثم خاضوا في الشعر والأدب وأنشد أحدهم قول (البديعي) : (افدي الذي دخل الحمام متّزراً) .. البيتين . وتذاكروا في سبب دق الطاسات والنحاس عند خسوف القمر فذكر المؤلف ان السبب هو نصير الدين الطوسي لما أعلم هولاكو بالخسوف ونام هولاكو فحرض الطوسي الناس على دق الطاسات كي يخاف الحوت و يلفظ القمر من فيه وهكذا انتبه هولاكو وشاهد بعينه صحة قول الفيلسوف . ثم روى حكاية (العمري[1]) شيخ أدباء دمشق في ذلك العصر . وخلاصتها : ان العمري كان في (بيت قهوة) بدمشق ومعه صديق فدنا منهما غلام حسن الوجه واذا شخص هيولي الشكل غليظ الطبع حال بينهما وبين الغلام فقال صديق العمري (هذا خسوف عسى الله ان يؤذن بزواله) ولحوا رأس ذلك الشخص فاذا هو أقرع كأنه طاسة فقال العمري الآن تم التخييل واخذ القلم وكتب على البديهة :

(حبس البدر أقرعٌ عن عيوني فغدا الطرف خاسئًا مطروفا)
(فتناولت رأسه لصفاع بنعالي وصنت عنه الكفوفا)
(قال لي اللائمون كف فادبـ ـت دعوني واقصروا التعنيفا)
(عادة البدر يجلي ليلة الخـ ـسف بدق الطساس دقًا عنيفا)
(وتراءيت رأسه طاسةً لجعلـ ـت الصفع دقًا فكان عذراً لطيفا)

ثم انتقل المؤلف الى حديث آخر من أحاديث الأدب والشعر وكان في مجلسهم (السيد احمد الحياني) وقد أثنى عليه المؤلف ثناءً عظيماً وذكر من مزاياه حسن الصوت وقال فيه انه « سيد لو لم يكن على رأسه من القبول أعلام . لما اختاره طراز الوزراء الكرام امام » . فيفهم من هذا ان الحياني كان إمامًا يصلي بوزير حلب في ذلك العهد . وان وزيرها هو (سليمان باشا) لان المؤلف ذكره وأثني عليه ثناءً طويلاً وقال ان هذا الوزير سأل عن آية (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصناً) فان مفهومها انهن ان لم يردن التحصن فلواليهن ان يكرهوهن على البغاء . وقد أجاب

(١) راجع ترجمته في سلك الدرر (جزء ٢ ص ١٥١) .

المؤلف عن هذا بما وسعه المقام . وبينا هو كذلك اذ سمعوا ضوضاء شديدة وكانوا كلما أرسلوا احداً يأتي لهم بخبر هذه الجلبة تسلل لواذا ولم يرجع اليهم ثم انتدب السيد احمد الحياني وعاد ولم يفصح عن الخبر وانما كان بجمجم وفي آخر الامر قال ان (بشيراً) عبد المؤلف وقع في الغدير وكاد يغرق ثم خرج وفر هارباً كأنه خاف من سيده ثم أُحضر مكشوف الرأس حافي القدمين واخبر انه أراد الوضوء فزلت قدمه فسقط في الغدير ثم خرج منه الى حيث يريد تبديل ثيابه لكنه لم يكد يمر بباب حلب حتى أحدق به الناس وتقدم اليه رجل فصفعه على عنقه ولطمه على فمه وقال له « الى اين ايها العبد الآبق . هل انت زنديق او سارق ? » . فذكر لهم قصته فلم يصدقوه وجعلوا يضربونه ثم وضعوا في رجله قيداً من حديد حتى اسعفه الله بالسيد عبداللطيف فانه لما رآه عرفه وقال له « ما دهاك . ومن بشر هذا القلفجي رماك » . ولعل صوابه (الفلقجي) اي صاحب الفلق و يفهم ان للشرط يومئذ فلقة كانوا يضعونها في رجل من يريدون تعذيبه . وعبد اللطيف هذا هو في الغالب السيد عبد اللطيف الكيلاني الذي أقام لهم حفلة (الوردية) في داره كما سبق ولما عرف بقصة العبد امر بفك وثاقه وجاء به الى سيده الادهمي ضيف حلب وشفع الحاضرون بالعبد لديه فعفا عنه . وأنشدهم قصيدة السراج الوراق والشهاب محمود في عبديهما . ثم ذهبوا الى (الميلوية) وهي تكية دراويش المولوية المشهورة في حلب لا سيما في هذه الايام وفي نسخة الرحلة يسمى المولوية هكذا (الحيلوية) ولا ريب ان الحاء محرفة عن الميم فصوابها (الميلوية) والميلوية هي(المولوية) كما ينطق بها أهل طرابلس الى اليوم . ومن جملة ماوصف به دارالمولوية قوله « في وسطها بركة ماء كبيرة ... وصعدنا لمكان مزخرف بالوان الأطلية والشيد فيه الغرف الرفيعة ذات التزيين . والمقاصير التي تليق بالحور العين . وقد أطلت شبابيكه على تلك الارجاء والجداول المتدفقة وأشجار السرو » . واستقبلهم رئيس التكية (داده الشيخ ابو بكر الدرويش حسين) و (داده) كلمة تركية مازالت تطلق على شيوخ المولوية الى اليوم . ثم وصف الداده المذكور ومما قال فيه « وحسبك بامرئ لم تر له ذاماً ولا شانياً . ولا ذاكراً يعلم ان له في كرم الاخلاق ثانيا » ثم صلوا في الجامع والسياق يقتضي انه جامع التكية وعادوا من الصلاة الى مكان في التكية مطل على الشهباء وبساتينها

وقضوا بالرئاسة لهذا المكان على سائر ما في حلب من المتنزهات وناموا في التكية ورجعوا في الصباح الى دارهم وتذاكروا في بيت المعري :

(و بوشع رد يوحا بعض يوم وانت متى سفرت رددت يوحا)

و (يوحا) معناها الشمس ولكن هل هي بالياء المثناة او بالباء الموحدة وقد اختلفوا في ذلك وروي عن المعري وهو في بغداد ان بعض فضلائها احتج عليه بكتاب الالفاظ ليعقوب فأجابه المعري « هذه نسخ محدثة غيرها شيوخكم ولكن أخرجوا ما في دار العلم من النسخ العتيقة » فأخرجوها فوجدوا (يوحا) مقيدة كما قال . وشعر المعري من قبيل النوع البديعي المسمى (التلميح) وقد أفاض القوم في ذكر الشواهد عليه من أقوال الشعراء . وجرى ذكر مقامات الحريري فاقترح بعض الحاضرين على المؤلف ان يحذو حذوه في وضع مقامة قال « فقلت حكى الفكر الفاتر عما خلج في الضمائر . الخ » وهذا يدل على انه ارتجل مقامته في المجلس وبلغت المقامة نحو ثلاث صفحات ضمنها مسألة نحوية وبعد إتمام المقامة عاد المؤلف ففسر الكلمات اللغوية التي وردت فيها ثم انهم ذهبوا الى ضيافة (السيد امين شارخ) وقال انه كان يلازمهم (شاب ظريف . يسمى عبد اللطيف) حسن الصوت رخيمه متفنن في الإنشاد فكان يطربهم من وقت الى آخر . ثم دعاهم الى داره (السيد محمد افندي الطرابلسي) فذهبوا اليه فلم يجدوه وانما وجدوا ابنه الذي ناب عنه واعتذر بان قد جاء اباه (نجاب من حضرة الملا) يدعوه اليه فتعلل واعتذر عن الذهاب فلم يقبل عذره ثم اكل القوم وقضوا ليلتهم هناك و كتب المؤلف كتاباً نظماً ونثراً وتركه لصاحب الدار وغادرها الى داره . ثم وصفوا للمؤلف (بيت عبد السلام افندي) ومحاسنه العجيبة فذهبوا اليه فرأوا رب الدار واقفاً في الباب فأخبروه خبر ضيف حلب الكريم فرحب بهم ودخل أمامهم ثم وصف المؤلف تلك الدار وصفاً مسهباً من ذلك قوله « واقع في صدر تلك الدار ايوان . أخبرت أرباب المعارف انه على طراز ايوان كسرى انو شروان . وتجاهه بركة عشرون مضروبة بمثلها فوق تلك البركة مقعد صغير عديم النظير ويسبح في البركة أصناف من الطيور . وحول البركة جنينات . كأنها اختلست من الجنات » . ثم قال ان صاحب الدار أعرض عن حديثهم اولاً ثم ما زالوا به حتى مال اليهم واستدرك ما فرط منه

(وامر بالتطلي والشربات) ولام اخوانه الذين لم يعرفوه بمقام الضيف قال «ولما قضينا من المكان حظنا الموفور . أردنا القيام فخلف وجاب لنا القمقم والبخور . فتطيبنا وتبخرنا . وعلى صنيع معروفه شكرنا » . وقول المؤلف (جاب لنا) يدل على مبلغ تساهله في استعمال الكلام الدارج على ألسنة العامة . ثم وصفوا للمؤلف جامعاً ليس في الشهباء جامع يحاكيه وهو جامع « صاحب الجاه والدستور . ومدبر امور الجمهور . الحاج عثمان باشا [1] ... فهو الذي بحسن هذا الجامع انفرد . ولم يسبقه الى شكله احد » ثم دعا له بما يشعر انه مازال حياً . ومما وصف به ذلك الجامع قوله « لاحت لنا منارته تجلي . كأنها عروس بانواع الزينة تحلى . قد حاكت بعلوها الاهرام الكبير ... توجت بتاج أخضر ... وفوق التاج . هلال محلي بالذهب الوهاج . اذا ألقت الشمس شعاعها عليه تكاد تراه من مسيرة يوم ... نزلنا الى وسطه فرأينا بسائر جهاته مقاصير برسم الطلبة ولهم تعيين وفي وسطه بركة . عشر في عشر . تجري ليلاً ونهاراً » . هذا ما قاله المؤلف في صفة الجامع وقد تكرر في وصفه بساتين حلب ودورها ذكر جريان المياه المتدفقة فيها وعهدنا بحلب انها محرومة نعمة المياه فما هو تأويل كلامه يا ترى ؟ وقال المؤلف انهم (لما خرجوا من الجامع رأوا بجنبه بيتاً [2] لانواع المحاسن جامع) فسرهم حسن منظره وعلموا ان بانيه هو باني الجامع (يعني الحاج عثمان باشا) وقد استدلوا بحسن البناية على علو همة الباني وتشوفوا للوقوف على حقيقته وعزموا على العودة اليه للفرجة عليه . ثم ان (حضرة مصطفى اغا ابن هيكل) دعاهم الى القلعة وان يصلوا صلاة الجمعة فيها و يزوروا مكان ابراهيم الخليل فوعدوه بذلك وزاروا (الميلوية) مرة ثانية (بقصد التفرج على مافيها من الخلوات فرأوا خلوة مزخرفة طيقانها وأبوابها) وعلموا ان ساكنها « رئيس اللطفا الدرويش ابراهيم ... وانه من الكتاب . اولي الفصاحة والظرافة الانجاب ... فلما دخلت لخلوته الانيقة التي لحسنها كأنها حديقة

(١) عثمان باشا هذا هو المشهور بالدوركي الحلبي راجع ترجمته ووصف جامعه وكيفية بنائه له في المرادي (جزء ٣ ص ١٥١) . (٢) لعل هذا البيت هو المطبخ المسمى بالعمارة كما يفهم من المرادي .

تأملته فعرفته الخ » . واذا هو صديقه فاعتذر الدرويش اليه بعدم علمه خبر قدومه ثم ذهبوا الى القلعة فوصف علوها وخندقها ومصاطبها التي بين الابواب فاستراحوا ثمه . ثم صعدوا فقابلهم رب الضيافة الى وسط الدار فجلسوا وقد ابتلت ثيابهم من العرق وتغدوا وبعده أديرت القهوة والشربات والبخور والطيب وصلوا في جامع القلعة وخطيبه معرفة بالانغام ثم طلعوا الى سور القلعة وصحبوا معهم القهوة وبعض الحلويات وأشرفوا على حلب قال « فضربناها بمساحة الافهام . فرأيناها تساوي مصر ذات الاهرام » ثم مدح حلب وانها مباركة من زمن ابراهيم الخليل ومدح أهلها وانهم أمراء الفصاحة من عهد أمراء بني حمدان وكان معهم في مشاهدة القلعة « رجل له شغف بجمع الدرهم والدينار اسمه امين . وهو بالبذل ضنين » . فارتجل المؤلف بيتين تعريضاً به وبحرصه على المال ثم نزلوا فزاروا المكان الذي كان يحلب فيه ابراهيم بقرته الشهباء ! فدعوا وتبركوا ثم خرجوا من القلعة الى دارهم وهناك جرت مذاكرات ادبية نضرب عن ذكرها صفحاً ومنها قول جميل :

(بثينة تزري بالغزالة في الضحى كأن اباها الظبي او أمها المها)

قال المؤلف « ولهذا البيت حكاية لطيفة أوردتها في شرحي على القصيدة المقرية » ويعني بالقصيدة المقرية قصيدة الشيخ (المقري) التي مطلعها :

(سبحان من قسم الحظ ـ وظ فلاعتاب ولاملامه)

واسم شرحه عليها (الكواكب السنية شرح القصيدة المقرية) قال المرادي انه شرح حسن مفيد يدل على فضل المؤلف .

وكان الجلوس يسألونه عن أبيات شعرية فيها غموض من حيث اللغة اوالمعنى فكان يجيبهم عليها ويكشف الغموض عنها ويورد ما قاله العلماء فيها عدا أبيات شعرية كانت تعرض عليه فيشطرها تارة ويخمسها طوراً . ثم ختم المؤلف رحلته بذكر أشهر مشاهير حلب الذين اجتمع بهم فجعلهم فريقين : الفريق الاول رجال العلم والأدب والفريق الثاني رجال المناصب والرتب وهم الذين أصبحوا يسمون (الافندية) او (العلماء الرسميين) أحياناً وقد اتى على وصف الفريقين وتراجم أحوالهم ولمز بعضهم معرضاً او مصرحاً بعيوبه .

« الفريق الاول »

(١) الشيخ قاسم الشهير بالبكرجي صاحب البديعية المشهورة (راجع ترجمته في المرادي ج٤ ص١٠) .

(٢) الشيخ قاسم بن الشيخ محمد النجار (جزء٤ ص١٣) .

(٣) السيد علي العطار سبط الكيلاني (جزء ٣ ص ٢٠١) .

(٤) الشيخ طه الجبر بني ابن مهنا (جزء٢ ص ٢١٩) .

(٥) الشيخ علي الدباغ وقد لمزه بالطمع وقال فيه (له معرفة باسماء الكتب بلا خلاف . حتى يتراءى بانه لمعرفته بها صحاف) . (ترجمته في جزء٣ ص٢٣٣) .

(٦) الشيخ عبد الكريم الشراباتي (جزء ٣ ص ٦٣) .

(٧) الشيخ محمد الزمار (جزء ٤ ص ١٢٣) .

« الفريق الثاني »

قال « واما من اجتمعت عليه من أبناء حلب . من أرباب البايات والرتب . فنبذة أخيار . قد رفلوا بثياب العز والفخار » . فمنهم :

(١) السيد يوسف افنـدي الدمشقي المفتي بالشهباء . وقال المؤلف انه تردد بين ان يعده في الفريق الاول (العلماء) اوالثاني (أرباب البايات) ولذلك جعله بين الفريقين ثم لمزه قائلاً « اما وصفه باثبات أدلة . فلسان الحال ينادي بانه حجة المعتزلة ... قد طعن في العمر وأسن . ولم يخلع عن المجون من رأسه الرسن » . ثم ذكر انه كلما أراد مناظرته والبحث معه « ضرب سداً عن هذا المرام . بفضول الهزل والكلام » . ولكن المرادي ترجم السيد يوسف هذا في جزء ٤ ص ٢٦١ ترجمة حسنة ونقل للمحبي في ذيل نفحته مدحاً جميلاً فيه .

(٢) احمد افندي طه زاده نقيب الاشراف .

(٣) السيد محمد افندي ابو الجود الكواكبي النقيب السابق .

(٤) ابن عمه احمد افندي ابن المرحوم ابو السعود افنـدي الكواكبي . و يظهر من وصفه له انه كان في ذلك العهد شاباً طالباً فقد قال فيه « أفرغ الله ذاته في قالب الحسن فكان نوراً مصوراً . وأطلع غصن كماله في دوحة الحسن يانعاً منوراً . له وجه

يخجل البدر عند شروقه . ورقة كلام يشربها سمع الحاضر فتسري كنشوة الخمر في عروقه ..... قد تعلق بذيل الأدب . وأطلق عنان الطلب ... فأحرز قصبات السبق في ذلك المضمار . وزاحم مناكب المجتهدين . فساوي من طلب في ذلك أعواماً وسنين » .

(٥) خاتمة الصالحين الابرار الشيخ احمد البنان . صاحب العلوم الالهية والاتقان) . ووصفه بالولاية وانه هو صاحب الوقت في تلك الديار . قال « ومررت الى دكانه تجاه الخسرفية (الخسروية) .... ثم باثناء المذاكرة والملاطفة . أخبرني ببعض امور على طريق المكاشفة » . عندها تيقن المؤلف (انه من أولياء الله الصالحين) . ولم يترجم المرادي لواحد من هؤلاء الاربعة .

وذكر المؤلف انه طاف على الأولياء الذين في اللحود فعدّ منهم (سيدي غوث) و (سيدي عبدالله الذهبي) و (الشيخ ابوبكر) وبعد مضي احد عشر يوماً في حلب عزم على الرجوع الى بلده طرابلس الشام فيمكث اياماً ثم يرحل الى (دمشق الشام) . وعاد في الحافرة التي جاء منها : خان طومان فقرية القناطر فإدلب ونزلوا فيها في (مصبنة النداف) ومعهم كتاب بعزله عن بيانة المصبنة من صاحبها (احمد افندي بن طه افندي) نقيب أشراف حلب فأرسلوا الكتاب الى نقيب أشراف إدلب فعزله بالطبع ثم زاروا في إدلب (الكامل الكبير) ولعله والد مفتيها الذي لم تُتح لهم رؤيته في مرورهم بها اولاً وقلنا انه ربما كان من أسرة الكيال التي كادت تحتكر الولاية في تلك الديار وهاتيك الأعصار . وقد قال في صفته « وجدناه كعبة الهداية . غارق في بحور الولاية ... نفعنا الله ببركاته . ومتع أهل إدلب بطول حياته » . و برحوا ادلب فنشبوا في أوعار الطرق ومضايق الجبال وعقابها قال « ولماقطعنا صعابها .... اخذت دابتي الخشوع . فهوت الى الارض فنزلت ناوياً السجود والركوع . فرُضّ كتفي وجنبي . واحتسبت مصابي عند ربي » . حقاً ان كل مسافر يخترق الطريق اليوم على السيارة بين حلب وبيروت يجدر به ان يذكر المؤلف الأدهمي ويقرأ الفاتحة عن روحه الطيبة . ثم وصلوا الى (جسر الشغر) فصلوا الظهر في جامعها (واذا رجل من الشافعية يقرأ للناس تفسير الخطيب) فدلف اليهم وعرض الضيافة عليهم فاعتذروا ثم وصلوا الى اللاذقية فنزلوا عند

(إحمدجلبي الزيادي) وعن مهم إبن مفتي اللاذقية الشيخ عبدالرحمن افندي الذي من ذكره قال « فوجدناعنده في الدار . رجلاً من أولياء الله الأخيار ... وأجازنا باذكار ... وقال : ان وقعتم في ضيق فنادوني . فانكم ان شاء الله في كل وقت تجدوني ... » ! ! ثم بلغوا جبلة فطرطوس ثم طرابلس الشام فدعاهم الى الزاوية (الحاج علي العكاري) فأضافهم في (بستان الحور) يومين . وأسرة العكاري من أشهر الأسر الطرابلسية كانت أسرة علم ثم تجارة وما زالت الى اليوم معروفة في طرابلس . قال وأضافهم (الحاج ابراهيم بن علي باشه) وكلمة (باشه) تكتب أحياناً (بشه) ونراها كثيراً في الصكوك والوثائق الطرابلسية القديمة وهي لقب تكريم لكنها دون الألقاب الاخرى وفهمت من بعض المعاجم التركية ان (بشه) و (پاشا) كلتاهما تركيتا الاصل لكن الاولى تكتب بباء موحدة النقطة ومعناها (السيد والمولى) والثانية تكتب بباء ذات ثلاث نقط ومعناها (الوالي والوزير) وهي التي مازالت حية شائعة بيننا . اما الاولى فقط ماتت . ثم ان المؤلف ذكر ان صديقه (الشيخ مصطفى اللقيمي) أقام في داره مريضاً سبعة عشر يوماً ثم غادر الدار من دون ان يعلمه ناقماً زارياً فعتب المؤلف عليه وانه لم يراع حقوق الصحبة وسمع كلام أعدائه فيه . وهكذا انتهت رحلة المؤلف الى حلب ثم غادر طرابلس الى (دمشق الشام) وسنأتي على وصف رحلته اليها في جزء آخر من هذه المجلة .

المغربي

قانون البلاغة

— ٥ —

فلما أفضي الشعر الى المحدثين ، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن ، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف ، فكلفوا الاحتذاء عليها ، وسموها البديع فمن محسن ومسيء ، ومفرطٍ ومقتصدٍ ، وهو ينقسم اقساماً ويتشعب شعباً .

فمنها الطباق ، التجنيس ، الاستعارة ، المقابلة ، الارداف ، الموازنة ، المساواة ، الوحي والإشارة ، التذييل ، المبالغة ، الغلوّ ، الايغال ، التسهيم ، رد الكلام على صدره ، صحة التقسيم ، المماثلة ، الترصيع ، التكميل ، التكافؤ ، السلب والايجاب ، العكس والتبديل ، الكناية والتعريض ، الالتفات ، الاستدراك والرجوع ، التذييل ، الاستطراد ، التكرار ، الاستثناء ، التصحيف ، براعة الاستهلال ، براعة التخلص ، الترديد ، التتميم ، جمع المؤتلف والمختلف في بيت او بيتين ، المذهب الكلامي ، التفويف ، التفريع ، التسميط ، التصريع ، التضمين ، القسم ، الاعنات ، تجاهل العارف[1] ، هزل يراد به الجد .

فاما الطباق فهو ان يأتي الشاعر بالمعنى وضده ، اومايقوم مقام الضد فيحسن جداً ، وله شُعبٌ خفية ، وشعاب غامضة ، وربما التبست به أشباه لاتبين الا للنظر الصائب والذهن الثاقب ، ومن اشهر أقسامه ماجرى مجرى قول زهير :

(ليث بعَثّر[2] يصطاد الرجال اذا   ماالليث كذب عن اقرانه صدقا)

وقال جرير :

(وباسطِ خيرٍ فيكم بيمينه   وقابض شرٍّ عنكم بشماليا)

وقول طفيل :

(يصان وهو ليوم الروع مبذول)

---

(١) في الحاشية وسماه صاحب المفتاح « سوق المعلوم الى غير المعلوم » .

(٢) عَثّر كَبَقّم مأسدة باليمن وقيل جبل بتبالة به مأسدة .

وقول دعبل :

(لا تعجبي يا سلمُ من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى)

وقول الآخر :

(خميص من التقوى بطين من الخمر)

وقد يجيء منه جنس آخر تكون المطابقة فيه بالنفي كقول البحتري :

(يقيّض لي من حيث لا اعلم النوى ويسري اليَّ الشوق من حيث أعلم)

لما كان قوله لا اعلم كقوله اجهل ، وكان اجهل مطابقه ، كان الآخر بمثابته .

ومن أغرب الفاظه والطف ماوجد فيه قول ابو تمام الطائي :

(مها الوحش الا ان هاتا اوانسٌ قنا الخط الا ان تلك ذوابل)

فطابق بهاتا وتلك ، واحدهما للحاضر والآخر للغائب ، فكانا نقيضين في المعنى ، وبمنزلة الضدين . وسبيل الشاعر ان يتتبع فيه التقابل ، وان لا يجيء باسم مع فعل ، ولا بفعل مع اسم ، فان ذلك اذهب في الصنعة ، واسلم في البنية .

واما التجنيس(١) فهو ان يأتي الشاعر بلفظتين في البيت احداهما مشتقة من الاخرى يسمونه المطابق ، وهو اشهر أوصافه ، واكبر أصنافه ، نحو قول امريء القيس :

(لقد طمح الطماحُ من بعد ارضه ليُلبِسَني من دائه ما تلبسا)

وقول الاعشى : وليل ابي ليلى امرءٌ وأعاق

وقول زهير : كأن عيني وقد سال السليل بهم

وقول القطامي : مستحقبين فؤاداً ماله فاد

وقول الشنفرى : بريحانة ريحت عشاراً وظلّت

وقول رؤبة : أحضرتَ اهل حضرموتَ موْتا

فجانس في موضعين في بيت رجزٍ وقول جرير :

(١) وجد في هامش الاصل ما يلي : «سمى هذا وأخواته من الأمثلة اشتقاقاً لا تجنيساً والتجنيس أنواعه ثلاث عشرة وهي مرتبة في كتابي الموسوم بدرة التبيان في علمي المعاني والبيان» .

(فما زال معقولاً عقـال عن النّدى   وما زال محبوساً عن المجد حابس)

وقد يكون منه التجنيس المستوفي كقول ابي تمام :

(ما مات من كرم الزمان فانه   يحيى لدى يحيى بن عبد الله)

فجانس يحيى ويحيى لاختـلاف المعنيين لان احدهما فعلٌ والآخر اسمٌ ولو اتفق المعنيان لم يعدّ تجنيساً . وكقول بشار :

(واني للثغر المخوف لكالئ   وللثغر يجري ظَلمه لرشوف »

ومنه التجنيس الناقص كقول الأخنس بن شهاب :

(وحامي لواءٍ قد قتلنـا وحاملٍ   لواءً منعنا والسيوف شوارع[1])

وقولـــ ابن مقبل :

(يَمشين مشيَ النقا مالت جوانبـه   ينهال حيناً وينهاه الثرى حينا[2])

وقولـــ ابي تمام :

(يمدون من ايدٍ عواصٍ عواصم   تصول بأسياف قواضٍ قواضب[3])

وقول البحتري :

(هل لما فات من تلاقٍ تلاف   ام لشاكٍ من الصبابة شـاف)

ومنه التجنيس المضاف كقول البحتري :

(أيا قمر التمام اعنتَ ظلما   عليّ تطاول الليل التمام)

فجانس بقمر التمام وليل التمام ، وكل واحد منهما موافق للآخر في المعنى ، ولكن احدهما صار مقترناً بالقمر والآخر بالليل ، وكانا كالمختلفين .

والتجنيس يزيد في رونق الشعر ، ويحلي عاطل معانيه ، وهو عنوان الفصاحة ، وشاهد الاتساع في اللغة ، ودليل على توقد الذكاء ، وجودة الذهن ، ومسابقة الخاطر .

واما الاستعارة فهي نقل الكلمـة عن شيءٍ قد وضعت له الى شيءٍ لم توضع له .

(١) في الاصل : ليس هذا التجنيس الناقص بل هو التجنيس المطرّف .

(٢) في الاصل : هذا تجنيس ناقص فانه كالتام الا في الاعراب .

(٣) في الاصل : ما هو التجنيس الناقص بل هو التجنيس الزائد .

ولا تكون الاستعارة واقعة حتى تكون اللفظة المستعارة في الموضع الذي استعيرت له أبلغ من الحقيقة .

واستعارات الشعراء جمة ، ومحاسنهم فيها كثيرة ، ومذاهب المحدثين فيها خاصة طريفة ، فمنها قول زهير : وعُرّي أفراس الصبا ورواحله

وقول لبيد : إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

وقول ابن الطثرية :

(أخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطيّ الأباطح)

وقول جرير :

(تحيي الروامس ربعها فتجدّه بعد البلى وتميته الأمطار)

وهذا البيت يجمع لطف الاستعارة ، وشرف الطباق ، لانه جاء فيه بالاحياء والامانة ، والجدة والبلى . يستحسن من الاشعار مثل قول ابي حيّة :

(وليلة مَرِضَت من كل ناحية فما يضيء بها نجم ولا قمرُ)

واما المقابلة فهي ان يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بينها ، فيأتي في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف بما يخالف على الصحة ، او يشترط شروطاً في احد المعنيين ، فيأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه ، وفيما يخالفه باضداد ذلك ، كقول الجعدي :

(فتىً كان فيه ما يسرّ صديقه على ان فيه ما يسوء الاعاديا)

وقول تأبط شرّا :

(اهزّ به في ندوة الحيّ عطفه كما هزّ عطفي بالهجان الاوارك)

وكقول آخر :

(ايا عجبًا كيف اتفقنا فناصحٌ وفيٌّ ومطويٌّ على الغل غادر)

فجعل بأزاء ناصح مطوياً على الغلّ وبأزاء وفيّ غادراً . وقد ذهب بعض الناس على ان هذا طباق ، وليس هذا كما ذهب اليه ، وان كان مناسبًا له ، واما الإرداف وفي الهامش وسمي تتبيعًا فهو ان يريد الشاعر دلالةً على معنىً فلا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ هو تابع له وردف كقوله :

(بعيدة مهوى القرطِ اما لنوفلٍ ابوها واما عبد شمسٍ وهاشم)

وانما : أراد ان يصف طول جيدها فأتى بردفه ، وهو بعد مهوى القرط وكقول امرئ القيس :

(ويضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل)

انما أراد ان يذكر ترفة[1] هذه المرأة ، وان لها من يكفيها ، فلم يذكر ذلك وعدل الى ذكر فتيت المسك الذي يدل على انها منعمة ، وانها في خفض من العيش وترفة ، وقد يسمى التتبيع ايضاً .

واما الموازنة فهي ان تكون الالفاظ متعادلة الأوزان ، متوالية الاجزاء ، كقول امرئ القيس : (سليم الشظى[2] عبل الشوا[3] شنج النسا[4])

وقول ابي داود :

(بعيد مطى[5] الطرف خاظي البضيع[6] ممر المطا سمهري العصب[7])

واما المساواة فهي ان يكون اللفظ مساوياً للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه كقول زهير :

(ومهما يكن عند امرئ من خليقة ولو خالها تخفى على الناس تعلم)

وكقوله :

(فلو شاء قومي كان حلمي فيهم وكان على جهال اعدائهم جهلي)

وكقول الآخر :

(اذا انت لم تقصر عن الجهل والخنا أصبت حليماً او أصابك جاهل)

ومساواة اللفظ بالمعنى هو الامر المتوسط بين الايجاز والاسهاب .

---

(١) الترفة بضم التاء كغرفة النعمة . (٢) الشظى عظيم مستدق لازق بالوظيف اي عظم الساق . (٣) ما كان غير مقتل من الاعضاء والعبل الغليظ . (٤) يقال فرس شنج النسا متقلصه وهو مدح له لانه اذا تقبض نساه وشنج لم تسترخ رجلاه . (٥) في هامش الاصل : هذا البيت لا مدخل له بمثل صنعة الموازنة الا في قوله « بعيد مطى وممر المطا » والباقي لا بعد من التوازن . (٦) خاظي البضيع ممتلئ اللحم . والمطى المدى . (٧) المطى حبل الظهر وامر الحبل فتله فتلاً شديداً فهو ممر . وعصب سمهري شديد الفتل .

واما الاشـارة فهي اشتمال اللفظ القليل على المعـاني الكثيرة كاللمحة الدالة على المراد ، كقول امرئ القيس :

(فظل لنـا يوم لذيذ بنعمة فقل في مقيل نحسه متغيّب)

وكقوله : (على هيكل يعطيك قبل سؤاله افانين جريٍ غير كزّ ولا واني)

فقد جمع بين قوله افانين جري ما لو عدّ لتطاول اللفظ به ، وجمع بقوله قبـل سؤاله أوصاف العتق والجودة في هذا الفرس ، ويريد انه يذهب في الافانين طوعاً من غير حث . في قوله غير كزّ ولا واني : نفى عنه ان يكون معه الكزازة من قبل الجماح والمنازعة ، والونى من قبل الاسترخاء والفترة . وكقول الآخر :

(هاج ذا القلب من تذكر جمل ما يهيج المتيم المحزونا)

فقد أشار بقوله ما يهيج المتيم المحزونا الى ضروب من أوصاف المتيم يتسع فيها نطاق الكلام وتفسح معها مسارب الظلام .

واما المبالغة فهي ان تذكر معنىً ما لو اقتصر عليه لكان كافيـاً فيما قصد له ، فلا يقتصر على ذلك حتى يؤكد معانيه ، ويعتمد المبالغة فيه كقوله :

(ونكرم جارنا مادام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا)

فإكرامهم الجار ما كان فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة ، واتبـاعهم إياه بالكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل . وكقول الخضريّ :

(وأقبح من قرد وأبخل بالقرى من الكلب امسى وهو غرثان اعجف)

فقد كان يجزئ في الذم ان يكون هـذا المهجوّ أبخل من الكلب ، فلم يرض حتى يكون غرثان أعجف . وكقول الآخر :

(وانا لنعطي النصف منا واننا لنأخذه من كل أبلخ[1] ظالم)

فالتوكيد في قوله واننا لنأخذه ثم قال : من كل أبلخ ثم قال : ظالم فهذه مبالغات مضاعفة مكررة .

واما الغلوّ فكقول قيس بن الخطيم :

---

(١) متكبر .

(طعنتُ ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نفذ لولا الشعاع أضاءها)
(ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها)

وبلغني ان شعبة بن الحجاج قال لما أنشد البيتين هذا لم يطعنه انما فتح دربان[1] .

وكقول النمر بن تولب العكلي :

(أبقى الحوادث والايام من نمر أسباد سيف قديم أثره بادي)
(فظل يحفر[2] عنه ان ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي)

وكقول ابي نواس :

(توهمتها في كأسها فكأنما توهمت شيئاً ليس يدركه العقل)
(فما يرتقي التكييف منها الى مدى يحدُّ به الا ومن قبله قبل)

ومن الشعراء من يستثني عند الغلو او يظهر[3] (بكاد) و (لولا) فيدرك مراده و يسلم من قبح الغلو وهجنة الافراط . مثل قول العرجي :

(ولهن بالبيت العتيق لُبانةٌ والبيت يعرفهن لو يتكلّم)

واما الايغال فهو ان يوغل بالقافية في الوصف ويؤكد التشبيه بها ، والمعنى قد يستقل دونها ، وانما يأتي بها لحاجة الشعر في ان يكون شعراً اليها ، فيزيد معناها في تجويد ما ذكره ، فيبلغ في المعنى الى الغاية القصوى في الاحسان والجودة ، كقول امرئ القيس :

(كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقّب)

فقد اتى على التشبيه قبل القافية ، وذلك ان عيون الوحش اذا ماتت اشبهت الجزع ، ثم لما جاء بالقافية بلغ بالمعنى الأمد البعيد في التأكيد ، لان تشبيه عيون الوحش بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه ، واذا لم يثقب كان أحسن في صفائه ، واشد في ترقرق مائه وكقوله :

(اذا ما جرى شأوين وابتلّ عطفه تقول هزيز الريح مرت بأثأب[4])

---

(١) اي دربند وهو الباب (فارسية) . (٢) لعل صوابه يحفز بالزاي المعجمة .
(٣) لعله يستظهر . (٤) الأثأب شجر ينبت في بطون الاودية في البادية الواحدة أثأبة .

فقد تم الوصف والتشبيه قبل القافية ، فلما اتى بالقافية زاد المعنى نصاعة و براعة ، وذلك ان الأثآب شجر يكون للريح في أضعاف أغصانه حفيف شديد ،وقال زهير :

(كأن فتات العهن في كل منزل   نزلن به حب القِنا [1] لم يُحطَّم)

فقد اتى بالتشبيه قبل القافية ثم قال : لم يحطّم لانه اذا حُطّم كان داخله ابيض فلم يشبه العهن وهو الصوف الاحمر . وقال آخر :

(حملت ردينياً كأن سنانه   سنا لهب لم يتصل بدخان)

فأكد بقوله لم يتصل بدخان .

واما التسهيم فهو ان يصوغ الشاعر الفاظه مستوية الاقسام ، معتدلة النظام ، لا يزيد جزء على جزء تقتضي كل كلمة اختها ، وكل لفظة شكلها ، فاذا كان الشعر على هذه الصيغة سبق السامع الى قوافيه ، قبل ان ينتهي اليها راويه ، حتى لو سمع سامع الشطر الاول ، استخرج الشطر الآخر ، من غير ان يكون قد سمعه . كقول البحتري :

(فاذا حاربوا أذلوا عزيزاً)

يقتضي ان يكون تمامه : (واذا سالموا أعزوا ذليلاً)

وكقوله :

(أحلّت دمي من غير جرم وحرّمت   بلا سبب يوم اللقاء كلامي)

(فليس الذي حلّلته بمحلل)

يجب ان يكون تمامه : (وليس الذي حرمته بحرام)

« للبحث صلة »

---

(١) القنا بكسر القاف الكباسة وهو من النخل كالعنقود من العنب .

الوضع العربي

الوضع العام في اللغة إلقـاء شيء على غيره ، ومعانيه الاصطلاحية كثيرة بحسب العلوم والصناعات . والوضع اللفظي أقسام :

(١) لغوي : وهو تخصيص اللفظ بالمعنى ابتداءً بحيث يدل عليه من غير قرينة .

(٢) وشرعي : وهواستعمال الشارع لفظاً في معنى شرعي بينه وبين اللغوي مناسبة .

(٣) وعرفي خاص : وهو استعمال العلماء وارباب الصناعات الفاظاً في معانٍ غير معانيها الاصلية اللغوية لمناسبة بينهما .

(٤) وعرفي عام : وهو توسيع عامة الناس في استعمال الفاظ في معان بينها وبين معانيها اللغوية مناسبة كاستعمال الدابة في ذوات الاربع .

ونقصد الآن الى بيان الوضع اللغوي الابتدائي فنقول :

علمنا مما تقدم ان وضع اللغة لا يأتي جملة وعلى دفعة واحدة . بل يقتضي الوفاً من السنين تتكاثر فيها الالفاظ وتتزايد حروفها . و يتولد بعضها من بعض . وتتميز اساليب استعمالها بتركيبها مع غيرها . ولكل من الوضع الافرادي والتركيبي بحث يخصه .

« الوضع الأفرادي ومراتبه »

الوضع الافرادي (اي تأليف اللفظ المفرد من حروف تؤدي معنىً مقصوداً) له مراتب يتدرج فيها حتى يصل الى غاية الكمال او يقارب .

« المرتبة الاولى »

ان مرتبة الوضع الاولى هي مرتبة تألف الكلمة . إما من محاكاة الاصوات . وإما من الارتجـال على حسب الالهام من الله واستعمال قوة النطق الموهوبة له . او التلقي عنه تعالى بوحي .

« محاكاة الأصوات »

زعم كثير من القائلين بتولد اكثر الفاظ اللغـة من اصوات الحيوان ان اصل هذه الالفـاظ أحادية الهجاء . اي انها ذات حرف واحد متحرك بحركة او ساكن متوصل

اليه بحركة . وقد كان يكون هذا الغرض وجيهاً لو ان جميع الالفاظ ساذجة أحادية النغم والجرس . فاما ونحن نسمع من الاصوات المتعدد النَّغَم والجرس . والمتصل والمنقطع . كأصوات الطيور المغردة وقصف الرعود وضحك الانسان فلا مانع من فرض تألف اللفظ المحكي من اكثر من هجاء واحد . او هجاء متكرر على الاقل . كما يشاهد في بداية نطق الاطفال .

ونشوء الالفاظ من محاكاة الاصوات خاضع لعدة نواميس فطرية في الانسان :

الاول : ان صوت الانسان مختلف عن اصوات غيره بحكم اختلاف مصدر صوته عن مصور اصوات غيره : من الحنجرة والحلق والفم . فمحاكاته لها لا تكون مطابقة لها من كل وجه . ومانراه من محاكاة بعض المضحكين لعواء الكلاب ونهيق الحمار . انما يكون بعد رياضة ومعاناة وتكلف على فروق دقيقة بينها يتميزها العارفون .

الثاني : ان تمييز الاصوات بحاسة السمع الانساني يختلف باختلاف الاشخاص ويشتد الاختلاف باشتداد التشابه ودقة الفروق وينشأ من ذلك كثير من انواع التوهم الفطري في الانسان المفضي الى الخطإ في الحكم وسوء التفاهم .

الثالث : ان القدرة على محاكاة المسموع المتحقق بالنطق الانساني متفاوتة بتفاوت الاستعداد الفطري والانفعال العصبي وتركيب بعض آلات النطق كاللسان ووضع الفكين والاسنان . فأكثر الامم الآرية لا يستعمل الحروف الحلقية وكثير من الهمج لا ينطق الا ببضعة أحرف بحيث لايستطيع النطق بغيرها . ولو بذل في ترويضه كل جهد . واللثغة في الأطفال ناشئة من استعصاء آلات الصوت في بداية النطق . ثم تقوى مطاوعتها بقوة التنبه فيهم واخذهم بالتثقيف والرياضة . واللثغة في الكبار ناشئة من عجز بعض آلات الصوت عن أداء وظيفتها لضعف في بعض أعصابها .

الرابع : ان الانسان ميال بفطرته الى التساهل او التوسع فيما يصعب عليه . ولو كان في قدرته تذليله بالجد والتعب . فالاوربي ينطق العين همزة والحاء هاءً او خاءً والخاء كافاً مع استطاعته النطق بها بالرياضة والتمرين كما شاهدناه عند تعليمنا كثيراً منهم .

الخامس : ان التساهل او التوسع في التعبير يختلف باختلاف الاشخاص والامم . فتساهل زيد غير تساهل عمرو . وتساهل الرومي في النطق ببعض الحروف العربية

غير تساهل الطليـاني · وتساهله غير تساهل الانجليزي · وبينما ينطق الزنجي بالخاء هاءً اذ ينطق بها المالطي حاءً · وهكذا ·

السادس : ان التساهل اوالتوسع في النطق — او ما نسميه التحريف — يكون غالباً في الحروف المتشابهـة المخارج او المتقاربتها · كما يظهر بادنى تأمل عند تتبع تحريفات الأطفال والأعاجم ·

اذا عرفت هـذه النواميس وما تقتضيه سهل عليك معرفة اختلاف الناس في محاكاة المسموع بحروفهم التي يسهل عليهم النطق بها وذهابهم في تحريفها عن اصلها كل مذهب مما كان له أبين أثر في تنمية عدد الألفاظ · وخاصة المترادفة والمتقاربة المعاني وسهل عليك استنباط القانون اللغوي الكلي الذي وضعه علامتنا ابوالفتح بن جني وهو :

« الألفاظ المتصاقبة الحروف متصاقبة المعاني »

وبناء الكلمات من حكاية الاصوات تكون على أنواع :

فمنها ما يحاكي صوت الحيوان غير الانسان · ومنهـا ما يحاكي صوت الانسان · ومنها ما يحاكي الأصوات الناشئة من تفاعل قوى الطبيعة ·

فمن الألفاظ المحاكى بها صوت الحيوان « عواء الكلب » اصله هجاء العين متحركاً بحركة و « مواء الهر » اصله الميم متحركة و « خوار العجل » اصله الخاء متحركة و « صئي الفرخ » اصله الصاد محركة و « نهيق الحمار » اصله الهاء و « رغاء الإبل » اصله الراء او الغين و « زقاء الديك » اصله القاف و « نبيب التيس » اصله الباء مكررة و « خرخرة الهر » اصله الخـاء والراء مكررتين و « قطقطة القطاة » اصله القاف والطاء مكررتين و « طنين الذباب » اصله النون و « صرير الجندب » اصله الصاد والراء وغير ذلك مما لا يحصى في مثل هذه العجالة ·

ومن الفاظ الأحداث المحكي بهـا أصوات تفاعل الطبيعـة (مثل تلاقي جسمين بالتصادم والتقـارع والاحتكاك او سقوط احدهما على الآخر او انفصال أجزاء جسم بآخر) الدق والصك والحك والهد والسد والقط والبج والمص والرش والشق وخرير الماء وحفيف الاشجار وهبوب الرياح وخفتها وهلم جرّا ·

ومن الفاظ الذوات المنقولة عن حكاية الاصوات لصدورها عنها الانف والفم والشفة اصلها الفاء كما لا يخفى ومثلها الحلق والحلقوم والحنجرة اصلها الحاء زيد عليها بعض الحروف كما سنبينه فتبين ان جميع الالفاظ الآنفة أصلها حكاية أصوات بهجاء واحد متحرك او بهجاء ساكن توصل اليه بمتحرك قبله ثم زاد عليه حرف ·

(١) اما بقصد مد الصوت كماء السنور وخار العجل ·

(٢) واما بقصد تكريره وتقويته مثل خر الماء وبح الصوت وصر الجندب وهر الكلب وهد الحائط فترى ان الزيادة وقعت بتكرير الثاني لتكرير حدثه ·

(٣) واما بالابدال والقلب لسوء السمع او سوء الحكاية او الميل الفطري الى التساهل والتوسع العام مثل (لط) اصل معناه اللزق واللطخ والستر حرف آخره حروف شتى في مثل لطأ ولطخ ولطم ولطس ولطى ومعانيها كلها متقاربة ثم بابدال حروفه ينشأ : لت ولتب الناقة في انفها طعنها · ولتح بمعنى ضرب ولتخ ولتد ولكد ولتز ولثف ولتم ورطس ولطب وكلها متقاربة المعاني ·

ومثل (قط) — الاصل في معناه « القطع » فأخذ منه للاسباب المتقدمة قطع وقطب وقص وقصم وقصل وكسر وقصب وقصر وقصف وقصا وقض وقضم وقضب وقصع وكسر وكسم وحذ وحذم وجذم وجذر وحذف الخ ·

ومثل ذلك يقال في بقية الزوائد على هجاء او هجاءين لتكوين أبنية الكلم من ثلاثة احرف · وهي اكثر مادة اللغة العربية · ولقلة ما جاء من الرباعي الاصول والخماسي ونزارة ماورد من الثنائي رسخ في نظر العربي فرض اصالة الثلاثي دون غيره · فتراه يزيد الثنائي حرفاً عند التصغير والنسب ·

« الارتجال »

يزعم كثير من علماء اللغات ان كل الفاظ اللغات يمكن ردها الى محاكاة أصوات الحيوان ، فكأن الانسان الذي ميزه الله بالنطق والفكر في رأيهم أحط مرتبة من الحيوان الأعجم لا يمكنه ان ينطق بفطرته بأصوات يعبر بها عن مقاصده · مع ان من الحيوان ما يتفاهم باكثر من عشرة أصوات · ولا ينكر وقوع الارتجال في الانسان

الا مكابر . فان له علاوة على الأصوات الوجدانيـة الاضطرارية كالأنين والتأوه والتأفف والقهقهة الفاظاً لا يمكن إرجاعها الى محاكاة الأصوات الا بتكلف وتعسف فأحر بها ان تكون من الألفاظ المرتجلة أنطقه الله بهـا الذي أنطق كل شيء . واذا قسنا نشأة الانسان بقانون نشـأة الطفل كما يقررون وجدنا ان كثيراً من الاطفال ينطقون ببعض أهجية مرتجلة يدلون بها على مرادهم . قد يستعينون على تفهيمها غيرهم ببعض الإشارات او تقلص الجوارح او بسطهـا . وربما لا يستعينون . فتفهم عنهم بالتكرار فيألفها الطفل و يألفهـا مربوه . على اننا سمعنا كثيراً من الاطفال يرتجلون كلمات مركبة من حروف عدة .

و يرد المعارضون الارتجال بانه لو سلم به لكان كل فرد من الفصحاء بالفطرة او بعضهم يرتجل كل يوم الفاظاً جديدة . مع اننا لم نر احداً من الناس يرتجل شيئاً الآن .

وجوابنا ان عدم الارتجال في الكبار من اصحاب اللغات الراقية ناشيء عن عدم الحاجة اليه لاستغنائهم بها بما وجدوه في لغة قومهم ساداً لعوزهم . ولما يصادفونه فيها من قوانين الصوغ والبناء من الاشتقاق والنحت والتوسع بطرق المجاز والنقل من اللغات الاخرى . هذا الى ان تدوين اللغة في كتب ومعجمات . ووضع قواعد وضوابط لها يجعلها كالمجمع عليهـا . و يحمل المرء على الإحجام عن التزيد فيها . على انه قد روي ان بعض رُجّاز الاعراب ممن كانوا يفدون الامصار — عصر تدوين اللغة — كانوا يرتجلون بعض الكلمات ارتجالاً كرؤبة وابيه العجاج .

و يزيد المرء إحجاماً عن الإرتجال تقديس لغته وتنزيهها عن الخلط فيها لانها لغة كتبه الدينية وثمة فريق من الملبين وغيرهم يرى ان اكثر الفاظ اللغة مرتجل ان لم يكن كلها كذلك .

ومن اشهر محدثيهم الفيلسوف « رينان » الفرنسي الشهير في كتابه « اللغات السامية » وحجته ان توليد الثلاثي من الثنائي او من الحرفين الاولين ثم توليد الرباعي من الثلاثي وهكذا لا يخلو من مواضعة واصطلاح . وصدورهما من الأناسي الاولين غير معقول لمكان بداوتهم وغرارتهم . و يرد قوله بان المواضعة والاصطلاح مفروضان حتى في الثنائي بل الأحادي . ولكن لا بمعنى ان الاقدمين كانوا يعقدون المحافل والمؤتمرات للاتفاق على كلمة كما تفعل المجامع اللغوية الآن . وانما كان القـائل ينطق

عن فكرة او قياس يراعيه في وضع الالفاظ فيسمعه منه غيره . و يفهم مراده بقرينة إشارة او خطاب . فاذا أنس الواضع منه الفهم كرره في المعنى الذي أراده فلا يلبث ان يفشو بين الناس و يصير من أوضاعهم . و يصطلحون على الإفهام به من غير تعمل ولا قصد الى اتفاق عليه في مجمع او محفل .

وقد زعم بعض العلماء ان ارتجال الالفاظ للدلالة على المعاني راجع الى طبائع الحروف المتألفة هي منها . فعنده ان كل حرف يرمز به الى معنى كلي يتفرع الى فروع يدور فيها هذا الحرف . وقد عقد ابن جني لذلك في كتابه « الخصائص » باباً شريفاً نذكر هنا قليلاً من الأمثلة التي ذكرها فيه قال :

« وذلك انهم يضيفون الى اختيار الحروف تشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها . وتقديم ما يضاهي اول الحديث وتأخير ما يضاهي آخره سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب .

ومن ذلك قولهم شد الحبل . فالشين لما فيها من التفشي تشبه صوت اول انجذاب الحبل قبل استحكام الشد ، ثم يليها إحكام الشد والجذب ، فيعبر بالدال التي هي أقوى من الشين لاسيما وهي مدغمة ، فهي أقوى لصيغتها وأدل على المعنى الذي أريد بها . فاما الشدة في الامر فانها مستعارة من شد الحبل .

ومن ذلك قولهم : جر الشيء يجره ، قدم الجيم لانه حرف شديد . واول الجر مشقة على الجار والمجرور جميعاً . ثم عقبوا ذلك بالراء وهي حرف تكرير وكرروها مع ذلك في نفسها وذلك ان الشيء اذا جر على الارض في غالب الامر اضطرب صاعداً عنها ونازلاً . وتكرر ذلك منه . على مافيه من التعتعة والقلق . فكانت الراء لما فيها من التكرير ولانها ايضاً قد كررت في نفسها أوفق بها المعنى .

وقال ايضاً « ومن طريف مامر بي في هذه اللغة التي لايكاد يعلم بعدها . ولا يحاط بقاصيها ازدحام الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون . اذا مازجتهن الفاء على التقديم والتأخير . فاكثر احوالها ومجموع معانيها انها للوهن والضعف ونحوهما .

ومن ذلك الدالف للشيء الضعيف والشيء التالف . واللطيف . والظليف . (المجان) — وليس له عصمة الثمين — والطنف . لما أشرف خارجاً من البناء (وهو

الى الضعف لانه ليس له قوة الراكب الاساس والاصل) والنطف · العيب وهو الى الضعف · والدنف المريض · ومنه التنوفة وذلك لان الفلاة الى الهلاك · الا تراهم يقولون لها مهلكة · وكذلك قالوا لها بيـداء · وهي فعلاء من باد يبيد · ومنه الترفه لانها الى اللين والضعف · وعليه قالوا الطرف لان طرف الشيء أضعف من قلبه واوسطه قال الله سبحانه وتعالى : « أوَلم يروا انا نأت الارض ننقصها من اطرافها » ·

وقال الطائي الكبير :

(كانت هي الوسط الممنوع فاستلبت ما حولها الخيل حتى أصبحت طرفا)

ومنه الفرد · لان المنفرد الى الضعف والهلاك ما هو · قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء كثير باخيـه » والفارط : المتقدم · واذا تقدم انفرد · واذا انفرد هلك · الى ان قال : ومنـه الفتور للضعف · والرفت للكسر والرديف لانه ليس له تمكن الاول · ومنه الطفل للصبي لضعفه · والطَّفَل للرخص وهو ضـد الشثن · والتفل للريح المكروهة · فهي منبوذة مطروحة · وينبغي ان تكون الدّفلى من ذلك لضعفه عن صلابة النبع والسّمرَاء والنشب والشوحط · وقالوا الدفر · للنتن · وقالوا للدنيا (ام دَفْر) سب لها · وتوضيع منها · ومنه الفلتة لضعفة الرأي · وفتل المغزل لانه تَثَنٍّ واستدارة · وذاك الى وهي وضعفة · والفطر · الشق وهو الى الوهن · فأنت ترى من هذه المثُل · ومن مراجعة كتابه في هذا المبحث ان رأيه فيه مما تتقبله النفس بقبول حسن ، ولا تستبشعه الأذواق السليمة ، وهو وان لم يبلغ مبلغ الدليـل فلا أقل من الأنسة به في التعليل اللغوي ·

عضو المجمع العلمي العربي

القاهرة : احمد الاسكندري

اعضاء المجمع العلمي في الغرب

الاستاذ سترستين السويدي

«ترجمة حياته بقلمه»

جئت الى هذه الدنيا في ٨ آب ١٨٦٦ في بلدة اورسا (Orsa) في مقاطعة دالكارنيان في بلاد السويد · وكان والدي يدعى آلكساندرموريس سترستين رئيس في فرقة الدال ووالدتي زوجته ماريا اوغستا تالن · وقد طلبت العلم في المدرسة العالية في مدينة فالوه اعتباراً من نصف السنة الخريفي في سنة ١٨٧٧ ونلت شهادة العالمية في ٤ حزيران سنة ١٨٨٤ ثم انتسبت الى دار العلوم في اوبسالا في ٣ تشرين الاول سنة ١٨٨٤ واخذت بتعلم الفلسفة في ١٤ ايلول سنة ١٨٨٩ واخذت درجة الرؤوس منها بالفلسفة في ١٩ تشرين اول سنة ١٨٩٤ وحزت درجة «الدكتورا في الفلسفة في ٣١ مايس سنة ١٨٩٥ ثم أصبحت فيها معلماً للالسنة السامية في ٨ حزيران ١٨٩٥ ومنها انتقلت الى دار العلوم في لوند استاذاً خاصاً في ٢٣ ايلول سنة ١٨٩٥ وفي ١١ تشرين اول ١٨٩٥ — ٢١ تموز ١٩٠٤ قمت بالاستاذية وكالةً وفي ١١ آب ١٩٠٤ اصبحت استاذاً بالوكالة ايضاً في دار العلوم في اوبسالا ثم استاذاً اصيلاً للالسنة السامية في اوبسالا في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٤ ·

وفي سنة ١٨٨٩—١٨٩٠ المدرسية كنت ادرس الالسنة اللاتينية واليونانية في مدرسة بلمشتشاك في اوبسالا وفي سنة ١٨٩١—١٨٩٢ المدرسية والنصف السنة الربيعي لسنة ١٨٩٣ درست اللسان العبراني في دروس خاصة للاستعداد للامتحانات الفلسفية اللاهوتية في جامعة اوبسالا وفي سنة١٨٩٣—١٩٠١ أُسند اليَّ العمل في تحرير التاريخ الشرقي الادبي ومنذ عام ١٩٠٥ وانا أشترك في تحرير المعلمة الاسلامية وفي سنة ١٩٠٢ ذهبت الي هامبورغ الى المؤتمر الدولي الثالث عشر للمستشرقين بصفتي وكيلاً عن الحكومة والجامعة في لوند وفي ١٩٠٨ انتخبت لنيابة الرياسة للقسم الشرقي في الاجتماع الدولي الثاني للعلوم التاريخية الشرقية في برلين وفي سنة ١٩٠٨ ايضاً أنابتني الحكومة السويدية وجامعة اوبسالا في المؤتمر الدولي الي مؤتمر المستشرقين

المنعقد في مدينة قوبنهاغ وكاتم أسرار له ٠

« سياحاتي العلمية » : منذ شهر آذار الى منتصف شهر ايار ومن حزيران الى منتصف ايلول ١٨٩٥ في برلين ٠ ومن منتصف كانون الاول ١٨٩٥ الى منتصف كانون الثاني في السنة نفسها في الاسكوريال وفي حزيران — ايلول سنة ١٨٩٦ في برلين ٠ وفي صيف ١٨٩٧ في برلين ايضاً ولوندرة واوكسفورد ٠ وفي صيف ١٨٩٨ في برلين ولوندرة وفي العطلة الشتوية لسنة ١٨٩٨ — ١٨٩٩ في باريس وفي صيف ١٨٩٩ في برلين ولوندرة وليدن ٠ وفي حزيران وآب ١٩٠٠ في برلين ٠ وفي حزيران وآب ١٩٠١ في برلين ٠ وفي صيف ١٩٠٢ في برلين ٠ وفي شهر كانون اول ١٩٠٤ في برلين وفي صيف ١٩٠٦ في ايطاليا ومصر وفي حزيران ١٩٠٩ في برلين ٠ وفي منتصف شهر كانون الثاني ١٩٠٩ حتى منتصف شهر كانون الثاني ١٩١٠ في لوندرة و برلين ٠ ومن منتصف كانون الاول ١٩١٠ حتى منتصف كانون الثاني ١٩١١ في ليبسيك و برلين ٠ وفي حزيران ١٩١٢ في برلين ٠ وفي حزيران ١٩١٣ في برلين ٠ وفي حزيران ١٩١٤ في لوندرة و برلين ٠ وفي شهر كانون الاول ١٩١٤ في برلين ٠ وفي حزيران ١٩١٦ في برلين ٠ وفي حزيران سنة ١٩١٩ في الدانيمرك ٠ وفي كانون الثاني ١٩٢٠ في برلين ٠ وفي حزيران ١٩٢٠ في برلين ٠ وفي حزيران ١٢٩١ في ليبسيك و برلين ٠

وانتخبت عضواً منذ ١٩٠١ في الجمعية الشرقية الالمانية العامة في ليبسيك وهاله وعضواً في جمعية النقل والترجمة في لوندرا منذ سنة ١٩٠٤ وعضواً في جمعية الالسنة القديمة في او بسالا منذ سنة ١٩٠٥ وعضواً في الجمعية الشرقية الالمانية الخاصة في برلين منذ سنة ١٩٠٩ ٠ وعضواً في الجمعية الالمانية للعلوم الاسلامية منذ ١٩١٢ ٠ وعضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق الشام منذ ١٩٢٠ ٠ واني احد مؤسسي الجمعية الشرقية السويدية ورئيس هيئة أعمالها منذ ١٩٢١ واحد أعضاء المجمع العلمي البروسياني في برلين منذ ١٩٢٢ ٠

أحمل وسام تاج بروسيا من الدرجة الثالثة منذ ١٩١٣ ووسام النجم الشمالي السويدي منذ ١٩١٤ ٠

« تآليفي » : اللسان العربي ٠ اللسان الفارسي والارمني ٠ اللسان القديم الاورالي

(في دار الكتب في سوبريك اوفنثليغا — في ملحق الفهرست ٧) رسالة يحيى بن عبد المعطي الزواوي في الدرة الالفية في علم العربية . لبيسيك في سنة ١٨٩٥ . (رسالة في او بسالا) ام الحسن بن محمود بن الحسن الضرعاني . معاريج الانوار النبوية من صحاح الاخبار المصطفوية لبيسيك ١٨٩٦ (طبعته على نفقتي) . رسم الكتابات اليدوية الحبشية الموجودة في المكتبة الملوكية في او بسالا وشرحها (في مجلة الجمعية الشرقية العامة الالمانية في جزء ٥٣) تعليق على الترجمة اليهودية الفارسية لحكم بنيامين بن يوحافان من بخارا (كذلك في الجزء ٥٤ من هذه المجموعة) طبع الالفية لابن معطي بحسب الكتابات اليدوية الموجودة في برلين والاسكوريال وليدن (لبيسيك ١٩٠٠) . مجموعة الكتابات اليدوية اليهودية والارامية المحفوظة في المكتبة الملوكية في او بسالا ولوند ١٩٠٠ . وملاحظات على المخطوطات العربية الباحثة عن تاريخ السلاطين المماليك في سنة ٦٩٠ — ٧٤١ هجرية . ملحق لايضاح القصائد الدينية لمذهب البهائية بحسب المخطوطات السورية الموجودة في المتحف البريطاني ودار الكتب الوطنية في باريس ودار الكتب الملوكية في برلين وقد نشر هذا الملحق وترجم في لبيسيك في سنة ١٩٠٢ . أمثلة على الكلمة العربية (فعن kana او فعر او كعر) صيغة المذكر (في مجلة الشمال الباب الثالث II) . كارل بيشل (في مجلة الشمال الباب الرابع) . بانت سعاد تاريخ حياة محمد ونسائه ورجال الاسلام بعده حتى سنة ٢٣٠ للهجرة (٥) تواريخ لحياة خلفائه في المدينة ونسائه وخلفائه في بقية البلاد العربية (طبع في ليدن في ١٩٠٥) . هرمان المكبرست (في مجلة الشمال الباب الثالث) . أنشودة روحية في الفايحي Fellihi (في التدقيقات الشرقية لصاحبها ت . نودكه طبعت في كيسن ١٩٠٥) هرمان المكبرست (القرآن — الانجيل المحمدي) طبع في استكهلم ١٩٠٦ للمرة الثالثة وللمرة الرابعة في استكهلم ايضاً في سنة ١٩١٨ (في مجلة الطلاب الجزء الثالث) . ابن سعد وكتاب الطبقات الكبير (في العالم الشرقي ١) . المعجم القديم للالسنة النوبية (كذلك في العالم الشرقي) . اللسان النوبي (في مجلة اورداوك بيلد ١٦) . تاريخ الالسنة النوبية (في مجلة الالسنة القديمة او بسالا ١١ : ٤) . تقرير بالمخطوطات التي خلفها الاستاذ طولبرغ المحفوظة في مكتبة جامعة او بسالا (في العالم الشرقي ٢) . القرآن

(بحسب الوثائق القديمة الدينية في فرمنانده ٢ : ٢) • في الادبيات الصوفية (كذلك في فرمنانده) • بانت سعاد تاريخ حياة محمد ونسائه ورجال الاسلام المتأخرين حتى سنة ٢٣٠ للهجرة • ستة تواريخ بالكوفي او من المنقولات ؟ طبع في ليدن سنة ١٩٠٩ مخطوطات عبرية تحتوي على زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة (في مجلة الشرق ٣) • بعض جمل من التوراة مترجمة للسان النوبي الشمالي ترجمها احد النوبيين مطبوع (في مجلة الشرق ايضاً) ترجمة قديمة لرطسمهارا (Rtusamhara) (مطبوعة ايضاً في مجلة الشرق ٤) • ملاحظات تاريخية (كذلك مطبوعة في مجلة الشرق) • بعض كلمات في المنقولات (في مجلة الشرق) • بيلديرم اول يارامز (في المجلة السويدية ٧ — ٣) مطالعات في مذهب اسلامي في اللسان الاسبانيولي واحرف عربية ولاتينية (تذكار مئة سنة لميشيل آماري بالرمو ١٩١٠) • تدقيقات نوبية في السودان ١٨٧٧ — ١٨٧٨ من متروكات الاستاذ هرمان المكريست (طبع في السويد في مجلة سويدية ١٠) تاريخ حياة محمد طبع في او بسالا في ٤ تشرين الاول ١٩١١ [زامة] خلاصة او بسالا ١٩١١ • ترجمة بعض فصول القرآن باللغة الاسبانيولية (في العالم الشرقي ٥) معجم اللغتين الايطالية والنوبية لصاحبه اركانجلو كاررادون • طبع في العالم الشرقي (٣٤٩،٨،٥) • ترجمات شرقية و يونانية (في العالم الشرقي ايضاً الجزء ٦) • بحث في اللغات القديمة مطبوع في او بسالا ١٩١٢ • قصيدتان لسحيم او سُحَيْم ؟ من متروكات هانري طوبكاز (في المجلة الاشورية ٢٦) • كتاب باللغات الشرقية باللغة السويدية ؟ في ١٨ تشرين الاول ١٩١٢ واو بسالا ١٩١٣ • نقد طبع كتاب معيد النعم ومبيد النقم لصاحبه د•و•مهان • (او بسالا في ١٩١٣) • معجم عربي (خطي للاستاذ اردمان او بسالا في ١٩١٣) • الالسنة السامية جامع الازهر في القاهرة • او بسالا ١٩١٤ • مطالعات في الالسنة الشرقية (٣١) في اصل اللغة العبرانية وغيرها من الالسنة القديمة وكيفية اشتقاقها (في العالم الشرقي ٨ اي Le Monde Oriental) في علاقة الالسن الشمالية بعضها ببعض (كذلك في العالم الشرقي ٩) كتاب بحق باز بليوس فون سزاور (طبع في الخطاب الشهير المقدم لسزاخاو في برلين ١٩١٥ • تاريخ المطران رابولا في ادسا (+ ٤٣٥) • كتاب اللغة السويدية في

البراغا الفارسية الجديدة (في العالم الشرقي) · بعض التصاريف الماضية باللغة العربية الحديثة (كذا في العالم الشرقي ١١) ترجمة القرآن العربي ؟ استكهلم ١٩١٧ · كتاب باللغة السويدية في التوزن (Tusen) (في العالم الشرقي ١٢) · في نسخ الاسماء الفارسية (استكهلم ١٢) في س · هدين ، سياحة في شرق بلاد الفرس ١٩١٨ استكهلم في بعض الاسماء الجغرافية في آسيا الداخلية ونسخها (مطالعات لطاينار لوند ١٩١٨) · شرح تاريخ السلاطين المماليك في سنة ٦٩٠ — ٧٤١ للهجرة بحسب المخطوطات العربية ليدن ١٩١٩ · بالطهجي محمد باشا وبطرس الاكبر ١٧١١ — ١٩١١ لاحمد رفيق تركستان ؟ ١٩١٩ · تهذيب اللغة للازهري (في العالم الشرقي ١٤) المذهب البابي (كذلك في العالم الشرقي) · مخطوطات عبرانية لِوَنْدِلْ (في اوبلاند) · مقالات في جزائر اسويدية المعلمة الاسلامية وتواريخ وشروح في الجرائد المذكورة · مشروحة في الكتب الشرقية ومجموعاتها وتآليفها ٦ الى ١٥ · مناقشات في هذه المواضيع (في العالم الشرقي) و (العنقاء او ابو الهول Sphinx) · والمجلة التاريخية والمجموعة الشمالية لعلوم اللغة والمجلة الادبية الالمانية والمجلة الادبية الشرقية والمجلة اللاهوتية الادبية ·

وانا احد محرري مجلة العالم الشرقي من سنتها ١ — ٣ ورأس محرري هذه المجلة في سنتها ٤ — ١٥ ومحررها الوحيد منذ سنتها السادسة عشرة ·

اسمي المستعار عبد الرحمن وتوقيعي المعروف هو K. v. Z.

او بسالا في ١٥ آذار سنة ١٩٢٢ K.v.Zetterstéen

مطبوعات حديثة

تقويم العالم الاسلامي

« تأليف السيد ماسنيون الطبعة الثانية بباريز ص ٢٩٩ »

M. L. Massignon : Annuaire du Monde Musulman
(1925) Paris

هذا تقويم سنوي أصدره بالفرنسية صديقنا الاستاذ السيد ماسنيون المعروف في العالم الاسلامي بابحاثه وتآليفه المنقحة أوردفيه إحصاآت ومسائل تاريخية واجتماعية واقتصادية يستغني بها الباحث في حالة العالم الاسلامي عن الاستكثار من المظان والمصادر التي تفيده في التعرف الى سير العلم والاجتماع في عامة بلاد الاسلام . واذا وقعت الآن بعض هنات للمنقد في هذه الطبعة فان الطبعة الثالثة ستكون أتمّ وأمتع بالنظر لما امتاز به عضو مجمعنا العلمي العربي في باريز من بعد النظر وشدة البحث وما عقده من الصلات المستديمة مع الشرق الاسلامي فنشكره على هذه التحفة الجديدة ونرجو له التوفيق في اعماله العلمية النافعة . م . ك

نهلة الظمآن

« في الخطابة والكتابة والشعر والبيان »

وضع هذا الكتاب الاستاذ جرجس الخوري المقدسي احد اساتذة الجامعة الاميركية في نحو مئة صفحة وهي محاضرات كان يلقيها على تلامذته في الفنون المذكورة ثم جردها بشكل كتاب فكان نعم المعين في الوصول الى زبدة هذه الفنون من أقرب الطرق وأسهل الأساليب شأن المؤلف في معظم ما يكتبه ويحاضر به . فننصح لكل راغب في ان تكون له مقدرة على الخطابة والكتابة في الاسلوب البليغ ان يطالع هذا الكتاب النفيس الصغير في حجمه الكبير في فائدته وعلمه .

المغربي

عشرة ايام في السودان

« صنفه الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة »
« طبع في المطبعة العصرية بمصر عدد صفحاته ٢٢٠ »

هذا الكتاب مجموعة ملاحظات ومعلومات جمعها مؤلفه اثناء رحلته القصيرة في السودان فقد دعته حكومة السودان لحضور حفلة افتتاح خزان سنار في ٢١ يناير (كانون الثاني) من سنة ١٩٢٦ م فشهد تلك الحفلة بالنيابة عن اخوانه الصحافيين وان عشرة ايام يقيمها الاستاذ هيكل في السودان يتنسم أخباره ويعجم أطواره كمثل عشرة اشهر لغيره اذا حاول ما حاوله من وصف تلك البلاد وتصوير أوضاع حكومتها وأحوال سكانها : فهو عدا وصفه للعمل الهندسي العظيم الذي وقع الاحتفال لاجله ووصف الحفلات التي أقيمت والرجال الرسميين الذين شهدوا الحفلة والخطب التي ألقيت فيها — اتى ايضاً على وصف أخلاق اهل السودان وبعض عاداتهم وحالة بلادهم من الوجهة الاجتماعية والزراعية والاخلاقية ولم يدع الإشارة الى علاقتها السياسية بكل من مصر وانكلترا وتنازع مصالحها ثمه وقارن بين شعوري المصريين والانكليز الذين كانوا يتجولون في مكان الاحتفال بافتتاح الخزان ووصف الشيخ (الميرغني) الزعيم الكبير في تلك البلاد وصفاً عميقاً الى غير ذلك مما يهم القراء لاسيما محبي مصر منهم · اما طبع الكتاب فغاية في الحسن والجودة وقد زُيّن ببضعة عشر رسماً تمثل أماكن الاحتفال وبعض مباني البلاد السودانية وصورة الخزان وغيرها · والكتاب بجملته تلذ مطالعته لكل قارئ لما فيه من دقة الوصف وجمال الأسلوب وطريف الحوادث· فالشكر لمؤلفه الفاضل ولناشره السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية التي اشتهرت بما تصدره من المصنفات الممتعة ·

المغربي

الجزء ٨ — المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آب سنة ١٩٢٧ م — الموافق صفر سنة ١٣٤٦ هـ — ٨٠

عُدّة الكاتب

ما أظن ان احداً يحاول الكتابة في موضوع ثم يكابد من الجهد والعناء معشار مايكابده الكاتب باللغة العربية اذ لا يكاد يخط سواداً في بياض حتى يصفر وطابه و يشعر بالحاجة الشديدة الى كلمات تفصح عما يدور في خلده من المعاني والمقاصد واشد الناس شعوراً بذلك من قدر عليه ان يعالج موضوعاً علمياً ·

وقد عزى ذلك فريق من الادباء الى قصور اللغة عن كل مايلتمسه الكاتب في اي موضوع كان · ونسبه آخرون الى تقصير الكاتب في البحث والتنقيب عما يسد به الخلة ·

وفي كلا الأمرين شطط عن الحق وزيغ عن النصفة · ولا يصح ان يكون احدهما وحده ، سبباً مستقلاً · اذ من البديهي ان اللغة العربية على سعتها قد تضيق عن كل ما يحتاج اليه الكاتب والشاعر والصانع والزارع والطبيب وغيرهم ليعبر كل منهم عما يختلج في نفسه من المعاني الطريفة والأخيلة البديعة والمسميات المستحدثة في هذا العصر الذي بلغ فيه البشر ما لم يهتد الى معشاره في الايام الخالية من التبسط في العلم والافتنان في الصناعة والاختراع · وربما استنفد الباحث شطر حياته في الاستقراء والبحث عن كلمة واحدة فلم يظفر بها ، ثم لا يعدو احد امور ثلاثة : اما ان يسأم و يصرف نفسه عن مزاولة الموضوع الذي كان يود الخوض فيه ، فتحرم الامة الفائدة منه · واما ان يلجأ الى العامي والدخيل فيضيف الى سلسلة فساد اللغة حلقة جديدة · واما ان

يضطر الى إيراد جمل متعاقبة ومميزات متنوعة حتى يتمكن من تقريب المعنى الذي يريده من فهم المخاطب او المكاتب . وفي هذا من الكلفة والعناء ما تجمد به القريحة وتخمد الفكرة وتخبو الفطنة .

وان دواوين اللغة غاصة بكثير من الكلمات التي تشتد اليها الحاجة . وما ليس فيها يمكن استنباطه وإحداثه منها بطريق الاشتقاق او النحت او المجاز او المواضعة او نحو ذلك من الطرق التي سلكها الأولون حتى جعلوا اللغة العربية أغنى اللغات كلماً وأغزرها مادةً وأوفرها ثروةً وأوسعها صدراً لكل ما تقتضيه حاجة أبنائها في ذلك العصر .

وان استخراج ما في تلك الكنوز من الأعلاق والعقائل والاحتذاء على مثال الأوائل ليس بالأمر المحال او الصعب المنال لو لم تكن الامة مفككة العرى خائرة القوى .

ومن العجيب انك حيث ألقيت بصرك او أصغيت سمعك في جميع الأصقاع العربية لا ترى ولا تسمع الا مضضاً ومعضاً من قصور اللغة وزفرات ونفثات من تقصير أبنائها حتى يخيل اليك ان كل واحد منهم يشعر بما يشعر به غيره ، و يشفق على اللغة من خطر العامي والدخيل الذي يزاحمها في عقر دارها كما يشفق عليها غيره حذو القذة بالقذة .

ولكنك لا ترى فيهم من يعمل ولا من ينشط في العمل بل ينتظر كل منهم ان تهب الامة جمعاء الى معالجة الداء والتماس الشفاء .

ولو قيض الله لهذه الامة فئة تستفرغ المجهود في البحث حتى تستنفد ما في بطون الكتب لظفرت فيها بجزء عظيم مما يحتاج اليه الزارع في زراعته والطبيب في طبه والصانع في صناعته حتى يبعث الله فيها جماعة يعملون عمل الجماعات و يحلون اللغة بالمحل اللائق بها . وما لا يدرك كله لا يترك كله .

ولقد رأيت ان أقدم لقراء هذه المجلة الكرام تحت عنوان (عدة الكاتب) ما يقع اليّ من الكلم الذي تكثر الحاجة اليه و يقل العثور عليه ، ليتعلمه من لم يكن يعلمه و يتذكره من كان نسيه وليتبين الباحثون السبيل الذي كان يسلكه السلف في الاشتقاق والاصطلاح وغيرهما لينسجوا على منواله فيما تدعو الضرورة اليه . وعسى ان يكون ذلك

باعثاً للهمم الراقدة والعزائم الهامدة · وقد بدأت بما يحتاج اليه الكاتب قبل غيره رعاية للاسم · وربما استطردت الى ذكر شيء له تعلق بالموضوع لمناسبة بينهما لفظية اومعنوية لان الغاية من ايراد هذه الكلمات جعلها على طرف الثمام وتقريبها من الالسنة والاقلام · وقد اعزي القول الى قائله وأبين مأخذه ليسهل الرجوع اليه واكثر مايكون ذلك فيما اظفر به في كتاب ولم اعثر على ما يؤيده في امهات اللغة واذا آنست رواجاً لهذه البضاعة انحيت عليها بالتهذيب والترتيب والتبويب وضممت كل كلمة الى قبيلها · واني لأرجو ممن يقف على خطاء او غلط فيما اذكره ان ينبهني عليه لاستدركه واشكرله صنيعه فان الانسان عرضة للخطإ والنسيان ·

الدَّواة — ما يكتب منه جمعها دَوىً · كنواة ونوى ودويات بفتحات كنويات ودوي بضم الدال وكسر الواو · وتشديد الياء كقناة وقُنيّ قال زهير :

(أمن آل سلمى عرفت الطلولا لخط الدَّوَى ماثلات مثولا)

وقال ابو ذؤيب :

(عرفت الديار كرقم الدُّويّ يحبره الكاتب الحميريّ)

و يقال للدواة · الرقيم والنون في قول · وليس لها فعل متصرف منها · اما الدواة فقد صرف منها افعال واشتقت اسماء فقالوا ادويت دواةً اذا اتخذتها فانا مدوٍ · فاذا أمرت غيرك ان يتخذها قلت أدْوِ دواةً · و يقال للذي يحمل الدواة و يمسكها داوٍ · وللذي يعملها مُدَوّ وللذي يبيعها دَوَّاء [1]

وفي الدواة[2] · مِحْراها · وجَوْبتها · وحُقّها · وطَبَقها · والمجرى حيث توضع الاقلام · والحق[3] ما يجعل من صفر او حديد · والجوبة[4] التي يجعل فيها الحق و يقال

(١) ذكر ذلك البطليوسي في الاقتضاب · (٢) هذا ذكره ابن درستويه · (٣) في لسان العرب والحق والحقة بالضم معروفة · هذا المنحوت من الخشب والعاج وغير ذلك مما يصلح ان ينحت منه عربي معروف قد جاء في الشعر الفصيح · (٤) في اللسان الجوبة الحفرة · وكل منفتق بلا بناء جوبة · والجوبة فجوة ما بين البيوت ·

للجوبة الوقبة[١] . (والطبق[٢] الغطاء) . ويقال لما تدخل فيه الدواة ليكون وقاية لها . صوان[٣] وغلاف وغشاء . فان كان شيئاً يدخل في فمها لئلا يسيل منها شيء فهو سِدَاد[٤] وصِمَام وعِفَاص وكذا القارورة ونحوها ومن اللغويين من يجعل العفاص ما يدخل فيه رأس القارورة ونحوها . والصمام ما تدخله فيه .

الحبر بالكسر الذي يكتب به . ويقال للآنية التي يجعل فيها الحبر المحبرة سواء أكانت من خزف ام من قوارير وفيها ثلاث لغات فتح الميم مع فتح الباء وضمها . وكسر الميم مع فتح الباء لانها آلة . واجودها اولها ونقل في التاج عن ابن درستويه ان جمع الحبر احبار .

ويقال لبائع الحبر . الحِبْرِي .

المداد بالكسر — الحبر . قال البطليوسي المداد يذكر ويؤنث تقول مددت الدواة من باب قتل اذا جعلت فيها المداد . وأمددتها لغة . والمَدَّة بالفتح غمس القلم في الدواة مرة للكتابة ومددت من الدواة واستمددت منها اخذت منها بالقلم للكتابة . وفي اللسان مد الدواة وامدها زاد في مائها ونقسها . ومدها وأمدها جعل فيهما مداداً وكذلك مد القلم وأمده . ويقال مُدني مُدة من الدواة . والمُدة بالضم اسم ما استمددت به من المداد على القلم . وقال ابن درستويه ويقال للحبر والنقس وغيره من الاصباغ التي يكتب بها مداد .

---

(١) الوقبة نقر في الصخر يجتمع فيهما الماء . ووقبة الثريد والمدهن انقوعته . والانقوعة بالضم كل شيء سال اليه الماء من مثعب ونحوه . ووقبة الثريد التي فيهما الودك . (٢) لم يفسر ابن درستويه الطبق . وانما اخذناه من قول اللغويين . الطبق غطاء كل شيء . والطبق كل غطاء لازم على الشيء . (٣) الصوان ككتاب وغراب ما صنت به الشيء وكذلك الصيان بالكسر والغلاف ككتاب — الصوان . وما اشتمل على الشيء كقميص القلب وغرقئ البيض وكمام الزهر . والغشاء ككتاب الغطاء . وغشاء كل شيء ماتغشاه كغشاء القلب والسرج والرحل والسيف . (٤) السداد ككتاب كل شيء سددت به خللاً .

النِقس بالكسر — المداد وجمعه أنقَاس وأنقُس قال المرار :

(عفت المنازل غير مثل الانقس بعدالزمان عرفته بالقَرْطَس[١])

يقال نقس دواته تنقيساً اى جعل النقس فيها قال البطليوسي . النقس بفتح النون مصدر نقست الدواة اذا جعلت فيها نقساً وقد حكى ابن قتيبة . انه يقال للمداد نِقس ونَقس بالكسر والفتح قال والكسر أفصح وأعرب .

البُوهة — الصوفة المنفوشـة تعمل للدواة قبل ان تبل . قال البطليوسي فاذا بلت بالمداد فهي الليقة[٢] وجمعها ليق . وقد يقال لها ليقة قبل ان تبل بالمداد فتسمى بما تؤول اليه كما يقال للكبش ذبح وذبيحة قبل ان يذبح . وسيف القاموس لاق الدواة بليقها ليقة وليقاً وألاقها جعل لها ليقة وأصلح مدادها فلاقت الدواة لصق المداد بصوفها والليقة بالكسر الاسم منه . وفي التهذيب الليقة ليقة الدواة وهي ما اجتمع في وقبتها من سوادها بمائها و يقال لاق الدواة يلوقها لوقاً . فهي مليقة وملاقة وملوقة . وهي لائق لغة قليلة .

و يقال لصوفة الدواة اذا يبست هِرْشَفَّة[٣] . كأردبة وقد هَرْشَفَت واهْرَشَفَّت

فان كانت من قطن فهي الكُرْسُفَة . يقـال كرسف الدواة كرسفة وكرسافاً وقال البطليوسي يقال لها العُطبـة[٤] . واحدة العطب بضم فسكون وبضمتين . وهو القطن كالكرسف .

و يقـال أمهت الدواة اذا صببت فيهـا الماء . وأمه دواتك[٥] وخثرت الدواة

---

(١) اي في القرطاس . (٢) والليقة الطينة اللزجة يرمى بها الحائط فتلزق . وشيء اسود يجعل في دواء الكحل . (٣) والهرشفة قطعة خرقة ينشف بها ماء المطر ثم تعصر سيف الاناء وانما يفعل ذلك اذا قل الماء . قال الراجز :

(طوبى لمن كانت له هرشفة ونشفة يملأ منهـا كفه)

والنشفة بفتح فسكون وقيل بالتثليث ويحرك الحجارة السوداء التي ينقى بهـا وسخ الاقدام في الحمامات . ويقال لها النسفة بالسين بلغاتها الاربع . (٤) والعطبة خرقة تؤخذ بها النار . (٥) الموهة بالضم لون الماء يقال ما أحسن موهة وجهه والموهة ترقرق الماء في وجه المرأة الشابة .

خثورة وخثارة ثخن مدادها ٠ وأخثر الدواة [١] ٠

القلم الذي يكتب به فعل بمعنى مفعول ٠ ولهذا قالوا لا يسمى قلماً الا بعد البري وقبله هو قصبة ٠ او يراعة ٠ او أنبوبة ٠ وسمي قلماً لانه قلم اي قطع وسوي ٠ وكل ما قطعت منه شيئاً بعد شيء فقد قلمته [٢] وجمع القلم أقلام وقلام٠ وجمع أقلام أقاليم ٠

ويقال للقلم المزبر والمذبر بالزاي والذال كمنبر فيهما من الزبر والذبر وهما الكتاب وفرق بعضهم فقال الزبر الكتابة والذبر القراءة ٠

ويقال له المرقم كمنبر من الرقم اي الكتابة يقال طاح مرقمك اي أخطأ قلمك ٠ وفي القاموس واللسان يقال للرجل اذا أسرف في غضبه ولم يقتصد طامرقمك ، وجاش ، وطفا ، وغلا ، وطمح ، وفاض ، وارتفع ، وقذف مرقمك : كل ذلك بمعنى ٠

ويقال له الملقاط [٣] بالكسر كمفتاح قال شمر سمعت حميرية تقول لكلمة اعدتها عليها لقد لقطتها بالملقاط اي كتبتها بالقلم ٠

والقلمة بالكسر وعاء الأقلام ٠ وفي الاقتضاب ٠ ويقال للذي يقلم به مقلم ولما يبري به مبراة [٤] ٠ ويقال لما يسقط عن التقليم القُلامة وعن البري البُراية ٠

والمقط والمقطة بكسر أولها وفتح ثانيها مايقط عليه القلم ٠ وقيل عظم يكون مع الوراقين يقطون عليه أطراف الأقلام [٥] ٠

---

(١) مبادي اللغة ٠ (٢) قيل لاعرابي ماالقلم ففكر ساعة وجعل يقلب يديه وينظر الى اصابعه ثم قال لا ادري فقيل له توهمه في نفسك فقال هو عود قُلّم من جوانبه كتقليم الأظفار ٠ (٣) والملقاط المنقاش الذي يلقط به الشعر ويقال له المنقاش والمنتاخ والمنتاف ٠ (٤) قال الشاعر : (وانت في كفك المبراة والسفن) ٠ المبراة كمسحاة الحديدة التي يبرى بها ٠ والسفن محركاً ما ينحت به الشيء ٠ (٥) القط القطع عامة ٠ او قطع شيء صلب ٠ اوالقطع عرضاً ٠ قطه يقطه كمده يمده واقتطه فانقط واقتط ومنه قط القلم ٠ والقطاط ككتاب المثال الذي يحذوعليه الحاذي ويقطع النعل ٠ والقطاط كشداد ٠ الخراط الذي يعمل الحقق ٠

ويقال لعقده القلم كعب[١] وجمعه كعوب وكعاب ٠ ولما بين العقدتين أنبوب كعصفور وأنبوبة والجمع أنبوب وأنابيب[٢] ٠

ويقال لقشرة القلم ليطة وجمعها ليط كريشة وريش والليطة قشرة القصب والقناة وكل شيء له متانة وصلابة ٠ وقيل ليط العود القشر الذي تحت القشر الأعلى[٣] ٠

ويقال لباطن القلم الشحمة[٤] وللقطن الذي في جوف القصبة البيلم كحيدر والفشغة بفتح فسكون[٥] ٠

وسن القلم موضع البري منه[٦] ٠

وجلفة القلم ما بين مبراه الي سنيه ومنه قول عبد الحميد الكاتب ٠ ان كنت تحب ان تجود خطك فأطل جلفتك وأسمنها وحرف قطتك وأيمنها ٠

وقال ابن درستويه ٠ وشقه فرجة بين سنيه ٠ وحرفا القلم جانبا سنيه ووسطه

---

(١) قيل الكعب عقدة مابين الانبوبين من القصب والقنا وقيل هو أنبوب ما بين كل عقدتين ٠ وكل شيء علا وارتفع فهو كعب ٠ والكعب فص النرد ويقال له الكعبة ٠ والكعبة كل بيت مربع ٠ وكعب الشيء تكعيباً ربعه ٠ (٢) يفهم من عبارة بعض اللغويين ان الانبوبة مفردة وجمعها أنبوب وجمع الجمع أنابيب ٠ وأنابيب الرئة مخارج النفس منها ٠ (٣) والليط بالفتح ويكسر واللياط (اللون) وليط الشمس لونها ويقال اتيته وليط الشمس لم يقشر اي قبل ان تذهب حمرتها في اول النهار ٠ والليط بالكسر الجلد وليط الرجل سجيته ٠ واللياط ككتاب الجص والكلس لانه يلاط بها ٠ (٤) قاله البطليوسي والشحمة قطعة من الشحم وهو جوهر السمن وبائعه شاحم وشحام كشداد ٠ وشحمة الاذن ٠ معلق القرط منها وهو ما لان من أسفلها وشحمة الأرض الكمأة البيضاء ٠ وشحمة الرمانة الاصفر بين ظهراني الحب وقيل الهنة التي تفصل بين حبها ٠ (٥) في اللسان الفشغة قصبة في جوف قصبة ٠ والفشغ اتساع الشيء وانتشاره والفاشغة الغرة المنتشرة المغطية للعين وفشغت الناصية والقصة حتى تغطي عين الفرس وتفشغ فلان في بيوت الحي اذا غاب فيها فلم تره ٠ (٦) وفي الاقتضاب ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما السنان واحدهما سن والشعيرتان واحدتهما شعيرة ٠

ما بينهما . وشظيته طرف سنه الأيمن وعُرضه الجانب الأيسر ووجهه باطن سنيه . وحده مبدأ مقطه فان جعلت سن القلم أطول من الاخرى فهو محرف . وحرّف القلم تحريفاً قطه محرفاً وذلك اذا عدل باحد حرفيه عن الآخر قال الشاعر :

(تخال اذنيه اذا تحرفا خافيـة او قلماً محرفا)

وان جعلتا مستويتين فهو قلم جزم اي لا حرف له (١) .

فاذا حدد طرفه قيل أنفه تأنيفاً . والتأنيف تحديد طرف الشيء . وأنف كل شيء طرفه والمؤنف المحدد من كل شيء .

فاذا رقق بطنه قيل بطنه تبطيناً (٢) .

و يقال قلم رشاش . اذا حاف الشق على احد جانبيه فدق وتعثر بشظايا الكتاب ورش المداد (٣) .

واذا كثر المداد في رأس القلم حتى يقطر قيل رعف يرعف رعافاً شبه برعاف الأنف ومج مجاً وأرعفه الكاتب وأمجه و يقال استمدد ولا ترعف ولا تمج اي لا تكثر من المداد حتى يقطر (٤) وانمجت نقطـة من القلم ترششت فاذا تكسرت سنه قيل قضم على وزن حذر .

---

(١) والجزم من الخط تسوية الحروف . قال الجوهري والعرب تسمي خطنـا هذا جزماً . والجزم هذا الخط المؤلف من حروف المعجم سمي جزماً لانه جزم اي قطع عن المسند وهو خط حمير في ايام ملكهم قال في التاج وهو في أيديهم الى الآن باليمن . (٢) يقال رجل مبطن اذا كان ضامر البطن . وبطن الرجل لحيته أخذ ماتحت الذقن والحنك . (٣) كذا في مبادي اللغة . والرش نفض الماء والدمع والدم . ورش المكان نضحه بالماء ورش الحائك النسج بالمرشة وهي مايرش بها . (٤) هكذا ذكره في الاقتضاب وفي التاج ومااحسن مراعف أقلامه ومقاطرها . ومراعف الانسان الانف وما حوله يقال فعله على الرغم من مراعفه مثل مراغمه . والماج من الناس والإبل الذي لا يستطيع ان يمسك ريقه من الكبر وجمع الاول ماجّون والثاني مَجَجَة .

والمُلول بالضم الحديدة التي يكتب بها في الواح الدفاتر [١] ·
والوفيعة كسفينة الخرقة التي يمسح بها الكاتب قلمه من المداد [٢] ·
والسبُّورة — الالواح من الساج يكتب عليها التذاكير فاذا استغنوا عنها محوها· ويقال لها السفورة والسِفر الكتاب والسافر الكاتب جمعه سفرة محركة ·
خرَّج الغلام لوحه تخريجًا اذا كتبه فترك فيه مواضع لم يكتبها · والكتاب اذا كتب فترك منه مواضع لم تكتب فهو مخرج · والنَّجْل محو الصبي لوحه · نجل لوحه اذا محاه · والمِنجل كمنبر الذي يمحو [٣] ألواح الصبيان ·
إمام [٤] الغلام في المكتب ما يتعلم كل يوم و يعرف بالسبق محركة ايضًا ·
المخطاط عود تسوى عليه الخطوط ·
النناشير — كتابة لغلمان الكتاب وهي خطوطهم في المكتب بلا واحد ·
المَشْق — في الكتابة مد حروفها و بابه ضرب والمشق السرعة في الكتابة · وقلم مَشّاق سريع الجري في القرطاس ·
كتاب التجاسين خلاف المشق ·

عضو المجمع العلمي العربي
سليم الجندي

---

(١) والملول المكحال وفي اللسان والتاج قال ابو حاتم هو الذي يكحل و يسبر به الجراح ولا يقال الميل انما الميل القطعة من الارض · (٢) والوفيعة مثل السلة وصوفة تطلى بها الإبل الجربى · (٣) في القاموس شيء يمحى به الخ · (٤) والإمام خيط البناء الذي يمده على البناء فيبني عليه و يسوي عليه ساف البناء · والإمام خشبة البناء يسوي عليها البناء · والإمام المثال وفي القاموس ما امتثل عليه المثال ·

رحلة الى حلب والشام

« في سنة ١١٥٠ هـ — ١٧٣٧ م »

— ٢ —

وبعد ان آب السيد احمد الأدهمي من رحلته في حلب الى وطنه طرابلس الشام مكث اياماً ثم تهيأ للرحلة الى دمشق الشام وذلك بعد خمسة ايام خلت من ربيع الثاني سنة (١١٥٠ هـ) قال « فشددنا لنحوها القُلُص الرواسم . وكان لقاها لدينا من أعظم المواسم . وبتنا ليلة السبت على الدنك خارج البلد . باسطين اكف الدعاء الى الفرد الصمد .... وكان برفقتنا السيد عثمان من ابناء دمشق الشام » . الدنك لفظة تركية مازالت مستعملة الى اليوم ومعناها (البالة والرزمة) فلعله عنى بالدنك رزمة البضاعة والمتاع اي ان كل واحد منهم بات على رزمة متاعه . ويظهر ان المسافرين كانوا يومئذ يبيتون خارج السور حتى اذا طلع الفجر نهضوا للسفر . وانما لم يناموا في بيوتهم ثم ينهضوا لان للمدن يومئذٍ أسواراً وأبواباً مقفلة لا تفتح الا بعد طلوع الشمس . فمن ثم كان المسافرون مضطرين الى البيتوتة خارج الأسوار على رزم البضائع . وقد كان سفرهم الى دمشق من طريق لبنان وجبة بشري فتسلّقوا قننها الى بعلبك ومنها الى دمشق . وقد صلوا الفجر حيث كانوا نائمين على (الدنك) ثم ساروا حتى طلعت عليهم الشمس بين الزيتون فأناخوا ثمة وتناولوا الفطور . وعلل نزولهم بين الزيتون بقوله : « وكان الداعي الى النزول في هذا المكان . انتظار الكيروان باقي دوابه الذين في جبلة بقصد تحميل الدخان » . و (الكيروان) تكتب بالقاف غالباً فيقال (قيروان) وهي كلمة فارسية معناها القافلة ويحتمل ان يكون المؤلف أراد بالكيروان هنا رئيس القافلة لا القافلة نفسها اذ قال ان الكيروان كان ينتظر بقية دوابه التي كانت في مدينة جبلة تجلب منها الدخان (وهو التبن) بقصد تحميله للمتاجرة به . وجبلة على مقربة من اللاذقية وما زالت زراعة التبن وتجارته رائجة أيما رواج في ذلك الحيّز . ثم نهضوا للسفر في الليل فقطعوا تلك العقاب الصعبة المرتقى وضلوا الطريق وحصل نزاع بين المكارية بسبب ذلك كاد يؤدي الى قتال حتى وصلوا الى قرية (بطرزه) فصلوا فيها الفجر ولما

تعالى النهار انتقلوا الى مكان بقرب العين للقيلولة ثم باتوا هناك الى ثلث الليل الأخير فتحملوا للسفر وقاسوا مشقة في قطع (عقبة السنديانة) بحيث نسوا مشقات عقبتي (السفكون) و(القرشية) بين اللاذقية وادلب . ثم وصلوا الى (الحدد) كذا ولعلها محرفة عن (الحدت) بالتاء والحدت محرفة عن (الحدث) بالثاء وفي سوريا عدة قرى بهذا الاسم . وهذه الحدث تسمى (حدث الجبة) اي جبة بشري تمييزاً لها عن (حدث بيروت) و(حدث بعلبك) لكنهم لم يجدوا فيها مكاناً يستظلون به من حرارة الشمس فاتخذوا مظلة لهم من البسط التي معهم قال « وتوارد علينا من سائر الأقطار . طائفة الحمادية سكان تلك الديار . وسلكوا معنا طريق الأدب والانصاف . ولم يحصل منهم تعدي ولا خلاف . حتى ان كبيرهم ورئيس امرهم ومشيرهم قدم ذبيحة ثمينة . من غير ان يأخذ لها قيمة » . والحمادية أسرة شيعية كبيرة تنتسب الى حمادة العجمي الذي نزل بعشيرته في سورية هرباً من شاه العجم وكان لابنائه وأحفاده أمارة في كسروان والبترون وجبة بشري الى بعلبك . ومن بقاياهم متاولة الهرمل . وكان لحمادة المذكور ولد اسمه ابو زعزوعة هو واولاده من بعده تولوا جبة بشري وبقوا فيها الى سنة (١١٧٣هـ — ١٧٥٩م) اي بعد مرور مؤلف الرحلة بثلاث وعشرين سنة فتألبت عليهم موارنة الجبة وطردوهم منها وخلفهم في تولي البلاد الأسر المورانية الباقية الى اليوم كأسرة الضاهر والدويهي وعواد وغيرهم . والمشايخ الحمادية هؤلاء أتعبوا ولاة طرابلس وأمراء بني شهاب تعباً عظيماً : فقد كانوا أشداء ذوي نعرة وشكيمة وهذا مع تشيعهم جعلهم بين السنيين والموارنة وارثوذكس الكورة عنصراً غريباً في البلاد ومازال الولاة يطاردونهم حتى محقوهم . وكان الشيخ النابلسي مر بطرابلس سنة(١١٠٥هـ) اي قبل رحلة (الادهمي) بنحو خمس واربعين سنة فرأى وهو داخل الى طرابلس من جهة حمص خياماً منصوبة على هضبة قبالة مزار (الشيخ البداوي) فسأل عنها فقيل له انها خيام الوزير علي باشا والي طرابلس وقد خرج منها (لقتال الطائفة الحمادية الروافض العنادية) .

ثم ان المؤلف ورفقته نهضوا من الحدد (الحدث) الى مكان يقال له (البالوع) بعد ان قاسوا عناءً عظيماً فلم يجدوا فيه ظلاً « غير صحراء بلقع . حاوية لانواع الذباب

أجمع · كل ذبابة قدر زنبور · ولها صوت كصوت الطنبور · اذا أنشبت بالجسد أنيابها · أخرجت الدم بمخلابها · (اي مخلبها والمخلب الظفر » :

(بموض جعلن دمي قهوة وغنني بضروب الاغاني)
(كأن عروقي أوتارهن وجسمي الرباب وهن المغاني)

وركد النسيم فلم يهب عليهم في (البالوع) فكادوا يختنقون حتى أقبل الليل فهب عليهم نسيمه بليلاً منعشاً · قال « ورحلنا قاصدين بعلبك ورأس العين ولي شوق زائد المقدار · الى الشرب من عين طار ذكرها في الاقطار » · وكما انه كان في شوق الى الشرب من العين المذكورة كذلك كان له شوق شديد الى رؤية مفتي بعلبك الذي قال فيه « فقد مدحته الألسن والأفواه · وتعلق قلبي بحبه قبل ان أراه » · اما والي بعلبك فشوقه اليه أشد وأعظم بالطبع وذلك حيث يقول « واما باشتها وواليها · وناشر ألوية العدل بناديها · فانه هو الذي مدحه السيف والقلم ····· فان لي بجنابه الكريم · ومقامه السامي العظيم · اجتماعاً وانا بثغر دمياط وهو متوجه لمصر ذات الاهرام · بقصد الاجتماع على وزيرها وأمرائها الكرام · فحل منه ومنهم مكان الانسان من العين ··· ولا سيما امير اللواء اذذاك ذو الفقار · فانه اختاره لنفسه واصطفاه ··· وبعد ذلك دخل (اي والي بعلبك) القسطنطينية · ومحل السلطنة العثمانية · وكنت كثيراً ماأتوقع حسن أخباره · وأنشر بين الناس جميل آثاره » · هذه هي معرفة المؤلف بوالي بعلبك ثم وصف مبلغ شوقه اليه حتى زار وطنه طرابلس وقصد دمشق فرأى ان الفرصة حانت لرؤية صديقه في بعلبك قال « لارى ما يسر فؤادي · من حسن مقامه المهلك للاعادي · واني لأرجو له فوق ذلك مظهرا · وان يرقيه الوزارة في الدنيا والسعادة في الاخرى » · ووصلوا الى رأس العين سحراً فناموا وفي الضحى دخلوا بعلبك · فممن اجتمع بهم من اهلها الشيخ احمد الخطيب فوصفه بالفضل والأدب والسمن مذ قال « قال الامام الأعظم : ما أفلح سمين الا ابن الحسن · وانا أقول ما أفلح سمين الا الخطيب في هذا الزمن ···· فوجود مثل هذا الذكي الباهر · في مثل هذه البلدة غريب ونادر » · ثم ذكر ممن اجتمع بهم اخا الشيخ الخطيب لكنه لم يسمه ووصفه باللطف والأدب والذكاء وحسن الخلق · ومنهم (الشيخ يحيى) مفتي

بعلبك وصفه بقوله « حرم تلك الديار وكعبتها ... حاتم عصره ... وخليفة ابي حنيفة النعمان .... اجتمعت بهذا النحرير . في خلوة الخطيب بجامع الكبير » . ثم ذكر منهم (جناب حضرة صالح باشا) وقد سرد له من الأوصاف والألقاب ماشا . وهو في الغالب صديقه حاكم بعلبك الذي يود رؤيته كما مر فقال عنه انه « حين بلغه ورودي لناديه . أرسل لي مطرجي باشا يدعوني الى الحضور لبين ايديه » ومطرجي باشا هذا لا نعلم ماهو عمله في بعلبك اذ ذاك غير ان أسرة المطرجي من أسر اللاذقية ومنها أرسلان باشا واخوه قبلان باشا اللذان كانا والين في طرابلس الشام في حدود الالف ومائة للهجرة . ولما زار الشيخ النابلسي طرابلس سنة (١١١٢ ه) كان واليها أرسلان باشا المذكور . ويوجد الى اليوم في طرابلس وفي اللاذقية أسرتان باسم (المطرجي) وكلمة المطرجي تركية الصيغة محرفة عن (مطره جي) اي صاحب المطرة (بالتحريك) والمطرة ابريق معدن اوجلد بشكل خاص يستقى به الماء اكثر من يستعمله الجنود والمسافرون ولعله عربي الاصل من (المطر) لان المسافر غالباً يملأ مطرته من مياه المطر المتجمعة في القِلات والغدران . اما صالح باشا هذا ففي الغالب انه مولى على بعلبك من قبل ولاة الشام بعد ان خضدت الدولة من شوكة الحرافشة أمراء بعلبك المشهورين . ثم وصف دخوله على (صالح باشا) وحفاوة هذا به وكان في المجلس الشيخ يحيى مفتي بعلبك وجرت بينهم مذاكرات علمية ضربنا صفحاً عن ذكرها وذكر أمثالها لكننا نود ان نذكر مسألة تفسيرية أعجبَنا جداً قول المؤلف فيها: ذلك ان سائلاً سأله عن هاتين الآيتين (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) فلماذا في الاولى قدم ضمير المخاطبين (نرزقكم) وفي الثانية الغائبين (نرزقهم) فأجاب بنعم الجواب : المخاطبون في الاولى فقراء بدليل (من إملاق) فالأهم ان يقدم الوعد برزقهم والمخاطبون في الثانية اغنياء بدليل (خشية إملاق) فالأهم ان يقدم الوعد برزق اولادهم وهذا من الحسن بمكان رفيع . ثم تناول المؤلف الطعام عند الباشا الذي ألحّ عليه ان يبقى في ضيافته ثلاثة ايام فاعتذر ودعا له . ثم ذهب مع رفاقه الى رأس العين حيث هيأ لهم المفتي طعام العشاء وبعده تحملوا للسفر الى دمشق فوصلوا بعد طلوع الشمس الى (سرغايا) فمدح ظلها وماءها ثم وصلوا (الحسينية) على

نهر بردي ووصلوا دمشق وقت السحر ودخلوا من (باب السريجة) قال « وقصدنا مكان صديقنا القديم جناب اخينا (السيد محمد اليلداوي) · حفظ الله ذاته من المحظورات والمساوي » · وصداقته معه من مصر ولعلها عن طريق المجاورة في الأزهر قال : « و بالحقيقة فهو الباعث على قدومي لدمشق · والصدق في ذلك أولى وأحق · لانه من حين ورودي دياري · واجتماعي باقاربي وأنصاري · لم يفتر عن دعوتي لبلدته · وفي كل ركب يتحفني بهداياه ومكاتبته ···· فوصلت قبيل الفجر الى خانه المعهود · فوجدت بابه مقفولاً ومردود · فقرعت حلقة الباب · فخرج لنا من غير تقاعس البواب ···· فقلنا له نحن أصدقاء وأحباب · الى جناب السيد محمد اليلداوي خلاصة الانجاب · فأظهر السرور · وأدخلنا الى الخان وقاد لنا النور » · لعل صوابه (وأوقد) · ووصف حفاوة الخادم بهم حتى طلع الفجر قال « فتوجهنا الى الجامع الأُموي من غير توانٍ فزرنا جناب نبي الله يحيى و به تملينا » · فلما أقيمت صلاة الصبح صلوها وقعد المؤلف يتلو القرآن · وهنا يحق لنا ان نعتب على المؤلف عتباً شديداً : فقد سرنا معه في رحلته هذه بطولها فما كنا نراه يمر بضريح منسوب الى احد الاولياء · او الصلحاء الانقياء · حتى يكتب من الأسطار · نحو ثلاثة أمتار · وكلها استمداد ومناجاة · ومدائح ودعوات · أمام ذلك الضريح الرهيب · وان لم يكن لصاحبه شهرة في التاريخ ولا نصيب · اما امام ضريح سيدنا يحيى الحصور · فانه اكتفى بكلمات كمنقار العصفور · مع ان سيدنا نبي الله يحيى · من الانبياء الذين بذكرهم القلوب تحيى · ومكان قبره هذا ثابت معروف · و بالجلال والمهابة منعوت وموصوف ·

ثم بلغ الخبر صديقه (الشيخ محمد الديري[1]) فأسرع الى الجامع وأخذه الى داره وأراد إنزاله عنده فأبى الا النزول لدى صديقه الذي دعاه الى دمشق وهو السيد محمد اليلداوي ولم يفجأهم الا قدوم السيد مصطفى اليلداوي شقيق السيد محمد ، وأخبرهم ان اخاه المذكور سار الى لقيائهم خارج البلد في جملة من الاصدقاء فكأنهم تخالفوا في الطريق ثم لم يلبث السيد محمد نفسه ان قرع الباب ودخل عليهم فعلت أصوات الابتهاج

(١) راجع ترجمته في المرادي (جزء ٤ ص ٣٠) ·

والترحيب من كل جانب وبعد هنيهة أقبل الشيخ اسماعيل العجلوني[١] للسلام على المؤلف ثم انتقل الى دار السيد محمد اليلداوي · فنـاموا واكلوا ثم أخذهم الى حمام الخياطين الذي (كأنه لحسن بنائه جلاء للناظرين فوجدناه على وفق المراد · حوى ما اشتمل عليه غيره وزاد ·) قال « فلما دخلنا اليه · واطلعنا على ما اشتمل عليه · وافانا البطيخ والعنب · مع اخوان عليهم سيما الانس والطرب » · ثم خرجوا فتناولوا القهوة والشربات قال « ولما أردنا لبس الثياب · رأينا بقجة فاحت منهـا روائح الطيب بلا ارتياب · ورأينا طي البقجة خلعة سنية · مشتملة على مايليق من الكسوة البهية » · ثم خرجوا من الحمام الى الدار وفي ثاني يوم نزل الى الشوارع قال « فلم تنفتح عين الاعلى قطين جمع أشتات الأدب · وطبع على حسن الكمال وعلى محاسن الفصاحة دأب » · الى آخر ماقال في وصف الدماشقة · ثم وصف جامع دمشق ونقل ما قاله المؤرخون والرواة عنـه من ذلك ان العمودين اللذين في المحراب كانا في عرش بلقيس · وعند المنارة الشرقية حجر من حجر موسى[٢] الذي ضربه بعصاه فانبجست منه اثنتا عشرة عينا · ومن عجائبه انه لو عاش احد مئة سنة لرأى فيه كل يوم مالم يكن رآه في اليوم الذي قبله من حسن الصنعة · وان دخله من اوقافه كل يوم الف ومائتا دينار تصرف المائتان في المصالح والباقي يحفظ في خزانة السلطان · قال المؤلف « وفي هذا الجامع اجتمعت باقمار دمشق الشام · وتمليت برؤية علمائها الاعلام » · وعد منهم الشيخ اسماعيل العجلوني

(١) الشيخ اسماعيل هذا من اكبر علماء دمشق في ذلك العصر وله ترجمة مسهبة في المرادي (جزء ١ ص ٢٥٩) · (٢) ومن حسن المصادفة اننا حين وصلنا الى تصحيح هذه الجملة عثر بعض اخواننا وهو يتصفح تاريخ ابن عساكر (جزء ٧) في ترجمة محمد بن احمد ابن ميمون — عثرنا على مايأتي : « طلع بعض قضاة دمشق المأذنة الغربية فرأى حجارة مكتوبة فطلب من يقرؤها حتى دلَّ على رجل · فقرأ واحداً منها فاذا عليه مكتوب فيما زعم : هذا الحجر قسيم الحجر الذي انفلق لموسى بن عمران عليه السلام · وقرأ حجراً آخر فاذا عليـه مكتوب : بني هذا الهيكل لعبـادة إله الآلهة على جزاز الصـدق وجزاز الكرم (كذا) اه » ·

الذي ذكره اولاً باختصار فعاد الى ذكره هذه المرة وسود صفحتين ملأهما بذكر القابه ومحاسنه وفضائله: من ذلك انه « كتب على البخاري شرحاً فاق به الأوائل. لانه بلغ على الربع نحو مئة كراس بالكامل » . ودعا ان يوفقه الله الى اتمامه . ثم انتقل المؤلف من ذكر الشيخ اسماعيل العجلوني الى مباحث في الشعر واللغة والأدب وفنون من الاخبار مختلفة سوّد لها نحو مئة وعشر صفحات من رحلته . ويغلب على الظن ان معظم ما كتبه المؤلف انما كتبه بعد اي حين تبييض الرحلة وليس هو مما كان تقع المذاكرة به في مجالسه مع من كان يجتمع بهم . ثم قال المؤلف بعد ذلك ان ممن اجتمع بهم في دمشق (الشيخ مراد السقموني) امين الفتيا واثنى على علمه وفضله وانه يحفظ مقامات الحريري وأُعْجِب بها وانه سأله عدة مسائل مشكلة فيها فكان يجيب عليها . ويظهر من اسئلة الشيخ السقموني انهم في ذلك الزمان كانوا يسألون للامتحان والاختبار ولم يكن المسؤول يتأثر ولا يتمعض وهذا على خلاف ما نحن عليه اليوم فان المسؤول اذا آنس من السائل انه يريد اختبار علمه وسبر غور معرفته امتعض وعد هذا الصنيع مزرياً بالجليس ماساً بكرامته . وختم المؤلف حديثه عن الشيخ مراد السقموني بقوله « وبالجملة فهو الأديب الذي كيل له من الادب أوفى كيل . وناهيك بامام قد ترجمه الأمين في الذيل » . يريد ان الشيخ امين المحبي ترجم السقموني في الذيل الذي وضعه لريحانة الألباء . واجتمع المؤلف باحمد افندي العمادي (١) مفتي دمشق وأثنى عليه وعلى أسرته واجتمع بالشيخ احمد المنيني فقرظه تقريظاً حسناً وقال « قد سمعته وهو في جامع بني أمية يقرأ التفسير . وعرف فضله يتضوع ذاكي العبير . والناس تهرع اليه زمراً بعد زمر . والطلبة محدقون به إحداق الهالة بالقمر . فسمعت من رقة لفظه المطبوع الرائق . وكمال تقريره العذب الفائق . ما أنبأ عن مقامه . وقضى بتعظيمه واحترامه » . واجتمع ايضاً بالشيخ موسى المحاسني (٢) فأثنى عليه وقال « له الشهرة الكبرى في قوة الحافظة . والهمة العليا في حسن الضبط والمحافظة . قد سمعته وهو يقرأ صحيح البخاري . ومن شدة الحفظ يروي أحاديثه مع

(١) راجع ترجمته في المرادي (جزء ١ ص ١٣٣) . (٢) راجع ترجمته في المرادي أيضاً (جزء ٢ ص ٢٢٣) .

الضبط كالماء الجاري » . ومنهم الشيخ محمد الكنجي أثنى عليه وقال « له في أنواع التشبيه . تأليف جم لم يسبق له شبيه . قد لهجت بمدحه ألسنة اهل الكمال . ووصفوه بانه غريب التوصيف ليس له مثال » . ولم يترجم المرادي للكنجي هذا وانما ترجم لآخر اسمه محمد بن محمد الكنجي كان يتولى نيابة القضاء وتوفي في القرن الحادي عشر ولعله هو هذا الكنجي او جده . ثم ذكر المؤلف انه اجتمع في دمشق باحد أكابر علماء بلده طرابلس وهو الشيخ محمد التدمري الطرابلسي مفتي طرابلس . وكان السبب في نزوله دمشق ان سليمان باشا العظم لما تولى طرابلس ورأى علمه وفضله لازمه وأقبل عليه ولما تولى دمشق استصحبه اليها قال « وقد اجتمعت به وهو في جامع بني أمية يقرأ الدر المختار . ووجهه يكاد يتلألأ بالانوار . قد كساه الشيب حلة تعظيم . فمن رآه قال ما هذا بشر ان هو الا ملك كريم » . وأسرة التدمري هذه ما زال منها بقية الى اليوم بطرابلس . ثم ذكر المؤلف سليمان باشا (العظم) امير الحج ووالي دمشق واثنى عليه بضروب المحامد ووصفه بالشجاعة والعدل وانه من حملة السيوف والأقلام . وقال انه كان له به اتصال ومحبة وانتساب وذلك حين « جربه الدهر . تجربة الياقوت بالجمر . ثم صفا له الوقت وعاد . على رغم الاعداء والحساد . وتولى طرابلس الشام . واستنارت بنور عدله الأحكام » . ولا يخفى ان سليمان باشا هذا تولى دمشق للمرة الاولى من سنة ١١٤٦ الى ١١٥٢ ثم وليها ايضاً من سنة ١١٥٤ الى ١١٥٦ ثم قال المؤلف انه لما جاءت البشرى بسلامة سليمان باشا أرسل اليه كتاباً وقصيدة يهنئه بعودته للولاية . ويفهم من سياق الكتاب ان الولاية التي عاد اليها انما هي ولاية طرابلس الشام . ثم قال « وقد كنت أرسلت لجنابه وهو بقلعة صيدا ممنوعاً عن الظهور . تسلية لوقوع هذا المحظور » . ثم ذكر الكتاب الذي أرسله اليه وهو مسجون بصيدا وسلاه بما قاله الأدباء والشعراء في تسلية السجين من ذلك قول علي بن الجهم :

(قالوا سجنت فقلت ليس بضائري   سجني واي مهند لا يغمد) الخ .

وكان الباشا سجن في صيدا بعد عزله من طرابلس فأرسل اليه المؤلف كتاب التسلية ثم خلي سبيله وولي دمشق فأرسل اليه كتاب التهنئة ثم جاء بنفسه الى دمشق قال « وحين اجتمعت على جنابه بداره دار السعادة لاطفني ... وسألني عن

سبب رحلتي . وعما وقع لي في سفرتي . وأوسع لي في الاكرام الخ » . ثم عاد المؤلف الى إتمام الكلام . على ماجرى له في دمشق الشام . فقال « ثم بعد اجتماعي بهؤلاء السادات . فرغت نفسي للتفرج على المفترجات . التي طار ذكرها في الاقطار . ومدحتها الادباء في النظام والنثار » . ثم أخذ يسرد ماقاله الشعراء في وصف دمشق . والظاهر من كلمة (المفترجات) انه يريد بها الاماكن التي تصلح للفرجة عليها ونسميها اليوم متنزهات او منتزهات . اما (المفترجات) فلا نعرفها بل لم نسمعها بعد وهي مشتقة من مادة (الفرجة ونفرج) ولا نعلم ان كان هو الذي اخترع تلك الكلمة او كان يستعملها اهل زمانه فتابعهم عليها . لكنه مع الأسف لم يذكر تلك (المفترجات) التي زارها ولا اعتنى بوصفها لنا وانما هو سرد ماقاله الشعراء في جمال دمشق بوجه عام ثم شغلته مسائل العلم التي كانت تجري في مجالس أنسه بدمشق عن كل شيء سواها فكان يسود الصفحات الكثيرة من رحلته بذكر تلك المسائل ونقل ماقاله العلماء الأقدمون فيها وبعد ان فرغ من تلك الأشعار في وصف دمشق قال « ولما وقفت على تلك المفترجات . ونزهت طرفي في تلك المنتزهات . وافق الأثر العين . وقلت بانها جنة بلامين » . ثم كذب بعض الحساد الذين أولعوا بهجو دمشق من ذلك قول بعضهم فيها :

(تجنب دمشق ولا تأتها   وان راقك الجامع الجامع)
(فسوق الفسوق بها نافق   وفجر الفجور بها ساطع)

وقول ابي بكر محمد الكاتب الاندلسي :

(دمشق جنة الدنيا حقيقاً   ولكن ليس تصلح للغريب)
(بها قوم لهم عدد ومجد   وصحبتهم تؤول الى حروب)
(ترى انهارهم ذات ابتسام   وأوجههم تولع بالقطوب)
(أقمت بدارهم ستين يوماً   فلم أظفر بها بفتى أديب)

فرد المؤلف هذا القول وزيفه ثم استشهد بما قاله صاحب نفح الطيب وغيره ثم قال « والمفاخرة بين مصر والشام وحلب امر قد شاع . ولكن الحق أحق بالاتباع . ولقد أنصف من قال :

(في حلب وشامنا   ومصر طال اللغط)

(فقلت قول منصف خير الامور الوسط)

والظاهر من سياق كلام المؤلف انه يريد بقوله خير الامور الوسط ان الاعتدال في الحكم والتوسط فيه خير من الإفراط والمغالاة . ويمكن ان يكون قائل هذين البيتين أراد تفضيل دمشق لانها واقعة وسطاً بين مصر وحلب ولا سيما انه دمشقي كما يفهم من قوله (شامنا) . ومن هنا استطرد المؤلف الى ذكر بلده طرابلس وتغنى باوصافها . وجمال رياضها وأرباضها . من ذلك قوله فيها « ومرجها اليانع الأخضر . وهضابها العقيق الأحمر . ولبنانها الابيض المنير . المطل على زرقة البحر الكبير . ونهرها العذب الغضبان . الذي به أينع من كل فاكهة زوجان » . ويفهم من هذا القول ان نهر طرابلس كان يسمى الغضبان وكذلك سماه الشيخ النابلسي في رحلته اما اليوم فاسمه (ابو علي) . وكذلك جبل لبنان نسبه المؤلف الى طرابلس نسبة التابع الى المتبوع فقال (ولبنانها) اي لبنان طرابلس . اما اليوم فانعكس الحال واصبحوا يقولون (طرابلس لبنان) مكان (لبنان طرابلس) فسبحان المغير ولا يتغير . قال المؤلف « وجعلت ختام زياراتي الصالحية .... وأقمنا بقصر المنقاري ثلاثة ايام .. مع والد صديقنا السيد عبد الجليل البلداوي » . ثم وصف مبلغ الضيافة . من الحسن والنفاسة والسعة . ويظهر ان (قصر المنقاري) هذا في الصالحية كانوا يقصدونه لاقامة ولائم النزهة فيه كقصر (شمعايا) في دمر اليوم . ثم ذكر المؤلف انه زار ضريحي الرجلين الالهيين الكبيرين الشيخ محيي الدين بن عربي والشيخ عبد الغني النابلسي وسوّد في الكلام عليهما نحو اربعين صفحة وقال انه كان اجتمع بالشيخ النابلسي في حياته وهو يقرأ التفسير في مقام الشيخ الاكبر وقد أجازه وذلك سنة ١١٢٩ اي قبل زمن الرحلة بواحد وعشرين سنة وعلى هذا فالمرادي قد أخطأ أو النساخ أخطأوا في قولهم ان مولد الادهمي مؤلف الرحلة كان سنة (١١١٩) اذ لا يعقل ان النابلسي أجازه وعمره عشر سنوات فليصحح ماذكره المرادي في ترجمة الادهمي . ثم قال المؤلف انه وهو بدمشق لازمه الشيخ عبد الله بن عمر الأفيوني وهو من شعراء طرابلس الشام لكنه نزل دمشق وأوطنها وتوفي فيها وسرد له المؤلف طائفة من شعره وقال انه توفي شاباً [1] وله مقامة في

(١) راجع ترجمة الشيخ عبد الله هذا في المرادي (جزء ٣ ص ٩٣) .

الطاعون الذي وقع بالشام لكن المؤلف لم يطلع على تلك المقامة وبهذه المناسبة ذكر ان صديقه الشيخ داود المراغي المصري له رسالة في وصف الطاعون الذي حصل بمصر سنة ١١٣٨ هـ وقد فتك فيها وفي أريافها فتكاً ذريعاً ثم ذكر رسالة المراغي ومما جاء فيها ان الناس كانوا يشمون اللادن (١) توقياً من الطاعون ومنهم من استعان بالخل والبصل حتى قال شاعر ذلك العصر :

(أراك تشم الخل في زمن الوبا تظن بأن الخل ينجيك يا خلي)
(اذا كان رب الموت بالموت قدقضى تموت به رغماً وأنفك في الخل)

ومما قاله المراغي في رسالته « فلو شاهدت كثرة النعوش وحماتها وهم من كل حدب ينسلون . يلهون و يلعبون كأنهم آمنون . لقلت انا لله وانا اليه راجعون . ومثلهم في ذلك القراء والمغسّلون . حتى انهم لقلة الاموات يحزنون . وبكثرتها يفرحون . ومن الحِكَم انهم لا يصابون . أفأمنوا مكر الله ؟ فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون » . ثم ان المؤلف عزم على الرحيل من دمشق والرجوع الى مصر فذكر ما أبقته دمشق في نفسه من الأثر وانه اذ ودعها كان يتمتع برؤية جمالها . والشرب من أنهارها . قال وان في دمشق عدة أنهار وفي حلب نهر واحد اسمه قويق ومع هذا فقد وجد لقويق من يمدحه و يفاخر به كما يفاخر الدماشقة ببردى وغيره من أنهارهم . وذكر ما قاله كل قبيل في نهر بلده . من ذلك قول الصنوبري في قويق :

(قويق اذا شمّ ريح الشتا أظهر تيهاً وكبراً عجيبا)
(وان أقبل الصيف أبصرته ذليلاً حقيراً ضعيفاً كئيبا)
(اذا ما الضفادع نادت به قويق! قويق! ابى ان يجيبا)
(وتمشي الجرادة فيه فلا تكاد قوائمها ان تغيبا)

ثم ودع معارفه في دمشق ورحل عنها وخرج لتشييعه صديقه (السيد محمد جلبي

(١) اللادن بالدال ولعل الأفصح فيها ان تكون بالذال المعجمة وهو الحصى لبان الذي يعلك او هو ضرب منه . قال في اللسان : (اللاذَن واللاذَنة من العلوك وقيل هو دواء بالفارسية وقيل هو ندى يسقط على الغنم في بعض جزائر البحر) .

اليلداوي) مع جملة من الاصدقاء حتى قرية المزة قال « فأنزلونا في منزل شيخها الشيخ داود .... فوجدنا ذلك المنزل قد فرشت ارضه بالرخام الملون . وطرزت حيطانه بالقاشاني من كل نوع مستحسن . وقد اجتمع في ذلك المنزل المعمور . جميع ابناء الحظ والسرور . وكان بصحبتنا السيد احمدالمنقاري الامجد . من فاق بحسن الصوت والالحان طويساً ومعبد » . ثم وصف ليلتهم نظماً ونثراً ثم قال «فأخذتني لحسن ذلك المنزل الحيرة . اذ كيف يتأتى وجود مثله في هذه القرية الصغيرة !» . ثم قاموا نصف الليل للرحيل ووقفوا للوداع فوصف ما كان في ذلك الموقف من الألم والوجوم . وأنشد في ذلك اشعاراً جمة ووصف ما ستتركه هذه الزيارة في نفسه من الشوق والحنين . ثم بعد مسيره ثلاثة ايام وبعض اليوم الرابع وصلوا الى صيدا ونزلوا في خان (علي اغا حمود) ثم وصف صيدا وماقاله (ابن شاهين) فيها ولكن كان وصفه لها هجواً في قالب مدح من ذلك قوله « ولعمري انها بلدة لولا حرارة مائها وهوائها . و برودة أوضاعها وأبنائها . لكانت جنة المأوى بلا مرا ... وكيف يسأم الناس بلدةً اذا جلب اليها الماء يكتسب حرارة . واذا استجلب اليها العذب السائغ ينقلب الى عفوصةٍ ومرارة . وكيف لا يمدح الماء الحار . وهو الذي يجلب المسار . و يدفع المضار . وهو الذي ينقع في الحمام للاغتسال والاستحمام . و يحلل الأورام . وان شئت قلت يجلب البرسام والسلام» .

ثم قال المؤلف انه زاره في صيدا مفتيها (الشيخ عبدالغني) ووصفه بالفضل والعلم وانه حصل في الازهر فتعرف به ثمه وكان مع المفتي اديب صيدا (الشيخ احمد البزره) فوصفه وأثنى على أدبه وأخلاقه ثم قال « ولم ار في تلك الديار غير هذين . وماسواهما ملحق بالجمادات بلامين » . قال : وفي ثاني يوم زاره (السيدزكريا افندي) موفداً من قبل (جناب ابراهيم باشا) والي صيدا يدعوه الى الضيافة فذهب اليه فرحب به الباشا ووصف ذلك المجلس وسوّد صفحات ضمنها مباحث ومناظرات علمية جرت فيه ثم ركبوا البحر من صيدا ونزلوا (بقياسة غربية . متوكلين على رب البرية) . والقياسة ضرب من السفن كما مر في مقدمة الرحلة على (الكراس الشارد) ولكن لماذا وصف (القياسة) بالغربية ياترى ؟ او هي (عربية) بالعين المهملة ؟ ووصلوا (عكه) وبعد ثلاثة ايام بانت لهم قلاع دمياط فخرجت اليهم (النقاير) وهي جمع (نقيرة) ضرب من

السفن فركبوا نقيرة منها وجاوزوا البوغاز وحلوا بالنيل فأخذ المؤلف يصف النيل وما قيل فيه من الشعر وماقاله بطليموس وغيره من الحكماء الأقدمين في اصل النيل ومناشئه وجبال القمر التي ينبع منها . ومن هنا استطرد الى الكلام عن مصر وذكر فنوناً من أخبارها ومزاياها . ووصل دمياط . وبعد ست سنين من وصوله اي سنة (١١٥٦) كتب رحلته هذه .

وخلاصة مايقال في هذه الرحلة انها كناش علم وأدب وأشعار . اكثر مما هي كتاب رحلة ووصف أسفار وأطوار . وصفحاتها نحو اربعمائة وثمانين صفحة لم نعثر فيها على ما نحن بسبيله وقاصدون اليه من الاخبار الاجتماعية والتاريخية سوى هذه الصفحات القليلة التي وضعناها تحت نظر القراء . فليحكم عليها أو لها من شاء .

المغربي

الموازنة

بين الأعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

« ٣ »

« جنة العفاريت »

ثم يطوف ابن القارح في جنة العفاريت او يطوف به عليها ابو العلاء ولنسمع ما يقول : فيركب بعض دواب الجنة و يسير فاذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة ولا عليها النور الشعشعاني وهي ذات ادحال[1] وغماليل[2] ... فيقول ما اسمك أيها الشيخ فيقول انا الخيتعور احد بني الشيصبان ، ولست من ولد ابليس ولكننا من الجن الذين يسكنون الارض قبل ولد آدم (صلعم) فيقول اخبرني عن أشعار الجن فقد جمع منها المعروف بالمرزُباني قطعة صالحة ، فيقول ذلك الشيخ انما ذلك هذيان لا معتمد عليه وهل يعرف البشر من النظيم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض ... وان لنا لآلافَ اوزانٍ ما سمع به الإنس ...

فيعجب لازال في الغبطة والسرور لما سمعه من ذلك الجني .. فاذا هو بأسد يفترس من صيران الجنة وحسيلها[3] فلا تكفيه هُنيدة ولا هند[4] فيقول في نفسه لقد كان الأسد يفترس الشاة العجفاء[5] فيقيم عليها الايام لا يطعم سواها شيئاً ، فيلهم الله الأسد ان يتكلم وقد عرف ما في نفسه فيقول يا عبدالله أليس احدكم في الجنة تُقدَّم له الصحفة وفيها البهط والطريم مع النهيدة[6] فيأكل منها مثل عمر السموات والارض يلتذ بما أصاب فلا هو مكتفٍ ولا هي الفانية ، وكذلك انا افترس

---

(١) حفر غامضة ضيقة الاعلى واسعة الأسفل شديدة الغم . (٢) جمع غملول الوادي الضيق الكثير النبت الملتف . (٣) السمكات المملوحة وأولاد البقر . (٤) مائة ولا مائتان . (٥) المزيلة . (٦) الأرز باللبن والسمن والطريم العسل والنهيدة الزبدة .

ما شاء الله فلا تأذي الفريسة بظفر ولا ناب ولكن تجد من اللذة كما أجد بلطف ربها العزيز ، أتدري مَن انا ايها البزيع ، انا اسد القاصرة ٠٠٠ وأُدخلتُ الجنة بما فعلتُ ٠

ومن بديع مايرويه عن الجني الخيتعور فيقول له ما كنيتك لأُكرمك بالتكنية فيقول ابو هَدْرَش ولقد لقيت من بني آدم شرًّا رلقوا مني كذلك ٠٠ فيقول يا ابا هَدْرَش اخبرني وانت الخبير هل كان رجم النجوم في الجاهلية فان بعض الناس يقول انه حدث في الاسلام ، فيقول هيهات ولكن الرجم زاد في أوان المبعث وان الخرص لكثير في الانس والجن ، وان الصدق لمعوز قليل وهنيئًا في العاقبة للصادقين ٠ وفي قصة الرجم أقول :

(مكةُ اقوَت من بني الدردبيس فما لجنيٍّ بها من حسيسْ)

* * *

(وكم عروس بات حرّاسها تجْرُمهم في عزّها او جديسْ)
(غرت عليها فتخاّجتُها بواشك الصرعة قبل المسيس)
(لا انتهي عن غرضي بالرُقى اذا انتهى الضيغمُ دون الفريس)
(وأدلج الظلماء في فتيةٍ لمجنٍّ فوق الماحل العربسيس)

* * *

(تحملُنا في الجنح خيل لها اجنحة ليست كخيل الانيس)

* * *

(لا نُسْلكَ في ايامنا عندنا بل نُكِسَ الدين فمالن نكيس)
(فالاحدُ الاعظمُ والسبتُ كالا ثنين والجمعةُ مثل الخميس)
(لا مجُسٌ نحن ولا هُودٌ ولا نصارى يبتغون الكنيس)

يريد ان ليس جنٌّ في اعتقاد اهل هذه المذاهب ٠

(نمزّق التوراةَ من هونها ونحطمُ الصلبانَ حطمَ اليبيس)
(نحارب الله جنوداً لإبليس اخي الرأي الغبين النجيس)
(ونخدعُ القسيسَ في فصحه من بعدما مُلّيَّ بالانقليس)

(ثمت آمنتُ ومن يرزق الـ الايمان يظفر بالخطير النفيس)

والقصيدة كلها على هذا النسق الانيق ·

ثم يقول : فيعجب لا زال في الغبطة والسرور لما سمعه من ذلك الجني ويكره الإطالة عنده فيودعه و يذهب في كل سبيل ·

« اقصى الجنة »

— وكأنه المطهر عند النصارى —

·· فاذا هو ببيت في اقصى الجنة كأنه حِفْش[1] أمةٍ راعية ، وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنة ، وعنده شجرة قميئة[2] ثمرها ليس بزاكٍ فيقول يا عبدالله لقد رضيت بحقيرٍ شقنٍ فيقول والله ما وصلت اليه الا بعد هياطٍ ومياط[3] وعرق من شقاء وشفاعة من قريش وددتُ انها لم تكن ، فيقول من انت فيقول انا الحطيئة العبسيّ فيقول بما وصلت الى الشفاعة فيقول بالصدق فيقول في اي شيءٍ فيقول في قولي :

(ابت شفتايَ اليوم الا تكلُّماً بهُجر فلا ادري لمن انا قائلهْ)

(ارى لي وجهاً شوّه الله خلقه فقُبّحَ من وجه وقبح حاملهْ)

ويمضي (ابن القارح) فاذا هو بامرأة في اقصى الجنة قريبة من المُطّلَع الى النار فيقول مَن انتِ فتقول انا الخنساء السُلَميّة احببت ان انظر الى صخر فاطلعت فرأيته كالجبل الشامخ والنار تضطرم في رأسه فقال لي لقد صح مزعمُك فيّ يعني قولي :

(وان صخراً لتأتمّ الهداة به كأنه عَلَمٌ في رأسه نار)

« طوافه حول جهنم »

فيطلع فيرى ابليس لعنه الله وهو يضطرب في الأغلال والسلاسل ومقامع الحديد تأخذه من ايدي الزبانية[4] ، فيقول الحمد لله الذي امكن منك ياعدو الله وعدو اوليائه لقد اهلكت من بني آدم طوائف لايعلم عددها الا الله ، فيقول من الرجل ، فيقول

---

(١) البيت الصغير الحقير · (٢) ذليلة صغيرة · (٣) مجيء وذهاب واضطراب شديد · (٤) الموكول اليهم تعذيب المحكومين ·

انا فلان من اهل حلب ... فيقول ابليس اسألك عن شيء تخبرنيه ، ان الخمر حُرّمت عليكم في الدنيا وأُحلّت لكم في الآخرة ، فهل يفعل اهل الجنة ... ويقول ابليس ايضاً ، ان في الجنة لأشربة كثيرة غير الخمر ، فما فعل بشار بن برد ، فان له عندي يداً ليست لغيره من ولد آدم كان يفضلني دون الشعراء وهو القائل :

(ابليس افضل من ابيكم آدمٍ فتبينوا يا معشر الأشرارِ)
(النارُ عنصره وآدمُ طينةٌ والطين لا يسمو سموّ النارِ)

لقد قال الحق ولم يزل قائله من الممقوتين ، فلا يسكت من كلامه الا ورجل في اصناف العذاب يغمض عينيه حتى لا يرى الى مانزل به من النقم فيفتحهما الزبانية بكلاليب من نار واذا هو بشار بن برد قد أُعطي عينين بعد الكمه لينظر الى ما نزل به من النكال ...

ويسأل عن امرىء القيس بن حجر فيقال ها هو ذا بحيث يسمعك فيقول ياابا هند ان رُواة البغداديين ينشدون قفا نبك ... وينظر فاذا عنترة العبسي متلدد في السعير ... فليت شعري ما فعل عمرو بن كلثوم فيقال ها هو ذا من تحتك ان شئت ان تحاوره فحاوره ... ويرى رجلاً في النار لا يميزه من غيره فيقول مَن انت ايها الشقي فيقول انا ابو كبير الهذُلي ... واذا هو برجل يتضوّر فيقول مَن هذا فيقال الأخطل التغلبي فيقول له مازالت صفتك للخمر ، حتى غادرتك أُكلاً للجمر ، فيزفر الأخطل زفرة تعجب لها الزبانية فيقول آه على ايام يزيد اسوفُ عنده عنبرا ، ولا اعدم لديه سيسنبرا ، وامزح معه مزح خليل ، فيحتملني احتمال جليل ... فيقول جعل الله اوقاته كلها سعيدة عليك البَهلةُ قد ذَهَلت الشعراء من اهل الجنة والنار عن المدح والنسيب وما شُدِهْتَ عن كفرك ولا اسأتك وابليس يسمع ذلك الخطاب كله .

« تلاعن ابليس وابن القارح »

فيقول ابليس للزبانية ما رأيت اعجز منكم اخوان مالك ، الا تسمعون هذا المتكلم بما لا يعنيه ، قد شغلكم وشغل غيركم عما هو فيه ، فلو ان فيكم صاحب

نحيزة[1] قوية لوثب وثبة حتى يلحق به فيجذبه الى سقر ، فيقولون لم تصنع شيئاً يا ابا زوبعة ليس لنا على اهل الجنة سبيل ، فاذا سمع اسمعه الله محابّه مايقول ابليس اخذ في شتمه ولعنه واظهار الشماتة به ، فيقول عليه اللعنة ألم تُنهَوا عن الشمات يا بني آدم ولكنكم بحمد الله ما زُجرتم عن شيء الا وركبتموه ، فيقول واصل الله الاحسان اليه ، انت بدأت آدم بالشماتة والبادئ اظلم .

« العودة الى الجنة »

ويملُّ من خطاب اهل النار فينصرف الى قصره المشيد ... و يلقى آدم عليه السلام في الطريق فيقول يا ابانا صلى الله عليك قد رُوي لنا عنك شعر ... فيقول ولكني لم أسمع به حتى الساعة فيقول لعلك يا ابانا قلته ثم نسيتَ فقد علمتُ ان النسيان متسرع اليك وحسبك شهيداً الآية المتلوة في قرآن محمد (صلعم) ... فيقول آدم (صلعم) أبيتم الا عقوقاً وأذيةً ، انما كنت أتكلم بالعربية وانا في الجنة ، فلما هبطت الى الأرض نُقل لساني الى السريانية فلم أنطق بغيرها الى ان هلكت ، فلما ردّني الله الى الجنة عادت عليّ العربية فأي حين نظمت هذا الشعر .. ثم يضرب سائراً في الفردوس ...

« مروره بجزيرة الرُّجز »

ويمر بابيات ليس لها سوق أبيات الجنة فيسأل عنها فيقال هذه جنة الرُجَّز يكون فيها أغلب بني عجل والعجّاج ورؤبة وابوالنجم ... وكل من غُفرَ له من الرجّاز فيقول صدق الحديث ان الله يحب معاليَ الامور ويكره سفاسفها وان الرَجزَ لمن سفاسف القريض ، قصّرتم ايها النفر فقُصّر بكم ...

ويتكيء على مفرش من السندس ويأمر الحور العين ان يحملن ذلك المفرش فيضعنه على سرير من سرر الجنة وانما هو زبرجد او عسجد ، فيكون الباري فيه حلَقاً من الذهب تطيف به من كل جوانبه حتى يأخذ كل واحد من الغلمان ، وكل واحدة من تلك الجواري المشبهة بالجمان ، واحدة من تلك الحلَق فيُحمل (الشيخ

(١) طبيعة (او مروءة) .

علي بن القارح) على تلك الحال الى محله المشيّد بدار الخلود ، فكلما مر بشجرة نضحته أغصانها بماء الورد قد خُلِط بماء الكافور ، وبمسكٍ ماجني من دماء الفور ، وتناديه الثمرات من كل اوب وهو مستلقٍ على الظهر ، هل لك يا ابا الحسن هل لك ، فاذا أراد عنقوداً من العنب اوغيره ، انقضب من الشجرة بمشيئة الله وحملته القدرة الى فيه ، واهل الجنة يلقونه باصناف التحية وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .

ولما انتهى بابن القارح الى قصره في الفردوس ، واتكأه على مفرش من رائع الديباج الاسنى ، فوق سرير من من الذهب او الزبرجد بين الحور والغلمان ، على ما اتى من ذلك الوصف البديع ، حتى تركه يتمنى ان يُقبَض لساعته ، على شرط ان يضمن له ضامن تحقيق تلك الرواية بل خيال خيالها ، عاد الى الجواب عن الرسالة فقال :

ونعود الآن الى الإجابة عن الرسالة .. وهنا طفق يعدّد له جماعة من المتألهين[1] والزنادقة والملحدين ، وأصحاب البدع من المتقدمين والمتأخرين ، ويذكر طائفة من أشعارهم وأقوالهم ونحلهم واهوائهم ، ينتقدها انتقاد الصيرفي الدينار ، ويمحصها محص الصائغ الفضة في النار ، وبين ذلك يقول : وقد تجد الرجل حاذقًا في الصناعة بليغًا في النظر والحجة ، فاذا رجع الى الديانة ألفي كأنه عيرٌ[2] مقتاد ، وانما يتبع ما اعتاد ، والتأله موجود في الغرائز ، يُحسَب من الاجاء الحرائز[3] ، ويلقن الطفل الناشئ ماسمعه من الاكابر ، فيلبث معه في الدهر الغابر[4] ، ... واذا المجتهد نكّب عن التقليد ، فما ينطق بغير التبليد[5] ، واذا المعقول جعل هاديا ، نقع[6] بريّه صاديا ، ولكن اين من يصبر على احكام العقل ، ويصقل فهمه ابلغ صقل .. ورُبّ زارٍ بالجهالة على اهل ملة ، وعلته ادهى علة :

ثم عاد الى ممازحته فقال : وقد تحدّث بعض طُلاّب الادب ادام الله تزيين المحافل بحضوره ، ذكر التزويج يريد الخدمة ، فسرني ذلك لانه دل على اقامة في

(١) المتحيرين (٢) حمار (٣) الحصون (٤) الغابر من الاضداد يعني الماضي و يعني الحاضر . (٥) التحيّر (٦) روى الظمآن .

الوطن ، وفي قربه الفرحة لاهل الفطن ... وهو يعرف حكاية الخليل عن العرب ، اذا بلغ الرجل الستين فاياه والشواب[١] ، ولا خير عند التواب[٢] ، ولكن النَّصَف ، ممن يوصف .. الى ان يقول له ولو انشط لهذه المأربة لنافست فيه العُجُز[٣] والمكتهلات ، وعلت خطبه المتهبلات[٤] :

فانظر ما أضحك هذا الوصف وما ألطف هذه الممازحة ، لانه كما علمت يخاطب شيخاً جاوز الستين .

ثم يزيد فيقول له : فليس باول من طلب نجوزا[٥] ، فتزوج على السن عجوزا ، وما زالت العرب تحمد الحيزبون[٦] والشهلة[٧] ، ولا تكره مع الشرخ الكهلة .. الى ان يقول : واما حجه الخمس فهو ان شاء الله يستغني في المحشر بالاولى منهن ، و ينظر في المتأخرين من اهل العلم فلا ريب انه يجد فيهم من لم يحج فيتصدق عليهم بالاربع . وكأني به وعمائم الحجيج ، يرفعون التلبية بالعجيج ، وهو يفكر بتلبيات العرب ...

وفيما أتيت من كلامه شاهد مقنع على ماصدرت به هذا النقد من الكلام عن مذهبه .

القاهرة : قسطاكي الحمصي

---

(١) الشابات (٢) العجائز (٣) جمع عجوز . (٤) اللواتي فقدن حبيبهن او أعز أولادهن . (٥) حاضراً مهيئاً . (٦) العجوز (السيئة الخلق) . (٧) اي التي في سواد عينيها زرقة .

الفاظ عربية لمعان زراعية

— ٣ —

شاع في مصر والشام استعمال كلمة « مشتلة ودندانة » للارض التي تربى فيها صغار الشجر ريثما تنقل الى مستقرها وهي بالفرنسية (Pépinière) وفي العربية لفظة فصيحة جميلة تفيد هذا المعنى وهي المنبت بكسر الباء على غير القياس ج منابت ·

ويطلقون اسم « ترقيدة وتدريكة وتدريجة » على الغصن الذي يجمع التراب حول جزء منه او يحنى فيه هذا الجزء و يدفن في التراب حتى اذا برزت له اصول يفصل الغصن عن امه فيكون نباتاً مستقلاً · ويسمي الفرنسيون الغصن الذي يعالج على هذا الشكل (Marcotte) وهو بالعربية العكيس ج عُكُس من عكس الغصن اي جذبه الى الارض ·

ويغلطون فيقولون بقية وقرنبيط و نعنع وَهليون وحوْر وسبانخ و يانسون والصحيح بقة وقنَّبيط وهِلْيَون و نَعناع او نُعنُع وَحوَر وإسباناخ وانيسون ·

و يقولون بقدونس بالباء والأرجح مقدونس بالميم · قال ابن البيطار هو الكرفس الماقدوني وهو منسوب الى ماقدونيا بالروم وهو البطراساليون (يسمى باللاتينية Petroselinum sativum) ·

وسنبول الذرة بالعامية عرنوس وفصيحه المُطْر ·

و يطلق الفرنسيون لفظة (Sol) على الطبقة الزراعية العليا من التراب و يليها الـ (Sous - sol) فلعل لفظتي مَشَرة الارض وتحت المشرة تصلحان لهذا الغرض ·

ويسمون كل بئر من آبار القني « نجياً » والفصيح كظيمة و كظامة ·

ويسمون بيت الدجاج القن وبيت الحمام الخص وفصيحها الخُم ج خممة للدجاج والإِقراد ج قاريد للحمام وهما بالفرنسية Poulailler او (Cage à poules) و Pigeonnier ·

وفي غرس الشجر طريقة مثلى وهي ان تكون الأشجار على سطور متوازية ويسمى الغرس على هذا الشكل بالفرنسية (Plantation en lignes) يقابلها بالعربية

« الغرس نَسَقًا » يقال غرست النخل نسقًا اذا جعلته على طريقة نظام واحد اي على خطوط متوازية وأبعاد متساوية . والمسافة بين كل سطرين هوالغِرار والقَدَرة . وكل سطر من الشجر هو السَّريف والرَّزْدَق والسِّكَّة . وقسَّط الغارس الأغراس بمعنى غرسها نسقًا . وكذا نَبَّقَها .

والخيل على ثلاثة أشكال فنيًا قصار وطوال ومتوسطة وتسمى بالفرنسية (Brévilignes) و (Longilignes) و (Médiolignes) فالاولى أقزام الخيل اما الثانية فتسمى المُطُط والسلاجم فقد ورد في كتب اللغة انها الطوال من الحيوان .

وعليق الدابة الذي يكفيها يومها وليلتها هو الشَّخْذَة وبالفرنسية (Ration journalière) .

واستجى الشجرة قطعها من اصولها و بالفرنسية (Déraciner) اما اذا قطعها على مقربة من سطح الارض فقد أجمَّها إجمامًا و بالفرنسية (Receper) .

و يطلق كل الفلاحين في الشام لفظة قطاني على الجلبان والبيقة والكرسنة وأمثالها . وندر من يعرف منهم اشتقاق هذه اللفظة . فهي بياء مشددة جمع قُطْنِيَّة وهذه لها معان كثيرة .

واذا غرس الشجارون الغراس اي صغار الشجر في الشتاء فهم يأملون ان ترسخ اي ان تبرز لها اصول جديدة وتضرب في التراب وعندئذ يقولون ان الغريسة قد « علقت » . فالغراس التي تستأصل او تُعَرِّق او تستعرق او تعترق هي التي تنبت اصولها وتمتد عروقها في التراب فترسخ وهذا بالفرنسية (S'enraciner) .

واذا سُنِّد الكرم ودعم فهومُفَرْدَس وَمَعْروش ومُعرَّش ومُمَرَّح و بالفرنسية (Treille) . والدعائم والدِجْران (واحدتها دِعامة ودِجْرانة) هي الخشب او الحصر او الاسلاك التي يعرش الكرم عليها وهي بالفرنسية (Treillage) .

ويستعمل فلاحة بلادنا لفظ « ارض طيبة » للارض الجيدة الانبات وهي بالفرنسية (Terre fertile) او (T. productive) و بالفصحى الفاظ كثيرة تفيد هذا المعنى مع شيء من التفاوت منها الارض الطيبة والعَلِكة والحُرَّة والسمينة والدميثة والمنبات .

ويسمون العنقود بعد ان يؤكل حبه او بعضه « العرموش » وفصيحه عُمشوش ج عماشيش ٠

وكثيراً ما يحتاج الشجر الى ما يقيه من عيث الماشية ٠ فوضع شوك او اواقٍ من خشب حول الشجرة إما لهذه الغاية او لكي تعتمد عليه اذا كانت صغيرة هو الترجيب ٠ والأداة التي تستعمل في هذا الغرض هي الرُجْبَة ٠

والنحل على ثلاثة أضراب الملكات والعاملات والذكور ولكل منها عمل ٠ فالملكات هي اليعاسيب مفردها يَعسوب و بالفرنسية (Reine) وكان ارسطوطاليس يظنها ذكوراً ٠ وشك فيها العرب فذكر ابن سيده « قيل هي مذكر وقيل مؤنث ٠٠٠ » ولهذا أطلقوا عليها اسماً مذكراً فقالوا يعسوب النحل واميرها وفحلها مع انها في الحقيقة أنثى ٠ والعاملات هي النحال التي تجرس وتُعَسّل وتسمى بالفرنسية (Ouvrières) ولم اجد لها اسماً قديماً ولا ارى بأساً من تسميتها عاملات وهي ترجمة اللفظة الفرنسية ٠ ولعل لفظة النحال اوفق فقد ذكر ابن سيده عن اليعاسيب « ٠٠٠ وقيل هي التي تبيض النحال ٠٠٠ » ٠ اما الذكور فهي اليآخير و بالفرنسية (Les males) قال ابن سيده « ٠٠٠ وهي نقاَّل لانها تأكل العسل ولا تعسل ٠٠٠ » وهذه صفات الذكور ٠

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

كتابات تدمرية وتفسيرها
— ٢ —

« الكتابة الخامسة »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ٥) مزينة بالحلي الفاخرة والثياب المزركشة وقد نحت من حجر التمثال في الجهة اليمنى تمثال طفل أمسك بيده اليمنى حمامة وبيده اليسرى عنقود عنب . وقد كتبت في الجهة اليسرى من تمثال المرأة العبارة الآتية :

١ צלמת صورة
٢ חלפו خَلَفوا
٣ ברת بنت
٤ א..... ١٠٠٠٠ (؟)
٥ עתיכא (بن) عتيكا
٦ חבל..... وآ اسفاه

وهذه الكتابة قد شوهت بكسر أتلف قسماً من السطر الثالث وجميع السطر الرابع وتختلف هذه الكتابة عما سبق مما افتتحت به .

س ١ — فكلمة السطر الاول צלמת (صِلْمَة) تفيد معنى الصورة او التمثال اي (هذه صورة فلان بن فلان) وهذا شائع الاستعمال في مثل هذه الرُقُم .

س ٢ — חלפו (خَلَفو) عَلَم مؤنث شائع بين الأعلام التدمرية والنبطية .

س ٣ — نرى الكسر قد شوه قسماً من هذه اللفظة ولكن يسهل علينا قراءتها من بقية الأحرف فهي كلمة (ברת) اي بنت .

س ٤ — أتلف جميع هذا السطر ولم يبق سوى الحرف (א) الألف الأخير .

س ٥ — עתיכא (عتيكا) يعسر علينا معرفة اشتقاق هذا العَلَم المذكور ولكننا نعرف علماً يقاربه لفظاً وهو עתיקא (عتيقا) الذي ورد في كتاب (de Vogüé - Syrie Ceutrale) وقدكتب هنا بحرف (ק) (ق) عوضاً عن

(כ) (ك) : وربما كان العَلَم الاول محرفاً عن العلم الثاني . و يجوز ان نقارب بين עתיכ (عتيك) و עתיק (عتيق) لان كثيراً ما تنقلب القاف كافاً متى جاءت بين احد الاحرف الحلقية . وذلك بحكم سنة ضبط الكتابة وتهذيب الكلمات الثقيلة الوقع على السمع . واذا تعمقنا في بحث اشتقاق بعض الاعلام العربية نجد كثيراً منها خاضعاً لهذه السنة مثل : عاتكة وعتيق وعتيك .

« الكتابة السادسة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٦) وعلى يمينه تمثال امرأة ذات جناحين غريبين في شكليهما ونحتهما غير متقن وقد صبغ شعر رأسيهما وحواجبهما باللون الاسود وزُبرت على جهة التمثال اليمنى العبارة الآتية :

١ צלם הגרבר : صورة هجر بن
٢ זבידא בר : زبيدا بن
٣ עדיבא חבל : عديبا واآسفاه

نشرت هذه الكتابة في مجموعة الكتابات السامية (Repertoire d'épigraphie Sémitique. T II N° 1083) وكذلك نشرها الاساتذة : مولر (Muller) وشابو (Chabot) وليدزبارسكي (M.Lidzbarski) وتوري (C. Torrey) وجميعهم اخطأوا قراءة السطر الثاني فقرأوا בידא(بيدا) عوضاً عن זבידא (زبيدا) مع ان حرف (ז) (ز) واضح للنظر .

واما اسم العَلَم المرقوم في السطر الثالث فقد قرأه الاساتذة المشار اليهم قراءة أخرى فالاستاذ شابو قرأه : עדינא (عدينا) والاستاذ ليدز بارسكي : ערוכא (عربكا) والاستاذ توري : עריבא (عريبا) والاستاذ مولر قرأه : עדולא (عديلا) . ان هذا التباين في قراءة اسم العَلَم المذكور ناشيء عن الحرفين الثاني والرابع ، ولا أشك بان الحرف الثاني هو (ד) (د) لان (ر) في هذه الكتابة ذات نقطة تميزها عن الدال ، واما الحرف الرابع فلا أجزم بصحة قراءته ولكنه لا يمكن ان يكون (ל) : (لـ) ولا (כ) : (ك) فهو أقرب الى (ב)) : (ب) و (נ) : (ن) من اي حرف آخر ، وبمقابلته بحرف الباء في חבל و בר من الكتابة نفسها

يظهر التشابه بينها ولذلك ارى ان قراءة עדינא (عدينا) هي الصواب وان غاب عنا اشتقاق هذا العلم .

« الكتابة السابعة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل٧) وقد كتب على الجهة اليسرى منه العبارة الآتية:

١ בני בר : بني بن

٢ תימי חבל : تيمي وآ اسفاه

« الكتابة الثامنة »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ٨) كتب على الجهتين فعلى الجهة اليمنى ما يأتي :

١ צלמת ברת صورة بت (+)

٢ הבי ברת خبّي بنت

٣ זבידא زبيدا

٤ חבל وآ اسفاه

س ١—٢ בתחבי (بتخبي) علم مؤنث وهذه هي المرة الاولى التي صادفنا فيها هذا العلم المركب من هاتين الكلمتين בת (بت) و חבי (خبّي) ونعرف كثيراً من الاعلام المركبة من القسم الاول من هذا العلم وغيرها مثل : בתזבי (بتزبّى) و בתעדן (بتعدن) و בתעתי (بتعتي) .

س ٣ — ورد ذكره في الكتابة السادسة من هذا المقال (س : ٢) وقد كتب على الجهة اليمنى ما يأتي :

٥ שנת : سنة

٦ } ٥٣٨ : ٥٣٨
٧ }

وهذه السنة من التاريخ السلوقي يوافق سنة ٢٢٦ — ٢٢٧ ميلادية .

« الكتابة التاسعة »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل٩) وقد كتب على جهته اليمني العبارة الآتية :

١ חבל : وآاسفاه

٢ אקמת : اقمت

٣ ברת ברלחזי : بنت بلحزي

٤ נורי : نوري

س ٢ — אקמת (اقمت) علم مذكر ورد كثيراً بين الاعلام التدمرية واشتقاقه مجهول .

س ٢ — ברלחזי (بلحزي) علم مذكر جعله الاستاذ جوسن قريباً من العلم חזיאל (حزيال) الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس .

س ٣ — נורי (نوري) هذه اللفظة يجوز ان تكون علماً ثانياً اولقباً للعلم الذي قبله .

« الكتابة العاشرة »

تمثال طفلة تدمرية (شكل ١٠) تمسك بيمينها عنقوداً من العنب وفي يسارها حمامة وقد كتب في جانبها ما يأتي :

١ חבל עגבא : وآاسفاه عَجَبا

٢ ברת תימי : بنت تَيمي

٣ בר בני : بن بُني

س ١ — עגבא (عَجَبا) علم مؤنث ورد للمرة الاولى بين الاعلام التدمرية .

س ١—٢ תימי (تَيمي) و בני (بُني) ورد ذكرهما في الكتابة السابعة من مقالنا هذا .

« الكتابة الحادية عشرة »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ١١) زُبرت الى جانبها العبارة الآتية :

١ חסד ברת : حَسَد بنت

٢ ברעתה : بَرعَته

٣ חגגו : حَجّجو

٤ חבל : وآاسفاه

س ١ — חסד (حَسَد) علم مؤنث وقد ورد للمرة الاولى بين الاعلام التدمرية

المعروفة ولكن ورد ذكره في الكتاب المقدس (امل ٤ : ١٠) وكذلك ورد فيه ايضاً علم موكب وهو חסדיה (حَسَديا) (١ اي ٣ : ٢٠) .

س ٢ — ٣ هما علمان شاع استعمالها في تلك العصور .

« الكتابة الثانية عشرة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ١٢) والكتابة واقعة على اليسار وهي :

١ הבל : وآ اسفاه
٢ כחילו : كُحَيلو
٣ בר : بن
٤ משכו : مشكو
٥ ברימלכו : بن يملكو
٦ חבל : وآ اسفاه

سجلت هذه الكتابة في مجموعة الكتابات السامية (Repertoire d'Epigraphie Sémitique T.1 N° 151) اعتماداً على قراءة الاستاذ مولر ولا جدال في صحة قراءة علمي السطرين الثاني والرابع ولكن الاستاذ اخطأ في قراءة السطر الخامس ימלא (يملا) مذ اضاف اليه (א) = (ا) الأخيرة استناداً على امثاله التي جاءت في كثير من الرُقم التدمرية وليس الامر كذلك في كتابتنا هذه فان من يحدق النظر لا يجد اثراً للألف (א) بل يرى حرفي (כ و ו) = (ك و وَ) كتبا بنقش خفيف فيصبح هذا العلم مقروءاً هكذا ימלכו (يملكو) وهذا العلم معروف وقد ورد ذكره في احدى الرُقم التدمرية

(Mélange de la Fac. Orient. IV p. 148)

« للبحث صلة » مدير دار الآثار العربية

جعفر الحسني

آراء وافكار

زيارة مخطوط قديم

« ما هو المخطوط ؟ — هو التصريف للزهراوي الاندلسي »

تمهيد : — وقع نظري على مقالة الرصيف العلاّمة الاستاذ المغربي بعنوان : (زيارة مخطوط قديم) ولما كان قد كتب هذه اللفظة وألقاها محاضرة منذ نحو ثلاث سنوات اردت ان اقص على القراء خبر هذا المخطوط واكتشاف مؤلفه وما عرف عنه فأقول :

شوقني مقال الرصيف يوم تلاه في ردهة المجمع الكبرى علينا اثر محاضرة ألقيت فانتهزت الفرصة لزيارة السيد خورشيد افندي الشركسي ومشاهدة هذا المخطوط الطبي المصوّر حين كنت في دمشق . فذهبت عصر احد الايام انا والاستاذان السيد المغربي والسيد حسني الكسم قيّم دار الكتب العامة ، فزرنا السيد المذكور في بيته بمحلة الدرويشية وما وقعت عيني على الكتاب لما استأذنته لرؤيته واحضره بين يدي الا وحرّكني حبّ الاستقراء ان أقلب ورقاته ورقة ورقة وأقف على رسومه ومباحثه ولكن بعجلة لضيق الوقت . ثم حاولت نقل بعض رسومه لأطبعها في محاضرتي (تاريخ الطب عند العرب) التي كنت انشرها في مجلة المعهد الطبي الدمشقي ثم اطبعها على حدة . فوقعت بين عاملين احدهما ان الرسوم كانت معوجّة غير متقنة فلا استطيع اخذها كما هي . والثاني اني احببت تقويم معوجها الذي لاحاجة الى عطفه ليظهر الرسم واضحاً ممثلاً الآلات . فرسمت بعضها ثم اضطربت بالرسم لانني لست رساماً ولكن لي المام قليل بالنقل والتمثيل . فرأى السيد خورشيد اضطرابي وقصر الوقت وحبي الشديد لنقل امثلة كثيرة من الرسوم فسألني عن سبب انهماكي فأجبته انني مضطر الى نقل امثلة كافية من الكتاب لنشرها في محاضرة لي عن الطب العربي اطبعها على حدة ، فرأيت منه اريحية وطنية حملته على القول : انني أقدم هذا الكتاب للمجمع العلمي . فما كدنا نصدق حتى سلمنا الكتاب فحملناه كأنه وسام الظفر في موقعة كبيرة . وعدنا الى المجمع وصار الكتاب في حوزته اذ وضع في دار التحف لنفاسته . ولقد اشرت الى ذلك في محاضرتي المذكورة المطبوعة سنة ١٩٢٥ في الصفحة الـ ٢٦

الى الـ ٣٢ واصفاً الكتاب باختصار وناقلاً عنه بعض عمليات جراحية ورسومها مع آلات تمثل معرفة العرب لأدوات الجراحة وفنها المفيد . وصرحت ان الكتاب هو (التصريف لمن عجز عن التأليف) لابي القاسم الزهراوي الاندلسي .

ثم لما القى الرصيف الطبيب اسعد بك الحكيم محاضرته في الطب العربي في المجمع اشار الى الكتاب وطبعت محاضرته في مجلة العرفان في صيدا ثم في مجلة المجمع هذه في مجلد السنة الخامسة الصفحة (٤٤٥) و ٥٠١ فذكر كتاب التصريف في الصفحة ٥٠١ باختصار وبعث بعد ذلك الرصيف الدكتور احمد عيسى بك المصري أطروحته الى المجمع على اثر انتخابه عضواً مراسلاً فيه بعنوان : (آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب) مطبوعة بكراس فيه صور الآلات ومعظمها من كتاب الزهراوي هذا ثم نشرتها مجلة المجمع ايضاً في المجلد الخامس والصفحة الـ ٢٥٣ بصورها وفيها كلام مفيد عن كتاب التصريف هذا وصوره .

وذكره كثير من الذين كتبوا عن الطب العربي من وطنيين ومستشرقين ولكن كل كلامهم لم يخرج عن كونه اخذ من كتب مترجمة باللغات الاوربية حتى انه لم يذكر احد منهم انه شاهد نسخة عربية مصورة للكتاب ولا طبعت نسخته العربية في ما نعلم .

التصريف للزهراوي في الجراحة ومؤلفه : — ثبت لنا مما مرّ ان المخطوط الذي وصفه الاستاذ المغربي هو كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) لابي القاسم خلف ابن عباس الزهراوي المنسوب الى مدينة الزهراء الاندلسية المتوفى سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) وهو قسمان احدهما نظري والآخر عملي ترجم بعد ظهوره بقليل باللغة العبرانية وبلغة اهل كاتالونيا وهي المقاطعة الشمالية الشرقية من مقاطعات اسبانية (الاندلس) وطبعت ترجمته الكاملة باللاتينية في اوغسبورغ سنة ١٥١٩ . وطبع القسم الجراحي منه بالعبرانية مع ترجمة لاتينية في جزئين باكسفورد سنة ١٧٧٨ م باعتناء العلامة تشانِنغ وبقي نحو ستمائة سنة معتمد الجراحين في اوربة واسم مؤلفه عندهم (Albucasis) .

وقد كتب الرصيف العلامة الكبير احمد زكي باشا في جريدة الاهرام مقالة ممتعة في الزهراوي و كتابه الجراحي مناظراً فيها العلامة الدكتور شربفيني . وصورة

الزهراوي في كنيسة ميلانو الكبرى (الكاندرائية) في ايطالية هو والرازي وابن سينا موسومة على الزجاج القديم ونشرتها مجلة المشرق في السنة الرابعة والخامسة . ومن النسخ العربية المخطوطة في خزائن اوربة من هذا الكتاب نسخة برلين عدد (٦٢٥٤) (برنامجها ٥ : ٥١٠) وناسخها حميد بن رمضان سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م) ولكن جعل وفاة المؤلف سنة ٤١٠ هـ وهو خطأ . ثم نسخة باريس عدد (٢٩٥٣) وقال انه توفي سنة ٥٠٠ هـ وهو الصواب . ونسخة ڤينا عدد (٥٢٥—٥٢٧) .

اما نسختنا العربية فهي قديمة بخط اندلسي مصورة فيها الآلات وموصوفة العمليات الجراحية وبعد ان يذكر العملية مفصلاً وما يعرض فيها للجرائحي ويذكر الرأي الذي اعتمد عليه فيها واسم الطبيب الاختصاصي بها يصوّر بعض العمليات والآلات ويبين ماتؤخذمنه الآلات كالمعدن اوالعظم ونحوهما وفيها ١٥١ رسماًللآلات عدا العمليات .

ومما يستحسن ذكره عن هذا الكتاب انه كان في حوزة رجل طبيب اسمه الياس البيروتي في بيت بربريش او بزيش (كذا) وله على حواشي الكتاب تعاليق تدل على انه عمل بعض العمليات الجراحية على طريقة المؤلف ونجحت اما خطه فسقيم وذلك سنة ... وسبعين وثمانمائة .

وهنالك تعاليق أخر يذكر فيها (وفاة ميخائيل بن جرجس الطبيب) وهو على ما يظهر بيروتي ايضاً والخط هنا جميل .

وقد كتب اسمه بهذه النسخة (الحاوي في الجراحة) وهو خطأ . وقطعه الربع وهو يقع في ٢٩٨ صفحة بخط أندلسي يختلف ببعض حروفه عن الخط الشرقي وكذلك في التنقيط . وفي آخره من صفحة ٢٩٢ الى ٢٩٨ اوراق بخط حديث تتضمن فوائد في طب العين وجراحتها .

وكتب في الكتاب اسم السيد (عبد القادر عوده الطبيب بدمشق سنة ١٢٧٩ ومنه الى ولديه محمد واحمد عوده سنة ١٣٢٢[1]) مما يدل على انه كان في حوزتهم

(١) ان بني عوده من الاطباء الذين اشتهر بدمشق بعض افرادهم وآخر من عرفناه من أطبائهم المرحوم الدكتور حسين عوده وله بعض آثار طبية مطبوعة توفي في اول سني الحرب العامة في صيدا وهو من طلبة قصر العين بمصر .

واتصل بالسيد خورشيد ·

ابواب الكتاب ومواضيعه : — ان هذا الكتاب ثلاثة أبواب : (الباب الاول) في الكي بالنار والكي بالدواء الحادّ وهو مبوب مرتب من الفرق الى القدم وصور الآلات والمكاوي وكل ما يحتاج اليه في العمل — وفي كيفية منافع الكي ومضارّه وفي اي مزاج يستعمل في الزمان الذي يصلح فيه الكي · ومن مبادئه ان الكي بالذهب أفضل من الكي بالحديد · ثم فصل الامراض التي تكوى كالشقيقة ووجع الاذن واللقوة والسكتة والفالج والصرع واسترخاء جفن العين والاضراس واللثات المسترخية والابط اذا انخلع رأس العضد والطحال والثآليل وتخلّع الورك والفتوق والسرطان والبثر الحادث في البدن والنزف الحادث عند قطع الشريان وهو في ٥٦ فصلاً ·

و (الباب الثاني) في الشق والبط والفصد والجراحات في ١٧٧ فصلاً مثل علاج الشيرناق الذي يعرض في جفن العين الاعلى وقلع الاسنان ونحو ذلك ·

و (الباب الثالث) في الجبر اي جبر الكسر والفك الحادثين في العظام · وفيه عجائب العلاج والجراحة [1] ·

اما نسختنا ففيها خرم وهي تبتدئ من الفصل او الفن الرابع عشر في كي وجع الاضراس المبرودة واليك بعض ما جاء في عناوين فصوله :

(الفن ١٥) من قول مسيح في كي الخنازير وصورة المكواة ·

(الفن ١٦) من قول بهنا الحبشي في كي بحوحة الصوت وصورة مكواته ·

(الفن ١٧) من قول اندراس في كي مرض الرئة والسعال ·

(الفن ١٨) من قول ذكيانوس في كي الابط المخلع ·

(الفن ١٩) من قول لقمان في كي المعدة عن برد ورطوبات ·

(الفن ٢٠) من قول بباذق في كي الكبد البارزة ·

(الفن ٢١) من قول دادا في كي ورم الكبد بالنار ·

(الفن ٢٢) من قول أفلاطون في كي الشوصة بنار بعود الزراوند ·

---

(١) هذا الملخص وصفه في برنامج خزانة برلين (٥ : ٥١٠) تحت عدد (٦٢٥٤) ·

(الفن٢٣) من قول الكهل في كي الطحال بالنار ·
(الفن٢٤) من قول الكاهن في كي الطحال بوجه غيره ·
(الفن٢٥) من قول بولس في كي الاستسقا الزقي ·
(الفن٢٦) من قول قزما في كي القدمين في حين استسقاء او ماء اصفر ·
(الفن٢٧) من قول زميله في الاسهال ·
(الفن٢٨) من قول ابن التلميذ في كي بواسير المقعدة ·
(الفن٢٩) من قول الحاوي في كي الثآليل بعد قطعها ·
(الفن٣٠) من قول ابن التلميذ في كي الناصور الذي في المقعدة ·

وهكذا عدد الاطباء الذي ائتمّ بآرائهم والكتب التي نقل عنها مثل الحاوي والحاكم ونون ويوناس وحزقيال وسيمون ونورنس ودمنكو البندقي وبولو القبرصي وجرجيس وسلسان الرومي وملا فارس وابي قرة وايلخا وشمشون الجبار والعيس وماهر واقليمنطس وبربز وميانوس وازدشير وجنديسابور (ولعله يريد مستشفاها) واندروماخوس وفاغوس وانوشروان وذور بايوهر وفيثاغورس وابن القفّ وفيقرا وجبرائيل وامين الدولة هبة الله بن جاعل وإليّا وحريز وصهصه الهندي وروفس وذومقراطيس ومقيم وذمطريوس وابن ماسويه و باسا وهيرون والتميمي والمسعودي وعبدالله بن صالح وسفيان الاندلسي والغافقي وحبيش وابي الحسن والبصري والطبري والقمري والدمشقي و يهوذا الهاترني الاسرائيلي ويحيى بن زكري وسيقا والكافي وعبد اللطيف وعلي بن عيسى الكحال والشريف والفارابي والكندي والمغني والزهراوي والمنصوري وجنيد والبرشندي[1] وابراهيم بن المدبر واسحق بن عمران وابي الفرج وعبد الله الاندلسي وابي غانم الشيرازي والحجاج بن يوسف وملك النعمان (كذا) وابن بطلان وحريز الهندي وملك قيصر (كذا) والكوفي وعلي بن سينا وابي حنيفة والفهلولي والهزير وأيوب وعضد الدولة ومحمد الرازي وابن ماسويه وابن ياسر وبهرمان وابن بيان وابن منهالي العذلي وشرف الدين طبيب الملك المسعودي وسليم وسلمون وابن جلجل

(١) الكلمة مضطربة وقد شطبت وكتب محلها بخط حديث (الياس البيروتي) ·

واحمد المالقي العشّاب وابن البلقيني وابن صلاح في بعلبك وسلطان شاه وشيخ الهذيذ وابن هيثم وابي اسحق الاندلسي وابي سهل المسيحي صاحب كتاب المائة وابن رشد وابن المدور وابن الدخوار وابن حراريقو وابن تمام وابن ترجمون بن المنذر وابن جزلة وابن رضوان الحاكمي وابي العلا بن زهر الخ .

وهذه الاسماء تحتاج الى تمحيص اذ فيها تصحيف وتحريف لم نتمكن الآن من مراجعتها وضبطها . فلعل احد أطبائنا يتولى ذلك .

وآخر فصوله (١٦٤) من قول ابي العلاء بن زهر في كسر العظام اذا كانت مع جرح . وصور جبار الفخذ وقال ان اسمها عتلة صغيرة و باليونانية (مرم) .

ومما يهم من تضاعيف مباحثه انه في الفن (١٣٨) من قول بيان (اوابن بيان) في الشق على المرض المعروف بالباقر وهو وجع يحدث في عضو ثم ينتقل الى آخر — ذكر هنا المؤلف قصة امرأة في البادية دعي لعلاجها .

وفي الفن (١٣٩) = من قول ابن بيان في إخراج السهام التي تدخل في أعضاء الجسم وفصل ذلك ، فصوّر الآلات التي تستخدم لذلك وقال : الكلاليب التي تجذب بها السهام تكون أطرافها تشبه منقار الطير قد صنعت كأنها المرود وتنقش مثل المبرد اذا قبضت على السهام او على شيء لم تتركه وقد يصنع منه أنواع كثيرة كبار وزغار (وصغار) ومتوسطة كل ذلك على قدر صغر السهم وعظمه وسعة الجرح وضيقه .

وفي الفن (١٤١) = من قول شرف الدين طبيب الملك المسعودي في فصادة العروق الباقية في الذراع خمسة عروق ... — قال : واما العروق الثلاث التي تفصد في المرفق فهي التي جرت العادة بفصدها في الناس أجمع وفصدها يكون على وجهين اما غرز بمبضع ريحاني عريض او زيتوني الى الدقة . واما شق بمبضع سكيني وهو النشل ثم صورها وذكر في عروق الفصد — الاكحل والقيفال والباسليق والاسليم والصافن والنسا .

والعمليات الجراحية ثلاثة اقسام : (اولها) الكي في كثير من الامراض وبعضها يوصف له الكي في عهدنا و (الثاني) العمليات بالمباضع والمشاريط والمقاريض واشباهها و (الثالث) عمليات تجبير العظام المكسورة والمخلوعة والموثوءة .

اما الآلات فمنها مباضع ومشاريط ومجس الجرح المعروف بالمسبار وزراقات (محاقن) وقاثاطير للتبويل ومكاو عدسية ومسمارية ولكي ابتداء الحدبة وصنانير لاستخراج الدوالي وما ينشب في الحلق ومثاقب لقحف الرأس وعتلة صغيرة لجبار الفخذ وكلاليب لاستخراج السهام ومدافع بلوالب وبلا لوالب لاستخراجها ايضاً ومنقب لثقب العظم ومسعط لقطر الادهان والادوية في الانف وآلات لقطع سبل العين وآلات لجرد الاسنان اي لتنظيفها ومقص وآلات لنشر الاضراس الزائدة ولبرد الاضراس وآلات لقلع الاضراس ولاستئصال أورامها ولقطع اللوزتين واستخراج الضفدع ولكبس اللسان الى أسفل ونحو ذلك مثل منظار الانف وغيره ٠

هذا ما أمكن الآن ذكره عن هذا المخطوط النفيس الذي يجب نشره باللغة العربية مصوّراً حفظاً لأصله وتذكاراً لاسلافنا الذين اعتنوا باشياء كثيرة اعتمد عليها الافرنج ونقلوها عنهم وحسنوها فالفضل لهم لتقدمهم جزاهم الله خيراً عداد حسناتهم ٠

زحلة : عيسى اسكندر المعلوف
من اعضاء المجمع العلمي

مطبوعات حديثة

الاخلاق والواجبات

فطن الاولون منا الى جلالة علم الاخلاق فوضعوا في تهذيبها كتباً جمة الا ان هؤلاء وإن كان لهم فضل السبق وفضيلة التقدم لم يجعلوا كتبهم قريبة المأخذ سهلة التناول بحيث يتيسر لكل احد ان يرتشف من حياضها ، بل احتذى فريق منهم في كتبه او كتابه على مثال الفلاسفة والحكماء . ونسج الآخرون على منوال السادة الصوفية او الفقهاء او غيرهم فأصبحت كتبهم بسبب ذلك قليلة الفائدة بعيدة المنال الا على من ضرب بسهم وافر في تلك العلوم وألم بمصطلحات أهلها ومواضعاتهم .

فحال ذلك بين جمهور الأمة والانتفاع من كتب هؤلاء الأئمة . حيلولة الارض بين الشمس والقمر .

على ان تغير الزمان وفتور الهمم يقضيان بوضع كتب جديدة على نمط جديد تستهوي الافئدة الى الإطلاع على ما فيها من الذخائر والاعلاق وتكون رشيقة الأسلوب جلية المعنى قريبة المأخذ متقاودة الموضوعات ، ملائمة لمدارك الناس ورغائبهم ، ليتأتى الوصول الى الغاية المقصودة منها . وقد رغب السيد ساطع الحصري وزير المعارف السابق في دولة سورية الى الاستاذ الفاضل الشيخ عبد القادر المغربي ان يضع كتاباً وافياً بالغرض . فوضع كتاباً مدرسياً سماه (الاخلاق والواجبات) وقد أودعه من المباحث الشريفة والمعاني الطريفة ما يجمع بين حاجة المعلم والمتعلم واقتصر فيه على اقتباس ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف الا ما جاء عرضاً من أقوال الحكماء مما يلائم الآية او الحديث . وافتتحه بمقدمة اتى فيها على مباحث من القرآن ذكر فيها كيفية ترتيب آياته وسوره . وحفظه وكتابه . وجمعه وتعليمه . وآياته المتعلقة بالأحكام . ثم استطرد الى ذكر إعجازه وبيان المحكم والمتشابه منه . وتفسيره وتأويله . والنسخ والمنسوخ فيه . وعلوم القرآن . وأحوال التفسير في القرون الاولى والمتوسطة والمتأخرة .

وعقب ذلك بمباحث في الحديث . بين فيها علومه . وكتابته وتدوينه . ثم قفى على آثارهما بذكر الأخلاق والواجبات . ثم بذكر الواجبات الشخصية . فالواجبات

العائلية (كذا) . فالواجبات الاجتماعية . فالواجبات الدينية . ثم أتمه بتمة تشتمل على طائفة من الآيات والأحاديث . تتضمن ضروباً مختلفة من الأخلاق والواجبات . وشرح من كلماته مايحتاج اليه شرحاً أماط عن مخدراته اللثام ، وجعلها على طرف الثمام . فجاء كتاباً بديعاً في بابه ، رائعاً في أسلوبه ، يجد الملم به من المباحث النادرة والحكم الوافرة مالايجده في كثير الكتب الضخمة . ولقد سد به الاستاذ الثلمة فجزاه الله خيراً .

والكتاب يقع في نحو ٢٣٠ صفحة من الورق الصقيل الجيد وهو مطبوع في المطبعة السلفية المشهورة بجودة الطبع وإتقانه .

وليس فيه على غزارة مادته ووفرة مباحثه . الا بعض خطيئات ربما كانت من تحريف وقت النسخ . او سهو عند الطبع . من ذلك ص ١٥ ان ابن جرير الطبري توفي سنة ٢١٠ وصوابه ٣١٠ . وص ٢١ ان وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٣ صوابه ١٠١ وص ٢١ ان الخليفة المنصور العباسي حج سنة ١٦٣ وصوابه ١٤٤ وص ٢٢ ان ابن عيينة توفي سنة ١٩٢ وصوابه ١٩٨ ومنه قوله في ص ٢٢ ومن مشاهير علماء الحديث ومشهور لا يجمع قياساً على مشاهير ولم نر من نقله من أئمة اللغة . وقوله في ص ٢٥ (لا يصح ان يقال انه شفوق) والمذكور في كتب اللغة شفيق وشفيق كفرح وسمع . وقوله في ص ٢٦ (يقوم بمعونة الغير عملا) وأل لا تدخل على غير وانما استعملها المولدون . وقوله في ص ٤٦ (بل وترتيب أدواتها) فقد أدخلت بل على الواو . وحرف العطف لا يدخل على مثله . وقوله فيها ايضاً (وهذا بالطبع تشريع له ولأمته كافة) ولم نر من ذكر التشريع بمعنى السن بل يقال فيه شرع شرعاً .

وليس ذلك بضائر هذا الكتاب المترع بالفوائد الجليلة . فهو من خير ماخطته أقلام الكاتبين في هذا الموضوع . وجدير بمن يعنون في امر الامة وبهمهم إعلاء شأنها وتعليم أبنائها وتثقيف أخلاقهم ان يضعوه موضع التداول في معاهد العلم ومجالس الدراسة والمذاكرة .

عضو المجمع العلمي

سليم الجندي

ادب وتاريخ

« تأليف الدكتور محمد صبري أستاذ التاريخ الحديث بدار العلوم طبع في »
« مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة في نحو ٣٤٠ صفحة »

هذا الكتاب أثر من آثار عناية مؤلفه بهذين الفنين ورسوخ ملكتهما في نفسه فالفصلان الأولان منه ضمنهما الكلام على شاعرين هما قطبا الشعر العربي وشيخا شعراء العرب في العصور المتأخرة : محمود سامي باشا البارودي واسماعيل باشا صبري . وسيرة الاول تضمنت وصف صبوته . وصناعته الشعرية . وعلاقته بالثورة العرابية . ومنفاه في سيلان . وآخر ايامه . ثم مختارات من شعره . منها قوله من قصيدته العينية :

(هذه الجزيرة قل لي هل ترى احداً ينأى به الخوف او يدنو به الطمع)
(كانت منازل املاك اذا صدعوا بالامر كادت قلوب الناس تنصدع)
(زالوا فما زالت الدنيا لفرقتهم ولا تعطلت الأعياد والجمع)

والكلام على الثاني تناول ذكر صبوته . وسلامة ذوقه الشعري . وشعره في كهولته . ومختارات من شعره . وبعد إتمام ترجمة الشاعرين على هذه الصورة عقد المؤلف فصلاً خاصاً بتاريخ الحركة الاستقلالية الكبرى في ايطاليا بين سنتي ١٨١٥ — ١٨٤٨م . وبقية الكتاب فصول مختلفة كتبها المؤلف في أزمنة متعددة منها (مولبير) و (بلاغة العرب) و (مهزلة في مأتم) الخ . والكتاب حسن الطبع والورق والتبويب يجدر بكل متأدب اقتناؤه والاستضاءة بنور أدبه . المغربي

كتب ورسائل مختلفة

(١) فصل المقال والكشف عن مناهج الادلة لابن رشد (٥٩٥ ه) و يليهما الرد على فلسفة ابن رشد لشيخ الاسلام ابن تيمية ٧٢٨ ه ص ١٤٣ طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر وتطلب من صاحب ومدير المكتبة المحمودية التجارية فيها .

(٢) « كشكول جمال » الجزء الثالث طبع بالمطبعة الرحمانية (١٣٤٥—١٩٢٧)

ص ٢٤٠ اختيار وترتيب السيد محمد جمال صاحب المكتبة الاهلية في القاهرة وتطلب منه ٠

(٣) تقرير نهضة التعاون الزراعي في مصر بقلم محمود خاطر بك طبع في دار الكتب المصرية ١٩٢٦ ص ٧٠ ٠

(٤) النشرة الشهرية للغرفة التجارية بدمشق لسنتها الخامسة (١٩٢٦) طبعت بمطبعة الترقي بدمشق ص ٣٠٢ ٠

(٥) مجموع رسائل : الاولى اسمها «الرهص والوقص لمستحل الرقص» للامام العلامة الشيخ ابراهيم بن محمد الحلبي الحنفي صاحب ملتقى الابحر المتوفى سنة ٩٥٦ هـ ٠ والثانية في الأبدال والغوث للامام الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعي المتوفى سنة ٦٦٠ والثالثة في الواسطة له ٠ طبعت في المطبعة العلمية بحلب سنة ١٣٤٥ ٠

(٦) المنتخب من شعر ابي شادي ٠ هي مجموعة وقعت في ١٢٤ ص طبعت في المطبعة السلفية في مصر من شعر الدكتور احمد زكي ابو شادي بك ٠

(٧) «الحق القانوني عند الموارنة» بحث حديث قانوني تاريخي انتقادي لم يطرقه احد من أئمة الأمة من قبل تأليف الاستاذ الخورسقف جرجس منش الحلبي احد اعضاء المجمع العلمي طبع في المطبعة المارونية سنة ١٩٢٥ ص ١٢٣ ٠

(٨) مروضة الاسود رواية تاريخية ادبية غرامية بقلم الكاتب الروائي المرحوم طانيوس عبده عني بنشرها السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر ص ١٥١ ٠

(٩) برنامج محاضرات سنة ١٩٢٦ لمجمع الحقوق الدولي في لاهاي وبالفرنسية

Académie de Droit International de la Haye

(١٠) مجموعة المفوضية العليا للجمهورية الافرنسية في سورية ولبنان في الاعمال الإدارية عن سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ و١٩٢١ و١٩٢٢ و١٩٢٣ و١٩٢٤ مع فهرس لجميع المواد مكتوبة بالافرنسية واسمها هكذا :

Recueil des actes administratifs du Haut-Commissariat de la République Française en Syrie et au Liban « 6 vol. »

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : ايلول سنة ١٩٢٧ م الموافق ربيع الاول سنة ١٣٤٦ هـ ٨١

الهجنة في لهجة الحلبيين

لا تخلو بلدة من البلدان المأهولة بابناء يعرب من ان يكون في لهجة اهلها كلمات مولدة والفاظ دخيلة يضطرهم الى استعمالها ارتقاؤهم في سلم المدنية والحضارة . فان من يبحث في معاجم اللغة وينقب عما اشتملت عليه من الكلم المولدة والدخيلة في حالتي جاهليتها واسلاميتها — يتضح له ان ما استعملته الامة من هذين النوعين في حالة اسلاميتها أضعاف أضعاف ما استعملته منهما في حالة جاهليتها لا جرم ان الامر الذي اضطرها الى ذلك لم يكن سوى تقدمها في مضمار الحضارة وتأخرها عن مجاهل الهمجية والتوحش .

على اني لا ارى بأساً من ان يستعمل في لغتنا الدخيل باقياً على عجمته بشرط ان يكون على منهاج لغة العرب اي ان يكون لصيغته في أبنية اللغة نظير يخف لفظه على اللسان وتستحسن رنته في الآذان وهو مايسمى بالمعرب فاذا كان مستوفياً هذا الشرط فينبغي الا يعد عيباً في لغتنا ولا مؤدياً الى إفسادها .

الدخيل في لغات قطان الشرق والغرب غير العرب اكثر جداً مما هو دخيل في لغتنا ومع ذلك لم يعده اهل تلك اللغات مهجناً للغاتهم ولا مؤدياً الى إفسادها ، بل ربما عدوه من جملة محاسنها لانهم رأوا منه في مواطن كثيرة من طرق التعبير عن مقاصدهم — معيناً لكتابهم وأدبائهم على الإفصاح عما يقصدونه من المعاني التي ربما يعتاص الإفصاح بها على غيرهم فهو من هذه الجهة حقيق ان يعد من جملة مزحزحات

الجمود عن قرائح المنشئين وحملة الاقلام وان يعتبر مجدداً كيان اللغة اذا اعتقدنا ان اللغات كجسم الانسان تفني ذراته و يخلفها غيرها وتهن أنقاضه ويعتاض عنها بالجديد ٠

خذ لذلك مثالاً اللغة الفرنسية المعدودة الآن من أعظم اللغات الغربية تهذيباً وتنقيحاً فانك لو فحصت معاجمها لوجدت فيها ما يعد بالمئين من الكلمات الدخيلة عليها من اللغات الأجنبية عنها مابين عربية واغريقية وسكسونية وغيرها ٠ ومثلها بل أعظم منها في ذلك اللغة التركية التي تضم الى معاجمها الوفاً من الدخيل مابين عربي وفارسي وغيرهما ٠ وهكذا تجد حين البحث في كل لغة من الدخيل ماتدهش له ولكن اهلها لا يدهشون منه ولا يعدونه وهناً في لغتهم ولا وصمة عيب في كلامهم ٠

والحق يقال ان أضر ما يكون على اللغة زحزحتها عن أسلوبها وانحرافها عن قواعد علومها اللسانية كالنحو والصرف وعلوم الفصاحة وما اليها من العلوم التي تعصم اللسان عن الخطإ في تراكيب الجمل التي بها يصرح المتحدث بمقصده ويفصح عن مرامه وارادته ٠

فاللغة التركية مثلاً رغماً عن كثرة ما فيها من الدخيل لا تزال لغة تركية مادامت محافظة على أساليب تركيبها ٠ وهكذا يقال في باقي اللغات التي تستعمل المولد والدخيل : إذن فالسلاح الأعظم الذي يحمي ذمار اللغة من الفساد ويصدعنها عيث الدخيل هو المحافظة على أسلوبها والتزام السير في مناهج الكلام على قواعدها في الجمل والتراكيب ٠

وحسبنا نحن العرب خاصة دون غيرنا ما يقف بنا عند هذا الحد ويعصم ألسنتنا من الانحراف عن سنن البيان والتبيين — ذلك السجل المحفوظ ، والسفر الجليل ، والكتاب القيم ، الذي لا يفقد كيانه ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم ٠

« مخارج الحروف »

مخارج الحروف في كلام الحلبيين صحيحة مستقيمة منطبقة على ما رسمه علماء فن التجويد في بيان مخارج الحروف ٠ فهم يخرجون كلا من حرف الجيم والكاف والقاف والشين من مخارجها المنصوص عنها في فن التجويد حاشى بعض العامة من النصارى

واليهود الذين يخرجون القاف همزة فيقولون في قاري مثلاً « آري » كما ان بعضهم يخرج التاء طاءً فيقول في مثل ترى « طرى » او يخرج السين صاداً فيقول في ساعة مثلاً « صاعة » وقد يخرج طائفة من اليهود الضاد والطاء بين التاء والدال فيقول في مثل فضله واعطني « فدله واعتني » وبعض المسلمين الذين يتعاملون مع البدو يخرجون القاف كافاً مفخمة ، فيقولون في مثل قال « كال » والعامة من الحلبيين كغيرهم من قطان البلاد العربية لا يعضون على ألسنتهم بالثاء ، والذال ، والظاء ، فيلفظون الثاء في الغالب سيناً كقولهم في ثم « سم » او تاءً كقولهم في ثقب « نقب » والذال دالاً كقولهم في اذن « ادن » وفي هذا « هدا » والظاء ضاداً كقولهم في الظهر « الضهر » وفي أذّن الظهر « أدن الظهر » وقد يلفظون الزايَ ظاءً دون ان يعضوا بها على ألسنتهم فيقولون في ماء الزهر « ما الظهر » والمستكثرون يلفظون الضاد زاياً مفخمة فيقولون في مثل مريض « مريز » .

« الاعراب في لغة الحلبيين »

الاعراب في لغة الحلبيين مفقود . والفعل المبني للمجهول في الثلاثي يطّرد وزنه عندهم على انفعل فيقولون في مثل ضُرب زيدٌ « انضرب زيد » وحُرم زيدٌ « انحرم زيد » ولا يوجد عندهم المبني للمفعول في الرباعي المجرد والمزيد فيه والمفعول به يقترن باللام غالباً فيقال ضربْ زيدْ لعمرو . والمفعول معه غير موجود في كلامهم بل هم يبدلون عليه بِمَعْ فيقولون في مثل مشينا والجبل « مشينا مع الجبل » و يعتاضون عن المفعول من اجله بكلمة إمْشَانْ او لاجل فيقولون « قمنا امشان تعظيم المعلم اولاجل تعظيمه » . و يعتاضون في الغالب عن الحال بكلمة « عمّالْ » فيقولون « جاء فلان عمال يضحك » و يعتاضون عن أداة النفي للجنس بكلمة « حدا » او بما في معناها فيقولون « مافي حدا في الجيمع » اي لا احد في الجامع . او يقولون بدل حدا « الدومري » ولا يستعملون من حروف النداء سوى « يا » ويلحقون الفعل بضمير الفاعل تقدم عليه ام تأخر فيقولون « اجو الرجيل علينا » جاء الرجال علينا وهذا على حد لغة اكلوني البراغيث . وليس عندهم من الاسماء الموصولة شيء سوى انهم يستعملون بدلها كلمة « إلّلي » للمذكر والمؤنث مفرداً كان ام غيره ويميزون المراد منها بالصلة فيقولون مثلاً

« إللي قام » « إللي قاموا » « إللي قامت » وهذه الكلمة تدور في كلامهم بكثرة لانهم يعتاضون بها عن التلفظ باسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة . وهم يعدون الفعل القاصر بالتضعيف غالباً كقولهم مثلاً « روّح مصاري به » اي أنفق دراهمه . وكثيراً مايدخلون (لم) احدى الحروف الجوازم على الفعل الماضي واكثرمن يفعل ذلك هم صغار كتبة دوائر الحكومة كقولهم « لم ظهر لها قيد في الدفتر » وتاء التأنيث في الاسماء يقلبونها ياء ممالة فيقولون « فاطمي عايشي » اي فاطمة عائشة . والفعل المضارع يبدؤنه بالباء فيقولون « بكتب ، بقرا ، باكل ، بشرب » اي اكتب ، واقرأ ، وآكل ، واشرب . واذا كان المضارع مسنداً الى المتكلمين يبدؤنه بحرف الميم او بحرف الميم والالف معاً فيقولون « منروح » « امنقرا » اي نروح ونقرأ . واذا أريد تمحيص المضارع للاستقبال اعتاضوا فيه عن حرفي السين وسوف بكلمة « بد » فيقولون « بدي اروح » « بدو يروح » اي سأروح ، وسيروح . وكلمة « بد » محرفة عن يود .

« الإمالة »

قال النحويون : الإمالة تسمى الكسر والبطح والإضجاع لانها اصطلاحاً تميل الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء . قالوا والغرض منها تناسب الاصوات وتقاربها لان النطق بالياء والكسرة متسفل منحدر وبالفتحة والالف متصعد مستعلٍ وبالإمالة تصير من نمط واحد في التسفل والانحدار وحكمها الجواز فكل ممال يجوز ترك إمالته واصحابها تميم ومن جاورهم واما الحجازيون فلا يميلون الا في مواضع قليلة اه .

الإمالة في كلام الحلبيين كثيرة جائزة وممتنعة فالجائزة كقولهم « لحيف ، سريج فاطمي ، عايشي » لحاف ، سراج ، فاطمة ، عايشة — والممتنعة كقولهم « قيتل نيفخ » قاتل نافخ . على ان الإمالة في كلام الحلبيين أقل انتشاراً مما هي في كلام قطان السواحل السورية ، فان الإمالة في كلامهم كثيرة جداً جائزة وممتنعة مما يدلنا على ان اولئك القطان هابطون من أصلاب التميميين او ممن جاورهم او تلقى الإمالة عنهم .

« كيف يتصرف العامي في لغتهم »

في لغة العامة كثير من الكلمات التي لا اصل لها في اللغة العربية وانما وضعوها

بوحي من أذواقهم واشارة من ملكاتهم . ذلك ان العامي قد يتصور معنى لا يتمكن من التعبير عنه بكلمة واحدة من مألوف الكلام ومعروفه فيختار للدلالة عليه كلمة كبيرة المبنى اي ذات حروف كثيرة لها رنة في سمعه وفرقعة بلسانه فيستعملها للإفصاح عن المعنى الذي صورته له مخيلته وذلك كقوله «خردع الخيطان» اي حل ملفها فاختلطت ونشبت ببعضها والتفت خيوطها على نفسها وتعقدت وصار يصعب بل يتعذر فكها وارجاعها الى ما كانت عليه .

هذه الكلمة «خردع» لم أظفر لها في اللغة باصل ترجع اليه . انما قد يغني عنها فيما دلت عليه من هذا المعنى الطويل كلمة «زرقل الخيطان» اي نفشها لانه يقال زرقل الشعر اي نفشه او كلمة «امتشق الخيطان» اي جعلها كالمشاقة وهي ما يسقط من الشعر والكتان والحرير عند المشط .

وقد يأخذ العامي كلمة لغوية فيحرف لفظها ويستعملها في الدلالة على معنى آخر غير معناها الوضعي وذلك مثل «چكچك» فيقول چكچك اللبن او العجين اي اشتدت خمرته حتى صار يسمع لفقاقيعه بقبقة . ويقول «چكچت المرأة» اي وقحت في حركتها ومشيتها وكلامها : اخذ العامي هذه الكلمة من كجكجة الحديد او خشخشة السلاح اي صوتها اذا احتك بعضها ببعض او من كشكشت الأفعى اذا فحت اي صوتت .

ومن ذلك ايضاً كلمة «زعل» فيقول فلان صديقك «زعل منك» او هو «زعلان عليك» اي مستاء منك لذنب لم صدر منك لم يلبث ان يزول بعتاب لطيف . او تعنيف خفيف : هذا الاستياء غير الغضب الذي يسعر نار الحقد ويدعو للشكيمة وهي طلب الانتقام . على ان كلمة زعل لها في الوضع عدة معانٍ منها الضجر من المرض والإضطراب فلعل العامي توسع في استعمالها فدل بها على معنى الاستياء المذكور وقد يغني عنها باداء مايقرب من المعنى الذي يريده منها العامي كلمة «ارفأنّ» فان معناها الوضعي نفر ثم سكن وضعف واسترخى وغضبه زال .

ومن ذلك ايضاً كلمة «نزع» يستعملها العامي بمعنى أفسد وأخل الطعام والشراب والثياب والعمل في كل شيء وهي بعيدة جداً عن معناها اللغوي الا ان تكون محرفة عن «نزغ» بالغين المعجمة فان بعض معانيها يقرب من معنى الإفساد والإخلال .

وقد يستخدم العامي لفظة عربية للتعبير عن معنى يكون بينه وبين معناها اللغوي بعض المناسبة وذلك مثل كلمة « دهور » معناها اللغوي · جمع وقذف في الهواء فاستعملها العامي بمعنى اخفى الشيء وبعثره هنا وهناك ·

وهكذا ترك العامي يتحكم باللغة ويتصرف بها تصرف المالك بملكه لا يبالي من عمله هذا أخطأ ام اصاب ·

واني لأعذر العامي على استبداده وتصرفه احياناً بكلمات يعبر بها عن مقاصده — اذ كانت المعاني تخلق وتستجد في نفوس البشر من انعكاس صور المحسوسات المستحدثة على مدارك الانسان من مرائي الكائنات — كثيرة مختلفة لا تتناهى كثرة ولا يقف اختلافها وتباينها عند حد ·

كم من معنى عويص تنعكس صورته المستجدثة من مرائي هذا الوجود على فؤاد الكاتب البليغ والخطيب المصقع والشاعر المفلق فيحاول الافصاح عنه بكلمة فلا يجدها في معاجم اللغة لانها لم تخلق لهذا المعنى الجديد الذي لم يخطر لواضعي اللغة على بال حتى يضعوا للدلالة عليه لفظاً سلفاً وتعجيلاً فيضطرب ذلك البليغ والمصقع والمفلق وتأخذه الحيرة في الأسلوب الذي يريد ان يعبر به عنه فلا يجد له سبيلاً بعد العناء سوى الالتجاء الى الاستعارة والمجاز ليتمكن من الاشارة اليه بل قد يعجز عن بيانه والبوح به لا حقيقة ولا مجازاً فيبقى سراً غامضاً مدفوناً في فؤاده لا يرجو له حياة ولا نشوراً ·

هذا ما قد يكون مع قادة البيان وامراء اللسن والكلام فما بالك بالعامي الذي لا يعرف من اللغة غير ما تلقاه من أمثاله ولا يفقه معنى للاستعارة سوى العارية ولا للمجاز سوى الجائز في الشرع ·

« الهجين في لغة الحلبي العامي »

في حديث الحلبي العامي من مستهجنات الكلم ما يربو عدده على الالفين · وهو على نوعين : احدهما ما هو منتزع من اصل تركي سيأتي الكلام عليه · والنوع الآخر ما هو منتزع من أصل عربي وهو القسم الاكثر · او من أصل أعجمي غير تركي وهو

الأقل . وكلا النوعين مما أغار عليه العامي فأجلاه عن وطنه وحوله عن محتده وتصرف به طبق إرادته وطوع لسانه فزعزع بنيانه وبدل خلقه ومنح صورته بما قذفه به من اغلوطات النحت والتحريف والتصحيف والقلب والأبدال بحيث جعل محـاولة ارجاع البعض منه الى أصله متعسرة ان لم تكن متعذرة .

وهاك بعض الفاظ من هذا النوع كالنموذج خصصناها بالذكر دون غيرها لانهـا كثيرة التداول في كلام العامي حيث يردد صداها في اكثر عباراته فيقول :

(اجا لعنا وراح) جاء عنـدنا وراح وهو تحريف قبيح . (واصطفل و بصطفل) تحريف اصطفى له اي لنفسـه واصطفيت لي . (وايشبدك) ايـ اي شيء تود . (واجفر الماء) اسن من الصقرة الماء يبقى في الحوض تبول فيه الكلاب والثعالب (وحكيت معه بَلا وجا) بالمواجهة و بالوجه . (وفلان بَجَق وَبَجّق) هذى وهذر من فشق او مطق بغير هذا المعنى . وفلان (تبهوق) تصنع بالتعاظم من البهلقـة وهي الكبر والطرمذة والداهية وان يلقاك الانسان بكلامه ولسانه الكذب . (و بخش الدفة) ونحوها ثقبها من (بخص) عينه اي قلعهـا بشحمها . (وتناوق) عليه ، نظره من ثقب ونحوه ، و يغني عن هذه الكلمة (اللوص والملاوصـة) وهو اللمح من خلل باب ونحوه . (وحكش) حفر ، ونظّف درن انفه باصبعه وهي عربية بغير هذا المعنى و يغني عنهـا بمعناها الثـاني فصم اي دلك باصبعه . (وجاقمه) دلع لسانه وحاكاه بالحديث ، وفلان (انجقم) اي أصيب باللقوة من جم التي تؤدي بعض هذه المعاني . (وانجم الطفل وهو مجموم ، أصيب بالزمانة وهي العاهة من جمم . (ودهك العجين) عركه (ودهك المال) أتلفه وبعثره من دهك اي طحن وكسر . (وَدَمّخ) اطرق برأسه ورجل (دُمخ) ومدمّخ ، غبي قليـل المروءة من دمخ اذا طأطأ رأسه . (ودهسه) ، دعسه « قول بعض الصحف دهسته السيارة غلط صوابه دعسته » . (ودهور) المال والشيء ، اخفاه هنا وهناك من دهوره اي جمعه وقذفه في الهواء . (ودربس) الباب ، أوصده بالدرباس اي المزلاج وعربيتـه الشجار . (وشافه) أبصره ورآه من شفته وتشوفته . (وشقشله) نظر اليه كالمعترض عليـه او كالمتعجب فيه او كالكاره له و يغني عنه شنفه لانها تؤدي هذه المعـاني و يقولون شقشل المتاع

اي حمله بين يديه كأنه يزنه من الشقلة وهي ان تزن الدينار بازاء الدينار لتنظر أيها أثقل . وفلان عمل (شماطه) آثار فتنة وشجاراً لعلها من الشماتة كأن المتسبب بها يشمت به أعداؤه . (وطنّش) ، تغافل وتصام لعلها من دنغش اذا نظر وكسر عينيه . و يقولون (طبيل) كنت فعلت كذا كصغر طبل منحوتة من طوبى لي . (وتطحج) في مشيته ، مال ذات اليمين وذات الشمال من الدهمجة وهي اختلاط في المشي الخ . (وطسه) ابصره ورآه ونظره من جسه بعينه احدّ نظره اليه ليستثبت (وطمس) داس في الوحل من التطبيس وهو التطبين . (وفكيج) الجمعية ، فرقها وابطلها منحوتة من فك سياجها . (وتفجاق) تكلم غيرمحتشم من الفجلقة وهي المرآة في الكلام والمشي . (وقفش) في حديثه ، تحدث بما ليس له معنى . (وتقنفش) (وقنفش) تعاظم وعظم ورجل يحب القنفشة اي يحب ان يمدح ويعظم من القنفشة بغير هذا المعنى . (ولقش) حكى وحدث واللقش الكلام والتحدث من نافش والمناقشة (ومكمك) في كلامه ، موه به واخفى الصريح من تكمكم اي تغطى بثيابه او من مغمغ . وهذا الطعام (محِرق) منحرف الطعم وفلان (محق) لايستحسن أدبه (ومشق) معه مزح من ماشق الناس بلسانه بباذيهم . وفلان (نجق) فلاناً ، سكت عنه وأهمله احتقاراً به . (وهودر) عليه أفنعه بالكذب من الهتر وهو الكذب والامر العجيب . (وهيّر) و (تهير) استعد للامر واعد اللازم والهيار الأنقاض المعدة للبناء أظنها سريانية وقد استعملها ابن العبري في كتابه (مختصر الدول) بمعنى استعد . (ووشوشه) همس في أذنه من توشوشوا تحركوا وهمس بعضهم الى بعض .

« الألفاظ الدخيلة في لغة الحلبي من اصل تركي »

هذه الألفاظ في لغة العامي الحلبي كثيرة جداً يمكن ان يؤلف منها معجم يضم بين دفتيه زهاء سبعمائة كلمة ما بين أسماء وأفعال زاحمت لغة الحلبيين والتاثت معها وانتشرت في تضاعيفها لثلاثة اسباب :

« السبب الاول » — بقاء حلب وأصقاعها تحت سيطرة الحكومات التركية مدة ثمانية قرون وخمس وستين سنة ابتداؤها سنة ٤٧٢ هـ وهي السنة التي حكمت فيها السلاجقة هذه الأصقاع مباشرة او بواسطة الدول المتفرعة منها كالدولة الزنكية

والأيوبية وفروعها وانتهاؤها سنة ١٣٣٧ وهي السنة التي انصرمت فيها ايام الدولة العثمانية .

« السبب الثاني » — مجاورة حلب البلاد التركية ككلز وعينتاب ومرعش وتعامل المتجاورين في الاقتصاديات وتزواجهم من بعضهم واقتباس كل فريق من الآخر كثيراً من العادات والتقاليد .

« السبب الثالث » — كثرة الأُسر التركية المستوطنة في حلب النازحة اليها من البلاد التركية كعينتاب وكلز ومرعش وخربوط وازمير وغيرها وهي أُسر كثيرة ما زالت محافظة على نسبتها الى وطنها الاول معروفة به وما برح البعض منها يتفاهم مع أُسرته بلغته الاصلية رغماً عن تقادم عهده بانفكاكه عن وطنه القديم .

واليك بعض كلمات من هذا الدخيل نوردها كالنموذج : يكثر الحلبي من استعمالها لمعانٍ بعضها يوافق معناها الوضعي الأعجمي وبعضها الآخر يخالفه .

أبدأُ بالكلمة الأعجمية على الوجه الذي يستعمله الحلبي ثم اتبعها بتفسيرها الذي يعنيه ثم أذكر اصلها المأخوذة منه : واللفظة التي أُوردها بصيغة الفعل الماضي تكون مستعملة في لغة الحلبي بسائر تصاريفها وما أُورده منها بغير صيغة الفعل يقتصر الحلبي على استعمالها بذلك اللفظ فقط فيقول :

— « انجق » . لكن ، فقط ، بالصعوبة ، بالتكلف ، مثلاً يقول انجق يصل القطار الى دمشق في خمس عشرة ساعة اي بالتكلف ويقول جميع أسعار المأكولات في حلب رخيصة انجق اللحم فان سعره غالٍ اي فقط اللحم او لكن اللحم او الا اللحم .

— « آچق » . مفتوح ، مكشوف علناً من آچيق .

— « آرتق » . حينئذ ، بعد هذا من ارتق .

— « أَلْضَدَه » . غرره ، خدعه من الداتمق .

— « آلش » . اعتاد ، والف من آلشمق .

— « ادبخانه » مرحاض — اوضة ، حجرة ، غرفة من اوتاق .

— أُغُر . يمن ، خير ، لاجل ، يقول الحلبي فلان صباحه أُغُر وسحبت مشقة زائدة في أُغُرك .

— انكري ، انقري . ظرف نحاس مصفح الجوانب تغني عنه مصفح ككرم .
— بالستان . سوق الحراج الذي يباع فيه الأثاث بالمزايدة من بدستان تحريف بز صاتلان اي سوق البز .
— بوظا . السقرقع معرب سكوكة حبشية .
— بطّق . افلس ، توحل ويقولون فلان بطقجي اي يأكل أموال الناس .
— بازركان . غني ، وجيه .
— بخشيش . عطية ، جائزة ، نافلة من باغشيش .
— بالطه . مقراع — بلكون ، طنف ، جناح من بالقون افرنسية — بوّظ . بوّظ الجمعية فرقها من بوزمق — برانصه . كراث رومية — برداغ . صقال ، جلاء من برداخلامق — برواظ . اطار ، حاشية من برواز — بهريز . حمية من برهيز — بولتيكا ، سياسة من بولتيقة يونانية معناها تدبيرالملك — برطاش . اسكفة الباب من برطيق — برنوطي . النشوق المعلوم من برون اوتى اي حشيشة الانف والاتراك يسمونه ايضاً « انفيـة » — بركات وارسن . يعطيك البركة من بركت و يرسن — تازا . ما طبخ وعمل لوقته من الطعـام غير مبيت : اعجمية غير تركية اصلهـا طازه فعربهـا العرب طازج واطلقوها على الطري الصحيح الجيد كالخالص قال في التاج في حديث الشعبي « ما لأبي الزناد يأتينا بهذه الاحاديث قسية و يأخذها منا طازجة » يريد بقسية رديئة و بالطازج السليمة الجيدة النقية الخالصة .
— تنبل . كسول — تَشْـمَـه . مرحاض من جشمه — تقونش معه . تحاور من قونشمق — جرك . افسد ، اخل — جالش . جد ، اجتهد من جالشمق — جبلاق عريان — جاتين . صعب ، عسير من چتين — حجي تيسر . حسب الحاجة من حاجتي ايسر — خاندان . غني من ذوي البيوتات القديمة من خانه دان — دشره . تركه من طشرهاق ويمكن ان يكون من جشره العربية بمعنى تركه — دقماق . مداق — سلطا بقل الخس والهندبا وغيرها من البقول يداف بالخل والملح والزيت و يؤكل لشهية الطعام وهي معدودة من هضُم الطعام جمع هاضوم وهو كل دواء يهضم الطعام وذكرها في التاج بلفظ سلطة وقال انها عامية — سيخ . فارسية وهي السفود — سرايادار الحكومة

وكل دار عظيمة — شوربه · طعـام من الحساء مشهور ولا بأس من ان يسمى بالخزيرة وهي الحساء من الدسم — قُناق · مضيف ، منزل ، مرحلة من قوناق · — قنداق · قماط الطفل ، مقبض الغدارة من قونداق = قازان · الجفنة ، المرجل الكبير = قيمق · القشدة ، الطثرة = قيما · اللحم المخذع او المهروم وبعض الناس يسميه المفروم وهو غلط = قايش · سير من الجلد ويمكن الاستغناء عنـه بكلمة نِسع · = كَزْدَرَ · تجول للنشاط رائحًا جائيًا و يغني عنه كلمة حرجل التي تؤدي هذا المعنى ·

اكتفينا بهذا القدر من هذا الموضوع قانعين بالمهم عن الأهم حتى يروق الجو وتنفك القرائح من عُقلها عاملين بالمثل العامي « العب بالمقصوص حتى يجي الطيار » ·

حلب : **كامل الغزي**

عضو المجمع العلمي بحلب

تصحيح نهاية الارب

« أغلاط الجزء السادس »

رأينا أثر العناية في تصحيح هذا الجزء ظاهراً اكثر مما رأيناه في الاجزاء الماضية · ولهذا كانت الأغلاط التي عثرنا عليها فيه قليلة بالنسبة الى ما في تلك الاجزاء · على ان طائفةً من أغلاط هذا الجزء انما هي من قبيل أغلاط التنضيد · لا أغلاط التصحيح اي انها سهو منضّد لا سهو مصحّح ·

فمن الأغلاط التي عثرنا عليها في هذا الجزء وأمكننا التفطن الى صوابها ماجاء في :

ص ٤ س ٥ قوله : (فهذه الشرعية) صوابه فهذه الشروط الشرعية ·

وفي ص ١١ س ١٤ قوله : (واعلم ان الأعمال جزاء فاتق العواقب وان الامور بغتات فكن على حذر) صوابه : ان للاعمال جزاء ··· وان للامور بغتات ···

وفي ص ١٦ س ١٣ قوله : (وكتب الى الاسكندر) صوابه (وكتب ارسطاليس الى الاسكندر) لان ضمير كتب لا مرجع له ·

وفي ص ٢٠ س ١٠ قوله في صفة الرعية : (فانهم صنفان : إما اخ في الدين · وإما نظير لك في الخُلُق) وقد ضبط (الخُلُق) بالشكل بضمتين وصوابه ان يُضبط بفتح فسكون مصدر بمعنى الخلقة اي ان الرعية ان لم يكن بعضها اخاً للوالي في الدين فانه أخ له في كونه نظيره مخلوقاً لله تعالى فالواجب على الوالي العناية باخيه غير المتدين بدينه كأخيه المتدين به ·

وفي ص ٢٥ س٣ (وأفسح له « اي لمتولي القضاء بين الناس » في البذل ما يُريح علته · وتقل معه حاجته الى الناس) قوله (يريح) بالراء المهملة خطأ وصوابه (يُزيح) بالزاي اذ العلة هنا بمعنى كل ما يشغل بال الانسان ويحول دون مضيّه في عمله · وإزاحتها إزالتها وفي التهذيب (الزيح ذهاب الشيء تقول قد أزحت علته فزاحت) وفي التاج (زاحت علته وأزحتها انا) ·

وفي ص ٤٤ س ٢٠ قول المصحح (جواب لم) صوابه (جواب لو) ·

وفي ص٤٧ س٤ (اني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابي فاعتمد

أيها شئت) ضمير ايها يرجع الى الرجلين وفعل اعتمد اذا تعدى بنفسه كان بمعنى القصد ولا يناسب ان يكون اعتمد هنا بمعنى اقصد · واذا كان اعتمد بمعنى الاتكال على الشخص عدي بنفسه وبعلى فيقال اعتمده واعتمد عليه اي اتكل وكذلك لا نرى هذا المعنى مناسباً هنا فلم يبق الا ان يكون المراد بالاعتماد الاتكاء اي وطن نفسك واتكأ على احدى رجليك ودع التردد · وفعل اعتمد الذي هو بمعنى اتكأ يتعدى بعلى فالصواب هنا ان يقال اعتمد على ايها شئت ·

وفي ص ٥١ س ٢ قول عاصم بن قيس لابن اخيه مذ قتل ابنه (يا ابن اخي أثمت بربك · ورميت نفسك بسهمك ·) قوله (أثمت بربك) خطأ لان فعل (اثم) لا يتعدى بالباء فهو محرف عن (أشمت) من الشماتة · ولعل الاصل أشمت عدوك بك او أشمت بي وبك اي عدونا او نحو ذلك ·

وفي ص ٥٨ س ١٨ قال اشجع :

(يعفو عن الذنب العظيم وليس يعجزه انتصاره)
(صفحاً عن الجاني عليه وليس حاط به اقتداره)

صوابه (ولو أحاط به اقتداره) ليكون مدحاً اي ان الممدوح يصفح عن الجاني ولو كان قادراً على الانتقام منه اما قوله (وليس حاط به اقتداره) فيفيد انه يصفح وهو غير قادر وهذا قدح لا مدح فضلاً عما فيه من قبح التركيب اللفظي ولذلك قلنا ان صوابه ولو الخ ·

وفي ص ٦٢ س ٧ قوله : (ولأم بك شعث الأمة) صوابه (شعب) بالباء الموحدة وهو الصدع والشق : ويقال (لأم الصدع) اذا شده وجمعه و(التأم شعبهم) اذا اجتمعوا بعد التفرق · و(تفرق او شتّ شعبهم) اذا تفرقوا بعد الاجتماع · اما الشعث بالثاء المثلثة فيستعمل مع فعل (لمّ) المضاعف فيقال (لمّ الله شعثكم) اي جمع أمركم و(لمّ الله شعث فلان) قارب بين شتيت اموره · ويقال في الدعاء أصلح الله من حاله ما انشعث · والحاصل ان فعل (لأم) يستعمل مع الشعب والصدع · وفعل (لمّ) مع الشعث · فالموافق لكلام البلغاء هنا ان يقال (لأم بك شعب الأمة) او (لمّ بك شعث الأمة) ·

وفي ص ٦٤ س ١٥ :

(وما نقتل الأسرى ولكن نفكّهم اذا أثقل الاعناق حمل القلائد)

صوابه (حمل المغارم) لأن هذا البيت من أبيات المناقضات الميمية التي جرت بين فرزدق وجرير مذ نبا سيف الفرزدق عن عنق الرومي وقد أراده سليمان بن عبد الملك على قتله فعيّره جرير بقوله :

(بسيف ابي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم)

فأجابه الفرزدق بالبيت السابق وبعده :

(وهل ضربة الروميّ جاعلة لكم ابًا من كليب او أخًا مثل دارم)

وفي ص ٨٦ س ٣ :

(رعى سركم مستودع القلب والحشا شفيق عليكم لا تخاف غوائله)

قوله (رعى سركم) لا معنى له فلعل صوابه طوى سركم مستودع الخ اي كتمه وأخفاه في مستودع . ومستودع منصوب على الظرفية .

وفي ص ٨٩ س ٣ قال ابو العتاهية مذ حجب على باب بعض الهاشميين :

(لئن عدت بعد اليوم اني لظالم سأصرف وجهي حين تُبغى المكارم)

صوابه (حيث تبغى المكارم) اي أوجه وجهي الى الجهة التي تطلب فيها المكارم .

وفي ص ١٠٠ س٣ قوله : (فان ظهور الارتياب مجشة للقلوب) قال المصحح المجشة (بالجيم) هي الرحا . نعم هي بمعنى الرحا ولكن لاتناسب إرادة الرحا هنا فالصواب (محشة) بالحاء المهملة . وهي حديدة تحرك بها النار لتشتعل وهي اسم آلة من حش النار أوقدها بدقاق العيدان . فمعنى محشة للقلوب انها توقد فيها نار الغضب أو الحقد .

وفي ص ١٠١ س٣ (تطنّف نفسه الى المحقرات) اي أشرفت وتطلعت اليها كما فسره المصحح فصوابه إذن تطنفت بتأنيث الفعل .

وفي ص ١٠٨ س١٢ قوله : (فربما اعترف «الملك» بالحق فوفّى . ورق بالصبر فكفّ) صوابه (فعفّ) مكان (فوفّى) اي ان الملك المتجني على وزيره اذا رأى من ذلك الوزير صبراً واحتمالاً فربما اعترف بحقه ورق قلبه له فعفّ عن أذيته . وكفّ عن البطش به .

وفي ص١١٩ س١٦ (سببه وجود من هو أكفأ منه · فيراعي حال الاكفأ · فان كان فضل كفايته مؤثراً الخ) قوله (كفايته) يدل على ان مراد المؤلف بكلمتي (أكفأ) و(الاكفأ) من الكفاية المنقوص لا من الكفاءة المهموز · واستعمال المهموز من الخطإ المشهور كما أشار اليه المصحح الفاضل في تعليقه وعلى هذا فتكون كتابة (أكفأ) بالهمز من خطإ الناسخ ويكون الصواب ان تكتب هكذا (أكفى) و (الأكفى) ·

وفي ص١٢٠ س٢ قوله : (الأكفاء) صوابه (الأكفياء) لما أشرنا اليه آنفاً من ان المؤلف أقام قرينة على انه لا يستعمل المهموز وهو (الكفاءة) في مثل هذا المقام وانما يستعمل (الكفاية) المنقوص وقد استعملها مراراً حتى بعد سطرين منذ قال (سببه ان يخطب له من الكُفاة) ولم يقل الاكفاء · اللهم الا ان يكون أراد بقوله (الاكفاء) الأقران والنظراء المماثلين · وأظنه بعيداً : لان الكلام في صدد عزل العامل المقصّر وتقديم الاكفى منه لا تقديم كفئه ومماثله ·

وفي ص١٢٠ س٥ (فربما تخرّص بها الباذل لرغبة في العمل) قوله (تخرص) بالمعجمة اختارها المصحح وقال ان الاصل (تحرص) بالحاء المهملة ولا معنى لها بخلاف (تخرص) بالمعجمة فمعناها الكذب والافتراء · اقول ربما كان الاصل هو الأصوب اذ معنى (تحرّص) بالحاء المهملة تكلف الحرص فالذي يبذل المال لاجل الوظيفة يكون فيه زيادة حرص ورغبة في احتجانها او ان معنى (تحرّص) تحين اي ترصد الوقت يقال (فلان يتحرص غداء القوم وعشاءهم) اي يتحين وقتها و يترصده فيدخل على القوم · و باذل المال في طلب الوظيفة انما يتحين الوقت المناسب فيبذل ماله · بل ربما كان الأصوب (تخرّق) بالقاف يقال فلان يتخرق في البذل وفي النفقة بمعنى انه يبذل المال و ينفقه عن سعة · ولا جرم ان هذا هو شأن طالب الوظيفة الذي يريد ان يقلع غيره منها و يحل محله فيها ·

وفي ص١٣٢ س١١ (ونتحرّز من غرور المتشبه وتدليس المتصنّع) يقال تشبه فلان بفلان اذا ماثله وجاراه في العمل · ولا معنى له هنا الا على تكلف وصوابه (المتشبع) بالعين وهو المتكثر وفسره التاج بقوله (التشبع التكثر وهو التزين باكثر مما عنده يتكثر بذلك · و يتزين بالباطل ومنه الحديث (المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي زور) اي المتكثر باكثر

مما عنده يتجمل بذلك كالذي يُرى انه شبعان وليس كذلك اه و يؤيده قوله بعده «المتصنع» فيتم التسجيع ·

وفي ص ٢٣٣ س١٣ (اقتصر في أعوانك بحسب حاجتك اليهم ولا تستكثر منهم الخ) (اقتصر في أعوانك) صوابه (من أعوانك) اي اتخذ منهم بقدْر حاجتك بدليل قوله (ولا تستكثر منهم) ·

وفي ص ١٣٤ س٩ قوله : (فتكون من وفائه على غَدْر) صوابه على غرر والغرر الخطر · والمعنى انك تكون على غير ثقة ولا يقين من أمر وفائه لك ·

وفي ص ١٣٥ س١ قوله : (اونالك فيها زلل فتستدرك منه ما أمكن) صوابه (اونالك فيه) كما يقتضيه السباق واللحاق ·

وفي ص ١٣٧ س٣ (إختر لاسرارك من تثق بدينه و كتمانه وتسلم من إذاعته وإدلاله) قوله (وتسلم) صوابه (تسلم) من دون واو جواباً للامر كأنه يقول ان اخترت الثقة سلمت من إذاعة سرك · ولا معنى من معاني (إدلاله) يناسب هنا فصوابه (إعلانه) فيصبح مزاوجاً لقوله (كتمانه) ويتم بهما السجع ·

وفي ص ١٣٩ س٢ (ولا تضجر على صاحب الحاجة وقد امّلك ولا تنفر عليه اذا راجعك) قوله (امّلك) ضُبط بتشديد الميم من التأميل وهو حسن ولكن الأحسن منه والأبلغ في المعنى ان يكون بتشديد اللام من الإملال اي الاضجار يعني لا تضجر وان ألح عليك صاحب الحاجة بالطلب الى حد ان أضجرك · وقوله (ولا تنفر عليه) صوابه عنه يقال نفر عنه اذا صد عنه وأعرض عنه ·

وفي ص ١٦٩ س٥ ذكر المؤلف وصية عمر لسعد بن ابي وقاص مذ أرسله الى القادسية من ذلك قوله له (و ترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشّمهم مسيراً يتعبهم ···· فانهم سائرون الى عدوّ مقيم حامي الأنفس والكراع ···· حتى تكون لهم راحة يجمّون فيها أنفسهم) فسر المصحح (يجمون انفسهم) بقوله (يتركونها لترتاح وتقوى) وهو حسن لكنه غفل عن (حامي الانفس والكراع) فلم يصححها وصوابه (جامّي) بالجيم وتشديد الميم بعدها ياء الجمع على كون (عدوّ) مراداً به الجمع او(جامّ) بالافراد على كون(عدوّ) مراداً به المفرد · وهو من جمّ الثلاثي كأجمّ الرباعي اذا ترك ليرتاح كما قال المصحح في تفسير(يجمّون)

ويقال جمّوا اذا استراحوا وفي حديث ابي قتادة (فأتى الناسُ الماء جامّين رواء) اي مستريحين قد رووُا . وهذا المعنى هو المراد هنا كما لا يخفى أما (حامي) بالمهملة فلا شيءَ من معانيه يناسب هنا .

وفي ص١٧٦ س١٠ (وكان مالك بن عبدالله الخثعمي وهو على الصافّة يقوم في الناس الخ) فسر المصحح (الصافّة) بقوله (هم الجماعة تقام وتصفّ للحرب) لكن المعروف في اللغة ان (الصافّة) الإبل تصف قوائمها و (الصافّات) الطير تصف اي تبسط أجنحتها ولا تحرّكها و(الصافات) ايضاً الملائكة يقومون على مراتبهم في السماء صفوفاً كما يصطف المصلون هذا هو استعمال (الصافّة والصافّات) في كلام العرب ولا يطلقونها على جماعة الجند المصطفين للحرب وان كانت مادة الكلمة واشتقاقها قد يُساعد على هذا التفسير . وصواب (على الصافة) إذن (على الصائفة) وهي غزوة الروم في زمن الصيف : فقد كان الخلفاء وملوك حلب يعدون جنوداً لغزوهم في ذلك الفصل لتعذّر غزوهم شتاءً لشدة البرد والثلج في بلادهم وكثيراً ما اطلقوا (الصائفة) و(الصوائف) على نفس الجنود الغزاة . واذا قالوا ولّي الخليفة فلاناً على الصائفة او الصوائف أرادوا انه ولاّه رئاستهم وامر قيادتهم ويؤيد ما قلنا قوله بعد ذلك (فكانت الروم تسمي مالكاً الثعلب) وقول مالك نفسه (اني دارب بالغداة درب كذا) والدرب كل مدخل الى بلاد الروم . ثم ان قوله (دارب) فيه نظر لانه يقال (أدرب) القوم بالهمز اذا دخلوا الدرب لغزو الروم ولم يسمع درب فهو دارب ثلاثياً .

وفي ص ١٩١ س٨ (وموشيّة بالبيض والزُغْف والقنا) ضبطت (الزُغف) بضم الزاي وصوابه فتحها . جمع بلفظ المفرد . وهي الدرع السابغة او اللينة .

وفي ص١٩٢ س٩ (غناء صليل البيض تحت المناصل) ضُبط (البيض) بكسر الباء على انه جمع أبيض وهو السيف وصوابه فتح الباء وسكون الياء جمع بيضة وهي بيضة الحديد تُلبس على الرأس تقيه مواقع السيوف وسميت بيضة تشبيهاً لها ببيضة النعام . والمناصل السيوف .

وفي ص١٩٣ س١ (كأن نهار النقع أثمد عينه) صوابه مثار النقع وهو ظاهر .

وفي ص١٩٦ س٤ قال في صفة حرب : (ومطعن هدتها . ومزعج واقعتها .

وفظيع روعتها) لعل صوابه (ومطن هدتها) اذ الهدة الصوت الشديد كصوت وقوع حائط اوصخرة . والمطن من الطنين وهو الصوت الذي يدوي الى بعيد ومنه القصيدة الطنانة التي لها شهرة وصوت في كل بلد اما المطعن بزيادة العين فلا معنى له هنا .

وفي ص ٢٠٠ س ١ (وأعدّوا لهم مااستطعتم من قوة) وفسّر النبي (ص) (القوة) بقوله : (ان القوة الحصن ومن رباط الخيل الحجورة) وقد ضُبطت كلمة (الحِصن) بكسر فسكون لكن يظهر من مقابلته للحجورة وهي إناث الخيل انه يريد بالحصن جمع حِصان وهي ذكورها فالواجب إذن ضبط (حُصُن) بضمتين ككتب في جمع كتاب نعم ان (الحصن) بكسر فسكون قد تكون بمعنى الخيل مطلقاً ذكوراً وإناثاً وتكون بمعنى السلاح ايضاً لكن كلا الاستعمالين مجاز و يستبعد ان يكونا مرادين هنا لما ذكرنا من مقابلة (الحصن) بالحجورة .

وفي ص ٢٠٢ س ٤ (الأغلف السيف اذا كان في غلافه) ضُبط (غلاف) بضم اوله كغراب وصوابه بكسر اوله ككتاب .

وفي ص ٢١٩ س ٧ (قطّره) اي طعنه (فألقاه على قطريه وهما جانباه) صوابه فألقاه على (أحد قطريه) لان الالقاء على القطرين معاً غير متصوّر . وفي القاموس وشرحه (قطّره فرسه ألقاه على قُطره اي جانبه وشقه . وكذا طعنه فقطّره اي القاه على تلك الهيأة) .

وفي ص ٢٢٥ س ١٠ : يعدد المؤلف أسماء القوس ونعوتها من ذلك قوله (مُسْحِنة وهي الحسنة المنظر) ولقد راجعت في كتب أمهات اللغة كالصحاح واللسان والقاموس وشرحه فلم أرهم ذكروا ان القوس توصف بكونها (مسحنة) فمن اين جاء المؤلف النويري بهذا الوصف ؟ وبعد انعام النظر تبين لي ان المؤلف تصحّف عليه (الفرس) (بالقوس) فان صفة (مسحنة) انما هي من صفات الفرس لا من صفات القوس : جاء في الصحاح (فرس مسحنة حسنة المنظر) وفي اللسان (جاء الفرس مُسحناً اي حسن الحال والانثى بالهاء تقول جاءت فرس فلان مسحنة اذا كانت حسنة الحال حسنة المنظر) ومثل ذلك في القاموس وشرحه . ومسحنة من (السحنة) وهي الهيأة والحال . فعدّ المؤلف (مسحنة) في صفات القوس خطأ ناشئ عن تحريف كلمة الفرس بالقوس .

وفي ص ٢٣١ س ١٤ قوله : (جُمّاع سهم مدوّر الرأس يتعلم به الصبي الرمي) صوابه (جماح) بالحاء المهملة لابالعين وقد ذكرت صواباً في الصفحة التالية سطر ١٧ ·

وفي ص ٢٤٢ س ١٧ :

(مضاعفة يغشى الأنامل ريعها كأن قتيرها عيون الجنادب)

هذا البيت غير مستقيم الوزن ولعل أصله هكذا :

(مضاعفة يغشى الأنامل ريعها قتائرها تحكي عيون الجنادب)

و (القتائر) جمع قتير كما في التاج و (القتير) رؤوس مسامير الدرع ·

وفي ص ٢٤٧ س ٣ قوله في صفة الرمح : (له النسب العالي في المعالي والمُرّان) صوابه (العوالي) مكان (المعالي) وهي من أسماء الرماح لتزاوج (المُرّان) فانها من صفات الرماح ايضاً اي ان ذلك الرمح اذا نُسب كان في الذروة من أنساب الرماح اما (المعالي) فلا تلتئم بالمُرّان على انها من صفات الناس لا من صفات الرماح ·

وفي ص ٢٤٧ س ٩ قوله في صفته ايضاً : (اذا توغل في هامة الجبّار سار وأوجف · ومتى استوطن جثة الجرم أوهى مبانيها وأشرف) صواب (الجرم) (المجرم) لتقابل الجبار · وصواب (أشرف) (أسرف) بالسين المهملة اي جاوز الحد وأفرط ·

وفي ص ٢٦٦ س ٢ قوله : (كان الفرس) صوابه (كان ملوك الفرس) بدليل قوله بعد في الإخبار عنهم (وكانوا ينتصبون لذلك « اي للنظر في المظالم » بانفسهم في ايام معلومة لايمنع عنهم من يقصدهم فيها) وهذا من شأن الملوك كما هو ظاهر ·

وفي ص ٢٧٠ س ٨ (فاذا نظر في المظالم من انتدب لها) ضُبط (انتدب) بالبناء للمجهول · وصوابه ان يبنى للمعلوم : اذ يقال ندَبه فانتدب فهو مطاوع لازم ولم يجئ انتدبه متعدياً حتى يصح بناؤه للمجهول ·

وفي ص ٣٠٦ س ١٤ قوله : (بتصوير ذوات الأزواج) صوابه ذوات الأرواح وهو ظاهر ·

المغربي

الموازنة

بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٣ =

ولما كنت أوضحت اعتقادي في الشيخ ابن القارح ايضاً ، فلا بأس من تعزيزه في هذا المقام .

قال ابو العلاء في تضاعيف جوابه : واما شكواه اليّ فانني وإياه لكما قيل في المثل « والثكلى تعين الثكلى » كلانا بحمد الله مُضِلّ فعلى من نحمل وعلى من نُدِلّ ... ثم انه لم يترك اسم ملحدٍ او زنديق في المخضرمين والاسلام الا ذكره له مع أبيات او قصائد هي أبلغ ماقالوه في عقيدة كفرهم وإلحادهم ، ثم قال بعد ذلك : ولم يزل الإلحاد في بني آدم على مرّ الدهور .. وبعض العلماء يقول ان سادات قريش كانوا زنادقة وما أجدرهم بذلك وقال شاعرهم يرثي قتلى بدر :

(ألمّتْ بالتحية ام بكرٍ   فحيّوا امَّ بكر بالسلام)

الى ان يقول: (الا من بلغ الرحمان عني   باني تاركٌ شهر الصيام)

(أيوعدنا ابن كبشة ان سنحيا   وكيف حياة اصداء وهام)

(أتترك انْ تردّ الموت عني   وتحييني اذا بليت عظامي)

ثم يقول : ولما أجلى عمر بن الخطاب رحمة الله عليه اهل الذمة عن جزيرة العرب ، شق ذلك على الجالين ، فيقال ان رجلاً من يهود خيبر يعرف بسمير بن ادكن قال في ذلك:

(يصول ابو حفص علينا بدرّةٍ   رويدك ان المرء يطفو و يرسب)

(كأنك لم تتبع حمولةَ ماقطٍ   لتشبعَ ان الزاد شيءٌ محبَّبُ)

(فلو كان موسى صادقاً ما ظهرتمُ   علينا ولكن دولةٌ ثم تذهبُ)

(ونحن سبقناكم الى اليمن فاعرفوا   لنا رتبة البادي الذي هو اكذبُ)

(مشيتم على آثارنا في طريقنا وبُغيتكم في ان تسودوا وتُرهبوا)

وكقوله بعد ذلك : واما غيظه على الزنادقة والملحدين فأجرَه الله عليه كما أجرَه على الظما في طريق مكة واصطلاء الشمس بعرفة ومبيته بالمزدلفة ... وكثير مثله قبله وبعده .

فاذا نظر الناقد في ما تقدم بعين لا يطرفها الرياء ، وحكّم رأياً لا تتجاذبه الاهواء يجد لا مندوحة عن القول معنا في مذهب الشيخين ، وقد ورد في الامثال السائرة : من أحب شيئاً اكثر من ذكره : وهذا هو شأن ابي العلاء في هذه الرسالة وسواها .

ونرجع الى الكلام عن الرسالة ، فان أهم ما يُنتَقد عليه فيها ، حشوها بلفظ كثير من غريب اللغة وعويصها ، حتى ليحتاج العالم معه الى مراجعة المعاجم الكبيرة ، وقد يفسر بعض اللفظ في خلال الجملة ، مما يفقد الكلام كثيراً من فكاهته ، على اننا ننتقد على الرجل صنعه ونحن في القرن العشرين ، وبيننا وبينه عشرة قرون ، وانت لست تجهل ان لكل عصر طريقة من التعبير ، وضرباً من الانشاء يألفها اهله ، كما أوضحنا ذلك في غير هذا المبحث[1] . ثم ان الرسالة أنشئت لغرض مخصوص فلا ينكر على منشئها إغرابه فيها وكلها عجيب في عجيب وكأنه قصد فيها المشاكلة التامة .

اذ لما كانت المخاطبة في أغلبها مع شعراء الجاهلية ، فقد لا يخطئ الظن اذا قلنا انه أراد ان لا يكون لفظه بعيداً عن ألفاظهم ، لاننا نرى شعره في سقط الزند بل في نفس اللزوميات ، من اكثر شعر ذلك العصر وضوحاً ، مع انه مقيد بالوزن والقافية ولزوم ما لا يلزم وحصر المعنى في جمل محدودة ، وقد يكون أراد الإفادة بذكر الكلم العويص وتفسير اكثره كما فعل ، وانت تعلم ان معاجم اللغة (وقد كانت قليلة جداً) وكتب علومها ، لم تكن متيسرة لاكثر محبي العلم وطلابه في تلك القرون .

وعلى الجملة فان الرسالة قد جمعت من بدائع الابتكار ، وبدائه الخيال ، ودقائق التصور ، وغرائب التشخيص ، ومحاسن التصوير ، ولطائف الانتقال ، وروائع المنظوم ، وإشارات الى كثير من العلوم والفنون والاستقصاء في شاذ اللغة وغريبها ، والتبحر

(١) انظر كتابنا منهل الورّاد في علم الانتقاد .

في عقباتها ورحيبها ، طائفة وافرة ، وفوائد باهرة ، فلا تكاد تنتهي من حسن حتى يبدو لك ما هو أحسن ، ولا تمر بفكاهة حتى تقع على ماهو أطيب منها وأفكه ، ولا بغريبة حتى تقرأ ماهو منها أغرب ، فلا بدع اذا ما تناقلها الركبان وتهاداها أهل كل زمان ، و باتت حليَ الاذان في كل مكان .

ولا ريب في شيوعة رسالة الغفران منذ عهد مؤلفها وتداولها بين أهل المغرب ، ولا سيما اهل الاندلس ، وكان يحكمها لذلك العهد ، ملوك الفضل وبدور السعد بنو عبّاد ، ثم حكمها بعدهم يوسف بن تاشفين قال التميمي في تاريخه « فانقطع الى امير المسلمين من الجزيرة من اهل كل علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار » وذكر أسماء طائفة كبيرة من الأعلام .

ثم حكمها بنو عبد المؤمن قال التميمي في كلامه عن ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن « ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الاندلس والمغرب ويبحث عن العلماء وخاصة اهل علم النظر الى ان اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب . وكان ممن صحبه من العلماء المتفننين ابو بكر محمد بن طُفَيل احد فلاسفة المسلمين ، قرأ على جماعة من المحققين بعلم الفلسفة ، منهم ابو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجه ... ولم يزل ابو بكر هذا يجلب اليه العلماء من جميع الأقطار .. وهو الذي نبهه علي ابي الوليد محمد بن رشد ...

واذا علمت ذلك ان مؤلفاته ومؤلفات من سبقه من كبار فلاسفة العرب ، قد ترجمها الى اللاتينية او الى العبرانية ومنها الى اللاتينية علماء اليهود من العرب في الاندلس ، وان الاندلس كانت منذ وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٩١٢ م (سنة ٣٥٠ هجرية) منتجع العلوم ومحط رحال العلماء من كل صقع ، وكان لا يظهر كتاب علم اوديوان شعر لنابغة من نوابغ العرب في المشرق الا تهاداه اكابر الاندلس وعلماؤهم واستنسخوه وتداولوه ، واذا علمت ان الامم الافرنجية كانت تأخذ العلوم عن إسلام الاندلس منذ القرن العاشر ، اي قبل وفاة ابي العلاء بخمسين سنة . قال في موسوعات العلوم الفرنسوية الكبيرة ما تعريبه :

قد عرف أمم اوربا يومئذ « اي عند مخالطتهم عرب الاندلس » أنّ من كانوا يزعمونهم برابرةً ، هم أرقى كعباً في المعارف من اوربا المسيحية ، وانه يجب الإقرار طوعاً او كرهاً ، بان العرب كانوا يعرفون فنون السلم كمعرفتهم فنون الحرب ، وان مدرسة قرطبة التي طبّقت شهرتها الآفاق ، قد تخطت بغاية السرعة جبال البيرينيه ، فسار اليها احد الشمامسة من اهالي اوفيرن وهو المدعو جيربير ، فأخذ العلوم عن الاسلام ولم يكن ذلك ليصدّه عن الارتقاء الى عرش البابوية باسم سيلفستر الثاني ، ثم قام بعده بثلاثة قرون باكون احد مشاهير العلماء في القرون المتوسطة فنصح وافر النصح بتعلم اللغة العربية بعد ان درسها هو . ومن أقواله المأثورة : ان الله يحب الحكمة لمن يشاء ولم يرَ ان يهبها للاتين وان الفلسفة لم تكمل منذ أقدم العصور الا على دفعات ثلاث ، وذلك عند العبرانيين ، واليونان ، ثم العرب : وفيها ايضاً . ثم قام بعده ببرهة من الزمن البابا اكليمندوس الخامس فأمر بتدريس العربية في مدارس باريس واكسفورد وبولونيا وسلامنك ، ومما لا ريب فيه انه كان قد ترجم كثير من الكتب العربية وانما الضعف اخذ بخنقها فتعاورتها الاغلاط ، لانها ترجمة عن اصلها ترجمة حرفية دون تضلع من العلم اوخبرةٍ في النقد ، وذلك بان يضع المترجم الكلمة اللاتينية تحت اللفظ العربي ، وعندما كان يفوته فهم الاصل العربي ، كان يدعه دون ترجمة ، وكم من كتاب نشر باسم استاذ في احدي المدارس يومئذ ولم يكن له فيه سوى اسمه ، بيد انه وجدت كتب أخرى كان حظها من حسن الترجمة أوفر ، وتلك باقلام بعض متنصرة اليهود ... وقال بعد ذلك : فقد رأيت كم كانت أنوار المعارف التي أنارت المشرق شديدة الضياء ، وان ماوصل منها الى عالمنا الغربي ، لم يكن الا شفقاً من ذلك النور ، اذ انه لم يصل الينا الا عند تراجع العرب وانحطاطهم واضمحلال دولهم : انتهى محصل ماورد في الموسوعات الكبيرة المذكورة .

فاذا علمت ذلك كله ، لن يبقى في نفسك سبيل الى الشك في ترجمة رسالة الغفران في جملة الكتب الى اللاتينية . وقبل ان نرى في الموازنة بين رسالة الغفران والألعوبة المشهورة بالألعوبة الالهية لدانتي شاعر الطليان ، يجدر بنا ان نلم شيئاً من ترجمته كما فعلنا ببسط شيء من ترجمة المعري للموازنة بينهما .

ولد دانتي الليجييري في مدينة فلورنسا سنة ١٢٦٥ اي بعد وفاة ابي العلاء بمئتين وثمان سنين ، ومات سنة ١٣٢١ في السادسة والخمسين من عمره ، ولم يمر على وفاته خمسون سنة حتى تداخلت ترجمته الخرافات ، وتعاورتها ألسن الجماعات ، ثم لم تزل تتلقف وتتكاثف ككرة الثلج حتى أواخر القرن الخامس عشر .

غير ان ذلك لم يقف في طريق المحققين ، فقد بحثوا ودققوا وأطالوا الاستقصاء ، فأماطوا الاستار عن كثير من أحوال الرجل ومزقوا براقع الخرافات ، التي نسبها اليه الرواة ، حتى عده العامة بعد وفاته ببضع سنين ، في مصاف الاولياء ، وجعله بعضهم في منزلة الشياطين .

وجملة خبره انه من أسرة لها في وطنها مقام معروف وان لم تكن عريقة في المجد ، وقيل انه تجند سنة ١٢٨٨ للدفاع عن وطنه وحارب فيمن حارب من قومه ، وأهم حوادث شبابه كان عشقه الذي خلد تذكاره في شعره المعنون بـ « الحياة الجديدة » وفي سنة ١٢٩٥ تزوج وولد له ولدان وبنتان في سبع سنين ، وعقيب زواجه اشتغل بالسياسة ووجه اليها كل قواه تابعاً حزب أسلافه ، ولم ينل منصباً سامياً كما جاء في الروايات التي تحلت بها ترجمته السائرة : قسطاكي الحمصي

كتاب المنذر

هو كتاب لطيف الحجم غزير المادة وضعه الاستاذ الشيخ ابراهيم المنذر في نقد بعض أغلاط الكتاب الواردة في منثورهم ومنظومهم وألحق به اقتراحه بشأن انشاء مجمع علمي لغوي في جمهورية لبنان وجميع مانشره الكتّاب في صحف بيروت تأييداً له او تفنيداً لرأيه وقد قدم كتابه هذا الى المجمع العلمي العربي بمناسبة انتخابه عضواً فيه . فالمجمع تقبل ذلك منه شاكراً له وقد رأى ان ينشر القسم الذي يتعلق بنقد الاغلاط من ذلك الكتاب في مجلة المجمع لما فيه من الفائدة لابناء الضاد .

من عثرات الأقلام « مداركةُ الخطر وملافاةُ الامر ومناولةُ الطعام ومعاطاة المهنة ومظاهرةُ الشعب ومقاضاةُ الدين » .

ولا يقال (فاعَلَ) في ذلك بل (تفاعَلَ) والصواب في المصدر تداركُ الخطر وتلافي الامر وتناول الطعام وتعاطي المهنة وتظاهر الشعب وتقاضي الدين .

« راق له وأمكن له وتعهد له وشكا منه وحرمه منه واعتاد عليه وتعود عليه وأمضى عليه ووقع عليه وعلا عليه وساد عليه وفاق عليه وأدمن عليه وامل به ومسّ به والتقى به وقبل به وحدا به وازدرى به و باشر به واعتقد به وكلفه به » .

وكل ذلك خطأ لان هذه الأفعال تتعدى بنفسها لا بالحرف فيقال راقه وأمكنه وتعهده [1] وشكاه وحرمه اياه واعتاده وتعوده وأمضاه ووقعه وعلاه وساده وفاقه وادمنه واملهُ ومسه والتقاه وقبله وحداه وازدراه و باشره واعتقده وكلفه اياه .

« وصلهُ ووردهُ الكتاب وأهداه وسلمه واداه الشيء واحتاجه ورغبه ورجاه وفوضه بالامر » .

والصواب : وصل اليه وورد عليه وأهدى اليه وسلّم اليه وادّى اليه واحتاج اليه ورغب فيه ورجا منه (الشيء) وفوّض اليه الامر .

***

(١) اي تفقده واذا شاء المحالفة فيقول : عاهده على كذا .

« خطب مريع وحادث مرعب وطعام مقيت وخبر مسرّ وانا مشعر به »
والصواب : رائع (ومروّع) وراعب وقائت وسارّ وشاعر .

« اشهار السلاح وإملاء الفراغ وإهاجة الخواطر وإنهاك القوى واحناء الرؤوس والفات الانظار » والصواب : شهر السلاح وملء الفراغ وهياج الخواطر ونهك القوى وحنوُ الرؤوس ولفت الأنظار . لانه متعدٍ بنفسه مجرداً لا بالهمزة .

« تقدير الفضل وتوقيف المجرم وتصليح المختل وتشكيل الدولة » .
والصواب : قدر الفضل ووقف المجرم واصلاح المختل وتنظيم الدولة .

« انعكف واندحر واندهش وانذهل وانخذل وانطرح وانشغل » .
والصواب : عكف ودحر ودهش وذهل وخذل وطرح وشغل بالمجهول .

« افتهم واختشى واقتبل واحتار » ولم يسمع افتعل من هذه الأفعال .
والصواب : استعمال المجرد منها ، فهم وخشي وقبل وحار .

***

« مُلام ومُساق ومُصاغ ومُرام ومُحاك ومُعاق ومُصان ومُقال ومُساد — ومهاب ومشاد ومقاس ومخاط ومدان ومباع » بضم الميم . والصواب : مَلوم ومَسوق ومَصوغ ومَروم ومَحوك ومَعوق ومَصون ومَقول ومَسون (في الواوي) ومَهيب ومَشيد ومَقيس ومَخيط ومَدين ومَبيع (في اليائي) بفتح الميم في الجميع .

« نصوح وجلود وشفوق وصبوح ورحوم (من الرحمة) وطموح وعقوق ووريث ووفير ونخيم وعذب (بفتح فكسر) . والصواب : نصيح وجليد وشفيق وصبيح ورحيم وطامح وعاقّ او عُقق (بضم ففتح) ووارث ووافر ونخم وعذب (بالسكون فيهما) .

« غيور وصبور وشكور وقنوع وعجول وغدور وجسور » بالجمع : غيورون وصبورون الخ . والصواب : جمعها على فعل (بضمتين) لان وزن فعول بمعنى الفاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث ولا يجمع سالماً بل مكسراً : غير وصبر وشكر وقنع وعجل وغدر وجسر .

« نوايا وقرايا وقهاوٍ وعوائد وحوائج واوامر وفعائل وخصائل ونسائم

ومشائخ[1] ونواد ووديان وعربان » جميع نيه وقرية وقهوة وعادة وحاجة وامر وفعل وخصلة ونسمة وشيخ ونادٍ ووادٍ وعرب . والصواب : نيات وقرى وقهوات وعادات وحاجات وامور وفعال وخصال ونسمات وشيوخ واندية واودية واعراب .

* * *

« مخابرة الجريدة ومداخلة الاجانب ومداولة الحديث ومكانفة القوم ومبارحة الديار ومداهمة الحوادث » . والصواب : مفاوضة الجريدة وتدخل الاجانب ومبادلة الحديث ومعاونة القوم اومكانفتهم (بالنون) و براح الديار ودهم الحوادث (من المجرد فيهما)

« استقلّ ، استعدّ ، استحقّ ، اغترّ ، احتجّ ، احتلّ ، استبدّ ، استردّ ، استدلّ » عند اتصاله بضمير الرفع المتحرك : استقلّيت واستعدّيت واستحقّيت الخ .

والصواب فك الادغام كالمجرد فيقال : استقللت ، استعددت ، استحققت ، اغتررت ، احتججت ، احتللت ، استبددت ، استرددت ، استدللت .

« خجالة المرء ، تعاسة الحظ ، فداحة الخطب ، حراجة الموقف ، طياشة الصبي ، نقاهة المريض ، خطارة الداء ، دماسة الطعام ، بهاظة الضرائب ، ضمانة الحياة » .

وكل ذلك خطأ والصواب خجل ، تعس ، فدح ، حرج ، طيش ، نقه ، خطر (اوخطورة) ودسم ، بهظ ، ضمان .

« رسم الدخولية ، جرم اللصوصية ، قوة الشبوبية ، سوء المفهومية ، قانون الممنوعية ، وقوع المغدورية ، فرط المحسوبية ، حكم المشروطية ، شدة المسؤولية .

---

(١) مشايخ (بالياء) جمع مشيخة ومشيخة جمع شيخ واوامر بالمعنى المعروف جمع (آمرة) وهي مصدر ايضاً لا جمع امر في الاصح اما حوائج فقد ورد استعمالها قديماً كقول الشاعر :

(نهار المرء امثل حين يقضي حوائجه من الليل الطويل)

وهو شاذ نادر كما شذت (شدائد) و (ضرائر) جمع شدة وضرة لان فعلة لا تجمع على فعائل .

والصواب : رسم الدخول ، جرم السلب ، قوة الشبيبة ، سوء التفاهم ، قانون المنع ، وقوع الغدر ، فرط الدالة ، حكم الدستور ، شدة التبعة (بفتح فكسر) .

* * *

« مكائد، مضائق، مخائل، مصائف، مصائد، معائب — ومغائر، منائر، مفائز، منائح » . والصواب : مكايد، مضايق، مخايل، مصايف، مصايد، معايب — ومغاور ومناور، مفاوز، مناوح (بالياء في الاولى والواو في الثانية لانها أصلية) وشذت مصائب (والاصل مصاوب) حتى قيل ان همزة مصائب من المصائب .

« حضرات الاعضاء من ذوات البلاد » والصواب : حضرة الاعضاء من أعيان البلاد — لان للاعضاء جميعاً حضرة واحدة ولا معنى للذوات هنا .

« في ذات الجريدة وذات العدد ولذات الكاتب ايضاً » ولا يؤكد بالذات بل بالنفس والعين وذلك بعد الاسم المؤكد لا قبله . والصواب : في الجريدة نفسها والعدد نفسه وللكاتب نفسه ايضاً . قال ابن مالك .

(بالنفس او بالعين الاسم اكدا مع ضمير طابق المؤكدا)

وكثيراً مايكتبون (عامود) بالالف على وزن (فاعول) ويجمعونها على (عواميد) مثل خازوق خوازيق — وكأنهم جمعوا بينهما بالوزن قياساً على وجه الشبه بينهما (بالطول) في حين ان عمود على وزن (فعول) وجمعها عُمُد وأعمدة .

* * *

(مخابرات الجريدة باسم صاحبها ورئيس تحريرها) مكاتبات او مفاوضات الجريدة باسم صاحبها ومنشئها او رئيس كتابها .

(التنويه بخطة مجلتنا) يقال نوّه به اي رفع ذكره وعظمه ولعل المقصود : التصريح بخطة المجلة .

(مافي هذا المقال من المعائب) المعايب بالياء لانها اصلية .

(من أدباء هذه البلد) هذا البلد — لانه مذكر (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه) .

(صوت دوي في الارجاء) لم يستعمل العرب دوى الثلاثي بهذا المعنى بل استعملوا الدويّ وهذا من نواقص اللغة التي يجب ان تصلح ·

(يقرب الام الى بعضها) يقرب الام بعضها الى البعض الآخر ·

(وليقل القسس مايشاؤون) القسوس لان وزن فعل بالفتح لا يجمع على فعل (بضمتين)

(من غير ان يؤذي احداً او يسيء مخلوقاً (يسوء مخلوقاً او يسيء الى مخلوق ·

(يعهد اليه ما سوى ذلك) يعهد اليه في ما سوى ذلك ·

(الجيد المحفوظ من الاول أقل بكثير من الجيد المحفوظ من الثاني) لا معنى لكلمة (بكثير) هنا ولا توصف القلة بالكثرة وهي من تعابير العامة والصواب : أقل جداً او قليل جداً بالنسبة الى الجيد المحفوظ من الثاني ·

* * *

(أعاب ذلك عليهم) لم يسمع وزن أفعل من هذا الحرف والصواب عاب الثلاثي ·

(اذا كان العروض مفيداً او غير مفيد) اذا كانت العروض مفيدة لانها مؤنثة ، واذا قصد بها علم العروض فيجب ذكر (علم) لانه لا يقال اذا كان الفلسفة مفيداً على تقدير علم الفلسفة ·

(كما وان المصور الايطالي) كما ان — بحذف الواو ·

(احد المتضلمين في هذه اللغة) المتضلعين من هذه اللغة لان تضلع معناه امتلأ وهو يتعدى بمن ·

(سيما ما كان منها ترجماناً) ولا سيما · ولا يجوز استعمالها بدون لا ·

(يعرف المتشرع قيمة السنن) المشترع لانه يقال اشترع لا تشرع ·

(عسى داعي اللقاء موجباً شكري) استعمال خبر عسى اسماً مفرداً غير وارد الا شذوذاً · والصواب يوجب شكري ·

(واثناهما بين يديه) لا تصح هذه الاضافة في الاثنين ولم تجيء في الاستعمال · والصواب وكلاهما بين يديه ·

(الديوان الواقع في اربع مجلدات) اربعة مجلدات — لان المفرد مذكر ·

(يسير بسرعة على رغم كثرة العقبات) على كثرة العقبات او مع كثرة العقبات — بحذف رغم ·

(لاحظنا على الكاتب قوله) اخذنا الكاتب بقوله ·

(وتبقى تلك الاساءة درءً ثقيلاً ينوء تحته ابناء البلاد) · لا معنى للدرء هنا والصواب عبئاً ثقيلاً — اما الدرء فهو العوج ·

* * *

(لتحصيل اودهم) لتقويم اودهم — لان الاود معناه الاعوجاج وهو يقوّم لا يحصل ·

(من يطعمه ويكسيه) ويكسوه (بالواو) واستعمال الرباعي منه غير فصيح ·

(يعتريني الكلال أحياناً) الكلال وزن فعال ولم يسمع المصدر (فعل) بفتحتين من كلّ ·

(تجاوب بالحانك سرادق الغابة) السرادق مفرد مذكر وهو الفسطاط الذي يمد فوق صحن البيت ولا يصح معناه هنا والصواب : تجاوب بالحانك جوانب اواصداء الغابة ·

(سمع هذا القول فلم يتمالك نفسه) فلم يملك نفسه او فلم يتمالك — بحذف (نفسه) لانه لازم ·

(فاقت سؤرة الفرح فيه حدة الغضب) : سوْرة بالواو وهي الشدة والعلامة اما السؤرة (بالهمز) فهي البقية من الشباب ·

(ورجا قرينته ان تذهب) ورجا من قرينته ان تذهب — لان رجا لا يتعدى الى مفعولين بل يقال رجا الشيء من الشخص ·

(على ما ذكرنا في الصحيفة السادسة) في الصفحة السادسة — لان الصحيفة تطلق على الورقة كلها اي الصفحتين السادسة والسابعة معاً ·

(ما اعتلى منبر الخطابة الا وفتن العقول) : الا فتن العقول — بحذف الواو وقد ورد مثل ذلك للبغدادي حيث يقول :

(ما آب من سفر الا وأزعجه عزم على سفر بالرغم يزمعه)

والاولى الا أزعجه ·

* * *

(مافيه من سذاجة وبساطة) : حبذا لو حذفت (سذاجة) لان ما بعدها يغني

عنها وهي كلة غير عربية ومخالفة لفصاحة المفرد بتنافر حروفها (سذاجة وساذج وسذّج) فلا يستقيم لفظها ·

(ليس ذلك بصعب المفتهم) : الفهم بدل المفتهم — لانه لم يسمع وزن افتعل من هذا الحرف ·

(انهكتها الشيخوخة) نهكتها — من الثلاثي — ومتى أمكن استعمال الثلاثي فصيحاً فلا يعدل عنه الى غيره ·

(ترغي البرود وتزبد الرعود) لا تصح هذه الاستعارة والصواب تومض البروق وتعصف الرعود ·

(ضم الى جنبيه مصراعي الباب وتأبط بها) : وتأبطها — لانه يتعدى بنفسه ·

(سهي عن بالي دفع المال) : سهوت عن دفع المال ·

(والناقد بذاته نسب اليه ذلك) : بنفسه او بعينه ·

(طبع على نفقة الجريدة) : انفقت الجريدة على طبعه — لان الانفاق يكون على الطبع لا الطبع على الانفاق · ولو قيل : طبع بنفقة الجريدة = اصح ·

(بين معاطاة راح ومداعبة ملاح) : بين تعاطي راح — لان وزن (فاعل) من هذا الحرف لا يتم به المعني المراد · « للبحث صلة »

ابراهيم المنذر

تبدل الحياة البيتية

« في الشرق الاقصى[(١)] »

هاهي ذي رائحة الإصلاح تملأ فضاء الشرقين الادنى والاقصى ، ولكن الحياة فيهما تتغير بالرغم من ذلك تغيراً بطيئاً . ان انتشار الفكرة القائلة بلزوم التغيير انتشاراً واسعاً سيؤدي حتماً الى حدوثه ولكن الى اي حد ينتهي ؟ وفي اية ناحية يسير ؟ يسيح مفكرو الشرق في الاقطار الغربية ويعكفون على مطالعة كتب الغرب ويبحثون في كل مكان رجاء ان يكشفوا أسرار الرقي والعظمة والفلاح .

« الطائر الازرق » عنوان قصيدة لماترلينك الشاعر البلجيكي الذائع الصيت جاء فيها ان ولدين راحا يبحثان عن (طائر السعادة الازرق) فاخذا يتنقلان في الأمصار ، فلم يبلغا قطراً الا قيل لهما انه طار الى قطر آخر . قاما بدورة حول الارض ، فوجدا نفسيهما أخيراً في موطنهما دون ان يعثرا على الطائر . واشد ما كانت دهشتهما حين دخلا بيتهما ووجداه يرفرف مغرداً قرب مدفأتهما . كثيراً ما عن لخاطري ان هذه الحكاية صادقة تنطبق كل الانطباق على كل ما نصبو الى امتلاكه من الاشياء العظيمة الصالحة التي تنقطع في البحث عنها مسافات شاسعة على حين هي قريبة جداً من ايدينا .

انتن الشرقيات تنظرن الى الغرب طلباً للرقي والنجاح ، والنجاح التام ليس في تقليدكن الغرب بل في تمسككن بالقديم الصالح . عليكن ان تنظرن الى غرب أبعد — الى اليابان والصين — حتى الى الهند — واذا استأنفتن ارسال الطرف الى غرب أبعد فأبعد وجدتن انفسكن أخيراً هنا ايضاً !

ان اميركا بسبب مابذلته من الجهود الكثيرة في اكتشاف الحقائق العلمية والقواعد الصالحة في التربية والتعليم تدخر لكن مثائل نافعة تقدر ان تفيدكن بها . ولكن في

---

(١) المحاضرة التي القتها الاديبة الآنسة فروسين درويك سمث في ردهة المجمع العلمي بطلب من رئيسه وترجمتها الفاضلة الآنسة ماري عجمي صاحبة مجلة العروس للسيدات الحاضرات فقرة اثر فقرة .

تقليدكن إياها في بعض الامور — في الجود والرفه والإسراف في القوى — خطراً عظيماً عليكن . ان نجاحها نشأ من غزارة مواردها الطبيعية الفياضة فيضاً لا يعتريه نقص ولا ونى . وقد أثرت مزايا الاميركيين هذه في نفوس الغرباء عنهم تأثيراً بالغاً على حين ان العالم القديم بعجز عن مجاراة العالم الجديد في التدبير ، او يكون تقليده إياه سائقاً له الى هاوية الهلاك .

مع هذا ان ماذكرت من مزايا اميركا لم يتقرر عقم فائدته بعد تقريراً نهائياً ، لان اميركا جديدة لم تتعد بعد طور التجربة ، ولكن يقال ان مصير أبناء الغنى الى الفتور وقعود الهمم . وهذا رأي له معنى خاص في هذه البلاد جرياً على رأي من قال ان أحسن مزايا العرب نتيجة تأثير فقر جزيرة العرب وشح الماء فيها وأشعة الشمس المحرقة وجدب الصحراء الجائر ، فالأمم باخلاقها وليس من ثروة حقيقية لبلاد غير أخلاق سكانها .

لو استطعتن السياحة في انحاء المعمور ، لو استطعتن انفاق الاعوام العديدة في استقراء كل حضارة وجدت واشتهر امرها في العالم ، لكنتُ واثقة من انكن ستنتهين الى ان سبب تقدم تلك الحضارة والناحية التي سلكتها للوصول اليها لم يقفا على وفرة صادراتها وغزارة مواردها وتدفق أنهارها اوسعة طول هذه الانهار وعرضها لم يقفا على مقدار ما في مستودعاتها من الزيت والحديد ، بل على أخلاق تلك الامة ، على وفرة من فيها من رجال ونساء رفعوا لواء العدل والتساهل والشرف عالياً !

لذلك كان شطر النساء من الاشتغال في تقدم حضارة البلاد جليل القدر لان كونهن أمهات قد جعلن ربات القول الاول والاخير في تكييف أخلاق ابنائهن . ينفق الرجل معظم أوقاته خارج البيت سائحاً باحثاً عن المبتكرات ، وتنفق المرأة معظم اوقاتها في البيت في تربية أولادها وتشجيعهم على الامور الصالحة وحثهم على التمسك بالقديم ، واني ولئن كنت أتمنى ان تتاح لكنّ السياحة فلا أجد في طوقكن وانتن أمهات انفاق الزمن الطويل عليها ، اذن تكون الأمومة هي العامل في صيانة النظم والعادات القديمة التي ثبت نفعها بالتجربة والتي من شأنها تهذيب الاخلاق ، واذن تكون الابوة هي العامل في التغيير والابتكار . فاذا قدرتن ما في الشرق من الصلاح قدره ، ووفيتنه حقه من

الاخلاص والاحتفاظ به ، ادخرتن لبلادكن مستقبلاً عظيماً وخدمتن العالم خدمة جليلة ٠

اجد فيّ ميلاً للاعتقاد بان في ارسالكن أبنائكن لطلب العلم في الاقطار الغربية شططاً فاحشاً ٠ فان طلبة العلم في الصين يعودون الى بلادهم ليجعلوا أعلاها سافلها ، لقد أحدثوا اضطراباً في جو الحياة واضرموا وقوداً جديداً من شأنه ان يزيد عثار الامة وكبوتها بدلاً من إخماد ثورتها ، ولو جمع الصينيون المال الذي ينفقونه على تعليم اولادهم في الغرب اربع سنوات ، لكان المجموع كافياً ان يستأجروا به أمهر اساتذة العالم ، ولصار التعليم اكثر ملاءمة واتم انطباقاً على حاجة الصينيين وأقوى على حل مشاكلهم ٠ اما والحالة هذه فان الطلبة يعودون من الغرب محاولين اطراح كل قديم ، فمثلهم في ذلك مثل من يضرب الجدار الحجري برأسه وحين يبدو لهم عجزهم عن تغيير الحالة ، يقعون من جرائها في يأس شديد وينقطعون الى التراخي ٠ معرضين عن كل انواع الجهاد ٠ ان في الشرق متانة راسخة لاتتزحزح عنها ٠ ان فيه توازناً شديداً لا يدرك له مدى ٠ استمر عصوراً عدة فليس في الامكان ان يتغير سريعاً ٠ وليس في الامكان ان يقلد اميركا باسرافها وإفراطها ٠

لقد كمنت في قلب الصيني آية ارسطو الذهبية طويلاً تلك الآية التي سادت ايضاً سائر انحاء العالم القديم وهي عليك بالاعتدال في كل الامور ، فانه اقرب السبل الى بلوغ الكمال — لقد تمكنت في نفس الصيني هذه الآية حتى لا تستطيع قوة ان تشن الغارة عليها ٠ والحق ان ليس ثمة من قوة تقدر ان تحدث تغييراً سريعاً في جوهر الآداب الصينية مهما يكن من الجهد المبذول ، ومهما يكن شأن الوسائل التي يتذرعون بها ٠

لقد اخذ الشباب الصينيون بمهاجمة جوهر آدابهم يضربونه ذات اليمين وذات اليسار ، فأفضت مساعيهم الى عاقبة جديرة بالاعتبار ، لقد كان نقدهم نظام العائلة القديم امرّ ماهالوا من النقد ٠ فشوشوا حالته ، وشددوا عليه النكير ، فاضطرب جو العائلة ، فنجم من جراء ذلك استحالة ترقية روح الاستقلال واحترام النفس اللذين هما من ألزم الصفات لمن يريد ان يعيش تحت لواء الحكم الديموقراطي ٠ فشق الامر على آبائهم الذين رأوا ابناءهم يعيشون كالنبات الذي يمتص غذاء غيره وصعب عليهم اعادة

السكينة الى نصابها ، وبعبارة أُخرى ان نظام الأُسرة بما فيه من روح الأَنفة ، التي هي أضمن للنسل والشرف ، قد تزعزع بعد ان كان هذا النظام في الصين ثابتاً ثباتاً وطيداً عجيباً كنا نرى معه مملكة الصين المؤلفة من ٤٠٠ مليون نسمة عائشة تحت نظام يضارع أحسن النظم مع انها في الواقع خالية من حكومة ، وكان من شأن تلك الحركة التي أثارها الشبان ان فترت العزائم ، وادى ذلك الى الغاء كثير من اعمال البر .

لقد اخطأ القائلون ان عبودية المرأة واعتبار كونها دخيلة على الرجل صدرت من الشرق . ما من خطإ يستطيع ان يحجب الحقيقة او يقدر على نفيها . لقد نشأ هذا الاعتقاد في كل انحاء العالم — اثر طروء احوال مختلفة — فليس هو حقيقة اهتدى اليها الانسان بالفطرة ولا هو حقيقة لانه انتشر بين القبائل التي تعيش على الفطرة . تلك القبائل التي ندعوها همجية بربرية لانها تعامل النساء معاملة الدخيلات . وعلى العكس فان منشأه التخمة التي أُصيبت بها بعض الامم من الإفراط في المدنية . على حين نرى رتبة المرأة في الامم العائشة على الفطرة والتي تضطرها الحال الى مقاومة العناصر الطبيعية ، تعادل مكانة الرجل لانها تساويه في القوة وتشتغل بما يشتغل به وحسبنا دليلاً على ذلك ان مكانة نساء القرى وغيرهن من طبقة الزارعين مساوية لمكانة الرجال وهم يعاملونهن معاملتهم لانفسهم الا في الاماكن التي تسرب اليها الاعتقاد بعبودية المرأة بواسطة الاحتكاك باهل الطبقة المتمدنة المترفهة . فإذن ليس من اثر لعبودية المرأة الا في البلاد التي يعتقد اهلوها بان للنساء حقاً في الوجود ، لا باعتبار كونهن مخلوقات بشرية ، بل باعتبار انهن ادوات لذة للرجال وآلات لانتاج الاولاد .

وتأييداً لذلك ألفت انظاركن الى حالة نساء العصر الحاضر في الشرق ، فهن مجردات من حقوقهن السياسية كأخواتهن الغربيات الا منذ قليل . ولكن اعتبار المرأة دخيلة حالة وقتية ستزول وليس حالة حقة ولا ثابتة . وحين نفكر في قضية حرمان المرأة هذا من حقوقها لا يجوز لنا ان ننسى بان الرجل كان مثلها محروماً من حقوقه الا منذ آن قصير . ان حق التصويت لم يعط للرجال عامة في اليابان الا في هذه السنة . وكثير من الدول لا تبرح تضن به على الرجال ، وليس فوز الانسان بحقه السياسي الا حادثاً جديداً في عالم التاريخ الذي لو استقرأناه لوجدنا فيه الحق للقوة لان الحاكم العاتي

كان يعول في تنفيذ احكامه على العنف والقهر · لوجدنا فيه ان بعض الامراء الاشداء النافذين لم ينالوا حقهم ولم يعترف لهم الملك بامتيازاتهم الا بعد جدل طال اجيالاً كثيرة في القرون الوسطى ، ثم قامت بعدهم الطبقة الارستوقراطية مطالبة الملك ان يعترف لها بحقوقها فما نجحت الا بعد كر العصور ثم نهضت على آثارهم الطبقة الوسطى فاقتضى تأييد حقها ايضاً قروناً ثم ثار الرجال واخيراً لحقت اثرهم النساء في الزمن الاخير وسبب عاقتهن هذه هوانقطاعهن الى المهام المنزلية و تربية الاطفال وعدم تدربهن على السياسة ومزاحمة الرجال لهن عليها ·

اما عبودية المرأة الحقة فهي مابرح شائعة في الغرب لسوء الحظ بين الغنيات اللائي فسدت آدابهن · فهن كالنباتات الطفيلية تعيش بامتصاص غذاء غيرها · وهن على الغالب يعرضن عن ولادة الاطفال · و يعشن عبدات لشهواتهن المادية وقدأدى بهن ذلك الى صيرورتهن عبدات للرجال الالي يمتعوهن بتلك الشهوات · كثير من المشرقيات لسوء الحظ يزعمن ان في مثل هذه الحياة حرية اوسع من الحرية المشتملة عليها حياة تقضى بالعمل والتمسك بالواجب · الا انها حياة قذرة مجللة بالخزي والعار حيثما وجدت شرقاً كان او غرباً ·

وشر انواع هذه العبودية المنتشرة في العالمين الجديد والقديم هي عبودية المرأة العامة — العاهرة — فان امرها في الشرق معروف ، لا يسترها ذلك الرياء الذي تتنكر به العاهرة في الغرب · الا ليس يحق لامة ان تعتبر نفسها متمدنة ما دامت تتساهل بوجود هؤلاء النساء وتغض الطرف عنهن · فلتضع نساء العالمين ايدي بعضهن بايدي بعض · وليعملن على إزالة هذا العار وتحرير بنات جنسهن من هذا الخزي المعيب ·

يحترم الصيني اسلافه احتراماً فائقاً يبلغ حد العبادة و يسمي سلفه خطأً بالمعبود ، و يضع لوحة الأم بجانب لوحة الأب بعد موتها ، وللام في حياتها السلطة الواسعة والنفوذ الشديد ، و يظل اولادها كباراً وصغاراً مذعنين لحكمها حتى وفاتها · ليس مشهد والدة عجوز ضئيلة الجسم قصيرة القامة منحنية الظهر تضرب ابنها بالعصا وهو في سن الرجولة على مشهد من القوم وهو عاجز عن الدفاع لا يأتي بحركة بالمشهد الذي تراه كثيراً · لان العادات الصينية تقضي على الابن ان يتحمل من أمه كل شيء ،

وقد كان في الصين عادة قديمة تقول بان يعرض الآباء اطفالهن الاناث للعناصر الطبيعية ليقضين نحبهن . هذه العادة هي سبب امتهان قدر المرأة الواحد ومصدر معاملتها السيئة كما ان الضغط الاقتصادي الذي يساعد على نشر هذا الاعتقاد في كل بلاد يحل فيها هو السبب الآخر . واذا شئنا ان نقس درجة هذا الضغط الاقتصادي فقدرن فقر بلاد مضنكة كثيرة عدد السكان كالصين لا تتعاطى فيها البنات عملاً ما ولا يقدرن على اضافة شيء من الربح الى رزق الأسرة تجدن ان ليس ثمة من اللياقة ان نتخذ الضغط الاقتصادي الذي أدى الى امتهان قدر المرأة دليلاً على عبوديتها . ان في تاريخ الصين ذكر نساء تولين ادارة الاحكام وكانت آخرهن الامبراطورة دواجر التي اشتهرت بشدة النباهة والمقدرة العظيمة وعظم تعلق رعيتها بها .

يظهر ان رتبة نساء اليابان ادنى من رتبة ازواجهن . تمتاز اليابانية باللين واللطف والرشاقة . وتنحصر الغاية من تهذيبها في ان تصير محبة جذابة قادرة على خدمة زوجها . شهد كثير من السياح ان اليابانية افضل نساء العالم . وانها غرة ما ابدعته الحضارة اليابانية من الغرر . ولكن عشرتها مملة لا نلبث ان نسأمها سريعاً ، لانها على ما يظهر لا تفكر بشيء البتة ، وتقضي حياتها كالاطفال بين هذيان سخيف وثرثرة تافهة سواء أكانت خارج بيتها او في خلال قيامها على تدبير منزلها . ولكنها مع هذا شديدة التمسك بالواجب . وربما كانت المرأة في الطائفة اليابانية الساموراية المعروفة ببسالتها اشد احتفاظاً اليوم بالسنن القديمة من رجال قبيلتها . تتناقل الالسنة في اليابان روايات كثيرة . تخلد فيها ذكر نساء قمن بتضحية اجسادهن دفاعاً عن اولادهن وبلادهن . ولهذه القصص تأثير عظيم في العقول ومعظمها لا يخلو من المبالغات وهي ملء دواوين الشعراء . ولو تجردت هذه القصص من ترديد القول بان كل امرأة من اولئك المصلحات الشهيدات فادت بنفسها في سبيل الحصول على غرض نبيل لامكنها ان تؤثر في انفسنا وتقوي على الامنا والفوز باعجابنا . ولكن اثرها السيء يعمل في نفوس بنات البلاد ولا سيما بنات القرى . فانهن لا يأنفن من بيع اجسادهن بدافع الفقر . فيعشن عيشة ملطخة بالعار زعماً منهن انهن يقمن بواجب نبيل وهو سد عوز أسرهن .

اما سبب ضعة مكانة المرأة اليابانية حتى اليوم فترجع في الاصل الى شدة تمسك

الياباني بالقديم . ولزوم المفاداة والمحافظة على الواجب هما ككل الافكار القديمة التي تحرص عليها النساء اكثر من الرجال . وقد قامت اليابانيات عموماً اليوم بنهضة يلحفن فيها في طلب حقوقهن وامتيازاتهن وهي رمز الى تقهقرهن ودليل على فساد آدابهن اكثر منها دليلاً على ارتقائهن لانهن لايميزن بين الحرية المنظمة وغير المنظمة . ان الحرية أعظم النعم قدراً ، ولكن ينبغي ان تكون منظمة لا يطلق فيها العنان للأهواء ، وفي الامكان ان ترتقي اليابان وغيرها من الشعوب لا بتجريد نسائها من حاسة التمسك بالواجب بل باعادة الرجال اليها .

كنت هناك على اتصال شديد باشرف أُسرة في اليابان وهي الثانية بعد البيت المالك وقد تزوجت فتاة هذه الأُسرة منذ عام بولي عهد اليابان فأصبحت الآن الامبراطورة العتيدة ، وهذه الفتاة تدعى الاميرة كوني وهي فتاة ضئيلة الجسم خاسفة الوجه تذكركن رؤيتها بزهرة تعيش في منزل مغلق حار تعيش في معزل عن الناس عيشة السجينات كأن أهلها يزعمون ان ليس بين الطبقة الارستوقراطية من يستحق شرف الحظوة بعاشرتها . ويخيل لمن يراها انها تؤثر الموت حرقاً على تغيير ملامح وجهها . وكثيراً ماعنّ لي عند رؤيتها ان النساء العصريات المهذبات تهذيباً عالياً قد فقدن شيئاً لايثمن مع شدة افتتانهن بالحرية وما نلنه من الرفعة .

مكانة المرأة في كوريا أدنى منها في عامة أقطار العالم التي زرتها . وعلى حين لايشتغل الرجال — حتى الفلاحين منهم — بعمل ما فهم يسيئون معاملة زوجاتهم ، ويعاملونهن معاملتهم للوحوش الضارية ، ولاتلقب البنت عندهم منذ ولادتها حتى موتها باسم غير الرقم فيقولون المرأة (رقم واحد) والمرأة (رقم اثنان) الخ على ان مدنية كوريا لاتُعد من المدنيات الراقيات بل هي من أحط أشكال المدنيات .

اما مكانة المرأة في الهند فهي وضيعة جداً لاترجى لها رفعة لاسباب كثيرة . وسبب ذلك تتابع الحروب فيها وما نجم منها من البرحاء . والافراط في الحرب احد الاسباب الباعثة ايضاً الى استعباد المرأة لان القضاء يتولى فيها حمايتهن ويزيد اهتمامه بمراقبتهن الى حد ينتهي غالباً الى استعبادهن تقريباً . وهناك سبب آخر وهو اعتبار النساء أدوات لذة للرجال ، وهو اكثر انتشاراً في الحرب منه في السلم لان العواطف تكون

في زمن الثورة في اضطرام والملذات في نقص . على ان بلاد الهند فسيحة الجنبات والفوارق بين القبائل واسعة ايضاً وبين الهنديات عدد استنارت أذهانهن وفزن بحريتهن كأرقى نساء العالم . والذي حدا بي في الحقيقة الى القول بان البيت لا يصير بيتاً بمعناه الحقيقي ما لم يتألف من مزيج عناصر شرقية وغربية معاً هو زيارتي بيت امرأة هندية راقية .

الطبيبات اول من تهذب من الشرقيات وتعلمن تعلماً نظامياً . اذ قد استحالت على الارساليات الدينية ان تتوصل اليهن عن غير هذا الطريق ، ولا تزال النساء باشد الحاجة الى تعلم قواعد حفظ الصحة . والا بقيت الولادة خطراً عليهن وألم المخاض وتعرضهن فيه للموت مستديماً . يصعب علينا ان نجد احصاء دقيقاً لعدد وفيات المواليد و يقال ان نسبة عدد الاطفال الذين يموتون في الشرق — في حالتهم وهم أجنة الى حد السنتين — الى نسبة عدد الذين يظلون منهم أحياء هو نسبة تسعة الى عشرة . يا لهول هذا العدد و يا لهول مشهد ملايين من النساء يعانين برح آلام الولادة والنزع لا يزيد اعتبارهن على آلات لانتاج الاولاد ولا يؤبه لموتهن ولا لتهذيبهن . يعشن سقيمات العقول عقيمات الافكار فهن من جهة عالة على انفسهن ومن جهة عالة على المجتمع وان اول ما يجب ان يباشرنه من الاصلاح هو تعلم قواعد حفظ الصحة على اصول سلامة الولادة وكيفية انجاب النسل وطرق انقاص المواليد وهذا علم حديث الانتشار حتى في بلاد الغرب . يرى بعض الاطباء فيه خطراً اعتقاداً منهم انه ينافي الدين والوطنية ويعتبرونه جرماً فظيعاً . يخجلني ان اعترف بوجود هؤلاء الجهلاء بيننا على حين ان الاطباء الراقين يقرون بان صحة المرأة التي تلد في كل سنة ولداً تسوء اكثر فأكثر واذا ساءت صحتها ووهنت قواها كانت صحة الاولاد الذين تلدهم اسوأ واكثر تعرضاً للموت ومن الحكمة ان يفضل الولدان ولادة ثلاثة اواربعة يقدران على إعالتهم وتهذيبهم — على ولادة اثني عشر يعجزان عن سد حاجاتهم .

يوم جاءت مرغريت سانغر العالمة الاميركية الشهيرة اليابان كنت فيها وقد قابلتها وكانت حضرت اليها لتذيع هذه الفكرة فحالت الحكومة دونها وهي زعيمة القائلين بهذه الفكرة ومن الذين سجنوا بسببها وصرفوا سنتين او ثلاثاً في السجن ولكن تمكنت

في الصين ان تذيع فكرتها فأثرت تأثيراً وبليغاً وغايتها من ذلك ظاهرة وهي انقاص عدد المواليد الفقراء الجهلاء ليقل عدد الوفيات بينهم وحث الاغنياء الذين في استطاعتهم إعالة الاولاد وتهذيبهم على الاكثار من المواليد حداً للنقص الناتج من منع الفقراء من الاكثار من المواليد و بهذا يستوي الامر دون ان يصيب ميزانية الاحصاء عجز[1] ·

سار تهذيب الفتيات في الصين في بدء الامر سيراً بطيئاً لان الاب لم يكن يرى من فائدة في تعليم ابنته مادامت تتزوج باكراً وتنتقل للسكنى مع أسرة زوجها · ولكن لما تأخر موعد تزويجها ، صارت البنات يتهذبن تهذيب الرجال ، وبينهن من يذهبن كالشبان لطلب العلم في الغرب ومثلهن اليابانيات فان تهذيبهن في تقدم متواصل · زرت الجامعة التي تعنى بتخريج الكهنة البوذيين فوجدت بين الطلبة عدداً من النساء ومعظم ماتتعلمنه فيها هو العلوم الدينية والعملية · وسئلت حال وصولي الى اليابان ان أزور أرقى مدرسة في البلاد ولشد ما دهشت ساعة دخلت ردهة الصنف الاول ووجدت فيها خمسين شابة يلبسن (الكيمونو) الياباني البهيج · منهمكات في صقل أحذية الرجال السوداء ، كأن الاحذية الاوربية مشكلة يحاولن حلها اومصيبة يحاولن درءها ، فرأين من الواجب ان يحملن احذية رجالهن الى المدرسة ليأخذن درساً تمهيدياً في اصلاحها · يدلكن ذلك على شدة تمسك المرأة اليابانية بواجباتها ومكانة خدمة زوجها في نظرها · وليس بين اعمال البشر ما ينفق فيه هذا القدر من الوقت والعناية مثل اصلاح احذية الرجال عندهن حتى ان عنايتهن باتقان هندامهن قليلة جداً بالنسبة اليه ·

التقليد شأن واي شأن في حياة اليابانيين بل هو أعظم تأثيراً فيهم من العوامل الاقتصادية ولو قضوا به على الطرب والجمال · هي حقيقة لا مراء فيها فان محبة التقليد

---

(١) هذا رأي الخطيبة وكثيرين من اهل الغرب وهو غير مقبول في الشرق ولا سيما في بلادنا الا اذا كانت الطرق المستعملة لانقاص المواليد غير مخالفة للقواعد الدينية ·

تنقص في الشرق عن الغرب . يقبل النساس على أزياء وضعها غيرهم لهم اكثر من إقبالهم على تقليد نظام اجتماعي ارقى من نظامهم ، تختلف حالات طبقة من الناس عن طبقة غيرها فتلبس تلك أزياء غير التي تلبسها هذه ، ففي الصين مثلاً يطيل الرجال أظفار ايديهم ويصونونها من الكسر بلبس قوالب معدنية من الذهب اوغيره ، وتضغط نساؤهم على أقدامهن بالاحذية الضيقة ليمنعنها من النمو ولكيلا يخطون خطوات واسعة برهاناً على كونهم رجالاً ونساء ارباب نفوذ ومن طبقة تترفع عن العمل وليست في حاجة اليه فتحذو بقية الطبقات حذوهم ولو كانت في حالة العوز الشديد الى العمل الشاق : كان لدي خادمة صينية من هذا النوع تضيق على قدميها بالحذاء الصغير فتسيء العمل وتسقم جسمها بتقليدها الغنيات دون ان ترعوي اوتصغي الى نصيحة . هذا هو سبب انتشار الازياء المضحكة التي صارت على مختلف أشكالها مطمح أنظار الناس في كل بلاد ، وترون المرأة اليابانية الغنية تلبس اكماماً عريضة مجرجرة تحول دون قيامها بعملها فتقلدها الفقيرات ولايجدن انفسهن في غنية عنها او يشعرن بانهن بدونها ذليلات مستحقرات . وأرجح ان هذا الزي هو الذي كانت تلبسه الراقصات قديماً في البلاط الصيني .

كان الاقبال على الازياء الغربية في الشرق الاقصى في بدء عهد انتشار النفوذ الغربي شديداً . وعلى الاخص في اليابان ولكن النساء عدن تدريجاً الى (الكيمونو) الذي هو اكثر ملاءمة لهن ، وفي رأيي ان الزي الغربي الذي تأصلت محبته في الشرق هو شر ماوصل اليكن من صادرات بلادنا اعني بها زي الرجال الذين يخرجون به الى الشوارع فهو على ماهو عليه من القبح لضيق السراويلات (البنطلونات) وصلابة القبة الضاغطة على العنق الخ لايهب لابسه راحة ولاحرية بمقدار ماتهبه ازياء كثيرة شرقية ، انه صنع لفئة من الرجال يتفق مع مركزها وعملها فجرى في اثرهم سائر الناس حتى أصبح زياً عاماً .

من المأمول ان تقف نساء الشرق دون رواج الازياء الغربية ودون تبدل الحياة البيتية . وانهن اذا رمن تبديلهـا فليسلكن ناحية تصل بهن الى تقدم حقيقي . تشير الدلائل الحاضرة الى انهن لايسلكن هذه الناحيـة مادمن يتمسكن بنير اتباع الازياء

الثقيل في زمن باشرت النساء الراقيات في الغرب ان يطرحنه عنهن ٠ ان عادة تغيير الازياء سبع مرات في السنة لمن أسخف العادات وأدعى المشاهد الى السخرية والازدراء والاسراف في الجهد والمال ٠ وفي معظم الاحيان تكون هذه الازياء مجردة المرأة من جمالها الحقيقي ومضعفة قواها لا تأتيهـا بنفع من وجه ٠ كانت هذه الازياء تمثل للك مظاهر نساء الطبقات العالية قديماً فصارت الآن ثمرة نجاح مساعي التجار القائدين ملايين من النساء في العصر الحاضر بانوفهن استدراراً للربح وجداً في منفعتهم الخاصة ٠

ان محبة اللباس متأصلة في غريزة الانسان ٠ وهي مفيدة صحية للرجال والنساء اذا روعيت فيها قاعدة المنطق والنفع وليس في إتقان الهندام شيء من السخافة والتبذير اذا كان مجرد القصد من إتقانه الاخلاص ٠ وماذا يحاول البشر عمله سوى ان يؤيدوا حقائق سامية ثلاثة هي الصلاح والحق والجمال ؟ فاتقان الهندام يمثل لنا الجمال و يجسم لنا مظهره و يسهل وصولنا اليه ٠ فاذن هو أسهل الوسائل الطبيعية التي نتوخاها لبلوغ الجمال ٠ ومتى بلغناه أحرزنا الحقيقتين البـاقيتين وهما الصلاح والحق ٠ ولو ان كل امرأة لها من احترامها لنفسها قدر كاف للنزول عند حكمها الخاص وذوقها الذاتي لسمت مكانة اللباس تدريجاً فبلغت مصاف الفنون الشريفة ٠ ولو ان كل امرأة قدرت على قشع الضباب الذي سدلته محبة اللباس على عينيها ، لرأت ان اتباع الزي اللائق بها يوفر لها كثيراً من الجهد الضائع والمال المفقود ، و يرد لها مكانتها العالية ، و يرفعها الى رتبة اهل الطبقات العالية ٠ على ان تكون قاعدتها في ذلك هو اختيار النسيج المتين الصالح الذي هو اشهى في حد نفسه من سائر الانسجة ، وأطول بقاء من ذلك النسيج الذي يعيش عاماً واحداً ٠ ثم عليها ان تراعي في تفصيل زيه الاحتشام وما يهبها رشاقة الحركة والوقار ٠ وذلك يفضل على اتباعها الازياء الغاوية الوقتية ٠

يجب ان يتجرد الزي الكامل الذي ننشده من كل ما يضيق الجسم من مشـدات وأربطة وان يكون اللباس رحباً لايمنع دخول الهواء الى الجسم ولا يضغط على العضلات ولا يعوق دوران الدم ٠ وان تكون كل الملابس وعلى الاخص ما يلامس الجسم منها مفصلة على زي يسهل غسله مراراً ٠ واشد الاضرار النـاجمة من الازياء الغربية هي تلك التي اذا اتسخ داخلها استحال علينا غسلها وتجديد رونقهـا ٠ ولباس المرأة الهندية

من هذا القبيل هو احسن الملابس جميعاً من وجوه عديدة . فهي مشتملة على الجمال ، مسهلة رشاقة الحركة ، و بسيطة ، محتشمة ، لاتجد صعوبة في خياطتها وغسلها واخفائها ، ولا تحول دون نمو الجسم ، ولا تقف دون النشاط ، والله ما احلى منظر الخادمات حين يظهرن بها . بل لله انتصاب قاماتهن ورشاقة حركاتهن !

انتن سكان مدينة تاريخية شهيرة ملأ ذكر مصنوعاتها ومهارة صناعها الخافقين ! لكن بتضييعكن هذه المصنوعات واعراضكن عنها قد اضعتموها على العالم ، وجررتن على عالم الفنون خسارة كبرى . ففي ايقاظكن الذوق الفني الذي لا بد ان يكون سارياً في دمائكن . و بانعاشكن هذه الفنون الميتة ، التي زادت قدراً لندرتها وببذلكن المساعي الى ايجاد زي (موضة) جميلة تسدون الى انفسكن وبلادكن والى عشاق الجمال المنتشرين في كل انحاء الارض يداً بيضاء . هذا المسعى لا يكلفكن من المال بقدر مايكلفكن من الجهد والاخلاص . واني آخذ مساعدتكن على عاتقي بقدر الطاقة . فاذا راقتكن هذه الفكرة فأرجو منكن زيارة المدرسة الاميركية في دمشق حيث تجدن في الدكتور اسنبرغ التي هي من اكبر عالمات اميركا شأناً ، والتي هاجرت الى هذه البلاد حباً بخدمة التهذيب العام لبس الا ، شخصاً لا يني في البحث عن تسهيل مشقة هذا العمل وحل مافيه من الاشكال .

أعظم ما راقني في الشرق البيت الياباني القديم الطراز ، فهو بفسحة بهوه وهندسة بنائه وانواع امتعته من اجمل البيوت . وقد اصبح هذا البيت نادر الوجود . وسيختفي شكله عما قريب لان عادة الجلوس على الارض قد أُلغيت . ولان اليابانيين يزدادون ميلاً الى أُسلوب العيشة الغربية المتعبة . ان البيت الياباني القديم يمثل الحياة بابسط أشكالها واجملها واسماها . اذا شاء الياباني الانتقال من بيت الى آخر اتسعت عربة واحدة تجر باليد لنقل امتعته كلها . لااعني بقولي ان الياباني يعيش عيشة الهمجي بل ان البيت نفسه مبني على طراز يقتصد كثيراً من ضروب الامتعة وادوات الزينة . حتى ان الأسرة الغنية التي تملك من التحف ما يملأ مستودعها البيتي تؤثر ان يظل بيتها بسيطاً فارغاً .

لهذا البيت شكل مطاط فيه جدران من الورق تنسحب اذا ارادوا توسيع المكان

وتغطي ارض كل غرفة يقال له (Tatami) اي حصيرة من القش مبطنة ، تغرق فيها القدم و يرتاح الجالس عليها ، ولا يسمح لاحد ان يطأ ارضها بحذائه . يالها من ارض دونها قصعة الطعام نظافة . ومن عادتهم ان يقدموا للضيف وسادة حريرية يجلس عليها و يأتون اليه بالطعام على صينية يضعونهـا أمامه على مائدة علوها نصف شبر وفي كل غرفة من الغرف خزانة في الحائط (Todamad) تحفظ فيها الفرش الحريرية التي يرقدون عليها ثم يلفونها و يخبؤنها في الخزانة . ومثلها لحفظ (الكيمونو) التي تلبسها الاسرة وتطوى طياً مرتبـاً . وأخرى لحفظ القصاع وسائر الامتعة اللازمة . وفي الغرفة قبة من اصل البناء هي اثر من آثار طقوس العبادة القديمة . ومكان خاص يحفظ اللوحات التي يكتب عليها اسماء الاسلاف . وهذا اثر من آثار فلسفة فنونهم الجميلة وهنا طومار معلق الى الجدار مصنوع من الدهان يوضع ازاءه اناء بديع طافح أزهاراً في أجمل ترتيب . وقد يكون للأسرة الواحدة كثير من هذه الطوامير والآنية ولكنهم لا يضعون في الغرفة الواحدة اكثر من طومار واناء وما زاد على ذلك فهو دلالة على سقم الذوق . و يبدلون هذه الطوامير والآنية من آونة الى أخرى بغيرها فيصيب كل منهـا دور وليس لديهم غير هذه الاشياء من أدوات الزينة سوى صناعة البيت نفسها المشتملة على أخشاب معرقة او مدهونة أضف الى ذلك ماتطل عليه نوافذهم في مشاهد حدائق غناء لم أر أجمل منها . والخلاصة ان الناظر الى هذا البيت يقر عيناً ويطيب نفساً على عكس ما يشعر به النـاظر الى معظم البيوت في الغرب .

قضيت في بيت ياباني قديم الطراز عامين ووجدت فيه هناءً ورغداً . ولكم كنت أتمنى لو سكنت في مثله بقية حياتي . ولكن ليس من احد يتمكن ان يعيش عيشة اليابانيين الا في اليابان . اذ لا يفهم اسرار صناعة بيوتهم الا بناؤهم . ثم يصعب عليَّ ان اكلف اصدقائي خلع أحذيتهم قبل الدخول الى المنزل وان أرغمهم على اتباع اهوائي .

قلت ان شكل هذا البيت اصبح قريب الزوال لان اليابانيين درجوا على اقتباس صناعة البيوت الغربية ولم يجدوا مناصاً منها بعد ان لبسوا السراويل الغربية لتعذر الجلوس بها على الارض . انتشرت بينهم الفكرة القائلة بان الرقاد على الارض ليس صحياً

كالرقاد على السرير · وصاروا يتعبون من الجلوس على الارض الذي تنصاب به الساقان لتعودهم الجلوس على الكراسي · انهم بتقليدهم العادات الغربية قد فقدوا شيئًا ثمينًا جداً · فان سعة فضاء البهو الياباني تكسب الناظر رحابة الصدر على عكس مايورثه الفضاء الضيق والامتعة المتراكمة من الضيق والكرب ·

يسوقني ذكر هذا البيت الى البحث في موضوع هو كيف يجب ان يكون البيت · من الواجب ان يتبع في هذه المسألة سائر ما تستلزمه الملابس وغيرها من المسائل الحيوية من الانطباق على المنطق اومراعاة شروط الصحة والراحة وتقليل النفقات والانفعالات الروحية · لقد أصبح تعريض هذه المسائل للفحص والنقد امراً لازمًا في زمن كهذا الزمن الذي نرى فيه كل شيء يتغير تغيراً كليًا · يقول بعضهم ان الحياة المركبة تختلف عن الحياة البسيطة اختلاف الهمجية عن الحضارة وهم مصيبون في هذا القول الى حد ، وهو ان الحضارة قد تدرجت من البساطة الى التركيب ولكن هناك نقطة هي من الخطورة بمكان لا تقدر الحضارة ان تصل اليها · فقلة عدد الخدام في اميركا ووفرة الأعمال التي تطلب الانتباه الشديد قد منعتا الناس من بذل الجهد وهو ضروري في جعل الحياة بسيطة ·

يشترط في البيت ان يكون جامعًا لكل حاجات الانسان المتفقة مع طبيعته المثلثة الصحية والعقلية (وهي مزيج من العقل والعاطفة) والادبية بحيث تكون هذه الشروط الثلاثة متوازية لا يزيد احدها عن الآخر ولا ينقص · فاذا كان هذا التوازن مجتمعًا في البيت فلا يبقى شأن للحياة أكانت مركبة ام بسيطة · ولو شئنا ان نطلق حكمًا عامًا في العيشتين « المركبة والبسيطة » يسهل وجود التوازن لوجدناه في الحياة البسيطة أقرب تناولاً وأقل صعوبة منه في الحياة المركبة · فالمرأة التي تستغرق وقتها ادارتها عدداً كبيراً من الخدم واهتمامها باقامة المآدب وعنايتها بالرياش الفاخر قد لا تجد فراغًا تنفقه في المطالعة او في مشارفة تهذيب اولادها · واذا فرضنا انها قادرة على القيام بكل هذه الاعباء الثقيلة معًا فانها لا تعيش عيشة بسيطة ولا تذوق طعمها ·

اما من جهتي انا فاني استصعب مطالعة كل ما أريد مطالعته وكتابة كل ما أريد كتابته وزيارة كل من أريد زيارته · والتعرف الى كل الاشخاص الذين اسمع عنهم

واتوق الى معرفتهم . مع هذا اجد في نفسي ميلاً يشتد عاماً فعاماً الى ان أطبخ ملء وعاء كبير من حساء العدس في غرة كل شهر ثم أذهب كديوجينوس لارقد في ذلك الوعاء اه .

مطبوعات حديثة

أيمان العرب في الجاهلية

« رسالة ذات (٣٢) صحيفة لمؤلفها ابي اسحق ابراهيم بن عبد الله النجيرمي »
« الكاتب نسخها وصححها ووقف على طبعها في المطبعة السلفية السيد »
« محب الدين الخطيب »

النجيرمي هذا من رجال اللغة والادب والتاريخ ذكره ياقوت في معجمه والصفدي في كتابه الوافي والسيوطي في (بغية الوعاء) والزبيدي في (تاج العروس) ولد في قرية نجيرم على ساحل الخليج الفارسي او في محلة بهذا الاسم في البصرة في الربع الاخير من القرن الثالث للهجرة وتولى منصب الكتابة لكافور الإخشيدي على ما جاء في وفيات الأعيان في النصف الاول من القرن الرابع ولم يعلم زمن وفاته على التحقيق .

هذا ملخص ماعلمناه عنه من مقدمة أثبتها المصحح في مستهل تلك الرسالة التي جمع فيها صاحبها ايمان العرب على اختلاف مللهم وعقائدهم ونحلهم من حنيفيهم الموحد الى اصناميهم الملحد .

قال ومن ايمان الحنيفية منهم القَسَم بالله تعالى ومنه قول النابغة :

(حلفتُ فلم اترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ)

فهم يحلفون به باحرف القسم الثلاثة (اي الباء والتاء والواو) و يقولون انها يمين تملأ الفم وترقئ الدم وقد يقولون « لا والذي يراني من فوق سبع ارقعةٍ » اي من فوق سبع سموات . ومن ايمانهم قولهم « لاوالذي شق الرجال للخيل والجبال للسيل » وقولهم « لاوالذي فلق الحبة و برأ النسمة » وقولهم « لا وفالق الاصباح و باعث الارواح» الخ .

واتوق الى معرفتهم . مع هذا اجد في نفسي ميلاً يشتد عاماً فعاماً الى ان أطبخ مل‌ء وعاء كبير من حساء العدس في غرة كل شهر ثم أذهب كدبوجينوس لارقد في ذلك الوعاء اه .

مطبوعات حديثة

أيمان العرب في الجاهلية

« رسالة ذات (٣٢) صحيفة لمؤلفها ابي اسحق ابراهيم بن عبد الله النجيرمي »
« الكاتب نسخها وصححها ووقف على طبعها في المطبعة السلفية السيد »
« محب الدين الخطيب »

النجيرمي هذا من رجال اللغة والادب والتاريخ ذكره ياقوت في معجمه والصفدي في كتابه الوافي والسيوطي في (بغية الوعاء) والزبيدي في (تاج العروس) ولد في قرية نجيرم على ساحل الخليج الفارسي او في محلةٍ بهذا الاسم في البصرة في الربع الاخير من القرن الثالث للهجرة وتولى منصب الكتابة لكافور الإخشيدي على ما جاء في وفيات الأعيان في النصف الاول من القرن الرابع ولم يعلم زمن وفاته على التحقيق .

هذا ملخص ما علمناه عنه من مقدمة أثبتها المصحح في مستهل تلك الرسالة التي جمع فيها صاحبها ايمان العرب على اختلاف مللهم وعقائدهم ونحلهم من حنيفيهم الموحد الى اصناميهم الملحد .

قال ومن ايمان الحنيفية منهم القَسَم بالله تعالى ومنه قول النابغة :

(حلفتُ فلم اترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ)

فهم يحلفون به باحرف القسم الثلاثة (اي الباء والتاء والواو) و يقولون انها يمين تملأ الفم وترقئ الدم وقد يقولون « لا والذي يراني من فوق سبع ارقعةٍ » اي من فوق سبع سموات . ومن ايمانهم قولهم « لا والذي شق الرجال للخيل والجبال للسيل » وقولهم « لا والذي فلق الحبة و برأ النسمة » وقولهم « لا وفالق الاصباح و باعث الارواح » الخ .

ومن ايمانهم « يمين الله» و«ايمن الله» و«ايم الله» و«أمُ الله» و«مَ الله» و«عمرك الله» الى غير ذلك مما اتت على تفصيله الرسالة ، وعندي ان هذين الاخيرين من قبيل الدعاء لا من قبيل القسم · وعليه قول الشاعر :

(ايها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان)

اما عبدة الاوثان فانهم كانوا يقسمون بها كقولهم « لا واللات والعزى لا ومناة »
اما الصابئون منهم فكانوا يحلفون بالنجوم السابحات منها والطارقات · والكهان يقسمون بالسماء والماء ·

والرسالة حسنة الطبع خالية من غلط التمثيل لا تخلو من فائدة لمن يقتنيها و يرجع اليها من محبي المطالعة وعشاق مزايا اللغة ·

عضو في المجمع العلمي
سليم عنحوري

محاضرة

عنوانها (ابن رشيق)

اهدتنا المطبعة السلفية كتيباً لطيفاً عدد صفحاته اربعة وتسعون يشتمل على محاضرة ألقاها ابو البركات عبد العزيز الميمني السلفي الراجكوتي الاستاذ بالكلية الشرقية في لاهور في جمعية الشرقيين هنالك ألمع في مقدمتها عن حياة المعز بن باديس السياسية في القيروان آتياً على شيء من اوليته ووصف أخلاقه وعلو كعبه في الفضل والأدب ثم ذكر خراب القيروان على عهد حكومته وخروجه منها الى صقلية وبقاءه فيها مع شاعره ابن رشيق حتى أدركته الوفاة سنة ٤٥٣ بعد ان ذاق فيها الامرين ذلاً ومهانةً ·

ثم استطرد الى ذكر حسن بن رشيق واتصاله بالمعز وحظوته لديه وماله في مدائحه من غرر الشعر وروائع المعاني بعد ان قال عنه انه ولد بالمحمدية سنة ٣٩٠ وهو مولى من موالي الأزد وقدم الى الحضرة سنة ٤٠٦ وامتدح المعز سنة عشر على ما اورده هو عن نفسه في آخر انموذجه ثم افاض بذكر شيوخه وتلامذته وتآليفه وما مر عليه

الجزء ١٠ المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تشرين الاول سنة ١٩٢٧ م الموافق ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ هـ ٨٢

اثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية (١)

علم المشرقيات ومقاصد الغربيين

كان اول احتكاك وقع بين العرب واهل الغرب من الاوربيين ، يوم فتح العرب الشام ومصر وماواليها من بلاد الروم . ولما فتحت الاندلس او اسبانيا والبرتغال الا قليلاً زاد هذا الاختلاط ، ثم أصبح على أتمه لما توطد ملك بني أمية في الاندلس في القرن الثاني والثالث والرابع ، واتسعت رقعة هذا الاختلاط بفتح العرب جزيرة صقلية ، وتبسطهم في جنوبي ايطاليا في القرن الثالث . ومنشأ هذا الاختلاط في الاكثر الحاجة الى الاتجار ودواعي الجوار . وكان تسامح الدولتين الأموية في الشرق ثم في الغرب ، والدولة العباسية في الشرق والغرب ، من أهم الدواعي الى هذا التمازج . وكأن ذلك كان يومئذ من حكومات العرب من باب تفضل الكبير على الصغير ، والعالم على الجاهل ، ولا غرابة في صنيعهم فالاسلام عرف بالتسامح ، والعرب من اهله خاصة اكثر الامم ممارسة له كما ثبت بنصوص التاريخ الصحيح .

زاد هذا التمازج في الحروب الصليبية ، فاستفاد الصليبيون من العرب فوائد علمية واجتماعية جمة ، وقد رأوا مدنية ارقى من مدنيتهم اذ ذاك ، وعلماً وصناعات لا عهد لهم بها ، واخلاقاً ووفاء وعهداً ندرت في غيرهم ، فاستعاضوا بما حملوا معهم من الاوضاع

(١) محاضرة للسيد محمد كرد علي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي واعاد القاءها في نادي دار المعلمين العليا بالقاهرة يوم ٥ أيار سنة ١٩٢٧ .

عما خسروه من الرجال والمال ، واغتبطوا بما كسبوا ، وتعزوا عما لقوا من الشدائد . وكان تعلّم كثير من الصليبيين اللغة العربية ، واشتهر بذلك بعض امرائهم وقوادهم وأذكيائهم واهل الفكر منهم ، بل كان بعض الاوربيين قبل الحروب الصليبية يختلفون الى الاندلس ويأخذون العلم عن علمائها ، ومنهم البابا سلفستر الثاني الذي جلس على كرسي البابوية سنة ٩٩٩ م وهو من اصل افرنسي درس في قرطبة واشبيلية على علماء العرب الرياضيات والفلك ورسم الارض كما تعلم شانجه (Sanche) ملك ليون واستوريا الملقب بالسمين الطب على علماء قرطبة . وكان جميع ملوك الافرنج على ماروى فولتير يستخدمون أطباء من العرب واليهود ، كما كان كثير من اذكياء الجلالقة والقشتاليين والليونيين والنافاريين ومن كان في البلاد الاندلسية تحت احكام المسلمين من المسيحيين يتعلمون العربية للتوظف في الاندلس والاتجار مع اهلها الى غير ذلك من المرامي .

ولما بدا للباباوات ان ينشئوا الرهبنات في القرون الوسطى لبث الدعوة الدينية بين أبناء الشرق في آسيا وافريقية وفي الاندلس وصقلية من قارة اوربا ، ثبت لهم انه لاسبيل الى النجاح في هذا المشروع الا بتعلم لغات المشارقة ولاسيما العربية . فقضى مجمع فينا سنة ١٣١١ م برئاسة البابا اكلمنس الخامس ان تؤسس في باريز واكسفورد وبولون وصلمنكة ، اي في عواصم العلم في فرنسا وانكلترا وايطاليا واسبانيا على ذلك العهد دروس عربية وعبرانية وكلدانية وسريانية يتخرج بها الوعاظ والدعاة . وكانت المدرسة الطبية في مونبليه في فرنسا أنشئت سنة ١٢٢٠ وجعلت جلّ اعتمادها في التدريس على علماء الاندلس فكانت تقرأ فيها اللغة العربية لتفهم العلوم المكتوبة بها . ثم كثر انشاء الجامعات في الغرب وكان تأسيس اول جامعة في اوربا الوسطى في كراكو من مدن بولندا سنة ١٣٦١ وبعد اربع سنين أنشئت جامعة فينا وهي اول جامعة المانية وقيل ان جامعة بولون الايطالية أسسها تيودوس امبراطور الشرق في سنة ٤٢٥ م . ولما كثرت الجامعات في الغرب انشأ بعضها يعنى بتعلم اللغات السامية ، والعربية من جملتها ، ولكن بشيء من الضعف . وكلما كان يشتد غرام اهل الغرب بدرس فلسفة ابن رشد وابن سينا والرازي وابن زهر وغيرهم يحاذر رجال الدين كل

الحذر ان تكون الفلسفة الاسلامية مقدمة الى ضعف الايمان وفشو الإلحاد في المؤمنين من أبنائهم . ومع هذا أولع بعض امراء ايطاليا بالعربية وتكلموا بها ، وعدوها لغة الادب العالي ، واعتمد بعضهم في قصورهم وبيوتهم على علماء من أبناء المسلمين . وممن عرف باتقان العربية من ملوك ايطاليا رجار الثاني ملك صقلية وانكبردية وقلورية الذي قدم له الشريف الادريسي كرة من الفضة فيها صورة العالم بمدنه وجباله و بحاره والف باسمه كتابه المشهور « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ومدحه بانه دان في ملته بدين العدل وانه خير مَنْ ملك الروم . وقال الصفدي في الوافي بالوفيات ان رجار قال للشريف الادريسي لما استقدمه من العدوة : أُريد تحقيق اخبار البلاد بالمعاينة لا بما ينقل من الكتب فوقع اختياره على أناس ألباء فطناء اذكياء وجهزهم رجار الى اقاليم الشرق والغرب جنوباً وشمالاً ، وسفروا معهم مصورين ليصوروا مايشاهدونه عياناً ، وامرهم بالتقصي والاستيعاب لما لابد من معرفته . وكان اذا حضر احد منهم بشكل أثبته الشريف الادريسي حتى تكامل ماأراد (توفي رجار سنة ٥٤٨ هـ ١١٥٤ م) . وذكر الصفدي كيف بالغ رجار في تعظيم الشريف الادريسي وكيف رتب له كفاية لاتكون الا للملوك بعد ان اعطاه مئة الف درهم ، وفضة كثيرة زادت من عمل الكرة . قال : وكان يجيءُ راكب بغلة فاذا صار عنده يتنحى له عن مجلسه فيأتي فيجلسان معاً .

وممن كان يحسن العربية من ملوك ايطاليا غليام ، وكان كثير الثقة بالمسلمين يستخدمهم في بلاطه ومنهم امراء دولته ، وهو ابن رجار . وكذلك كان فريدريك الثاني صاحب صقلية وبوليه وانكبرديه وزعيم الحملة الصليبية السادسة فانه كان يجيد العربية كل الاجادة . ولم يلبث بعض امراء ايطاليا كأسرة ميديسيس المشهورة بخدمة الآداب ان أسست عقيب اختراع الطباعة مطابع بلغات الشرق . واول مطبعة أُنشئت في مدينة فانو في جون البنادقة (بحر الادرياتيك) سنة ١٥١٤ طبع عقبها القرآن الشريف ثم كتب الطب والحكمة والطبيعة باللغة العربية . وقيل كان كثير من مدرسي جامعة بادو او سالرنا في ارجاء ايطاليا من علماء العرب . وقد عرفت

ايطاليا قبل غيرها قدر علوم العرب بما ترجم لها المتنصرون من اليهود من فلسفة ابقراط وارسطو وغيرهما . ومما نقله الى اللاتينية من العربية احد أبنائها جرردو د كريمونا المتوفى سنة ١١٨٧ م في مدينة طليطلة من كتب الهيئة وأحكام النجوم والهندسة والطب والطبيعة والكيمياء والفلسفة . و يقال انه ترجم اكثر من سبعين كتاباً ومنها ما فقد اصله العربي اليوم وبقيت ترجمته اللاتينية ، على نحو ما فقدت تآليف فلاسفة اليونان ولم تصل الى اوربا الا بواسطة ترجمات العرب عنها .

وكانت ايطاليا ايضاً ، وهي مهد النهضة الحديثة في اوربا ومن بلادها انتشرت في أقطار الغرب ، اول أمة غربية عُنيت عناية خاصة باللغة العربية ، وهبت لطبع كتب العلم فيها لمقصد ديني اولاً ثم لمقصد علمي ساق اليه حب الاطلاع والتفقه . وهذا الخلق على أتمه في اجيال الغربيين اكثر مما هو في الشرقيين على مارأينا . وتقدمت ايطاليا في الدروس العربية لانها اقرب بلاد الغرب من ارض الشرق ، واحتكاكها بالمشارقة قديم جداً ، ولان مقام البابوية كان في رومية عاصمة تلك البلاد ، والباباوات كانوا مسيطرين على كل شيء في الغرب الى الزمن الذي قام فيه لوثيروس في المانيا في الربع الاول من القرن السادس عشر . وقد انشأ البابا غريغوريوس الثالث عشر في رومية سنة ١٥٨٤ مدرسة للموارنة ساعدت على نشر العربية وتخرج فيها ثلاثة لبنانيين اشتهروا بحمل لواء العربية في اوربا وهم جبرائيل الصهيوني وابراهيم الحاقلاني وشمعان السمعاني وجاء بعدهم غيرهم ولا سيما من أسرة السمعاني نقلوا كثيراً من كتب العرب الى اللاتينية في القرن السابع عشر وبعده وتخرج بهم بعض علماء المشرقيات من أمم الغرب .

وكان المأمول ان تكون اسبانيا والبرتقال اول الممالك الاوربية التي تبادر الى اتقان العربية لامتزاج اهلها في الاندلس بالمسلمين نحو ثمانية قرون ولان الخاصة من اعيان الاسبان كانت ترى تعلم العربية من أدوات التفوق في الادب وشارات الظرف واللطف حتى كادت تنسى لغتها الاسبانية على عهد العرب . وقد أنشئت في مدينة طليطلة اول مدرسة عربية في اسبانيا اوائل القرن الحادي عشر وفي سنة ١٢٥٤ أنشئت في اشبيلية مدرسة عربية لاتينية لمزج الحضارتين العربية والاسبانية .

اما البرتقاليون فجاؤا متأخرين جداً في هذا المضمار ، وبقي أفراد منهم يولعون بدرس العربية ولاسيما من الرهبان لغرض الدعاية المذهبية ولم يجدوا منشطاً من أمتهم ولا من حكومتهم ، اي ان المشرقيات العربية في البرتقال ما كانت في وقت من الاوقات محل عناية أمة ظلّ العرب ملابسين إياها قروناً .

وبينما كانت اكثر بلاد اوربا تحرص جدّ الحرص على آثار العرب وترفع منزلة من ينقل اليها علومهم ، وكان لليهود من اهل الاندلس يد طولى في هذا الشأن — كان رجال الدين في اسبانيا عقبى جلاء العرب عنها يحرقون الكتب العربية حيث صادفوها ، وظلوا خمسين سنة اي منذ أصدر الكردينال كسيمنس سنة ١٥١١ م امره باحراق عشرات الالوف من كتب العرب في ساحات غرناطة ، يحرقون الاسفار العربية حتى كادت تبيد مدنيـة العرب من تلك البلاد لولا المترجمات الى اللاتينية والعبرية . وذكر كونده المؤرخ المستشرق الاسباني (١٨٢٠) ان مسيحيي اسبانيا لما استولوا على قرطبة حرقوا كل ما طالت اليـه ايديهم من مصنفات المسلمين وعددها مليون وخمسون الف مجلد جعلوها زينة وشعلة في يوم واحد ، ثم رجعوا على سبعين خزانة كبرى من خزائن الاندلس وانشأوا يتلفون كل ما عثروا عليه في بلاد الاقاليم من مؤلفات العرب .

ومنذ القرن الخامس عشر ، وربما من قرن قبله ، اخذت اكثر الامم الاوربيـة تبتاع بواسطة وكلائها وقناصلها وتجارها في الشرق مخطوطات عربية تزين بها قصور ملوكها وديرتها وبيعها ودور العلم فيها . وكان سان لوي او لويز التاسع احد ملوك فرنسا اول الشارعين بتأسيس خزائن الكتب وذلك انه بلغه لما كان في الشرق على عهد الحروب الصليبية ان بعض امراء المسلمين جعلوا لانفسهم خزائن كتب يطالعونها ساعات فراغهم فجرى هو على مثالهم ، كان هذا في القرن الثالث عشر . اما لويز الرابع عشر في القرن الثـامن عشر فقد أرسل احد علماء النمسا الى بلاد الاسلام ليبتاع له الكتب العربية والعبرية والسريانية واليونانية . وهكذا لم ينتصف القرن التاسع عشر حتى قُدّر عدد المخطوطات العربيـة في اوربا بنحو مائتين وخمسين الف مجلد ، وأهم الخزائن العربية فيأوربا واميركا في لينينغراد و برلين و باريز ولندرا وغوتنغن وليبسيك

ومونيخ وفينا وليدن واكسفورد وادمبرج ودبلين وكمبردج وخزانةريلندس فيمنشستر والجمعية الآسياوية في لندرا وفي باريز والاسكوريال وميلانو ورومية وبرنستون · وفي كل من هلسنغفورس وموسكو واوبسالا وكوبنهاغن وفرنكفورت وصونك وبوفه ودرسدن وجيسين وغوتا وتوبنغ وغريبسوالد وستراسبورغ وكراكو وبراغ ومجريط وفلورنسه وتورينو وبلرم وخزانة وزارة الهند في لندرا ونيويورك وشيكاغو وبالـــ وكليفورنيا وغيرها خزائن عربية تختلف بعددها ونفاستها باختلاف غنى الامة التي نشأت بينها وبزمان نهوضها لاقتناء كتبنا · ولكل خزانة من هذه الخزائن فهرس بل فهارس منظمة وصفت فيه مخطوطاتها العربية وصفاً مدققاً وذكرت تراجم مؤلفيها وكل ما له علاقة بها وذلك بارقام متسلسلة ونظام لم نستطع حتى الآن ان نحذو حذوه في انشاء الفهارس وتصنيف الجزازات (فيش) بحيث يحيط المستعرب اليوم بجميع النسخ المحفوظة في مكاتب الغرب من الكتب النادرة وغيرها متى أراد طبع كتاب اوالرجوع اليه في أبحاثه · ومازالت هذه الخزائن على نمو مستمر لان الجامعات والحكومات تنشط الى تنشيطها ، والافراد ينحونها مجاميعهم في حياتهم او بعد مماتهم ، فقد اعطى مؤخراً صديقي الامير كايتاني من أعظم المستعربين في ايطاليا خزانته العظمى للمجمع العلمي في رومية في حياته ، واعطى غريفيني المستعرب الايطالي خزانته لجامعة ميلانو في ايطاليا بعد مماته ، وباعت أسرة غولدصهير المجري خزانة كتبه المهمة من الجامعة الاسرائيلية في القدس ·

ولما انفثأت الثورة الدينية في الغرب وقامت مكانها الثورة الاستعمارية اشتدت الحـاجة اكثر من قبل للاطلاع على آداب العرب وغيرهم من أمم الشرق ، ودخل علم المشرقيات منذ أواخر القرن الثامن عشر في طور العلوم المنظمة فأنشأت النمسا سنة ١٧٥٣ مدرسة لتعليم اللغات الشرقية لقناصلها وتجارها ، وأنشـأت فرنسا في سنة ١٧٩٥ مدرسة اللغات الشرقية الحية لمثل هذه الغـاية ، وشادت المانيا مثلهـا سنة ١٨٨٧ ثم تبعتها روسيا وانكلترا وايطاليا فأسست كل منهـا مدارس للاخصاء بهذه اللغات · على ان اهم جامعـات الغرب لم تخل ابداً منذ القرن السادس عشر من دروس عربيـة ولا سيا جامعات المانيا وانكلترا وهولاندة · والعناية بدراسة هذه

اللغة بالغة حدها من الجد والهمة · ورأى علماء المشرقيات سهولة في تلقف لغات الشرق ، ومنهم من كان يعرف خمساً وعشرين لغة شرقية وغربية مثل لودلف الالماني ومنهم نحو عشرين لغة مثل دي ساسي الفرنسي وفان برشم السويسري وهوميل الالماني · ولا تقل اللغات التي يعرفها احدهم عن خمس او ست ، ومن أغربهم دوزي الهولاندي الذي كتب في سبع لغات كأنه احد ابنائها فكتب باللاتينية والهولاندية والالمانية والفرنسية والانكليزية والاسبانية والبرتقالية ، ومثله فمبري المجري فانه كان يكتب بالمجرية والتركية والعبرية واللاتينية والانكليزية والالمانية والفرنسية كأنه بعض المنشئين المشهورين في كل لغة لم تدخل واحدة منها الحيف على اختها ·

وللمستعربين في تلقف العربية طريقة اعتمدوا عليها في تعلم اللغات الغريبة عنهم ، وهو ان يأخذ طالب العلم في مدرسته او بلده مايمكنه اخذه من قواعد اللغة واصولها ومفرداتها ثم يرحل للتلقي عن اهلها ، ليحصل لاذنه أنسة بسماع اللغة من اربابها ، كما كان أجدادنا يرحلون لتلقي الحديث ورواية الآثار والاشعار · فيجيء المستعرب يقضي ماشاء ان يقضي من الزمن في بلاد عربية ، وقد يفضلون مصر ثم الشام ، ومنهم من القن علمه العربي في الازهر وآخرون تعلموا في مدارس المرسلين في بيروت او قرأوا على مشايخ دمشق وحلب وبغداد وتونس وفاس ومنهم من تظاهروا بالاسلام وتطالت انفسهم ليدرسوا علوم الاسلام في مكة المكرمة مثل سنوك هروغرون الهولاندي ·

ولما كانت الاعمال الكبرى لا تظهر فائدتها الا باجتماع القوى المتفرقة وتوحيد المقاصد ، وكان للجمعيات والمجامع اثر كبير في خدمة العلم والمدنية ، أنشيء للبحث في المشرقيات في باتافيا في جاوة اول مجمع للعلوم والفنون سنة ١٧٧٨ · والهولانديون من اول الامم التي حملت علَم العلم والمدنية في الغرب ، ثم أنشئت الجمعية الآسياوية في البنغال في الهند في سنة ١٧٨٤ والجمعية الآسياوية في بومباي سنة ١٨٠٥ ، وانشيء في القاهرة المجمع العلمي المصري سنة ١٨٩٨ ، وأسست الجمعية الآسياوية في باريز سنة ١٨٢٢ وكان من أعظم مؤسسيها اكبر مستعرب نشأ في فرنسا واخذ عنه أئمة المستعربين من علماء المشرقيات من الالمان والهولانديين والسويديين والايطاليين ، ونعني به العلامة سلفستر دي ساسي ، والمشرقيات العربية في القرن

التاسع عشر في اوربا مدينة لهذا الرجل كثيراً لانه سهل على المشتغلين بالعربية طرق تعلمها وتلقفها ٠

يقول هومبولد ان من اجمل نتائج المدنية الحديثة ان تؤلف جميع الامم المستنيرة أسرةً واحدة عندما تمس الحاجة لخدمة العلم والآداب والفنون وكل ماينشأ من تقرير حقيقة و ينبعث عن فكر وحس و يرتفع به الانسان الى ما فوق الحاجات العادية في المجتمع ٠ ولذلك رأينا بين المشتغلين بلغات الشرق من الغربيين شيئًا من التضامن الادبي يشد بعضهم أزر بعض ، فلم يكتف المستعربون بمجامعهم وجمعياتهم وجامعاتهم ومجلاتهم التي تنشر أبحاثهم ، بل سمت هممهم الى عقد مؤتمرات يختلف اليها جميع علماء المشرقيات من الامم والمستعربون في جملتهم ، فعقدوا اول مؤتمر لهم في باريز ثم في لندرا ثم في لينينغراد ففلورنسه فبرلين فليدن ففينا فاستكهولم فلندرا ثانية فجنيف فباريز ثانية فرومية فهمبورغ فالجزائر فكوبنهاغ فآثينة ثم عقد مؤتمر بعد الحرب العامة في ليبسيك لم تحضره أمم الحلفاء (فرنسا وانكلترا وايطاليا واميركا) وعقد آخر في باريز لم تشترك فيه أمم الوفاق في اوربا الوسطي وشرقها (كالالمان والنمسا وبين والمجر ولا أمم الصقالبة اي السلافيين) ٠ وقد اعتاد علماء المشرقيات ان ينشروا بهذه المناسبة مجلدات ضخمة في أعمال مؤتمراتهم وما يقدمه بعضهم من الرسائل القديمة او يكتبه من الابحاث الطريفة في الفرع الذي اختص به ٠ وكان للعربية من بين اللغات الشرقية التي يتدارسها علماء المشرقيات المقام الممتاز فنشرت بذلك رسائل قديمة مهمة كما نشرت رسائل نادرة من كتب العرب في الاسفار التي يؤلفونها عندما يريد علماء المشرقيات الاحتفاء باحد اخوانهم الذين خدموا العلوم المشرقية عند بلوغه سنًا معينة ٠

هذا ماقام به الغربيون لخدمة الدروس العربية ، وقل ان تجد في بلادهم جامعة مهمة الآن الا وفيها منبر لتدريس لغتنا ، مهما بلغ من قلة عدد ابناء تلك الامة ، وبعدها عن الاستعمار وانصرافها عن الفتوح والغزوات ، بل يتعلمونها للتجارة والتثقيف ، وقد نبغ في كل أمة رجال يتكلمون العربية ويكتبونها كابنائها ، ومنهم من اكتفوا بفهم النصوص في الكتب ، ولم يساعدهم الزمن ليتمكنوا من أدب العرب او ليرحلوا الى البلاد العربية يدرسون لغتها ويمارسون التكلم بها مع أبنائها مدةً وممن عرفناهم

يكتبون العربية كتابةً جيدة جويدي ونالينو وماسنيون ومارسيه ومرجليوث و برون و كرنكوف وبروكلمان وهارتمان ومورتس و كراتشقوفسكي و كوفالسكي وغريفيني وغولدصهير . ومعظم من عُنوا بلغتنــا من علماء المشرقيات نشروا كتباً ورسائل مهمة من آثار السلف الصالح ، ويكفي ان يقال في هذه الهمم الشماء ان الطبع باللغةالعربية الذي انتشر منذ القرن الخامس عشر في ايطاليا ومنذ أوائل القرن السابع عشر في هولاندة ، ثم شاع بعد حين في سائر عواصم الغرب ، لم يصل الاستانة الا في القرن الثامن عشر ، ولم يهبط مصر الا في أوائل القرن التاسع عشر وكان على ضعف في الشام في القرن الثامن عشر . وهذا اكبر دليل على انتباه الغربيين وتفوقهم علينا في ورود مناهل العلم والتذرع باسباب نشره وتحبيبه الى الناس .

سادتي : يحتاج الوقوف على ما نتج للغرب من تلك النهضة في الاخذ من علوم العرب الى بحث مستفيض خاص ، ويهمنا الآن معرفة اثر تلك النهضة فينا وفي لغتنا، اي ان نعرض للجهة التي تخصنا من ذاك الجهاد العظيم الذي جهدوه في احياء العربية فقط ، وذلك للتنويه بمن نشروا كتبنا فأسدوا الى لغتنا المحبوبة اياديهم البيضاء ، وعلمونا بما أحيوه دروساً في تاريخ أمتنا ومدنية أجدادنا كنا نجهلهــا ، مع ان اعمالهم هذه وصلتنا بالعرض اذ لم يكن علماء المشرقيات او جمعيــاتهم ومجامعهم يقصدون خدمتنا ، بل خدمة العلم او الافكار التي يريدون بثها ليتخذ بعضهم من كتب أسلافنا مادة تنفعهم في موضوع قد يرون غير رأينا فيه او غير ذلك من المقاصد . ولكن مهما كانت النيات فقد استفادت العرب والعربية من هذه الهمة التي انبعثت من ديار الغرب ولذلك تقضي علينا أخلاقنا ان نعرف الفضل لصاحبه .

المشرقيات العربية في فرنسا وسويسرا وبلجيكا

اهتمّ المستعربون من علماء المشرقيات في فرنسا بالنقل والاحتذاء من كتب العرب اكثر من اهتمامهم بنشر اصول تلك الكتب ، ومع ذلك فان في الذي نشروه من الكتب العربية دليلاً على ما بذله أفراد هذه الامم في خدمة آدابنــا . فقد نشر (سلفستر دي ساسي) امام المستعربين في الغربيين كتاب كليلة ودمنة والفية ابن مالك

وكتاب الاعتبار لعبداللطيف البغدادي في وصف مصر ومقامات الحريري ومعلقة لبيد ، ونشر (اكاترمير) مقدمة ابن خلدون والروضتين في اخبار الدولتين لابي شامة وسر الخليقة لبلنيوس الحكيم والقصائد السبع المعلقات والبرق اليماني ومطالع النيرين والتيجان وبلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام . ونشر (كوسين دي برسفال) المعلقات السبع وامثال لقمان الحكيم . ونشر (رينو ودي سلان) تقويم البلدان لابي الفدا . ونشر (دي سلان) ديوان امرئ القيس والجزء الاول من وفيات الاعيان لابن خلكان والجزء السادس من اخبار البربر في تاريخ ابن خلدون والزيج الحاكمي و (فريميري) رحلة ابن بطوطة ونشر (دوغا) بمعاونة (دوزي) الهولاندي و (ريت) الانكليزي نفح الطيب للقري . و (باربيه دي منار) مروج الذهب للمسعودي و (هارتويغ درنبورغ) كتاب سيبويه والاعتبار لابن منقذ واربع رسائل للملك غرناطة ابي الحسن علي الى دون دياغو القسطيلي وابنه والنكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمني وديوان النابغة الذبياني وطبع ابوه الرياض المزهرة في صرف اللغة العبرانية ونحوها لمؤلفه ابي الوليد مروان بن جناح القرطبي وتاريخ اتابكية الموصل . و (بوشه) ديواني عروة بن الورد والفرزدق . و (هوداس) نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي (عشر) للوفراني وتاريخ السودان لعبدالرحمن التومبوكتي وتذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان وتاريخ جلال الدين المنكبرتي وتاريخ الفتاش نشره مع (دلافوس) . ونشر (باسيه) الخزرجية في العروض وتاريخ فتح الحبشة لعرب فقيه . ونشر (بل) تاريخ بني عبدالواد ملوك تلسان لابي زكريا يحيى وكتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الابار بمعاونة ابن ابي شنب . و (رافيس) زبدة كشف الممالك للظاهري . و (سيلفسوهن) ديوان طرفة بن العبد و (ماسنيون) الطواسين للحلاج والامثال البغدادية للطالقاني والاصطلاحات الفلسفية . و (ماسيه) نظام ديوان المهردار لابن الصيرفي وتاريخ ابن الميسر . و (پريه) ثماني مقالات لاهوتية ليحيى بن عدي و (رو) معلقة زهير ولامية ابن الوردي ولامية العجم للطغرائي وقصيدة بانت سعاد . و (زوتنبرغ) تاريخ ملوك فارس للثعالبي . و (هوار) البدء والتاريخ لمطهر ابن طاهر ومقامات ابن ناقيا وديوان سلامة بن جندل . و (منك) دليل الحائرين

لابن ميمون ومعين الحياة لابن جبرول · و (سيديليو) كتاب ابي الحسن علي المراكشي المدعو جامع المبادي والغايات في الآلات الفلكية و (شيفر) وصف الشام لابي الحسن علي الهروي والنهج السديد للفضل بن ابي الفضائل و (ديكرانج اينه) ذكر تملك جمهور الفرنسوية مصر والشام لنقولا الترك · وطبع (دوبكه) رسالة في البراهين على مسائل الجبر والمقابلة لعمر بن ابراهيم الخيامي · و (مسكوراتي) اخبار بني مزاب · و (كوننغ) كتاب الكلى والمثانة للرازي · و (اكزيكاقيصر) تاريخ جزيرة جربة لمحمد بن ابي راس احمد الناصر · و (لولوثيل) كتاب صورة الارض لمحمد بن جابر البتاني · و (لانجليس) رحلات لاناس من العرب والفرس رحلوا الى الصين والهند في القرن الثالث للهجرة · و (باتورني) وشاح الكتائب · و (غوتيه) الدرة الفاخرة للغزالي · و (كولين) تذكرة ابي العلاء بن زهر · و (مرسيه) حلبة الفرسان لابن هذيل الاندلسي · و (فرّان) الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد لابن ماجد · و (امار) مقدمة الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي · و (كي) كتاب الاشربة لابن قتيبة · و (كارا دي فو) كتاب ايرن في رفع الاشياء الثقيلة نقله الى العربية قسطا بن لوقا البعلبكي · و (شولتس) السويسري ديوان أُميـة بن ابي الصلت · و (كالير) السويسري الجزء السادس من كتاب بغداد لابي الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور · و (فودجه) البلجيكي كتاب الاشارات الالهية لابن سينا · و (غيغ) الحاوي في علم التداوي لنجم الدين محمود الشيرازي · و (موتلنسكي) اخبار الائمة الرستميين لابن الصغير · و (ميز) السويسري حكاية ابي القاسم البغدادي ·

المشرقيات العربية في جرمانيا

أخرج علماء الالمان أمهات كتب العرب التي تساعد على فهم دينهم وحضارتهم فقدموا للمستعربين وغيرهم مادة مهمة للبحث والنظر · وأهم ما نشره (فليشر) تفسير القاضي البيضاوي والمفصل للزمخشري وكتاب الف ليلة وليلة ورسالة هرمس في زجر النفس · وطبع (وستنفيلد) سيرة ابن هشام ومعجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم ما استعجم للبكري وطبقات الحفاظ للذهبي ووفيات الاعيان لابن خلكان وتهذيب

الاسماء واللغات للنووي والمشترك ليـاقوت وعجائب المخلوقات للقزويني وآثار البلاد للقزويني ايضاً والمعارف لابن قتيبة واسماء القبائل المتشابهة وغير المتشابهة لمحمد بن حبيب والاشتقاق لابن دريد واخبار قبط مصر للمقريزي وسيرة فخر الدين المعني وتاريخ مدينة الرسول للسمهودي وتاريخ مكة للازرقي والمنتقى من اخبار أم القرى وهي منتخبات من الفاكهي والفاسي وابن ظهيرة والاعلام للنهروالي الى غير ذلك من الكتب الممتعة التي عُدَّ وستنفيلد بنشرها من أعظم العاملين في تاريخ المشرقيات العربية · ونشر (فلوغل) الفهرست لابن النديم وكشف الظنون لحاجي خليفة والمؤنس للثعالبي وتعريفات الجرجاني ونجوم الفرقان وتاج التراجم لابن قطلوبغا · ونشر (سخاو) الطبقات الكبير لابن سعد وكتاب ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة للبيروني ونشر له ايضاً الآثار الباقية عن القرون الخالية والمعرب للجواليقي · ونشر (فريتاغ) ديوان الحماسة لابي تمام والافادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادي وولاية سعد الدولة على حلب وأمثال الميداني وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه ووصف فلسطين والشام للادريسي · ونشر (آلورد) دواوين الشعراء الستة النابغة وعنترة وطرفة وزهير وعلقمة وامرىء القيس والاصمعيات وديواني الاراجيز للعجاج والزفيـان وديوان رؤبة بن العجاج (١) وديوان خلف الاحمر والفخري في الآداب السلطانية والجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول · و (ليبرت) تاريخ الحكماء للقفطي · و (وابك) رسالة الخيامي في الجبر والمقابلة وكتاب الفخري للكرخي وتفسير مقالة اقليدس العاشرة لابي عثمان الدمشقي · و (وتستين) مقدمة الادب لجار الله الزمخشري · و (فولرس) معلقتي الحارث بن حلزة وطرفة بشرح الزوزني وتاريخ مصر لابن دقماق · و (كريمر) النمسوي الاستبصار في عجائب الامصار والمغازي للواقدي والاحكام السلطانية للماوردي والقصيدة الحميرية · و (فولف) المعلقات وشيئاً من ديوان الببغاء ورسالة في احوال القيامة · و (ايفيلد) فتوح الجزيرة المنسوب للواقدي · و (سيبولد) الشماريخ في

(١) حرص المستعربون على نشر دواوين العرب ولاسيما العرباء منهم لان الشعر مرآة الامم وقد يقع الباحث فيه على مواضعات وعادات لاتخطر له على بال ·

التاريخ للسيوطي واسرار العربية لابن الانباري والمني في الكنى له والمرصع لابن الاثير ورواية سول وشول وكتاب النقط والدوائر مع رسالتين في التوحيد . و(سيرنغر) اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق السمرقندي وتاريخ الغزنوية للعتبي والاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر والاتقان للسيوطي وكتاب حدود الفاكهي . و (بارث) فصيح ثعلب وديوان القطامي . و(موللر) النمسوي صفة جزيرة العرب للهمداني والفرق للاصمعي . و(موللر) الالماني طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة . و (يوسف موللر) اخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر وكتاب محمد بن كثير الفرغاني في الحركات السماوية وجوامع علم النجوم . و(بنس) اتعاظ الحنفا للمقريزي . و (هوروبتس) الهاشميات للكميت . وطبع (آبل) المعلقات السبع . و(سوسين) ديوان علقمة الفحل . و (ومسيكة) تاريخ ابي الفدا . و (نولدكه) ديوان عروة بن الورد . و (موجيك) النمسوي كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري وصفة الارض للخوارزمي وعجائب الاقاليم لزهراب ورسم المعمور من البلاد لمحمد بن موسى بن شاكر احد الاخوة الثلاثة المعروفين ببني موسى . ونشر (بروكلمان) تلقيح فهوم اهل الآثار في مختصر السير والاخبار لابن الجوزي وعيون الاخبار لابن قتيبة وديوان لبيد وكتاب ماتلحن فيه العوام للكسائي . وطبع (فيلمار) الارجوزة المزدوجة لوجيه الدين البهنسي ومثلثات قطرب . و (جورج يعقوب) طيف الخيال لابن دانيال الطبيب الكحال . ونشر (كرابتشك) النمسوي النصوص التي تعين على جمع تاريخ بني مزيد . و (باردنهاور) كتاب الانساب المنسوب لارسطاطاليس . و (مور يتس) التحفة السنية باسماء البلاد المصرية لابن الجيعان وتاريخ الفيوم لابي عثمان النابلسي الصفدي . و (شمولدرس) ارجوزة في المنطق لابن سينا . و (بارتز) كتاب الشرائع لشالومون ابن يوسف بن ايوب . ونشر (هفنر) النمسوي عدة رسائل لغوية وهي القلب والابدال لابن السكيت وكتاب الابل للاصمعي وكتاب خلق الانسان له وثلاثة كتب في الاضداد للاصمعي والسجستاني وابن السكيت وذيل للصغاني . ونشر الدارات والنبات والشجر والنخل والكرم للاصمعي . ونشر (ناغلبرغ) كتاب الشجر لابن خالويه . ونشر (غروتر) ادب الكاتب لابن قتيبة ونشر (هيل) تذكرة الكحالين لعلي بن عيسي وطبقات

الشعراء للجمحي وديوان الفرزدق · و(هوخهايم) الكافي في الحساب للكرخي · و(وايل) الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين للانباري · و(شوالي) المحاسن والمساوي للبيهقي · و(شولتس) ديوان حاتم الطائي · و(ديترسي) بعض رسائل الفارابي وحكمة ارسطاطاليس وتوحيده ورسائل اخوان الصفا · و(بزولد) سيرة احمد بن طولون لابن سعيد المغربي وقصيدة عمرو بن كلثوم بشرح ابن كيسان · و(برونله) كتاب المقصور والممدود لابن ولاد وأعد للنشر الازمنة لقطرب والاضداد له وكتاب خلق الانسان للزجاج والمشرات لابن خالويه والمنضد لابن الهنائي والتنبيهات على اغاليط الرواة ونشر نظام الغريب للربعي وشرح السيرة النبوية لابي ذر الخشني · و(مان) تحفة ذوي الارب لابن خطيب الدهشة ومشكل الانساب · و(فهيز) الفرج بعد الشدة للتنوخي · و(جاهن) شرح المفصل لابن يعيش · و(ريشر) معلقة عنترة وعليها شرح ابن الانباري والمعجم في بقايا الاسماء لابي هلال العسكري وشرح معلقة زهير للانباري والمذكر والمؤنث لابن جني · و(هوسهير) شرح معلقة زهير · و(بارمان) قول الحسن بن الحسين بن الهيثم في الضوء · و(توربكه) كتاب النحو للصباغ · و(هوجنسن) النمسوي بغية المستفيد في اخبار زبيد · و(شورتس) ديوان عمر بن ابي ربيعة ·

ونشر في بلاد المانيا والنمسا في عصور مختلفة كتب ورسائل كثيرة منها أخبار الدول المنقطعة للازدي وديوان لبيد وديوان طرفة بن العبد وتذكرة الكحالين لعيسى ابن علي وتاريخ الدولة الاتابكية لابي الحسن عزالدين وطبع لجابر بن حيان مصنف في أسرار الكيمياء وعدة رسائل لجعفر الصادق في هذا الفن نشرت في ستراسبورغ سنة ١٥٣٠ وطبع في هذا العصر كتاب الكيمياء في باسل ·

المشرقيات العربية في هولاندة

لم يقل الهولانديون عن الالمان في خدمة الآداب العربية ، فقد نشر مستعربوهم من الامهات المعتبرة ايضاً ما كشف القناع عن وجه المدنية الاسلامية فقام (اربنيوس) سنة ١٦١٥ ونشر تاريخ الشيخ المكين جرجس بن العميد وحكايات لقمان ، وانشأ مطبعة

ليدن وجهزها بالحروف العربيــة التي ما زالت الى اليوم تطبع باكثر من عشرين لغة من لغات الشرق ونشر (غوليوس) كتاب الفلك للفرغاني وعجائب المقدور في اخبار تيمور لابن عربشاه . و(شولتس) سيرة صلاح الدين لابن شداد . و(دوزي) المعجب لعبد الواحد المراكشي والبيان المغرب لابن عذاري وقسماً من جغرافيــة الادريسي بمعاونة (دي خوي) ومنتخبات من مصنف للقريزي والحلة السيراء لابن الابار . ونشر شيخ المشرقيات العربية (دي خوي) من الكتب في التاريخ والجغرافية أجلهـا حتى عدّ سيد المستعربين من الهولانديين بل لا يفوقه بكثرة ماطبع من جميع المستعربين في الامم الا (وستنفيلد) و يزيد عليه (دي خوي) في التحقيق والضبط وجميل الذوق في فهم كلام العرب . فمما نشره تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد ونشر أمهات من كتب الجغرافية سماها المكتبة الجغرافيــة العربية وهي مؤلفــة من المسالك والممالك للبلخي والمسالك والممالك لابن حوقل واحسن التقاسيم للمقدسي البشاري وكتاب البلدان لابن الفقيه والمسالك والممالك لابن خرداذبة مع نبذة من كتاب الخراج لقدامة بن جعفر والاعلاق النفيسة لابن رستة و كتاب البلدان لليعقوبي والتنبيه والاشراف للمسعودي وجزءاً مهماً من تجــارب الامم لابن مسكويه والعيون والحدائق وخلافة عمر الثاني و يزيد الثاني وهشــام وشرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون وديوان صريع الغواني والشعر والشعراء لابن قتيبة . ونشر (يونغ) المشتبه في اسماء الرجال للــذهبي والانساب لابي الفضل المقدسي ولطائف المعارف للثعالبي والخراج ليحيى بن آدم وفتوح البلدان للبلاذري وصحيح البخاري . ونشر (جو ينبول) مراصد الاطلاع لعبد المؤمن بن عبد الحق والجبال والامكنة والمياه للزمخشري والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة وقصــائد المتنبي وشعراء عصره في مدح سيف الدولة . ونشر ابنه (وليلم) التنبيه في الفقة الشافعي للشيرازي وكتاب البلدان لابن واضح اليعقوبي . و(هوتسما) زبدة النصرة للعماد الاصفهاني وتاريخ اليعقوبي والاضداد لابن الانبــاري . و (بيت) لب اللباب للسيوطي . و(مورسنج) طبقات المفسرين للسيوطي . و (فايرس) درة الاسلاك في دولة الاتراك لابن حبيب و(فان فلوتن) مفاتيح العلوم للخوارزمي والبخلاء للجاحظ والمحاسن والاضداد

له وثلاث رسائل للجاحظ ايضاً ٠ و(آبل) ديوان ابي محجن الثقفي ٠ و (فان دانبرغ) فتح القريب لابن القاسم الغزي ٠ و(جرهاردوس) النزاع والتخاصم للمقريزي ٠ و(كوننغ) المثانة والحصبة وثلاث رسائل في التشريح للرازي ٠ و (فان دبرايت) عجائب الهند لبزرك بن شهريار الرام هرمزي ٠ و(انغلمان) ديوان الحادرة ٠ و (بالتناد لانداور) الامانات والاعتقادات لسعديا بن يوسف الفيومي ٠ و (بير) تاريخ الزندية لابن عبد الكريم علي رضا الشيرازي و (بيرام) المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين ٠

ونشر في هولاندة الالمام بمن في ارض الحبشة من ملوك الاسلام ومفحمات الاقران في مبهمات القرآن للسيوطي وغير ذلك من الكتب النفيسة ٠

المشرقيات العربية في انكلترا والولايات المتحدة

من اول ما نشر الانكليز من الكتب كتاب التصريف لابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي ٠ ونشر (بوكوك) مختصر الدول لابي الفرج الملطي ونظم الجوهر لسعيد بن بطريق ٠ و(كورتون) الملل والنحل للشهرستاني وعقيدة اهل السنة للحافظ النسفي ورحلة البطريرك مكاريوس ٠ و(لومسدون) مقامات الحريري ونفحة اليمن لاحمد الشرواني وشرح المعلقات ومختصر المعاني للقزويني وقاموس المحيط للفيروزابادي و(ناسو) الكشاف للزمخشري وتاريخ الخلفاء للسيوطي ونوادر القليوبي وفتوح الشام للواقدي وفتوح الشام للبصري وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ونخبة الفكر لابن حجر العسقلاني ٠ ونشر (هاريسخون) ذكر فتح الاندلس لابن عبد الحكم و(همر) شوق المستهام في حل رموز الاقلام لابن وحشية ٠ و(بالمر) ديوان زهير المصري ٠ و (صموئيل لاي) الاشارات في معرفة الزيارات للهراوي ٠ و(ريت) الكامل للمبرد ورحلة ابن جبير ومجموعة سماها جُرْزَة الحاطب وتحفة الطالب فيها ديوان طهمان بن عمر الكلابي تأليف ابي الحسن السكري وتلقيب القوافي لابن كيسان وصفة السرج واللجام لابن دريد والسحاب والغيث واخبار الروادلة ٠ و(أميدروس) تاريخ الوزراء للصابي وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ٠ و (برونو) كتاب الموشي للوشاء والاتباع والمزاوجة لابن فارس ٠ و (كارلايل) مورد اللطافة

فيمن ولي السلطنة والخلافة لابن تغري بردي · و (مرجليوث) معجم الادباء لياقوت الحموي والانساب للسمعاني ونشوار المحاضرة للتنوخي ورسائل المعري وديوان التعاويذي · و(فنكل) ثلاث رسائل للجاحظ فيهما الرد على النصارى وذم أخلاق الكتاب ورسالة القيان · و(ارنولد) كتاب المنية والامل للمرتضى في ذكر المعتزلة · و(كاسل كاي) مجموعة في تاريخ اليمن لعمارة والمختصر من العبر لابن خلدون وأخبار القرامطة في اليمن للجندي · و (هرشفيلد) ديوان حسان بن ثابت · و (كركنوف) قصيدتين لمزاحم العقيلي وديوان عمرو بن كلثوم التغلبي والحارث بن حلزة اليشكري والطرماح والصحاح للجوهري وكتاب للعقيلي · و (مهرمان) معيد النعم ومبيد النقم للتاج السبكي · و(لايل) دواوين عامر بن الطفيل وعبيد بن الابرص وعمرو بن قميئة والمفضليات للضبي مع شرح ابي محمد القاسم الانباري والمعلقات العشر بشرح التبريزي · و(نيكلسون) كتاب اللمع · و(بفن) نقائض جرير والفرزدق · و(مرجليوث) مع (جير) الالماني حماسة البحتري · و(ستوري) الفاخر للمفضل بن سلمة · و(مكارتني) ديوان ذي الرمة بشرح الانباري · و(منغانه) الدين والدولة لابن ربّن · و(ستروثج) فتوح الحبشة لاحمد ابن عبد القادر بن سالم بن عثمان · و(روس) ظفر الواله في تاريخ كجرات للالغجاني · و(كوست) تاريخ مصر وولاتها للكندي · و(موبت) كتاب عبد اللطيف البغدادي ·

ونشر (پوبر) الاميركاني النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي · و(كوتهيل) الاميركاني تاريخ قضاة مصر للكندي وكتاب المطر لابي زيد · و(كرنيليوس فانديك) الاميركاني رسالة في مرض الجدري والحصبة للرازي · و(طوري) الاميركاني فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم · و(جوث) الاميركاني الجزء الثامن من تاريخ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي · و(كونيج)الاميركاني تاريخ حكام مصر للكندي · و(جاسترو) الاميركاني كتاب ابي زكريا يحيى بن داود هيّوج ·

* * *

المشرقيات العربية في ايطاليا واسبانيا والبرتقال

كانت ايطاليا اول الامم الغربية التي ذهبت بفضل السبق في نشر الكتب العربية ، فقد أحيا علماؤها المستعربون في مدينة البندقية سنة ١٤٧١ تآليف يحيى بن ماسويه

الاصغر الحراني في الطب والفلسفة وطبعوا قانون ابن سينا في الطب مع كتاب النجاة في سنة ١٥٩٣ وبعدها نشروا رسائل أخرى في المنطق والطبيعة والكلام للرازي وطبعوا تحرير اصول أقليدس للطوسي ·

ونشر (آماري) المكتبة العربية الصقلية وفيها جميع ما ورد في كتب العرب عن جزيرة صقلية وطبع الشروط والعقود السياسية بين جمهوريات ايطاليا وسلاطين مصر وغيرهم و كتاب الاشارات للهروي · و(لانزوني) القول المستظرف في سفر مولانا الملك الاشرف وكتاب النخلة للسجستاني · و(ربيزو) كتاب الارصاد الكلية · و(كايتاني) تجارب الامم لابن مسكويه · و(جويدي) شرح بانت سعاد لابن هشام وكتاب الافعال لابن قوطية والاستدراك لابي بكر الزبيدي · و(كيسب فللا) كتاب ديوان مصر وزاد المسافر ورسالة لقسطا بن لوقا · و(سكياباريللي) ديوان ابن حمديس الصقلي وجزءاً من انس المهج وروض الفرج ومرشدة الطالب في اسمى المطالب لابن بسام وعلم الشعر لابي العباس احمد بن يحيى ثعلب · و (نللينو) زيج البتاني في الفلك والبيان لابن رشد · و(غريفيني) فقه زيد بن علي وديوان الاخطل والطبقات لابي بكر الزبيدي ونصوصاً عربية في صقلية وقصيدة منسوبة لامرىء القيس وقصيدة قدم بن قادم وقصيدة الاعشى «ماالبكاء» وأعد للطبع لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية للامير عثمان بن ابراهيم النابلسي · والآنسة (كودتسي) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان لاسحق بن حسين المنجم · و(بوبجي) مقامات ابي طاهر التميمي · و (روميو) كتاب الفرغاني في الطب · و (برتولوميو) كتاب النحل للسجستاني و(كوزالوشي) و(لاغوميتا) الصكوك المعينة على تاريخ استيلاء العرب على جزيرة صقلية ملحقاً للمكتبة الصقلية التي نشرها آماري ·

وانت ترى ان ما سما الايطاليون الى نشره اولاً كتب العلوم المادية فتداركوا من الضياع بعض ما أبقته الايام من الكتب ، ولقد وضع السويسري سوتر من علماء المشرقيات كتاباً فيمن اشتغلوا من العرب بالعلوم الرياضية والفلك فقط فكان عدد من وصل الى تراجمهم نيفاً وخمسمائة رجل فُقدت الآن اكثر كتبهم · ونشر (بانكري) الاسباني كتاب الزراعة لابن العوام · و (كازللا) لغز قابس · وأهم ما نشره علماء

المشرقيات الاسبان المكتبة الاندلسية . نشرها (كوديرا) و(ربيرا) وهي الصلة لابن بشكوال وبغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس والمعجم لابن الابار والتكملة لكتاب الصلة لابن الابار ايضاً وتاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي وفهرس مارواه عن شيوخه ابوبكر بن خليفة الاشبيلي . و(اميليولافونت) أخبار فتح الاندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بينهم . و(كيروس) علم مابعد الطبيعة لابن رشد . و(آسين) المدخل لصناعة المنطق لابن طملوس . و(كنساليس) تقويم الذهن للداني . و(ربيره طرغوه) القضاة بقرطبة للخشني القروي . و(شانجاس) اختصار الجبر والمقابلة لابن بدر . و(غسبار) ريحانة الكتاب للسان الدين ابن الخطيب والجزء الثاني والعشرين من نهاية الارب للنويري . و(هويتي) كتاب التواريخ لابن بسام . و(كلاززا) فلسفة الاسلام والغربيين . ونشر (لوبيس) البرتقالي كتاب أحوال البرتقاليين في مالابار الهندية للشيخ زين الدين وكتابات عربية متعلقة بالبرتقال . و(صوصه) الصكوك العربية المتعلقة بتاريخ البرتقال .

المشرقيات العربيه في روسيا وبولونيا وفنلندا وهنغاريا وتشكوسلوفاكيا

أولع الروسيون بنشر خلاصات من كتب العرب فكانوا أشبه بالافرنسيين في هذا المعنى ، ومع هذا نشر من أبنائهم (كركاس) الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري . و(غوتولد) تاريخ سني ملوك الارض والانبياء لحمزة الاصفهاني ومعجماً للقرآن والمعلقات . و(كولسون) الاعلاق النفيسة لابن رستة . و(خانيكوف) ميزان الحكمة للخازني . و(بتروف) طوق الحمامة لابن حزم . و(روزن) تاريخ الذيل الذي صنفه يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي ومصنفاً في الجبر لابي جعفر الخوارزمي . و(كراتشقوفسكي) ديوان الوأواء الدمشقي . ونشروا رحلة ابن فضلان والصور السمائية لعبد الرحمن بن عمر الصوفي ويعرف بكتاب الكواكب الثابتة . ونشر (كوفالسكي) البولوني ديوان قيس بن الخطيم . و(رودلف دفوراك) ديوان ابي فراس الحمداني . ونشر (ولين) الفنلاندي حائية ابن الفارض «أوميض برق بالابيرق لاحا» مع شرح عبد الغني النابلسي عليها . ونشر (تلكويست) الفنلاندي المغرب في حلى المغرب لابن سعيد . ونشر (غولدصهير) المجري كتاب المعمرين للسجستاني وفضائح الباطنية

للغزالي وكتاب مهدي الموحدين محمد بن تومرت وديوان الحطيئة جرول بن اوس ومعاني النفس ومقالة لكاتب اسرائيلي في اسماء الله الحسنى وصفاته تعالى ·

الدانيمرك والسويد ونروج

نشر (مهرن) الدانيمركي عجائب البر والبحر لشيخ الربوة وعدة تآليف لابن سينا منها رسالة حي بن يقظان ورسالة في أسرار الحكمة المشرقية · ونشر (تورنبرغ) السويدي تاريخ الكامل لابن الاثير والانيس المطرب لابن ابي زرع الفاسي · و(كرلو لندبرغ) السويدي الفتح القسي في الفتح القدسي لعماد الدين الاصفهاني وديوان زهير بن ابي سلمى للاعلم الشنتمري · ونشر (موبرج) السويدي درج الغرر ودُرج الدرر للميكالي · و (نيبرغ) ثلاث رسائل لابن عربي وهي انشاء الدوائر وعقلة المستوفز والتدبيرات الالهية وكتاب البهجة لابراهيم الشبستري والانتصار في الرد على ابن الراوندي · ونشر (بروخ) المفصل للزمخشري · و (سترستين) السويدي تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس وامرائها لابراهيم مغلطاي وقطعة من كتاب تهذيب اللغة للازهري ·

الخلاصة

هذا بعض ما أحياه علماء المشرقيات في الغرب من أسفار أجدادنا ، وهذه الجريدة ادنى الى ان تكون قائمة غير مستوفاة لان بلاد الغرب كبيرة ، والاستقصاء متعذر بعد عمل القوم هناك قروناً طويلة · وما زالت هذه اللغة كما قلنا مرة من لطف الله بها يخدمها الأعاجم ، ويغار عليها من ليسوا من ابنائها ، وقد يحسن الدخيل خدمتها اكثر من الأصيل · خدم الأعاجم حضارة العرب كثيراً في العهد القديم ، والأعاجم في العهد الحديث ماخرجوا عن هذه السنة معها ، وبعد فلو لم يشرع الغربيون بنشر كتبنا منذ القرن الخامس عشر للميلاد لتأخر النور عنا مدة ، ولكان ضاع جانب من ثروتنا العلمية ، ولو حدث الانتباه في الغرب للحصول على كتب العرب في القرن العاشر للميلاد مثلاً لحفظت كنوز كثيرة تبعثرت بالحروب الصليبية في الشام ومصر ونكبة هولاكو في بغداد وفجائع البربر والاسبانيين في الاندلس ، وغير ذلك

من الخطوب المدلهمة التي اصيبت بها كتب العرب من إحراق وإغراق وتمزيق وتفريق . ومع هذا فان هذه المادة الصالحة التي تلقفها الغربيون من أسفارنا بعد زمن نهضتهم ، قد أحيت معالم حضارتنا ، ولولا عنايتهم البالغة لضاع اكثر ما ابقته الايام لنا ، لان ما حفظ من كتبنا في بلاد الغرب الاقصى والادنى ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن والهند وفارس و بخارى والاستانة وغيرها هو بقايا ضئيلة من تلك التركة العظيمة .

توفر المستعربون على طبع ما ظفروا به من كتبنا ورأوا مصلحة للعلم والآداب او للسياحة والاستعمار غرضاً في إحيائه قبل غيره ، وقلما طبعوا كتاباً او رسالة الا عن فكر ولمقصد ، موفرين العناية بمعارضة النسخ بنسخ مثلها ، والرجوع الى المظان المنقول عنها ، يجعلون ذلك في الهوامش ، و يحشونها بالفوائد والاستدراكات والملاحظات وحل المشاكل والمفردات . وكانوا يكتبونها لاول الامر باللاتينية لغة العلم عندهم ، ثم اخذ كل واحد يكتبها بلغته اي لغة الناشر ، ويفردون لكل كتاب فهرساً بل فهارس للاعلام من البلدان والجبال والأنهار والطرق والجسور والجوامع والمدارس والشوارع والدروب والأبواب والأسواق والأشخاص والقبائل والأمم وأسماء الكتب التي وردت في متن الكتاب ،و يشفعونها بفهرس القوافي والامثال وايام العرب ان كان السفر من كتب الشعر والادب ، وبفهرس المفردات ان كان الكتاب في اللغة والطب والهندسة والطبيعة والحكمة والجغرافية والفلك والحيوان والنبات الى غير ذلك مما يجزل الانتفاع من مطبوعاتهم ويقرب منالها على الطالب . وقد ينشرون الاصل من كتاب وينقلونه الى لغة من لغاتهم او يقدمون له مقدمة فيها مزايا الكتاب ومايمكن ان يستفيد منه العلم الآن وكم من مقدمة حملت روح الكتاب وارواحاً جديدة مع روحه .

وكل ما طبعه اولئك الأعلام ينمُّ عن صبر طبيعي فيهم ، ودؤوب غريب ، وأمانة يصفق لها ، وتحرٍ للحق ، وتحرج من التلفيق ، حتى غدت مطبوعاتهم الاماندر منها مثال النظر البليغ ، والطبع الجميل ، واكبر معوان على المراجعة والمطالعة والانتفاع بالكتاب حق الانتفاع . وكم من كتاب عظيم ظهر في الشرق غفلاً من الفهارس التي تقرب مناله فما هو ان نقل الى الغرب حتى تصدى بعض علمائه ووضعوا له الفهارس ليتم

الانتفاع به ، كما فعلوا بكتاب الاغاني واماني القالي وغيرهما · وعلى العكس رأينا بعض الطابعين في الشرق ممن استحلوا انتحال طبعات علماء المشرقيات من الغربيين ، فأعادوا طبعها في شناعة صورة معراة من حواشيها وفهارسها ، ولم يذكروا كلمة واحدة في نسبة الكتاب الى طابعه الاول ، بل محييه من العدم وصاحب الفضل الاكبر في اخراجه للناس ·

نعم يصدر المستشرقون الكتب العربية على عجمتهم سليمة من الشوائب في الجملة ، ونحن على عربيتنا قد نرتكب في احياء كتبنا أغلاطاً فظيعة ، ذلك لاننا نحاول ان نعمل عمل شهر في يوم ، وان لا نتعب أنفسنا في البحث والتفكير ، فيأتي عملنا خداجاً قبل أوانه ، ويأتي عملهم تام التراكيب ، مشبعاً بالتحقيق والتمحيص ، فنحن نُخدج وهم ينضجون · ومع هذا نرى بعض المتحذلقين منا يرمون المستعربين بعدم الفهم ، اذا ظفروا لهم بغلطات معدودة في كتاب طبعوه ، وهم لو أُلقي اليهم الأصل الذي طبع عنه المستعربون لارتكبوا أضعاف أغلاطهم ، وربما تعذر عليهم الاهتداء الى وجه الصواب في النقل والنشر ، ويقال لمن يعاجز هؤلاء الأعاجم ، ويذكر لهم هنات قليلة غاضاً الطرف عن سلسلة حسناتهم : هيا أتنا بتأليف كتآليفهم التي يجيدونها ، ونحن نتسامح معك في عدد الهفوات التي نسقط فيها · الانتقاد سهل ولكن الصعوبة في الإبداع والايجاد ·

وينتقد بعض من نظروا في الكتب التي طبعها المستعربون ان حروفها العربية ليست من جمال الهندام على مثال حروف المطابع في مصر والشام والاستانة ، ولهم بعض الحق في ذلك لان الطابعين هناك اعتمدوا على هذه الحروف التي هي اشبه بالقاعدة المغربية ، وبها طبعوا معظم ماطبعوه منذ القرن السادس عشر ، على ان بعض مطابع انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا والسويد أخذت في العهد الأخير تبدل الامهات القديمة بامهات من الحروف الجديدة على القاعدة الاسلامبولية وغيرها ، فأخذت مطبوعاتهم تخرج علينا بهذا الضرب من الحروف المشرقة · وكيف كان الحال فالسعيد في نظرنا من يتهيأ له اقتناء خزانة من هذه المطبوعات العربية في الديار الغربية ، لانها نادرة لقلة ما يطبع منها ، وبعد الزمن الذي قضى بنفادها ، وما نخال المستعربين ارتقوا في عدد ما يُخرجون منها عن بضع مئات ، ولعلهم يجمعون بعد الآن الى هذا

المقصد العلمي المقصد التجاري ايضاً ، فيكثرون من عدد النسخ المطبوعة ليشترك العربي في اقتناء كتب اجداده ، وتعم الفائدة و يجو المستعربون بعض الشيء من استحلال بعض الطابعين سرقة كتبهم وطبعاتهم في بعض بلاد الشرق ·

و بعد فما برح العارفون منا يقـدرون عمل المستعربين قدره ، بل يعجبون به و يحمدونه ، قال لي استاذي علامة الشام الشيخ طاهر الجزائري : أليس من الغريب ان يكون تفسير القاضي البيضاوي المطبوع في المانيا أصح من الطبعة التي طبعت في الاستانة ؟ وسمعت أستاذي الشيخ محمد المبارك يقول : لاحظت مع الجماعة الذين نجتمع وإياهم على قراءة سيرة ابن هشام ان الطابع الافرنجي عُني بطبعها وخدمها اكثر من عناية المصححين لها في المطبعة الاميرية في مصر اه · وهذا من عجيب تدقيق علماء المشرقيات وسلامة نظرهم ، يحسنون طبع تفسير قرآننا وسيرة رسولنا اكثر مما نحسنها ، على حين نحن لم نحرص في كل عصر على شيء حرصنا على علوم الدين ومقوماته وأغفلنا ماعداها من العلوم الا قليلاً · لاجرم اننا لم نصل الى اليوم في مصر والشام الى محاكاة الغربيين في باب العناية بطبع كتبنا ونشرها سليمة مقبولة ترتاح النفس اليها و يعول المحققون في تآليفهم عليها ·

لولا عناية المستعربين باحياء آثارنا لما انتهت الينا تلك الدرر الثمينة التي اخذناها من طبقات الصحابة وطبقات الحفاظ ومعجم البلدان ومعجم الادباء ومعجم ما استعجم وفتوح البلدان وفهرست ابن النديم ومفاتيح العلوم وطبقات الأطباء واخبار الحكماء والمقـدسي والاصطخري وابن حوقل والهمداني وشيخ الربوة وابن جبير وابن بطوطة الى عشرات من كتب الجغرافية والرحلات التي فتحت أمامنا معرفة بلادنا في الماضي و بها وقفنا على درجة حضارتها · لولا احياؤهم تاريخ ابن جرير وابن الاثير وابي الفدا واليعقوبي والدينوري والمسعودي وابي شـامة وابن الطقطقي وحمزة الاصفهاني وأمثالهم لجهلنا تاريخنا الصحيح وأصبحنا في عماية من أمرنا · ولو جئنا نعدد حسنات دواوين الشعر وكتب الادب والعلم التي أحيوها لطال بنا المطال ففي الذي أوردناه من أسمائها فيما سلف غنية ، والمقصود بيـان تلك المزايا ، والاشادة بالايادي البيضاء التي أسدادا القوم لآدابنا ·

أعلى دي ساسي ودي سلان ور ينو وفليشر ووستنفيلد وفلوغل وفر يتاغ وموللر وسخاو وآلورد ودوزي ودي خوي وجو ينبول وهوتسما وفانفلوتن وليس ورَيْت وايدروز ومرجليوث و بو بر و بفن ولايل ومكرانني وجو يدي ونللينو وكودرا ور ببرا وغولدصهير وكركاس وروزن وغوتولد وتورنبرغ ومن تبعهم ومشى على اثرهم ممن طبعوا الامهات اوطبعت تحت نظرهم وبتحقيقهم — هؤلاء الرجال أعلوا مقام المشرقيات في الغرب . فان فضل كل واحد منهم بما نشر كفضل المؤلف في تأليفه وقد لا يكون التأليف من الصعوبة بالمكان الذي يقع فيه من يحاول إحياء تأليفه بعد ان تعاورته النساخ بالمسخ والتحريف . ومصيبة الاخذ من المخطوطات القديمة لا يشعر بها كل الشعور الا من أصيب بها ، فان منها المهمل الذي لا إعجام في حروفه ومنها المشبك ومنها المحشي المهمش باشياء تزيد البلاء في استثبات ما قاله المؤلف الاصلي . وأعظم الخطوب في ذلك ان ينسخ الناسخ مالا يفهم معناه ولا مبناه وهناك البلية كل البلية . فإحياء الأسفار على هذه الصورة فيما نرى تأليف وزيادة . ووستنفيلد وفليشر وفلوغل ودوزي ودي خوي ور يت ومرجليوث وتورنبرغ وسخاو مثلاً باحيائهم عشرات من كتبنا هم من أعظم المحسنين لآدابنا . ولسنا نذكرهم ونذكر رفاقهم مهما قلّ عملهم في نظر المتشدقين الا بالرحمة والإعظام ، ونعدهم أساتذتنا في نشر الكتب والتأليف والنقد . فعلى الأموات منهم الرحمة وعلى الاحياء السلام .

* * *

هذه أسماء المصادر التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا الفصل (١) تاريخ علماء المشرقيات في اوربا من القرن الثاني عشر الى القرن التاسع عشر لدوكا (بالفرنسية) . (٢) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر للاب لويس شيخو . (٣) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع للدكتور ادوار فنديك . (٤) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان . (٥) غرائب الغرب لمحمد كرد علي . (٦) مجلة المشرق . (٧) مجلة المقتبس . (٨) مجلة المجمع العلمي العربي . (٩) المجلة الآسياوية البارزية . (١٠) مجلة العالم الاسلامي البارزية . (١١) مجلة الدروس الشرقية الايطالية .

حديث
لجلالة الملك فؤاد الاول
« ملك مصر المعظم »

نشرت جريدة المقتبس الدمشقية نص الرسالة التي أرسلها اليها حضرة السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي عن تشرفه بمقابلة جلالة الملك فؤاد وماتفضل به جلالته اليه من حديث عن النهضة العلمية في مصر والشرق قال الاستاذ :

شرفني امس الاول بقبولي الى حضرته في قصر عابدين جلالة الملك فؤاد الاول المعظم ونالني من عطفه ورعايته جانب كبير وسألني بعد ان أهل بي وسهل فيما اذا كنت هبطت مصر لاول مرة فأجبته انني قضيت فيها خمس سنين أعمل في السياسة المصرية والحركة الادبية مدة طويلة فسرّ وقال عن نفسه : انني رجل ربيت تربية عسكرية لاأحب الكذب ولا أستحسن الموار بات ، ولطالما دعوت قومي الى الاعمال العلمية والصناعية ليتخلوا قليلاً عن الاشتغال بالسياسة ، فاننا اذا عملنا كنا فيها أوقفنا عمران بلادنا . فقلت له انني عرفت مصر منذ سبع وعشرين سنة وعدت اليها في أدوار مختلفة فشاهدتها في عصركم السعيد غير مصر الاولى ، رأيت فيها جماعات يعملون الاعمال النافعة في مناطق اختصاصهم لا يَعْدونها بحال ، وقد أثمرت أعمالهم على النظام الغربي الثمرة المطلوبة ولا شك انه كان له ولاجداده العظام يد طولى في إنشاء هذه الحضارة واذا كان فيها بعض النقص فسعيه الى اكماله يعد في باب صفاته الكاملة وهمته العالية قلت : ورجائي ان تقطفوا الثمرة الشهية التي غرستها أيديكم وأيدي أسرتكم المعظمة على ماتحبون لمصر ولخير اهلها .

ثم قال أدام الله علوه انني حريص جد الحرص على نشر العلم بين جميع الطبقات ، وأود ان أجلب الى مصر كل إخصائي في فنه وادبه ليدخلوا فيها روحاً جديداً ، حتى لانبقى دون غيرنا في مضمار التقدم . ولطالما أردت بعض المشتغلين بالعلم في الغرب ان ينزلوا على الرحب والسعة ديارنا ، ليفيدوها بعقولهم وقرائحهم وقد أزور بعضهم في بيوتهم أحملهم على هذا الغرض . وقد غشيت مرة منزل الاستاذ سنوك هروغرني

الهولاندي في ليدن وعرضت عليه ان يشخص الى مصر ، ولكن بعض علماء الغرب لا يستطيعون ان ينفكوا عن وظائفهم وأعمالهم و يصعب عليهم ان يرحلوا طويلاً الى بلاد الشرق . وهنا ذكرت له أياديه البيضاء على الجامعة المصرية في نشأتها الاولى وقد رأسها زمناً قبل ان يتولى الملك وقلت له ان الثمرة قد أينعت بسعي جلالته وبلغت البلاد في ايام حكمه درجة عالية من النهوض وتوشك ان تتم نواقصها بفضل معاونته وإرشاده .

ثم سألني عن الحركة العلمية في بلادنا فأوردت على مسامعه الشريفة ما حضرني من اندفاع الناس في تعليم اولادهم ، وان المدارس أصبحت لا بأس بها بالقياس الى ماضيها و يرجى ان تأتي منها أفضل النتائج بعد حين ، وعرضت للمجمع العلمي العربي واثره في النهضة الشامية بمحاضراته ومجلته وعناية أعضائه بالبحث والدرس وقلت له شيئاً عن داري الآثار والكتب وان الآثار التي تستخرج في ارض دولتنا تعطى لتحفنا . فقال أعلى الله شأنه ان بلادنا وبلادكم مملوءة بالعاديات تحتاج الى من يحسن استخراجها وهي ثروتها وعظمتها . قال : واني مزمع ان أسس في مصر مجمعاً علمياً يكون اعضاؤه لا من المصريين فقط بل ومن غيرهم ايضاً ، وانه يجب ان يرى العلماء يعملون على الأساليب الحديثة ، وان تتجلى في أعمالهم روح التحقيق والبحث والاعتماد على المصادر الجديرة بالثقة ، لا كما يفعلون في مصر الآن فيترجمون على الأغلب حتى في تاريخنا وأدبنا ترجمة ناقصة ، وكان عليهم ان يؤلفوا و يضعوا من عند أنفسهم . فقلت له : ان داء الشرقيين قلة النظام وقلة الدؤوب . قال : وهذا تاريخ مصر منذ ١٢٠ سنة يكاد يفقد ولم يكتب كتابة نقد وتمحيص ، وقد عنيت أشد العناية بجميع الوثائق الرسمية ووضعتها في جزازات ورتبت على نظام مقبول يمكن الاستفادة منها ، ولما لم أعرف احداً في بلادي يحسن التركية و يشارك في معرفة هذه الاعمال اضطررت الى استدعاء عالم افرنسي اسمه المسيو دينه لتنظيم هذه الذخائر النافعة لمصر . وهنا ذكر الاستاذ نللينو الايطالي من اساتذة الجامعة المصرية وأعماله الطيبة في العلم فقلت لجلالته ان كتابه « تاريخ علم الفلك عند العرب » من أمتع الاسفار ولا يكاد يوجد في أمتنا من يؤلف مثله على اختصاره وإمتاعه وسعة مادته . وذكرنا علماء آخرين من الفرنج نفعوا مصر بعلمهم .

وقد كان جلالته ، أعز الله به دولة العلم وأعلى في عهده كعب مصر بين الممالك ، تتجلى فيه روح الديموقراطية الحقيقية وما كنت اظنني أمام أكبر ملك عربي متمدن بل كان يتراءى لي انني أمام عالم كبير يعرف معنى المدنية و يعرف السبل الى إنهاض أمته و يتدفق غيرة وإخلاصاً من أجل خدمة بلاده ، رأيت فيه بعد النظر والبعد عن التكلف وحب التسامح ۰ وا كثر ما كان يرمي اليه قوله انه يجب ان يهبط العلماء بلاده لينفعوها بقرائحهم ومكتشفاتهم ۰ وقال مرتين : اننا اذا لم نحسن معرفة تاريخنا ولغتنا كما يجب فأي شيء نتطال اليه بعد ۰

هذا ماعلق بذهني مما دار بيني وبين جلالة مليك مصر المعظم الذي مازال يتوج هام مصر بالمعاهد والمصانع التي تدل على تشبعه بروح الدستور وروح الفنون الجميلة والعلوم الحديثة وهو يسعى جهده لتبلغ مصر أرقى مداها ۰ حقق الله آماله وآمال الامة العربية جمعاء ۰

قانون البلاغة

— ٦ —

وقالت جنوب[1] اخت عمرو :

(فأقسمت يا عمرو لو نبّهـاك اذن نبها منك داءً عُضالا)

(اذن نبهـا ليْث عرّيسة مفيتاً مفيداً نفوساً ومالا)

(وخرقاً تجاوزْت مجهولةٍ بوجناء حرف تشكّى الكلالا)

(فكنتَ النهـار بهـا شمسه وكنت دجى الليل فيها هلالا)

فانظر الى ديباجة هذا الكلام ما أصفاها ، والى تقسيماته ما أصحّهـا ، وانظر الى قوله مفيتاً مفيداً ، ووصفها بالشمس في النهار ، والهلال في الليل ، واشتقاق التسهيم من البرد المُسهَّم الذي لا يتفاوت ولا يختلف ، وقد يسمى التوشيح ايضاً .

واما رد الكلام على صدره ، ويسمي ايضاً رد العجز على الصدر ، فهو ان يبتدأ الشاعر كلمة في بيت ، ثم يعيدها في عجزه ، او في النصف الاول ، ثم يردّها في النصف الآخر . واذا نظم الشعر على هذه البنية تيسّر استخراج قوافيه قبل ان تطرُق السمع ، او ينتهي اليها المنشد ، كقوله :

(وان لم يكن الا تعلُّل ساعة قليلاً فاني نافعٌ لي قليلها)

وقول الآخر :

(سقى الرملَ جوْنٌ مستهلٌ غمامةٍ وما ذاك الا حبُّ من حلَّ بالرمل)

وقول الآخر :

(وكنت سناماً في فزارة تامكاً[2] وفي كل حيٍّ ذروة وسنام)

واما صحة التقسيم فهو ان يستقصي الشاعر تفصيل ماابتدأ فيه ويستوفيه ، فلا يغادر قسماً يقتضيه ذلك المعنى الا أورده كقول زهير :

(يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا ضارب حتى اذا ماضربوا اعتنقا)

---

(١) جنوب اخت عمرو ذى الكلاب الشاعر (التاج) . (٢) التامك من الاسنمة ما طال وارتفع واكتنز .

فقسم البيت على اقسام الحرب ، ومراتب اللقاء ، ثم ألحق بكل قسم ما يليه في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح وكقول نصيب :

(فقال فريق القوم لا وفريقهم   بلي وفريق قال ويحك ما ندري)

وليس في الأقسام في الإجابة عن المطلوب اذا سئل عنه غير ما ذكره ، وقال طريح بن اسماعيل :

(ان حاربوا وضعوا ، وان سالموا رفعوا   او عاقدوا ضمنوا ، او حدثوا صدقوا)

فهذا وأمثاله التقسيم الذي اذا اعتمده الشاعر ، وأحسن صنعته ، شرُف كلامه ، وتهذبت عبارته ·

واما المماثلة فهو ضرب من الاستعارة ، وذلك ان يقصد الشاعر الإشارة الى معنىً فيضع ألفاظاً تدل عليه ، وذلك المعنى بالفاظه مثال للمعنى الذي قصد الإشارة اليه · كقول زهير :

(ومن يعص أطراف الزجاج فانه   يطيع العوالي ركبت كلّ لهذم)

فعدل ان يقول من لم يرض باحكام الصلح رضي باحكام الرماح · وكقول عمرو :

(فلو ان قومي أنطقتني رماحهم   نطقت ولكن الرماح أجرّت)

واما التكميل فهو ان يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته ، ويكمل معها — شيئاً الا اتى به كقول نافع بن خليفة :

(أناس اذا لم يقبل الحق منهم   ويعطوه عاذوا باسيوف الصوارم)

انما تمت جودة المعنى بقوله : ويعطوه ، والا كان منقوصاً ، وكقول كعب بن معد الغنويّ :

(حليم اذا ما زيّن الحلم أهله   مع الحلم في عين العدوّ مهيب)

وكقول كثير :

(لو ان عزة خاصمت شمس الضحى   في الحسن عند موفق لقضى لها)

فقوله عند موفق من التكميل ·

واما الترصيع فهو توخي تسجيع مقاطع الاجزاء وتصييرها متقاسمة النظم ، متعادلة الوزن ، حتى شبه ذلك الحلي في ترصيع جوهره كقول امرىء القيس :

(الماء منهمر ، والشد منحدر والقصب مضطمر ، والمتن ملحوب[١])

وقول الخنساء :

(حامي الحقيقة محمود الخليقة مه دي الطريقة نفاع وضرار[٢])

(جواب قاصية جزاز ناصية عقاد الوية للخيل جرار)

فواصلت بين هذه التسجيعات كما ترى مواصلة رشقت العبارة عنها ، وحلا السجع بها ، وليس يحسن الاستكثار من هذا ، لانه اذا كثر في القصيدة دل على التكلف ، وانما يحسن ان يأتي اوضاحاً[٣] ، وان يرد في بيتين او ثلاثة من القصيدة ٠

واما التكافؤ فهو قريب من الطباق وهو ان تتكلم في امر من الامور فتأتي فيه بمعان متكافئة ، في هذا الموضع متقاومة ، حتى اذا قال في معنى ان شيئاً ابيض وغير ذلك من وجوه الغيار كقول بشار :

(اذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمراً ثم نم)

وله اثر في تجويد الشعر قوي فانه لو قال مثلاً ، نجرد لها ، لم يكن لهذه اللفظة من الموقع مع « ثم » مالنبه ٠

واما السلب والايجاب فهو ان يوقع الكلام على نفي شيء واثباته في بيت واحد كقول الشاعر :

(وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول)

وكقول الشماخ :

(هضيم الحشا لايملأ الكف خصرها ويملأ منها كل حجل ودملج)

---

(١) ويروى في التاج هكذا :

(فالعين قادحة والرجل ضارحة والقصب مضطمر والمتن ملحوب)

وقدحت العين غارت وضرحت الدابة برجلها رمحت والقُصب بالضم الظهر ويراد به هنا الخصر كما في التاج ومتن ملحوب اي مملاس في حدور ٠ (٢) في رواية :

(حامي الحقيقة محمود الطريقة مه دي الخليقة نفاع وضرار)

(٣) اوضاح جمع وضح الغرة ٠

واما الكناية والتعريض فكقول القائل :

(واحمر كالديباج اما سماؤه فري واما ارضه فمحول)

حسن جمعه بين سمراته[1] وقوائمه على تفاوتهما في خلقة الفرس ، لانه آلف بينهما بنسبتين وهما الارض والسماء والنسب الثاني انه ضاد بينهما بضدين محمودين اندماج السمراة وريها ومحض[2] القوائم وظمؤها .

واما العكس والتبديل فهو ان يتقدم الكلام جزء الفاظه منظوم نظاماً ما فيلي هذا الجزء بجزء آخر يجعل فيه ما كان مقدماً في الاول مؤخراً في الثاني كقول الشاعر :

(واذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا)

واما الالتفات فهو ان يكون الشاعر في كلام ، فيعدل عنه الى غيره ، قبل ان يتم الاول ، ثم يعود اليه فيتممه فيكون فيما عدل اليه مبالغة في الاول وزيادة في حسنه كقول جرير :

(متى كان الخيام بذي طُلوح[3] سُقيت الغيثَ ايتها الطُّلوح)

ومعنى الالتفات فيه انه اعترض في الكلام قوله سقيت الغيث ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتاً وكقول الجعدي :

(الا زعمت بنو سعدٍ باني الا كذبوا كبير السن فاني)

فقوله الا كذبوا اعتراض بين الكلامين وفيه مبالغة لما أراده . كقول كثير :

(لو ان الباخلين وانت منهم رأوك تعلموا منك المِطالا)

وكقول حسان :

(ان التي ناولتني فرددتُها قتلت قتِلتَ فهاتها لم تقتل)

وكقول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي يعاتب اخاه وهو في حبس الرشيد :

(فلو بك ما بي لا يكن بك لاغتدى اليك ورواح البر بي والتقرُّب)

فقوله « لا يكن بك » اعتراض مليح وكذلك قوله :

---

(١) سمراته أعلاه . (٢) لعل صوابه محل او نحض . (٣) الطلوح جمع طلح وهو شجر من أشجار البادية ذو أشواك انتهى من هامش الأصل .

(فاني ان أقيك بقيك مني فلا أُسبق به عِلق نفيس)

فقوله « فلا تسبق به » اعتراض في هذا الموضع قوّى المعنى الذي أراده وزاده نصاعةً .

واما الاستدراك والرجوع فهو ان يبتدئ الشاعر بمعنىً فينفي شيئاً ثم يستدركه بما يؤكد هذا المعنى او يثبت ما نفاه اولاً كقول زهير :

(قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيّرها الارواح والدّيم)

وكقول الاعرابي :

(اليس قليلاً نظرة ان نظرتها اليك وكلاًّ ليس منك قليل)

وكقول ابي البيداء :

(وما بي انتصار ان غدا الدهر جائراً عليّ بلى ان كان من عندك النصر)

وكقول بشار :

(نبّئتُ فاضح امه يغتابني عند الامير وهل عليّ امير)

واما التذييل فهو ضد الاشارة ، وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد بعينه ، حتى يظهر لمن لم يفهمه ، و يتوكّد عنده فهمه . وسبيله ان يستعمل في المواقف الحافلة ، والمواطن الجامعة . كقول الشاعر :

(اذا ما عقدنا له ذمة شددنا العناج[1] وعقد الكرب)

وقول الآخر :

(فدعوا نزال فكنت اول نازل وعلامَ اركبه اذا لم أنزل)

(للكلام صلة)

---

(١) العناج ككتاب حبل او سير يشد في أسفل الدلو العظيمة ثم يشد الى العراقي و (الكرب) الحبل يشد في وسط العراقي ليلي الماء فلا يعفن الحبل الكبير قال الحطيئة يمدح قوماً عقدوا لجارهم عهداً فوفوا به :

(قوم اذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا)

كتاب المنذر

— ٣ —

(فلم يعد يطيق الصبر) : فلم يطق الصبر بعدئذ — لان عاد لاتأتي بهذا المعنى .

(ماعدت استطيع الانفصال عنك) : لست أستطيع ولو قيل عدت لا أستطيع — اي صرت لكان في ذلك بعض التخريج لاستعمال (عاد) .

(ان الرجال الغيورين ينظرون دوماً الى هفواتهم) الرجال الغير (بضمتين) .

(أشعرت الحكومة بهذا الامر) : شعرت من الثلاثي المجرد . او أشعرت بالمجهول .

(أماكن السياسة والمتنزهات) : اماكن السياسة واللهو او الملاهي او المنتزهات (من انتزه) .

(يوقعون على برقية) : يوقعون برقية بحذف على .

(لنذهب سوية الى حيث نشرف على البقاع) : لنذهب معاً .

(في جرود صنين) : في صرود سنين — بالصاد جمع صرد (بفتح فسكون) .

(هو منشغل في تدبير النادي) : مشغول او مشتغل .

(بيد ان الطبيب . وان أصاب في شرحه . فانه لم يصب في إقراره) : حذف (فانه) ليصح مابعدها خبر (ان) الاولى في صدر الجملة وهو اولى .

* * *

(فنال الأدب اكبر نصيب من هذا النضوج) : من هذا النضج — ولم يسمع وزن فعول في مصدر هذا الحرف .

(بعد برهة من الزمن نهضنا للظعن) : بعد هنيهة او بعد زمن يسير — لان البرهة تعني المدة الطويلة .

(طلبت اليّ لما أهديتني ديوانك ان أنظر به نظرة المنتقد) : لما أهديت اليّ ديوانك طلبت اليّ ان انظر فيه نظرة المنتقد — لانه يقال أهدى اليه الشيء ونظر في الشيء .

(جاءت احدى محظياته) : احدى حظياته (بحذف الميم) والحظيـة السرية (بالضم والتشديد) وهي الأمة (بفتحتين) المكرمة عند السلطان .

(وصعدت بنا صعود الماعز) : صعود المواعز او صعود المعزى ٠

(وكل هذه الخطب قاصرة على تعلقه ببلاده) : مقصورة على ٠

(سوف لا يكتفون بهذه الضمانة) : لن يكتفوا بهذا الضمان (لان سوف لا تنفصل عن الفعل) ٠

(تناول طعام الغذاء) : تناول الغداء (بالدال) لاطعام الغداء ولاطعام الغذاء ٠

(قبل مبارحته المكان) : قبل براحه المكان من برح الثلاثي ٠

(في اربع أقطار المعمور) : في أقطار المعمور الاربعة ٠

(اركن للفرار) : ركن الى الفرار (من الثلاثي) ٠

* * *

(لا يجب ان يظل الانسان) : يجب ان لا يظل الانسان ٠

(الدعوة التي ناشد بها) : نادى بها او نشدها (اي طلبها) ٠

(تحاشدت الجماهير من كافة القرى) : من كل القرى لان (كافة) لا تستعمل الا حالاً من العقلاء ٠

(ان نواياالامم تعرف بالمظاهرات) ان نيات الامم تعرف بالتظاهرات او بالمظاهر — جمع مظهر ٠

(مداخلة البوليس بالحسني) تدخل البوليس ٠

(هو أميل الى الحكم الجمهوري من الحكم الملكي) : هو أميل الى الحكم الجمهوري منه الى الحكم الملكي ٠

(سعى في قمعها بصرامة) : بشدة او بقساوة ٠

(ليست المؤامرة سوى مناورة) : المناورة في اللغة (المشاتمة) واستعمال الكتاب هذه اللفظة بمعنى الحركات الحربية والتدريب العسكري خطأ ولعلها كلمة أجنبية ٠

(بعد الاتفاقية الاخيرة) بعد المعاهدة الاخيرة ٠

(لم يرق لها ذلك) : لم يرقها او لم يطب لها ذلك ٠

(ونشرناها ملفتين اليها الانظار) : لافتين اليها الانظار ٠

(عدا عن المهارة العظيمة) : عدا المهارة (بحذف عن) ٠

(لا تخافوا سوف لا أموت) : لا تخافوا فلن أموت .

(ونقل أغلالهم هذه السنة) : غلالهم او غلاتهم لان الاغلال هي القيود .

(أتمتع برؤيا محياك) : أتمتع بمرأى محياك او برؤية محياك — والرؤيا للحلم .

(ليست البلاد بحاجة الى هكذا ضريبة) : الى ضريبة كهذه او الى مثل هذه الضريبة .

(السلطة الفرنساوية) : السلطة الفرنسية بحذف الالف والواو .

(قانون خاص بالسيارات) : قانون خاص للسيارات او قانون مخصوص بالسيارات .

(في يده باقة زهور) : طاقة او ضمة زهور — قيل الزهر لا يجمع الزهور . ووجهه ان الزَهر بفتحتين جمعه أزهار وبفتح فسكون جمعه زهور وهو الاولى .

(غلق المحلات التجارية) : اغلاق المحالّ التجارية او بيوت التجارة .

(ارتياد القهاوي ونوادي اللهو) : القهوات او المقاهي واندية اللهو او الملاهي .

(كاد يتمزق من شدة التأثير) : التأثر .

(وهل لم يكن هناك) اوَلم يكن هناك — لان هل للتصديق فلا تدخل على النفي .

* * *

(تكون المضائق حرة) : تكون المضائق حرة بابدال الياء من الهمزة لانها اصلية .

(اغرز أسنانه في كفي) : غرز الثلاثي .

(لم يقوموا سوى بالواجب) : لم يقوموا الا بالواجب او لم يقوموا بسوى الواجب لان سوى اسم يضاف الى ما بعده .

(جاء ينعي اليه وفاة ابيه) : جاء ينعي اليه اباه — بحذف وفاة وقصر ينعى كسعى يسعى .

(يلقيها الاخصائيون في العلوم) : يلقيها المتخصصون بالعلوم .

(استهدى بعض الاعيان) : استهدى من بعض الاعيان .

(على الثلاثة رجال) : على الثلاثة الرجال او على الرجال الثلاثة .

(نسبنا الى الغلو) : نسب الينا الغلو .

(سمعناه يصدر من فم كاتب) : سمعناه من كاتب — بحذف يصدر وفم .

(في إشادة قصره) : في شيد او تشييد قصره .

(ناهيك عما فعل بنا) : فضلاً عما فعل بنا . اما ناهيك فاسم فاعل يتعدى بالباء وله معنى آخر للمديح يقال : زيد رجل ناهيك به من رجل .

(نحن نناهضه للقيام بالمشروع) : يظن الكاتب ان ناهضه نهض معه اوساعده في النهوض في حين ان ناهضه معناه قاومه والصواب هنا : نساعده للقيام بالمشروع .

* * *

(كفانا شقاقاً بين دمشق ولبنان) : يجب رفع الشقاق فاعل كفى او يقال : كفانا شقاقاً بين دمشق ولبنان ان كذا وكذا . ليصح تأويل انّ وما بعدها بمصدر فاعل كفى وشقاقاً تمييز .

(يسد أقنية الطرق) : جمع قناة قنوات او قنا — بترك التاء — ومثلها فلاة فلا ونواة نوى ومهاة مها وآية آي وراية راي وغاية غاي وغابة غاب وساعة ساع وهامة هام وعادة عاد وحاجة حاج .

(أحاط به الجهلاء والمملقون) : والمتملقون — من تملق اي تودّد اما ملّق فمعناه ضرب وملس .

(حاول القيام بحركة ثوروية) : بحركة ثورية — لان النسبة الى الثورة ثوري لا ثوروي ولا يقاس على فوضى فوضوي لان الالف الرابعة تقلب واواً اماهاء التأنيث فتحذف وتحل محلها ياء النسبة .

(كان يتحاشاه في معظم أوقاته) : يتجنبه — يقال تحاشى عن الشيء اي تنزه عنه .

(هو الوريث الوحيد لوالديه) : هو وارث والديه الوحيد — ولم يسمع وزن فعيل في هذا الحرف .

(وأّجه بقضاء أعماله) : ولاّه قضاء أعماله — لان ولج معناه دخل وولّج ماله جعله لاولاده .

* * *

(نال الولد العقوق جزاءه) : الولد العاق .

(لا يمكن لاحد ان يفعل كذا) : لا يمكن احداً — لانه متعد بنفسه .

(لنوال هذه الأمنية) : لنيل هذه الامنية — اما النوال فهو العطاء .

(كانت العيون محدّقة به) : محدقة اليه بالتشديد — لان أحدق به أحاط به وحدّق اليه أدار اليه الحدقة وهي سواد العين .

(توغلوا معامع الحروب) : توغلوا في معامعها او خاضوها .

(متهافت على اكل اي شيء تيسر) : على اكل ما تيسر .

(لا يميل سوى الى القمار) : الى سوى القمار او الا الى القمار لان سوى اسم ، وحرف الجر يدخل عليه لا يأتي بعده .

(ما باله سكت وأسدل الستار) : وسدل الستار (من الثلاثي) او أسبل الستار — من الرباعي .

(اخذ اصحاب الغايات يرغون و يزبدون) : لا معنى للغايات هنا وانما هو تركيب عامي : أصحاب المفاسد او أصحاب المقاصد السيئة .

(يعرفون المدافعون عنــه شقي بكل معنى الكلمة) : شقيّاً او شريراً كبيراً — يحذف (بكل معنى الكلمة) لانه تعبير غير عربي .

(عزموا على نقل رفاته لتدفن في بيروت) ليدفن — لان الرفات مفرد مذكر ومثله حطام وفتات .

* * *

(وجب قفل بابها و بيع كتبها) : اقفال بابها — لان قفل رجع وأقفل أغلق .

(يرقبون عازة الناس لهم) : عوز الناس او حاجة الناس اليهم .

(الوحوش الكاسرة) : الوحوش الضــارية او المفترسة اما الكاسر فيستعمل للطائر المنقض على فريسته عند كسر جناحيه .

(ولما يشعرون بيأسه يرجعون اليه) : وعنــدما يشعرون — لان لما الظرفية لا تدخل على المضارع .

(للكلام صلة)

ابراهيم المنذر

كتابات تدمرية وتفسيرها

— ٣ —

« الكتابة الثالثة عشرة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ١٣) كتب على جهة اليسار منه العبارة الآتية :

١ בני בר : بني بن

٢ חירן חבל : خيرن وآ اسفاه

ليس في هذه الكتابة اعلام جديدة فالاول ورد ذكره في الكتابة السابعة والعاشرة وكذلك العَلَم الثاني سبق ذكره في الكتابة الثانية والرابعة من هذا المقال :

سجلت هذه الكتابة في مجموعة الكتابات السامية (المجلد الاول رقم ١٤٠) (R. E. S., T. I. N° 140 [1]) ولكنه وصف فيها بانه تمثال امرأة و بالحقيقة هو تمثال رجل كما تشير الى ذلك اعلام هذه (الكتابة) . وقراءتنا هذه موافقة لقراءة الاستاذ جوسن (Revue Biblique 1897 p. 592 - 597 N° 1) والاستاذ موللر (Palmyrenische Inschriften; Denskschriften der kaiserl) (Akad. der Wissenschaften in Wien t. XLVI No 13) .

« الكتابة الرابعة عشرة »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ١٤) زُبر على جهة اليسار منه الكتابة الآتية :

١ חבל ב .. وآ اسفاه بـ ..

٢ שתגא בר شتجا بـ +

٣ ת ימלא ت . يملا

٤ פגא فجا

س ١ وقد شوّه الكسر هذه الكتابة واتلف منها احرف عَلَم السطر الاول ولم يبق منه سوى بقية من الحرف الاول وهو ב (ب) .

(١) هذه الأحرف الثلاثة هي مختصر (Repertoire d'Epigraphie) Semitique

س ٢ שתגא (شتجا) علم مؤنث وهذه هي اول مرة ورد ذكره في الرُقم التدمرية وهو مركب من العلم שת (شت) واسم الإِلٰه גא (جا) وقد ورد الاسم الأخير كثيراً مع اعلام أُخر مثل בעלתגא (بعلتجا) و עבדארגא (عبدالجا).

س ٣ ימלא (يملا) علم مذكر معروف ورد ذكره في الكتاب المقدس (امل ٢٢ : ٨ و٩ و٢ اي ١٨ : ٧و٨) واما حرف ת (ت) الواقع في اول هذا السطر فهو تتمة كلمة (بنت) في نهاية السطر الثاني .

س ٤ פגא (فجا) هذه لفظة جديدة والارجح انها علم تام التركيب لم يطرأ عليه نقص لان الخلل الظاهر في الحجر قبل هذه اللفظة هو طبيعي ولا اثر لوجود حرف آخر . وقد سجلت هذه الكتابة في مجموعة الكتابات السامية (R. E. S., T. 1, No 153).

« الكتابة الخامسة عشرة)

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ١٥) والكتابة واقعة في جهته اليسرى وهناك كتابة أُخرى على لوحة بيد المتوفى اليمنى . فالكتابة الاولى هذه نصها :

١ הגוגא نحوجا
٢ בר ברעתה بن برعته
٣ חבל وآسفاه

س ١ הגוגא (نحوجا) عَلَم مذكر ورد لاول مرة بهذا الشكل التام و يشتق منه العَلَم الشائع اعني הגגו (نحّجو) .

س ٢ علم السطر الثاني فقد سبق ذكره في الكتابة الحادية عشرة (س٢) من هذا البحث . واما الكتابة التي على اللوحة فهي :

בת עלמא : بت علما (تعريبها دار البقاء) وهذه العبارة ترد كثيراً في الرُقم القبرية التدمرية .

وقد دوّنت هذه الكتابة في مجموعة الكتابات السامية (R. E. S., T. 1, N 148 & 149)

(الكتابة السادسة عشرة)

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ١٦) كتب في جهته اليسرى العبارة الآتية :

١ זבידא בר : زبيدا ابن
٢ מקימו בר : مقيمو بن
٣ חירן אנינק : خيرن انينق (او انينم)
٤ חבל שנת : وآ اسفاه سنه
٥ ٥٤٥ ٥٤٥

س ١ ورد ذكر العَلَم الاول في الكتابة الثامنة (س ٣) من هذا المقال وتعربه المُعطى او المُهدَى (من الله) ·

س ٢ מקימו (مقيمو) كثير الورود في الرقم التدمرية ولا حاجة الى تفسيره لمطابقته العَلَم العربي المعروف ·

س ٣ חירן (خيرن) علم شائع الاستعمال في العاديات التدمرية واما אנינק (انينق) او אנינם (انينم) فهو علم جديد بين الاعلام التدمرية المعروفة ومجهول الاشتقاق ·

س ٥ سنة ٥٤٥ سلوقية وهي تاريخ الوفاة الموافق لسنة ٢٣٣—٢٣٤ ميلادية ·

هذه الكتابة مسجلة في الجزء الاول من مجموعة الكتابات السامية رقم ١٤٣ (R. E. S. , T. I No 143)

« الكتابة السابعة عشرة »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ١٧) وقد كتب على جهته اليمنى مايأتي :

١ חבל وآ اسفاه
٢ תיכסא تيكسا ·
٣ ברת بنت
٤ נצרי בר نصري بن
٥ לשמש لشمش
٦ אחיב اخيب

س ٢ תיכסא (تيكسا) عَلَم مؤنث جديد بين الأعلام التدمرية واشتقاقه مجهول ·

س ٤ נצרי (نصري) عَلَم مذكر قليل الاستعمال جاء ذكره في كتابة على تمثال محفوظ في المتحف البريطاني [1] ويقابله في النبطية العَلَم نَصْر .

س ٥ לשמש (لشمش عَلَم مذكر شائع الاستعمال في تدمر .

س ٦ אחיב (اخيب) عَلَم جديد عثر عليه هنا لاول مرة ويقاربه العَلَم אחאב (اخاب) الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس (امل ١٦ : ٢٩) .

« الكتابة الثامنة عشرة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل١٨) وكتب على جهة اليسار منه العبارة الآتية :

١ סלם صورة

٢ זבדלה زبدله

٣ בר בוריא بن بوريا

س ٢ זבדלה (زبدله علم مذكر مركب شائع الاستعمال في العاديات التدمرية

س ٣ בוריא (بوريا) علم مذكر جديد بين الاعلام التدمرية المعروفة . والحرف الرابع منه غير واضح فيجوز ان يكون פ (ف) وحينئذ يكون العلم المعروف בורפא (بورفا) وهذا شائع الاستعمال . و بالرغم من هذا الغموض أرجح بان هذا الحرف اقرب الى الباء منه الى الفاء .

« الكتابة التاسعة عشرة »

تمثال طفل تدمري (شكل١٩) وقد كتب في اسفله ما يأتي :

١ הבל מקימו בר وآاسفاه مقيمو بن

٢ עתעקב عتعقب

س ١ و٢ كلا العلمين شائع استعماله بين الاعلام التدمرية وقد ورد ذكر الاول منهما في الكتابة السادسة عشرة (س ٢) من هذا البحث .

سجلت هذه الكتابة في مجموعة الكتابات السامية مجلد ٢ رقم ٩٧١ كما نشرت في مجلة الآباء اليسوعيين (Melanges T. IV. P. 146 No 1) .

(١) ص — ١٢٧ Chabot - Ghoix d' inscriptions de Palmyre

« الكتابة العشرون »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ٢٠) كتب على جبهته اليسرى ما يأتي :

١ חבל وآ اسفاه

٢ נעם ברת نَعَم بنت

٣ רמי בר رمي بن

٤ רפאל رفال

شوّه الحرف الاول من كل سطر من هذه الكتابة بكسر اصاب التمثال ولكن يسهل علينا معرفة اصل هذه الاعلام بدلالة ما بقي من الاحرف ·

س ١ هي كلمة وآ اسفاه ·

س ٢ נעם (نَعَم) عَلَم مؤنث شائع الاستعمال عند الامم السامية ويقابله נעם (نَعَم) الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس (١ اي ٤ ، ١٥)

س ٣ רמי (رمي علم مذكر قليل الورود بين الأعلام التدمرية ·

س ٤ רפאל (رفال) علم مذكر وهو العلم العبراني المعروف رفائيل الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس (١ اي ٢٦ ، ٧) وتعريبه (من يشفيه الله) ·

ويوجد في متحف الاستانة تمثال رجل تدمري اسمه והבלת (وهبلَة) بن רמי (رمي) بن רפאל (رفال) والارجح ان الامرأة נעם (نعم) صاحبة هذا التمثال هي شقيقة صاحب تمثال متحف الاستانة · (للبحث صلة)

مدير دار الآثار

جعفر الحسني

مصر

« في المجمع العلمي العربي »

في الجلسة التي عقدها المجمع العلمي العربي في المدرسة العادلية الكبرى بدمشق مساء يوم الخميس الواقع في ٢ حزيران سنة ١٩٢٧ بحضور سعادة المسيو بيراليب مندوب المفوض السامي لدى حكومة سورية وشهود جماعة من أساتذة المدينة السادات احسان الشريف واحمد اللحام والدكتور يحيي الشماع والدكتور محمد محرم وجميل صليبا وشكري الشربجي واحمد كرد علي ومحمد البزم وذوالنون المؤيد ونجيب الريس ورشيد الملوحي وغيرهم وبعد قراءة محضر الجلسة الماضية فاه الرئيس بالخطاب الآتي :

يا رصفائي

يسرني ان أطالعكم بعد عودتي من قضاء المهمة التي عهدتم بها الي لتمثيلكم في حفلات شوقي شاعر مصر والعرب بانني أبلغته رسالتكم في يوم الحفلة الرسمية الكبرى في الاوبرا الملكية في القاهرة يوم ٢٧ شوال سنة ١٣٤٥ و٢٩ نيسان سنة ١٩٢٧ ، فكان لضمه الينا أحسن الوقع في نفوس علماء مصر وأدبائها ، وكان عملكم هذا بمثابة شهادة جماعة أيدت العشرات من شهادات الافراد التي شهدها في حفلات التكريم أدباء الامة العربية وأجمعوا على نبوغ هذا الشاعر و بايعوه مختارين بامارة الشعر وزعامة شعراء العصر .

ان قيام هذه الحفلات التي دامت نحو عشرة ايام في أعظم مدينة عربية ، دلت على رسوخ قدم مصر في الرقي العلمي والادبي وانها ربة المدنية العربية الحديثة بلا منازع ، وأبانت عن روح جديد انبعث في قلوب حملة العلم ودعاة العربية ، وكانت من أجمل الوسائط في تقوية صلات التعارف والتعاطف بين ابناء هذه اللغة الشريفة .

واني لمغتبط بان أحمل اليكم سلام رصفائكم وأعضاء مجمعكم في وادي النيل حضرات احمد شوقي بك واحمد تيمور باشا واحمد زكي باشا والدكتور يعقوب صروف والدكتور احمد عيسى والسيد رشيد رضا والسيد عباس محمود العقاد والشيخ احمد الاسكندري ، والسيد أسعد خليل داغر والشيخ محمد الخضر حسين .

وأغتبط ايضاً باخباركم ماتمي اليّ من ان وزارة معارف مصر وعلى رأسها معالي الاستاذ على الشمسي باشا ، المشهور باعماله النافعة للعلم ، يعد الاسباب لوضع معلمة (دائرة معارف) تليق بشأن العرب والعربية ، على مثال المعلمات الافرنجية كما ان كثيراً من الافراد يضعون معاجم مختلفة ، ومنها معجم اللغة العامية المصرية لصديقنا احمد تيمور باشا ومعجم رصيفنا الدكتور احمد عيسى بك في الالفاظ الفنية والمصطلحات العلمية ، وقد اخذ يطبعه الآن وسينشر قريباً مضافاً الى جريدة أسفاره الممتعة في العلم واللغة والطب ، وقد تفضل وأطلعني على جملة صالحة منه فرأيته قد استقصى جميع الاسماء الواردة في معاجمنا وقارنها بما يماثلها من الالفاظ باللاتينية والفرنسية اوغيرها من اللغات الافرنجية ، وهو عمل جليل قد تعجز عنه الجماعات دع الافراد . ولا شك في ان معظم المؤازرين في المعلمة المصرية الجديدة سيكونون منكم ومن إخوانكم اعضاء المجمع في البلاد العربية .

ومن رأي صديقي الاستاذ معالي جعفر والي باشا ناظر الحربية المصرية الحالي ان يشرع حالاً بوضع معجم منقح ، يكون خفيف الجرم عظيم الفائدة يجمع من اصول اللغة المستعملة ما يكون في حجمه ثلاثة أضعاف « مختار الصحاح » يدمج فيه ما تهيأ من المصطلحات الجديدة على نحو ما أقررتم سابقاً من وضع معجم من هذا القبيل تضمنونه ما وفقتم الى إحيائه من الاوضاع ولاسيما ما أحياه من الألفاظ العلمية رصفاؤكم الاساتذة احمد تيمور باشا والاب انستاس ماري الكرملي والدكتور يعقوب صروف والامير مصطفى الشهابي في الزراعة والدكتور امين معلوف في الحيوان والنبات والسيد سليم الجندي في الآنية والماعون والدكتور احمد عيسى في الطب والصيدلة ، وما سبق الى وضعه المرحومان العلامتان احمد فارس الشدياق والشيخ ابرهيم اليازجي وغيرهم من علماء اللغة ، ومن مجموع هذه الجهود يتألف معجم واف بالغرض على غرار المعاجم التي وضعها علماء الغرب في لغاتهم .

ولقد رأيت من المقامات العالية والجمعيات والجماعات العلمية عطفاً عظيماً على مجمعكم ولاسيما بعد ان القيت بضع محاضرات وخطب شهدها مئات من اهل الطبقات المفكرة ، وأشهدت عليّ شاهدين عدلين من اعضائكم الاستاذ قسطاكي بك الحمصي الحلبي والاستاذ السيد إسعاف النشاشيبي المقدسي وقد تفضلت الوزارات المصرية فأمدت خزانتكم

مطبوعاتها وكذلك فعل كثير من المؤلفين والطابعين ، واهدى رصيفكم احمد شوقي بك خمسمائة نسخة من الشوقيات توزع بمعرفتكم على من يمكنه الانتفاع بها ·

وأحسن ما استفادت منه مصر بل البلاد العربية كلها هذه المرة نضج فكرة تأسيس مجمع علمي على مثال مجمعنا ، وكاشفني صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر المعظم خلال تشرفي بمقابلته بهذا المشروع النافع ، وقال انه سيجعل أعضاءه من المصريين وغير المصريين ، فان قويت هذه الفكرة الآن بمصر فالسابق اليها والموحي بها مجمعكم ايها الوطنيون الأعزة ، وبفضل جهودكم في نجويد محاضراتكم و بحاثكم وعنايتكم باللغة وتقويمها أصبح للمجمع العلمي صيت حميد ، وحرمة عامة على صغر سنه وضؤلة اسبابه ·

واذا كتب لدمشق ان ينشأ فيها المجمع العلمي الاول في الاقطار العربية فدمشق ايضاً كانت اول مهد نشأت منه الحضارة العربية ثم انتقلت الى بغداد والقاهرة وقرطبة وطليطلة ، واذا كان الشاميون سبقوا ولا فخر ، إخوانهم المصريين في هذا العمل النافع فقد فتح العرب ايضاً الشام قبل ان يفتحوا مصر ببضع سنين ، فسبقنا مصر في تأسيس المجمع أشبه بسبق الشام الى التحضر والتعرب غيرها من بلاد الاسلام في الصدر الاول · و يقيني ان مجمعنا الصغير سيكون لشقيقه وطر يد المصري رداءً وسنداً فيتساندان في خدمة لغة العرب تساند شقيقين لا فرق بينهما في تقادم البلاد والميزات المادية والروحية مادام كلاهما أبناء أب واحد وأم واحدة ، ومادام هدفهما سعادة الأسرة العربية الكبرى ·

* * *

ربما سأل سائل ما الذي أثر في نفسك من مجموع الحفلات التي شهدتها في القاهرة لتكريم شوقي ، وما تكريمه الا حفاوة بالادب والشعر وإجلال لمصر في شخص احد أبنائها ·
فالجواب ان مجموع ما رأيت وما سمعت من الخطب والمحاضرات والمسامرات والقصائد والرقائق باللغة الفصحى والدارجة وما شهدته من نهضة المرأة المصرية وحركة الصحف والمجلات والكتب وما حضرته في دور التمثيل والموسيقى والصور المتحركة من صنوف الإبداع وأعجبت به من شركاتهم ومصارفهم ومعاملهم ودور كتبهم وآثارهم ومعاهدهم ومصانعهم ومدارسهم وأنديتهم وما رأيته من ترتيبهم ونظمهم وإدارتهم في كل مطلب

ومنحى ، وتوفرهم على البذل في المصالح العامة والمشاريع المادية المنتجة — كل هذا قد صور لعيني اوربا في مصر او صور لي مصر في اوربا .

رأيت المدنية الفرنسية التي غرس اصولها في مصر علماء فرنسا منذ أوائل القرن التاسع عشر قد تمثلتها مصر وعربتها وجعلتها جزءاً من أجزاء نفسها وملكاً ثابتًا لها على الدهر . وما يرح الخاصون من علماء الفرنسيين يتعهدون مصر بعلمهم في كل أدوارها ، والى اليوم لا يزال المصريون يعتمدون في الاكثر على جامعات فرنسا لتلقي الثقافة العالية . واللغة الفرنسية اكثر اللغات الغربية انتشاراً بين سكان وادي النيل هذا مع حرص الانكليز على نشر لغتهم منذ خمس واربعين سنة . ذلك لان محمد علي الكبير محيي مصر والعربية ومؤسس بنيان المملكة المصرية قد جعل اعتماده على ارباب الاخصاء من العلماء والمفننين من الفرنسيين فغذوا مصر بانفس ماعندهم من أطايب التغذية العلمية والصناعية والفنية .

اما وقد زاد إحتكاك المصريين بالغربيين في العهد الاخير ولا سيما بالانكليز والفرنسيس والالمان والطليان فقد نشأ لمصر نوابغ في معظم العلوم والصناعات مما بزت به القاهرة اليوم دار السلام امس اوقرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطة في عهد زهو الاندلس . والله أعلم الى اين ينتهي هذا السير في طريق التمدين خصوصاً متى تم انفاذ مشروع التعليم الابتدائي اي تأسيس عشرة آلاف كتاب في القطر علاوة على ماأسس من مثلها حتى الآن ومايجري من العناية البالغة لتعهد التعليم الثانوي والعالي .

ولا اكتمكم سادتي دهشتي من الفرق في سرعة سير مصر في سبيل الحضارة عندما قابلت بينها الآن وبين حالتها في سنة ١٩٠١ ايام زيارتي الاولى لوادي النيل . وكل عربي يدعو الله ان يجزل لاهل مصر السعادة و يوفق سائر الاقطار العربية الى احتذاء مثالها في سبيل كمالها .

وفي الختام أقترح عليكم ان تضموا الى صفوف أعضائكم في مصر جماعة من إخواننا هناك كان لهم الأثر الطيب في خدمة الأدب واللغة وكلكم تعرفونهم بآثارهم واجتزيء اليوم بثلاثة منهم على ان نفكر في جلساتنا القادمة بضم فريق آخر هم مثال النبوغ في ادب العرب . وأعني بالثلاثة الذين أرشحهم الساعة — ليستفيد المجمع العلمي من علمهم وعملهم استفادته من رصفائنا السابقين من المصريين والعراقيين والتونسيين والجزائريين —

العلامة احمدلطفي بك السيد العالم الاجتماعي الذي أبلى البلاء الحسن في إنارة الاذهان من طريق العلم · وقد كان بعض رصفائي يوم نقل الاستاذ السيد الى العربية فلسفة ارسطو وابدع في نقله ما شاء الابداع اقترح ضمه الينا وانا اليوم أعقب على مقترحه · والثاني الاستاذ السيد احمد حسن الزيات مؤلف تاريخ الادب العربي ومترجم آلام فرتر لكيتي ورافاييل للامارتين وهو كما عرفتموه مبدع في تصنيفه ونقله أوتي البلاغة والفصاحة حتى ليخيل لمن يقرأ كلامه انه يقرأ كلام بلغاء القرن الرابع والخامس · والرجل الثالث الذي أعرض اسمه عليكم هو الاستاذ الشيخ احمد امين مؤلف ومعرب عدة كتب في الاخلاق والفلسفة بسلاسة تدل على تفوقه في الادب وقد طبعت كتبه وكتب العالمين المشار اليها آنفاً لجنة التأليف والنشر المؤلفة من ستين استاذاً من المذكورين في اندية العلم والأدب في مصر وهو رئيس هذه اللجنة التي طبعت منذ أسست سنة ١٩١٤ ثلاثين كتاباً بين تأليف وترجمة ومعظمها مثال الابداع والامتاع وقد تفضلت عمدتها فأهدت مجمعكم مجموعة تامة مما طبعت كما تفضل الاستاذ احمد تيمور باشـا وأهدى مجمعكم آلة تصوير المخطوطات فأضاف هذه المنـة الى مننه الكثيرة على المجمع مما لم يضاهه فيـه احد من المحسنين والواهبين والمؤازرين ·

* * *

وبعد ان أتم الرئيس كلامه شكره احد الاعضاء باسم إخوانه على القيام بمهمته حق القيام في مصر ، فأجابه الرئيس ، « انا قمت بالواجب عليّ ولا شكر على واجب » ووافق الأعضاء على انتخاب الاعضاء الجدد الثلاثة من المصر بين الذين اقترح الرئيس انضمامهم الى المجمع · ثم قرئت الكتب الواردة على المجمع من بعض علماء المشرقيات في المانيا والدانيمارك وفيها استفتاء المجمع في بعض المشاكل اللغوية والتاريخية · وتلي كتاب وزير الداخلية يطلب فيه الى رئيس المجمع ان ينظر في أعلام بلدان الشام و يرجعها الى الصيغة التي كانت العرب تعرفها بها لتنشر في تقويم الحكومة السنوي صحيحة غير محرفة · وقرئ بعدئذ اقتراح قدمه الدكتور محرم بانشاء غرفة للمطالعة في المجمع خاصة بالسيدات تجعل لها قيمة براتب ولما سمع السيدات اللائي كن قاعدات في السدة يستمعن

الجري في جلسة المجمع صفقن تصفيق الاستحسان . وقد تقرر ان يخصص للسيدات بعد الصيف بخزانة مهمة في دار منعزلة بجانب المدرسة الظاهرية حيث دار الكتب العامة .

ثم تلا الاستاذ المغربي اقتراحه في الالفاظ الدخيلة والمعرّبة والمولدة مما لم تدوّنه المعاجم وسماها (الكلمات غير القاموسية) وصنفها اصنافاً فتناقش الاعضاء في مقترحه وأحيل تقريره على لجنة منهم لتنظر فيه . ثم أفاض مدير دار الآثار بنتيجة عمله في تدمر وما تقرر لرفع القرية وبناء غيرها لتظهر مصانع تلك المدينة التاريخية بدون عائق تنبو عنه العين وذكر ان الآثار الاسلامية مازالت تسرق من المدارس والجوامع وأعاد على المجمع ما طالما اقترحه المجمع على ادارة الاوقاف لاتخاذ الاسباب التي تحول دون سرقة العاديات وماعزم عليه المجمع لتخصيص آثار الاوقاف المبعثرة بدائرة خاصة في دار الآثار تضم شتات النفائس والاعلاق وتكون مراقبتها للاوقاف وللمجمع . وتكلم أمين دار الكتب في شؤون خاصة بعمله واقترح ابتياع الكتب الموقوفة التي اشتراها بعض الغيورين من الوراقين ليعطوها برأس مالها للمجمع فشكر الأعضاء الساعين بهذا الخير .

ثم تقرر ان ينتدب الاستاذ الكردي من اعضاء المجمع لزيارة باريز ليبحث في حالة المجامع العلمية و يستهدي الكتب العلمية الناقصة في مجامع المجمع من المطابعين والمؤلفين والوزارات ، وكان يراد البحث في بعض أوضاع وضعها المجمع لبعض الالفاظ العلمية الحديثة فحال ضيق الوقت دون المناقشة فيها كما أرجئت مواد أخرى وتقوضت الجلسة . وقد ودع سعادة مندوب المفوض السامي رئيس المجمع وأعضاءه قائلاً انه رأى من واجبه قبل سفره ان يودع المجمع العلمي قبل ان يودع احداً في دمشق لان المجمع العلمي هو قلب الشام ورأسها المفكر اه .

الجزء ١١ المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تشرين الثاني سنة ٩٢٧م الموافق جمادى الاولى سنة ١٣٤٦هـ

حاجة العلوم العربية الى التجديد (١)

اذا ألقيت بنظرة على المتعلمين في الشرق رأيتهم يتعلمون بعض العلوم على نمط خاص وبعضها على نمط آخر ، فهم يتعلمون النحو والصرف والبلاغة والمنطق والفقه مثلاً على النمط القديم — وهو نمط لم يتأثر بالمدنية الحديثة ولم يعبأ بها ولم يفرض لها وجوداً — وهم يتعلمون الطبيعة والكيميا والرياضة والجغرافيا مثلاً على النمط الحديث ، ينقلون ذلك عن الغربيين ، وتساير كتبهم ونظرياتهم الكتب الغربية والنظريات الغربية ولا ترى من بينهم من يدرس الجغرافيا على نحو ما ألف الادريسي ولا الطب والطبيعة والكيميا على نحو ما ألف ابن سينا ولا الرياضة على نحو ما الف العاملي الا افراداً ليس يبنى عليهم حكم .

والحق ان لكل من النمطين منطقاً يخالف منطق الآخر وتأثيراً في العقل مختلفاً وهذان المنطقان لا يتعاونان بل يتضادان ويفسد احدهما عمل الآخر ، ومن أجل هذا أرى ان عقول الناشئين تضطرب بين المنطقين ، وتختل بالتشاد بين النظامين ، ونحن احوج ما نكون الى وضع اساس ثابت تتلاءم اجزاؤه ولا تتناقض آثاره ، وبذلك وحده يتكون عقل المتعلم غير مشوه هذا التشويه الذي نرى ولتوضيح هذه النظرية نقول :

ان المتتبع للعلوم العربية على اختلاف انواعها والنمط الذي سار عليه المؤلفون في تآليفهم يرى ان هذه التآليف يتضح فيها خاصتان (الاولى) تأثرها جميعها — الى حد كبير

(١) أطروحة الاستاذ المحقق الشيخ احمد امين من علماء مصر بمناسبة انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي .

بمنطق ارسطو ، فالعرب في اول عهدهم بالعلم شغفوا بمنطق ارسطو ونقلوه كما هو تقريباً الى لغتهم وحافظوا على نقله حتى في الامثلة والترتيب وعدوه كما عده اليونان اساساً للعلوم ، ومن ثم وضعوا علومهم حتى الشرعية منها كعلم الكلام على اساس هذا المنطق ·

وطبيعة هذا المنطق — منطق ارسطو — ناقصة قاصرة ، فهو يفرض ان حقائق هذا العالم معروفة قدفُرغ منها وانما مهمته ان يعلمنا كيف ننقل هذه الحقائق من ذهن يعرفها الى ذهن لا يعرفها — ترى هذا واضحاً في أبواب المنطق فهو لا يعنى كثيراً بالبحث عن صحة القضية وكيف يعتورها الشك وكيف تمتحن لنتبيه صحتها من فسادها وانما اكثر ما يعنى به القضية من حيث شكلها و « رسمياتها » — فهو لا يلفت الذهن الى بحث القضايا وامتحانها وابتكار ما ليس بموجود انما يعتمد على اشكال القضايا — من كلية وجزئية وموجبة وسالبة — ليستنتج منها نتائجها ولو كانت القضايا نفسها خطأ ·

من اجل ذلك كان اثر هذا المنطق على الذين اشتغلوا به وجعلوه وحده اساس تفكيرهم انهم اقتصروا على شرح الحقائق المعروفة ونقلها من عقل الى عقل اما امتحان نظرية والشك فيها وتجربة صحتها من فسادها ووضع نظرية أخرى جديدة محلها فذلك قل ان يكون تأثر بذلك الجمود علماء العرب بعد حركتهم الاولى في نقلهم العلوم كما تأثر بذلك ايضاً علماء الغرب الى العصر الحديث ·

في هذا العصر خلع الغربيون نير منطق ارسطو ووضعوا بجانبه منطقاً حديثاً اساسه الشك في الحقائق التي نعرفها عن هذا العالم وامتحان ماتوورث على انه حقائق وتسليح العقل لغزو هذا العالم واستكشاف مافيه من حقائق سدل عليها حجاب كثيف ·

ان شئت مقارنة بين المنطقين فمنطق ارسطو منطق تعليم لما علم والمنطق الحديث منطق استكشاف لما لم يعلم منطق ارسطو يعلمنا مثلاً كيف نغذي الطير ببذر الحب له ونرضع الطفل بإلقامه الثدي والمنطق الحديث يعلمنا كيف نكون كالنحل نجمع غذاءنا بانفسنا من مختلف الازهار ، منطق اسطو اتكالي والمنطق الحديث استقلالي ·

ألست ترى اثر هذا المنطق الجاف في العلوم العربية فليس من جديد فيما يؤلف

فيها الا تقديمًا لمتأخر او تأخيراً لمتقدم او جمعًا لمفترق او تفريقًا لمجتمع وانت اذا اردت ان تسرد عدداً من مؤلفي العرب أمثال ابن خلدون في ابتكاره وتجديده لم تجد كثيراً وانت لو عمدت الى كتب البلاغة بعد السكاكي فأعدمتها او كتب النحو بعد ابن هشام فأحرقتها او كتب المنطق بعد التي ترجمت في العصر العباسي فأتلفتها لم تكن خسرت كثيراً بل ربما لم تكن خسرت شيئًا وقل مثل ذلك في غير هذا من العلوم العربية .

(الخاصة الثانية) وهي كالنتيجة للاولى ان هذه المؤلفات العربية لم تتأثر بالعصر الذي وجدت فيه ولا بالحالة الاجتماعية التي كانت سائدة زمن تأليفها ولا بحالة المملكة التي ألفت فيها مع ان العلم في كل عصر يجب ان يستمد حياته من طبيعة العصر الذي يعيش فيه ، يشتق منها أمثلته و يحدد بها غايته و يرسم منهـا خطته — ألست ترى كتب الفقه الى الآن تقدر الماء في باب الطهارة بذراع الكرباس ولا تعبأ بالمقاييس الحالية وتقدر الواجب في الزكاة بالصاع ولا تمير التفاتاً الى مكيالنـا وتقول ان المتعة درع وخمار وملحفة ونغض النظر عن ملابسنا ونقسم الشركة الى شركة مفاوضة وعنان ووجوه ولا ننظر الى ما استحدث من أنواع الشركات المختلفة ونتكلم في الزكاة عن العشر والخراج ولا تذكر علاقة ذلك بنظام الجمارك المعروف اليوم — او لست ترى المعاجم المستعملة الى اليوم في أيدي المتعلمين تقول ان الاهرام بناها ادريس عليه السلام او سنان بن المشلشل (الفيروزابادي) وتعرف الكسوف والخسوف بما يتنافى مع العلم الحديث وترى مثل هذا في كل فرع من فروع العلم .

في ضوء ما ذكرنا يمكننا ان نحصر عيوب المؤلفات العربية فيما يأتي :

(ا) — في أمثلتها ففضلاً عن انها لم تشتق مما حولنا ولم تستمد حياتها من حياتنا فقد مضت عليها القرون تلو القرون وهي هي لم يعترها تغيير ولا تبديل كأنها عقيدة من العقائد حتى ملها الناس واشمأزوا منها كما يشمئزون من رؤية الثوب الرث البالي .

(ب) — في نمط تأليفها فهي غالبًا يسودها الغموض حتى تبلغ بعض الأحيان الى ان تكون أشبه برموز كما ترى في كتب اصول الفقه والمنطق ولم يبذل المؤلفون مجهوداً كبيراً في تسهيل الموضوع وتقريبه الى الأذهان واندفعوا في هذا الطريق السخيف طريق المتن المركز ثم الشرح على المتن ثم الحاشية على الشرح ثم التقرير على الحاشية

وكان اولى ان يهضم مريد التأليف الموضوع ثم يخرجه سهلاً واضحاً مسلسلاً لايحتاج الى شرح ولا الى حاشية ·

ثم هم لم يحاولوا ان يسلكوا طرقاً مختلفة في كتابة الموضوع ولم ينظروا اليه من جوانب مختلفة بل كلهم صبوا تآليفهم في قالب واحد : التعريف اولاً ثم الكلام على الجزئيات على النسق الذي اتبع من قبل على ان البدء بالتعاريف خصوصاً اذا كانت دقيقة من أبعد الوسائل نجاحاً في تفهيم الناشئين فضلاً عن انها ليست الطريقة الطبيعية فليس التعريف عند الباحث الا النتيجة الختامية لبحثه — ان شئت فانظر حتى الى كتب النحو التي وضعها نخبة من المحدثين وأقرتها وزارة المعارف المصرية في مدارسها واقرأ في كتابها الاول الموضوع للسنة الثانية الابتدائية تعريف الحال والتمييز وأمثالها تدرك مايعاني طلاب العربية من صعوبة فقد استحال علينا ونحن طلبة أفهمها لحفظناها عن ظهر قلب ولم نفهمها الا بعد ان جاوزنا هذا الدور بسنين عدة ·

(ج) في جمودها — فقد وقفت حتى ركدت وتعفنت وساروا في تأليفها على مبدإ « القديم على قدمه » فلم يبتكر الخلف شيئاً يزيده عن السلف كأن كل علم تم وكمل ولم يبق فيه زيادة لمستزيد فلا موضوع جديد ولا مثل جديد ولا أسلوب جديد ·

وهذا هو السر في انك ترى المعلم يبدأ بدراسة اللغة العربية والاجنبية معاً ويسير فيهما جنباً لجنب ثم اذا هو وقد أخذ من اللغة الأجنبية بحظ اكبر وتأدب بأدبها وهجر اللغة العربية ولفظها وكانت المؤلفات الأجنبية لذته في قراءته وسلوته في وحدته وعرف من تاريخ أدبائها ومؤلفاتها وآدابها ما لم يعرفه عن العربية ومؤلفيها مع انها لغة قومه وأقرب الى ذوقه — ذلك لانه يرى في الادب الغربي جدة في التفكير وتمشياً مع الحاضر وروحاً وحياةً ونشاطاً لايجدها في العربية فأين الروايات العربية التي تمثل حياتنا الاجتماعية واين الشعر العربي الذي يمثل عواطفنا الحاضرة واين الكتب العربية الطلية الجذابة التي نضعها في يد فتياننا وفتياتنا نهذبهم بها واين القصص اللطيفة المصورة التي نقدمها لاطفالنا · حقاً اننا فقراء معدمون ·

ولنذكر الآن علمين على سبيل المثال نوضح عيوبهما ونقترح مانرى في علاجهما وهما (علم البلاغة) و(علم اللغة) ونرجو ان نوفق في مقال آخر لتحليل كهذا في العلوم العقلية ثم الشرعية ·

علم البلاغة — انظر معي أيها القارئ الكريم نظرة عامة الى علم البلاغة تجد ان الكلام في هذا العلم بدأ ببحث بعض العلماء في السر الذي من اجله كان بعض الكلام بليغاً وبعضه غير بليغ وكان اذا عرض لاحدهم آية من القرآن او بيت من الشعر بليغ اخذ يعلل سبب الإعجاب وسر الفصاحة تعليلاً علمياً كما فعل ابو عبيدة معمر ابن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ واستمر العلماء يسيرون في هذا الطريق حتى اتى عبدالقاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ فجمع هذه المباحث ورتبها وأخرجها في كتابيه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » وكان أساس تأليفه البحث في كيف يكون الكلام العربي بليغاً فصيحاً فهو يتعرض مثلاً للتقديم والتأخير من هذه الناحية ناحية ان كلاً منهما قد يكسب الكلام العربي فصاحة وبلاغة — وكثيراً مايعتمد في بحثه وبيانه على الذوق الادبي اكثر من اعتماده على التعليل العقلي فهو يأتي بالمثل و يقول الا تحس من هذا بروعة تملؤك ، الست اذا غيرت هذا الوضع ذهب ماتشعر به من جمال الى كثير من أمثال ذلك — وكان الى حد كبير موفقاً في اختياره الأمثلة وأديباً رقيقاً في تعبيره حتى ليفيدك من أسلوبه اكثر مما يفيدك من بحثه ثم أتى السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ وصبغ العلم الصبغة المنطقية ففصل المسائل وجعل لكل نوع اسماً وحدّد مواضع التقديم والتأخير والفصل والوصل الخ وعدها وحصرها وعبر عن ذلك بالعبارة الفلسفية الجافة — والى هنا وقف العلم فلا ترى فيما الف بعد ذلك جديداً انما هو اختصار لمطول او تطويل لمختصر او شرح لعبارة غمضت او تفسير للفظة وردت ٠

ولم يعد في كل هذه الكتب غناء للمتعلم في عصرنا ، فان كان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رأى ان يرجع بطلبته الى كتب عبد القاهر ليتذوقهم البلاغة فلست أرى فيها ولا في كتب السكاكي ما يصح ان يكون كتباً تعليمية لاهل هذا العصر — لقد وحدت فيها الأمثلة جميعها حتى بليت وحتى صارت تستدعي التقزز بدلاً ان تستدعي الإعجاب : فزيد أسد ٠ وله لبد ٠ أظماره لم تقلم ٠ وهو كثير الرماد ٠ جبان الكلب ٠ وكأن محمر الشقيق اذا تصوب او تصعد ٠ وسالت باعناق المطي الاباطح ٠

ثم ماهذا النمط البالي في التأليف في ان مواضع التقديم خمسة ومواضع التأخير ستة ومواضع الوصل والفصل كذا وما هذه الاسماء التي وضعوها لانواع الاستعارات

المختلفة وما قيمتها — ثم ما هذا الجمود في التأليف والمخترعات حولنا تفيض على الذهن الحي المبتكر تشبيهات واستعارات وكنايات تهز النفس لجدتها وحياتها ، وفوق ذلك فعلم البلاغة يجب ان يكون خادماً لعلم النفس فكلما تقدمنا في معرفة ملكات الناس وطرق استعمالهم وجب ان تحول البلاغة هذا المنحى للتأثير في عقول الناس وعواطفهم وإرادتهم .

ان انت حددت الغرض الذي ترمي اليه من البلاغة هزئت بهذا النوع من البحث الذي يسمونه البلاغة . أليس الغرض من البلاغة ان نكتب جيداً ونتكلم جيداً ؟ هل هذا النوع من التأليف قد وفى بالغرض ؟ الحق ان لا . وان أعمق الناس دراسة في السكاكي وذيوله أبعدهم عن ان يجيدوا كتابة او خطابة .

اين الكلام في كتب البلاغة عندنا على الوصف وما شروط جودته وما نماذجه الجيدة ؟ واين الكلام على القصص وأنواعه ؟ وهو هو الذي يستغرق الجزء الاكبر من الادب الغربي ومن حياتنا العامة . واين الكلام على الجدل والمناقشة وما السبيل السوي التي يسلكها المتجادلون في بحثهم — وماالخطابة وما اقسامها من سياسية وقضائية ودينية وكيف نكوّن الخطيب ؟ الخ .

لا نرى في كتبنا شيئاً من هذا الا نتفاً لا تشفي غليلاً — قد عني فيها بوصف ألفاظها اكثر مما يعنى بموضوعها .

والحق ان هذه الموضوعات وأمثالها ومقدماتها هي التي اذا عني بدراستها ووضعت أمام الناشئ نماذج منها مختارة وكلف بعدُ بان يحذو حذوها أنتجت البلغاء حقاً .

وعلم اللغة — اللغة كما نعلم — أداة يعبر بها الانسان عن غرضه يستخدمها الصانع والمعلم والسامر وكل ذي غرض في تفهيم مايريد الى الآخرين فهي خادم للانسان وليس الانسان خادماً لها فيجب ان تسايره في الحياة فتكون ضيقة بسيطة اذا كانت معيشته ضيقة بسيطة وكلما اتسع الانسان في شؤونه وجب ان تتسع ايضاً وتنمو .

هذه مسألة بديهية تخضع لها كل اللغات ومنها اللغة العربية .

كانت حياة العرب في الجاهلية حياة بدوية ، حاجاتهم قليلة ووسائل معيشتهم بسيطة ، ليسوا في حاجة الى أدوات صناعية كثيرة دقيقة كالتي تتطلبها مدنيتنا

وليسوا في حاجة الى مصطلحات علمية في ضروب العلم المختلفة لانه ليس لديهم علم ، فطبيعي ان تكون اللغة العربية اذ ذاك فقيرة في مصطلحات العلوم فقيرة في أدوات الحرف فقيرة في أدوات الزينة والترف فقيرة في كل شأن من شؤون المدنية العالية — وكانت معيشتهم تعتمد في كثير من نواحيها على الإبل في مأكلهم وفي ملبسهم وفي مشربهم وفي ركوبهم فكان طبيعياً ان تكون لغتهم غنية في كل ما يتعلق بالابل فكثرت اسماؤها واسماء أجزائها حتى استطاع بعض علماء اللغة ان يضعوا للإبل كتباً خاصة ليس فيها الا الإبل وما يتصل بها ، وكانت حياة الجاهلية حياة حروب دائمة بين القبائل فكان طبيعياً ان تكون لغتهم غنية بأسماء أدوات الحروب من سيف ونصل وسهام ورماح ونحوها وان يكون لكل شيء من هذه اسام عدة وان تكون عقولهم مملوءة بالمعاني التي تستتبعها الحروب وان تكون لغتهم مستعدة للتعبير عما يجول باذهانهم من تلك المعاني .

وعلى هذا نستطيع ان نتعرف في اي المواضع كانت اللغة العربية غنية وفي ايها كانت فقيرة — ان سكان الواحات والصحراوات التي تبعد عن الشاطيء ولا تجري فيها أنهار لا يعرفون السمك وليسوا في حاجة ان يضعوا له اسماً ولا هم في حاجة الى ان يضعوا لأنواعه العديدة أسماء وسكان السواحل في أشد الحاجة الى ذلك وليسوا في حاجة الى معرفة اسماء لما ينبت من الكلاء والعشب وما تخرج الصحراء .

فلما تحضر العرب بعد الاسلام واختلطوا بالفرس والروم واحتلوا كثيراً من بلادهم رأوا من أدوات الزينة والترف مالم يكونوا قد رأوا ، ورأوا من الحرف الدقيقة والفنون الجميلة ما لم يعهدوه كما رأوا من أنواع تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يكن يخطر لهم على بال وفوق ذلك تطلبت الحضارة معاني جديدة وعلوماً جديدة ومصطلحات جديدة ورأوا انفسهم مضطرين للتعبير عنها — أصبحت هذه الاشياء ملكاً لهم فلا بد ان تستخدم اللغة في التعبير عنها فساروا بلغتهم مع مقتضيات الاحوال — توسعوا في مدلولات بعض الكلمات كحكومة وديوان وعربوا الكلمات الاعجمية احياناً واشتقوا ونحتوا أحياناً فأصبحوا ولغتهم البدوية تفي بحاجاتهم الحضرية وصار من موسيقاهم

العود والقانون والبربط ومن مأكولهم الفالوذج والسكباج وزينت بيوتهم بالفسيفساء والقاشاني .

ثم جمدوا وسدوا باب الاجتهاد في اللغة كما سدوه في التشريع فلم يبيحوا لانفسهم ان يضعوا كلمة جديدة ولا ان يغيروا معنى ولا ان يتوسعوا في مدلول كلمة .

زادت حضارتنا عما كانت عليه في عهد الدولة العباسية فالمدنية الحديثة قد غمرت العالم بالمخترعات والآلات والأدوات وغيرت نوع المعيشة لدرجة كبيرة والعلوم تقدمت وتفرعت ووضعت لكل دقيقة منها في اللغات الاجنبية اسماء خاصة بها .

فاذا نحن ألقينا بنظرة الى اللغة العربية وبنظرة الى هذه العلوم والأدوات والمخترعات وجدنا ان ثوب اللغة غير متناسب مع حالتنا فهو ثوب واسع فضفاض في بعض أجزائه وضيق او معدوم في بعض أجزائه فالخمسون اسماً التي للاسد لسنا الآن في حاجة كلها اليها ولسنا محتاجين من الثمانين اسماً للعسل الا الى بضعة اسماء والطبيب والفيلسوف والكيماوي وكل عالم الآن لايجد في اللغة العربية حاجته وقل مثل ذلك في النجار والحداد والأديب في حديثه والرجل في عمله والمرأة في شؤونها .

فنحن بين اثنين اما ان نقدس ماقاله العرب ونقف عنده ولا نسمح لانفسنا بوضع جديد وحينئذ يجب ان تكون اللغة العربية لغة أثرية كاللاتينية والعبرية واما ان نريد ان تكون لغة حية وحينئذ يجب ان تخضع لقوانين الحياة فتنمو وتتجدد وتساير حياة الناس وهذا الأخير هو ما ينبغي ان يكون .

فالمعاجم العربية كلها غير صالحة لهذا الزمن لامور :

(١) كثرة ما فيها من كلمات ميتة لا تستعمل وامتلاء المعاجم بها يشتت ذهن الباحث و يعوقه عن تحصيل ما هو ضروري ومستعمل والأولى ان تكون هناك معاجم كهذه حاوية لكل الكلمات ولكنها تكون للخاصة يرجعون اليها عند الحاجة فقط . اما المعاجم التعليمية والتي تكون في يد الكافة فيقتصر فيها على الكلمات الحية المستعملة .

(٢) انها لا تساير العلم الحديث و يجب ان تكون كذلك فاذا عرضت كلمة كسوف او خسوف مثلاً وجب ان نشرحها بآخر رأي دونه علم الهيأة واذا عرضت كلمة الاهرام شرحناها حسب مايقول علماء التاريخ المصري واذا عرض نبات او حيوان

وجب ان نعرف الاسم المقابل له علمياً ونشرحه بذكر فصيلته ومميزاته حسب ما يرشد اليه عالم النبات والحيوان وهكذا .

(٣) قصورها — كما قلنا — في كثير من الاشياء فليست فيها المصطلحات العلمية الحديثة ولا حاجات المدنية الحديثة ولا المخترعات والمستكشفات الحديثة .

والواجب ان يكون هذا كله بيد مجمع عربي مؤلف من خيرة المتعلمين في الامم الشرقية جميعها وان يكون رسمياً تعترف به الحكومات وتمده بالمال وان تعطى له سلطة وضع الكلمات للاصطلاحات العلمية وما نحن في حاجة اليه ثم تلزم الهيئات العلمية باستعمال الكلمات التي يضعها هذا المجمع والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

القاهرة : **احمد امين**

رئيس لجنة التأليف والترجمة
والنشر والمدرس بالجامعة
المصرية

الموازنة

بين الاعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٩ =

ووقع منذ سنة ١٣٠٠ حتى سنة ١٣٠٣ اختلافات سياسية في مدينة فلورنسا عقبها اضطراب وثورات اهلية ، نُفيَ في إثرها دانتي في جملة ستمائة رجل من مواطنيه، حُكم على كثير منهم بالقتل ·

وعقب هذه الحادثات كان يتنقل شريداً من مدينة الى أخرى لايملك نقيراً وهو يترقب العودة الى وطنه ترقب الصائم هلال العيد ، وقد أُتيح له اول ملجإ لجأ اليه عند رجل من كبراء لمبارديا ، ثم انتقل الى مدينة بادوا ووجد له عملاً عند احد أمرائها ، اما رحيله الى باريس فأكثر المنقبين على انه في نحو تلك المدة اي سنة ١٣١٠ ومنذ ذلك التاريخ نزع عن السياسة كما يرى الناقد في تتبع أغنياته لذلك العهد ، وأقلع عن الطعن في وطنه ، بعد ان كان يهجو من حكم في نفيه عنه ويحنُّ اليه اشد الحنين ، والسبب في ذلك انه كان مشتغلاً يومئذ بالمطالعة والدرس المتواصلين، وقد ساعده على التفرغ لها اكتسابه عطف وصداقة احد العظماء ، ثم حدث في ذلك التاريخ من الأحداث السياسية ما أنعش فؤاد دانتي وجدّد في نفسه أمل العودة الى وطنه ، ولكن لم يكد يهبُّ نسيم ذلك الأمل ، حتى جرت الرياح بما أبدل منه الرجاء بالخيبة وقطع أوصال تلك الآمال ، فاستعاذ باليأس فأوحى اليه قصيدة هجا بها وطنه وسكانه وتوعدهم بنقمة امبراطور المانيا هنري السابع وشفعها بثانية حرّض بها الامبراطور على اكتساح فلورنسا ، واستنزل صواعق غضبه عليها وعلى من فيها قتلاً ونفياً وتعذيباً · غير ان الامبراطور ارتد عنها بالفشل ومات على أثر جراحه حزيناً غريباً ، فرشقت حكومة فلورنسا دانتي وأولاده بحكم القتل جواباً على قصيدتيه ·

وراح بعد ذلك ينتقل من بلد الى بلد ، وهو يتجلد على مضض البلاء وهل يدفع البلاءَ تجلُّدٌ او تَجلُّد ، حتى دعاه احد علماء النحو من مدينة بولونيا للقدوم اليها — سنة ١٣١٨ — ليعقد على رأسه الاكليل الشعري ، ولكنه كان يتمنى ان يناله في وطنه فلم يُقسَم له ذلك اذ قضى في الرابع عشر من شهر ايلول للسنة الحادية والعشرين بعد الثلاثمائة والالف في بلدة راڤين وهو في السادسة والخمسين من العمر .

هذا مجمل ماوقف عليه المؤرخون ، وأنتخله المحقّقون والنقّادون ، من ترجمة هذا الشاعر الكبير ، وهي ادنى ان تكون قصة قائد جيش او وزير ، طمح ببصره الى الرئاسة ، وجنحت به نفسه الى منازع السياسة ، بل تاقت الى التشبه بالاولياء ، ومحاكاة الفلاسفة والانبياء — وسنورد بعد هذا مايؤيد قولنا — .

على انه وان عُدَّ أشعر شعراء الطليان ، فلم يكن مبتدعاً بل كان في كل ما كتبه مطرّساً على آثار السلف ، طابعاً بمعانيه على غِرار من تقدّمه ، وانما عُدَّ أشعر شعرائهم ، لانهم لم يكونوا ينظمون الشعر العالي الطبقة عندهم الا باللاتينية .

وكان اول مانظمه الاغانيّ وذلك باللغة الطليانية ، وهي لعهده اللغة العامية في توسكانا ولومبارديا وسائر شيشيليا ، وكانت الاغاني في القرن الثالث عشر عندهم أحب شعر لدى جماعات الاكابر وكانوا يعدّونها أسمى أنواع الشعر ، وكانت طريقتهم في الغزليات شبيهة بغزل المتصوفة عند العرب الا انهم كانوا يصرّحون بروحانية المحبوب وقدسيته ، فكان شعر الصوفيين عندنا في صفة المحبوب وصفاً لبس من ثياب الغرام البشري جلبابا ، واتخذ له من ستور الظنون و براقع الخيال حجابا ، وهو أفعل في النفوس وأحب الى القلوب وأطرب في المسامع من شعرهم ذاك المصبوغ بصبغة العبادة ، بل هو لحن ديني لا يطرق السمع حتى تحسب نفسك قائماً في احدى الكنائس بين الشموع والمباخر والبرانس والقلانس . واليك تعريب بيت لشاعرٍ من معاصري دانتي : « أيها الوجه الملكي الآتي من السماء لنشر السلام ، ومن طبع عليه الله الحب كل فضيلة .

وكانوا يقسمون العشق الى مراتب و يطرقون في وصفه أبواب الفلسفة وغيرها

من العلوم ، وينحون في تبويبه وتقسيمه نحو الالفيات النحوية عندنا وغيرها من الأراجيز العلمية ·

وكانت أغاني دانتي في اول امره غزلية اي مصبوغة بصبغة العشق البشري ، ثم نحا تدريجًا نحو التعبد ، وشرح بكتيّب نثري أغانيه ، فكان شرحه هذا ألغازاً ومعميات مغلقة ، بيد انه نال به شهرةً لم ينلها بكل أناشيده ، وليس ذلك بالمستغرب بين قوم لم تختمر فيهم ملكة المعارف ، وعدد أدعياء الادب أضعاف العدد الضعيف من الراسخين في العلم ، فكم بيننا من يتفاصح اليوم بامثال : أمررت مخصرتي ، واستنض القريحة ، وارتمض القلب ، وحبذوه وحبذناه ، وغضب الطبيعة الحانقة ، الى مئات من أمثال هذا الهذيان والخطأ الفاحش وكم بيننا من يقلد هؤلاء ومن يتمنى ان يكتب على هذا المثال المعمى المبهم المخلوط اي ان يكتب مالا يفهمه هو نفسه ولا يستطيع وصفه وتعبيره ، وانما هو عاشق التخييل او الوهم او المجاز مفهومًا او غير مفهوم ، ولكنه يفضّل غير المفهوم على سواه وهو لا يدري سبب هذا التفضيل ، وهذا سرٌّ آخر من أسرار هؤلاء المؤلفين والكتبة وأشياعهم ، وقد كدنا نحيد عن موضوع كلامنا ·

وترتسم الصنعة على شعر دانتي الغزَلي كله حتى يُرى انه يتعمّد التلبّس بلباس الهائمين كل الهيام ، ولهذا قال كثير من ناقدي شعره انه كان يحتذي طريقة بعض الشعراء المشهورين بعهده او من تقدمهم وانه لم يلج العشق فؤاده ولعل هذا الحكم جائر · ونحن في نقدنا هذا لا نروم ان ننظر في كل ما قالوه نقّادوه ، بل نحن في نقدنا وموازنتنا هذه نقول ما لم يقولوه ، وهو احتذاء أسلوب شاعرنا المعري في رسالة الغفران ، بل سرقة موضوعه وتخلفه عنه في السمو والبيان ·

وقد بسطنا قبل هذا شأن رواج العلوم وانبساط المعارف عند العرب في الشرق والغرب قبل مولد دانتي وماقاله مؤرخو الفرنج أنفسهم عن كثافة سحب الجهل عندهم في تلك القرون ، وان من كان يريد التعمق في العلوم عندهم ، كان يتحتم عليه ان يقصد مدرسة قرطبة فلا عجب بعد هذه الشهادة ، اذا ماقصدها دانتي ودرس العربية فيها ، وان كان لم يقل بذلك احد من مترجميه ، اذ جميع الذين ترجموه نقلوا عن بوكاجه وهذا لم يعلم من امر دانتي شيئًا الا بعد وفاته في هجرته بسنين كثيرة اذ كان منتهى بحثه عن أحواله في زوايا دور الكتب

ودكا كين بيعها ، وسؤال من كان حياً من عارفيه بعد وفاته بثلاثين سنة على الاقل ، ومثل هذا البحث في مثل ذلك العصر لا يعوّل كثيراً عليه عند الناقد النزيه .

وهب انه لم يدرس العربية — وهو ما لنا عليه غير ماتقدم من الادلة في سرقة رسالة الغفران — اما أوضحنا كيف كانت تُترجم كتب العلوم وآدابها من العربية الى اللاتينية بشهادة مؤرخي تلك القرون ? فهل يعقل ان دانتي لم يقف على كثير من تلك الكتب ومن جملتها هذه الرسالة الشعرية وهو أشعر شعراء الطليان .

اما الأُلعوبة فهي الملحمة التي اشتغل بتأليفها كل المدة الأخيرة من حياته ، وقد ابتدأ بنظمها فيما ظهر للمحققين نحو سنة ١٣١٠ وقد يكون نظم كثيراً منها قبل ذلك التاريخ ، وهو لم يسمها الأُلعوبة الالٓهية ، بل الالعوبة وانما نعتها بالالهية كان بعد موته ، ولا أدري من هو اول من نعتها بالالٓهية .

وأقبل دانتي على دراسة اكثر علوم عصره ، ولاسيما الفلسفة الا انه جعل فلسفته خاضعة لعلم اللاهوت او مزيجاً منه ، او هي علم الكلام عند الاسلام ، وكان متشبعاً من قراءة التوراة وغيرها من كتب الدين ، وكان كثير العصبية للغته الطليانية ، شديد التحمس في دينه قوي الاعتصام به ، حتى انك قلّ ان تجد قصيدة من شعره في الأُلعوبة الالٓهية ليس عليها مسحة من لهجة أنبياء اليهود في أسفار التوراة ، ولهذا قلنا فيما تقدم انه كان يجنح الى محاكاة الانبياء ، واليك قوله في بعضها اذ هو في المطهر يخاطب وطنه بلدة فلورنسا — في الأغنية السادسة — .

« كم من مرة منذ العهد الذي تعلمينه ، بدّلت كل التبديل شرائعكِ ودراهمكِ ومذاهبكِ وعاداتكِ ، انكِ تتذكرين ذلك حق التذكر ، ولستِ عمياء وستجدين ذاتكِ كتلك المريضة التي لم تكن تجد راحة الا بآلامها في تقلبها على جراحها . . »

ودونك قول السيد المسيح :

« اورشليم اورشليم ياقاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها ، كم من مرة أردتُ ان أجمع اولادكِ فيكِ كما تجمع الدجاجة فراخها . » ومثل ذلك قول أرميا وأشعيا قبله .

ويفتتح اغنيته الاولى من السماء هكذا :

« المجد لمحرك الأشياء كلها ، تمن يملأ الاكوان وينير بعضها على درجات متفاوتة .
« في السماء التي تنال اعظم نصيب من نوره ، كنت وعاينت اشياء لا يستطيع ان يعيدها النازل من فوق . »

اما هذه لهجة انبياء اليهود ؟ ولا عجب في ذلك فان غرض دانتي من تأليف الالعوبة — كما صرح هو بذلك — « ان ينتزع الاحياء من تعاستهم في هذه الحياة وان يقودهم الى السعادة الخالدة » وقد ضمنها من الآراء العلمية والمعتقدات الدينية والمذاهب الفلسفية ، والحوادث التاريخية ، وأحوال المجتمع لعصره في قطره ، ماخلد اسمه في تاريخ الامم الغربية حتى عدّوه أشهر شعراء الطليان ، واحد افراد شعراء الدنيا ، غير انه لم يسلم من ايدي النقاد . ولا بدع فالكمال لم يقسم لاحد من البشر الى يومنا هذا ، ولو شئنا ان ننقد ما ضرب عنه صفحاً كثير من نقاديه لطال بنا مجال القول . ولا سيما اننا لا نتعرض في هذه الرسالة الا للموازنة بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران وبين صاحبيهما من حيث الحياة العملية والاخلاق ومكانهما في المجتمع الانساني بل في وطنيهما وبين قوميهما لعصريهما .

وحسبك ان تعلم انه استعان في هبوطه الى جهنم وفي معراجه على المطهر بروح فيرجيل شاعر اللاتين وهو في مذهبه من اهل النار لانه كان وثنياً كما تعلم ، بل كان يدعوه بيا أبتِ و ياابي الحبيب ، و يامعلمي و يامرشدي الحكيم . و يسأله إلهامه الثبات والصبر والشجاعة ، والعقل والفصاحة . ولا يخفى ما في ذلك من التناقض ، اذ كيف يجوز له وهو النصراني الكاثوليكي المتحمس الى اقصى التحمس الديني ، ان يصاحب و يستعين و يسترشد بروح ملعونة خبيثة هي روح فيرجيل الوثني التي قُضي عليها في اعتقاده ان تخلد في عذاب النار ، وان ينادي صاحبها ياابي و يامرشدي ، وان تصعد معه في معراجه على المطهر ، وهو مكان الابرار الصالحين يمكثون فيه كما هو معلوم برهة من الدهر ريثما يتطهرون فيه من الأوزار ، وكيف وفق في منطقه بين تلك المقدمة وهذه النتيجة ؟ .

على ان دانتي لم يكن مبتكراً كما ذكرنا غيرمرة وكما أجمع رأي النقادين البصيرين في كتاباته ، بل كان التقليد سجيةً من سجاياه ولذلك تراه يسمي كوميدي كونيجيلي

المشترع من اهالي بولون ابي ايضاً وهو سابقه في الطريقة التي دعيت لعصره بالانشاء الحلو الجديد ومثل ذلك يدعو فيرجيل اباه ، يريد بذلك ان يسميه اهل عصره خلف فيرجيل ، لشهرته البعيدة في الشعر اللاتيني ، ولشعره هو في الانشاء الحلو الجديد كما كانت تسمى يومئذ اللغة الطليانية ·

وقد يقال انه كرر كثيراً قراءة سفر الرؤيا المعروف برؤيا يوحنا ورغب في محاكاته ، ولكن ينفي هذا القول ما تحقق من صلابته في دينه وذهابه فيه الى أقصى حدود الغلو ، فلا يُعقل انه يتحرى محاكاة سفر من اسفار التوراة او الانجيل ·

وزعم بعض شراحه ومنتقديه (ولا علم لهؤلاء برسالة الغفران بل ولا باسم ابي العلاء) ان الروايات كانت شائعة في تلك الأقطار لعهد دانتي عن عروج بعض القديسين في الاعصر الاولى للمسيحية على السماء او اختطافهم وهبوط بعض منهم الى جهنم ، وكلها من الخرافات الموضوعة التي كان يتناقلها السذّج والعجائز البله في اول شيوعها للتيمن والإرهاب ، ثم ما فتئت تتجسم منذ القرن الثامن قرناً فقرناً ، حتى بلغت في القرن الثالث عشر من جسامة الوصف والإرهاب والتهويل عن العذابات التي تصيب اهل الجحيم ما لا يحيط به واصف ، وان هذا مادعا دانتي الى نظم أُلعوبته · وقد يكون في ذلك شيء من الحقيقة لما اطال في جحيمه من وصف التعذيب فألهب دماغه باختراع وحوشٍ وأفاعٍ وصنوف نيرانٍ قاتمة مظلمة سامّة واهوية نارية جليدية الى مالم يسبقه اليه سابق وقد لايلحقه لاحق · الا ان احتذاء اولئك الراوين والمؤلفين يقف به عند هذا الحد من وصف مشاهدة العذاب والغبطة ، اذ ليس فيه سوى روايات عما عاين اولئك المزعوم صلاحهم في السماء او جهنم ، وليس فيه تخييل شعري ولا سيما في جهنم ووصف العذاب والنيران مما تستك من سمعه الآذان · وان ما تناقله الناس في اي قطر من الأقطار حتى يمسي مبتذلاً ترويه عجائز الحي ، ليس بالذي يُتهافت على نظمه شعراً · ولاسيما اذا لم ينطو على حكمة ينظمها الشاعر بلفظ انيق ، او وصف شيء من مظاهر الطبيعة او غيرها مما تنبسط له النفس كالحسن والغرام · واما وصف الفردوس بما لايخرج عن ماذكرته كتب الأديان وبما روي عن بولس الرسول او بما ذكره يوحنا في رؤياه وبما روي عن غيرهما على مرّ ثلاثة عشر قرناً الى عصر دانتي ، كل

ذلك لم يبق وصفاً لواصف على ذلك النحو او زيادة لمستزيد ، فما عسى ان يقول دانتي بعدهم او يجيد ؟ .

فاذا أنعم الناقد النظر فيما بسطناه لم ير بدًّا من القول معنا بان دانتي قرأ رسالة الغفران العربية او ترجمتها ورأى ان يقلدها على سجيته ولا سيما ان قرأ العربية بل اللاتينية نفسها لم يكونوا لعهده الا جماعة قليلة العدد ، واقل منهم من كان يقرأ الكتب المترجمة عن العربية او العبرية .

وليس قصدنا بهذه الموازنة الحط من قدر دانتي ببيان سرقته الموضوع من شاعرنا المعري ، فقد سرق الشعراء قبل دانتي وبعده وسيسرقون الى يوم الدين . وهو نفسه لم يكن مبتكراً كما ذكرنا غير مرة ، بل لنُعلِم نفراً يجهلون مدى آداب لغتنا ويكفرون بعلمائها . ان انفس ما خلدته العبقرية من الصناعات الجميلة وهو الأعوبة الالآهية التي يفاخر بها ثمانون مليوناً من البشر او يزيدون بل قل اوربا باسرها ولا تخف غلواً في إضافة اميركا اليها واكثر اليابان وحسبك ما قالوه يوم اليوبيل العظيم لمرور ستمائة سنة على وفاة مؤلفها دانتي واعترافهم بالإجماع انه ثالث شعراء الدنيا منذ خلق الناس خلا شعراء العرب ، اذ لم نجد للامم الفرنجيــة الى اليوم من استطاع ان يقدر الشعر العربي حق قدره من سائر المستشرقين ولا من نظم بيتاً بالعربية . فهم اذا تكلموا عن الشعر والشعراء كان كلامهم عن اللغات اليونانية واللاتينية والسكسونية وسائر لغات اوربا ، وان قالوا عامة ، اللغات او عموم الامم ، نقول ان اعترافهم بتلك العبقرية وتفاخرهم بالاعوبة الالهية يعود بالحقيقة للمبدع المبتكر الحقيقي وهو ابو العلاء المعري صاحب رسالة الغفران واليك الدلائل والبراهين الآتية .

(للبحث صلة) قسطاكي الحمصي

قانون البلاغة

— ٧ —

واما الاستطراد فهو ان يأخذ الشاعر في صفة يجعلها طريقة الى ما يريده من مدح او هجاء وغير ذلك ، ولا يزال فيما ركبه لا يزل عنه ، ولا ينتقل منه ، حتى يثني عنانه الى غرضه ، ويعطف قوله الى مقصده ، بعد ان يكون في الكلام الاول دلالة على ان المقصد غير ما عطف عليه ، فحينئذ يكون استطراداً فمنه قول حسان :

(ان كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام)
(ترك الأحبة ان يقاتل دونهم ونجا برأس طمرّة [1] ولجام)

وكقول البحتري :

(ما ان يعاف قذىً وان أوردته يوماً خلائق حمدوٍ به الأحول)

وكقول ابي الشمقمق :

(واحببت من حبها الباخلينَ حتى ومقت ابنَ سلْم سعيدا)
(اذا سيل عرفاً كسا وجهه ثياباً من اللؤم صفراً وسودا [2])

وكقول حاتم :

(ان كنت كارهة لعيشتنا هاتا فحلي في بني بدر)

واما التكرار فكقول عبيد :

(هلاّ سألتِ جموع كنـ ـدة يوم ولوا اين اينا)

وكقول الآخر :

(وكانت فزارة تصلى بنا فأولى فزارة اولى فزارة)

واما الاستثناء فانه يوجب بلاغة بيان واول من اخترعه النابغة بقوله :

(ولا عيب فيه غير ان سيوفه بهنّ فلول من قِراع الكتائب)

فهذا تأكيد للمدح بما يشبه الذم ، وقال الجعدي :

---

(١) الطمرّة مؤنث الطمرّ وهو الفرس الجواد او هو المستعد للوثب والعدو .

(٢) في رواية : بيضاً وسودا .

(فتى كملت خيراته غير انه جواد فما يبقي من المال باقيا)

واما التصحيف فكقول البحتري :

(ولم يكن المغتر بالله اذ سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه)

وقوله : (وكأن الشليل والنثرة الحصـ ـداء منه على سليل غريف)

واما براعة الاستهلال فهي من ضروب الصنعة التي يقدمها امراء الكلام ، ونقاد الشعر ، وجهابذة الألفاظ ، فينبغي للشاعر اذا ابتدأ قصيدة مدحاً او ذماً او فخراً او وصفاً او غير ذلك من افانين الشعر ، ابتدأها بما يدل على غرضه فيها ، وكذلك الخطيب اذا ارتجل كل خطبة ، والبليغ اذا افتتح رسالة ، فمن سبله ان يكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه ، واوله ملخصاً بآخره ، وينبغي له ان لا يبتدئ المدح بشيء من التشبيب يتطير منه ويستجفى من كلامه ، وينبو عنه السمع ، وينبذه الطبع ، ويجتنب مثل قول ذي الرمة : (ما بال عينك منها الماء ينسكب)

فقد بلغني ان بعض خلفاء بني أمية استنشده شيئاً من شعره فأنشده هذه القصيدة فردّ في فيه وأسكته . ودخل الأخطل على معاوية فقال : اني مدحتك فاسمع فقال : ان انت شبهتني بالحية والصقر فلا حاجة لي فيه ، وان كنت قلت كما قالت الخنساء في اخيها :

(ولا بلغت كف امرئ متناولاً من المجد الا والذي نلت أطول)

(وما بلغ المهدون للناس مدحةً وان أطنبوا الا الذي فيك أفضل)

فهات فأنشد الأخطل :

(اذا مت مات الجود وانقطع الندى ولم يبق الا من قليل مصرّد)

فقال له معاوية ما زدت على ان نعيت اليّ نفسي . وأنشد الجعديّ بعض الملوك قصيدته التي يقول فيها :

(لقيت أناساً فأفنيتهم وافنيت بعد أناس أناسا)

فقال له : ذاك من فرط شؤمك ، وأنشد البحتري يوسف بن محمد الثغريّ قصيدة اولها :

(لك الويل من ليل تقاصر آخره) . فقال له (الويل والحرب لك)

فمن سبيل الشاعر المتوقد ، الهاجس الواري الزناد ، ان يكون هجاؤه اذا هجا ، واستبطاؤه اذا استبطا ، وتهنيته اذا هنا ، وتعزيته اذا عزّى او رثى ، او وصف على حسب مايقتضيه ذلك الموصوف ، وتوجبه تلك الحال . وان لا يضع كلامه في غير مواضعه، وان يفتتح كل قصيدة بما يناسبها و يبتدئها بما يشير الى المعنى المقصود فيها ، فان البحتري لو كان هاجياً لكان قوله (لك الويل) في غاية الجودة ، لان كل صنف من صنوف القول يقتضي نوعاً من الابتداء وضرباً من الافتتاح لا يصلح لغيره ، وانما جعل الابتداء بالنسيب سبباً الى المدح وسلّماً اليه ، ليحسن الممدوح الاصغاء الى ما في التشبيب من وصف النزاع والصبابة ، وذكر الوجد والغرام ، اذ كانت النفوس مجبولة على استحسان الغزل والنسيب ، فلا يكاد يخلو احد من ان يكون ضارباً فيه بسهم ، وآخذاً منه بنصيب ، فاذا انتهى الشاعر الى المدح ، ورد على نفس مجتمعة ، وجأش ساكن ، وقريحة صيّبة ، وسمع غير مُقسّم ، فحسُن موقعه ولطُف موضعه وشرُف مسمعه واستوفاه الممدوح ولم يله عنه . فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب ، وعدّل الاقسام فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيملّ السامعين ، ولم يقطع و بالنفوس ظمأ الى المزيد .

ومن سبل الشاعر ايضاً ان يجتنب تسمية من يشبب به ، فربما وافق ذلك الاسم اسم من يكره الممدوح ذكره ، وان اضطر الى تسمية من شبب به اختار أعذب الاسماء وأحلاها موقعاً في السمع ، واجتنب التشبيب بالاسم المستكره كقول جرير :

(وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئتِ بغيرنا يا بوزع)

واما براعة التخلص فانّ من حكم التشبيب ان يكون ممتزجاً بما بعده من مدح اوهجاء وغيرهما ، وغير منفصل منه ، فان القصيدة مثلها كمثل الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر بطل الجسم ، وحذاق الشعراء لا يفصلون بينهما ، بل يصلون الاول بالآخر حتى تراه كالرسالة والخطبة لا ينقطع جزء من جزء . كقول مسلم :

(أجدك هل تدرين ان رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر)
(نصبت لها حتى تجلّت بغرّةٍ كغرة يحيى حين يذكر جعفر)

وكقول محمد بن وهب :

(ما زال تلثمني مراشفه ويعلني الابريق والقدح)
(حتى استرد الليل خلعته وبدا خلال سواده وضح)
(وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح)

وكقول البحتري :

(اقلّ واكثرْ لست تبلغ غايةً من الجود الا ان تضارع هيثما)

وكقوله : (ولواني أُعطيت فيهن المنى لسقيتهن بكف ابراهيما)

واما الترديد فهو ان يعلّق الشاعر لفظةً في البيت بمعنىً ثم يردّها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كما قال زهير :

(من يلق يوماً على علاّته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا)

وكما قال : (واحفظ مالي في الحقوق وانه لجمٌّ وان الدهر جمٌّ نوائبه)

وهذا من أحسن كلام وأجزله وقال ابو نواس :

(صفراء لاتنزل الأحزان ساحتها لو مسّها حجرٌ مسته سراءُ)

وقال ابن جبلة :

(مضطرب يرتج من أقطاره كالماء جالت فيه ريح فاضطرب)
(اذا تظنينا به صدّقنا وان تظنى فوته العير كذب)
(لا يبلغ الجهد به راكبه ويبلغ الرمح به حيث طلب)

وقد يسمي التعطف ايضاً . واما (التتميم) فهو ان يأخذ الشاعر في معنىً ، فيورده غير مشروحٍ ، فيقع له ان السامع لا يتصوّره بحقيقته ، فيعود راجعاً الى ما قدّمه فإما ان يؤكده وإما ان يجلي الشبهة فيه كما قال :

(أقمنا أكلُنا اكل استلابٍ هناك وشُربُنا شُربٌ بدار)

ثم علم انه لم يتم المعنى وانه لبّسه فقال :

(ولم يك ذاك سُخفاً غير اني رأيت الثوب[1] سخفهم الوقار)

---

(١) لعلَّ صوابه (الشرب) وهو جماعة الشاربين .

وقال ابن الرومي :

(آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا دَجَوْن نجوم)
(منها معالم للهدي ومصابحٌ تجلو الدجى والأُخريات رجوم)

واما جمع المؤتلفة والمختلفة في بيت فكقول امرئ القيس :

(سماحة ذا و برُّ ذا ووفاءُ ذا ونائل ذا اذا صحى واذا سكر)

و يقال انه لم يجمع واحد في بيت واحد جماعة اشياء قبله واما التبيين فكقول الفرزدق :

(لقد خنت قوماً لو تساق اليهم طريد دم اوحاملاً ثقل مغرم)

فلو انتصر على هذا البيت لكان جيّداً ، ودخل في باب ماحذف جوابه ، فلما احتاج الى تبيينه بينه فقال :

(لألفيت فيهم معطياً ومطاعناً وراءك شزراً بالوشيج المقوّم)

فبيّن قوله (حاملاً ثقل مغرمٍ) بقوله (لألفيت فيهم معطياً) وقوله (طريد دمٍ) بقوله (ومطاعناً بالوشيج المقوّم) .

واما المذهب الكلامي فكقول النابغة :

(ولكنني كنت امرءاً ليَ جانبٌ من الارض فيه مستراد ومذهب)
(ملوك وإخوان اذا ما أتيتهم أحكّم في أموالهم وأقرب)
(كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في مثل ذلك أذنبوا)

يقول لاتلمني في مدحي آل جفنة فقد احسنوا اليّ ، كما لو احسنت الى قوم فشكروا لك ، لم تر ذلك ذنباً ، وهذه طريقة الجدل وانما اتفق له لجودة القريحة وفضل التمييز .

واما التفويف فانما سمي التفويف تشبيهاً بالبرد المفوّف ، وهو الذي يخالط وشيه شيءٌ من بياض ، والفوف بياض يكون على الاظفار سمي البرد مفوّفاً به . وهذا النوع من الشعر هو ان يسهل له مخارج الحروف ، و يرفّ منه رونق الفصاحة مع الخلوّ من البشاعة ، وان يكون ظاهر المعنى لايحتاج الى إعمال الفكر في استنباط معانيه ، وان كان خالياً من جميع الاوصاف التي تقدمت وتأخرت عنها ، كما قال جرير :

(هم الاحبار منسكة وهدياً وفي الهيجا كأنهم صقور)

(بهم حدب الكرام على المعالي وفيهم عن مساءتهم فتور)
(خلائق بعضهم فيها كبعض يؤمّ كبيرهم فيها الصغير)
(عن النكراء كلهم غبيٌّ وبالمعروف كلهم بصير)

وكما قال مروان بن ابي حفصة :

(بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم اسود لها في غيل خفّان أشبل)
(هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السما كين منزل)
(هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا أجابوا وان أعطوا اطابوا فأجزلوا)

وكما قال ابراهيم بن العباس :

(تطلّع من نفسي اليك نوازع عوارف ان اليأس منك نصيبها)
(حلالٌ لليلى ان تروع فؤادنا بهجرٍ ومغفور لليلى ذنوبها)
(وزالت زوال الشمس عن مستقرها فمن مخبري في اي ارض غروبها)

واما (التفريع) فهو ان يأخذ الشاعر في وصف من الاوصاف فيقول ما كذا ... ؟ فينعت شيئًا من الاشياء نعتًا حسنًا ثم يقول — بأفعل من كذا ، كما قال الاعشى :

(ما روضة من رياض الحزن مُعْشبة خضراء جاد عليها مُسْبلٌ هطل)
(يضاحك الشمس منها كوكب[1] شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل)
(يومًا — بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها اذ دنا الأُصُل)

وقال عبد بني الحسحاس :

(وما بيضة بات الظليم يحفها و يرفع منها جؤجؤاً متجافيا)
(و يرفع عنها وهي بيضاء طله و ... قرناً من الشمس ضاحيا)
(و يجعلها بين الجناح ودفّها ويُلحفها دَفًّا من الريش وافيا)
(— بأحسن منها يوم قالت أرائح مع الركب ام ثاوٍ لدينا لياليا)

وهذا الباب كثير في أشعارهم .

واما (التسميط) فهو اعتماد الشاعر تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع

(١) الكوكب نَور الروضة .

او شبه به ، او من جنس واحد في التصريف والتمثيل ، وانما سمي تسميطاً تشبيهاً بالسمط في نظمه وحسن وصفه ، وهو كقول امرئ القيس :

(مكر مفر مقبلٍ مدبرٌ معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل)

فأتى باللفظتين الاوليين مسجوعتين في تصريف واحد ، وجاء بالتاليتين شبيهتين بهما في التعديل والتمثيل ، والمراد من هذا ان تكون الأجزاء متوالية وان تكون مسجوعة .

واما (التصريع) فهو ان يقصد الشاعر لتصيير مقطع المصراع الاول في البيت الاول من القصيدة كمقطع المصراع الثاني ، وقد فعل ذلك المتقدمون والمحدثون حتى ان بعضهم ربما صرّع من القصيدة الابيات يدل بذلك على اقتداره وسعة بحره ، ودقة فكره ، ورحب باعه ، وتوقد زكائه ، و يدلك على ذلك قول ابي تمام :

(. . . . . وانما يروقك بيت الشعر حين يصرّع)

قال امرؤ القيس وهو أوسعهم مذهباً في هذا الباب :

(قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل ِ)

ثم قال :

(أفاطم مهلاً بعد هذا التدلل وان كنت قدأزمعت صرمي فأجملي)

ثم قال :

(الا ايها الليل الطويل الا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل)

واحسن مايكون التصريع في اثناء القصيدة اذا كان الشاعر منتقلاً من وصف الى غيره .

واما (التضمين) فقد لهج جماعة من المتأخرين به واستكثروا فمنهم من يورد البيت بامره والبيتين ومنهم من يقتصر على الأنصاف ومنهم من يأتي بالأرباع وبما دون ذلك ومنه قول الحماسي :

(وقائلةٍ والدمع سكب مبادر وقد شرّقت بالماء منها المحاجر)
(وقدابصرت حمّان[1] من بعدانسها بنا وهي منا موحشاتٌ دوائر)
(كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمُر بمكة سامر)

---

(١) حِمّان بكسر الحاء وتشديد الميم والف ونون محلة بالبصرة .

(فقلت لها والقلب مني كأنما يلقبه بين الجوانح طائر)
(بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر)

وقال ابو تمام :

(فتلته سراً ثم قالت جهرةً قول الفرزدق لا بظبي أعفر)

وقال الأخطل الأهوازي :

(ولقد سما للخُرَّميّ فلم يقل عند الوغاء لها تضايق مقدَمي)

وقال ابو هفان :

(بل رأيت العاشقين ببابه من بين مدعوّ به ومطفّل [1])
(لذكرت بيتاً قاله حسان في أولاد جفنة في الزمان الاول)
(يغشون حتى لا تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل)

واما (القسم) فهو ان يقسم الشاعر ، او يحلف غيره باقسام تتعلق بغرضه المقصود معتمداً بذلك الابداع فيما ينظم ، كما قال الاشتر النخعي :

(بقّيت وفري وانحرفت عن العلى ولقيت أضيافي بوجه عبوس)
(ان لم أشنّ على ابن حربٍ غارةً لم تخلُ يوماً من ذهاب نفوس)

وقال ابو علي البصير :

(اكذبتُ أحسن ما يظن مؤملي وهدمتُ ما شادته لي أسلافي)
(وعدمت عاداتي التي عوّدتها قدماً من الإتلاف والإخلاف)
(وصحبت اصحابي بعرض معرض متحكم فيه بمالٍ وافي)
(وغضضت من ناري ليخفى ضوؤها وقريت عذراً كاذباً أضيافي)
(ان لم أسُنّ [2] على عليّ حلةً تضحي قذىً في أعين الأشراف)

واما الاعنات [3] فهو ان يلتزم الشاعر في القوافي ما لا يلزمه ، إبانةً عن اقتداره وتوسعه وفسحة مجال فكره ، وهذا المذهب على ضروب كثيرة قال الحطيئة :

(١) طفّل الرجلُ صار طفيلياً وطفّل عليه كتطفل . (٢) سن عليه الدرع صبها عليه وألبسه إياها . (٣) وهذا النوع يسمي لزوم ما لا يلزم .

(ألا من لقلبٍ عازم النظرات يقطع طول الليل بالزفرات)
(اذا ما الثريا آخر الليل أعنقت[١] كواكبه كالجزع[٢] منحدرات)

فجاء بالراء في جميعها قبل حروف الردف ، وهي غير لازمة فقال حسان[٣] بن ثابت فلزم الحرف الذي بين الف التأسيس والروي وأعاده بعينه في قصيدته التي يقول فيها :

(بكل كميت صورة نصف خلقه وقب طوالٍ مشرفات الحوارك)

وقد التزم ابن الرومي في هذا مالم يلزمه فالتزم في قصائد في حرف الردف الياء دون الواو ، والواو دون الياء ، وكسر في قصائد ما قبل حرف الروي ، ولم يفتح ولم يضم ، وضمّ في بعضها ولم يكسر ، ولم يفتح ، وفتح في بعضها ولم يضم ولم يكسر .

واما تجاهل العارف كقول زهير :

(وما ادري وسوف إخال ادري اقومٌ آل حصن ام نساء)

وقول الآخر :

(بالله ياظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن ام ليلى من البشر)

واما الهزل الذي يراد به الجد فكقول الشاعر :

(اذا ما تميميٌّ اتاك مفاخراً فقل عدّ عن ذا كيف اكلك للضب)

(الخاتمة في الآتي)

---

(١) غابت . (٢) اي كالخرز اليماني اذا تساقط من سلكه . (٣) لامعنى هنا لحسان بن ثابت .

كتاب المنذر
— ٣ —

(صاحب سطوة واهابة) : سطوة ومهابة — اما الاهابة فهي الدعوة من اهاب به اي دعاه وزجره · (أصبحت المقاولة ملغية) : أصبحت المعاهدة ملغاة — والمقاولة هي المجادلة والمفاوضة · (صرف مصارفات واهية) بذل نفقات باهظة او كبيرة — لان الواهي هو الضعيف · (أوقف نفسه على خدمته وضحى حياته في سبيله) وقف نفسه وضحى بحياته · (ظهر الكنز المخفي) : الخفي — وزن فعيل اوالمخفى بالمجهول · (الانعكاف على العمل الذي قد يكون هو اكبر صائن من المفاسد) : العكوف مصدر عكف و يجب حذف « قد يكون » من العبارة لئلا ينقلب المعنى الى ضده ·

* * *

(أبدل الحقد بالمحبة) : عند المديح — أبدل المحبة من الحقد او بالحقد — وهذا مما يغلط به الكتّاب كثيراً · (مخالف لصالح الوطن) : مخالف لمصلحة الوطن · (صادره في حريته) : عارضه — لان المصادرة هي المطالبة بإلحاف · (تسليمك زمامه) : تسليم زمامه اليك · (من الرجال الثقاة) : الثقات — بالتاء المبسوطة لانها جمع ثقة من باب الوصف بالمصدر · (يتجولون في الجبال) : يجولون — بالتخفيف و بالتشديد · (اذا قاربوا من القوم) : اذا قاربوا القوم او اقتربوا من القوم · (نطوف فوق وجه الماء) : نطفو · (عصا على والي البلاد) : عصوا والي البلاد · (وجدته حاوياً على جميع المواد) : وجدته حاوياً المواد جميعاً او محتوياً على المواد جميعاً — لان حوى متعدٍ بنفسه · (تغيرت الماء عن عادتها) : تغير الماء عن عادته — لانه مذكر — او تغيرت المياه عن عادتها «بالجمع» · (من الفقرتين الاوليتين) : من الفقرتين الاوليين — بفتح اللام مثنى أولى ·

* * *

(من المثر ين في البلاد) : المثرين بياء واحدة — والمثرون بالرفع بدون ياء ومثله المفوضون السامون والمفوضين السامين · (عجيب هو الامر الذي يطلبه) :

عجيب الامر الذي يطلبه — او الامر الذي يطلبه هو عجيب — لان « هو » ضمير الفصل يدخل بين المبتدا والخبر دفعاً للالتباس بين الخبر والصفة المعرفتين ولا يدخل بين الخبر المقدم والمبتدا المؤخر ٠ (هذه الدعوى جنحة) : اللفظة تركية وتعر بها جناح بالضم ٠ (يتظلمون من بهاظة الضرائب) : من بهظ او ثقل الضرائب ٠ (الكتاب الذي بعثه) : بعث به — لانه يقال «الشخص» بعثه « وللشيء » بعث به ٠ (لمَ هذه النفقات المخصصة لهم ما زال غيرهم يقوم بوظيفتهم) : ما دام غيرهم — وكثيرون يستعملون مازال في مقام مادام في حين ان « مازال » كلها معناها « بقي » وما نافية ومعنى مادام « مدة دوامه » وما مصدرية زمنية والفرق واضح ٠ (ان هذا العمل موجود بالاحرى في مخيلته) : ان هذا العمل في مخيلته — بحذف موجود بالاحرى ٠ (لجنة تقوم من مندوبي الدول) : تؤلف او تعقد ٠ (التي تعيقه عن العمل) : تعوقه — من الثلاثي الواوي ٠ (أثبت له إخلاص طائفته) : حبذا لو استعمل الكتّاب « الملة » بدل الطائفة لان الطائفة هي الجماعة لا المذهب الديني ٠

* * *

(فهل لا يستحق ذلك) : أفلا يستحق ذلك — لان هل لا تدخل على النفي ٠ (لا تنطلي الحيلة عليهم) لا تجوز الحيلة عليهم — لانه لم يسمع وزن انفعل من هذا الحرف ٠ (كان تأخيره داعياً لطرده) : تأخره ٠ (قطع جانحي الطائر) : قطع جناحي الطائر — ولم يسمع جانح بهذا المعنى ٠ (حباً في الاختصار ذهبت اليه) : حباً للاختصار او دفعاً لطول الوقت ذهبت اليه ٠ (الخط الحديدي الذي كان موجوداً بين طرابلس وحمص) : حذف « موجود » لان الخبر مع الظرف والمجرور متى دل على مطلق الوجود يجب حذفه ٠ (يقيم عندهم لبينما يحضر ابوه) : ريثما يحضر او حتى يحضر ابوه — لان بينما لاتأتي بهذا المعنى ولا تدخل عليها اللام ٠ (نخر عظامها سوسُ التفريق) : نخِرت عظامها من سوس التفريق برفع عظامها على الفاعلية لان نخر لازم « نخر العظمُ) وزان علم ٠

* * *

(سلمه القيادة وفوضه بكل شؤون الجيش) : سلم اليه قيادة الجيش وفوض اليه

كل شؤونه · (انشأوا هنالك ميناءً واسعة) : ميناءً واسعاً بالتنوين والتذكير لان الميناء «المرفأ» مذكر على وزن مفعال وليست الالف فيه للتأنيث · (كما سعينا لخير هذا الوطن كما وقفت في سبيلنا العراقيل) : حذف كما الثانية · (استولى علينا الانذهال الكلي) : الذهول الشديد او الدهشة الشديدة — لانه لم يسمع وزن انفعل من هذا الحرف · (حكموهم قروناً طوالاً) : حكموا بينهم او حكموا عليهم قروناً طوالاً · (الحماس في العراق) : الحماسة او الهياج في العراق — والحماس نوع من الشجر · (بوشر بترميم الدار) : بوشر ترميم الدار — بحذف الباء لانه متعد بنفسه · (كنا مشعرين بحراجة الموقف) : كنا شاعرين بحرج الموقف · (ساهر بعين لاتخفاها خافية) : لاتخفى عليها خافية · (لا يفرق بين الغث والثمين) : السمين بالسين ضد الغث وهو الهزيل · (سوى النذر القليل) : النزر بالزاي لا بالذال · (تركهم في أذيال خيبتهم يعمهون) : يتعثرون — او في ظلمات خيبتهم يعمهون ·

* * *

(حكم عليهم بالاعدام) : لم يسمع هذا التعبير عند العرب ولعله من الاصطلاحات التركية والصواب — حكم عليهم بالموت · (تركه عالة على المجتمع الانساني) العالة جمع عيل « بالتشديد » كسادة وسيد والصواب تركه عيلاً او عبئاً على المجتمع — ويقال تركهم عالة — عند الجمع · (لا اعتقد بان الامر كذا) لا اعتقد ان الامر كذا — بحذف الباء لانه متعدٍّ بنفسه · (وبينما اكون اشتغل يكون هو يطالع الروايات) وفيما انا اشتغل يطالع هو الروايات · (اتخذ الكسالة عادة) الكسل — ولم يسمع وزن فعالة من هذا الحرف · (من هذا البئر العميق) من هذه البئر العميقة — لان البئر مؤنثة · (من الدائبين على خدمة البلاد) في خدمة البلاد · (اذا حاولت الامر لاحتجت الى مال وفير) والصواب إبدال لو من اذا — او يقال اذا حاولت الامر فاني احتاج الى مال وافر — لان اللام لا تدخل على جواب اذا ·

* * *

(يهب الجسم نشاطاً) الفقهاء يعدون وهب الى مفعولين ولكن الافصح فيه ان يتعدى الى الاول باللام والى الثاني بنفسه فيقال : يهب للجسم نشاطاً · (أتيح لي

الحظ بان احصل عليه) أتاح لي الحظ ان احصل عليه = ارأتيح لي ان أحصل عليه = بحذف الحظ والباء · (اهاب بنا التذكار المسر امس المسيء اليوم) السار السيء = من مرّ وساء الثلاثيين · (لكن ذلك لا ينهي الشقاق) لا يقطع او لا يحسم الشقاق = لان للانهاء معنى آخر هو الابلاغ · (صلاحيّة مدراء النواحي) صلاحية مديري النواحي = بتخفيف الياء في صلاحية كملانية وكراهية وعفاهية ورفاهية = وجمع مدير بضم الميم « مديرين » لانها وزان مُفعل لا فعيل · (بلدية بيروت ونحن) نحن وبلدية بيروت · (أشاع بانه يريد) أشاع انه يريد = بحذف الباء · (اليد التي تحيك ملابس القوم) تحوك = لانه واوي · (يسافرون من والى الولايات المتحدة) من الولايات المتحدة واليها = لانه لا يجوز عطف الحرف على الحرف بدون ذكر المجرور ·

* * *

(في احدى القطارات) في احدى القاطرات او في احدى القطر بضمتين جمع قطار ككتاب وكتب وجدار وجدر ونظام ونظم · (عليهم ان يتخابروا معه) عليهم ان يفاوضوه او يباحثوه · (تصليح الطرق) إصلاح الطرق او تعبيدها = لانه لم يسمع وزن فعّل من هذا الحرف · (دعت خادمتها وطلبت اليها كذا) طلبت منها كذا لان طلب اليه ابتهل اليه والسيدة لا تبتهل الى خادمتها · (لا يقبل به بعلاً لابنته) لا يقبله او لا يرضى به بعلاً لابنته · (جعلني ان أفيق) جعلني أفيق = بحذف ان او ايقظني · (ماضر اغنياءنا اذا صرفوا شيئاً من مالهم) ماضرهم لو بذلوا = لان لو مصدرية تؤول مع مابعدها بمصدر فاعل ضرّ أما اذا فلا يصح فيها ذلك · (في أحراش القرية) غابات او أحراج بالجيم جمع حرج «بفتحتين» وهو المكان الكثير الشجر · (في ردح قصير من الزمن) في زمن قصير = لان الردح هو المدة الطويلة · (اخذت أفتش عليها الى ان وجدتها) اخذت ابحث او أفتش عنها حتى وجدتها · (هل كانت مسرورة او حزينة) أمسرورة كانت ام حزينة ·

(الخاتمة في الآتي) ابراهيم المنذر

مطبوعات حديثة

خطط الشام

« الجزء الرابع »

تناول الاستاذ الرئيس في هذا الجزء من كتابه الممتع — التاريخ المدني — فافتتحه بالكلام على العلم والادب ، ألمّ من ذلك بما عرفه عن هذا القطر قبل الاسلام . ثم بسط الكلام في ذلك بعد الاسلام قرناً قرناً . فعد عشرات من رجال كل قرن ، في كل علم وفن . ونوّه بطبقة من الفنانين قلّ ان عُني بهم من كتب في التاريخ . وأحسن كل الإحسان اذ قال : « ومن الغريب ان بعض المتأخرين ممن دوّنوا تراجم اهل عصورهم حرصوا على تراجم المجاذيب والمخرفين ولم يذكروا اهل تلك الايام من المقدرين والبنائين وغيرهم ممن خلدوا با لهم مدنية أعصارهم » .

وأشار الى تاريخ التدوين والنقل ، والى البعوث العلمية في أقدم تاريخ الاسلام . والى إنشاء المكاتب والمدارس ودور العلم (الجامعات) . والى ما كان من ارتقاء في بعض الاعصر ، وما كان من انحطاط في البعض الآخر . وعلل الاسباب في كثير من المواطن . ووصف (تأثيرات الاجانب في التربية) .

ثم انه انتقل الى النهضة العربية الاخيرة في الشام ، فنوّه بالذين قاموا بها ، او كان لهم اثر فيها . وتعرض لمدارس الحكومة العثمانية ، فعلَ المؤرخ المنصف ، وعقد للصحافة العربية فصلاً قيّما : ذكر فيه نشأتها الاولى . وجهود ابناء الشام في سبيلها ، في الشام ، وفي غير الشام . وشخّص داءها ، ووصف دواءها ، وبين ما نحتاج اليه منها ، ومن تحتاج اليه منا . وختم هذا الباب بفصل عن الطباعة والكتب ، وحركة التأليف والنشر ، وما يعتورهما من نقص ، وما لذلك من علل .

وأدار المبحث الثاني على الآداب الرفيعة (الفنون الجميلة) فبدأه بالموسيقى . ذكر نشوءها الطبيعي ، وأثرها في النفس ، وحظ العرب منها ، وعناية دولهم بها . ونوّه بالمشهورين في هذا الفن ، وسرد اسماء طائفة كبيرة منهم : رجالاً ونساءً ، ولا سيما من اهل الزمن الحاضر . ثم انتقل الى التصوير فجمع اليه النحت ايضاً ، وتكلم بعد ذلك

عن النقش والبناء ، فذكر أقدم ماوصل اليه بحثه عن هذه الفنون في هذا القطر . فأشار الى اشياء من التماثيل المنحوتة ، والنقوش البديعة التي عفت عنها عوادي الايام .

وأفاض بجواز التصوير في الاسلام إفاضة محمودة شائقة . وقال ان المسلمين : (حاذروا اذا أجازوا الرسم المجسم ان يكون في عملهم مدرجة للعرب الى الرجوع الى عبادة الأصنام ، فجعلوا في التجوز بعض القيود الخفيفة . فلما ذهبت تلك الخشية اخذت مسألة التصوير تنحل شيئاً فشيئاً ، وبعمد الى مافيه مصلحة منه » واستشهد على ذلك بان نفراً من الصحابة استعملوا الصور واستصنعوها في بيوتهم .

قال وبعد ان كان العرب لاول عهدهم في الشام — عالة في التصوير على الروم والفرس نشطوا بعد ذلك فأخذوا بهذا الفن شيئاً بعد شيء حتى برعوا فيه . فجاؤا من النقوش الزاهية ، والتصاوير العجيبة ، بما يأخذ بالابصار . ولفننوا بتصوير النبات تفنناً غريباً فصوروه على انحاء شتى .

وجعل بعد ذلك باباً خاصاً بالزراعة ، وآخر بالصناعة ، وثالثاً بالتجارة . فكان اكثر كلامه عن هذه الموارد الحيوية الثلاثة ، من الوجهتين الاجتماعية والتاريخية ، فجاء من ذلك بكلام ممتع مفيد ، ليس وراءه غاية . تناول به طرائق متعددة من حيث بيان الانواع ، وذكر المواطن ، وشرح العلاقات الزراعية والصناعية والتجارية ، واحوال القائمين بها . وختم مبحث الزراعة بفصل اختص به الحمات الشامية .

وعهد في الكلام عن هذه الموارد من وجهتها الفنية ، الى رجال من اهل العلم والاستقراء ، او الاشتغال والممارسة ، فأحسن المؤلف الاختيار اذ أجاد الكاتبون في الشؤون التي عالجوها إجادة حسنة .

هذا وصف مجمل ما أحسب انه يقوم بحق هذا الكتاب . لذلك ارى من الذمة في النقد ان أشير الى بعض الاشياء التي وردت فيه ، ليعرف من لم يطلع عليه ، مبلغ الاستاذ من الحرص على خدمة أمته خدمة ادبية صادقة . وكيف انه كان منصفاً فيما كتب ، واستشهد . ليس بالعصبي تأخذه النزعة القومية فيلصق بقومه من الفضائل ما لم يكن لهم ، على نحو مايفعل كثير من المؤرخين متى كتبوا عن قومهم ، ولا بالضعيف يرى محاسن قومه فيغضي عنها مخافة ان يُتهَم بالعصبية لقوم لا دولة لهم ولا علم .

ولكنه كان بين ذلك مؤرخاً صادقاً ، يشيد بحضارة قومه الحق . و يثني على ما كان لهم من فضل . و ينبه الى ما سبق لهم من خطأ . داعياً أمته الى نهضة قويمة ، مسمعاً قومه ما يقول المنصفون منهم .

والى القارئ قليلاً من كثير ، كان حقاً ان ينوه به كله ، لولا خوف انتشار الكلام: استشهد على حضارة العرب بجملة من التاريخ العام هذا بعضها :

« فالمدنية التي عمل فيها هذا العدد الكثير من المؤازرين المختلفين ليست اذاً عربية صرفية ! بل هي بحسب النموذجات التي تشبعت بروحها والمحيط الذي كبرت فيه يونانية وفارسية وشامية ومصرية واسبانية وهندية ، ولكن اذا وجب ان يذكر لكل واحد قسطه من العمل لايسع المنصف الانكار بان قسط العرب منه كان اعظم من غيرهم ، فلم يكونوا واسطة فقط لنقل هذه المدنية ، ينقلون الى الشعوب الجاهلة في افريقية واسبانيا واوربا اللاتينية ، معارف الشرق الادنى والاقصى وعلومه واختراعاته ، بل احسنوا استخدام المواد المبعثرة التي كانوا يلتقطونها من كل مكان . فمن مجموع هذه المواد المختلفة التي صُبَّت فتمازجت تمازجاً متجانساً ، ابدعوا مدنية حية مطبوعة بطابع قرائحهم وعقولهم . و بفضلهم تيسر للحضارة الاسلامية في القرون الوسطى التي عاونت فيها ابداً أخرى ، ان تكون ذات وحدة موصوفة فالتقليد فيها محسوس ولكنه تقليد غير اعمى ، فان سلطة الاساتذة الأقدمين لاتمنع الابحاث العلمية والاختراعات الحديثة ، كما ان مشهد البدائع القديمة ودرسها لايحول دون انتشار التفنن ولطافة الإبداع في الإختراع . وفي الشرق نشأت هذه المدنية وكانت دمشق احدى مراكزها ومنبعث انوارها اهـ » .

وهذا ما نقله عن تاريخ اللغة الفرنسية وآدابها : « اما بشأن اللغة (اي في عهد الصليبيين) فقد حدث ما يحدث في مثل هذه الأحوال على صورة مطردة ، وهو ان اللغة الاكثر تمدناً قد اثر اهلها في غيرهم . وكان اكثر الامم تمدناً بلا مراء الشرقيون ولا سيما العرب واليونان . وقد تعلم قليل جداً من العرب والترك والفرس لغة الافرنج ماعدا بعض التراجمة الرسميين . وعلى العكس تعلم كثير من الصليبيين لغة الوطنيين عقيب وصولهم الى فلسطين .... ولا ريب ان مجاورة التمدن الاسلامي ، قد ساعدت على زيادة النفوذ الذي كان العلم العربي والفنون العربية تؤثر فينا منذ زمن

طويل . ومعلوم ماندين به لهذا التأثير كل من الفلسفة والرياضيات والفلك والملاحة وتركيب النيران الصناعية والطب والكيمياء ، حتى فن الطبخ . فقد اخذنا عن العرب أشياء كثيرة من مثل طريقة الارقام وشروح ارسطو حتى حمام الزاجل والشعار ، وأدوات الموسيقى والأزياء والأقمشة والأزهار والبقول . وبعد فاذا حدث أحياناً ان الأشياء التي نقلت لم تكن تسمى الا باسماء المدنية الشرقية التي اخذت منها مثل ثوم وعسقلان وقماش دمشق ، فان غيرها قد احتفظت باسمائها العربية مع بعض التحريف وهي كثيرة ويتألف منها في الفرنسية مجموع كبير في الجملة » .

ومما نقله قول رنان : « ان الفكر الديني لسوء حظ الاسلام تغلب بعد جدال طويل فخنق الحركة العلمية الفلسفية الباهرة التي جعلت المدنية العربية بتأثيرات الفارسية واليونانية والنسطورية واليهودية ردحاً من الدهر ، وارثة المدنية اليونانية قال واوربا مدينة لمدنية العرب ببقايا العلم الذي قطفت ثماره في القرون الوسطى » .

ومما قاله المؤلف في وصف القرن الثاني عشر : « دخل القرن الثاني عشر ولا تجديد فيه ولا جديد ، الا النظر في قضايا قديمة لاكتها الألسن قديماً ، لا إبداع فيها ولا اختراع . فالمسائل الدينية المقررة تنتقل خلفاً عن سلف ، والآداب العربية تنحط ، حتى أصبح الشعر والنثر في حالة مخزية و « صارت الفتوى والقضاء والمناصب العلمية ملعبة وشعبذة وسخرية والمدارس مأوى الحمير » كما قال احد العارفين بذاك القرن . وأصبح القوم الا قليلاً ممن عصم الله كما قال حجة الاسلام الغزالي : والههم هواهم ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم ، وشريعتهم رعونتهم ، وإرادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم ، وذكرهم وساوسهم ، وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه حشمتهم ..

وقال في كلامه عن القرن الثالث عشر : « ثم ان الدولة العثمانية أنشأت المدارس العالية ... فأخذ بعض أفراد من الشاميين يدرسون فيها ولكن بالتركية ، فكان ذلك الى آخر عهد العثمانيين في ديارنا من العوائق الكبيرة في سبيل نشر العلم ، لان الدولة كانت تحرص على نشر لغتها ، وأبناء العرب او من يريد ان يسلك مسالك الجيش والطب والإدارة والهندسة والزراعة أرغمتهم الحالة على التخلي عن لغتهم ،

فجاء اكثرهم ضعافاً حتى في العلم الذي أخصوا فيه ، وكانوا أضعف من ذلك في لغتهم ...

و يقول في موضع آخر : « وقد ضعفت في هذا القرن ملكة البيان في المسلمين وهم يتلون القرآن ولكن بدون ان يتدبروا معانيه ويفهموا إعجازه ، حتى أصبح الفقيه والمحدث والنحوي والبياني والمنطقي لا يحسن كتابة سطرين الا بصعوبة ليس بعدها صعوبة . و يتعاصى عليه فهم الكلام الفصيح دون الرجوع في المفردات البسيطة ؟ الى المعاجم ، وضعف الشعر على تلك النسبة ، بحيث لم ينبغ الا افراد قلائل من الشعراء يستحق شعرهم ان يسمع و يدون ، بل كانوا اذا أرادوا الخطب في الجوامع والمساجد يحفظون شيئاً منها لاهل العصور التي سلفت و يوردونها بدون مناسبة ، بل ان الاجازات التي يكتبها الشيوخ وغيرها من التحميدات والتقاريظ وأدعية المواسم ينقلونها عن الأقدمين ويحرفونها على صورة مستكرهة مهزعة وقد قويت في هذا العصر قاعدة خبزالاب للابن . وكان المفتي ابوالسعود من مشايخ الاسلام في الاستانة اول من ابتدعها وأخرجها للناس ، فأصبح التدريس والتولية والخطابة والامامة وغيرها من المسالك الدينية توسد الى الجهلة بدعوى ان آباءهم كانوا علماء . وهم يجب ان يرثوا وظائفهم ومناصبهم — وان كانوا جهلة — كما ورثوا حوانيتهم وعقارهم وفرشهم وكتبهم .

وهو يقول في كلامه عن القرن الرابع عشر : « وكان الفضل في هذه النهضة الشامية لمدارس لبنان وبيروت وعناية بطاركة الموارنة وبطاركتهم (لعله يريد مطارنتهم) وأساقفتهم وقسيسيهم بالعلم واللغة ! اما العلوم الطبيعية والرياضية والطبية فانبعثت جذوتها من الجامعة الاميركية اكثر من غيرها . ولو لم أُبطل تدريس العلوم بالعربية وتجعله انكليزياً منذ أوائل هذا القرن لتضاعفت الفائدة التي نشأت من هذه المدرسة العالية ...

ان المدارس الطائفية ومدارس المرسلين من الاميركيين واليسوعيين والألمان والانكليز والطليان واليونان والروس وغيرهم من الامم ذات المطامع في الارض المقدسة قد جعلت التربية متلونة في هذه الديار ، فأصبح كل متعلم يخدم الغرض الذي أنشئت

له مدرسته ، وانقسمت الامة بهذا الضرب من التعليم اقساماً شتى ، وتباعدت مسافة الخلف بين ابناء البلد الواحد ، لاختلاف المذاهب بل للاختلاف في المذهب الواحد، مما لم يكن له اثر يذكر في غابر العصور ، ولان معظم المدارس التي أنشأها غير الوطنيين من الشاميين كان العامل في تأسيسها مذهب خاص في الدين والسياسية ، فالانجيليون او البروتستانت لنشر دعوتهم كل يوم ، واليسوعيون ينزعون منزعاً آخر في التربية الدينية والسياسية ... وكم رأينا رجالاً ونساءً درسوا في تلك المدارس فجاؤوا لا عرب ولا افرنج ! يتكلمون في بيوتهم بغير لغتهم ، ولا يشعرون شعور الشامي ، بل يبغضون تقاليدهم وتاريخهم ... ولذلك صح ان يقال ان تلك المدارس لم تنفع البلاد النفع المطلوب ، بل نفعت الشركة التي قامت بتأسيسها ، بان هيأت لها في هذه الديار انصاراً .

وبينا نرى بعض المسلمين يكتبون التركية كأهلها وشعورهم تركي صرف ولم ينفعوا بلاد الشام بشيء كثير من علمهم ، نشاهد كثيرين ممن درسوا في مدارس الرهبان والقسيسين والحاخامين يكتبون الفرنسية اوالانكليزية او الالمانية او الروسية او اليونانية احسن من كتابتهم لغتهم بدرجات وكل هؤلاء لم يستحق احدهم اسم العالم والأديب ....

وبهذه الطرق المختلفة في مناحي التربية يستحيل ان تجتمع ابناء الوطن على مقصد واحد لان كل واحد يتعلم النفرة من مخالفه في معتقده ، وخصوصاً في مدارس بعض الرهبنات التي تهزأ بالاسلام والعرب ، وتحرّف التاريخ الصحيح ولا تعلّم منه الا ما ينطبق مع رغائبها ، ولا يفيد شيئاً في تكوين الوطنية والقومية » .

ومن قوله في معرض كلامه عن الوراقة : « فللدمشق على فرنسا بل على المدنية بأسرها ، الفضل الاول في تعليم هذه الصناعة للغربيين ، وناهيك بانها أهم صناعة نشرت العلم والافكار في العالم » .

هذه الحقائق هي التي يجب على شباب العرب وابناء الشام ان يعرفوها فيتدبروها ، قبل ان يعرفوا اسماء ملوك فرنسا وكرادلتها ورؤساء جمهورياتها ، وملوك الانكليز ورجالات السياسة فيهم ... بل هي الحقائق التي ينبغي لهم ان يتدارسوها ويعملوا

بها ، حتى قبل ان يعرفوا مدد الخلفاء واسماء اولادهم ، وهل كان المعتصم مثلاً مثمنًا او مسبعًا او مسدسًا ۰۰۰۰

وبعد ، فنحن من وجه آخر نرى حقًا علينا ان نذاكر الاستاذ المؤلف في الامور الآتية :

اولاً — ان الاستاذ غلبه مافي نفسه من رغبة في تشجيع الناس على الاشتغال بالعلم والادب فأدخل في هذين البابين أشخاصًا ليسوا من العلم والادب في شيء ، وقسّم من أدخلهم الى طوائف قسمة لا تنطبق على قاعدة ولا أساس ۰ ولقد كانت مصيبة الادب من ذلك اكبر مصيبة ۰ اذ جاء بسلسلة من الاسماء سماهم كلهم أدباء ، وفي هؤلاء الذين جعلهم أدباء ، من اذا حاول كتابة سطر في العربية لم يستطعه ، وبعضهم لا يحسن ان يقرأ عبارة واحدة قراءة صحيحة ۰ ولا يرد على ذلك انه لم يخصص من سمى بالآداب العربية ۰ فسياق الكلام كله ، يدل على انه لم يرد غير الادب العربي ، وفيما سبق مما استشهدنا به من قوله : « وكل هؤلاء لم يستحق احدهم اسم العالم والاديب۰۰۰» ما لا يترك للتردد في ذلك مجالاً ۰ دع ان في من سماهم كثيرين ممن لا يعرفهم ادب من آداب اللغات على اطلاقها ۰

ومع ان الأديب هو اللقب الذي كان يعز على من رامه و يطول ۰ وهو الذي عرّفه الاستاذ في الصفحة الاولى من كتابه هذا « بانهم اصطلحوا بعد الاسلام بمدة طويلة على تسمية العالم بالشعر اديبًا ، وعلوم العربية ادباً » هذا اللقب الكبير تركه الاستاذ في كتابه من الألقاب المبتذلة التي يعافها الادباء بل أشباه الادباء ۰۰۰

ومن مثل هذا التساهل الذي لا يجمل تدوينه قوله : « وكان من اهل بيت صلاح الدين (يريد الايوبي) الشعراء المفلقون ۰ اما ان كان في هذا البيت من قال الشعر فنعم ۰ واما ان يكونوا شعراء ، ومفلقين ! فهذا مايحتاج الى دليل ۰ ومن تساهله ايضًا في اعتماد بعض الرواية من غير معايرة قوله انه « قيل انه كان في دمشق وحدها ثلاثون الف نول للنسج قبل الحرب » وهذا قول مبالغ فيه ؛ لا يقبله العقل بالنسبة لعدد سكان المدينة ، ولما يحتاجه كل نول من الايدي العاملة على مابيّن عدده السيد الحفار في مقاله عن التجارة ۰

ثانياً — كنت أحب له ان لا يستنكف عن الحكم في حيث يجب ان يكون له رأي فصل يأخذ به قراء كتابه ، او يهتدون به . فهو يكتفي أحياناً ببسط الأقوال ولو متضاربة . فاذا قال مثلاً : ان الفاطميين أرهقوا السنة في كل قطر ، وعقّب على ذلك بقول القلقشندي : ان الفاطميين كانوا على العكس يتألفون اهل السنة والجماعة . وقف بالقارئ عند هذين القولين من غير تمحيص ولا ترجيح . و يبقى القارئ بعد في سبح من امره . لا يعرف باي القولين يأخذ . ومثل هذا ما كنا أشرنا اليه في كلامنا السابق عن جزء من الاجزاء السابقة .

ثالثاً — عاب على الجامعة العربية السورية ، ضعف الملكة العربية في القائمين بها ، وغلبة التربية التركية عليهم . ورأى ان دواء هذا المرض بالاتيان من مصر ، وبلاد الغرب بعلماء إخصائيين في الفروع التي لا نحسنها من فروع العلم . وهذا الدواء لا نستطيع ان نوافق الاستاذ عليه . ذلك ان العربي المصري يحول دوننا ودونه حوائل غالبة لاقبل لنا — لسوء الحظ بدفعها — والغربي ينقل لك لغة التدريس من العربية الى لغة غربية ، وقيمة هذه الجامعة ان العربية لغتها . فمتى أضاعت هذه اللغة ، فقد أضاعت قيمتها كلها . ومهما قيل في هذه الجامعة من حق او من بطل ، فان لها على هذا القطر الشامي ، ولا سيما معهد الحقوق يداً لا تنكر . غير ان هذا كله لا يمنعنا من موافقة المؤلف على ماعاب فيه هذه الجامعة ، ولا سيما في ضعف الملكة العربية ، وقد رأينا كثيراً من الكتب ينقل نقلاً حرفياً ، لا يتفق مع حاجة الأمة ، ويضيع معه المعنى في كثير من الأحيان . حتى لقد وقع الينا بعض من هذه الكتب فرجعنا أبصارنا في عبارات ومباحث بل طلاسم لا تحل لها رموز ، ولا يليق ان توضع أمثالها بين ايدي الطلاب . وأفضل مانراه والحالة ماذكرنا — ان تؤلف لكل فن لجنة من اهله ، ومن الواقفين على الأسلوب العربي الصحيح ، ومن رجال الصراحة والإخلاص ، تنظر فيما ينقل من الكتب ، فلا يدرس كتاب الا بعد ان تقرّه هذه اللجنة . وان لا يكون هوس كل استاذ في ان يضع كتاباً لنفسه ، بل عليه ان يعتمد اول الامر الكتب التي وضعها غيره ، متى كانت وافية بالمراد ، او امكن ان يستدرك ما فيها من نقص او قصور .

رابعاً — جاءت الفاظ كان من حقها ان نفسر مثل : الخزان . والركاض .

والجهز . وهي الأصناف الثلاثة التي قسم اليها التجار جعفر بن علي في كتابه (الاشارة الى محاسن التجارة) وهذه الالفاظ لايصح لنا ان نجتهد في تفسيرها اجتهاداً يوافق معناها الوضعي بل علينا ان نعرف معناها الاصطلاحي ، لعلنا نستطيع ان نستعملها اليوم لما استعملت له من قبل ، او لأصناف أخرى من تجار اليوم .

خامساً — حبذا لو ترك الكلام على معادن البلاد ومناجمها لمهندس من ذوي الاختصاص كما فعل بسائر المسائل الفنية .

نقف القلم عند هذا الحد . ونعود فنكرر الثناء على همة الاستاذ ، فلقد خدم بكتابه هذا خدمة جلى ، من حق كل عربي ان يقدرها قدرها ، وان يزين بهذا السفر الممتع مكتبته ، ليرجع اليه ، ويعول عليه . عضو المجمع العلمي العربي

عارف الدكمري

المعتمد

« معجم في متن اللغة العربية تأليف الاستاذ جرجي شاهين عطية . وقد »

« طبع بمطبعة مكتبة صادر في بيروت سنة ١٩٢٧ م وعدد صفحاته ١٠١٨ »

الاستاذ جرجي عطية من كتاب العرب الحريصين على خدمة اللغة وآدابها . وقد حمله حرصه المذكور على وضع هذا المعجم النفيس في متن اللغة متوخياً أقرب الطرق الى جمع مايهم الطلاب والمتأدبين . فاذا كانت صفحات المعجم الف صفحة . وكل صفحة ثلاثون كلمة . فيكون هذا المعجم قد احتوى على نحو ثلاثين الف كلمة من خيرة الكلم وأفصحها وأحقها بالاستعمال والتداول بين الكتاب . وقد قال المؤلف في مقدمة الكتاب انه اعتمد من كتب اللغة في الاكثر على لسان العرب وتاج العروس وانه قد نبه الى الألفاظ المولدة والدخيلة . وما يدل منها على المخترعات والمصطلحات واهمل الحوشي والبذيء . وزين كتابه بطائفة من الرسوم والصور تمثل معاني بعض الكلمات .

وقد تصفحنا هذا المعجم فوجدناه مطابقاً للخطة التي رسمها له مؤلفه : فهو يذكر الكلمة ويذكر من معانيها ما كان اكثر شيوعاً او اكثر لزوماً . محافظاً في ذلك على ما قاله

أرباب المعاجم فتراد يذكر عباراتهم في شرح الكلمة من دون تعليق عليها ولا تغيير او تبديل فيها . فمن ثم كان المؤلف في منجاة من اللوم والانتقاد من جهة تفسير الكلمات . وقد بقيت الجهة الثانية أعني اختياره للكلمات الجديرة بالاستعمال . و إهماله الكلمات غير الجديرة به . وهذا الامر قد لا يسلم المؤلف من النقد فيه . على ان كل من الف معجماً حديثاً في لغتنا وتوخى اختيار مايحسن استعماله و إهمال مالا يحسن لا بد ان يصبح عرضة للنقد في هذا الإختيار والإهمال . لان المسألة إذ ذاك لم تعد مسألة نقل . وانما هي مسألة ذوق والأذواق تختلف . فرب كلمة لغوية ينبذها المؤلف لانها في رأيه حوشية اوسمجة او انها مما لا يحتاج اليه أبناء هذا العصر . وكلمة أُخرى يختارها ويدوّنها في معجمه مستحلياً لها معجباً بها . مع ان هنالك آخرين من الادباء يرون عكس ما رآه : فهم يستحسنون مااستقبح . ويستقبحون مااستحسن . وهكذا معاجمنا الحديثة تبقى معرضة لهذا الضرب من النقد مادام مؤلفوها قد قاموا بعملهم منفردين مستقلين . اما اذا قام بتصنيفها جماعة من علماء اللغة متآزرون متعاونون فان النقد يخف واللوم يقل فيما أحسب .

ولنذكر أمثلة لما قد ينتقد على المؤلف من جهتي الإختيار والإهمال : ذكر من مادة (الوطم) ثلاث كلمات : (رَطَمَه) و (ارتطم) و (رُطْمة) . فاما الكلمتان الاوليان فربما لا تعدان من الغريب بالنسبة الى عامة المتأدبين . فالارتطام في الوحل معهود في كلامهم وهم بالطبع يفهمون من (رَطَمه) انه أوقعه في الوحل (على سبيل الحقيقة) اوأوقعه في امر لايخرج منه (على سبيل المجاز) بقيت كلمة (رُطْمة) وهي وحدها التي اختارها المصنف من مادة (رطم) زيادة على (رَطَمَه) و(ارتطم) وفسر (الرُطْمة) بامر لا تعرف جهته . وقد يقول قائل ان هذه الكلمة (الرُطمة) فيها غرابة وكلمة (الورطة) تقوم مقامها . فما كان ينبغي للمؤلف ان يذكرها لاسيما ان الزمخشري في كتابه (أساس البلاغة) قد أهملها مع ان استعمالها في المعنى الذي فسّرها به المؤلف مجاز والزمخشري انما الف (أساسه) لاجل ذكر هذه المجازات . فلو لم تكن الكلمة مهجورة لما أهملها . وكان على المؤلف بعد ان ذكر (الرُطمة) ان يودعها تركيباً يساعد الطالب على تعقل طريقة استعمالها كما فعل شارح القاموس مذ مثل لها بقوله (يقال وقع في رُطمة

اي امر يتخبّط فيه) فما ضرّ مؤلف (المعتمد) لو نقل هذه العبارة التي قالها شارح القاموس إذ ان فيها تصويراً لمعنى (الرطمة) وبياناً لطريقة استعمالها في الكلام . وهو مايحتاج اليه الشادون اليوم . ثم يؤخذ على المؤلف انه اختار (الرُطمة) من مادة (رطم) وأهمل ذكر ما كان أحق بالاختيار والانتخاب منها مثل (ارتطم) الشيء اذا ازدحم وتراكم . و (أرطم) فلان سكت . وامرأة (مرطومة) متهمة بسوء . فاختياره (الرُطمة) وحدها من دون ماذكرنا موضع للنقد في رأي بعض الناس . اما نحن فنعذر المؤلف ونعتقد انه لو اختار غير (الرطمة) من تلك الكلمات لوجد من يورد عليه الايراد نفسه . ولا يمكنه ان يهمل كل كلمات الغريب لان الغرض إحياء الفصيح منها . ولا ان يذكرها كلها لان الغرض الاقتصار على ما يهم الطلاب الشادين .

وذكر المؤلف في مادة (صنف) الكلمات المألوفة الاستعمال منها . ثم ذكر من غير المألوف قوله (تصنّف) الشجر اذا نفطّر للإيراق وقوله (الصَّنِفة) من الثوب حاشيته . وكان المنتظر من المؤلف ان يأتي بتركيب يوضح طريقة استعمال (الصَنِفة) كما فعل الزمخشري في أساس البلاغة مذقال (مسَحه بصَنِفة ثوبه اي بحاشيته) وان لم يذكر هذا فليذكر الحديث الذي استشهد به التاج وهو قوله (ص) (اذا أوى احدكم الى فراشه فلينفضه بصنفة إزاره فانه لايدري ماخَلَفَه عليه) وهذه الشواهد من كلام البلغاء من خير الطرق في تعقل المعاني والتمرن على استعمال الكلمات كما قلنا آنفاً . ثم أراد المؤلف ان يختار كلمة غريبة من مادة (صنف) يهديها الى الطلاب فاختار كلمة (الأصنف) وقال هو الظليم المتقشّر الساقين . مع ان الظليم نفسه وهو ذكر النعام قلما يهتم به أبناء هذه الديار إلا في مثل قولهم (فرّ فلان يعدو كالظليم) اماساقاه وانه قد يطرأ عليهما عيب او مرض فتتقشران . وان الظليم إذذاك يوصف بكلمة (أصنف) فان هذا مما لايهمّ طلابنا . ولا أبناء الضاد في بلادنا . اللهم الا القيّمين على بساتين الحيوانات او الذين يسيحون في مجاهل افريقيا حيث يوجد النعام بكثرة .

نرجع فنقول : ومن العجيب ان المؤلف اختار كلمة (الأصنف) التي لا لزوم لها وترك من تلك المادة كلمة (تصنّفت شفة الرجل اذا تشققت او تقشرت) . وما اكثر مانشاهد هذا التشقق والتقشر في شفاه الناس ونسمع شكواهم منه الى الاطباء . اما

نقشر سيقان (الظلمان) (جمع ظليم) فاننا لا نراه في هذه الديار طول أعمارنا . فكيف اهتم المؤلف بتقشير سيقان الظلمان وأهمل تقشير شفاه الانسان .

وقد رأينا المؤلف تساهل كثيراً في ايضاح معاني بعض الكلمات والكشف عن مواقع استعمالها . من ذلك قوله في مادة (عرّ) (وكل شيء باء بشيء فهو عرارٌ له) ولا يخفى ان اول ما يتبادر الى الذهن من معاني (باء) انما هو الرجوع . فاذا ذهب الشرطي الى السوق ثم رجع بالمتهم فهل يقال انه عرارٌ لذلك المتهم ؟؟ اذا سمع الطالب عبارة المؤلف اضطر الى ان يراجع معاني كلمة (باء) في معجم (المعتمد) فيجد من معانيها (باء دمه بدمه عدله وباء فلان بفلان قُتل به) ولكن هل يكفي هذا في ايضاح كلمة (العَرار) التي فسرها المؤلف بما فسر ؟ نعم ان المؤلف نقل عبارة القاموس والتاج . ولكنهما اقتصرا على هذه العبارة هنا فانهما ذكرا في مواضع أُخر تفسير المثل وهو قولهم (باءت عَرار بكحل) و(عرار) و(كحل) بقرتان انتطحتا فماتتا فضربتا مثلاً لكل متكافئين متماثلين . ثم توسعوا في كلمة (عرار) الى حد ان أطلقوها على المماثل المكافئ . فقول المؤلف (كل شيء باء بشيء فهو عرار له) قد يعجز الطالب عن إدراك معناه مالم يراجع أُمهات كتب اللغة فكان على المؤلف اما ان يهمل هذا التركيب او يذكره مفسراً له بأوجز عبارة .

ومن الكلمات التي أهملها المؤلف ونجد أنفسنا في حاجة اليها لا سيما الخطباء منا واعضاء مجلس النواب والمحامين — قول العرب (زوّر كلاماً في نفسه) اذا هيأه وقدّره في نفسه قبل أن يتكلم به ومنه قول عمر (مازوّرت كلاماً لأقوله إلا سبقني به ابوبكر) أهمل المؤلف هذا مع انه ذكر لفعل (زوّر) معاني ليست مما نحتاج اليه بقدر ما نحتاج الى (زوّر) بالمعنى المذكور .

هذا ما رأينا ان نحادث به المؤلف وهناك امور ليست بذات بال مثل انه لم يذكر من كنايات الكلمات واستعمالاتها المجازية الا القليل وكان يحسن الاستكثار منها لما فيها من التوسعة وتوفير الثروة الكتابية بين ايدي شُدّاتنا وطلاب مدارسنا .

ورأيناه ذكر الامام الحنفي والشافعي والمالكي وقال انهم أئمة فِرق اسلامية لكنه

لم يذكر سني وفاتهم وكان المنتظر ان يذكر ذلك او يدع ذكر الائمة لمعالم (دوائر المعارف) لاسيما انه أهمل ذكر (احمد بن حنبل) وهو رابع الائمة المذكورين .

ومما يلاحظ على المؤلف ايضاً انه فسر (المعز) بقوله (هو خلاف الضأن) وهذا صحيح فان المعز هو الاهلي المعروف . ثم لما فسر (العنز) قال (هي الانثى من المعز) واقتصر على هذا فيفهم منه ان (العنز) هي أنثى المعز الاهلي فقط مع ان (العنز) هي الانثى من المعز الاهلي ومن الظباء والأوعال الوحشية . ثم أراد المؤلف ان يرسم لنا صورة (العنز) فلم يرسم صورة المعزى الأهلية التي فسر العنز بها بل اتى بصورة ظبية او وعلة وحشية . فكلمة (العنز) فسرت بمعنى وصورت بمعنى آخر .

وما ذكرناه من الملاحظات تافه حقير . في جنب ما تضمنه الكتاب من العلم الغزير . فالشكر لمؤلفه النحرير .

المغربي

السنابل

« تأليف الخوري بطرس البستاني . طبع في مطبعة مكتبة صادر »
« ببيروت سنة ١٩٢٧ م في زهاء ٣٢٠ صفحة »

للمؤلف المومأ اليه مقالات جمة في مختلف المواضيع كان ينشرها في المجلات والصحف السيارة . وكذلك له من القصائد الغر . ما يحاكي عقود الدر . وقد عمد اخيراً الى ذلك جميعه فاختار منه نحو ٥٨ مقالة و١٥ قصيدة واودعها كتابه هذا الذي أسماه (السنابل) فهو كتاب أخلاق وادب واجتماع ووطنية صادقة وغيرة على اللغة العربية فائقة : من ذلك قوله على لسان هذه اللغة :

(يا بني العرب عززوني فتحيوا وأذيعوا في الارض ذكري الحميدا)
(وانشروا في الملا مآثر قومي وتحدوا بالمكرمات الجدودا)
(كانت العرب في الخيام ملوكا أ تكونون في القصور عبيدا)
(كانت العرب ارحب الناس صدرا ولدى الضيم أصلب الناس عودا)
(لا يرون الوفاق الا نعيما ويرون الشقاق خطباً شديدا)

(انما الشرق في الجهالة عبد فارفعوه بالعلم حتى يسودا)

وقوله من مقال بعنوان (النخاسة السرية اوالخيانة الوطنية) : (وان في كل بلدة وتحت كل كوكب نخاسات ليست بأقل فظاعة من النخاسة التي يستهجنونها . وهل يخامرنك ادنى ريبة ان الذين يخونون وطنهم وأبناء وطنهم خفية او علانية جلباً للنفع او دفعاً لضر انما يتعاطون مهنة النخاسة الوضيعة بل هم من اوغد النخاسين وانذلهم طبعاً واخسهم نفساً . وان الذين يدسون على أمتهم ويكيدونها ويمكرون بها ويغتالونها هم أخون لها وابلغ اذى من الذين يناصبونها العداوة ويصارحونها بها) الى ان قال : (وعمرك الله كيف لا يكون في هذا الوطن نخاسون واكثر بنيه يبيعونه بأكلة عدس ولا يحفلون بشرفهم ان يدنّس ولا بضميرهم ان يلوّث . . . . . فاذا نزعت ابصارهم الى منصب رفيع طالما عللوا به النفس سعوا اليه عن طريق المداهنات والمراوغات والتزلفات والتزلزلات وعفروا أجبنتهم العالية في التراب الذي تطؤه أقدام من يحققون لهم آمالاً الخ) هاتان نبذتان من نثر المؤلف ونظمه . ومنهما يستبين القارئ حسن أسلوبه الكتابي وطرزه الشعري وغزارة مادته اللغوية . لكنه أحياناً يستعمل من كلم اللغة مايكون غيره خيراً منه . من ذلك قوله في الجملة الاخيرة (عفروا أجبنتهم العالية) يريد بالاجبنة جمع جبين و(جبين) يجمع على أجبنة كما يجمع على (أجْبُن وجُبُن) ولكننا لا نظن البلغاء يسوّغون استعماله وانما هم يعدلون عنه الى (جباههم) مكان (أجبنتهم) ويجتنبون (الجُبُن) و (الأجبن) و(الأجبنة) الى ضرورة السجع اوالوزن اوالقافية . اللهم الا ان يكون المؤلف اخذ هذا الجمع (الأجبنة) من قول لبعض البلغاء لم نطلع عليه .

ومن ذلك قوله (ص٣٢) (الجراح الثخان) وصف الجرح بكونه ثخيناً غير معهود فان معنى الثخين الغليظ نعم يقولون مجازاً (أثخن فلان في العدو) اذا بالغ في الجراحة فيهم و (أثخنته الجراحة) أوهنته . فاذا اضطررنا الى وصف الجرح بالثخانة فلنقل (جرح مُثخِن) اي موهن موقذ لا (جرح ثخين) اذ ان فعله الجزي أثخنه لا ثخنه .

وقوله (تسقى كؤوس المرائر حتى الثمالة) لا نعلم ان (المرائر) تكون بمعنى الاشياء المُرّة . وقوله في (ص٣٦) (ولا تسمع الآذان من الأحاديث سوى ما يشدخ مسمع الأدب) لعل الشدخ هنا محرف عن (خدش) اذ هم يقولون اليوم (خدّش السمع)

ومثله قوله في(ص ٩١) (والخطباء المصقلين) صوابه (المصقعين) فهو تحريف مطبعي قطعاً ومثل المؤلف لا يخفى عليه ذلك · وقوله في (ص ١٣٧) (اول صخرة يرتطم بها) الارتطام انما يستعمل في الوحل اما الصخر فيستعمل فيه الاصطدام · وفي(ص١٦٥) قوله (الى ان نتهوّر وتنهار صروح آمالنا) لا فرق بين (تهور) و (انهار) لانهما كليهما من مادة (هور) لكن الاول من (التفعل) والثاني من (الانفعال) فعطف احدهما على الآخر كعطف (انقشع) على (تقشع) في مثل قولنا (تنقشع وتنقشع غيوم احزاننا) و(تتكسر وتنكسر سيوف أعدائنا) ·

هذا ما بدا لنا اثناء تصفح الكتاب اما ما بدا لنا من كلماته اللغوية المستعملة في مواضعها والواقعة في أحسن مواقعها — فهو كثير جداً لا يكاد يحصى · ونكرر القول بان الكتاب · من خيرة كتب الأخلاق والآداب التي يحسن ان يقرأها الناشئون والطلاب · فنشكر لمؤلفه عنايته بابرازه وندعو له ان يوفق الى امثاله ·

له

مجموعة لغوية

أهدت الى مجمعنا العلمي (الشركة الخيرية لإحياء الكتب العربية) في حلب مجموعة تتضمن ثلاثة كتب في اللغة طبعتها على نفقتها في المطبعة العلمية بحلب سنة ١٣٤٥ ه

(الكتاب الاول) كفاية المتحفظ في اللغة تأليف الشيخ ابي اسحق ابراهيم الطرابلسي المعروف بالاجدابي وهو على نسق كتاب فقه اللغة للثعالبي قال عنه صاحب كشف الظنون (هو مختصر فيما يحتاج اليه من غريب الكلام بدأ من صفات الرجال المحمودة) وكان هذا الكتاب طبع في بيروت سنة ١٣٠٥ ه الا ان نسخه نفدت من سنين · وقال السيوطي في (بغية الوعاة) في ترجمة المؤلف (له أدب وحفظ ولغة وتصانيف ومن مشهورها كفاية المتحفظ) و (الأنواء) · والكتاب في نحو (٧١) صفحة ·

(الثاني) (مختصر كتاب الوجوه) في اللغة للامام محمد الخوارزمي و (كتاب الوجوه) الاصلي للامام اسحق الآسي جمعه من عدة كتب في اللغة وطريقته فيه انه يذكر

اللفظ الواحد ثم يسرد مايستعمل فيه من المعاني والاشياء مرتبا ترتيبا حسنا يسهل معه الحفظ والاستظهار وهو في نحو (١١١) صفحة ·

(الثالث) كتاب (المذكر والمؤنث) للامام الفرا احد أئمة اللغة المشهورين وهو برواية ابي سعيد السيرافي · والمؤلف في هذا الكتاب يتتبع الكلمات التي لايكون فيها علامة تأنيث ومع هذا فانها تعتبر مؤنثة في اللغة · وتارة يكون فيها علامة التأنيث وتعتبر من قبيل المذكر و يبين الوجه في ذلك وعلته بأجمل بيان وأحسن أسلوب وهو مع سابقه من الكتب اللغوية الممتعة التي لم تطبع على ما يظهر · وهو في نحو ٤٧ صفحة ·

وقد عُني بتصحيح هذه المجموعة المفيدة وضبط ألفاظها والتعليق عليها الأديب الشيخ مصطفى الزرقا احد طلاب المدرسة الخسروية بحلب · وان آثار عنايته في الضبط وتحري الصواب ظاهرة جلية بحيث لم يغب عنه الا القليل من التصحيح: من ذلك ماجاء في الصفحة الرابعة (كفاية المتحفظ) من ان (الرود) هي المرأة الناعمة وقد ضبط (الرود) بفتح الراء وسكون الواو وهذا الضبط خطأ وتابعه على هذا الخطأ المصحح لكنه استشكل تفسير (الرود) بالمرأة الناعمة وقال انه لم يجدها في كتب اللغة و مما وجد ان (الرود) بمعنى المرأة الطوافة على جاراتها وبمعنى الريح اللينة الهبوب ثم قال فلعل تفسيره بالمرأة الناعمة مجاز تشبيهاً لها بالنسيم اللين الهبوب اه · أقول والصواب في الكلمة هي (الرود) بضم الراء واصل واوها همزة فاصل (الرود) (الرؤد) ويقال (الرأد) والرأدة والرؤدة باثبات الهمزة وتخفيفها وكل ذلك بمعنى المرأة الناعمة فمادة الكلمة من مهموز العين لامن الأجوف الواوي · وقد أعجبني من تعاليق الكتاب هذا الخبر الطريف في تفسير كلمة (الألوّة) وهو عود الطيب الذي يتبخر به وهو :

« روى ابن ابي حجلة التلمساني في كتابه (جوار الأخيار في دار القرار) الذي وضعه في تاريخ (عقبة بن عامر) الجهني الصحابي من انه لما دفن رسول الله (ص) دخل الى المسجد أعرابي وافد عليه وهم ينفضون ايديهم من ترابه الشريف · فلما علم الاعرابي وفاته عليه السلام أنشأ يقول :

(هلا جعلتم رسول الله في سَفَطٍ من الألوّة أحوى ملبساً ذهبا)

(او في سحيقٍ من المسك الذكي ولم ترضوا الجنب رسول الله متربا)

فقال له ابو بكر رضي الله عنه « تلك سنة الله في خلقه يا أخا العرب واما انت فأرجو ان يغفر الله لك اه » اقول وقوله (ملبسًا) كذا بالنصب ولعل صوابه (ملبس) بالجر صفة لسفطٍ . له

الجزء الثالث

« من كتاب نهر الذهب »

في تاريخ حلب

قبلاً كتبت عن الجزء الاول والثاني من هذا التاريخ لاحد علماء حلب وأُدبائها الشيخ كامل الغزي وذكرت ان المؤلف لم يعتن في جعل عباراتهما تناسب شهرته في الأدب ، والآن صدر هذا الجزء بعبارة أحسن من سابقيه ، وفيه إجمال عمن تولى حلب قبل الاسلام ثم حوادث من ملكها منذ الفتح الاسلامي والغزوات التي حدثت وما يتعلق بذلك مرتبًا على السنين كعادة اكثر مؤرخي العرب ، وفيه كلام طويل عن احوال السلطان عبدالحميد الثاني وعن ابراهيم باشا الكردي وعن رواية الصابونجي في اسباب الزلازل وعن الحرب العامة واسبابها وسياسة الدول فيها وماحدث اثناءها من المظالم وسوء الادارة ، واجمال لتاريخ الترك واجمال لتاريخ فرنسا .

هذا الجزء أغزر مادة من سابقيه وقد حوى من أخبار النصف الثاني للقرن الهجري الماضي مالم يقع لمؤرخ نشره بهذا التفصيل وفيه امور زائدة لا تعد في تاريخ حلب مع ان فيه شدة اقتصار لبعض الحوادث القديمة التي كان الأجدر ان يؤتى فيها على بعض التفصيل المغني عن مراجعة المطولات . وصفوة القول ان هذا الجزء حافل بكثير مما يهم مريد الاطلاع على اخبار حلب قديمًا وحديثًا ، وقد وعد المؤلف بقرب إخراج الجزء الرابع وفقه الله تعالى . من اعضاء المجمع

مسعود الكواكبي

الحب و لزواج
فلسفة وسنة
تأليف الكاتب نقولا حداد

اسرار الحياة الزوجية
تأليف الدكتورة ماري ستوب
وتعريب نقولا حداد

كتابان يتم احدهما الآخر ، خطهما قلم واحد ، حبرته في الاول قريحة شرقية رشيدة ، فهومنا ولنا ، وأملت عليه سطوره في الثاني نفس غربية حية فجاء الينا وعلينا .

بحث المؤلف الفاضل في الاول في فلسفة الحب والزواج بحثاً حكيماً البسه الخيال حلة جميلة تسر الناظر ، ولا تغوي الوارد ، فصور الحب بصورته الحقيقية وحله حلاً مادياً وروحياً وأفصح عن غايته وعن صحته وامراضه ونشوئه ونموه وذبوله في دولته وفي مستعمراته ، فجاء وصفه هذا على غاية من الإبداع . ثم تطرق الى الزواج فألم بموضوعه الصعب الواسع إلماماً يجد فيه طالبه نبراساً يهتدي به في حالك مسالكه وخابره مرآة تصور له فيه محاسنه ومساويه فيتمسك بالاولى و يرتدع عن الثانية .

اما الكتاب الثاني فتتجلى فيه ميول المرأة الانكليزية الجديدة الطامحة الى التحرر المطلق من قيود الرجل ، ومجاراته في جميع أعماله والتغلب على أشرف غرائزه ، بتقييدها بقيود ذهبية المظهر حديدية الجوهر ، صاغت المؤلفة سلاسلها (على ما ندعي) من الأفعال الحيوية الغريزية الكامنة في المرأة الانكليزية الصحيحة .

اما الدعامة التي أقامت عليها هذا البنيان الاستقرائي الضخم فهي ملاحظات ومعلومات شخصية سرية باح بها اليها رجال ونساء ومنها ما هو مقتطف من مطالعات واسعة . وهي لعمر الحق دعامة ضئيلة لا تقوى على حمل ذلك البنيان العظيم من الوجهة العلمية .

وقد أحدث هذا الكتاب ضجة في مهد بلاد الحرية يكفي التنويه بذكرها لبيان عدم ملاءمة بعض مناهجه الروح الانكليزية المشبعة بفكرة الحرية دع عنك التربية الشرقية القائمة على المبادئ والتقاليد العائلية الموروثة القديمة .

وقد أحسن المعرب صنعاً بتذييل فصول هذا الكتاب ونقدها والاشارة لما هو

نافع وما هو ضار منها والالماع الى العوائد القبيحة المألوفة في القطر المصري المتعلقة بالتناسليات والحض على تركها مع بيان مضارها في الحياة الزوجية وسعادتها .

هذا ولا أبخس هذا الكتاب حقه من الفائدة في ايجاد السعادة الزوجية التي يعد تدريب غريزة التناسل وايضاح أفعالها من أكبر العوامل على الحصول عليها . ففي تضاعيف سطوره ولا سيما في ذيوله دروس مفيدة جديرة بالاهتمام يتوقف على مراعاتها في الغالب رقي حب متلائم وصفو حياة مكدرة .

هذا والكتابان حسنا الطبع سهلا العبارة قريبا المأخذ على ما في بعض فصولها من المباحث الدقيقة .

عضو المجمع العلمي العربي

اسعد الحكيم

هدية

أهدت الينا رواية تمثيلية باسم (غادة الكاميليا) واصلها باللغة الافرنسية للكاتب المشهور اسكندر دوماس الصغير . وقد ترجمها الى العربية السيد نقولا بسترس لتكون تقدمة من مجلة منيرفا الى مشتركيها وهي مفتتحة بمقدمة تتضمن البحث في موضوع الرواية المذكورة للكاتب المصري المشهور السيد عبد القادر المازني .

الجزء ١٢ المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : كانون الاول سنة ١٩٢٧ م الموافق جمادى الثانية سنة ١٣٤٦ هـ

تتمة اليتيمة

ما من اديب يجهل منزلة الامام ابي منصور الثعالبي في عالم الأدب فقد خاض عبابه وجمع أشتاته لحلّ من فؤاده بالصميم . وبلغ في عصره مقاماً ملحوظاً يحسد عليه . وكفى بكتابه (يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر) شاهداً عدلاً على ادبه الجمّ وفضله السابغ . فقد جمع هذا الكتاب الممتع فوعى طائفةً كبيرة من الادباء والشعراء المجودين في أواخر المئة الرابعة واوائل الخامسة للهجرة . وضمّ بين دفتيه كل لطيفة ونادرة من الشعر والأمثال والحكم وهو مطبوع مشهور يغني عن إطالة الكلام في محاسنه وفوائده العديدة .

وقد رُزقت تآليف الثعالبي حظاً كبيراً فتناقلتها أقلام النساخ وتداولتها ايدي العلماء والفضلاء على تعاقب الأجيال والأحقاب . وراح أُدباء العصر ينشدونها في كل شارقة و يبحثونها من مدافنها في مكاتب الشرق والغرب فطُبع منها في دمشق يتيمة الدهر وفي ليدن لطائف المعارف وفي مرسيليا فقه اللغة وفي فينا مؤنس الوحيد في المحاضرات وفي مكة النهاية في التعريض والكناية وفي قسطنطينية الايجاز والإعجاز و برد الاكباد في الأعداد[1] وفي مصر أحسن ما سمعت . وتكرر طبع كتابه فقه اللغة في بيروت ومصر الى غير ذلك . وقد وافق الادباء ابن خلكان على ان اليتيمة اكبر كتب الثعالبي وأحسنها وأجمعها[2] فقال فيها ابن قلاقس الشاعر المشهور :

(١) طالع اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ٢٧٢ و٣١٧ و٣٣٤ . (٢) راجع ترجمة الثعالبي في وفيات الاعيان جزء ١ ص ٢٩١ .

(ابيات اشعار اليتيمة ابكار افكار قديمة)
(ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سميت اليتيمة)

على ان ما يعتور طبعتها التي صدرت بدمشق من التحريف والتصحيف والخلل قد كدرت مشرعهـا وشوهت محاسنها لحمل ذلك العـالم اللغوي عبد الله المراش الحلبي المشهور ان يعنى بهذه (اليتيمة) فانتسخها بخطه الجميل من مكتبة باريس وعارضها بنسخة مكتبة لندن واشار الى ما عثر عليها من الروايات والزيادات ونبّه على ما فرط في النسختين من الفلتات والغلطات النسخية مما استدركه بنفسه . وقابل نسخته هذه المنقحـة على النسخة المطبوعة بدمشق متتبعاً لها صفحةً صفحة وسطراً سطراً ومعلقاً على هوامشها كل ما عرض له من الفروق والمغامز والروايات وغيرها حتى جاءت كل واحدة من هاتين النسختين من أصح نسخ هذا الكتاب الممتع ناطقـة بفضل المؤلف والمصحح المشار اليه على تراخي العصور .

ولما كنت بعد الهدنة أقلب مخطوطات المكتبة المارونيـة الطائفية بحلب عثرت على نسخة من (تتمة اليتيمة) فنقلت خبرها الى جناب الصديق الاستاذ عيسى المعلوف في صيف سنة ١٩٢١ فأشار اليها في مجلة المجمع العلمي [1] فعارضه المستشرق اغناطيوس كرتشكوفسكي وذكر منها نسخة في مكتبة فينا وثانية في مكتبة برلين وثالثة في المتحف الاسيوي في لينينغراد (مجلد ٤ ص ٢٨٤) .

ونسخة حلب تقع في ١٣٨ صفحة وكل صفحة تتألف من ٣٥ سطراً وكل سطر من احدى عشرة كلمة على الغالب . وهي مخطوطة على ورق صفيق بحبرين اسود فأحمر وخطها مقرمط سقيم تتعسر قراءته وبعض الالفاظ رسمها ناسخها رسماً دلالة على رداءة الاصل الذي نقل عنه . وهي لذلك كثيرة الزلل والخطأ ولا تخلو من فراغ في بعض المواطن كان يريد ان يملأه الناسخ من نسخةٍ أخرى فلم يوفق اليها فبقي بياضاً . واولها مخروم بنقصه ورقة ذهب معهـا معظم المقدمة . وهذه النسخة قد اكمـل (يوسف البديعي) نساختها في آخر شهر ربيع الاول سنة ١٠٥١ هـ (سنة ١٦٤٢ م) وضمّنها

(١) اطلب مجلد ٢ حاشية صفحة ٢٤٢ .

الى المكتبة المارونية المشار اليها المطران الفاضل جبرائيل حوشب سنة ١٧٣٣ ·

وقد استدرك الثعالبي في تتمته هذه من فاته من شعراء زمانه في اليتيمة او سها عنه او قصّر فيه (فسدّ فيها الثلم وجبر الكسر وتمّم النقص) وأورد ذكر (كلٍّ من الشعراء في مكانه على الرسم في مثله في كتاب اليتيمة) وقرّر عنوان الكتاب (تتمة اليتيمة) ولم يخلها (من ملح النوادر وفصوص الفصول وبناها على الانتخاب والاختصار والاقتصار على اللبوب وعيون العيون) ناحياً فيها نحو ابي منصور الفقيه في قوله :

(قالوا خذ العين من كلٍّ فقلت لهم للعين فضلٌ ولكن ناظر العينِ)

(حرفين من الف طومارٍ مسوَّدةٍ وربما لم تجدْ في الالف حرفين)

وقد جرى مؤلفها الثعالبي فيها على سياق أبواب اليتيمة فقسمها الى خمسة أقسام وهي تتمة القسم الاول في محاسن اهل الشام واليمن والجزيرة ومصر والمغرب والموصل ومايجاورها و يدانيها وذكر فيها خمسة وخمسين شاعراً · ثم تتمة القسم الثاني في محاسن أشعار اهل العراق ووصف فيها ثلاثة وعشرين شاعراً · ثم تتمة القسم الثالث في محاسن اهل الري وسائر بلاد الجبل ومايجاورها وعرّف فيها بخمسة وعشرين شاعراً · ثم تتمة القسم الرابع في محاسن اهل خراسان ومايتصل بها وترجم فيها سبعين شاعراً · ثم خاتمة الكتاب وضمنها (ذكر أقوام مختلفي الرتب متفاوتي التاريخ) معرّفاً سبعة وثلاثين شاعراً · ثم خاتمة الخاتمة وقد ذكر فيها شاعراً واحداً وهو ابو عثمان اسماعيل ابن عبد الرحمن الصابوني · و يظهر من خلال هذه التتمة ان ما دعاه الى وضعها في الظاهر انما هو تكملة (يتيمته) واما في الباطن فقد حداه الى إعادة ذكر البعض من الشعراء ما حمله اليه من الالطاف والهدايا · وهو على كل حال صاحب الفضل الأظهر في هذه العلاوة فهي على حد قوله (كالريح المستفاد والربح أطيب و بالقلب أعلق) كما لا يخفى ·

وهاك الآن أمثلة من تراجم هذه التتمة أرويها بحروفها بياناً لنسقها ومزيتها وفوائدها وهي هذه :

« ابو العلاء المعري »

قد جمعت بين اهل معرة النعمان التي أخرجت هؤلاء الفضلاء وهي غير مشهورة

بخراسان . وكان حدثني ابوالحسن الدانفي[1] المصيصي الشاعر وهو ممن لقيته قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة قال : لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب رأيت اعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الجد والهزل يكنى ابا العلاء وسمعته يقول : انا أحمد الله تعالى على العمى كما يحمده غيري على البصر وقد صنع لي وأحسن بي اذ كفاني رؤية الثقلاء البغضاء[2] وحضرته يوماً وهو يملي جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء .

(وافى الكتاب فأوجب الشكرا فضممته ولثمته عشرا)
(وفضضته وقرأته فاذا احلى كتاب في الورى يقرا)
(فمحاه دمعي من تحدره شوقاً اليك فلم يدع سطرا)

فتحفظتها واستعملتها كثيراً في مكاتبات الإخوان .

« ابو الفتح الموازيني الحلبي »

لم أسمع في هجاء قوّال أملح من قوله :

(ومغنٍّ عن غيره غير مغنٍ جاء في لحنه القبيح بلحنِ)
(كاد في كفه القضيب من الغيـ ـظ ينادي يا أثقل الناس دعني)

وأنشدني المصيصي له وهو متنازع بينه وبين نفرٍ من هل الشام والجزيرة لجودته[3] . . .

وأنشدني ابو يعلى البصري لبعضهم وقد نسيت اسمه :

(الشعر كالبحر في تلاطمه ما بين ملفوظه وسائغه)
(فمنه كالمسك في لطائمه ومنه كالمسك في مدابغه)

وللموازيني في قصد بعض رؤسائه :

(على اليمن باكرت القصاد مشمراً يمين جواد للعطاء مشمّره)
(مددت ابا سعدٍ الى صدر مبضعٍ يداً تصدر الآمال عنها منشّره)
(وما خلت ان الجود يجري له دمٌ فما كان اجرا ذا الطبيب واجسره)

(١) وروي في مجلة المجمع (المدانفي) مجلد ٢ ص ٢٤٢ . (٢) راجع في مجلة المجمع (٢ : ٢٤٢) ما علقه ابن العديم على هذه الرواية . (٣) بياض في الاصل .

(اظن له مع لطفه بلباقة بصيرة بقراط واقدام عنتره)

وله في مرثية القاضي الهاشمي بحلب :

(ناعي ابي جعفر القاضي دعوت الى م الردى فلم يدر ناع انت ام داعي)
(تنعي المعظمين من مجد ومن شرف بعد الرحيبين من خلق ومن باع)
(مهلاً فلم تبق عيناً غير باكية ولا تركت فؤاداً غير مرتاع)

وله : (كم حمار هو اولى بنهيق وشهيق)
(يكتسي في الشتوة الخـ ز وفي الصيف الدبيقي)

وعلى هذين البيتين فقد تذكرت بيتين على وزنها وقافيتها واشتمالها على ذكر الدبيقي[1] ولا ادري لمن هما وهما :

(ضاع في الشوك دبيقي حين املت صديقي)
(بفعال كالنجاري وبقول كالدبيقي)

« ابو الغوث نحرير[2] المنبجي »

ذكر المصيصي انه أظرف الناس وأملحهم شعراً . وكان يلذ بشعر بالديه البحتري . هذا وكان في بصره سوء فرمدت عينه مرة فقال له والي منبج : يا ابا الغوث قد أشرفت على العمى فما الذي تعمل اذا عميت . قال : أقرأ على قبرك ايها الامير : فاستظرف قوة جوابه وتعجب من ظرفه . قال : ومن شعره قوله في غلام التحى :

(سيف سبيل الله خد كان في الملمس خزا)
(خانه الدهر فأضحى يوسع اللاثم وخزا)

وله : (أيها الظبي الذي اعرض عني وجفاني)
(وهو من اعظم همي حين اخلو بالاماني)
(ابتلاك الله مني بالذي منك ابتلاني)
(ساعة حتى ترى كيـ ف الهوى ثم كفاني)

* * *

(١) ثياب تنسب الى دبيق وهي بلد بمصر . (٢) كذا في الاصل ولعله جرير .

« عبد المنعم بن عبد المحسن الصوري »

من ملحه وطرفه في غلام ينظر في مرآة :

(جلا المرآة صيقلها لوجهٍ تولى الله خلقته لحيني)
(فلو أبصرته يرنو اليها عرفت الفرق بين الصيقلين)

وقوله لنبهان الجعفري وهو غاية في الملاحة :

(زففت الى نبهان من عفو خاطري عروساً غدا بطن الكتاب لها خدرا)
(فقبلها عشراً وأظهر حبها فلما طلبت المهر طلقها عشرا)

وأنشدني المصيصي وابو يعلى له :

(ارى الليالي اذا عاتبتها جعلت تمنُّ اذ جعلتني من ذوي الادب)
(وليس عند الليالي ان أقبح ما فعان بي اذ جعان الشعر مكتسبي)

ومما يتحسن و يستظرف له قوله :

(لي مولىً إحسانه يتجدَّدْ كل يوم لديَّ والجد يشهد)
(أحسن الفعل بي وأحسنت قولاً واشتهرنا فقيل جاد وجدْ)

وقوله وهو من أمثاله السائرة :

(اري الله يعطيني ودهري يأخذ وفي كل يوم سيف قتلي يشحذُ)
(وكيف سلوّي عن شبابي وفقده طريق الى سمت المنية ينفذُ)

« ابو شرحبيل الكندي »

قد اكثر الشعراء في الحث على الاضطراب في الاغتراب لالتماس الرزق وقضاء الوطر في السفر ومن أشف ما قالوا فيه واشفاه قول هذا الاعرابي الشامي :

(سرْ في بلاد الله والتمس الغنى ودعِ الجلوس مع العيال مخيما)
(لا خير في حرٍّ يجالس حرَّةً و يبيع قرطيها اذا ما اعدما)

« حسن الرقاق من اهل دمشق »

يقول في صديق له اجحف في مسألته وهو ضيف له :

(ودعوتني فأكلت عندك لقمةً وشربت شرب من استتم خروفا)
(وسألتني في اثر ذلك حاجةً ذهبت بمالي تالداً وطريفا)

(فجملت أذكر فيك باقي ليالي   ما كنت تفعل لو اكلت رغيفا)

ويقول في تغيّر صديق له اكل الحسن عنده طباهجة [١] .

(ما جئت ذنباً اليه اعلمه   ولا تطرقت للفتى نشبا)
(بل اكلت له طباهجةً   كانت الى قطع ودّنا سببا)

وكان هذا (الحسن) احد ظرفاء الادباء . انشدني له المصيصي في استهداء الشراب .

(عندي أناس ظرافٌ   بهم تحلى الدهورُ)
(واليوم يومٌ مطيرٌ   تلذُّ فيه الخمورُ)
(أمده بيسيرٍ   حتى يتمَّ السرورُ)
(ولا تشبه بماءٍ   فالماء عندي كثيرُ)

سرقه من قول البحتري [٢] .

(فانفذ ما استطعت بغير مزجٍ   فان الماء ليس بضيق عندي)

وانا استظرف قول غيره فيمن اهدي اليه شراباً ممزوجاً :

(ليس هذا من عادة الأحرار   بيع ماء الانهار بالاشعارِ)
(انما قلت سقّني ماء كرمٍ   لم أقل سقّني من الانهارِ)
(قد رددناه فاسقهِ من يريد   م الماء لامن يريد صرف العقار)
(ولئن كنت قانعاً منك بالمـ   ـاء فعندي في الدار نهرجاري)

انتهى عن (تتمة القسم الاول) . حلب : الخوري مرعي دمش

---

(١) الطباهجة طعام من بيض وبصل ولحم مشرح معرب طباهه بالفارسية .
(٢) لم أره في ديوانه المطبوع في بيروت .

قانون البلاغة

— ٨ —

واعلم ان اكثر مايرد اللطيف من المعاني في خمسة أجناس من الشعر وهي : مثل سائر ، وتشبيه نادر ، واستعارة واقعة ، ومبالغة ، وان يقصد الشاعر الى معنى مألوف فيزيد فيه زيادة تؤكده او تتممه ، فيصير الى اللطافة والحسن . وهذا الجنس الخامس تكثر أنواعه جداً ، ويحتاج الى ادنى تأمل حتى يعرف اذا ورد و يرد جميعه الى هذا الأصل . فمن الأمثال قول امرئ القيس :

(من ذكر سلمى واين سلمى وخير ما رمت ما ينال)

وقول النابغة :

(حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب)

وأشرف من هذا لفظاً ، وابرع معنى ، ماشتمل البيت على معنيين ومثلين كقول النابغة :

(ولست مستبقٍ اخاً لا تلمّه على شعث اي الرجال المهذّب)

فجاء بمثلين . وكقول عبيد بن الأبرص :

« الخير ابقى وان طال الزمان به » فهذا مثل قائم بنفسه ثم قال :

« والشر أخبث ما أوعيت من زاد » فأتى بمثل ثان وكقول طرفة :

(ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً و يأتيك بالأخبار من لم تزود)

فجاء بمثلين وقال الحطيئة : « من يفعل الخير لا يعدم جوازيه »

فهذا مثل بارع . وقوله : « لا يذهب العرف بين الله والناس » مثل سائر . ونحوه قول القطامي : « والناس من يلق خيراً قائلون له = مايشتهي » فهذا كلام كامل ثم قال : « ولأمّ المخطئ الهبل » فأتى بمثل آخر في بعض مصراع . ومما فيه ثلاثة أمثال قول بشار : « اليوم خمر » فهذا مثل « و يبدو في غد خبر » مثل ثان . « والدهر ما بين إنعام وإيباس » مثل ثالث .

واما التشبيه فنحو قول امرئ القيس :

(كأن قلوب الطير رطباً ويابساً   لدى وكرها العناب والحشف[1] البالي)

وقول عنترة :

(هزجاً يحك ذراعه بذراعه   قدح المكب على الزناد الأجذم)

وقول طرفة :

(يشق حباب الماء حيزومها به   كما قسم الترب المفايل باليد)

وقول كعب بن زهير :

(وليلة مشتاق كأن نجومها   تعرّضن منها في طيالسة خضر)

وقول حميد بن ثور يصف فرخ الحمامة :

(كأن على أشداقه نوْر حنوة[2]   اذا هو مد الجيد منهـا[3] ليطعما)

وقول عدي بن الرقاع :

(يتعاوران من الغبار ملاءةً   سوداء محدثةً هما نسجاها)

(تطوى اذا علوا مكاناً ناشزاً   واذا السنابك أسهلت نشراها)

وقول آخر يصف عناقيد العنب :

(يحملن اوعية المدام كأنما   يحملنها باكارع النغران[4])

وقول اوس بن حجر يصف الهلال :

(كأن ابن ليلتهـا جانحاً   فسيط[5] لدى الافق من خنصر)

وقول ذي الرمة يصف الثريا :

(وردت اعتسافاً والثريا كأنها   على قمة الرأس ابن ماء محلّق)

وقول عبد الله بن الزبير الأسدي :

(وقد خزّم الغور الثريا كأنها   به راية بيضاء تخفق للطعن)

وأجد الناس يقدّمون قول الفرزدق :

---

(١) الردي من التمر . (٢) الحنوة نبت طيب الريح . (٣) لعل الصواب منه .

(٤) النغران بكسر النون جمع النغر وهو طائر كالعصفور احمر المنقار وقيل هو البلبل .

(٥) الفسيط قلامة الظفر .

(والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار)

وهذا من الكلام الذي سبق معناه لفظه ، ولهذا لا يعرّج احد على تأمل الفاظه ونظمه ، فيستبين عوارُه ، وترتيبه عندي غيرمستقيم ، وتشبيهه مستحيل ، لانه وصف الشيب فذكر انه يبدو في الشباب ، ثم ترك ماابتدأ به ، ووصف الشباب وشبهه بالليل ولم يجيء بالكلام على التقسيم المستوي ، ولم يضع التشبيه في ظاهر اللفظ موضعه ، وكان الذي تقتضيه المقابلة الصحيحة ، وتوجبه على مابني عليه بيته لو ساعده الوزن ، ان يقول والشيب ينهض في الشباب كما ينهض نهار في جانبي ليل ، لان النهار هو الذي يشبه السواد ، ولكنه لما لم يطرد له الوزن ترك ذكر ما ابتدأ به ، وعلق الكلام بالشباب ، واخرج التشبيه منكوساً .

واما الاستعارة والمبالغة فقد تقدم الكلام فيها وفي ايراد مثلها .

واما المعنى الذي تلحقه زيادةً تؤكده فنحو قول امرئ القيس :

(اذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرّقت الارض واليوم قرّ)

فقوله (واليوم قرّ) زيادة تمّ بها المعنى وكمل ونحو قوله :

(وجيدٍ كجيد الريم ليس بفاحش)

فقوله (كجيد الريم) اراد طوله كما جرت عادات العرب في ان يشبهوا جيد المرأة اذا كان طويلاً بجيد الظبي ، فلما قال (ليس بفاحش) نفى عن جيدها ان يكون دقيقاً فيه انحناء لان فحش جيد الظبي انما هو لذلك ومثله قول طرفة :

(فسقى ديارك غير مفسدها)

لما [1] كمل المعنى ولعيب عليه كما عيب على ذي الرمة قوله :

(الا فاسلمي يا دار ميّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر)

فقيل له اذا لم يزل القطر منهلاً عليها عفّى آثارها ، ودرس معالمها ، وهذا العيب عندي غير لاحق به ، لانه تكلم على عادة الشعراء في سقيا ديار احبابهم ، وقد ابتدأ

(١) الارجح ان هذه الجملة جواب لجملة محذوفة سهواً ولعل التقدير (فلو لم يقل غير مفسدها لما كمل المعنى الخ .

بانْ دعا لها بالسلامة على البلى ، واذا سلمت على البلى سلمت على انهـلال القطر . ومن سبيل الشاعر ان يجتنب في شعره استعمال مذهب واحد من مذاهب الصناعة ، وان يتحرى ان كان يذهب اليها الاخذ من أطراف ابوابها والاسهام [1] لقصيدته في كل نوع من انواعها حتى لا يخلص للتجنيس وحده ، ولا التطبيق وحده ، ولا اضرب من ضروب الصنعة ، منفرداً من دون غيره ، فانه اذا تحرى ذلك عذبت الفاظه وأسمحت [2] ابيانه . وتسهلت حزون الشعر عليه ، وسالت احرار المعاني اليه ومتى افردها بنوع من انواعها ندّت عن الأسماع فمجتها وثقلت على السن الرواة فلم تروها .

قد ذكرت من وجوه الصنعة وضروبها ماذكرت واقول الآن : ان المختـار من الشعر هو القريب البعيد ، الوحشي المستأنس ، الدّمث الوعث ، البدوي الحضري ، المجيب المتأبي ، الممتنع المتأتي ، على انّ مذاهب العلماء في اختيار الشعر متباينة ، وآراءهم فيه متفاوتة ، واهواءهم مختلفة ، فمنهم من لا يميل الا الى ماسهل وانقاد ، وذلّ على اللسان ، ودلّ عند استماعه على المراد ، ومنهم من يميل الي ماانغلق معناه ، وخفي غرض قائله فيه ومغزاه ، وصعب استخراجه وتعذر ، فلم ينقد الا بعد طول فكر ، ونظر ، وهم اصحاب المعاني . ويذهب قوم الى ان احسن الشعر ما كان مطابقاً للصدق وموافقاً للوصف ، وما كان بالحق اشبه ، والى الصواب اقرب ، و يروونَ :

(وانّ احسن بيت انت قائله بيت يقال اذا انشـدته صدقا)

و يختار قوم ضد هذا المذهب ويذهبون الى انّ الغلوّ في قول الشعر اصوب ، وان الإبلاغ فيه اوجب ، والإفراط فيه احسن . حتى قال بعضهم : انّ احسن الشعر اكذبه . وهذا مذهب اكثر المُحْدَثين من عهد بشار ومن بعده .

وفصل القول ان الإغراق في وصف ما يوجد شيء منه مستحسن ، فلهذا قيل احسن الشعر اكذبه اما اذا لم يوجد منه شيء اصلاً كوصف الزنجي بنقاء اللون وزهرته ومدح الرجل الأمي بجودة الخط وسرعته فيه ، فلا يكون الا ذماً فكيف يحمد .

---

(١) الاسهام مصدر اسهم لفلان كذا جعل له سهماً فيه . (٢) (اسمحت) اي لانت بعد استصعاب .

وذهب اكثر شعراء المحدثين الى ان احسن الشعر ما كان اكثر صنعة . وان يتوخى من البلوغ في تجويده النهاية المطلوبة ، وقالوا لما كانت حدود الشعر اربعة : وهي اللفظ والمعنى والوزن والتقفية وجب ان يكسى احسن الالفاظ ، و يبرز في احسن المعارض ، وان يتخير لها احسن المعاني ، وان يكون سهل العروض رشيق الوزن ، متخير القافية ، رائع الابتداء بديع الخروج ، وما تعدى هـذا النعت وخلا منه سمي الشعر المرسل والوسط والسليم .

ويميل قوم من اهل اللغة والغريب الى الرّصين من الشعر . والذي يجمع الغريب من المعاني . وهذا مذهب خلف الاحمر وابي عمرو والاصمعي . ومنهم من يذهب الى الوحشي من الشعر ، والى ما لم يتداول . ويقال ان المنصور امر بتتبع هذا الفن منه فجمع له المفضّل اختياره . ومنهم من يفضل الشعر بقائله ، فيختار أشعار الفرسان والسادات والاشراف ، ورؤساء الحروب ، ومن ذلك قول الصلتان العبدي :

(و يرفع من شعر الفرزدق انه له باذخ لذوي الخسيسة رافع)
(جرير اشد الشاعرين شكيمة ولكن عليه الباذخات الفوارع)

وحدث علي بن العباس النوبختي قال رآني البحتري يوماً ومعي دفتر فقال : ماهذا قلت : شعر الشنفرى قال : والى اين تمضي فقلت : الى ابي العباس ثعلب اقرأه عليه فقال : قد رأيت اباعباسكم هذا منذ ايام عند ابن ثوابة ، فارأيته ناقداً للشعر ولامميزاً للالفاظ ، ورأيته يستجيد وينشد شيئاً وما هو بافضل الشعر فقلت له : اما نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى ، ولكنه اعرف الناس باعراب الشعر وغريبه فما كان ينشد قال قول الحارث بن وعلة :

(قومي هم قتلوا أميم اخي فاذا رميت يصيبني سهمي)
(فلان عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهنن عظمي)

فقلت والله ما أنشد الا أحسن شعر في أحسن معنىً ولفظ فقال : فأين الشعر الذي فيه عروق الذهب قلت : مثل ما ذا ؟ قال مثل قول ابي ذؤاب بن ربيعة الاسدي :

(ان يقتلوك فقد هتكت بيوتهم[1] بعتيبة بن الحارث بن شهاب)
(بأشدهم كلباً على اعدائه وأعزّهم فقداً على الأصحاب)

قال فاذا هو لايعجبه من الشعر الا ماوافق طبعه معناه ولفظه ·

والشعر ايدكم الله علم من علوم العرب ، يشترك فيه الطبع والرواية ، والذكاء والفطنة ، ثم تكون الدربة عادة وقوة لكل واحد من اسبابه ، فمتى اجتمعت للشاعر هذه الخصال فهو المحسن المبرّز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ، ولست أفضّل في هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلي والمخضرم ، والاعرابي والمولد ، الا اني اري حاجة المحدث الى الرواية اشد ، واجده الى كثرة الحفظ افقر ، لان المطبوع الذكي لايمكنه تناول الفاظ العرب الارواية ، ولاطريق الى الرواية الا السمع ، وملاك السمع الحفظ · ويجب للشاعر اذا اراد نظم قصيدة ان يمخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً ، ويعد له مايكسوه من الألفاظ التي تجانسه ، والقوافي التي توافقه ، والوزن الذي يسلس القول عليه ، فاذا اتفق له بيت يشاكل الغرض الذي رماه اثبته ، وشغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير ترتيب الشعر ، بل يعلق ما يتفق له نظمه ، وان لم يكن مناسباً لما قبله · واذا تكاملت له المعاني وكثرت الابيات ، تكون سلكاً لها ، ورباطاً لما تشتت منها · ثم يتأمل ما قد سمح به طبعه ، وتجته فكرته ، فيبالغ في انتقاده ، ويبدل اللفظ المستكره باللفظ السهل ، وان شغل قافية في معنىً ما ، ثم اتفق له معنى يضاد الاول ، وكانت في المعنى الثاني اوقع منها في الاول ، عدل الى ما هو احسن ، وابطل البيت ان نقض بعضه وطلب لمعناه قافية تشاكله ، واذا أسس شعره على الكلام البدوي الفصيح لم يخلط فيه الالفاظ الوحشية النافرة ·

ولست آمره باجراء الشعر كله مجرىً واحداً ، بل اري ان يقسم الالفاظ على رتب المعاني فلا يكون غزله كافتخاره ، ولا مديحه كوعيده ، ولاهجاؤه كاستبطائه ، ولا تعريضه كتصريحه ، بل يوفّي كلاً حقه ، ويعطيه حظه ، فيتلطف اذا تغزّل ،

---

(١) وفي نسخة ثلات عروشهم ·

ويفخم اذا افتخر . نعم و يجب ان يخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات، ويتوقى حطّها عن مراتبها ، لايخلطها بالعامة ، ويصل كلامه على تصرفه في فنونه صلةً لطيفة فيتخلص من الغزل الى المديح ، ومن المديح الى الشكوى ، ومن الشكوى الى الاستماحة ومن وصف الديار والآثار الى وصف الفيافي والنوق ، ومن الرعود والبروق ، الى وصف الرياض والروّاد ، ومن وصف الظلمان[1] والاعيار ، الى وصف الخيل والأسلحة ، ومن وصف المفاوز والفيافي ، الى وصف الطَّرَد[2] والصيد ، ومن وصف الليل والنجوم ، الى وصف المياه والموارد ، والآل والهواجر ، والحرابي[3] والجنادب .

وللمعاني الفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي يزداد الحسن[4] في بعض المعارض دون بعض ، فكم من معنىً حسن قد شين بمعرضه الذي ابرز فيه ، وكم من معرض حسن قد ابتذل في معنىً قبيح ألبسه ، والمحنة على شعراء زماننا اشدّ منها على من كان قبلهم ، لانهم قد سبقوا الى كل معنىً بديع ، ولفظ فصيح ، وحيلة لطيفة ، وخلابة ساحرة ، فان اتوا بما يقصر عن معاني من تقدم لم يُتلق بالقبول وكان كالمُطَّرح المملول .

و ينبغي للشاعر في عصرنا ان لا يظهر شعره الا بعد ثقته بجودته ورشاقته وسلامته من العيوب التي نبه عليها ، ونهي عن استعمال نظائرها ، فليس يقتدى بالمسيء ، وانما الاقتداء بالمحسن .

وللشعر دواعٍ تحثّ البطيء وتبعث المتكاسف ، منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب . وقال احمد بن يوسف لابي يعقوب الخزيمي : مدائحك لمحمد

---

(١) الظلمان جمع ظليم وهو ذكر النعام والاعيار جمع عير وهو حمار الوحش .
(٢) الطرَدُ بفتح الراء مصدر طرد الصياد اي زاول الصيد يقال خرج يطرد حُمُر الوحش اي يصيدها . (٣) الحرابي جمع حرباء والجنادب جمع جندب وهو ذكر الجراد . (٤) لعل الصواب حسنها والمعارض جمع معرض بالكسر وهو ثوب تجلى فيه الجارية ليلة العرس او هو القميص الذي يعرض فيه العبد والجارية للبيع ومنه قولهم (الألفاظ معاريض المعاني) .

ابن منصور أشعر من مراثيك وأجود · فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن اليوم نعمل على الوفاء ، وبينهما بون بعيد ·

و يقال انه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري ، والشرف العالي ، والمكان الحالي او الخالي · وقال عبد الملك لأرطاة بن سهية : هل تقول الآن شعراً فقال : ما أشرب ولا أطرب ، ولا اغضب ولا ارغب ، وانما يكون الشعر بواحدة من هذه · وقيل للشنفرى حين أسنّ أنشد : فقال : الانشاد على حين المسرة ·

هذا والشعراء في الطبع مختلفون ، فمنهم من يسهل عليه المديح و يعسر عليه الهجاء ، ومنهم من يتيسر عليه المراثي ، يتعذر عليه الغزل · وكان الفرزدق زير نساء وكان مع ذلك لايجيد النسيب ، وكان جرير عفيفاً وكان مع ذلك احسن الناس نسيباً · وكان الفرزدق يقول : ما احوجه عفته الى صلابة شعري ، وما احوجني الى رقة شعره كما ترون ·

والشعر كالبحر قد يغاص فيه على الدرر الثمينة النفيسة ، و يغاص فيه على الخرزات الخسيسة ، ولذلك قال بعض من قدمنا ذكره في شعر ذي الرمة انه نقط عروس ، وبعر ظباء ، ايذاناً بانه لا يستمر بديعه ، ولا تطرد نكته ، ولو كان الشعر كله مستمرّ النظام ، متساوي الاقسام ، لظهر الفضل ، وعرف العجز ، وسكت اهل النقص ، ولكن الفاضل ينظم الكلام الشريف ، ثم يقرن به ما يستحيي من مثله ، فيقدّر الناقص انه يجوز له ان يقول ، لانه يساويه في رديئه ان قصّر عنه في جيّده · ثم تجيء نقاد السوء فيدسون المتوسط مع المبرّز ، والسكيّت مع المتوسط ، فتشتبه الحال على من لم يكن مثرياً في بضاعته ·

واعلم ان ملاك الامر ترك التكلف ، واطّراح التعمّل ، والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه والعنف به ولست اعني بهذا كل طبع ، بل المهذّب الذي قد صقله الادب ، وشحذته الرواية ، وجلته الفطنة ، وأُلهم الفصل بين الرديء والجيّد ، وتصور امثلة الحسن والقبح ، والنقد والعيار غامضان وهما صناعة برأسها ، وهي غير العلم بغريب الشعر ولغاته ، ومعانيه واعرابه ، وقوافيه وأوزانه ، وهي ممتنعة الا على اهلها الذين صحت طباعهم ، وصفت قرائحهم ، وانقدت أذهانهم ، وأفنوا أعمارهم في خدمتها ،

وفرغوا أنفسهم لتحصيلها ، فحصلت لهم الرواية والدراية ، وراضوا الكلام ومارسوا قول الشعر ، وخدموا علمه ، ولزموا اهله ، ودفعوا الى مضايقه وكشفوا عن حقائقه (١) ، ولاقوا فيه (٢) فرسانه وامراءه وميّلوا حروف الألفاظ ، وقابلوا صنوف المعاني .

وهذه الرسالة تقتضي الاقناع ، ولا تحتمل الاشباع ، وانما نبذت اليك نبذاً ، وعرضت عليك لمّاً ، حتى لا تحكم من غير تثبت ولا تقضي من غير تبين . ولست اقول النبذ واللمع تصغيراً لها ، بل تنبيهاً على قلة لفظها ، فاما المعنى المراد فاني اظن انها بلغته في صنعة الشعر ، اذا استكشفها رائد هذا العلم وطالبه ، فوصل بطالعها نظره ، واستخدم فيها فكره . وردت به على قليب سهل المشرع ، عذب المكرع ، وكانت له مادة يستمدها . واما مايحتذي سبيله ، فان ايده الطبع ، ونصره الخاطر ، وأسعدته الهمة ، تقدم أضرابه بحول الله وقوته ، وفضله ورأفته . وهو حسبنا ونعم الوكيل . وصلواته على سيدنا محمد وآله اجمعين .

« انتهى قانون البلاغة »

وقد جاء في آخر الاصل ما نصه :

تم على أنامل أضعف عباد الله تعالى وأحوجهم الى النعيم عبد الله بن فضل الله ابن ابي نعيم . اصلح الله شأنه . في الأوائل من شوال سنة اربع وستمائة بمقام يوازاغج .

---

(١) وفي هامش النسخة الاصلية زيادة قوله وانا اقول : وتسلقوا على شواهقه .

(٢) وفي هامش الاصل ايضاً ما نصه : وانا اقول لاقوا فيه معانيه الساحرة لا قوافيه الظاهرة ونظروا طائله لا قائله واقتدوا بأساليب بيانه ولم يقتدوا بقواليب عيانه حتى يكون فارس مضماره في اظهار مطلبه واضماره .

كتاب المنذر

— ٩ —

(لكن عينه أخفقت كل مسعى) أضاعت او أبطلت كل مسعى لان اخفق لازم ويجوز ان يقال : اخفق بها كل مسعى . (كانت الارياح تهب عليهم من كل جانب) الرياح او الارواح ولم يسمع ارياح في كلام البلغاء . (هبت عليه أعصار السياسة) هب عليه إعصار السياسة لانه مفرد مذكر وجمعه اعاصير « زوابع » . (يبان لي ان السياسة الشرقية لاتزال على حالها) يبين لي — يظن بعضهم ان بان يبان ظهر ، و بان يبين غاب في حين انه بالياء لكليهما . (يعصاني قلبي) يعصيني قلبي — من باب ضرب . (لايتدانون الى هذه السفاسف) يتصوبون او يتسفلون . (يتحدث به الاغراب في مجالسهم) الغرباء — جمع غريب الا اذا كانت جمع غرب « بضمتين » وهو الغريب ايضاً . (لا أريد قط ان اعود) لا أريد ان اعود ابداً اولن اعود — لان قط لاتستعمل الا في الماضي : ما رأيته قط او لم اره قط . (كان السيف مشهراً فوق رأسه) مشهوراً . (يتعاهدون مع بعضهم) يعاهد بعضهم بعضاً او يتعاهدون بحذف مع بعضهم .

* * *

(الامرأة تخطي على مهل) المرأة تخطو — بحذف الهمزة اما تخطى فمعناه ركب وجاوز . (يتوجب عليه اداء الدين) يجب عليه او يتحتم عليه اداء او تأدية الدين — لان معنى توجب اكل مرة واحدة في النهار والليل . (يكرس وقته للعمل) يخصص — لان كرس غير عربية . (لا يزال مجداً في سيره) لا يزال جاداً في سيره . (نهو القضايا ولغو الدعاوى) فصل القضايا وإلغاء الدعاوى . (اي متى يتم لنا ذلك) متى يتم — بحذف اي . (لنرى اذا كان ضرورياً) لنرى هل كان ضرورياً . (منعوا او باش الناس من الحضور) منعوا رعاع الناس او سفلتهم — او انه افصح . (وهو في العلم لا يوصف) يفوق الوصف . لان اللاشيء لا يوصف ايضاً . (لانكران ان الامر كذا) لا نكير او لا انكار . ولم يرد النكران في مصادر هذا

الحرف . (عندما حظوت بلقائه دعيته للغداء) حظيت بفتح فكسر ودعوت بالفتح والواو . (صادرت الحكومة خمس مسدسات) ضبطت الحكومة خمسة مسدسات .

* * *

(الحاكم وزوجته دعيا رجال الحكومة) دعوا بفتح الواو لانه واوي مثنى . (اما المال فيؤخذ من خلافهم) من غيرهم لان الخلاف مصدر خالف كالمخالفة ولا يأتي بمعنى غير وسوى . (هذه الصحف راضخة لأعظم ضريبة) مذعنة او خاضعة . لان رضخ معناه كسر . (ولما أصرَّيت على العمل) ولما أصررت على العمل . بفك الادغام . (مانحن في مقام ثناء لنصيغه درراً) لنصوغه درراً . (يتعهد بعدم عرقلة مساعيه) يعاهده على عدم عرقلة مساعيه . (الحادث المنوه عنه) الحادث المنوه به . اذا قصد تعظيمه والا فالحادث المذكور . (طالما رأيناه يفعل كذا) كثيراً ما رأيناه ... او هو افصح . (البرد القارص) البرد القارس — بالسين . (جرم الرشوى) جرم الرشوة — بالتاء . (نال حظوى في عينيه) نال حظوة في عينيه . (يقيم في المنزل لوحده) وحده — بحذف اللام وهو منصوب دائماً على الحالية الا في مثل قولهم « فلان نسيج وحده » فيضاف اليه .

* * *

(من من طلبت وعن من سالت) بفك الادغام رجوعاً الى الاصل وهو خطأ = ممن وعمن . (وقف مطرق الرأس) وقف مطرقاً — بحذف الرأس . (التقى به صدفة) لقيه او التقاه مصادفة او صادفه وهو الاولى اما الصدفة فلم ترد في كلام البلغاء . (بدت عليه مخائل الانفعال) بدت عليه مخايل التأثر — بالياء في مخايل لانها اصلية وإبدال التأثر بالانفعال . (استلفت الانظار) لفت الانظار — ولم يسمع وزن استفعل من هذا الحرف . (سقامة الطبع والترتيب) سقم او سقام . (يشكو فيها من سوء الحال) يشكو فيها سوء الحال . (عدد وفير من الناس) عدد وافر . (منائر اللغة العربية) والاصح — مناور بالواو لانها اصلية . (ينبغي علينا ان نسير) ينبغي لنا او يجب علينا ان نسير « بدون ينبغي » . (الاكثراث بامور الدنيا) يقال

اكترث له لا به • (ارسله لعند اخيه) ارسله الى اخيه • (اشتكت عليه للحاكم) شكته الى الحاكم •

* * *

(جاءت الامرأة) الفصيح في المرء والمرأة ان يكونا بالهمز عند التنكير وبدون الهمز عند التعريف فتقول : امرؤ وامرأة والمرء والمرأة • (تنافر الحروف مع بعضها) تنافر الحروف بعضها والبعض الآخر • (ينظرون الى بعضهم بعضاً) ينظرون بعضهم الى بعض • (يشون على بعضهم او على بعضهم بعضاً) يشون بعضهم على بعض • (حفلة شيقة) الشيق وزن سيد المشتاق والصواب حفلة شائقة • (خطاب ممتع) يعني مفيد متين في حين ان ممتع « بالتشديد » من متع اي طوّل • (انصرفوا بكليتهم اليه) انصرفوا اليه — بحذف « بكليتهم » لان الانصراف فيه الاجماع • (لا يمتاز عنه بشيء) لا يمتاز عليه بشيء — يقال : امتاز عنه «انفرد» وامتاز عليه — فُضل • (كثرة الوفيّات في البلد) بالتشديد والصواب الوَفَيَات بالفتح والتخفيف جمع وفاة • (مات بسبب مناولته دواءً مسماً) مات لتناوله دواءً سامّاً • (انا متأكد بانه عندك) انا موقن او متيقن انه او بانه عندك او هو أفصح • (كان مرضه مخطراً) كان مرضه خطراً — بفتح فكسر •

* * *

(تشكلت هيئة المحكمة) أُلف او عُقد مجلس القضاء • (جاء كل من المدعي والمدعى عليه) جاء المدعي والمدعى عليه — بحذف « كل ومن » • (يؤجر بقيمة غالية) قيمة الشيء قدره الحقيقي فلا تكون غالية او رخيصة والصواب : يؤجر ببدلٍ غال • (بموجب قرار المحكمة) بفتح الميم والصواب ضمها • (ثبت لديكم) — بضم الباء والصواب فتحها • (تمت المزايدة الاخيرة) تم التزايد لاخير • (ان الاجار فاحش جداً) ان الايجار او ان بدل الايجار فاحش جداً — لانه مصدر آجر « أفعل » • (اطلق سراحه) اطلقه او سرّحه او خلى سبيله • (عريضة ممضية) عريضة ممضاة — من أمضى • (هذه الامضاء ليست لي) هذا الامضاء ليس امضائي — لانه مذكر • (تغريم كل من يتصيد عصفوراً بخمسين ليرة) تغريم من يتصيد عصفوراً

خمسين ليرة — بحذف كل والباء . (حكم ضدّه بكذا) حكم عليه بكذا . (الحكم الصادر بحقه) الحكم الصادر عليه . (صدر القرار بتوقيفه) بوقفه — من وقف الثلاثي . (ورقة الدعوتية) ورقة الدعوة . (ولما كان كذا وحيث كان كذا فقد حكم بكذا) لايجوز استعمال « لما وحيث » في هذا المقام والصواب : وبما ان كذا — بباء السبب — او واذ ثبت ان كذا الخ وكل ذلك من تعابير القضاة والمحامين .

* * *

(نعلن لمواطنينا) نعلن بني الوطن او لبني الوطن — او نعلن لوطنيينا كذا — بحذف الالف — اسم فاعل من اوطن اي أقام بالوطن . اما واطن فمعناه اضمر وواطأ . (اهي بيضاء الصحيفة ام مبتذلة) أبيضاء الصحيفة هي ام مبتذلة — هذا اذا عني ببياض الصحيفة النقاوة والا فلا فرق بين بياضها « فراغها » والابتذال . (لكنني لم ازل محروماً من لقياه) لكنني لاازال محروماً لقاءه — او ان اللقاء اولى لان في اللقيا معنى العثور على الشيء بعد ضياعه . (اغرقهم السيل العرم) اغرقهم سيل العرم — بالاضافة لان السيل هو جريان الماء لا المطر النازل من السماء والعرم « بفتح فكسر » الغيث الشديد . (استخدم الحمام الزاجل) استخدم حمام الزاجل — لانه مضاف اليه لانه — يقال زجل الحمام ارسلها على بعد وهي حمام الزاجل والزجال اي حمام الرسل — يعوّد الطيران بالرسالة التي تعلق بعنقه الى حيث عوّد ان يطير فيذهب ثم يجيء بالجواب .

* * *

(كتب خصيصاً لهذه المجلة) كتب خصوصاً او خاصةً لهذه المجلة — لان وزن فعيل لم يسمع فصيحاً من هذا الحرف — وابن الرقمع لا يعدُّ حجة بقوله :

(أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرةٍ   واتى رسولهمُ اليّ خصيصا)
(قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخهُ   قلت اطبخوا لي جبةً وقميصا)

وربما كانت من هفوات النسخ والاصل « خصوصاً » .

(فيما تبحث يا اخي ؟) فيمَ تبحث — بحذف الالف — لان الف ما الاستفهامية تسقط عند دخول حرف الجر عليها — ومثله : عمَّ تسأل ولمَ تضحك والامَ « الى مَ »

تصبر وعلا مَ « على مَ » تبكي . (لنا أُسوة حسنة في كثير من النقاد) أُسوة حسنة بكثير من النقاد — بالباء لا بفي — قال الشاعر :

(وان علاني من دوني فلا عجبٌ لي أُسوة بانحطاط الشمس عن زحل)

والابدال جائز بالايجاز لا بالاسهاب عند الضرورة فيقال مثلاً في دققت فيه ، دققت به ويقال في : اهدى اليه ، اهدى له — ولا يقال في : ذهبت به ، ذهبت فيه ولا في : قال له ، قال اليه . والله اعلم . انتهى . ابراهيم المنذر

آراء وافكار

كراسك الشارد

« والرحلة الأدهمية »

حضرة اخي الاستاذ المغربي أمتع الله الأدب بطول حياته :

قرأت ملاحظاتك على (الرحلة الأدهمية) بعد كلامك على (الكراس الشارد) منها الذي عاد فالتأم مع إخوته والحمد لله . فأنا لي ملاحظات على ملاحظاتك يمنعني ضيق الوقت عن الإطالة فيها . لكنني لابد ان أمرّ عليها ولو بمقدار نغبة الطائر :

تعترضون على صاحب الرحلة في وصف فيض المياه في حاب وتكررون هذه الملاحظة وتقولون ان الشهباء لم توصف بكثرة المياه .

والصحيح ان الماء المشروب في حلب لا يوصف بالكثرة اما المياه اللازمة لسقيا الأشجار فان لم تكن كمياه دمشق فليست بقليلة . وبجانب حلب بساتين عظيمة ذهبتُ اليها مرة ووجدت جداول المياه متدفقة خلالها و « سمعتُ خرير الماء » كما قال ابن حربويه قاضي مصر في خبر ليس هنا موضعه .

تذكرون ان الدولة خضدت شوكة الحرافشة وتجعلون ذلك في نحو سنة (١١٥٠) هـ . ولا أظن ان الدولة قدرت على خضد شوكة الامراء بني الحرفوش

في ذلك العهد بل عهد الخضد يتأخر عن هذا التاريخ مائة سنة على الأقل ٠

قال مؤلف الرحلة في عبارة « وفاد لنا النور » فجئت انت تقول : لعلها « أوقد لنا النور » فانا أقول : لا ضرورة لهذا التوجيه بل يكون أراد ان المضيف جاء وبيده مصباح فسار بين ايديهم ٠ وانت ترى ان المؤلف مسترسل الى الاصطلاحات العامية ٠ لا همّ له في متانة التركيب ولا في إحكام السجع بل كيفما طاحت راحت ٠ ولعمري لو لم يكن في الرحلة الأدهمية وكراسها الشارد من الجمل الركيكة والسجع البارد الا قوله : [لما أردنا لبس الثياب ٠ رأينا بقجة فاحت منها روائح الطيب بلاارتياب] فانظر الى الطيب الذي يحتمل الارتياب كأنه دليل غامض او برهان سوفسطائي ٠

ثم عند قوله « فوجدت بابه مقفولاً » لا تقول شيئًا ولا تستشهد بقول الشاعر : (ولا اقول لباب الدار مغلوق) ولا تشير[1] الى انها لغة رديئة

ثم عند ذكر المؤلف لفظة (المفترجات) تقول : أراد بها مكان الفرجة ٠ وهذا لا ريب فيه ٠ ولكنك لا تكتفي بذلك حتى تضيف اليه قولك (اما المفترجات فلم نسمعها بعد) بلى أيها الاستاذ ان لم تسمع بها انت فقد سمعنا بها نحن ٠ ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ٠ ففي بلادنا من جبل لبنان يقولون (المفترج) لبيت الخلا [2] ٠

ثم يضبط المؤلف اسم احد أدباء صيدا (احمد البزره) بالهاء والاصح انها بالياء ٠ وآل البزري في صيدا مشهورون امضاؤهم بالياء نسبةً الى البزر وانت لاتتعرض لهذا ٠ ثم انك كثيراً ما تتهكم بزوّار القبور قبور الاولياء الصالحين وتقول انه منهي عنه في السنة وتعترض في ذلك حتى على العلماء الجلة مثل سيدنا عبد الغني وأمثاله ٠ فان كان

---

(١) التزمت الاختصار فتركت التعليق اللغوي لاسيما اني اشرت عندما وصفت (الكراس الشارد) الى ان المؤلف يتسامح في استعمال الكلمات العامية وما اكثرها في كلامه فلو تتبعناها وعلقنا عليها لخرجنا عن موضوعنا الذي هو تلخيص رحلة ٠

المغربي

(٢) اذا قالوه بهذا المعنى لا يلزم منه ان يكونوا قالوه او استعملوه بمعنى (المتنزه) وهذا الاستعمال الاخير هو محل النزاع ٠ (المغربي)

مقصودك هو شدّ الرحال لتلك الزيارة فأنا [1] معك في هذا لورود حديث مشهور فيه (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجدالحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا) . اما منع الزيارة بتاتاً فهذا لم يكن اصلاً بل أذن به الشارع (ص) للاتعاظ والاعتبار وأتذكر اني قرأت هذا في كلام الاستاذ صاحب المنار أفتكون سلفياً اكثر من صاحب المنار ؟ .

اما اعتراض المحقق الأخ السيد سليم الجندي عليك [2] في إدخال (الواو) على (بل) فلم أجد فيه مايقال [3] . لكن اعتراضه في إدخالك (أل) على (غير) فقد قالوا فيه ان (غير) اسم وهي هنا متضمنة معنى (مغاير) فجاز إدخال (أل) عليها .

---

(١) لم اقصد الا الزيارة التي يكون فيها شد رحال او يكون فيها استمداد نفع او ضر من الميت فهذا ماأنكره . اما الزيارة لاجل الدعاء للميت او للاتعاظ والاعتبار فهي سنة وانكارها بدعة . (٢) اعتراضه علينا كان في تقريظه كتابنا (الأخلاق والواجبات) المنشور في (ص ٣٨١ مجلد٧) من مجلة المجمع . (٣) كيف لم تجد فيه مايقال أيهاالامير ! كأنك لاتجوّز ان يقول لك قائل (اكرم زيداً) فتقول (بل وعمراً) فتكون (بل) حينئذ غير داخلة على (الواو) وانما هي داخلة على محذوف تقديره : بل اكرم زيداً وعمراً) . ومن محاسن الصدف ان صديقنا الاب أنستاس انتقد ايضاً دخول (بل) على(الواو) في الجزء الاخير من مجلته : فعاب قولهم(ليس فقط لم ارهم منافقين بل وأغلبهم من مشاهير اللصوص) انتقد ليس فقط وهو حق ثم قال (وزادوا هذه الركة سقاً ان زادوا وراء (بل) حرف العطف فقالوا (بل واغلبهم) وكل هذا التركيب تنفر منه نفس العربي الحر اه .

وليس هذا النفور صحيحاً بالنسبة الى (بل والواو) فان المعنى هكذا (بل رأيتهم منافقين ورأيت اغلبهم من مشاهير اللصوص) فاختصر الكاتب وفي الاختصار بلاغ فقال (بل واغلبهم الخ) فالقارئ يرى ان الاستاذ الجندي والامير شكيب ليسا وحدهما اللذين انتقدا دخول (بل على الواو) (بل و) العلامة الكرملي ايضاً شاركهما في ذلك .

المغربي

واما إنكار الاستاذ الجندي عليك جمع (مشهور) على (مشاهير) فقد جاء في كلام ابن خلدون فيما أتذكر وهو ممن قرأ ودرى وسمع من اكابر الثقات فلعلهم أجروها مجرى (مجانين) . وكان الاستاذ الشنقيطي الكبير يمنعها . ولكنه كان يمنع استعمالات كثيرة صارت من قلب اللغة فقد بلغني انه كان يمنع (مصلحة) . فهل يريد الاستاذ الجندي خفير اللغة النقية ان يمنع (المصلحة) ايضاً ؟ وهذا أصبح غير ممكن ولو اجتمعت جنود السموات والارض . لوزان : في ٣٠ تموز سنة ١٣٩٧

شكيب ارسلان
من اعضاء المجمع العلمي

نقدات

في تصفحي الجزءين الثالث والرابع من مجلد السنة الحاضرة لمجلة المجمع العلمي الزاهرة ألفيتُ الامير جعفر الحسني ينقل اسم المطهر بن طاهر المقدمي بصورة (المختار ابن طاهر المقدمي)[1] فلو عُني في ضبط الاعلام وتصحيح المسودات العناية اللازمة لم يحدث مثل هذا التصحيف الذي قد ننتحل له سبباً غلط الترجمة او غلط الطبع . ولكن ماذا نقول في تقريظ كتاب الموشح للمرزباني الذي وشح ديباجته الاستاذ الرئيس ؟

فقد قال فيه ان المؤلف اخذ بالواسطة عن القاسم عبيد بن سلام الجمحي صاحب طبقات الشعراء (المطبوع في ليدن)[2] .

في حين ان الذي ذكره المرزباني واكثر من ذكره هو محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣٢ هـ ٨٤٦ م وكتابه طبقات الشعراء قد طبع في مصر سنة ١٣٣٨ هـ ١٩١٩ م وان لم يشر الطابع او المطبعة الى ذلك .

وقد كان عرض صديقنا العلامة الجليل الاستاذ احمد تيمور باشا في مقال مستفيض نشره في مجلة الهلال الغراء[3] بذكر هذا الكتاب قبل طبعه بايام معدودات وعده من نوادر المخطوطات .

(١) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٧ صفحة ١٤٧ . (٢) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٧ صفحة ١٤٠ . (٣) الهلال م ٢٨ ص ٣١٨ .

فهل هناك طبقات أخرى للشعراء للقاسم عبيد بن سلام « الذي نظن انه قد تصحف عن ابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ ﻫ ٨٣٧ م وفي ثبت كتبه كتاب الشعراء) طبعت في ليدن او ان نفس كتاب محمد بن سلام الجمحي قد طبع مباشرةً وأعيد طبعه عن النسخة المصرية في ليدن ونُسب الى ابي عبيد ·

وعلى ذكر طبقات الشعراء نقول انه طبع في ليدن كتاب الشعر والشعراء وقيل طبقات الشعراء لابي محمد عبدالله بن مسلم [1] بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ ﻫ ٨٨٩ م ·

وفي خزانة كتب الآباء اليسوعيين في بيروت كتاب طبقات الشعراء لابي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ ﻫ ٨٢٤ م وهو من النوادر ان لم يكن النسخة الوحيدة· وقد ذكره صاحب الفهرست باسم الشعر والشعراء ·

فهل لأرباب الوقوف ان يكشفوا لنا القناع عن هذا الالتباس خدمة للعلم والتحقيق ·

حيفا : عبد الله مخلص

---

(١) في طبقات الادباء للأنباري مسلمة وفي الفهرست لابن النديم وفي وفيات الاعيان لابن خلكان مسلم ·

مطبوعات حديثة

كتاب الدولة الاموية في الشام

« للسيد انيس زكريا النصولي طُبع في مطبعة دار السلام ببغداد »

« عدد صفحاته ٣٥٦ »

يكاد لا يوجد مؤرخ عربي دوّن شيئاً من وقائع صدر الاسلام والفتوح الشامي الا اتى ببحث مستفيض عن تاريخ الدولة الأموية التي أسسها معاوية على اثر تغلبه واستئثاره بالخلافة منذ تواطأ مع عمرو بن العاص على مطالبة الامام علي (ع) بتسليم قتلة عثمان الخليفة الثالث الى ان كان التحكيم المشؤوم وما تلاه من قتل علي وتنازل الحسن ثم قتل الحسين فعبدالله بن الزبير (رضهم) بحيث أصبحت المكتبة العربية طافحةً باخبار الأمويين والمروانيين جليلها وحقيرها فلم تترك حاجة لمستزيد .

بيد ان الاستاذ النصولي قد امتاز عن سواه بتحليل اسباب الشحناء ووصف شخصيات الزعماء والحكم على أخلاق كل من ناوأ معاوية وأعقابه من آل البيت والصحب الكرام مع بيان وجوه التفاضل بين اولئك الأقطاب سالكاً في ذلك كله مسلك المتأخرين من الكتبة الذين لا يكتفون بسرد الوقائع بلا تمحيص ولا استقراء بل يتبعونها بما اوحى لهم اجتهادهم من الأحكام على مميزات ابطال الوقائع المبحوث عنها وما يتخرصون به عن نياتهم ومقاصدهم في مآتيهم وافعالهم ولولا ذلك لم يكن للكتاب ميزة خاصة بموضوعه بعد ان كُتِب فيه ما كتب قديماً وحديثاً .

لا شأن لي ولا لمجلة المجمع العلمي فيما بُثّ هنالك من الآراء والمباحث التي اثارت بعض الحفائظ فانا أقتصر الآن على ما أراه جديراً بالنقد من أسلوب الانشاء ونمط السبك مع الإلماع الى ما عثرت عليه من الذهول اللغوي ملبياً طلب مؤلفه الصريح الوارد في حاشية النسخة المهداة ومتوخياً افادة القراء فأقول :

جاء في مستهل الكتاب قوله — من أحق بتاريخ أمية من أبناء أمية ؟ ولم اعلم مراد المؤلف من هذه الجملة فان كان يريد — كما يتبادر الى الذهن — اننا نحن السور بين ابناء أمية فهو قول ننكره عليه وينكره معنا كل ذي إلمام بالتاريخ فان السور بين خليط

من عناصر وأجناس عديدة تغلبت فيها أكثرية عربية لا ترجع الى نسب خاص او أسرة بعينها من آل يعرب بن قحطان . ثم جاء بعد ذلك قوله — من أحق بتاريخ معاوية والوليد من أبناء معاوية والوليد ؟؟ وأردف الجملتين بثالثة وهي — فاقبلوا ياابناء سورية الباسلة المتحدة المستقلة هذه الثمرة الصغيرة (انيس) — وفي كلتا الجملتين من البُعد عن الحقيقة والمخالفة للواقع ما لا يحتاج الى بيان .

وأغرب ما في الامر ان المؤلف ترك بقية الصفحة المعلق عليها تلك الفقرات الثلاث بياضاً استلفاتاً للانظار وايذاناً بان في طياتها حكمة مستترة اوسراً خطيراً حتمٌ على القراء كشفه والإحاطة بمراميه ولم أستطع ان افهم المراد من ذلك كله .

اما نمط الكتاب من حيث الجدَل والسبك وطرز الإنشاء فاليك انموذجات منه تدل عليه : جاء في وصف معاوية (ص ٣) « يعترف اعداؤه السياسيون بقوة شخصيته التي تسحر النفوس فتجتذبها غير انهم يتألمون منه لانه جعل من الخلافة ملكاً ضخماً فخماً » وجاء في الصفحة الخامسة « ولعب كل من ابي الاعور السلمي و بسر بن ارطاة دوراً مهماً في فتح مصر » . وقال في الصفحة عينها « و بسر هذا رجلٌ ذو شخصية غريبة الى ان يقول — وهو من أولئك البدويين[١] الذين لا تتخلل الرحمة قلوبهم » وجاء في الصفحة السادسة عند البحث عن معركة صفين « وهيئا[٢] الكتاب اي البروتوكول المبدئي لمؤتمر اذرح » . وقال في الصفحة عينها عن اليمنيين انهم « اعظم جند اهل الشام وكانوا سيوف معاوية البتارة حين محنه » . وقال المؤلف في محل آخر من تلك الصفحة ان الاتفاق مع القبائل العربية المتوطنة سورية منذ اجيال دعامة كبيرة في سبيل دعوته[٣] .

وقال في الصفحة السابعة عن اليمنيين والقيسيين « ان امتزاجهم مع سكان سورية رقت عقليتهم ونمّت افكارهم نوعاً » وهم « يرون في سورية وطناً ثانياً وقد كانوا ذوي ليونة ومران قابلين لكل تجدد » . وقال عن اذرح (ص ١٩) « انها غنية

(١) يريد انه من البَدْو (خلاف الحضر) . (٢) الضمير هنا عائد الى ابي الاعور وحبيب بن مسلمة . (٣) الضمير هنا يعود الى معاوية .

بياهها في تلك البقاع الجرداء وور يثة بطرا في اجتذابها القوافل حين مرورها الى شرقي الأُردن » • وجاء في (ص ٢١) « ان علياً لم يدفع مندوبيه لحضور المؤتمر و يحرّج عليهم » • وفي (ص٢٣) « ولو نسني له[1] ان يخدع اباموسى لأَثار الرأي العام عليه ولحوّل الافكار نحو علي سيما[2] وقد شهد المعتزلة المحايدون والاربعمائة مندوب من العراق قرارات المؤتمر » • وفي (ص٢٤) « والغلط الفادح الذي ارتكبه الاشعري هو انه سوّى بين علي امير المؤمنين ومعاوية حاكم الشام في المنزلة كما نص بذلك (بروتوكول[3] صفين) » • وفي (ص٢٥) « الرجل[4] الذي بدأ يرى فيه العالم الاسلامي الشخصية الكبيرة القادرة على توطيد السلام » • وفي (ص٢٩) « عزم معاوية عزماً اكيداً طيلة ايامه على استئصال شأفة المعارضين للمركزية الأموية » وفي (ص٣٦) « فاعتلى سليمان مرةً منصة الخطابة وافتتح احدى جلساتهم » • وفي (ص ٤٢) « الاشتراك في التدبير على المركزية الاموية وبعبارة ثانية فقد خولته[5] سلطة الحاكم المطلق او الديكتاتور في العراق » • وفي (ص ٤٦) « الجماعات التي ذرفت أعزّ دموعها » • وهو نمط لا يرضى عنه بلغاء العصر الذين يرون فرضاً واجباً الاحتفاظ بالخطط التي وضعها أمثال ابن المقفع والجاحظ وعمرو بن مسعدة والصاحب بن عباد وابن الاثير وابن خلدون وغيرهم من أئمة الإنشاء وقهارمة الكتبة فانها امانة تسلمها الناطقون بالضاد من اولئك السلف ان تخلوا عنها أضاعوا لغتهم ورونق جمالها لا سيما ان هذا النسق المنفرنج او البراز بلي يكاد يكون الى المالطية أقرب ولست ادري كيف يجوز تأليف كتاب قيم باحث عن الدولة الاموية الصريحة العروبة بمثل هذه التراكيب الركيكة والنسج الواهن المحوك على منوال ليس بافرنجي صريح ولا بعربي فصيح •

ولقد ورد في الكتاب الفاظ لم يستعملها احد من جهابذة الانشاء مع عدم الاضطرار اليها في المواضع التي أدمجت فيها لا سيما والبحث قائم عن دولة عربية بحتة قامت في صدر الاسلام

---

(١) الضمير هنا يعود الى عمرو بن العاص • (٢) صوابها (لا سيما) كما لا يخفى •
(٣) يريد عهدة صفين او وثيقة صفين • (٤) يريد بالرجل هنا معاوية • (٥) الضمير يعود الى عبد الله بن زياد •

اي في عهد تطال العرب الى استعمار الغرب حيثما لم تكن تلك الالفاظ معروفة حتى في الغرب كالديكتاتور[1] والبروتوكول[2] مثلاً وقد تكررت هذه في جملة مواضع من الكتاب ·

ثم ورد (رضخت) بمعنى انقادت (ص٢٩) والتبرم من الخضوع بدلاً من التنصل او التملص كما يقتضيه المقام (ص٣٤) ونص التصريحات بدلاً من اتضح صريحاً او ظهر من التصريح (٣٥) الى غير ذلك مما هو مستفيض في الكتاب · كان هنالك أغلاطاً مطبعية جمة أصلح اكثرها في جدول خاص وبقي منها شيء لا يعزب صوابه عن المتأمل ·

وفي الصفحة (٢٠) رواية عن ذي الرمة بيتان في مدح بلال بن ابي بردة ورداهكذا :

(ابوك تلاقى[3] الدين والدنيا[4] بعدما   نـآوا وبيت الدين منقطع الكسر)

(فشدّ اصار الدين ايام اذرحٍ   وردّ حروباً قد لقمن الى عقرٍ)

وفي البيتين اختلال ظاهر ·

ثم ورود رواية عن كعب بن جُعيل في مدح ابي موسى الاشعري :

(كأن ابا موسى عشيةَ اذرحٍ   يضيف بلقمان الحكيم و يواربُه)

وفي العجز اختلالٌ عروضيٌ يزول بحذف العطف من (و يواربُه) ولعله الصحيح واثبات الواو سهوٌ مطبعي ·

والذي تجلى لي من تضاعيف الكتاب ان الكاتب ذكي الفؤاد نزوع الى الحرية واستقلال الفكر مشربٌ بحب العلم شديد العناية بقوميته واحياء ما تركه لها السلف من مجد أثيل وتراث نبيل · وعندي انه لو تريث في معالجة التأليف الى ان تستحكم فيه ملكة الانشاء العربي كما يجب ان تكون وتزداد خبرته نضجاً واختباراً ومادة علمه فيضاً ونقاءً لاستطاع ان يدخل البيوت من أبوابها ويملأ من محيطه فراغاً يعود عليه بالمجد التالد والذكر الخالد · ولعله فاعلٌ بعد اليوم ان شاء الله ·   عضو المجمع العلمي العربي

سليم عنحوري

(١) يريد به عبيدالله بن زياد عامل البصرة والكوفة · (٢) قد اطلقها المؤلف على معاهدة صفين بين الخليفتين علي ومعاوية انظر الصفحة (٤٢) · (٣) صحتها (تلاقى) · (٤) ربما كان الاصل (الامن) لا (الدنيا) ليستقيم الوزن ·

مختارات ابن الشجري

« للشريف ابي السعادات هبة الله الشجري من علماء المائة الخامسة بعد الهجرة »
« ضبطها وشرحها الشيخ محمود حسن زناتي الطبعة الاولى في مطبعة الاتحاد »
« بمصر سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٦ ص ٤٠ »

طبعت هذه المختارات سنة ١٣٠٦ بمصر طبعاً تجارياً وها قد طبعها الاستاذ زناتي طبعة علمية معلقاً عليها الحواشي النافعة شارحاً للغامض من الفاظها معتمداً في طبعته على نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية وقد طبعها طبعاً مشرقاً يصح بعد الآن اعتماد الادباء عليه . وهذه المختارات حوت كثيراً من أجود قصائد العرب العرباء مثل قصائد لقيط بن يعمر الايادي وقعنب بن ام صاحب وأعشي باهلة والطائي و بشامة بن عمرو والنمر بن تولب العكلي والشنفرى والغنوي والمتلمس وطرفة وزهير و بشر بن ابي خازم وعبيد بن الابرص . والآداب العربية تشكر الاستاذ الناشر على تحقيقه وتدقيقه وحبذا لو صحت همة علماء الادب اليوم فهذبوا من الطبعات التي طبعت بها الامهات وقوموا ميلها واعوجاجها . م . ك

اعلام النبلاء

« بتاريخ حلب الشهباء »
تأليف الشيخ راغب الطباخ طبع في المطبعة العلمية بحلب سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٦
(ص ٧١١) الجزء السابع

هذا هو الاخير من تاريخ الشهباء وفيه ٢٦٢ ترجمة ومجموع التراجم في الاجزاء الاربعة الاخيرة ١٣٩٨ ترجمة ومجموع صحائف الاجزاء السبعة ٤٠٣٥ صفحة كما قال المؤلف . وقد استند فيه على ١٦٥ مخطوطاً و ٥١٠ كتب مطبوعة . وطريقة المؤلف في التراجم أشبه بطريقة المرادي في سلك الدرر والبيطار في حلية البشر فكأنه اتم تلك السلسلة وتبع ذاك الأسلوب . وأسلوبها النقل والرواية بقليل من التمحيص . وفي هذا الجزء تتمة أعيان القرن الثاني عشر الى نحو منتصف القرن الرابع عشر اي

(سنة ١٣٤٥) . وفيه تراجم كثير من الحلبيين يشكر المؤلف على ضم شتاتها . وقد أجاد في ترجمة من عرفهم او تُرجموا له ولو وفق الى ترجمة جمهرتهم كما وفق في ترجمة المفتي العبيسي (ص٦٣٧) لجاء الكتاب ممتعاً كل الامتاع واحسن في ترجمته الأعلام المتأخرين مثل ترجمة الشيخ بكري الزبري والشيخ احمد الزويتني والشيخ بشير الغزي والشيخ محمد الزرقا وأمثالهم . وأجاد في تراجم بعض الموسيقيين المتأخرين وأطال في ترجمة من كان يكتفي في ترجمتهم باسطر معدودة مثل محمود كامل باشا العينتابي فانه خصه باربع وثلاثين صفحة واستطرد الى صفحات من حوادث الحروب اليمانية والبلقانية والحرب العالمية الكبرى نخرج عن موضوعه ولا يأول ذلك الا ارادة امتداح هذا الرجل التركي قلباً وقالباً وان ولد في حلب . ولو نحن انصفناه على تهذيبه لا نذكره الا انه خدم الغرض التركي للقضاء على كل ما هو عربي . ووددنا لو عري هذا الكتاب من امتداح المؤلف من أفراد أسرته فقد أطال في الترجمة لهم ، ومثلهم في الحلبيين عشرات كان ينبغي ان يضافوا الى آل بيته التجار او يعرى الكتاب من أمثال هذه التراجم . وهناك تفاصيل وتطويلات وعواطف لا تنفع المطالع بحال بل تورثه مللاً ، وتزيد حجم الكتاب طولاً ، فان من يعرف أحكام البيع والشراء ، لا يعد في العلماء ، ومن ينصرف الى مطالعة كتب القوم ، ان صح انصرافه اليها ، و يقضي حياته في المنامات والخيالات ، وذكر الكرامات والشطحات يجدر باهل هذا المجتمع ان يسكتوا عنه ، لا ان ينوهوا به ويعجبوا بعمله و يتناقلوا خرافاته وترهاته . عصرنا هذا غير القرن الحادي عشر والثاني عشر ، وعقلنا اذا قصرناه على نقيل مثال عقلية تلك القرون ، وهي عند العقلاء من اهله لا تستحب ولا تحمد ، نكون قد ضيقنا محيطنا بيدنا ، وسجلنا انحطاطنا بانفسنا . والموضوع الذي كتب منتشراً فيه الغث والسمين في اربعة آلاف صفحة ، يجب أنصار التحقيق ان يكتب في خمسمائة صفحة منقحة وما كل شعر يروى ، ولا كل مجذوب معتوه او تاجر بسيط يترجم له . وكان الأليق ان يغضى عن بعض المترجمين صيانة للتأليف من العبث . والاولى في نظري ان يترجم لمن أثروا في المحيط الحلبي أثراً عظيماً مثل ابي الهدى الصيادي وهو معدود في الحلبيين بحسب مصطلح المؤلف يصور للاجيال المقبلة على حقيقته فانه ممن يترجمون ، والتاريخ يهمه مثل هذا الرجل

اكثر من اهتمامه بالطبقة التي ترجم لها وما كانت في العير ولا في النفير . هذا ما أراه ولعلي لست على حق كبير فيما قلت ، وعسى ان يحل الرصيف الأديب انتقاداتي هذه في هذا الجزء وماسلف من الاجزاء محلها من النظر ، وان يعود الى تنقيح ما كتب في الطبعة الثانية مكتفياً باللباب فقط ، فانّ في مصنفه من المواد التاريخية المحلية التي جمعها ما يُغتبط بحفظه و يشكره التاريخ على تدوينه . والأدب في الجملة يثني على همته الشماء في تلقط تاريخ الشهباء .

محمد كرد علي

الوسيط

« في الادب العربي وتاريخه »

تأليف الاستاذين الشيخ احمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني . الطبعة الخامسة (١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م) بمطبعة المعارف بمصر (ص ٣٩٥)

تكرر طبع هذا الكتاب خمس مرات في بضع سنين اكبر دليل على نفاسته وشدة حاجة الطلاب اليه ومؤلفاه من أئمة الادب وخدمة المعارف في مصر واجتماعهما على تأليف هذا الكتاب دليل على روح جديد سري في مصر خصوصاً في التأليف فكثيراً ما رأينا مؤخراً اثنين يجتمعان على وضع مصنف يكون احدهما متشبعاً بالثقافة الفرنسوية والآخر بالانكليزية او الالمانية ولذلك أخذت التآليف والمترجمات تجود كثيراً في وادي النيل .

والكتاب هذا عمل بموجب خطة رسمتها وزارة المعارف المصرية تكلم فيه المؤلفان على أطوار الأدب واللغة منذ عرف تاريخهما الى عصرنا الحاضر بأسلوب رشيق ينم عن تعاطيهما تدريس هذا الفن زمناً حتى تمثلا ما كتباه وهضماه وكل صفحة منه آية في البلاغة وجمال الأسلوب وقد حكما على كل عصر من عصور اللغة حكماً تنشرح به النفوس وتسيغه ، وحليا الكتاب بالهوامش التي تفسر الغامض وتوضح المبهم العويص بحيث لا يحتاج قارئه الى الرجوع الى شيء من كتب الأدب والتاريخ لحل ما ربما يعثر عليه من الشعر والنثر وزاداه رونقاً بصورات البلاد العربية ونموذجات من الخطوط القديمة .

وقد وقع في هذا السفر الجليل بضع هفوات يرجى من فضلها اصلاحها في الطبعات القادمة · منها (ص١٣٣) ان عبدالحميد بن يحيى الكاتب كان احد النقلة من اليونانية والمشهور ان ختنه كان يعرف اليونانية اما هو فلم نر في شيء مما اطلعنا عليه من كتب التاريخ والتراجم انه كان ينقل من اليونانية · ومنها (ص١٩١) ان قرية الحميمة من اعمال عمان والحقيقة من اعمال معان وبين عمان ومعان مائتان وسبعة عشر كيلومتراً والحميمة من ارض الشراة على مقربة من وادي موسى · ومنها (ص٢٢٠) قول المؤلفين ويعتبرون ان سنة ١٤٣ هي مبدأ النهضة العلمية العربية وقالا في الحاشية : « وهي السنة التي حج فيها المنصور والتقى في المدينة بمالك بن انس وامره بتأليف كتاب الموطأ في الفقه والحديث وعند رجوعه الى الامصار اوعز بنفسه وبولاته الى العلماء بتدوين الكتب في كل فن » · وهذا الكلام لا يصح على إطلاقه لان التدوين حدث في الملة منذ القرن الاول والاولى ان يقال ان المنصور كان مجدد النهضة اومعاوناً على تقويتها فان عبيد بن شرية ألف أخبار العرب وحمير في ايام معاوية بن ابي سفيان · وخالد بن يزيد وعمر بن عبد العزيز امرا بنقل العلوم في دمشق على ماهو معروف · ومنها (ص٢٧٨) قولها ان اباالعلاء المعري انتفع كثيراً من دار كتب آل عمار امراء طرابلس الشام والصحيح ان اباالعلاء زار في أواخر القرن الرابع خزانة في طرابلس كانت فيها كتب موقوفة وخزانة بني عمار أنشئت حوالى منتصف القرن الخامس · ومنها (ص٣٢٢) ان الاوربيين طبعوا في أواسط القرن الخامس عشر بالمطابع العربية التي اخترعوها لطبع الكتب العربية الجليلة في ايطاليا وفرنسا والصحيح ان علماء المشرقيات طبعوا اولاً في ايطاليا ثم في هولاندة والمانيا أوائل القرن السابع عشر ولم يعرف ان فرنسا طبعت في القرن الخامس عشر كتباً عربية بل عمدت الى ذلك في القرن الثامن عشر · ومنها ماهو غلط اجتهاد (ص٣٢٤) ان من أشهر جرائد السوريين التي كان لها جزيل الفضل على نشر العربية وتحبيب القارئين في القراءة جريدة الفلاح لصاحبها سليم حموي فان هذه لا تعد شيئاً في جانب الصحف التي كانت تصدر في مصر بالعربية مثل « مصباح الشرق » التي كانت صحيفة أدب رائع ويعرف ذلك من معارضة اعدادها باعداد الفلاح التي كان يكتبها بعض مجاوري الازهر فيما نظن وفيها من تطويل العبارة والبعد عن مناحي البلغاء ما تشمئز منه نفوس الادباء لاول

نظر • ومنها اقتصارهما على ذكر بعض من نشأوا في مصر فقط في الكتابة والشعر في العصر الاخير مع ان محيط اللغة العربية لا ينتهي حيث ينتهي أفق مصر فهناك أناس خدموها فأجزلوا خدمتها في العهد الاخير في الشام والعراق وهم احرياء ان يذكروا بكلمة تنوه بشأنهم مثل آل الآلوسي في بغداد وآخرهم العلاّمة محمود شكري ومثل احمد فارس الشدياق صاحب التآليف الممتعة ومثل العلاّمة الشيخ طاهر الجزائري في دمشق وآل البستاني وآل اليازجي في بيروت وغيرهم ومثل الشيخ محمد بيرم وخيرالدين باشا التونسي في تونس الى عشرات غيرهم من الائمة الذين نفعوا الآداب العربية بعلمهم وتآليفهم وإصلاحهم • وعسى ان لا تغفل الطبعة السادسة من زيادة من كانوا أعلام عصرهم في في العلم والتأليف وإرجاع الآداب العربية الى رونقها القديم • ونعيد هنا الثناء على المؤلفين العظيمين ونرجو ان يكثر في الامة العربية أمثالها ليخرجا لها كتباً ممتعة كهذا الكتاب • م • ك

العصور القديمة

« تأليف الدكتور جايمس هنري براسند استاذ تاريخ الشرق في جامعة »
« شيكاغو نقله الى العربية الاستاذ داود قربان من اساتذة الجامعة »
« الاميركية في بيروت ، طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٦ »
(ص ٤٨٧)

هذا كتاب تمهيد لدرس التاريخ القديم واعمال الانسان الاول تكلم فيه مؤلفه على الاوربيين الأقدمين وتاريخ مصر في أدوارها القديمة وبلاد بابل والاشور بين والكلدانيين ومادي وفارس والعبرانيين واليونان والفرس والفينيقيين وروميه والرومان وامبراطوريتهم واوليتهم وانقراضهم وانتصار البرابرة ونهاية العالم القديم كل ذلك بجلاء ووضوح محلى برسوم ومصوّرات مفيدة تظهر بها عظمة تلك الامم القديمة بما لم يخرج في جملته مما كتبه العلامة ماسپيرو في تاريخ المشرق وعربه العلامة احمد زكي باشا وتاريخ الحضارة للعلامة سنيوبوس وعربه كاتب هذه السطور •

وعبارة الناقل جيدة توخى فيها السلاسة ومطابقة الاصل الانكليزي الا في بعض المواطن التي رأى طيهـا لعدم فائدتها للطالع الشرقي . وكنا نود لو اثبتها كما كتبها المؤلف . ثم اننا لم نفهم مقصد المحرر في مقدمته في قوله « يميل المتطرفون من اخواننا في الديار الاسلامية الى حسبان كل ماسبق مجيءَ النبي محمد ، كأنه مختص بعالم آخر غير عالمنـا الحاضر فلا يستحق ان يؤبه له كثيراً . ولا يخفى ان ذلك قاتل لفهم تاريخ الشعوب الاسلامية فهماً صحيحاً . لان العمران والحضـارة لم يبتدئا من عصر النبي ومهما كانت التغيرات التي طرأت على أحوال الشرق بعد ظهور النبي فان أسس الهيأة الاجتماعية ، وفكرة الحكومة الاساسية واصول الشريعة — جميع هذه وكثير غيرها من مظاهر الحضارة الشرقية قد دخلت التمدن الاسلامي متحدرة من أزمان قديمة سبقت ظهور الاسلام بعـد تعديل طفيف طرأ عليهـا » . والمحرر هذا هو السيد هرلدنلسن احد اساتذة التاريخ في جامعة بيروت الاميركانية . نعم لم نفهم مغزى قوله هذا لانه لم يقل بهذا الفكر الذي ردّ عليه احد من المشتغلين بتاريخ الاسلام فيما نعلم الا اذا كان طفلاً من الأطفال او غبياً من الأغبيـاء . والمسلمون ماادعوا انهم نزلوا بحضارتهم من السماء فنشروها على الارض بل ادعوا انهم أخذوا الحضـارات القديمة وزادوا عليها ما وسعتهم الزيادة فيها وسلموها بامانة الى اهل الامم الحديثة . واذا كان من يريدون التوسع في الكلام على حضارات الامم السالفة وتاريخها فان ذلك لا يتأتى لمن يحب ان يكتب تاريخاً لا روايات خيالية عن تلك الامم البائدة خصوصاً وقد رأينا ان لغات تلك الشعوب القديمة لم تكتشف الا في القرن التاسع عشر ومنها ما لم يتأت اكتشافه حتى اليوم . فكيف يتأتى الإعجاب بهذه الحضارات وهي لم تخلف لنا كتاباً ولا نصوصاً يصح الركون اليها في حين دوّنت مدنية الاسلام والعرب لقرب عهدها ولم يفتنا منها الا ما لا بال له . التاريخ القديم مجهول اكثره والتاريخ الاسلامي معروف اكثره . اما اذا كان هذا المحرر يريد الحط من التاريخ الاسلامي فهذه دعاية دينية لا دخل لها في التاريخ .

محمد كرد علي

حروب ابراهيم باشا المصري

« في سوريا والاناضول »

عني بنشرها الخوري بولس قرألي وعلق عليهـا الدكتور اسد رستم طبعت بالمطبعة السورية بمصر الجديدة (ص٦٧)

هذه مفكرات بعض وقائع ابراهيم بن محمد علي الكبير في فتح الشام في القرن الماضي وهي لمصنف مجهول رجح السيد رستم ان كاتبها القس انطون الحلبي المدبر الانطوني وجدت في خزانة بطريركية الموارنة في بكركي وهي مكتوبة بلغة قريبة من الفصحى كان على الناشر تقويمها · وليس فيها من جديد اكثر مما عرف عن هذه الوقائع ، لكن الباحثين يستأنسون بما حوت على كل حال · وقد قدمت الى صاحب السمو الامير عمر طوسون سليل ذاك الفاتح المعظم · وقد قال الناشر بعد ان بالغ في تفاني الموارنة في خدمة ابراهيم باشا حتى كاد يقول ان النصر الذي كتب له على العثمانيين هو من ثمرة انضمامهم اليه · ان هذا النصر الذي أحرزه الموارنة لمصلحة المصريين حلفائهم كلفهم ثمناً غالياً فما كاد المصريون يجلون عن سوريا في سنة ١٨٤٠ حتى اخذ الدروز يضمرون الشر للموارنة الى ان اتفقوا مع الحكام العثمانيين وقاموا بمذابح سنتي ١٨٤٥ و١٨٦٠ الهائلة التي فقد فيها الموارنة ثلث عددهم وخرب قسم كبير من بلادهم · والمعروف ان الموارنة قلبوا بعد ذلك للمصريين ظهر المجن بالدعاية الانكليزية وقاتلوا جيش ابراهيم ونفى محمد علي كبراءهم الى السودان ، اما ان الدروز اتفقوا مع العثمانيين فقاموا بالمذابح وقتل ثلث الموارنة بذلك فهذه دعوى لا يقرها التاريخ وزعم لا يثبت في محكمة العدل والانصاف · م · ك

سيرة عمر بن عبد العزيز
« على ماروواه الامام مالك بن أنس واصحابه »
تأليف ابي محمد عبد الله بن عبد الحكم المتوفى سنة ٢١٤ هـ صححها وعلق
عليها السيد احمد عبيد طبعت بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٦ — ١٩٢٧
(ص ١٩٨)

أجاد الاستاذ ناشر هذا الكتاب في إخراجه في هذه الصورة الجميلة من التحقيق والعناية . فقد اخذ الاصل عن نسخة قديمة من دمشق واستنسخ بالتصوير الشمسي صورة نسخة أخرى في دار كتب الامة بباريز وعارض كل ذلك على اصول معتبرة فدل بذلك على ذوق في النشر ضاهى به علماء المشرقيات في تدقيقهم ووضع الفهارس اللازمة للاستفادة من الكتاب . اما سيرة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فهي من السير التي تلحق بسيرة الخلفاء الراشدين . وفي هذا السفر من كتبه وافكاره شيء كثير يأخذ منها المطالع حكماً ويتعلم ادباً وعلماً فهي حرية بان تجعل في كل خزانة ، ويتدارسها العظماء والعلماء لانها معلّمة مربية . م . ك

الاعلام
« قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية »
« والاسلام والعصر الحاضر ، تأليف السيد خير الدين الزركلي . الجزء »
« الاول من اربعة أجزاء طبع بالمطبعة العربية بمصر سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٧ »
(ص ٤٠٠)

هذا كتاب تشتد حاجة الناس اليه لانه جمع ما تفرق من تراجم العرب الى يومنا هذا . واقتصر مؤلفه على المشهورين بالعلم والأدب او بالسياسة والامارة واكتفى باللباب مما تستدعي الحال الكشف عن تراجمهم بحيث يسقط الباحث على من يريد الاطلاع على ترجمته في دقيقة واحدة ويعد هذا من واضع الكتاب من جميل الذوق في التأليف والعناية البالغة في البحث يحمد عليها المؤلف . وقد رجع في تأليفه الى مظان

كثيرة و بالغ في التنقيح والأخذ بالأرجح ، ومع هذا وعد ان يلحق كتابه بما يستدركه من الهفوات والزيادات . و بالجملة فان هذا القاموس يهون على كل باحث سبل الاطلاع على حياة من كان لهم شأن في المجتمع العربي . لاجرم ان شهرة صديقنا الاستاذ المؤلف في عالم الأدب تدعو الى الإقبال على هذا السفر النفيس الذي يشكره العلم على نشره على هذه الصورة الجميلة . م . ك

الانتصار

« تأليف ابي الحسين عبدالرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي مع مقدمة »
« وتحقيق وتعليقات للدكتور نِيبَرْج الاستاذ بجامعة أبسالة (السويد) »
« طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في مطبعة دار الكتب المصرية »
« بالقاهرة سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٥ ص ٢٥٢ (قطع الربع) »

أجاد الاستاذ ناشر هذا الكتاب وهو في « الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ماقصد به الكذب على المسلمين والطعن عليهم » وكانت النسخة الاصلية الوحيدة من مخطوطات استاذنا المرحوم الشيخ طاهر الجزائري اولاً ثم من مقتنيات دار الكتب المصرية . ولطالما أراد أستاذنا الوراقين والمؤلفين على طبع هذا السفر الفريد في بابه لانه صورة من علم المعتزلة في عصر قوتهم حتى كتب شرف ذلك للعالم السويدي . وقد رجح ان المؤلف كان شامياً ونسخته هذه فرغ من نسخها سنة ٣٤٧ ﻫ قال : « ومن المعلوم ان أرقى المخطوطات تاريخاً مما هو مكتوب على الورق لايتجاوز اول القرن الرابع ، فلا تكاد ترى نسخة أقدم من كتاب « غريب الحديث » لابي عبيد المعروض على الزائرين في مكتبة الجامع الازهر الذي تم نسخه سنة ٣٢١ » . وكلامه هذا غير موافق للصواب لان في خزانة دار الكتب بدمشق نسخة من كتاب الغريب في الحديث كثير منها أجوبة الامام احمد عن أسئلة ابي داود السجستاني كتبت على الورق سنة ست وستين ومائتين . ومقدمة الاستاذ الناشر التي استغرقت ٥٣ صفحة دليل آخر على عناية المستعربين من علماء المشرقيات باخراج كتب سلفنا للوجود ، وفهم ما ينشرون لخدمة العلم والأدب

وقدشفع الكتاب بتعليقات واستدراكات تشعر بما فطرعليه الغربيون من الغرام بالبحث والتنقيب وختمه بفهرس الرجال والفرق فجاء الكتاب نسخة صحيحة ينتفع بهـا . وأهم ماراقنا من عمل الاستاذ الناشر وضعه مقدمة الكتاب باللغة العربية ولووضعها باحدى لغات الافرنج لاقتصر نفعها على من يحسن تلك اللغة وحرم قراء العربية فائدة مافيها من التحقيق العلمي ، على ان علماء المشرقيات سواء عندهم أكانت المقدمة بالعربية او بغيرها لانهم يحسنون اكثر لغات الغرب ويعرفون العربية . وعسى ان ينقيل مثاله في عمله غيره من المشتغلين بالمشرقيات العربية فيترجمون لما ينشرون بلغة الكتاب الاصلي ويهمشون و يحشون بها واذا كان في أقلام بعضهم شيء من الضعف في البيان العربي فيسهل عليهم الرجوع الى احد أدباء الشرق ليصلحوا ما يجب اصلاحه من الهفوات والعجمة . م . ك

ارشاد الاريب الى معرفة الاديب

« المعروف بمعجم الادباء او طبقات الادباء لياقوت الرومي »

عني بنشره السيد د . س مرجليوث — الجزء الرابع — الطبعة الاولى

طبعت بمطبعة هدية بمصر سنة ١٩٢٧ (ص ٣٢٠)

لما تكلمنا على الجزء الاخير من هذا الكتاب (الجزء الخامس م ٧ ص ٢٣٣) قلنا ان هذا المعجم بقي ناقصاً بضعة حروف وها قد أظفر البحث صديقنا الاستاذ مرجليوث بهذا النقص في نسخة منه وجدها في حلب . وهذا الجزء يبتدئ بالحسن وينتهي بعبد الله ففيه تراجم من اول اسمائهم حاء وخاء ودال وذال وراء وزاي وسين وشين وصاد وضاد وطاء وظاء وبضعة تراجم من اول العين وبذلك تم هذا الكتاب الممتع وقد حلاه الناشر كبعض الاجزاء السالفة بفهرسة اسماء الرجال وفهرسة اسماء الكتب . وقد ورد فيه ١٦٤ ترجمة ومن المشاهير تراجم ابن خالويه وابن الحجاج والواساني وابن الضحاك وابن شبل وابن رواحة والطغرائي والوزير المغربي وابن ابي حصينة وابن البرغوث وابن العريف وحفصة بنت الحاج الركوني وحمدة بنت زياد وحميدة بنت النعمان بن

بشير وحماد عجرد وابن القلانسي وخالد بن يزيد الأموي وخالد بن يزيد الكاتب والخليل بن احمد ودعبل وابن ميادة والسري الرفاء وحيص بيص وابو زيد الانصاري وابن الدهان والاخفش والاشنداني وابو الوليد الباجي وصريع الغواني وسنان بن ثابت وابوحاتم السجستاني وسهل بن هرون وشبيب بن شبة وصاعد اللغوي وصالح بن عبدالقدوس وابوفراس السلمي وابوالاسود الدؤلي وابن الخشاب وابن بري الخ . وقد لاحظنا في اكثر تراجم هذا الجزء إختصاراً لم يكن مألوفاً لياقوت ولعله كتبها ولم يعاود النظر فيها ، ثم ان كتابة ياقوت تجلى فيها شخصيته سواء كتب في البلاد اوالرجال واكثر تراجم هذا الجزء من كتب تكادتكون كلها متداولة ، و ياقوت من عادته ان يأتي بما يتعذر على غيره الاتيان به من المظان لكثرة مادته وعثوره على أسفار في مختلف الأمصار يوشك ان لايظفر بها غيره من الباحثين ونعيد هنا ما قلناه في كل جزء صدر من هذا الكتاب ان فضل الناشر فيما نشره لايقل عن فضل المؤلف فيما ألف ونهنئ عالم العربية في جامعة اكسفورد على توفيقه في إتمام هذا السفر المفيد الذي جلا لنا اموراً كانت من قبل غامضة من تاريخ مدنيتنا . م . ك

المجموعة الاولى والثانية والثالثة

« من مقالات وخطب الاستاذ فكري اباظه بك المحامي »

طبعت في المطبعة العربية بمصر (ج ١ ص ١٨٤ ج ٢ ص ١٧٤ ج ٣ ص ١٦٨)

للاستاذ صاحب هذه المجموعة نمط خاص في الانشاء لايكاد يدانيه فيه احد من أبناء العربية فهو يصوغ الجد في قالب من الهزل بديع و يبدع فيه كل الابداع . وموضوعاته تدور حول شؤون سياسية واجتماعية عصرية ينبعث منها النبوغ والعقل والأدب والظرف المتناهي . في أسلوب يقبله الخاصة ويعجب به العامة . فهو كاتب سري تسري كهربائية أفكاره الى جميع الطبقات وتتعلم منهـا وتتفكه . فنهنئ الاستاذ فكري بك بهذه الدروس العامة التي ما برح يلقيهـا على أمته ويجودها من وراء الغاية ، ونعجب بهذه الهبة الالهية التي اختص بها وأضاف اليهـا هبة أخرى من

علمه وأدبه ولطف نادرته . ونحث القراء على مطالعة ماتخط يمينه الصناع فانها جديرة بان تقتنى وتتدارس .

م . ك

تاريخ اليهود في بلاد العرب
« في الجاهلية وصدر الاسلام »

تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون (ابوذؤيب) استاذ اللغات السامية بدار العلوم في مصر طبع بمطبعة الاعتماد سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٧ ص ١٨٩

قدم العلامة الدكتور طه حسين هذا المؤلف للجمهور بقوله في مقدمة الكتاب : « اقبل الى مصر وان له لثقافة متينة منوعة قد أتقن من اللغات الاوربية الحية أرقاها وأمسها بالبحث العلمي التاريخي ولا سيما فيما يتصل بالمسائل الشرقية العربية وأتقن من اللغات السامية أغناها بالآثار القيمة في الدين والأدب والعلم ولم تقف ثقافته عند إتقان هذه اللغات بل درس من آدابها حظاً موفوراً فكان له مزاج معتدل من هذا القديم السامي والجديد الاوربي يعده أحسن إعداد لتناول المسائل التاريخية والأدبية الرقيقة اذا تهيأت له مناهج البحث كما ألفها علماء اوربا في هذا العصر الحديث » ونحن نقول ان من أحرز مثل هذه الصفات التي تخوله حق البحث والدرس جدير بان يجود موضوعه كل الإجادة .

تكلم المؤلف كلاماً ممتعاً مؤيداً بالشواهد على اليهود في بلاد الحجاز واليمن وعلى بطون يثرب وحوادثها وعلاقاتها باليهود وأحوال العرب الاجتماعية والدينية والسياسية في بلاد الحجاز قبيل ظهور الاسلام وماقامت به مكة ويثرب ازاء الحركة الاسلامية وعلى هجرة الرسول الى يثرب وإجلائه بني قينقاع والنضير عنها وعلى غزوة بني قريظة وغزوة خيبر ثم على إجلاء اليهود عن البلاد الحجازية . هذه موضوعات هذا الكتاب الذي استقاه مؤلفه من مصادر عبرية وعربية وانكليزية وافرنسية والمانية فكان محسناً في تنسيقه واستنتاجه معتدلاً في أحكامه ، جمع في هذا المبحث الطريف بين القديم والحديث فجاء كتابه نموذج المؤلف المحقق في هذا العصر حريٌّ بكل متأدب ان يطالعه و يقتنيه لانه من الكتب العلمية المفتخرة .

م . ك

تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب

« تأليف السيد محمد لطفي جمعه ، يقع في ٣٢٠ صفحة من قطع النصف »

« طبع طبعاً حسناً بمطبعة المعارف في مصر »

للاستاذ محمد لطفي جمعة عدة تآليف وهذا الاخير هو أنفع ما قرأته له وأدعاها الى اغتباط المؤلف بثمار جهده ، فقد ذكر فيه أشهر فلاسفة العرب والاسلام وهم الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن باجه وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون وإخوان الصفاء وابن الهيثم ومحيي الدين بن عربي وابن مسكويه وذلك بعد مقدمة شيقة أبان فيها الحقائق التي دوّنت في الكتاب اي أجوبة الاسئلة الثلاثة الآتية وهي : « اولاً هل لنا حقاً اجداد في الفكر والعقل ، ثانياً هل لهؤلاء الأجداد قيمة في ميدان العلم الحديث واين كتبهم ، ثالثاً ما مكانتهم بين الفلاسفة الذين نقرأ تراجمهم ونرى صورهم » . وفي طيات الكتاب خير جواب يجب ان يفهمه شعوبية هذه الايام المتكالبون على الظهور في انتقاص آثار السلف من عرب ومستعربين . وهاك بعض جمل وردت في هذا المآل :

قال ارنست رينان « ألقى أرسطو على كتاب الكون نظرة صائبة ففسره وشرح غامضه ثم جاء ابن رشد فألقى على فلسفة أرسطو نظرة خارقة ففسرها وشرح غامضها » صفحة ١٥١ .

وقال روجير بيكون الفيلسوف الشهير في كتابه اللاتيني ابوس ماجوس « ان ابن رشد فيلسوف متين متعمق صحح كثيراً من أغلاط الفكر الانساني وأضاف الى ثمرات العقول ثروة لا يستغنى عنها بسواها وأدرك كثيراً مما لم يكن قبله معلوماً لأحد وأزال الغموض من كثير من الكتب التي تناولها بحثه » صفحة ٢٢٣ .

وقال المؤلف في الصفحة ٢٣٢ « وقد أجمع العلماء على ان هذا الحكيم العربي المغربي الافريقي (ابن خلدون) هو من واضعي أساس علم الاجتماع الحديث » .

وقال في الصفحة ٢٣٨ ما خلاصته « سبق ابن خلدون اوغست كونت في شيئين الاول قوله بان الفلسفة هي علم الموجودات وهذا لم يقل به أرسطو المعلم الاول بل قاله

اوغست كونت بعد ابن خلدون بسنة قرون . والثاني قوله بان الاجتماع الانساني خاضع لقوانين وقواعد تدخله في حيز العلوم المنظمة فهو قد بنى علم الحكيم الاجتماعي بالعالم على شيئين : الاول مشاهدة الأمم واختبارها والثاني تصور القوانين السائدة على الاجتماع واكتشافها بفضل التجارب العقلية والاستنتاج الفكري . ولم يقل اوغست كونت باكثر من هذا عندما شرح طريقتي (الستاتستيك والديناميك) فان الخبرة والعلم يكشفان لنا عن الحقائق والعقل يكشف لنا عن الاسباب والعلل » .

وقال ان ابن خلدون اول من اكتشف معنى كون التاريخ علماً اي ان كل حادثة تقتضي لحدوثها فرض وجود شروط او ظروف معينة وبعبارة أخرى كلما اجتمعت طائفة من ظروف معينة في مدنية من المدنيات حدثت حوادث معينة . واي شيء أكثر من هذا قاله مونتسكيو او اوغست كونت او من جاء بعدهما من علماء الاجتماع .....

وهكذا سرد المؤلف في تضاعيف الكتاب كثيراً من الجمل المشابهة لما ذكر بعد ان اطلع وقابل وحلل واستنتج شأن المصنفين المتشبعين من الابحاث التي يصنفون فيها .

وانبع طريقة حسنة في سرد ما يختص بكل واحد من الفلاسفة العظماء الذين ذكرهم فأورد اسم الفيلسوف وكنيته وبلدته وتاريخ ولادته ووفاته ومصنفاته وما بقي منها وما فقد ومذاهبه في اضراب الفلسفة والبيئة التي عاش فيها وتأثير فلسفته وغير ذلك من الابحاث التي بوبها وحللها حتى صارت سهلة التناول حتى على غير الضليعين بهذه المواضيع .

ولا بد لي وانا اكتب في مجلة المجمع العلمي من ان ألفت نظر المؤلف الفاضل الى بعض هفوات لغوية كالتي في الصفحات التالية : (ج ، د ، ٩١ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ، ١٧٨ ، ٢٦١) .

والخلاصة ان أكبر نفع لهذا الكتاب الثمين هو تسهيل فهم ما لأجدادنا العرب من الأثر في تقدم العقل البشري ، ولا ريب ان الوطنية الحقة في أنحاء البلاد العربية لا تقوم الا على تمجيد أعمال السلف الصالح فجزى الله المؤلف عن الوطن العربي الأكبر خير جزاء .

عضو المجمع العلمي

مصطفى الشهابي

الهدايا المصرية

ننشر فيما يلي أسماء الكتب التي أهدتها بعض الوزارات المصرية وغيرها الى مجمعنا العلمي :

أهدت الينا وزراة الاشغال العامة مجموعة تتضمن تسعة عشر كتاباً منها :

(١) الدليل في موارد اعالي النيل . (٢) كتاب مابين النهرين . (٣) كتاب ضبط النيل . (٤) تقرير لمقاومة حمى الملاريا . (٥) الآلات الرافعة . (٦) مذكرة عن تخطيط المدن الخ .

وأهدت الينا ايضاً وزارة الاوقاف مجموعة مؤلفة من اربعة واربعين كتاباً منها :

(١) مجموعة افرنسية كاملة من كراريس لجنة حفظ الآثار العربية . (٢) نسخة افرنسية من كتاب تاريخ مسجد السلطان حسن . (٣) الجزء الاول والثاني من كتاب الديور القريبة من سوهاج . (٤) نسخة من كتاب الخزف (باللغة الافرنسية) . (٥) نسخة من كتاب حفريات الفسطاط . (٦) الدليل الموجز باللغة العربية . (٧) مجموعة من كارت بوستال . (٨) مجموعة من اللوحة الفوتوغرافية .

وأهدت وزارة الزراعة المصرية مجموعة نأتي على ذكر البعض منها :

(١) مجاميع من سني المجلة الزراعية . (٢) مجموعة كراريس في البقول . (٣) تقارير عن قسم الحشرات المضرة بالزراعة . (٤) تقارير عن المحافظة على صنف القطن . (٥) عشرة تقارير عن وقاية النباتات . (٦) النشرات الفنية في الاوبئة الحشرية لاشجار الموالح في القطر المصري عددها ٣٢ . (٧) تقارير مجلس مباحث القطن عن سنة ١٩٢٠ و١٩٢١ و١٩٢٢ و١٩٢٣ .

وأهدى مجلس النواب المصري نسخة من كتاب مجموعة مضابط الانعقاد العادي الثاني للهيأة النيابية الثالثة للمجلس المشار اليه .

وأهدت لجنة الطبع والتأليف والترجمة المصرية مجموعة كتب مؤلفة من ٣٣ كتاباً منها :

(١) الجغرافيا الحديثة . (٢) رفائيل . (٣) الأدب الجاهلي . (٤) الدروس

الجغرافية . (٥) تاريخ القرن التاسع عشر . (٦) تاريخ المسألة المصرية . (٧) القضاء الجنائي . (٨) علم الأخلاق . (٩) شرح قانون العقوبات . (١٠) تاريخ الآداب العربية «للاستاذ الزيات» . (١١) فلسفة ابن خلدون «للاستاذين طه حسين وعبد الله عنان . (١٢) بسائط الطيران . (١٣) فلسفة ارسطوطاليس ترجمة الاستاذ احمد لطفي السيد .

واهدى امير الشعراء احمد شوقي بك من ديوانه (الشوقيات) مائتي نسخة فالشكر لهم جميعاً .

« علم بيان الكتب المخطوطة الموقوفة التي ابتاعها المجمع العلمي من كل »
« من الكتبيين السادة عبيد وهاشم والقصيباتي في تموز سنة ١٩٢٧ »

(١) نسخة واحدة من صحاح الجوهري في مجلد واحد كتبت سنة ٩٦٧ هـ

(٢) فتاوى الشيخ اسماعيل مجلد واحد جمعها ابراهيم بن محمد الشامي واسمها (شفاء العليل بفتاوى الشيخ اسماعيل) كتبت في سنة ١٣٠٢ هـ بخط محمد رضا بن الشيخ احمد الحلبي .

(٣) شرح الشمائل المسمى (باشرف الوسائل الى فهم الشمائل) لشهاب الدين احمد بن حجر الهيثمي كتبت سنة ٩٩٥ وهي مجلد واحد و بخط وسط .

(٤) شرح اللوامع الضيائية المسمى (بتحفة المطالع) في علم الفرائض لمؤلفها (عبد الرحمن بن عبد الله الموقت) بحلب الشهباء . كتبها حسين بن محمد البالي سنة ١٠٦٦ والنسخة مقابلة على خط المؤلف .

(٥) شرح شذور الذهب لمحمد منصور اليافي . كتبها اسعد الحمصي سنة ١٢٧٢ هـ .

(٦) مجلد مخروم الاول في علم اصول الفقه . كتبه احمد بن عبد اللطيف بدمشق سنه ١٠٠٥ هـ .

(٧) حاشية الاسقاطي على شرح الكنز لملا مسكين . مخرومة الآخر ببضع ورقات .

(٨) مجلد من كتاب (الروضة) اوله (الباب الثاني في أحكام الالتقاط) وآخره (الباب الخامس في الشك في الطلاق) .

(٩) مجلد من حاشية مولانا (نوح افندي) على (الدر المختار) اوله (كتاب الأيمان) وآخره (كتاب الغصب) .

(١٠) مجلد يتضمن خمساً واربعين رسالة فقهية كلها من تصنيف الشيخ عبد الغني النابلسي

(١١) سنن الترمذي نسخة حسنة الخط كتبت سنة ١٠٩٩ .

(١٢) الجزء الثاني من شرح (نورالدين بن بركات الشهير بالباقاني القادري الانصاري لملتقى الأبحر كتب سنة ١٢٠٠ هجرية (والمجلد الاول معروض للبيع في مكتبة القصيباتي) .

(١٣) رسالة (حصول الرفق باصول الرزق) للسيوطي كتبت سنة ١٠٧٧ على يد ابراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز .

(١٤) حاشية (مشارق الأنوار) الجزء الثالث من اوله (الباب الثالث) وفي آخر الكتاب هامشة للعالم التركي الشهير (بصحاف) يقول ان هوامش المكتوبة باسلوب التعليق في تلك النسخة بخط المؤلف نفسه .

(١٥) نسخة من شرح (الفية ابن مالك) والشرح نظم لا نثر للبدر الغزي ؟ مخرومة الاول كتبها الشيخ هلال الظاهري سنة ٩٤٢ هـ (ومثلها نسخة كاملة عند السيد محمد الكتبي) .

(١٦) فتاوى الحانوتي نسخة كاملة كتبها الشيخ احمد الحلبي (١٣٠١) .

(١٧) الصنف الأول من كتاب (لطائف الاشارات في أسرار التنزيل) للقشيري كتبت سنة ٨٤٦ .

(١٨) حصن الحصين من كلام سيد المرسلين للجزري .

(١٩) الجزء الثاني من حاشية (دلائل الأسرار على الدر المختار) للشيخ خليل الشهير بالفتال الدمشقي بخط المؤلف (المتوفى سنة ١١٨٦) .

(٢٠) نسخة من ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي .

(٢١) حاشية التفتازاني على العقائد النسفية .

(٢٢) حاشية مولانا سعدي چلبي على الهداية (النصف الاول منها) .

(٢٣) شرح الألفية لابن ابي قاسم المسمى بالمرادي كملت سنة ٨٨٧ (نسخة قديمة لعلها بخط المؤلف) .

(٢٤) حاشية الغنيمي على شرح السعد على العقائد النسفية مخرومة الاول .

(٢٥) جامع الأسرار شرح المنار للشاطبي مخروم الاول كتبت سنة ٧٨٠ .

(٢٦) الجزء الرابع من تفسير الرسعني ألف سنة ٦٣٥ و كتب سنة ٧٤٣ .

(٢٧) معالم السنن لابي داود السجستاني .

(٢٨) جزء في علم الحديث مخروم الاول والآخر .

(٢٩) الجزء الثاني من معاني القرآن للزجاج اوله (سورة الانعام) .

(٣٠) إمداد الفتاح شرح نور الايضاح كتبت سنة ١١٢٧ .

(٣١) جزء من حاشية الخفاجي المسماة (عناية القاضي و كفاية الراضي) حاشية على القاضي البيضاوي مخرومة الآخر .

(٣٢) الجزء الثاني من شرح الترتيب في الفرائض للشنشوري ألفها سنة ٨٤٢ .

(٣٣) مجموعة في المنطق تتضمن شرح ديباجة القونوي وشرح قواعد على ايساغوجي الخ الخ وهي سبع رسائل في المنطق .

(٣٤) الجزء السادس والعشرون من البخاري من نسخة في ثلاثين جزء .

(٣٥) الطريقة المحمدية نسخة مهمشة صحيحة .

(٣٦) رسالة شرح غرامي صحيح للشيخ يحيى القرافي .

(٣٧) رسالة موضح الأوقات في ربع المقنطرات لمحمد بن كاتب سنان الموقت كتبت سنة ١١٨٤ .

(٣٨) مجموعة رسائل في الصرف : المراح والمقصود وغيرهما .

(٣٩) (العيون الغامزة على الخبايا الرامزة) وهي شرح الخزرجية للدماميني ولا يوجد منه سوى بعض كراريس من اوله ويليه كتاب (نوادر الفروع) في الفقه مخروم الاول كتب او ألف سنة ٧١٠ .

(٤٠) كتاب نفيس شرح في فن الحديث بخط مؤلفه محمد المشتهر بالحنفي كتبها ببلدة بخارى .

(٤١) خمسة أجزاء مختلفة من ربعة القرآن الشريف احدها بخط نفيس ومذهبة ٠

(٤٢) قطع من تفسير ابي السعود على سور مختلفة ٠

(٤٣) قطعة من كتاب (الاحياء) مخروم ٠

(٤٤) الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم مخروم ورقة من أوله ٠

(٤٥) حاشية في علم النحو مخرومة الاول كتبت سنة ٨٥٣ ٠

(٤٦) التحقيق الباهر على الأشباه والنظائر الفقهية للناجي ٠

(٤٧) كتاب حاشية على ايساغوجي لعمر بن صالح الفضي التوقاتي ٠

(٤٨) كتاب لعل اسمه (البصائر) وهو مقسم الى فصول على حروف المعجم وكل فصل مفتتح بكلمات اولها ذلك الحرف وبعد سردها يعود فيذكرها كلمة كلمة معنونة ببصرة في كذا بصيرة في كذا ثم يشرح الكلمة بما يناسبها من الشعر والحديث واللغة والأدب فتارة يستغرق الشرح بضعة أسطر وتارة صفحة او اكثر وفصول الكتاب تنتهي الى حرف اللام وبعد مخروم ٠

(٤٩) شرح فعال كلمة التوحيد لاحمد السيدليس و يليها رسالة تسمى بالورقات في اصول الفقه ٠ وتفسير بعض آيات البيضاوي ٠

(٥٠) شرح أدب البحث لامام الحرمين وحاشية عليه ٠

(٥١) فتح المتعال في الفال للمقري ولعلها بخط المؤلف كتبت سنة ١٠٣٣ ٠

(٥٢) منية المغني في الفقه الحنفي كتبت سنة ٨٧٧ ٠

الفهرس العام

« لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتبًا على حروف المعجم »

فهرست الاعلام

« اي اسماء كتّاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

جدول الخطأ والصواب

ورد في أجزاء هذا المجلد بعض أغلاط مطبعية نبهنا اليها فيما يلي :

في ص٩ س ٣ لوضع صوابها لوجع · وفيها س ٩ وقبحت صوابها وحسنت · وفي ص١٠ س٦ التعمد صوابها التعمل · وفي ص ١٣ س٨ وتطيب صوابها ونطب · وفي ص ١٤ س٨ من اومه صوابها من كلامه · وفي ص١٦ س١١ ولايشبعه صوابها ولا يقنعه · وفي ص١٩ س١ مستمر يا صوابها مستمرياً · وفيها س٨ اغلق صوابها اعلن وفي ص ٢٢ س ١٢ بذلك صوابها بذكر · وفي ص ٢٧ س١٠ تعمد صوابها تعمل · وفي ص ٣٩ س ١٠ صارا صوابها صارتا · وفي ص ٤٥ س ١٥ سنة ١٨٧ و١٨٨ صوابها سنة ٨٧ و٨٨ · وفي ص ٦٠ س ٣ ···· صوابها حرب · وفي ص ٧٠ س ١ سهولة صوابها بسهولة · وفيها س ٢٣ لمعنى صوابها المعنى · وفي ص ١١٨ س١٦ صاحبها صوابها صاحبتها · وفي ص ١٢٩ س ٥ بعدة صوابها بعد · وفي ص ١٥١ س ١٥ صحته : لقد ضاعفنا آلامنا وتممنا نقصها لما زينا الخ · وفي ص ١٥٦ س ١٦ فالقند صوابها فالنقد · وفي ص ١٥٧ س ١٣ النظر صوابها النظير · وفي ص ١٨٠ س ١٧ ونغبير صوابها نغبير · وفي ص ١٨٢ س١٣ لضغط صوابها نضغط · وفي ص ١٨٥ س١٢ ···· الصواب واقتطاف · وفي ص ١٨٦ س ٨ معاخرهم صوابها مفاخرهم · وفي ص ٢١٤ س٢٣ السكرجة صوابها السكرجات · وفي ص ٢١٧ س١٨ كان صوابها كانت · وفي ص٢١٨ س٨ رو : صوابها عمرو · وفي ص ٢٣٢ س ٢١ دخرت صوابها ادخرت · وفي ص ٢٤٣ س٥ يزل صوابها يزول · وفي ص ٢٥٢ س ١٣ بالل صوابها بالمال · وفي ص ٢٦٨ س ٥ العوب صوابها العرب · وفي ص ٢٦٩ س ١٦ ما اداه صوابها بما اداه · وفي ص ٢٧٠ س١٢ عنا صوابها عما · وفيها س ١٥ فيها هازلاً صوابها فيها الا هازلاً · وفي ص ٢٧١ س ١٠ وحى صوابها أوحى · وفيها س١١ صوره صوابها صورته · وفي ص ٢٨٢ س٢ نيل الارب صوابها بلوغ الارب · وفي ص ٢٩٤ س ٢ أورمة صوابها أرومة · وفي ص ٣٠١ س ٢ الغناء صوابها الغناء · وفي ص ٣١٤ س ١٢ ففقط صوابها فقد · وفي ص ٣١٥ س ٤

فكلفوا صوابها تكلفوا · وفي ص ٣١٦ س ٨ ابو صوابها ابي · وفي ص ٣٢٤ س ٨ مصور صوابها مصدر · وفي ص ٣٢٥ س ٢٣ بآخر عن آخر · وفي ٣٣٧ س ١٤ البرعني صوابها المبرغني · وفي ص ٣٤٨ س٣ وغينني صوابها وغنيني · وفي ص ٣٦٣ س ١٢ فم صوابها فلم · وفي ص ٣٧٨ س ٩ الذي صوابها الذين · وفي ص ٣٨٢ س ١٥ وسمع صوابها وسميع · وفي ص ٣٨٦ س ٩ زحزتها صوابها زحزحتها · وفيها س ٢٤ بعد صوابها بعض · وفي ص ٣٨٧ س ٩ الظهر صوابها الضهر · وفي ص ٣٨٨ س ١٣ تميل صوابها تمييل · وفي ص ٣٩٥ س ٧ بالمهم عن الأهم صوابها بالأهم عن المهم · وفي ص ٣٩٧ س ١٢ الذنت صوابها الذنب · وفي ص ٣٩٩ س ٩ له صوابها عمله · وفي ص ٤٠٦ س ١٨ فاذا علمت ذلك ان صوابها فاذا علمت ذلك علمت ان الخ · وفي ص ٤٠٧ س ١٣ ترجمة صوابها ترجمت · وفي ص ٤١١ س ١ جميع صوابها جمع · وفيها س ١٣ دماسة صوابها دسامة · وفيها س ١٦ وجعلها صوابها وجمعها · وفي ص ٤١٤ س ١٣ سؤرة صوابها سورة · وفي ص ٤١٥ س ٧ ثرغي البرود وتزبد الرعود صوابها ترغي البروق وتزبد الرعود · وفي ص ٤١٦ س ١٤ تنقطع صوابها انقطع وفيها س ٢٣ الاموية صوابها الامومة · وفي ص ٤٢٠ س ١١ الألي يمتعوهن صوابها الأولي يمتعونهن · وفي ص ٤٢١ س ١ أطفالهن صوابها أطفالهم · وفي ص ٤٢٣ س ٦ تعلياً صوابها تعلماً · وفيها س ٦ استحالت صوابها استحال · وفي ص ٤٢٣ س ٢١ الولدان الصواب الوالدان · وفي صفحة ٤٢٤ سطر ١ وبليغاً الصواب بليغاً · وفي صفحة ٤٣١ سطر ٦ فلكانوا الصواب فكانوا · وفي صفحة ٤٤٧ سطر ١٤ تحارب الصواب تجارب وفيها سطر ١٤ وقاموس الصواب والقاموس · وفي صفحة ٤٥٨ سطر ٦ العملية الصواب العلمية · وفيها سطر ١٢ أسس الصواب أأسس · وفي صفحة ٤٦١ سطر ٦ وان سالموا الصواب او سالموا · وفي صفحة ٤٦٢ سطر ١٣ ثم: الصواب ثم · وفي صفحة ٤٦٤ سطر ١٤ عنده : الصواب عند من · وفي صفحة ٤٦٩ سطر ١٢ يعرفون الصواب يعرفه · وفي صفحة ٤٧١ سطر ١٢ هذه : الصواب هذا · وفي صفحة ٤٧٣ سطر ٧ وكتب الصواب كتب · وفي صفحة ٤٧٧ سطر ٧ وبحاثكم الصواب وابحاثكم · وفي صفحة ٤٨٠ سطر ٢ بخزانة الصواب خزانة · وفي صفحة ٤٨٢ سطر ٨ لتنبيه الصواب